

# مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

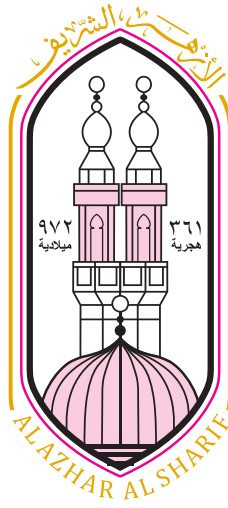
مَجَلَّةُ شَرْيَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي



المجلد الرابع

السنة ١٣٥٢ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

[www.azhar.eg](http://www.azhar.eg)

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

[www.saqifat-alsafa.org](http://www.saqifat-alsafa.org)

E-mail : [info@saqifat-alsafa.org](mailto:info@saqifat-alsafa.org)



# الفهرس العام

## للمجلد الرابع (سنة ١٣٥٢) من مجلّة نور الاسلام

صفحة	بقلم	الموضوع
		(أ)
٤١٢ و ٢٦١	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	أبو بكر الصديق ... ..
١٩٥	» » »	أحكام الجنّازة ... ..
٣٤	» » »	إحراق جثة الميت ... ..
٢٢٠	... ..	الأزهر وجامعة المسجد الأقصى ... ..
٧٣٠	» » ابراهيم الجبالى	أزمة الزواج وعلى من تقع تبعاتها ... ..
٤٧٩	» » طه حبيب	إسراع نعش الميت وخفته وثقله ونحو ذلك ...
١٣٢ و ٦٧	قلم الترجمة	الاسلام فى السودان ... ..
٠٩ و ٢٨٦ و ١٢٠	» »	الاسلام فى بلاد الصين ... ..
٣٦٢	حضرة الأستاذ مدير المجلة	الاسلام فى نظر بحاثى أوروبا ... ..
٣٨٢	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	الاسلام والعلم ... ..
٧٥٠	حضرة الأستاذ مدير المجلة	الى الذين لا يؤمنون بالغيب ... ..
٥٧٠	فضيلة الاستاذ السيد محمد الخضر حسين	الأمثال فى اللغة العربية ... ..
١٤٧	» » »	الانصاف الأدبى ... ..
٦٤٩	حضرة الأستاذ مدير المجلة	انتهاء عهد الفلسفة المادية ... ..
٤٧٧	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	الانتحار ... ..
		(ب)
٤٨٨	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	البخارى ... ..
٥٥١	جماعة القادىانية بمصر	براءة من مذهب القادىانية ... ..

الموضوع	بقلم	صفحة
( ت )		
تأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٠١ و ٣٤٨
تأخير أداء الصلاة عن وقتها للضرورة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	٤٧٧
تحبلى التدبير الالهى فى أعمال الحيوانات ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٦٤ و ٤١٨
تجديد كوبرى الخديوى إسماعيل والاحتفال بافتتاحه ... ..	... ..	٢١٢
تحديد النسل ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٣٥٩
تحليل الروح العصرية ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٥٤
تخصيص بعض الورثة بشئ من الميراث ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٩٩
تراجع الفلسفة عن موقفها الالحادى ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٢٥
تربية النفس بالنفس ... ..	قلم الترجمة	٦٥٣ و ٤٣٣
تصحیح ... ..	قلم التحرير	٧١
التعاون فى الاسلام ... ..	فضيلة الاستاذ السيد محمد الخضر حسين	٢٢٣
تعليم القرآن بغير تجويد ... ..	» » الشيخ طه حبيب	٣٥٩
تفسير سورة النور ... ..	» » ابراهيم الجبالى	١٨ و ٨٢ و ١٥٧ ٣٧٦ و ٣٠٤ و ٢٣٥ ٥٩١ و ٥١٩ و ٤٤٨
تفسير سورة الضحى — شئ من سيرته صلى الله عليه وسلم	» » طه حبيب	١٨٣
تفسير سورة الاخلاص ... ..	» » ابراهيم الجبالى	٦٩٦
تفنيد مذهب القاديانية ... ..	» » السيد محمد الخضر حسين	١١٠ و ٥
التقليد والتلفيق ... ..	» » الشيخ طه حبيب	٤٠
تمنى الموت للضر والضيق ... ..	» » »	٤٧٦
تنبيه ... ..	إدارة المجلة	١٤٤
تنبيه ... ..	» »	٣٦٦
توحيد الالهية وتوحيد الربوبية ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣١٩ و ٢٥٥

صفحة	بقلم	الموضوع
		(ث)
٦٣٩	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	ثبوت شهر رمضان بواسطة التأخراف ونحوه ...
٤٧٩	» » طه حبيب	ثبوت النسب لأولاد من ظهر أنها أخت رضا
		(ج)
٤٣	... ..	جلالة الملك المعظم يفتتح الكليات الثلاث بالجامعة الأزهرية
		(ح)
٥٢٦	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	حديث الغرائق ... ..
٤٣٠	» » طه حبيب	الحديث — تدوينه ... ..
١٠٣	» » »	حكم إقامة الموالد ... ..
١٠٤	» » »	حكم الصلاة يوم الجمعة والامام يحطّب ... ..
١٩٩	» » ابراهيم الجبالى	حكم صلاة الظهر بعد الجمعة ... ..
٣٨٥	» » طه حبيب	حكم الله فى التبرج ... ..
٤٣٧	» » »	حكم تعايق الطلاق ... ..
٥٥٨	» » »	حكم المحلل ... ..
٤٧٧	» » »	حكم المريض والاعمى إذا قتل أو سرق أو زنى
٤٧٨	» » »	حكم الصلاة خلف إمام متكبر ... ..
١٧٠	» » يوسف الدجوى	الحكم على المسلمين بالكفر ... ..
٣٩٨	» السيد محمد الأخضر حسين	الحكمة العربية ... ..
٥٠٠	» » »	الحكمة وأثرها فى النفوس ... ..
٤٣٧	» » طه حبيب	الحلف بالمصحف ... ..
٣٦	» » »	الحلف بالطلاق أو بالحرام ... ..
٣٤	» » »	هل الجنابة فى السيارة وتغيير الدين ... ..
٢٠٩	قلم التحرير	حول حوادث التبشير ... ..

الموضوع	بقلم	صفحة
( خ )		
... .. ختم الصلاة بالتسبيح والاستغفار	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٨٠
... .. خطبة افتتاح العام الدراسي	» » عبد المجيد اللبان	٧٤٧
( د )		
... .. دحض مفتريات المستشرقين	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٩٩
... .. الدين والدنيا معا	» » »	٣٥٣
... .. الدين والعلم	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٩٢
( ر )		
... .. ربيع الأول	فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالى	١٦٤
... .. رجب	» » طه حبيب	٤٦٣
... .. الرسول صلى الله عليه وسلم والتساح	» » إبراهيم الجبالى	٧٥
( ز )		
... .. الزواج عند الأمم المختلفة	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٧٤
( س )		
... .. سؤال القبر	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٣٦١
... .. سماع القرآن من الراديو	» » »	٣٥٨
... .. سنة الجمعة القبلية	» » يوسف الدجوى	٧١٤
( ش )		
... .. شرح حديث شريف	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٨٧ و ٢٤٥ و ٣١٢ و ٤٠٥ و ٦٢٠

صفحة	بقلم	الموضوع
٩٢	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	شق صدره صلى الله عليه وسلم ... ..
٥٣١	حضرة الأستاذ مدير المجلة	شهادة كبار الفلاسفة والمؤرخين للنبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ... ..
٧٢٠	» » »	شهادة كبار الفلاسفة للإسلام ... ..
		(ص)
١٩٤	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	صلاة العيد ... ..
١٩٧	» » »	صلاة الجمعة في القرى ... ..
		(ض)
١٠١	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	الضيافة ونحوها في المآتم ... ..
		(ط)
٤٣٨	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	الطلاق قبل النكاح ... ..
		(ع)
٧٦٠	... ..	عجائب المحلوفات ... ..
٤٧٩	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	عدة الرجل ... ..
٢٦	» » يوسف الدجوى	العقيقة وسر الختان في الدين الاسلامى ... ..
٤٥٥	حضرة الأستاذ مدير المجلة	العقيدة بالله في نظر العلم الصحيح ... ..
٣٤١	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	علة إعراض الشبان عن الزواج وعلاجها ... ..
٧٤٠	قلم الترجمة	العلاقة بين المخ والذكاء ... ..
٧٠٥ و ٦٢٨	حضرة الأستاذ مدير المجلة	عمر الفاروق ... ..
		(ف)
٣٨	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	الفصل بالدعاء بين الترويحيتين ... ..
٥٣٥	» » ابراهيم الجبالى	فضل الأخوة والألفة وشروط الصحبة ... ..

صفحة	بفلم	الموضوع
٦٠٨	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	فضل الصلاة وبيان أسرارها ... ..
٤٢٢	» » ابراهيم الجبالى	فى تنظيم الاحسان طعاً نينة المحسنين ... ..
		( ق )
١٠٢	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ... ..
٢٠٣	... ..	قرار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فيما يجب على الامة اتخاذه إزاء أعمال المبشرين ... ..
٢١٥	... ..	قرار من العلماء فى كلية الشريعة الاسلامية ... ..
٣٣	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	القراءة للموتى بالأجرة ... ..
١٩٨	» » »	القرآن لفظاً ومعنى ... ..
٢٨١	فضيلة الأستاذ السيد محمد الحضر حسين	قصيدة ... ..
		( ك )
٦٥٧	فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والى	كتاب الأم وما يحيط به ... ..
٤٦٨	» » ابراهيم الجبالى	الكتاب والسنة ... ..
٣٠	» » طه حبيب	الكفاءة ... ..
٤٧	... ..	كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر بين يدى جلالة الملك فى كلية أصول الدين ... ..
٥٣	... ..	كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر بين يدى جلالة الملك فى كليتى الشريعة واللغة العربية ... ..
٥٥	... ..	كلمة عن التعليم الاسلامى بمصر ... ..
٧٥٦ و ٥٧٨	قلم الترجمة	كيف انتشر الاسلام فى العالم ... ..
		( ل )
٣٥	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	الاحكام المحفوظة فى اللعب واتخاذ السن من ذهب وحشوها ... ..

الموضوع	بقلم	صفحة
( م )		
المادية ومذهب العلماء الراسخين ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٩٤
ما يعمل للميت وعادات الناس في ذلك ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٧٣
متى يستيقظ المسلمون لدينهم ... ..	» » »	٣٣١
مذهب النشوء والارتقاء في الميزان ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٣٩ و ٦٤٤ و ٧٢٥
المسجد الموقوف وأحكامه ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٥٦٠
مسائل تتعلق بصلاة الجمعة ... ..	» » يوسف الدجوى	٦٣٧
مسألة تتعلق بالبيع والدين والربا ... ..	» » »	٦٤٢
مضارة الزوج لزوجته ... ..	» » الشيخ طه حبيب	٤٧٦
المطالبة بدين الغير ... ..	» » »	٤٣٧
معجزة علمية للقرآن الكريم ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٠٩
معجزات القرآن العامية ... ..	» » »	٤٩٥
مقدمة ... ..	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	٣
مكتبة الاسكندرية ... ..	» الشيخ طه حبيب	١٠٦
ملابس النساء والرجال ... ..	» » »	٣٦٠
من مدير مجلة نور الاسلام لقراءتها الكرام ...	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٩٧
المنذوب فعله شرعا في الأفراح ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	٤٣٩
مهمة الدين الاسلامي في العالم ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٩٨
مهمة الدين الاسلامي في العالم ... ..	» » »	٣٦٩
إعلان الالفه العامة بين الشعوب ... ..	» » »	٤٤١
مهمة الدين الاسلامي في العالم ... ..	» » »	٥١٣
المثل الاعلى في بناء الامم ... ..		
مهمة الدين الاسلامي في العالم ... ..		
دعوته الى وحدة العقيدة الدينية ... ..		

الموضوع	بقام	صفحة
... .. مهمة الدين الاسلامى فى العالم	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٨٥
... .. نعيه على مبدأ التقليد الأعمى		
... .. مهمة الدين الاسلامى فى العالم	» » »	٦٨٩
... .. الدعوة الى العلم		
( ن )		
... .. نداء الى كل قاديانى	حضرة الفاضل أحمد افندى حمدى	٥٥٣
... .. نظرة علمية فى الكائنات الحية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٠٤
... .. نعى عالم جليل	إدارة المجلة	٥٨٤
... .. نقض شبه القاديانية	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	٥٤٥ و ٤٥٩
... .. نقض مطاعن فى القرآن الكريم - كتاب	» الشيخ محمد احمد عرفه	١٣٨
... .. نقل رفات الميت	» » طه حبيب	١٠٨
... .. نوايغ الكلم	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٤٠
( هـ )		
... .. هل المعاصى تمنع من دخول الجنة	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	١٠٨
... .. هل أفلسن المدنية الغربية	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٨٢
... .. هل الحرية الشخصية معناها الاباحة	» » »	٦١٥
... .. هيئة كبار العلماء وحماية الاسلام والمسلمين	... ..	٢٧٦
( و )		
... .. الولى	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	١٠٧



## الخطأ والصواب

صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ
عذيقها	٢٧١	٢١	عزيقها	أبو حنيفة	١	٤٤٦	أبو حنيفة
وأنهم	٢٧٢	٢١	أونهم	إجبارهم	٨	٢٢٧	إجبارهم
ماشيته	٥٢٣	٦	حاشيته	إن محمدا	٣	٢٦٨	إن محمد
من يريد	٦٧٩	٢٢	لمن يريد	وقال ابن السبكي	١٦	٦٧٤	وقال السبكي

ووقع في الملزمة الانجليزية من العدد السابع هذا الخطأ

أعمالكم	٣	١٨	أعمالكم	٣	١١	الدين	الدين
وبينكم	٣	١٨	وبينكم	٣	١٢	الدين	الدين
الدين	٤	١٥	الدين	٤	١٣	ويهدى	ويهدى
إِلَّا	٤	١٥	إِلَّا	٤	١٤	إِلَّا	إِلَّا
ومن	٤	١٧	ومن	٤	١٤	جاءهم	جاءهم
اهتدوا	٤	١٨	اهتدوا	٤	١٥	ربك	ربك
فطرة	٥	٣١	فطرة	٥	١٥	أورثوا	أورثوا
القيم	٥	٣٢	القيم	٥	١٧	آمنت	آمنت
أفغير	٧	٢٨	أفغير	٧	١٧	بينكم	بينكم
وفي	٨	٨	وفي	٨	١٨	أعمالنا	أعمالنا



## تصحیح

وقع خطأ في شكل الآيات الواردة في الملزمة الانكليزية نرجو تصحيحه

صواب	خطا	سطر	صفحة
الدِّين	الدِّين	١١	٣
الدِّين	الدِّين	١٢	٣
ويَهْدِي	ويُهدى	١٣	٣
إِلَّا	إِلَّا	١٤	٣
جاءَهُمْ	جاءَهُمْ	١٤	٣
رَبِّكَ	رَبِّكَ	١٥	٣
أورثوا	أورثوا	١٥	٣
آمنت	آمنت	١٧	٣
بينكمُ	بينكمُ	١٧	٣
أعمالنا	أعمالنا	١٨	٣
أعمالكم	أعمالكم	١٨	٣
وبينكمُ	وبينكمُ	١٨	٣
الدِّين	الدِّين	١٥	٤
إِلَّا	إِلَّا	١٥	٤
ومنِ	ومنِ	١٧	٤
اهتدوا	اهتدوا	١٨	٤
فطرةُ	فطرةُ	٣١	٥
القيِّمِ	القيِّمِ	٣٢	٥
أفغيرِ	أفغيرِ	٢٨	٧
وفي	وفي	٨	٨



قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِيهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ نُورَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

# بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ الْأَكْبَرِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصدرها مبيشة خلد الأزهري الشريف

تظهر غمرة كل شهر عربي

المجلد الرابع	المحرم سنة ١٣٥٢	الجزء الأول
رئيس التحرير السيد محمد الخسين من علماء الأزهر	مدير إدارة المجلة عبد الغني محمد بك المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى	
الاستراك	الإدارة	
داخل القطر المصري ... .. ٤٠ خارج القطر المصري ... .. ٥٠ للمعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمسؤولين ومعلمي المدارس الاولية والطلاب ... .. ٢٠ خارج القطر ... .. ٣٠	شارع محمد مظلوم باشا رقم ١ تليفون : ٨٤٣٣٢ الرسائل تكون باسم مدير المجلة	
ثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه		

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م



## مقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم حمد من أمددته بتوفيقك فلم تزل يرَاعته ، وتثنى عليك ثناء من اشترى حكمتك بابهو الحديث فربحت تجارته ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي أودى في سبيلك فصبر ، وجاهد خصوم هدايتك فظفر ، وعلى آل بيته الذين اقتدوا بسنته ، فكانوا أعلام الفلاح ، وأصحابه الذين ساسوا العقول بالحجة الباهرة ، فذهبت الأباطيل كرماد اشتدت به الرياح .

أما بعد : فقد قضت هذه المجلة سنتها الثالثة وهي سائرة على الخطة التي رسمتها لنفسها ، جادة في العمل الذي ألتى على كاهلها ، غير مكترثة بالعقبات التي تعترض طريقها . أوضحت حقائق شرعية كانت غامضة ، وفصلت القول في مواضيع اجتماعية كانت مجملة ، ونسقت مباحث أدبية كانت متفرقة ، وأزاحت عن ساحة الدين شبها كانت قائمة ، وكشفت عن سرائر فرق تكيد الاسلام ، فظهر على وجوه هذه الفرق غبرة ترهقها قفرة . ومما كسا المجلة وقارا ، وجعل غيها النافع مدرارا ، هذه الدروس التي تلقى على قرائها في تفسير القرآن العزيز ، وشرح الحديث الشريف ، وتحقيق البحث في أصول الدين ، وتحرير أحكام عملية إجابة للسائلين .

وعمدت المجلة الى آراء الغرب ، فنقلت الى العربية ما آنت فيه رشدا ، ثم نظرت الى مبتكراته ، فوصفت قرائها ما يجديهم الاطلاع عليه نفعا . ومن المعروف أن مكتب الترجمة بإدارة المجلة ، يتألف من أساتيد ينقلون الى العربية ما ينشر في المجلات أو المؤلفات في اللغات الثلاث : الانكليزية ، والفرنسية ، والألمانية ؛ فن الميسور لقراء المجلة أن يطلعوا على الحركتين العلميتين : الشرقية ، والغربية ، في صفحات مجتمعة .

ورأت المجلة، أن الاسلام دين العالم أجمع، فيجب أن تستضيء بهدايته الشعوب غير العربية كما تستضيء بها الشعوب العربية، وليس في استطاعتها أن تخاطب كل شعب بلسانه الخاص، فأخرجت بعض صحفها في اللسان الانكليزي، إذ كان أوسع اللغات انتشارا بين الشعوب التي لا تتكلم العربية، لتبث بوسيلته الدعوة الى الحق، بين من يفقهون هذا اللسان، في الهند والصين وأمريكا وجنوب أفريقيا، وغيرها من البلاد.

ولما رأت رئاسة الأزهر الجليلة ما آتته هذه الصحف المحررة باللسان الانكليزي من الفائدة العظيمة في إيقاظ طوائف كثيرة لحقائق الدين وواجباته، شرعت تفكر في إصدار مجلة إسلامية مستقلة تحرر باللسان الانكليزي، والصحف التي كانت قد خصصت في مجلة نور الاسلام للسان الانكليزي تضاف الى ما يحرر باللغة العربية.

وكان لما تكتبه المجلة أثر حسن في مصر وغيرها من الأقطار المجاورة أو النائية. ويشهد بظلم هذا الأثر، كثرة الرسائل التي ترد في الثناء على خطتها، ونماء عدد المتبليين على قراءتها واقتنائها. ومما أكد ثقتنا بنجاح سعيها، وزاد أقدام محرريها نشاطا على نشاطها، هذه الصلات التي انعقدت بينها وبين جماعات من المسلمين في أقطار شاسعة. ومن فوائد هذه الصلات أن تنتشر الثقافة الاسلامية الوضاعة في العالم الاسلامي، تلك الثقافة التي مطلعها الكتاب والسنة وسيرة السلف، وهي التي ترافق العقول ما سارت في طريق العلم والإصلاح، وتحميها من موبقة تحريف نصوص الشارع عن مواضعها، لتوافق أهواء غالبية، أو آراء لم تقم على صحتها أدلة بينة.

ولا نزال نذكر أن لحضرات مراسلي المجلة وقراءها فضلا في نجاحها وانتظامها، واتساع مدى دعوتها، فمقابل مؤازرتهم ونبل همهمهم يجزبل الشكر، ونرجو من الله تعالى نعمة التوفيق والتأييد.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفنيد مذهب القاديانية

كتبنا في الجزء السابع من المجلد الثالث من « نور الاسلام » مقالا في نشأة النحلة القاديانية ، وأوردنا فيه شيئا من نزعات هذه النحلة الفاسدة ، وأرينا القراء أنها نحلة مارقة من الدين ، عاملة على تقويض أركانها تحت ستار اسم الدعوة إليه . كتبنا ذلك المقال انفتح أعين جماعات المسلمين على جانب مما يبثه غلام أحمد وأتباعه من شر ، حتى لا يغتر أحد بما يزخرفونه من قول ، أو بما يخلقونه على أنفسهم من القلب زائفة . وقد عنت بنشر هذا المقال صحف متعددة ، وكان له — بتوفيق الله تعالى — أثر في إيقاظ من كانوا عن هذه النحلة في غفلة ، حتى تبرأ منها فريق كانوا يحسبونها على شيء من الرشد ، وينذوها بنسب النواة . أما من جعل الله صدورهم ضيقة حرجة ، فقد استغاثوا داعيتهم بفلسطين لعلمهم يجدون عنده من قوة الجدل ما يزود عن ترهاتهم ، ويسترفضاتهم ، فكتب مقالاشغل به صفحات كثيرة من أوراق يصدرونها لترويج مزاعمهم في البلاد العربية ، ولم يزد في هذا المقال على أن اعترف ببعض ما عزوناه الى نحلته من زيغ وإلحاد ، وذهب ببعضه مذهب التأويل المنبوذ على البداهة ، وقابل بعضه بالإنكار ، على الرغم من أنه وارد في كتب كبيرهم الذي علمهم اشتراء الدنيا بالآخرة ، أو في كتب بعض زعمائهم الذين يرونهم بمقربة من النبوة . وخيلت له نفسه أنه يعرف من بلاغة اللسان العربي ما يقوى به على الخوض في تفسير القرآن الكريم وشرح

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخبط في مباحث لا يدري كيف يردها ولا كيف يصدر عنها .

وهأنح أولاء نرفع الستار عن جانب آخر من تزوير غلام أحمد ، ونأني الى مقال داعيتهم ، فنعرض على حضرات القراء قِطْعاً من زوره وقلة درايته ، ليزدادوا علماً بأن القاديانية نخلة مافقة من مزاعم لا تتصل بعقول هياها الله تعالى للهداية ، ولا تروج في نفوس أخذت من التعليم أو التهذيب ما فيه كفاية .

أبتدأ داعية القاديانية بمقدمة ساق فيها آيات نزلت في حق أنبياء الله الأكرمين ومن يحدد نبوتهم من المبطلين ، محاولاً تطليقها على حال غلام أحمد ومن يحدّرون الناس من ضلاله المبين ، ولا نعبأ بهذا التمثيل الفاسد ، فإن ما كتبناه في نشأة نحاتهم ، وما ضربناه من الأمثال على بهتان رئيسهم ، برّد تلك المقدمة على عتبها خاسئة ، ويحقق للقراء أن موقفنا في وجه غلام أحمد وأتباعه إنما هو موقف حزب الله في وجه مسيامة وسجاح وأمثالهما ممن يفترون على الله الكذب ، ويدعون أنه يوحى إليهم ، ولم يوح إليهم بشيء .

### غيبه مدعى النبوة كذبا :

قلنا في مقالنا السابق : إن مدعى النبوة قد يذهب فينقطع أثره ، وقد يبقى لدعوته بين طائفة من الجماهير أثر ، فاندفع داعية القاديانية يمدّ هذا الخالفاً للنصوص القرآنية ويزعم أن كل من يدعى النبوة لا يمهله الله تعالى سنين دون أن يبيده ، ولا تروج دعوته ولو عند طائفة لا يكادون يفقهون حديثاً ، وأخذ يسرد آيات من القرآن يضعها في غير مواضعها ، ويضيف إليها من المعاني ما لا يصح أن يستنبط منها ، فأورد قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفَاحُونَ ) وقوله تعالى : ( فَتَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ) وقوله تعالى :

(قُلْ إِنْ أُفْتَرِيْتُهُ فَعَلَيْ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيٍّ مِمَّا تَجْرِمُونَ) وقوله تعالى: (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) وقوله تعالى: (لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أُفْتَرِيَ) وقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ).

أورد داعية القاديانية هذه الآيات ، وبني عليها أن غلام أحمد ادعى النبوة وبقى نحو ثلاثين سنة ، ولم يأخذ الله منه باليمين ، ولم يقطع منه الوتين ، وأفلح في دعوته ، فدعواه الوحي والنبوة إذن صادقة .

والواقع أن هذا الداعية لا يفهم لا آيات الله معنى ، ولا يعرف لسنن الله في الخليفة حكمة . يدلنا القرآن والمشاهدة على أن الله تعالى قد عمل لبعض المبطلين فيمد لهم في أعمارهم ، أو يكثر أموالهم وأولادهم ، أو يجعل لهم من صنف الجاهلين شيعة ، ثم يأخذهم بعد هذا أخذ عزيز مقتدر، قال الله تعالى: ( فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا أُخْذٍ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ) وقال تعالى: ( وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ) .

ومما يدل على أن بعض المضلين قد يجد في الناس من يتبعون خطواته ، وبهيمون في واد من ضلالاته ، فتحق عليهم كلمة العذاب التي حتمت على من قبلهم ، قوله تعالى: ( وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ) وقوله تعالى: ( إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ) فبقاء بعض المضلين أمدا يعيشون فيه مفسدين ، يأخذون فيه بأعنة بعض الغافلين أو المغفانين ، لا ينقض سنة من السنن

الكونية ، ولا يخالف نصا من النصوص الشرعية ، وقد وافق داعية القاديانية على أن مدعى الإلهية قد ينتشر مذهبه في طائفة من الناس ، ويترك من بعده أتباعا ، وجعل طائفة البهائية من هذا القبيل ، ويحصر سرعة الإهلاك وعدم انتشار الدعوة فيمن يدعى الوحي والنبوة ، وقال في الفرق بين مدعى النبوة ومدعى الإلهية : إن نشر دعوة مدعى النبوة آية من آيات الله ، ولا يعطى مفتر هذه الآية لئلا يلتبس أمر النبي بالمتنبي ، أما مدعى الإلهية فانه يدعى أمرا مستحيلا ، فليس هناك موضع للتباس .

وكلامه هذا يقتضى أن الله تعالى يهلك المفترى إذا كانت دعواه محتملة للصدق ، لئلا يلتبس على الناس أمره ، أما إذا قامت الأدلة الكافية على بطلان دعواه ، فانه يجوز إهماله وانتشار دعواه في طائفة من الناس .

وإذا كان داعية القاديانية يعترف بأن المضلل الذى تقوم الأدلة على افتراءه قد تأخر عقوبته إذ لا يلتبس المبطل بالحق ، قلنا له : إن الأدلة القائمة على انقطاع النبوة بعبد محمد صلى الله عليه وسلم قاطعة ، فتمد تظافر على ذلك الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، فيجوز أن يكون تأخير إهلاك غلام أحمد ، وترك أباطيله تنتشر بين طائفة من الناس ، من ناحية أن الأدلة القائمة على بطلان دعواه الوحي والنبوة قاطعة ، وليس بينها وبين إزهاق روح تلك النحلة المارقة إلا أن يتناولها أهل العلم بالبيان ، ويطاردوا بها دعاة القاديانية في كل زمان ومكان .

فإن قال داعية القاديانية : لو كانت الأدلة على انقطاع النبوة قاطعة لم يخالف فيها غلام أحمد ومن انحدروا في ضلالتة ، قلنا : إنكم سلمتم أن الأدلة القائمة على افتراء رئيس البهائية قاطعة ، وقد عى طائفة البهائية عن هذه الأدلة ، وليسوا بأوفر في الغباوة منكم نصيبا ، ولا أخط منكم في الجهالة دركا ، ولا أشد منكم في اشتراء الدنيا بالدين تهالكا .

فدعوى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم معلومة البطلان من الدين بالضرورة ، فمن ادعاها لا يشتبه حاله بحال الحق البتة ، فمن الجائر إذن أن يهله الله تعالى كما يهمل مدعى الإلهية ، ثم يسحته بعذاب في الدنيا أو الآخرة .

ولنعند الى بيان تخطئه في الآيات التي ساقها على أن مدعى النبوة يعجل الله بعقوبته ، ويمنع من انتشار دعوته فنقول :

أما قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ) وقوله تعالى : ( مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ) فإنما يدلان على أن المفتري على الله تعالى لا يفلح ، وليس معنى عدم الفلاح بمقصود على إهلاكه بسرعة ، وخيبة دعوته بحيث لا تجد سامعا ولو من الطبقة التي هي أقرب الى الحيوان الأعجم منها الى الانسان ، بل يكفي في تحقق عدم الفلاح فوز أنصار الحق عليه في الدنيا ، والتحاقه بزمرة الأشقياء في الآخرة .

ثم إن عدم الفلاح قد جعل في الآية الثانية مما يترتب على التكبذب بآيات الله ، أفبيلغ الخلط في الحديث بهذا الداعية أن يدعى أن كل من يكذب بآيات الله يعجل الله بإهلاكه في الدنيا .

وأما قوله تعالى : ( وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ) وقوله تعالى : ( لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِذَٰلِكَ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) فإن هاتين الآيتين لا تدلان على أكثر من أن الذى يكذب على الله تعالى يصيبه جزاء كذبه في الدنيا أو في الآخرة ، ويجازى مع ذلك بالخيبة والحُرمان من بلوغ المقصود والظهور على حماة الحق . وقد أجرى الله تعالى على اسان غلام أحمد ما دل على سخافة عقله ، وفساد سريره ، وألقى به في خُذلانٍ حال بينه وبين الفلاح في الدنيا ، وما بعد الموت أشد وأبقى .

على أن الآية الثانية لم تقع خطاباً لنبي ، وإنما هي من قول موسى عليه السلام خطاباً لقوم فرعون ، وليس فيها ما يدل على أن الله تعالى يسرع بإهلاك مدعى النبوة كذباً ، ويعرف عنه حتى القلوب التي تقضى فيها الشياطين ليلاً ونهارها ، وغاية ما تدل عليه أن المفتري على الله يخيب في دعوته ، ويصيبه جزاء فريته . وإن دعوة لا تروج إلا عند نفر لا يفرقون أو لا يريدون أن يفرقوا بين الليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، لدعوة خاسرة .

وأما قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) فليس المراد منه تقرير أن الله يعجل بإهلاك كل من يدعى النبوة كذباً ويقطعه عن الحياة لأول ما يدعى النبوة ، حتى إذا ادعى أحد السخفاء النبوة ، وعبث بمقول طائفة من البله ، أو اشترى نفوس طائفة من البؤساء ، وعاش نحو ثلاثين سنة ، قلنا : هذا صادق في دعوى النبوة ؛ وإنما نزلت هذه الآية في حق محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد حلفه الله تعالى بدلائل الصدق من كل جانب ، بحيث لا يجد ذو النظر السليمة أو العقل الراجح إلى تكذيبه فيما يخبر به عن الله تعالى منفذاً ، فلو كان هذا الذي استقامت سيرته ، وبهرت حكمته ، وثبتت معجزته ، قد تقوّل على الله تعالى بعض الأقاويل ، لكان الضرر من تقوّل على الله تعالى عظيماً ، إذ ليس في أيدي الناس ما من شأنه أن يدل على أن ما بلغه متقوّل على الله ، فكان من مقتضى الحكمة أن يأخذ الله منه باليمين ، ثم ليقطع منه الوتين ؛ أما من تقوم الأدلة الجلية على أنه كاذب ، كغلام أحمد ، فقد يئى له الله تعالى لحكم ، منها إظهار فضل العلماء الذين يجاهدون في إنقاذ الغافلين من مهالك دعوته الخاسرة .

هذا وقد ذكر الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) أن المعنى : منعناه عن ذلك (أي التقول) إما بإقامة الحجة بأن كنا نقيض له من يعارضه

في القول ، فيظهر للناس كذبه فيه ، فيكون ذلك إبطالا لدعواه وهما لكلامه ، وإما بأن نسب منه القوة على التكلم بذلك القول .

ونحن نعلم أن الله تعالى قد نصب الأدلة على كذب غلام أحمد ، وقبض له بعد ذلك طائفة من العلماء ، فدفعوا باطله بالحجة ، ونادوا في الناس بأنه مزمار من مزامير الشيطان ، حتى ازداد كذبه وضوحا ، ودعوته خيبة ، وسريرته افتضاها .

وقد أجرى الله على لسان غلام أحمد آيات تدل على أن ما يدعيه زور وبهتان ؛ ومن هذه الآيات أنه كان قد رغب في الزواج بفتاة من بنات بعض أقاربه ، وسبق إلى ظنه أن والدها لا يحجم عن تزويجه إياها ، فزعم أن اقترانه بها قد تقرر بطريق الوحي ، ولكن أهل الفتاة امتنعوا من تزويجه إياها ، وعزموا أن يزوجوها برجل غيره ، فلما بلغه هذا العزم ، زعم أنه أوحى إليه مرة أخرى أن من يتزوجها غيره يموت في مدة لا تتجاوز ثلاث سنين ، ثم تصير الفتاة زواله ، ولكن أهل الفتاة موقنون بأن غلام أحمد غير صادق فيما يزعم ، فزوجوا ابنتهم من رجل مسلم يدعى « ميرزا محمد سلطان » ودامت العشرة بين الزوجين ، واستمررا في حياة ، وقد مات القادياني في ٢٦ من مايو سنة ١٩٠٨ وبقي محمد سلطان يعيش مع زوجه عيشة راضية إلى ما بعد سنة ١٩٢٠ .

ووقع غلام أحمد في بهتان آخر ، إذ زعم في تأليفه المسمى « إعجاز أحمد » أن من علامات صدقه سير القطار بين الحرمين الشريفين « فقال : شهدت السماء والأرض على صدقي ولكن أكثر الناس لم يقبلوني ، أنا الذي عطلت الإبل ، وصدق الخبير الغيبي » وإذا العشار عطلت » في وقته ، وأيضا صدق الحديث ( ليركن القلاص فلا يشي عليها أحد ) حتى إن منشئ جرائد العرب والعجم كتبوا في جرائدهم أن القطار الذي يجري بين مكة والمدينة من علامات المسيح الموعود .

يقول هذا وهو لم يدخل الحرمين الشريفين ولو لأداء فريضة الحج ، والإبل لم تعطل في وقته ، والقطار لم يسر بين مكة والمدينة في وقته ، بل إلى هذا اليوم .

### انقطاع النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لنا أن نكتفي بسوق الشواهد على أن غلام أحمد بعيد من النبوة والصالح بعد الثرى من التريا . ولنا أن نكتفي من هذه الشواهد ببعض أقوال صدرت منه ، فجاءت تضرب لسخافة الراى وظلمة القلب أوضح مثال . ولسنا بعد هذا فى حاجة الى محاوره أتباعه فى أن النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم منقطعة أم باقية ، إذ على فرض بقائها لا يتصور ذو عقل أن يكون من مظاهرها رجل يقول ما لم يقع ، وما لا يقع . وكيف يحوز النبوة من لا يتعفف عن الكذب على المخلوقين ؟ !

وإذا خرجنا فى مجادلة القاديانية عن حديث نبوة رئيسهم المزيفة الى بحث انقطاع النبوة من أصلها ، فلأن هذه الطائفة لا تفتأ تشغل أسناتها بدعوى أن النبوة لم تنقطع ، فحق علينا تذكير المسلمين بأن دعواهم هذه لا تلتقى مع حقيقة الدين الحنيف فى نفس واحدة .

أوردنا فى المقال السابق نبذة من أدلة انقطاع النبوة بعد الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، ومن هذه الأدلة قوله تعالى : (وَلَا يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) وقلنا : إن الخاتم بمعنى الآخر ؛ وهذا هو المعنى الذى يذكره علماء اللغة والتفسير لهذه الكلمة ، فى لسان العرب : وختم القوم وخاتمهم وخاتمهم : آخرهم ، والخاتم والخاتم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى التنزيل العزيز : ( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَا يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ) أى آخرهم . وأما التفسير فلم نر مفسرا يذكر فى بيان «خاتم النبیین» معنى غير معنى الآخر ، ووردت الأحاديث مؤيدة لهذا المعنى ، وسقنا منها فى ذلك المقال جملة ، وهى لا تقصر عن درجة المتواتر .

ومن الأحاديث الصريحة فى هذا المعنى ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : ( إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي )



فشقّ ذلك على الناس، فقال: (ولكن المبشرات) قالوا يا رسول الله: وما المبشرات؟ قال: (رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة<sup>(١)</sup>) .

ومنها حديث عبد الله بن عمر وهو: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالودع، فقال: (أنا محمد النبي الأمي - ثلاثاً - ولا نبي بعدى<sup>(٢)</sup>) ومنها حديث أبي هريرة: (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبوة<sup>(٣)</sup>) إلى غير هذا من الأحاديث الصريحة الصحيحة المختلفة الأسانيد .

وبعد هذه الأحاديث إجماع الأمة على أن من ادعى النبوة بعد رسول الله فهو من الضالين المضلين، قال الامام ابن كثير في تفسيره: «قد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفكّ دجال ضال مضل» وذكر بعض من ادعوا النبوة كالأسود العنسي ومسيمة ثم قال: «فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخاف الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها» وقال الامام ابن عطية في تفسير آية (وخاتم النبيين): هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفاً وسلفاً متلقة على العموم التام، مقتضية نصاً أن لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم . وقال ابن حزم: «فكيف يستجيز مسلم أن يُثبت بعده عليه السلام نبياً في الأرض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان» وقال أبو حيان في تفسيره (البحر): ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع، أو إلى أن الولي أفضل من النبي، فهو زنديق» .

### دفع شبهة يقتضيت بها القاديانية :

أورد داعية القاديانية آيات من القرآن الكريم زاعما أنها تدل على عدم انقطاع النبوة ، منها ثلاث آيات وردت في إرسال الله الرسل واصطفائه لهم ، وجاء التعبير فيها بصيغة المضارع ، وهي قوله تعالى : ( اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ) وقوله تعالى : ( وَلَئِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ) وقوله تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ) فقال في الآية الأولى : إنها تقتضى استمرار الاصطفاء دائما ، وقال في الآية الثانية : إنها تدل على أن الله دائما يجتبي من رسله من يشاء ، وقال في الآية الثالثة : إنها صريحة في بيانها .

كنا قد تعرضنا في المقال السابق لهذا الوجه من تبويهمهم ، وقصرنا البحث على آية ( اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ) فقلنا : أما المضارع في قوله : ( اللَّهُ يُصْطَفِي ) فمحمول على الماضي ، واختيار صيغة المضارع للدلالة على أن اصطفاء الله للرسل كان يتجدد حيناً فحيناً ، فكتب داعية القاديانية منكر استعمال المضارع في الاستمرار للماضي فقط ، وهذا إنكار منه اعنى قرره فحول علماء البلاغة ، كصاحب المفتاح ، والسيد الجرجاني ، والسعد التفتازاني ، ولم ينازعهم فيه أحد ممن ينظر في العلم بشيء من العقل .

فالحق أن المضارع يستعمل للدلالة على تجدد الفعل في الماضي ، ولا سيما الفعل المتصل بزمان الخطاب كاصطفاء الرسل وإتيانهم ، فإن هذه الآيات قد نزلت والوحي الذي تتحقق به الرسالة لم يزل جارياً ، والأحكام التي تنظم بها الشريعة ويكمل بها الدين ما زالت تنزل على حسب ما تقتضيه الحكمة ، وليس استعمال المضارع للدلالة على التجدد في الماضي مختصاً بمجال اقترانه بلفظ « كان » بل المدار على وجود قرينة توى

الى أنه مستعمل في هذا المعنى ، ولا فرق بين أن تكون القرينة لفظية أو معنوية ، متصلة باللفظ أو منفصلة عنه ؛ وقد صرح طائفة من أئمة البلاغة بأن المضارع يستعمل في الماضي لقصد الدلالة على استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا . ومن الشواهد التي ساقوها على هذا قوله تعالى : ( وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ) فقالوا : إن المضارع يدنى قوله ( يطيعكم ) مستعمل في الماضي للدلالة على استمرار الإطاعة فيما مضى وقتا فوقتا ، وكلمة « لو » أفادت انتفاء هذا الاستمرار التجدي الذي دل عليه المضارع .

فالبانيون قرروا استعمال المضارع للدلالة على تجدد الفعل في الماضي ولم يقصروه على موضع ، بل جعلوا مدار صحته قيام القرينة ؛ ولا نطيل في الاستدلال على أن المضارع يستعمل لإفادة التجديد في الماضي ، إذ يكفي فيه إجماعهم على أن المضارع يستعمل للفعل الماضي خاصة ، ومن ذا يستطيع أن ينكر أن المضارع في قوله تعالى : ( إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ) وقوله تعالى : ( إِنِّي أَرَانِي أَعْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا ) وقوله تعالى : ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ) مستعمل في فعل مضى لوجه من البلاغة ، وما على المعبّر بالمضارع عن الفعل الماضي سوى أن يقيم الدليل على ما يريد من الصيغة . وقد قلنا في المقال السابق : إن الأدلة التي تدعونا الى حمل الاصطفاء في قوله تعالى : ( اللَّهُ يَصْطَفِي ) على ما كان يتجدد في الماضي قوله تعالى : ( وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ) والأحاديث الصريحة في أن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

واعترض داعية القاديانية جعل آية « وخاتم النبيين » مبينة لقوله تعالى : ( اللَّهُ يَصْطَفِي ) فقال : كلا يعرف أن قرينة الكلام ما يصاحبه ويدل على المراد به ، وأن آية ( اللَّهُ يَصْطَفِي ) مكية ، وآية ( وخاتم النبيين ) مدنية .

وجواب هذا أن تأخير آية (وخاتم النبيين) لا يمنع من أن تعدّ بيانا للمراد من قوله تعالى : (الله يصطفى) أما على مذهب (١) من يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب فالأمر واضح ، إذ مقتضاه أن يدل المضارع حال الخطاب على أن اصطفاء الرسل شأن من شئون الخالق جل وعلا ، فيسقط به اعتقاد من ينكر بعثة الرسل أو ينكر أن يكون في البشر رسول ، ويثبت أن الله تعالى قد بعث رسلا من البشر ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حين ادعى الرسالة لم يدع أمرا يخالف حكمة الخالق ، ويبقى صرف اصطفاء الرسل عن المستقبل الى أن تظهر الحاجة الى تعليم الناس أن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما على مذهب من يمنع تأخير البيان عن الخطاب ، فنعمتد أن يكون لدى من تلقوا آية (الله يصطفى) عند نزولها دليل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرّفها عن المستقبل ، وجاءت آية (وخاتم النبيين) مؤيدة للحديث ، وورود الآية بعد الحديث لا يمنع من عدها في جملة ما يبين الآية الأولى ، وما زال كبار الأئمة يسمون المتأخر بيانا لما سبقه بمدة ، كما جعلوا إعطاء سلب القتل للقاتل في الحرب مخصصا لقوله تعالى : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) وهذه الآية نزات في غزوة بدر ، والحديث ورد بعد هذه الغزوة بزمن غير قليل .

وقال داعية القاديانية يحاول رد ما ذكرنا من أن المضارع في آية (الله يصطفى) مصروف عن المستقبل : « إن الآية تبين اصطفاء الله رسلا من الجنسين : الملائكة والناس ، فإن كان يصطفى بمعنى اصطفي ، ويلزم منه أن لا يصطفى الله رسلا بعد نزول هذه الآية من الناس ، للزم أن لا يصطفى الله رسلا من الملائكة أيضا ، وإذا كان هذا صحيحا ، فهل للمشايخ أن يقولوا لنا من أنزل آية (الله يصطفى) الخ وغيرها من السور التي نزات بعدها على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أجبريل أم لا ؟ » !

أليس في هذا الهديان شاهد على أنا مخاطب من لا يفقه للسلام العربي معنى ، ولا يعرف للمنطق وجها ؟ ! فنحن إذا فهمنا الاصطفاء في الآية على ما كان يقع فيما مضى فللأدلة القائمة على أن الله لا يبعث بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من البشر ، ولم نقل : إن الآية دليل على أن الله لا يبعث رسولا ، حتى يقال : إننا نفينا إرسال الله للملائكة في أمر يدبره ، وغاية الأمر أن إرسال الملائكة بعد هذا الخطاب يبقى مسكوتا عنه فيرجع في إثباته أو نفيه إلى الأدلة ، ولكن داعية القاديانية لا يفرق بين قولك : إن الآية لا تدل على بقاء الرسالة في البشر ، وهو موضع حديثنا ، وبين قولك : إن الآية تدل على انقطاع إرسال الله رسلا من الملائكة أو البشر ، وهذا ما لم نقله ، فداعية القاديانية اشتبه عليه إبطال استدلالهم بالآية على أن الله يصطفى رسلا بعد بعثة أفضل الخليقة ، بالاستدلال بها على نفي اصطفاء رسل من البشر أو الملائكة ، وايس هذا الاشتباه على أمثاله بغريب .

محمد الخضر مسين

## النظر في الملح

قال حكيم :

وجاهل يدعى في العلم فلسفة      قد راح يكفر بالرحمن تلميذا  
وقال أعرف معقولا فقلت له      عنيت نفسك معقولا ومعقودا  
فقال إن كلامي لست تفهمه      فقلت لست سليمان بن داودا

# التفسير

## سورة النور

١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة وميزة في جمال نصوص الآيات القرآنية الكريمة :

أما وقد وصلنا من تفسير السورة الكريمة الى ما وصلنا اليه في أجزاء السنة الماضية فإنه يجمل بنا أن ننظر نظرة إجمالية في مجموع الآيات الكريمة التي مررنا بها، لنستجلي محاسنها جملة، ونتمتع النظر بمشاهدة أزاهيرها اللامعة، ونتذوق ما فيها من أطيب الثمار ونهيج الروح بطيب رياحينها العطرة. وفي النظر الى المحاسن جملة معنى يزيد على النظر الى كل منها على حدة.

ولعلنا بذلك نكتب أولئك الزعانف الذين ملسهم الغرور حتى غشى بصائرهم، وبهرم النور حتى عشى أبصارهم، فلم يفقهوا سر الجمال في ترتيب القرآن، فلفظت أفواههم كلمات لا تصدر إلا عن غباء وعمه، فكما قال الأولون منهم: «لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة» قال هؤلاء الآخرون: «لولا جعل كل نوع مما أنزل في القرآن جملة، فيكون القصص كله جملة واحدة، والأحكام كل نوع منها جملة، وما يتعلق بالالهيات أو بالنبوات مثلاً جملة، وكذلك الأمثال والعظات وسائر ما في القرآن». يزعمون بذلك

أنه أيسر لهم في الوصول الى ما يريدون والكشف عما يبتغون ؛ كأنهم نظروا الى القرآن الكريم نظرهم الى القواميس والمعاجم ، أو الى كتب التاريخ التي يقصد بها الى بيان الوقائع على ترتيب الأزمنة أو تفصيل الأمم ، أو الى كتب الفقه أو القانون ، أو مما مائل ذلك مما تتعدد فيه الكتب تبعاً لتفصيل الموضوعات . وما دروا أنه الكتاب الواحد الذي جمع الله فيه للبشر كل ما يقوم بتربيتهم في دنياهم وفي دينهم : لم يفرط فيه من شيء ، ولا أدخل بحسن الترتيب الذي يجب أن يراعى في تربية النفوس ، وتغذية العقول ، ومراعاة ما تستعد الأرواح لارتشافه وتذوقه والانتفاع به ، سواء أكان ذلك في خاصة نفسها ، أم في توجيهها الى بارئها ، أم في تنظيم العلاقات بينها وبين من يتصل بها من طبقات الناس القريبين منها والبعيد من عنها ، أو ما يلبسها ويحيط بها من سائر أجزاء العالم وقواه ، فتنفع بكل ذلك على الوجه الأكل الأنسب بحياتها الفانية والباقية . كل ذلك يتم في أنسب الوجوه باستعدادها للتغذية العقلية والهداية الإلهية ، والتربية الربانية ، فيكمل بذلك معنى الربوبية التي امتن الله بها على عباده في فاتحة الكتاب المبين ، في قوله جل شأنه : ( اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) . فكل العقلاء مطبقون على أن التربية الصحيحة يجب أن يساق بعضها بعضاً : فحينما يتعهد المربي من يريه بالتغذية يجب أن يتبعها بالتنظيف مثلاً ، ويقرن ذلك بترويض أعضائه ، موجه انتباهه الى ما يحل به إدراكه ، موقظاً له الى محاذرة ما يخشى ؛ وهكذا دواليك ، فلا يهمل شأننا من شؤونه قد استعد لقبوله متغلاً في شأن آخر قد أخذ منه حظه وكفائته .

هكذا ترى الترتيب العجيب والأسلوب الرائع ، والتنقل في القرآن الكريم من نور الى نور ومن ثمرة الى ثمرة .

فلقد بدأت السورة الكريمة التي نحن بصدد تفسيرها بتوجيه نظر المؤمنين اليها جملة ، والتنويه بعظمتها ، حتى تتفتح أذهانهم الى ما سيتلى عليهم ، فقال : ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا

وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). فلما أن تفتحت عيونهم لما سئلتهم عليهم، لفهم بالتنبيه الى ذلك المرض الخبيث الذي ابتلى به المجتمع في الكثير من أدواره، وتوافرت دواعيه من كل ناحية، كما تراكت خبائثه وتفاقم شرده وعظم فحشه، وما من أحد من العقلاء إلا وهو يكره أن يالحقه، ويخشى أن يصيبه، ويجزع إن وصم به؛ وهو على كبر فحشه أسرع الفواحش في انحدار النفوس إليه، إذ تقع فيه وهي مسترسلة في نعيمها، لاهية في استمتاعها، متلذذة باستيفاء ما تصبو إليه بطبيعتها؛ فكان جذباً بالتنبيه إليه أولاً، إذ كان أشد الأمراض فحشا وأوسعها انتشارا، فيبين من أحكامه ما يبين، وأردف ذلك بتوجيه نظرهم ولفت عقولهم الى فضل الله عليهم ورحمته بهم، وأنه واسع الرحمة والفضل والعلم، فيجب أن يأخذوا ما فرضه عليهم أخذ قبول وانتفاع، معترفين بالفضل شاكرين للنعم.

ثم أتى بعد ذلك بقصة تقوم برهاناً على عظيم النفرة، حتى من الظنة الكاذبة والتهمة الباطلة، وما يترتب عليها من عظيم الخطر، وما ينجم عنها من كبير الفتن، فذكر تلك الفتنة التي ابتلى بها بعض ضعفاء الايمان، فجرت الى ما جرت، حتى كشف الله الفتناع عن خبيث نية من أثاروها، وفضح شأنهم وأخزاهم، ولكن بعد أن تحركت نفوس، وزاغت عيون واعتلت قلوب. كل ذلك والأمر وهم خطر في بال منافق فأسرده الى ضعفاء الايمان، فجعل بينهم الشيطان، حتى كان من فتنهم ما كان، فكيف ترون في خطر هذه الفاحشة التي ساءت سييلا.

ولقد ضمنت القصة من التعليم والإرشاد الى ما ينبغي من الأخلاق في مثل هذه الظروف الحرجة ما لو لم تسق هذه القصة لما ظهر لنا وجه مناسبة إيرادها على هذا الوجه المقبول. وهل هناك أدعى للعة من الكلمة تجيء بتناسبتها وفي شرح حال واقعة؟



وإنك إذا تأملت ما يسلكه أهل هذا العصر ويتورطون فيه من اختلاق الحوادث الخيالية والروايات التمثيلية ، لما رأيت لهم وجها في تبرير أكاذيبهم سوى قولهم : إنا نرى العظة من لسان الحال أكبر منها بلسان المقال ، فكيف بالوقائع الحاصلة وأثرها في النفس هذا الأثر الكبير ؟ لا شك أنها تكون أعمق أثراً ، وأثبت فعلاً ، وأدعى الى الامتثال والقبول والانتفاع .

بذلك ترى الحكمة في إدماج الأحكام ، والإرشاد والتربية في سوق القصة ، وأنه لا يفيد مجرد سرد الحكم أو العظة بدون أن تستند الى ما يدعو الى امتثالها ويشرح سر جمالها .

أنظر الى قوله : (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) ، وقوله : (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ، وقوله : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ؛ ثم قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ، تجد لهذه الأحكام والعظات في هذا السياق ما ليس لها إذا سردت سرداً وقيلت قولاً .

ثم تأمل فيما فصّلت به من التنويه بعظم فضل الله عليهم ومنته في إرشادهم ، تجد لذلك في النفوس أبلغ الأثر . وانتقل مثلاً الى قوله : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى) الآية ، فكلم تجد فيها من تجلّي الفضيلة والخلق الكريم في أشد أوقات ثوران النفس وغضبها ؛ وكلم ترى فيها من تربية ضبط النفس وحبسها على ما يرضاه الله ، واطراح نزواتها ونزغات الشيطان انتهازاً لمثل تلك الفرص ، هل

في الإمكان أن يهد لمثل تلك التلميحات إلا بمثل تلك القصة؟ وهل كنت تحس للحكم يلقى اليك مجرد أمر أو نهى مثل ما تحسه وقد وقع في محله وجاء لمناسبته؟

وبعد: فانظر الى مناسبة ما تلا هذه القصة من أحكام الاستئذان في دخول البيوت، والاستئناس لذلك والتسليم، حتى لا يفاجأ الناس بما لا يحبون، فتتربى في نفوسهم كراهيتهم بعضهم لبعض، وحتى لا ينفتح أمام الشيطان باب الفتن، فيغري بعضهم بالكلام في بعض، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء. أفلا ترى أن هذا هو محله الذي لا يعدوه، وأنه ترتيب من لا يعزب عن علمه شيء؟

وكيف بك إذا انتقلت الى الآيات الآمرة بغض الأبصار مقترنة بنتيجته وثمرته المقصودة بالذات، وهي حفظ الفروج؛ وبذيل ذلك بتسكيل الحكم بما يحوطه ويعتبر سياج له، وهو النهى عن إبداء الزينة المنعوية التي تلفت الأنظار وتثير الشهوات وتخلق الشبهات، مع دفع الحرج فيما لا ضرر فيه ولا حرج منه، وهم البعولة والآباء والأبناء والنساء ومن في حكمهن؛ ويختم ذلك بالأمر بالتوبة الى الله مستحثا منهم إيمانهم الداعي الى المسارعة للتوبة، وواعدا عليها بالفلاح المرجو.

إذا وصل التالى الى هنا تطلع بلا شك الى حكم عام وعلاج ناجع شامل يريح النفوس من عناء المخاطرة، وتطمئن عنده العوامل المنحركة؛ ذلك هو الأمر بالتزويج والترغيب فيه، وتسهيل سبله، وعدم الخشية من كلفه ومؤنه؛ وهذا هو ما ذكره جل شأنه في قوله: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ثم يردفه بما يبعد عنه توهم أن ذلك قاعدة عامة محتومة، فيقيد ذلك بمن يكون عنده وجد مآ؛ فن لم يجد بابا مفتوحا لذلك أصلا فليستعنف حتى يغنيه الله من فضله.

وإذ تعرض في أمر الإنكاح الى إنكاح الصالحين من العباد والإماء ، فانه لم يترك هذا الحال يمر بدون أن يوفى الصلاح في الأرقاء ما يستحقه ويليق به ، فعطف عليه بفتح باب الترغيب في إطلاق الحرية وإزالة الرق بما يسهل عليهم ولا ينبغي أن يشعوا فيه ، وذلك هو كتابة الرقيق على مال متى ظن فيه الخير ورجا منه الأداء ، ثم زاد في هذا الترغيب بالأمر بمساعدتهم ، وإيتائهم من مال الله .

وما أحسن التعبير عنه في هذا المقام بمال الله ، حثاً على أن يوجد به في مرضاة الله ! وقد أضاف المال إليهم حين أمرهم بمساكته والحفاظة عليه في قوله في سورة النساء : ( وَلَا تَوْنُوا لِّلْأَسْفَهَاءِ أَمْوَالَكُمُ ) فتأمل هذا التعبير العظيم .

وأما إرداف ذلك بقوله جل من قائل : ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ) فإنك تدرك الروعة في حسنه والبراءة في موقعه حين تتأمل في قبج تلك العادة السوءى التي كان عليها سفهاء من الرجال . وما أبعدهم عن وصف الرجولة ! فقد كانوا يستغلون ضعف الفتيات وامتلأ بهم لمن ، فيزجون بهن كرها الى أخش المواطن ، ابتغاء المال الذى حقه أن يكون اكتسابه من صنع الرجال ، لا أن يكونوا عالة فيه على النساء ، نعوذ بالله نعوذ بالله ! وهل هناك ما هو أخش وأذل وأحط نفسا من رجل يرضى لامرأة تتصل به أن تكون على هذه الحال ، فكيف بأمرها بذلك ، فكيف بإكراهها على ذلك وهى تريد التحصن ؟ !

قارن هذا بالأمر بإنكاح الصالحين من العباد والإماء ، ثم بالأمر بمكاتبة من يصاح منهم للخير ومساعدتهم على الوفاء ، تجمد نفسك قد بهرك من الحسن ما ملك عليك جوانبك ، وتجد أن صورة أولئك القوم قد صارت أشنع ما يتصوره متصور ، وما زاد في شناعتها لتنفر النفوس منها إلا مقابلتها للمثل الصالح المأمور به في معاملة الموالى من إنكاح ومكاتبة ومساعدة .

إذا وصلت أيها القارئ، المتدبر في هذه السورة الكريمة الى هذا، أفلا ترى حقاً صحيحاً أن يمتن الله علينا بقوله عز من قائل : ( وَاقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ) أفلا ترى أن هذا مما يلفتك الى ما سبق من الأحكام ، ويدعوك الى التأمل فيها ، والاستمساك بها ، والاعتصام بعروتها ، والشكر على منتها ، وذلك بامثال أحكامها وهو المقصود من الامتنان بها ؟

هذا البيان ، وهذا الارشاد ، وهذه الترتية ، وهذه الهداية : أى عقل من عقول البشر يستطيع أن يصل إليها ، أو يبلغ شأواً منها ، مهما تقطعت الأعناق وزاغت الأبصار ؟ ( قُلْ إِنِّي أَجْتَمَعْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِثَانِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) . إنما هو نور من الله وهدى منه وحده ، وما كان لغيره أن يكون له شيء من مثل هذا النور ، فقد تخبطت عقول البشر وحارت أوهامهم ، وضلت السبل فلم يستطيعوا أن يهتدوا ، حتى جاءهم من الله نور وكتاب مبين .

أجل أجل : الله نور السموات والأرض ، حسا ومعنى ، دينا ودنيا ، فما من أحد بقادر على أن يبرز نورا صحيحا ، وإنما هي لمعات سراب إذا جثته لم تجده شيئا ، أو كظلام فى بحر لجل على ما سيأتى . أما هذا النور فثله كأعظم ما يبهرك من النور ، تصور نور مصباح رقّ زجاجه ، وصفا زيته ، وجاد أصله وضبطت أشعته ، جاء فى وقت أحاط بك الظلام من كل ناحية ، وتلاّ هذا النور أمامك على ذلك الوجه ، كيف يكون ظهور ذلك النور .

هذا مثل النور الإلهى ، والله المثل الأعلى ، فهو نور على نور . ولكن تجلى النور شيء واهتداء النفوس به شيء آخر ، فرب نور عشى أبصاراً وعميت عنه أبصار . فالاهتداء إنما يكون بشيئة الله ، يهدى الله انوره من إ شاء ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

هذه أمثال يضربها الله لعباده ليتفهموا بها ما ينتفعون به ، فتراهم يسارعون الى أبواب رحمته ، ويلجئون الى بيوت رضوانه ، تلك البيوت التي شرفها بذكر اسمه فيها ، فيسبحونه ، ويدكرونه ، ويقصدونه ، ويعبدونه ، فيمثلون أمره ، ولا تلهيهم مصالحهم عن عبادته ، وهم في كل ذلك عارفون بقدرته عليهم ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، فكان عاقبة أمرهم أن تجاوز الله عن سيئاتهم ، وجزاهم بأحسن أعمالهم ، وزادهم فضلا عن أجرهم ، والله يرزق من يشاء بغير حساب .

هذا نور الله ، وهذا شأن من اهتدى به . أما من زاغ عنه فأولئك الذين اتبعوا أهواءهم ففترقت بهم السبل وظنوا أنهم على شيء ، ولكنهم كاذبون .

أولئك الذين ذكركم الله بعد هذا ، والضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده فقال جل من قائل : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفْعَمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) .

ابراهيم الجبالي

## الطرف والملاح

قال نابغة بنى شيبان :

إن من يركب الفواحش سرا  
حين يخلو بسرّه غير خالي  
كيف يخلو وعنده كاتباته  
شاهداه وربّه ذو المحال !

# العقيقة - سر الحتان

في الدين الاسلامي

سيدي الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى .

السلام عليكم ورحمة الله .

تلاقيت بيد الشكر ببحكم القيم الجليل في بيان الفطرة وما خلقه الله فيها ، فقد وصانا بما ينتموه في حديث الفطرة الى أن دينه الحنيف مركز في النفوس وفي الطبائع ، وأن طبيعة الطفل من ناحية علم النفس تأبى إلا أن تتقبله ، وهي معودة اليه بالطبع . ولقد تعلمون خطورة بحثي إذا عرفتم أنني أقوم به في بلاد لا أثر لدين الله فيها ، وأن همّ علمائها موجه الى إثبات منابع الأخلاق من ناحية الطبيعة . وسأكون في الطرف الثاني من التناقض لأراهم ، وبتعبير آخر : «سأكون أول من يقيم الدين في مالطه» إن سمحت لي أن أخطبك بهذا المثل العامي ، والله الموفق الممين ، اليه غايتهما ، وعليه توفيقنا .

ولقد يسرك جداً أن آراءك هنا عرفت قيمتها ، ورجح وزنها ، وكانوا معجبين بك إذ وصات الى ما لم يصلوا إليه إلا بالتجارب والبحث المادى والعلمى — وفقك الله ووفقني الى نصره الدين .

هذا وأرجوا إذا سمح لكم وقتكم إمدادى بشىء عن المسائل الآتية :

( ١ ) رأى الدين في العقيقة التي تعمل بمناسبة ولادة الطفل .

( ٢ ) رأيه في الحتان .

(٣) رأيه في حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم الذي أعدّه ربه من صغره لتلقّي وحيه الجليل . وحسبكم منى أن أكون الى جانبكم كالمقاتل الشريف في نصره دين الله . والسلام عليكم ورحمة الله .  
 ابراهيم سلامه

مفتش بالمعارف وعضو بعثتها بفرنسا

## الجواب

العقيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

أما العقيدة وهي ما يذبح سابع ولادة المولود مما يصح أن يكون ضحية ، ففيها أسرار بدیعة ومصالح كثيرة راجعة الى المصاحبة المالية والمدنية والنفسية . وقد كانوا يفعلونها في الجاهلية ، فاستبقاها النبي صلى الله عليه وسلم ، ورغب الناس فيها بعد إصلاح مقاصدهم ، مع مخالفة أهل الجاهلية في بعض المسائل كما ستعرفه .

فمن تلك المصالح -- ولعله أقلها -- التلطف بإشاعة نسب الولد ، إذ لا بد من إشاعته لئلا يقال فيه ما لا يحبه ؛ وكثيرا ما يكون لذلك داع كبير في القضايا كما هو معروف ؛ ولا يحسن أن يدور في الطرقات فينادى أنه ولده ولد ، فكانت العقيدة أفضل وسيلة لهذا الغرض . ومنها إنماء مأكلة السخاء وعصيان داعية الشح الذي أحضرته النفوس . ومنها أن النصارى كان إذا ولد لهم ولد صبغوه بماء مخصوص يسمونه المعمودية ليكون نصرا نيا حقا ؛ وفي مشاكلة ذلك نزل قوله تعالى : ( صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً) فاستحب أن يكون للمسلمين فعل بإزاء فعلهم ذلك ، يشعر بكون الولد حنيفيا نابعا لملة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وأشهر الأفعال المختصة بهما المتوارثة في ذريتهما — ما وقع له عليه السلام من همه بذبح ولده ، ثم نعمة الله عليه أن فداه بذبح عظيم . وأشهر شرائعهما الحج الذى فيه الحلق والذبح ، فيكون الذبح عن المولود تشبها بهما ، وتنويعا بملتهما ، وإعلانا بأن الولد تابع لهما وعلى دينهما ، إذ فعل ما هو من أعمال هذه الملة الحنيفية . ومنها أن هذا الفعل فى بدء ولادته يخيل اليه أنه تم ببذل ولده فى سبيل الله ثم فداه ، كما فعل ابراهيم عليه السلام ؛ وفى ذلك تحريك سلسلة الإحساس بالانقياد والخضوع . وقد حث على ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه » .

وقد كان أهل الجاهلية يقدمون تلك الذبائح لأصنامهم ، فجاء الاسلام بتقديمها لله تعالى وذكر اسمه عليها بدل الأوثان . وكانوا يكرهون كسر عظامها ، فجاء الاسلام بإباحة ذلك ، مخالفة لهم ، وإبعادا للمسلمين عن التطير والتشاؤم ، وتخليصا لهم من اتباع الأوهام والوسوس .

هذا وفى العقيقة أيضا شكر تلك النعمة التى أنعم الله بها عليهم ؛ ولذلك استحب لهم أيضا أن يتصدقوا بشيء قليل من النضة يوم السابع شكرا للنعمة . ويلتحق بما ذكرناه من التنويه بشأن الدين ، ما يفعل من الأذان فى أذن المولود ، فإن الأذان من شعائر الإسلام وأعلام الدين المحمدى . ومن المقاصد الشرعية أن يدخل ذكر الله فى تضاعيف الأعمال ، ليكون كل ذلك السنة تدعو الى الحق والى دين الله . ومن ذلك أنه يستحب أن يختار المولود بعض الأسماء التى تشعر بذلك : كمبد الرحمن ، وعبد الله ، ومحمد ، وأحمد . وقد جاء الترغيب فى ذلك : فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحبَّ أسماءكم الى الله عبد الله وعبد الرحمن » وفى مسند



أبى داود والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سمّوا بأسماء الأنبياء» الحديث. فذلك كله تنويه بالدين، وكأنه إقرار بأنه من أهله.

### الختان

الختان سنة من سنن الدين، وهو من الكلمات التى ابتلى الله بها خليله إبراهيم فآتمهن؛ وكان عليه العرب قبل الاسلام اتباعا لأبيهم إبراهيم عليه السلام. وأما حكمته ففى المبالغة فى تنظيف البدن من الأذى والأرجاس بقدر الإمكان. وللدين الاسلامى عناية كبرى بالنظافة والحلث عايتها. ومن ذلك طلبه قص الشارب، وتنظيف الإبط، وإزالة الأظفار، وإيجاد الطهارة للصلاة. ولا شك أن إزالة القلفة أضمن لذلك وأعون عليه. وفى نظافة الظاهر إشعار بالحث على نظافة الباطن، وإشارة الى أن فى النفوس أشياء من مساوىء الأخلاق تجب إزالتها والتنزه عنها، فكما تزيل شعث ظاهرك يجب أن تزيل شعث باطنك وإن كان خلقيا جبليا تعاني فى إزالته آلاما ومشاق، وتحتاج فيه الى صبر ومجاهدة، وهو موضع الابتلاء والاختبار، فإنك لم تخلق كاملا، ولكن خلقت قابلا للكمال مكلفا به مأمورا بتحصيله. وهذا هو الفرق بينك وبين الملائكة والحيوان الأعجم. وفى الختان أيضا من الفوائد ما يمكنك أن تقف عليه من حذاق الأطباء مما لا يحسن أن نفيض فيه.

هذا والختان شريعة التوراة أيضا. وأما شق صدره الشريف فسنترككم عنه

فى عدد تال، إن شاء الله

يوسف الدبوى

من هيئة كبار العلماء

# التساوي والأحكام

ورد على إدارة المجلة عدة أسئلة ، منها ما يرجع الى الاحوال الشخصية ، ومنها ما يرجع الى غيرها ، وقد كثرت هذه الأسئلة حتى ضاق نطاق المجلة عن ذكرها بنصها كالمادة وعن ذكر أسماء أصحابها . ولما كان الغرض الاجابة رأيت المجلة الاقتصار على السؤال والجواب عنه .

## الكفاءة

### السؤال الاول :

ما هي الكفاءة المعتبرة في النكاح ، وهل النسب منها ، وما دليل ذلك ؟

## الجواب

الكفاءة معتبرة في ابتداء النكاح للزومه أو لصحته من جانب الزوج . وتعتبر في النسب ، وفي الحرية ، وفي الاسلام ، وفي الديانة ، وفي الحرفة ، وفي المال .

أما اعتبارها فهو رأى عامة العلماء . وقال السرخي : ايسر بشرط أصلا ، وهو قول مالك وسفيان الثوري والحسن البصري . واحتجوا بما روى أن أبا طيبة خطب الى بني بياضة فأبوا أن يزوجه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنكحوا أبا طيبة إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » وروى أن بلالا رضى الله عنه خطب

الى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قل لهم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأمركم أن تزوجوني ». أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزويج عند عدم الكفاءة، ولو كانت معتبرة لما أمر، لأن التزويج من غير كف غير مأثور به. وقال صلى الله عليه وسلم: « ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى » وهذا نص. ولأن الكفاءة لو كانت معتبرة في الشرع لكان أولى الأبواب للاعتبار بها باب الدماء، لأنه يحتاط فيه ما لا يحتاط في سائر الأبواب، ومع هذا لم يعتبر، حتى يقتل الشريف بالوضيع، فها هنا أولى. والدليل عليه أنها لم تعتبر في جانب المرأة، فكذا في جانب الزوج.

ولنا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يزوج النساء إلا الأولياء، ولا يزوجن إلا من الأء كفاء ولا مهر أقل من عشرة دراهم. ولأن مصالح النكاح تختل عند عدم الكفاءة، والمرأة تستنكف عن زواج غير الكف، وتعتبر بذلك فتختل المصالح، ولأن الزوجين يجرى بينهما مباسطات في النكاح لا يبقى النكاح بدون تحابها عادة، والتحمل من غير الكفاء أمر صعب يثقل على الطباع السليمة.

فلا يجوز النكاح مع عدم الكفاءة، فلزم اعتبارها ولا حجة للمخالفين في الحديثين لأن الأمر بالتزويج يحتمل أنه كان ندبا لهم الى الأفضل، وهو اختيار الدين، وترك الكفاءة فيما سواه، والاقتصار عليه؛ وهذا لا يمنع جواز الامتناع. وعندنا الأفضل اعتبار الدين والاقتصار عليه. ويحتمل أنه كان أمر إيجاب، أمرهم بالتزويج منها مع عدم الكفاءة، تخصيصا لهم بذلك، كما خص أبا طيبة بالتمكين من شرب دمه صلى الله عليه وسلم، وخص خزيمة بقبول شهادته وحده. وأما الحديث الثالث فالمراد به أحكام الآخرة، إذ لا يمكن حمله على أحكام الدنيا لظهور فضل العربي على غيره في كثير من أحكام الدنيا،

فيحمل على أحكام الآخرة، وبه نقول . والقياس على الفصااص غير سديد، لأن القصاص شرع لمصلحة الحياة، واعتبار الكفاءة فيه يؤدي الى تقويت هذه المصلحة، لأن كل أحد يقصد قتل عدوه الذي لا يكافئه، فتفوت المصلحة المطلوبة من القصاص، وفي اعتبار الكفاءة في باب النكاح تحقيق المصلحة المطلوبة من النكاح من الوجه الذي ينبغي، فبطل الاعتبار؛ وكذا الاعتبار بجانب المرأة لا يصح أيضا، لأن الرجل لا يستأنكف عن المرأة الدينية، كذا في البدائع .

وفي فتح القدير ما خلاصته: أن الحديث أن لا يزوج النساء إلا الأواباء وإن كان في سنده ضعف، لكنه حجة بالتظافر والشواهد، فن ذلك ما روى محمد في كتاب الآثار عن أبي حنيفة عن رجل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لا ممنع تزوج ذوات الأ حساب إلا من الأ كفاء. ومن ذلك ما رواه الحاكم وصححه من حديث علي أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «يا على! ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت، والجنابة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفاء»، وما روى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم «تخير والنطفكم وأنكحوا الأ كفاء» روى ذلك من حديث عائشة وأنس وعمر من طرق عديدة فوجب ارتفاعه الى الحجبة بالحسن لحصول الظن بصحة المعنى وثبوته عنه صلى الله عليه وسلم، وفي هذا كفاية.

والكفاءة تعتبر في النسب، لأنه يقع به التناحر، فقريش بعضهم أ كفاء لبعض، والعرب، بعضهم أ كفاء لبعض؛ ولا يعتبر التفاضل فيما بين قريش. وأما الموالى فمن كان له أبوان في الإسلام فصاعدا فهو من الأ كفاء لمن له آباء فيه. وتعتبر أيضا في الدين أى الديانة عند أبى حنيفة وأبى يوسف، لأنه من أعلى المفاخر، وللرأة تعير بفسق الزوج فوق ماتعير بضعف نسبه. وتعتبر في المال على الوجه المبين في كتب الفقه. وتعتبر في الصنائع كذلك، والله أعلم .

## القراءة للموتى بالأجرة

### السؤال الثانى :

يقول السائل : إنه رأى فى تفسير روح المعانى أن قراءة القرآن للموتى بالأجرة لا ثواب فيها للميت ولا للقارئ ، ويستشكل هذا بأن الناس جميعا من علماء وغيرهم يفعلون هذا ، ويطلب إيضاح الموضوع .

### الجواب

قال فى الهداية : ولا يجوز الاستئجار على الأذان والحج وكذا الإمامة وتعليم القرآن والفقهاء ، والأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها عندنا ، وعند الشافعية رحمهم الله يصح ، وبعض مشايخنا استحسنا الاستئجار على تعاليم القرآن الآن ، لظهور التواني فى الأمور الدينية ، وفى الامتناع تضييع حفظ القرآن ، وعليه الفتوى .

وفى الدر المختار : ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقهاء والإمامة والأذان . وفى ابن عابدين : وقد اتفقت كلمتهم جميعا على التصريح بأصل المذهب من عدم الجواز ثم استثنوا بعده ما علمته ، فهذا دليل على أن المفتى به ليس هو جواز الاستئجار على كل طاعة ، بل على ما ذكره فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن أصل المذهب . ونقل عن صاحب تبين المحارم ما نصه : قال تاج الشريعة فى شرح الهداية : إن القرآن بالأجرة لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ . وقال العيني فى شرح الهداية : وينع القارئ ، للدنيا ، والآخر ما أعطى آثمان ، الى آخر ما أطال به رحمه الله ، ومنه يعلم جواب السؤال عند الحنفية ، وصاحب روح المعانى من الحنفية ، فهو يقرر حكم مذهبه .

## حمل الجنازة في السيارة وتغيير الدين

### السؤال الثالث :

هل يجوز حمل الميت في السيارة ؟ وهل من تأثر بالتنويم المغناطيسى فأمر أثناءه بتغيير دينه فلما أفاق غير دينه يخرج من الدين ؟

### الجواب

الأصل في حمل الجنازة أن يحملها أربعة من الرجال : يأخذون سرير الميت بقوائمه الأربع ويرفعونها ، أخذاً باليد لتوضع على العنق ، لأنه أرفق بالميت ، ولا توضع على العنق ابتداءً كما تحمل الأمتعة ؛ والمراد بالعنق الكتف . ويكره حملها على الظهر والدابة ؛ وكذلك يكره حملها على سيارة أو عربة ، إلا أنه إذا كانت المسافة بعيدة جداً بحيث يشق على الحاملين أمر الحمل ، فإنه يجوز حملها على السيارة أو على العربة للضرورة ، مع ملاحظة أن يكون الحمل على السيارة أو غيرها برفق ولين ، حملاً لا يذهب بكرامة الميت ، دفعا للضرر عن الأحياء ؛ ولأن الضرورات تبيح المحظورات .

أما من غير دينه غير مكره وهو عاقل بالغ ، فقد استوجب جزاء ما أعدته الشريعة للخارج من دينه ؛ وما دام المسئول عنه هو الائتثار بالأمر بعد الإفاقة ، فالحكم فيه ما تقدم .

### أحراق جثة الميت

### السؤال الرابع :

هل يجوز إحراق جثة الميت بدلا عن دفنه ؟ وما واجب العلماء فيما إذا وقع

مثل ذلك ؟

## الجواب

لا يجوز تقريب النار من جثة الميت فضلاً عن إحراقه بها، لأن هذا تعذيب ولا يعذب بالنار إلا الرب النار . واقد أمرنا بإكرام بنى آدم، وإكرامهم بعد موتهم هو تغسيلهم وتكفينهم، حسب أوامر الشريعة، والصلاة عليهم، ودفنهم .

وأما واجب العلماء عند رؤيتهم للإحراق، فهو ما يجب على كل مسلم رأى منكراً، فإن واجبه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على الوجه الذى أبانته الشريعة الغراء . على أن عادة إحراق الموتى عادةٌ وحشية تنكرها الشرائع السماوية قاطبة . وقد نص الفقهاء على أن دفن الميت فرض كفاية على سائر المسلمين، وغسله وتجهيزه كذلك . وورد : لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار .

ومن هذا تعلم يقيناً أنه لا يجوز إحراق جثة الميت بحال من الأحوال . وإحراقها على أى صفة كانت محرم ومنكر، وواجب العلماء النهى عن المنكر على الطريق والوجه المشروعين والأمر بالمعروف واجب على كل مسلم، والنهى عن المنكر، كذلك لا فرق بين كبير وصغير، ولا بين عظيم وحقير . وقد أبان الشارع طريقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

## اللاحوم المحفوظة فى العلب

واتخاذ السن من الذهب وحشوها

### السؤال الخامس :

هل يجوز أكل اللحوم المحفوظة بالعلب الواردة من البلاد الأوربية ؟ وهل يجوز اتخاذ السن من الذهب ؟ وهل يجوز حشو السن ؟ وهل يجوز إصلاح أعضاء البدن عند الأطباء ؟

## الجواب

اللحوم المحفوظة في العلب هي من قبيل التقديد من اللحم، وهو معروف، وكانت الصحابة تأكله، فتي كان اللحم المحفوظ في العلب لم ينتن ولم يفسد، جاز أكله. ومجيئه من أوربا أو من أميركا لا يجعل أكله غير مباح، قال الله تعالى: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ) والبحث فيما وراء ذلك لم يطلب إلينا شرعا — غير أن من علم أن شيئا من ذلك غير مذكى التذكية الشرعية فلا يحل له أكله. واتخاذ السن من الذهب جائز عند الإمام محمد من الحنفية، وعلى رأيه الفتوى. أما اتخاذ الأنف من الذهب فجائز عند الكل. ومن هذا يتبين أن حشو السن بالذهب أو بالفضة للانتفاع بالسن، جائز شرعا، كما أن علاج الفم أو الأنف أو الأذن بما لا يغير أصله جائز.

## الحلف بالطلاق أو بالحرام

السؤال السادس:

ما قول السادة العلماء الأعلام في رجل حلف بالطلاق أو بالحرام: فقال: على الطلاق أو يلزمى الطلاق مرة أو مرتين، أو قال: على الحرام أو يلزمى الحرام مرة أو مرتين على شيء من الأشياء، ف وقعت عليه اليمين، فماذا يعمل؟ وما الحكم في ذلك تفصيلا؟

## الجواب

من الألفاظ المستعملة في الطلاق: الطلاق يلزمى، والحرام يلزمى، وعلى الطلاق وعلى الحرام، فيقع بلا نية، للعرف، فهو صريح لا كناية، بدليل عدم اشتراط النية،



وإن كان الواقع في لفظ الحرام ، البائن ، لأن الصريح قد يقع به البائن ، وإنما كان هذا صريحا لأنه صار فاشيا في العرف ومستعملا في الطلاق لا يعرف من صيغ الطلاق غيره . والصريح ما غلب في العرف استعماله في الطلاق بحيث لا يستعمل عرفا إلا فيه بأى لغة كانت .

وقد أفتى المتأخرون في «أنت على حرام» بأنه طلاق بأن لا يحتاج الى نية ، للعرف ، خلافا لما ذهب اليه المتقدمون من توقفه على النية ، وإنما كان قولهم : على الطلاق أو على الحرام لا أفعل كذا يمينا ، للتعارف ، ولأن هذا القول من القائل بمنزلة قوله : إن فعلت كذا فأنت طالق ، فهو تعليق في المعنى على فعل المحلوف عليه بغلبة العرف ، وإن لم يكن فيه أداة تعليق صريحا . هذا حاصل ما في الدر ورد المختار .

وقد رأى غيرهم من مشايخ المذهب عدم وقوع الطلاق في حلف الشخص بقوله : على الطلاق لأفعلن كذا ، ففي كتاب «رى الصادى فى فتاوى العمادى» ما نصه : إذا قال على الطلاق ، لا يقع عليه الطلاق عند الجمهور ولو نوى به الطلاق ، لأن العبرة للألفاظ لا للمعاني ، كما في فصول العمادى ، فهذا اللفظ يفيد أن الطلاق في الذمة لا غير ، والذي في الذمة لا يلزم وجوده في الخارج ، كما في البرازية . واختار ابن الهمام تبعا لابن سلام أنه يقع ، اعتبارا لعرف العوام ، والفتوى على الأول ، كما في الخلاصة وقاضىخان والتتارخانيه . على أن هذا الخلاف كالتخلاف في قوله : الطلاق على واجب أو ثابت أو لازم ، فعلى قول الإمام لا يقع عليه الطلاق بذلك ، خلافا لهما . والأصح القول بأخذ الإمام ، والعرف إنما يكون حجة إذا لم يخالف نص الفقهاء ، والله أعلم .

هذا وقد أفتى شيخنا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد بن حنيت مفتى الديار المصرية الأسبق بعدم وقوع الطلاق بقول الشخص على الطلاق . وأفتى به حضرة صاحب الفضيلة العلامة المدقق الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية حالا .

ومن أحكام الطلاق أن الطلاق الصريح يباحق الصريح ويباحق البائن ، فمن قال لامرأته : أنت طالق ثم قال أنت طالق أو طلقها على مال ، وقع الثاني كالأول ، سواء كان الواقع به رجعيا أو بائنا ، ومن قال لزوجته : أنت بائن أو خالعه على مال ثم قال أنت طالق أو هذه طالق ، وقع الثاني أيضا ، وهذا كله بشرط أن تكون الزوجة في العدة . ومن أحكامه أيضا أن البائن يباحق الصريح ولا يباحق البائن البائن إذا أمكن جعله إخبارا عن الأول ، كأنت بائن أو أبنتك بتطبيقه ، فلا يقع ، لأنه إخبار . أما إذا لم يمكن جعله إخبارا ، كما لو قال المباشرة منه : أبنتك بأخرى أو أنت طالق بائن ، فانه في هذه الحالة يباحق ويجعل إنشاء . ومن هذا قالوا : إن البائن إذا كان معلقا بشرط أو مضافا قبل إيجاد المنجز البائن ، كقوله : إن دخلت الدار فأنت بائن ثم أبانها ثم دخلت ، بانت بأخرى ، لأنه لا يصلح إخبارا ، ومثله المضاف ، كما إذا قال لها : أنت بائن غدا ثم أبانها ثم جاء الغد ، يقع أخرى . وهذا ما يراه الحنفية . ومنه يعلم جواب السؤال — غير أنه تنميما للفائدة نقول : إن الحكمومه المصرية قد سنت قانونا في سنة ١٩٢٩ جرت فيه على أن كذايات الطلاق جميعها ، وهي ما تحتل الطلاق وغيره لا يقع بها الطلاق إلا بالنية ، وأن كل طلاق يقع رجعيا إلا الطلاق المكمل للثلاث ، والطلاق قبل الدخول ، والطلاق على مال ، والفرقة بالعيب ، والتطبيق للضرر ، الى آخره ، كما أن الطلاق المعلق لا يقع إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير ، وأن الطلاق المقترن بعدد لفظا أو إشارة لا يقع إلا واحدة .

## الفصل بالدعاء بين الترويحيين

### السؤال السابع :

هل يجوز الفصل بين كل ترويجة وأخرى من صلاة التراويح بالدعاء الآتى :  
يا عالم السررنا ، لا تكشف السررنا ، وكن لنا حيث كنا ؟ وهل يجوز أن يقول

المسلم : كن لنا حيث كننا ، مع أنه قد يكون في بعض الأحيان متلبسا بالمعاصي ؟

## الجواب

استحب العلماء في صلاة التراويح الانتظار بين كل ترويجة وأخرى ، وبين الخامسة والوتر بمقدار ترويجة ، والناس في مدة الانتظار يخبرون بين التسبيح والقراءة والصلاة فرادى والسكوت . وكان أهل المدينة يصلون في مدة الانتظار أربع ركعات فرادى ، وكان أهل مكة يطوفون بينهما سبعة . وبما أنك قد علمت أن الفصل بين الترويحيتين يكون بأحد الأمور السابقة ، تعلم أن من يدعو بين كل ترويجة وأخرى بأى دعاء كان دون أن يحدث تشويشا بدعائه على المصلين الآخرين ، يكون قد أتى بالمستحب ، لافرق في ذلك الدعاء بين صيغة وصيغة ، فمن دعا بصيغة كان يدعو بها الشيخ الدردير رضى الله عنه ، أو صيغة كان يدعو بها سيدي أحمد بن شرقاوى رحمه الله أو غيرها ، كان آتيا بالمستحب ، ولو دعا بالمأثور فهو أفضل . وطلب العبد من الله أن يكون في عونته ، وأن يكون له حيث كان ، دعاء جائز لا محل لا نكاره ، لأن الممكنات جميعها لا تنفك محتاجة الى الله تعالى في جميع الأزمان والأمكنة ؛ والمسلم لا يطلب معونة الله في معصية الله حتى يعترض على من يدعو بمثل هذا الدعاء ، لأن القرائن قاطعة على أن المسلم الداعي لا يريد هذا ، سيما والمسئول عنه هو الدعاء بين الترويحيتين ، فلا محل لهذا الاعتراض .

وصفوة القول أن دعاء الله ضرب من عبادته ، إذا قام به المسلم استحق عليه الثواب متى حسنت نيته وقصد بالدعاء التوجه الى الله تعالى دون رياء ولا سمعة . وينبغي أن يلاحظ أن يفهم الداعون بالدعاء المسئول عنه أن صيغته ليست واجبة ولا مطلوبة بخصوصها .

## التقليد والتلفيق

### السؤال الثامن:

هل يجوز التقليد والتلفيق من مذهب الأئمة الأربعة ولو لغير ضرورة قبل العمل أو بعده في المعاملات والعبادات ؟

### الجواب

نقل الأسنوى في شرحه «منهاج الوصول» أن المقلد إذا قلد مجتهدا في مسألة فليس له تقليد غيره فيها اتفاقا، ويجوز ذلك في حكم آخر على المختار، وأن من التزم مذهبا معيناً يجوز له الأخذ بغير مذهبه فيما لم يعمل به ولا يجوز في غيره، وأن تقليد مذهب الغير جائز، بشرط ألا يكون موقعا في أمر يجتمع على إبطاله الإمام الذي كان على مذهبه والإمام الذي انتقل إليه؛ فمن قلد الإمام مالكا مثلاً في عدم النكح بالمس الخالي عن الشهوة فصلى، فلا بد أن يدلك بذنه ويمسح جميع رأسه، وإلا كانت صلاته باطلة عند الإمامين.

وفي التحرير: لا يرجع المقلد فيما قلد فيه اتفاقاً، أما في غيره فيجوز، لقطع بأن الناس كانوا يستفتون مرة واحدة ومرة غيره غير ملتزمين مفتياً واحداً؛ فمن التزم مذهبا معيناً كمذهب الإمام الأعظم أو مذهب سيدنا الإمام الشافعي، فالصحيح أنه لا يلزمه الأخذ بمذهب إمامه في كل حادثة، لأن التزامه غير ملزم، لأنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل معين من الأمة فيقلده في دينه وفي كل ما يأتي ويذر دون غيره.

وفيه ما خلاصته: أنه ليس للعامة مذهب، لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال وإدراك، أو لمن قرأ كتاباً في فروع ذلك المذهب وعرف فتاوى

إمامه وأقواله ؛ أما من لم يتأهل لذلك فلا يكون حنفياً أو شافعياً بمجرد قوله : أنا حنفى أو شافعى ، كما لا يكون فقيهاً أو نحويًا بمجرد قوله : أنا فقيه أو نحوى .

والخلاصة أنه إن عمل بحكم تقليد المجتهد ، لا يرجع عن ذلك الحكم ؛ أما فى غير ما عمل به فله تقليد غيره من المجتهدين ، لأن الدليل الشرعى يقتضى العمل بقول المجتهد فيما يحتاج إليه ، لقوله تعالى : ( فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) والسؤال إنما يتحقق عند طلب حكم لحادثة معينة ، وإذ ذاك إذا ثبت عنده قول المجتهد وجب عمله به . ثم نقل رحمه الله ما تقدم عن القرافى من الجواز ، بشرط ألا يترتب عليه ما يمنعه كالأمامين ، قال فى مسلم الثبوت وشرحه : إذا اختلف ولم يتجاوز أهل العصر عن قولين فى مسألة لم يجز إحداث قول ثالث عند الأكره ؛ وجاز الإحداث عند طائفة مطلقاً ؛ ومختار الأئمة والراوى : إن رفع الثالث ما اتفقا عليه فممنوع إحداثه نحو مقاسمة الجدة الصحيح للأخ ، كما عن أمير المؤمنين على بن زيد بن ثابت ، وحجبه أى حجب الجد الأخ عن الميراث ، كما عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعمر وابن الزبير وابن عباس ، فقد اتفق الكل على أن لا يجد ميراثاً ، وإنما اختلفوا فى القدر ، فالحرمان وسلب الميراث عن الجد رأساً خلاف الإجماع فلم يجز إحداثه ، وإلا أى وإن لم يرفع ما اتفقا عليه فى المسئلة فلا يمنع من الإحداث للثالث .

قال مولانا الأستاذ فضيلة الشيخ محمد بنجيت بعد بحث طويل أفاد فيه وأجاد كعادته حفظ الله — ما نصه : ومن هذا يعلم أن مسألة التلفيق مبنية على مسألة إحداث قول ثالث ، إذا انحصر خلاف المجتهدين فى عصر فى قولين ، ففى كل موضع يمتنع فيه إحداث القول الثالث : بأن يكون القول الثالث مخالفاً للإجماع ، يمتنع فيه التلفيق أيضاً إذا خالفت الصورة المألوفة إجماعاً ؛ وأما إذا وافق بعضها قول مجتهد وخالفه بعض آخر وافق فيه مجتهد آخر كالصورة المذكورة ، فالتلفيق غير ممتنع ؛ ومن ذلك يعلم أن دعوى

الإجماع على منع التلفيق مطلقاً دعوى لم يقم عليها دليل ، بل قام الدليل على بطلانها ، وأن ما قاله العلامة الأمير من أن المعتمد أنه لا يشترط عدم التلفيق ، وحينئذ يجوز مسح بعض الرأس على مذهب الشافعى ، وفعل الصلاة على مذهب المالكية ، وكذا الصورة المتقدمة ونحوها ، وهو سعة ودين الله يسر اه قول صحيح ، وهو الذى تقتضيه النصوص الشرعية أصولاً وفروعاً .

كما أنه يعلم أنه لو اغتسل غسلاً واجباً وتوضأ وضوءاً واجباً من ماء قليل يستعمل فى رفع حدث مقلداً لمذهب مالك وترك ذلك مقلداً لمذهب الشافعى ، يكون غسله أو وضوءه صحيحاً مثل الصورتين المذكورتين فى السؤال ، ومثل غيرهما من الصور التى لا يضر فيها التلفيق بين مذهبين أو مذاهب متعددة ، متى لم يكن هذا التلفيق خارقاً للإجماع ؛ وأما إذا كان التلفيق خارقاً للإجماع : بأن كانت الحقيقة المركبة يقول ببطلانها جميع المجتهدين ولا يمكن لمجتهد آخر على فرض وجوده أن يقول بها حرمان الجدم من الميراث بالكلية ، فالتلفيق باطل بالإجماع ، كما أن إحداث قول بحرمان الجدم بالكلية باطل بالإجماع .

والذى تطمئن إليه النفس ويرتاح له القلب ، هو ما نقله الأسنوى فى شرحه « منهاج الوصول » من أن المقلد لمذهب يجوز أن يقلد مذهب الغير بشرط ألا يكون موقفاً فى أمر يجتمع على إبطاله الإمام الذى كان على مذهبه والإمام الذى انتقل إليه ، لأن الخروج بالمقلد عن هذا القيد يجعله يتتبع الرخص تتبعاً من شأنه الذهاب وراء الشهوات .

طه هبيب

# مدينة الملك فؤاد الأول ملك مصر

يفتح الكليات الثلاث

بالجامعة الأزهرية افتتاحاً رسمياً

لقد كان من نعم الله العظمى على هذا البلد الأمين ، أن هبَّ له ملكاً هو أعظم الملوك الذين يمجدهم التاريخ ، وتنتفع بهم الأمم أعظم الانتفاع . جمع الله له بين متانة الدين ، وأصالة الرأي ، ورجاحة العقل ، وسمو النفس ، وعلو المهمة ، وكمال الدراية ، وبعد النظر . وكان من أثر ذلك أن نهض بالأمة المصرية في جميع مناحي حياتها نهضة واسعة النطاق مباركة ، ميمونة ، مقرونة بكمال الحكمة .

ولقد رأى — حفظه الله — أن رقى الأمم ما لم يكن مدعماً على أساس الدين ، ومحاطاً بسياج الفضيلة ، ومتمشياً مع مكارم الأخلاق ، وتربية النفوس تربية صحيحة ، لا يؤمن فيه الزلل ، ولا يسلم من العوج .

فأجل — حفظه الله — نظره العالى فيما تحويه دور الثقافة بالديار المصرية ، فرأى الجامعة الأزهرية هى : معقل الدين الحنيف ، ومبعث التربية الشرعية ، وأن نورها يشع على العالم الإسلامى جميعه ، وأن جميع الأمم الإسلامية تعرف للأزهر هذه الميزة وتعترف بها ، إذ ترسل أبناءها كل عام أفواجا ، فيعترفون من منهل ، ويتزودون من علمه ، ويستضيئون بنوره ؛ ثم يعودون الى قومهم يفيدونهم مما استفادوا ، ويخلفهم غيرهم ، وهكذا دواليك ، فهم فى كل عام فى ازدياد .

رأى - حفظه الله - هذا كله فوجّه قسطاً عظيماً من عنايته الشريفة الى الأ زهر ، ليزيده رقياً ، ويوسع ما فيه من دوائر العلوم ، حتى يقوم لمصر وللعالم الاسلامي بأعباء المهمة المرجوة منه خير قيام . فأمر حفظه الله بسنّ القوانين واللوائح ، وتعديل المناهج ، وتكثير العلوم التي تدرس به ، وتوسيع مقرراتها ، وتوزيع المواد العلمية بين طلابه ، ليتخصص كل فريق بما عهد إليه ليقوم به خير قيام ، حتى أسفرت تلك التطورات عن خير ما أنتج البحث وهدت إليه التجارب ، فصدر قانون الأ زهر رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ بإعادة تنظيم الجامعة الأزهرية على هذا الوجه الحاضر ، وسار به العمل ابتداء من سنة ١٩٣١ الدراسية . فلما استقر نظامه ، وأخذ دورته التي تبرز التشريع في أرق صورة علمية ، أراد - حفظه الله - أن يرى بنفسه ما أثمرته الجهود الموفقة ، فأعلن إرادته الشريفة : أن يزور الكليات الثلاث للأ زهر وأقسام التخصص الماحقة بها لافتتاحها رسمياً .

وقد تحدّد يوم الثلاثاء ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٥١ ( ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ ) لزيارة كلية أصول الدين وما يتبعها من أقسام التخصص : « شعبة التفسير والحديث » و « شعبة التوحيد والمنطق » و « شعبة الوعظ والإرشاد » .

وتقرر يوم الأربعاء ٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥١ ( ٢٩ مارس سنة ١٩٣٣ ) لزيارة كلية الشريعة ، ويتبعها من أقسام التخصص « شعبة الفقه على المذاهب وأصول الفقه » وزيارة كلية اللغة العربية ، ويتبعها من أقسام التخصص : « شعبة النحو والصرف » و « شعبة البلاغة والأدب » و « شعبة التاريخ والمنطق ، وعلم النفس » .

فلما حلّ موعد الزيارة الملكية في اليوم الأول ، وكان قد شعر بها الأهليون من حي شبرا الذي به كلية أصول الدين ، احتشدوا في جانبي الطريق ، مغتبطين مسرورين



لرؤية مليكهم المحبوب، ومبتهجين بما يرونه من مظاهر عطفه على الأزهر ورجال العلم والدين، إذ كان ذلك عيس منهم عاطفة حية حساسة.

ولقد كان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وحضرات أصحاب الفضيلة كبار العلماء، وحضرات أصحاب المعالي والسعادة الوزراء، والعظماء من كبار الدولة، في انتظار تشريف جلالته، حتى إذا أقبل الموكب الملكي، دوت الأرجاء بهتاف التحية والتهليل، ووصل — حفظه الله — في الساعة الحادية عشرة صباحاً، دار الكلية فعمد الى فصول الدراسة، فزار الفصل الأول من الكلية، وكان يدرس فيه الأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة، من علماء الأزهر «علم التوحيد» في موضوع «حاجة الإنسان الى بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام» فاستمع — حفظه الله — من الدرس جملة صالحة كبيرة، وألقى بين يدي جلالته أحد الطلاب، كلمة قيمة تحية بالنيابة عن إخوانه.

وانتقل الى فصل ثان، كان يدرس فيه الأستاذ الشيخ سيد قناوى من علماء الأزهر في علم التفسير، تفسير قوله تعالى: (وَلَتَسْكُنَنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، وبعده قصد الى فصل آخر، كان يدرس فيه «علم الفلسفة» وموضوعه «صلة الفلاسفة بالدين»، وكان المدرس، الأستاذ الشيخ أمين الخولى. ثم قصد الى فصل لدرس التاريخ، وكان موضوعه «آثار محمد على باشا رأس الأسرة المالكة بمصر، وبيان ما كانت عليه مصر من الحالة الدينية والاجتماعية في عهده، وشهادة مؤرخي الغرب بشأنه»، وكان المدرس فيه، حضرة الأستاذ محمد افندى حبيب، ثم فصل يدرس فيه علم النفس، كان الموضوع فيه «ملكة التقليد والمحاكاة في الإنسان، وأثر ذلك في التربية» وبين الأستاذ أن هذه النظرية قد دوتها العرب في مؤلفاتهم الاجتماعية، وليس الفضل في التنبيه لها راجعاً للغربيين كما يزعمه بعضهم، وكان المدرس حضرة الأستاذ مظهر افندى سعيد.

وجاء بعد ذلك دور قسم التخصص ، وكان فيه درس الحديث ، ويؤديه ، الأستاذ الشيخ محمد العزبي رزق ، وموضوعه « ما ورد في فضل الامام العادل » وقد ألقى بين يدي جلالته طالب من الجاويين كلمة تحية وشكر . وبعد ذلك كان درس المنطق ، ويؤديه الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى ، وموضوعه « بيان فائدة علم المنطق واحتياج الانسان إليه في تفكيره » ثم انتقل الى درس الوعظ والارشاد ، وكان المدرس فيه الاستاذ الشيخ على محفوظ ، وموضوعه « هداية القرآن الى السعادة فى الحياتين الدنيوية والأخروية » .

وبعد أن استمع - حفظه الله - من كل مدرس ما يلزمه بالموضوع الذى يؤديه ، ويتعرف طريق أدائه ، ومبلغ عنايته بدرسه ، وإقبال الطلاب على الاستماع والتفهم ، مع حسن الإصغاء والانتباه ، قصد الى حجرة المدرسين ؛ وقد خفوا لاستقباله ، فخاطبهم حفظه الله بما يفيد امتنانه منهم ، وتقديره لجهودهم ، ورضاء عن عملهم . وحثهم على مواصلة الجهد والعمل فى ترقية العلم ونصرة الدين .

وبعد أن تعهد مكتبة السكلية ، تفضل - حفظه الله - بالتوقيع بيده الكريمة ، على سجل الزيارة ، ثم قصد الى حجرة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان ، شيخ السكلية ، فألقى بين يدي جلالته كلمة شكر عن نفسه ، وأساتذة السكلية ، وموظفيها ، وطلبتها ، ثم توجه الى سرادق قد أعد لاستقبال جلالته ، حيث كان المدعوون من عطاء الدولة محتشدين لاستقباله ، فألقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بين يديه الخطبة التالية :

كلمة

مضرة صائب الفضية الأستاذ الأكبر

الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر

بين يدي

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

في ختام زيارته لكلية أصول الدين

مولاي يا صائب الجلالة

أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة وجودكم وجلو سكم على عرش مصر، فقد جددتم مجدها، وحققت آمالها، ونهضتم بها في جميع شئونها، وكان للجامع الأزهر من عناية جلالتم حفظ عظيم.

والعناية يا مولاي بالأزهر الشريف هي العناية بالدين الاسلامي وبالمسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا، فهو قلب الاسلام النابض، وعلمه الخفاق، ومصباحه الوهاج، الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون، وهو يرسل أشعة الإيمان والتقى ومكارم الأخلاق الى مشارق الأرض ومغاربها، وهو كعبة العلوم الدينية والعربية التي تقصدها الوفود الاسلامية من جميع القارات، ليتفقهوا في الدين، ولغة القرآن الكريم، وينشروا ذلك في قومهم إذا رجعوا اليهم.

ولقد كان من أجل مظاهر هذه العناية الملكية - بعد تلك المآثر والمكرامات التي لا تحصى - أن أشرتم بإعادة تنظيم الجامع الأزهر على وجه يحقق آمال المسلمين فيه،

ويتناسب مع تاريخه المجيد ، ويعدّ خريجه الى القيام بالواجب الملقى على عاتقهم في هذا العصر على أحسن وجه ، ويجعلهم رجالاً عاملين في أسرة العلم الاسلامي والعالمي ، ذوى عقلية راجحة ، مامين بما ينبغي أن يعلم من المعارف وشئون الحياة ، كي يستعينوا بما وصات اليه العلوم والفنون في تقدمها على كشف ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف : من حقائق مرتبطة بهذه العلوم ، تسلم عنها الإسلام قبل أن تعرف في الناس يأكثر من ثلاثة عشر قرناً .

ولقد عود الله جلالكم التوفيق في جميع أعمالكم ، فأصدرتم القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وافيا بهذه الأغراض السامية ، مع المحافظة على صبغة الأزهر الدينية والعربية .

وكان من أكبر مزاياه إنشاء كليات أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، وجعل أبوابها مفتحة لجميع الطلاب المسلمين على اختلاف جنسياتهم ؛ واستدراك ما كان في القوانين السابقة من نقص في مواد التعليم على اختلاف مراحله ، فقد جعل من مواد الدراسة في الكليات : تاريخ التشريع الاسلامي ، ومقارنة المذاهب ، وفن الحديث دراية ، وآداب اللغة العربية وتاريخها ، وفقه اللغة ، وتاريخ الأمم الاسلامية ، وعلم النفس ، والفلسفة ، مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، وغير ذلك من المواد التي لم تكن تدرس في القسم العالي من الأزهر الشريف .

ولما كان التخصص في العلوم هو الطريقة المنتجة التي جرى عليها علماء الإسلام في أوائل العصور ، والبا يرجع الفضل في تقدم العلوم وارتقائها قديما وحديثا ، نص هذا القانون على إنشاء أقسام للتخصص في المواد التي تعنى بها الكليات ، للتبحر فيها ، وعلى منح المتخرجين منها شهادة العالمية مع لقب أستاذ ، وعلى جعلهم أهلا لشغل كراسي

الأستاذية فى الكليات ، كما نص على إنشاء أقسام للتخصص فى التدريس والقضاء الشرعى والوعظ والإرشاد ، يكون متخرجوها أهلا للتدريس فى مدارس الحكومة والمجاهد وتولى الوظائف الشرعية والدينية فى الدولة .

وتحقيقا لرغبةكم السامية قررت حكومة جلالتم إنشاء مبان خفمة بجوار الأزهر للكليات ، وأقسام التخصص ، والمعهد الأزهرى ، ودار كبيرة للكتب ، وقاعات للمحاضرات ، ومساكن للطلبة ، ومستشفى لهم ، ومبان أخرى لمشيخة الأزهر ومجلسه الأعلى .

والى أن يتم بناء هذه الأماكن دبرت أماكن مؤقتة للكليات ، بمساعدة وزارتى المعارف والأوقاف ، فكانت كلية أصول الدين فى هذا المكان ، وكلية الشريعة واللغة العربية فى الدار التى كانت تشغلها من قبل مدرسة القضاء الشرعى .

وفى الوقت الذى توجهت فيه العناية الملكية الى مراحل التعاليم النظامى ، توجهت فيه أيضا الى التعليم الدينى العام ، الذى يقصد منه التفقه فى علوم الدين واللغة ، ونشر المبادئ الفاضلة والأخلاق الكريمة بين الناس على اختلاف طبقاتهم ، فنص القانون على إنشاء أقسام لذلك بالقاهرة وغيرها من المدن .

وإذا كانت كليات الأزهر ستكون فى دور خاصة فى حيّه وبجواره ، فإن نفس الجامع الأزهر سيكون معمورا بالدروس على اختلاف أنواعها ، مفتوح الأبواب لقاصديها من المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، غير مقصور على إقامة الصلاة .

ولقد كان لصدور هذا القانون المبارك وانتشار أنبائه وقع حسن عظيم فى نفوس المسلمين فى عامة الأقطار ، جعلتهم يعتقدون أن جلالتم حامى حى الدين ، والمهتم بشئون المسلمين وقد ابتدأت البعثات تتوارد وتتابع : من الصين ، وبولونيا ، وألبانيا ،

والهند، وغيرها، للاعتراف من هذا المنهل العذب . وأخذت الجامعات الكبرى تتصل بالأزهر الشريف، وكان آخرها عهدا جامعة غرناطة، التي لبى الأزهر الشريف دعوتها الى الاحتفال بمرور القرن الرابع على تأسيسها .

ولقد أجزلتكم بالنعمة بتفضلكم بزيارة السكليات لافتتاحها رسميا، وكان من علامات اليمين أن تكون هذه الزيارة المباركة بين عيدين كريمين : عيد ميلاد جلالتهكم الميمون وعيد الأضحى المبارك .

وهذه يا مولاي كلية أصول الدين، التي غايتها تخرج الوعاظ والمرشدين، وتحقيق قوله تعالى : ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

والوعظ والإرشاد يا مولاي إذا أديا على خير وجه، كانا مصدر السعادة الدنيوية والأخروية، وحلا للمعقد من مشا كل الحياة، وقللا من الجرائم .

وقد اجتمع في هذه الكلية الى أساتذة التوحيد، والتفسير، والحديث، أساتذة علم النفس، والأخلاق، والفلسفة، والتاريخ، وسنن الله الكونية، يتعاونون على تزويد الطلاب بما يعدم للقيام بواجب الوعظ والإرشاد على أتم وجه يليق بهذا العصر . والأزهريون يا مولاي يعجزون عن أداء ما يجب من الشكر لجلالتكم، تلقاء تلك الأيادي البيضاء المتتالية عليهم، ويتهلون الى الله سبحانه وتعالى بقلوب مخلصه أن يحفظ جلالتهكم للإسلام والمسلمين، وأن يكلاً بعين رعايته حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد الدولة المصرية : الأمير فاروق — إنه سميع مجيب .

## افتتاح

### كليتى الشريعة واللغة العربية

وعلى هذا النسق توجه — حفظه الله — فى اليوم التالى ( يوم الأربعاء ٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥١ ) الى دار كليتى الشريعة واللغة العربية ، حيث كان فى انتظار تشريفه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبر شيخ الجامع الأزهر ، وعظماء الدولة : من الوزراء ، والعلماء ، والكبراء ، فوصل فى الساعة الحادية عشرة ، فتعالت الأصوات بهتاف التحية والدعاء بحفظ ذاته الكريمة ، فقصده الى فصول الدراسة ، فكان أول فصل زاره ، يدرس فيه الأستاذ الشيخ الحسينى سلطان « تاريخ التشريع الاسلامى » ثم فصل آخر ، يدرس فيه الأستاذ الشيخ محمد عرفه وكيل الكلية ، تفسير قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ) .

والتقى طالب فلسطينى ، بين يدى جلالته ، كلمة تحية وشكر ، ضمنها اعتراف الأمام الشريعة بما لجلالته من الفضل على العالم الإسلامى أجمع ، ثم فصل يدرس فيه الأستاذ الشيخ عبد السلام شرف درسا فى الفقه ، موضوعه : « الوقف فى الإسلام ، وحقيقته الشرعية ، وأدلة إثبانه من الكتاب والسنة » . وحيا جلالته طالب جاوى بكامة قيمة ، ثم الى فصل يدرس فيه الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفى درس « أدب اللغة » ، لحيا جلالته بقصيدة عصماء من نظمه . والتقى بين يدى جلالته طالب قوقلى كلمة تحية ، ثم كان درس الحديث الشريف ، وكان فيه الأستاذ الشيخ عبد الله موسى ، يلتقى درسا فى الرواة ، ويتكلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

ثم قصد - حفظه الله - الى غرفة المدرسين ، فشكر لهم جهودهم ، وشجعهم بكلماته القيمة . ثم تعهد المكتبة وقاعة المطالعة . ثم توجه الى غرفة شيخ الكلية فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى ، حيث وقّع على سجل الزيارة ، وألقى شيخ الكلية بين يديه خطبة شكر .

وبعد ذلك انتقل الى كلية اللغة العربية ، فزار الفصل الأول ، وكان يدرس فيه الأستاذ الشيخ سليمان نوار ، في « وجوه الارتباط بين الجمل من باب الفصل والوصل » ثم الفصل الثانى ، وكان يدرس فيه الدكتور عبد الوهاب عزام تاريخ الإسلام ، وموضوعه « هرون الرشيد » وحياء طالب يوغوسلافى بكلمة شكر واعتراف بالجميل ، وبعده كان فصل يدرس فيه الأستاذ الشيخ محمد محي الدين علم النحو ، وموضوعه « المبتدأ والخبر » ممثلاً بآية (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . وألقى طالب هندي كلمة شكر ، ثم درس فى التربية العلمية ، وكان المدرس الأستاذ محمد المخزنجى ، وكان موضوعه « طريقة دالتون فى التربية والتعليم » ، وألقى طالب سورى كلمة تحية . ثم فصل يدرس فيه الأستاذ محمد مهدي علام ، علم قانون الصحة ، وكان يتكلم عن « القلب ومنزلته من الجوارح وأنه بمثابة الملك لها » .

وألقى طالب مصرى كلمة شكر وتحية .

ثم زار المكتبة ، وغرفة شيخ الكلية فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش فحياء فضيلته بكلمة ، وانتقل الى السراىق المعد لذلك ، فألقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بين يدي جلالته الكلمة الآتية :



كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر

بين يدي

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

في ختام زيارته لكيتي الشريعة واللغة العربية

مولاي يا صاحب الجلالة :

لقد أرضيتم الله ورسوله، وأحييتم سنة الخلفاء الراشدين، إذ عنيتم منذ جلوسكم على عرش مصر بشئون الإسلام والمسلمين، فدانت لكم القلوب، وانطوت على الإخلاص والولاء، ولهجت الألسنة بالثناء والدعاء.

وهذه أعمالكم العظيمة تسجل في كل آن أنك يا مولاي حامى الإسلام وملاذ الدين.

بالأمس تفضلتم بالافتتاح الرسمي لكلية أصول الدين، واليوم تتفضلون بافتتاح كلية الشريعة الإسلامية، وكلية اللغة العربية.

وكلية الشريعة هي التي أنشأتوها لتخرج علماء الفقه الإسلامى، والقضاة الشرعيين.

وللفقه الإسلامى تاريخه المجيد، وآثاره العظيمة فى الحياة الفردية والنظم الاجتماعية

فهو غنى بالمبادئ التى تحقق السعادة للإنسان : فى شخصه، وفى علاقته مع غيره . وقد

بنيت عليه المدنية الاسلامية في أزهى عصورها ، كما عني به الغربيون باعتباره مصدرا عظيما من مصادر التشريع في العالم .

والقضاء الشرعي أساسه إقامة العدل بين الناس ، وتحري الصواب ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

وقد جعل بين مواد الدراسة في هذه الكلية أصول الفقه ، وتاريخ التشريع الاسلامي ، والمقارنة بين المذاهب ، وحكمة التشريع ، وآيات الأحكام وأحاديثها ، حتى يكون المتخرج منها ملماً بأدلة الأحكام الشرعية وسائر ما يتعلق بها .

ولما كان أساس العدل في التقاضي متانة خلق القاضي ، وفطنته ، وإلمامه بالأحوال والمعلومات التي تساعد على إصابة الحق ، فقد وجهت هذه الكلية عنايتها الى تحقيق ذلك عمليا .

واللغة العربية يا مولاي هي لنة القرآن الكريم والحديث الشريف ؛ وقد جعلتموها لغة البلاد الرسمية ، كما جعلتم الاسلام دين الدولة الرسمي .

وإذا كان لمصر وأزهرها المعمور تاريخ مجيد في تخريج أئمة اللغة العربية ، وتأليف الموسوعات فيها ، فإن تفضلكم بتأسيس هذه الكلية كفيل بإعادة هذا المجد الموثل ، وسيكون عملها أتم ، وفائدتها أعم ، حينما يتولى خريجوها تعليم العلوم الدينية والعربية في المدارس ، فيبشرون من مكارم الأخلاق والآداب ، ما يسمو بالجيل الناشئ الى درجة الكمال المطلوبة .

وكما كانت مصر ملاذاً للعربية وماجراً لأساطينها من بغداد وغيرها ، فهي في عصركم الذهبي الزاهر مصدر النهضة الجديدة لهذه اللغة ، بما أنشأتموه من كليات وغيرها تعمل على ترقيتها ونشرها .

مولى :

إن الأزهري الشريف السائر في طريق الرق والعمل خير البلاد والعباد، والمتطلع إلى المثل العليا، ليتخذ الإخلاص لجلالتكم شعاراً، والعمل على تحقيق رغباتكم السامية خطة ومنهاجاً، ويلتف رجاله حول عرشكم المندى، ويقفون بين يدي الله تعالى صباح مساء، مبتهلين إليه جل شأنه أن يحفظ جلالكم للإسلام والمسلمين، ويبقيكم ذخراً وملاذاً، ويحفظ حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهدكم المحبوب: الأمير فاروق.

## كلمة عن

التعليم الإسلامى بمصر

لما فتح مصر عمرو بن العاص وبنى بها مسجده سنة ٢١ هجرية، اتخذ جماعة من الصحابة والتابعين مركزاً علمياً لنشر الدين القويم وتعاليمه النافعة.

وقد أخذت هذه الحركة العلمية تكبر وتتسع، وتنمو وتزدهر، حتى أمه كثير من العلماء الأعلام، والأئمة المجتهدين، فأفادوا العالم الإسلامى بأرائهم وآليفهم، وتركوا ثروة لا ينضب معينها.

وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد وقد كان للإمام محمد بن إدريس الشافعى بهذا الجامع زاوية يدرس فيها مذهبه، ويدون آراءه، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الفضلاء، الذين دونوا مذهبه ونشروا علمه: كالربيع بن سليمان، والمزنى، والبطي، وغيرهم.

وظل التدريس فى الجامع العتيق عامر الحماقات مدة طويلة ، واقتنى أثره فى ذلك جامع أحمد بن طولون .

ولما بنى الجامع الأزهر سنة ٣٥٩ هجرية وكل سنة ٣٦١ هـ وصار مكانا للتدريس آلت اليه تلك الحركة العلمية الميمونة ، وازدهرت فيه وترعرعت حتى تخرج فيه أئمة فضلاء ، وشيوخ أجلاء ، خدموا الإسلام والمسلمين بالتأليف تارة ، وبالتدريس أخرى ، حتى أصبح مفخرة العالم الإسلامى عامة ، ومصر خاصة .

ولقد عاجلت هذه الجامعة الكبرى علوم الدين ، فيسرت سبيلها ، وأكثرت كتبها ، واهتمت بشئون اللغة العربية ، فهذبت طرقها ، وأصلحت شأنها ، وبقيت على مدى الأجيال والقرون قائمة بعملها ، مضطلة بمهمتها ، حتى نبه ذكرها ، وذاع صيتها ، وأمها الطلاب من كل فج ؛ ليغترفوا من منهلها ، ويستضيئوا بنورها ، وانحدر اليها العلماء من كل صوب ؛ ليساهموا فى النفع بها ، ونشر آثارها ، فازدهرت فيها أنواع العلوم والفنون ، وأمدت العالم الإسلامى بما هو فى حاجة اليه .

ولقد كان الأزهر الشريف منذ نشأته موضع عناية خلفاء الفاطميين : يتعهدونه بالناية والرعاية ، ويغدقون على من به من العلماء والطلبة العطايا والهبات ، ويذهبون اليه بأنفسهم للصلاة والوقوف على حاله ، مما كان له الأثر البالغ فى حفز همم الشيوخ والطلبة الى التفرغ للعلم .

## نظام الأزهر قديما

كان النظام المتبع الذى يسير عليه الأزهر منذ أصبح مدرسة جامعة نظاما سهلا ، يكاد يكون فطريا ، أساسه التقوى ، وقوامه احترام الدين وأهله .

وكان شيخ الجامع الأزهر هو المرجع الأعلى لمن فيه من أصغر طالب الى أكبر عالم ، كلمته هي العليا ، وإشارته حكم ، لا يتخطاه واحد منهم ، وقوله الفصل في كل ما اختلف عليه ، يوزع الأحباس والهبات ، ويحيز العلماء والمدرسين ، وكان إذا أشكل عليه أمر استشار فيه أكابر العلماء .

وكان يدخل الطالب الأزهر مختارا بلا قيد ولا شرط ، ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ، ويبقى فيه ما شاء أن يقيم ، فإذا آنس من نفسه علما كافيا ، وملكة يتمكن بها من إفادة غيره ، استأذن أساتذته وجلس الى التدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه على الطلبة . فكانوا إذا لم يجدوا فيه الكفاية للإفادة انفضوا عنه ، وإذا وجدوه على علم التفوا حوله واستمروا على تلقى العلم عنه ، وحينئذ يحيزه شيخ الأزهر نهائيا .

ولما كان أساس التعليم فيه تعليما دينيا ، ابتداء على الطريقة التي كان السلف الصالح يدرسون عابها الدين وعلوم الدين ، فكانت الدروس تعقد به حلقات حلقات ، يتصدر كل حلقة أستاذها ، وقد يجلس على كرسي ليتكلم من إسماع طلبته الكثيرين . وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هي الطريقة الإيملائية : يعلى الأستاذ على الطلبة ما يريد من المسائل العلمية .

وبعد أن كثرت تأليف الكتب ، وتيسرت وسائل النشر ، عمدوا الى دراسة الكتب وتفهم أغراض المؤلفين ومقاصدهم . وكانت الكتب إذ ذاك بعضها من الموسوعات التي هي في غنى عن الشرح والتعاليق ، وبعضها موجز يشتمل على خلاصات العلوم ، وهذه قد يوضع لها أحيانا شروح ، وقد يكون للشروح تعليقات تسمى بالحواشي والتقارير .

وكان عماد الدراسة إذ ذاك المناقشة والحوار بين الطلبة وأستاذهم ، مما يثقف العقل وينمي ملكة الفهم .

وظلوا على ذلك مدة طويلة الى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصة للأزهر وطلبتة وعلمائه ، وللدراسة فيه .

### ما كان يدرس في الأزهر من العلوم والفنون قديما

في سنة ١٢٨٢ هجرية ، أرادت الحكومة المصرية أن تقف على العلوم التي تدرس في الأزهر الشريف لتبعث بذلك الى لجنة معرض باريس ، فأفادتها المشيخة بأنه يدرس في الأزهر :

الفقه ، الأصول ، التفسير ، الحديث رواية ودراية ، التوحيد ، النحو ، الصرف المعاني ، البيان ، البديع ، متن اللغة ، الوضع ، العروض والقافية ، الحكمة الفلسفية ، التصوف ، المنطق ، الحساب ، الجبر والمقابلة ، الفلك ، الهيئة .

ثم قالت : « هذه هي العلوم المتداولة في الأزهر ، يقرأها العلماء لطلبتهم بحسب مراتبهم ، وما عداها كالمهندسة والطبيعة والموسيقى والتاريخ وغيرها يقرءونها ان لهم اقتدار على تناولها ، إلا أن المشتغل بها قليل لعدم رغبة الطلبة فيها » .

وقد كان من العلماء من يعرف كثيرا من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية ، وهؤلاء لا يحصون ، نذكر منهم على سبيل المثال :

الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٢ هجرية ، فقد جاء في سند إجازته ما ملخصه : أنه تلقى في الأزهر العلوم الآتية ، وله تأليف في كثير منها ، وهي : الحساب ، والمليقات ، والجبر والمقابلة ، والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها ، وعلم الأسطرلاب ، والزيج ، والمهندسة ، والهيئة ، وعلم الأرتماطيقى ، وعلم المزاوِل ، وعلم الأعمال الرصدية ، وعلم المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ، وعلاج لسع العقرب ، وتاريخ العرب والعجم .

## قوانين الأزهر

لم يكن للأزهر قانون يقيد الدراسة بنظام معين كما سبقت الإشارة إليه .  
ولما كثرت الطلاب وتقدمت الدراسة وتنوعت العلوم واتسع نطاق الأزهر ،  
مست الحاجة الى سن قوانين وأنظمة لضبط ذلك .

وأول قانون للأزهر وضع في عهد المغفور له اسماعيل باشا والى مصر الأسبق  
سنة ١٢٨٨ هجرية (سنة ١٨٧٢ م) وكان شيخ الأزهر وقتئذ الشيخ محمد العباسي المهدي .  
وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية ، وبين مواد امتحانها ، وقسم  
الناجحين فيها الى ثلاث درجات (أولى - ثانية - وثالثة) على أن يصدر بذلك براءة  
بتوقيع ولي الأمر .

وما زال الأزهر محل رعاية الحكام وأولى الأمر في مصر يتعهدونه بسن القوانين  
والأنظمة التي لها الشأن العظيم في سير الدراسة به ، حتى صدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١  
فانتقل به الأزهر الى مرحلة أخرى من النظام ، إذ زيدت فيه مواد الدراسة ،  
وبين اختصاص شيخ الجامع الأزهر ، وأنشئ له مجلس تحت رئاسة شيخه يسمى (مجلس  
الأزهر الأعلى) ووضع فيه نظام لهيئة كبار العلماء ، وجعل لكل مذهب من المذاهب  
الأربعة شيخ ، ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة .

ولما كان هذا القانون لا يؤدي كل الغرض المطلوب منه ، فقد لحقه كثير من  
التعديل في مواد الدراسة ونظام التعليم وأنواع الشهادات وغير ذلك مما رفع شأن التعليم  
في الأزهر وجعل له منزلة سامية .

وقد تم كل هذا التعديل في عهد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم  
(فؤاد الأول) حفظه الله .

واستمر الأزهر خاضعا لهذا القانون ، مع ما أدخل عليه من التعديل ، الى أن اقتضت إرادة جلالة مولانا الملك إعادة النظر في قوانين الأزهر ليكون على نظام يكفل للطلاب أن ينالوا قسطا عظيما من الثقافة العامة ، بما لا يتعارض مع صبغة الأزهر الدينية والعربية ، ويؤهلهم للقيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها ، وعلى تعلم اللغة العربية ونشرها على وجه يفيد الأمة ، ويعدم لتعايم هذه العلوم في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة وتولى الوظائف الشرعية في الدولة ، فكان ما أرادته جلالاته ، ووضع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ .

## القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠

جعل هذا القانون التعليم في الأزهر أربع مراحل :

١ — ابتدائي ومدته أربع سنوات ، ويدرس فيه من المواد ما يلي :

الفقه ، الأخلاق الدينية ، التجويد ، استذكار القرآن الكريم ، التوحيد ، السيرة النبوية ، المطالعة والمحفوظات ، الإنشاء ، النحو ، الصرف ، الإملاء ، الخط ، التاريخ ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم .

٢ — ثانوي ومدته خمس سنوات . ويدرس فيه من المواد ما يلي :

الفقه ، التفسير ، الحديث ، التوحيد ، استذكار القرآن الكريم ، النحو ، الصرف ، البلاغة ( البيان والبديع والمعاني ) ، العروض والقافية ، المطالعة والمحفوظات ، الإنشاء ، أدب اللغة ، الرياضة ( الحساب والهندسة والجبر ) ، العلوم ( الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي ) ، المنطق ، التاريخ ، الجغرافيا ، الأخلاق ، التربية الوطنية .



٣ - عالٍ ومدته أربع سنوات ، وينقسم الى ثلاث كليات :

( أ ) كلية اللغة العربية . ويدرس فيها من المواد ما يلي :

النحو ، الوضع ، الصرف ، المنطق ، علوم البلاغة ، الآداب العربية وتاريخها ، تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية ، التفسير ، الحديث ، الأصول ، الإنشاء ، فقه اللغة .

( ب ) كلية الشريعة . ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التفسير ، الحديث متنا ورجالا ومصطلحا ، أصول الفقه ، تاريخ التشريع الإسلامي ، الفقه مع مقارنة المذاهب في المسائل الكلية وحكمة التشريع ، أدب اللغة العربية ، علوم البلاغة ، المنطق .

( ج ) كلية أصول الدين . ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التوحيد مع إبراد الحجج ودفع الشبه خصوصا الذائع في العصر منها ، المنطق والمناظرة ، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، الأخلاق ، التفسير ، الحديث ، آداب اللغة العربية وتاريخها ، تاريخ الإسلام ، علم النفس ، علوم البلاغة .

٤ - التخصص وهو على نوعين : تخصص في المهنة ؛ وتخصص في المادة .

والغرض من التخصص في المهنة ، هو إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والإرشاد ، أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية ، والإفتاء والحاماة ، أو التدريس في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة .

والغرض من التخصص في المادة : إعداد علماء متفوقين في العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاث .

ويعين حاملو شهادة هذا القسم في وظائف التدريس بالكليات وبأقسام التخصص.  
وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر  
فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية، وكذلك أفراد الجمهور للتوسع في دراسة  
اللغة العربية والعلوم الدينية.

### الشهادات

والشهادات التي تعطى للناجحين في الامتحانات النهائية هي :

#### ١ - الشهادة الابتدائية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الابتدائي، وتحويل صاحبها الاندماج في القسم الثانوي  
للقسم الأول.

#### ٢ - الشهادة الثانوية للقسم الأول :

تمنح لمن أتموا دراسة السنوات الأولى والثانية والثالثة من القسم الثانوي، وتحويل  
صاحبها الاندماج في القسم الثانوي للقسم الثاني.

#### ٣ - الشهادة الثانوية للقسم الثاني :

تمنح لمن أتموا دراسة السنتين الرابعة والخامسة من القسم الثانوي وتحويل صاحبها  
الاندماج في الكليات.

#### ٤ - الشهادة العالية :

تمنح لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالي. والحائزون لها يكونون  
أهلاً للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والمجاس  
الحسبية والأوقاف والتدريس في المساجد ولوظائف الخطابة والإمامة والمأذونية.

## ٥ - شهادة العالمية :

تمنح لمن أتموا دراسة التخصص في مهنة التدريس أو القضاء الشرعي أو الوعظ والإرشاد . والحائزون لها من قسم التخصص في مهنة التدريس يكونون أهلاً للتدريس في المعاهد الدينية وفي مدارس الحكومة . والحائزون لها من قسم التخصص في القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والإفتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية . والحائزون لها من قسم التخصص في الوعظ والإرشاد يكونون أهلاً للوظائف الوعظ والإرشاد .

## ٦ - شهادة العالمية مع لقب أستاذ :

تمنح لمن تخصص في مادة من المواد . والحائزون لها يكونون أهلاً للتدريس في الكليات وفي أقسام التخصص .

## مجلس الأزهر الأعلى

قضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر في اللوائح والقوانين التي تليها لسيير الدراسة والإدارة وغيرها في الأزهر والمعاهد الدينية ، وتسمى تلك الهيئة ( مجلس الأزهر الأعلى ) وهو يؤلف من :

- ( ١ ) شيخ الجامع الأزهر .
- ( ٢ ) وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، وله رئاسة المجلس عند غياب شيخ الجامع الأزهر .
- ( ٣ ) مفتي الديار المصرية .
- ( ٤ ) مشايخ الكليات الثلاث .

- (٥) وكيل وزارة الحفانية .  
 (٦) وكيل وزارة الأوقاف .  
 (٧) وكيل وزارة المعارف العمومية .  
 (٨) وكيل وزارة المالية .  
 (٩) اثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكي لمدة سنتين .  
 (١٠) اثنين ممن يكون في وجودهم بالمجلس مصالحة للتعليم في الأزهر والمعاهد الدينية ، ويعينان بمرسوم لمدة سنتين .

### المعاهد الدينية التابعة للأزهر

أطلق اسم الجامع الأزهر في القانون على كليات التعليم العالي ، وعلى أقسام التخصص .

ويطلق اسم المعاهد الدينية على معاهد التعليم الديني الإسلامي التي يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب في دينهم وفي اللغة العربية وإعدادهم لدخول الجامع الأزهر . والتعليم في هذه المعاهد : ابتدائي . أو ابتدائي وثانوي . والمعاهد الدينية الآن هي :

- ١ — المعهد الأزهرى بالقاهرة ... .. ابتدائي وثانوي
- ٢ — معهد الاسكندرية ... .. »
- ٣ — » طنطا ... .. »
- ٤ — » الزقازيق ... .. »

- ٥ - معهد أسيوط ... ... ... ابتدائي وثانوي
- ٦ - » دسوق ... ... ... ابتدائي
- ٧ - » دمياط ... ... ... »

### أجناس طلبة الأزهر والمعاهد الدينية

تتكون طلبة الأزهر والمعاهد الدينية من المصريين والغرباء الذين يفدون اليه لطلب العلم بعد ما ذاع صيته واشتهر أمره في جميع الأقطار الاسلامية .

ففيه من بلاد طراباس وتونس والجزائر ومراكش والسودان والحبشة والصومال وبرنو وجنوب إفريقية والشام والعراق والحجاز ونجد واليمن وجاوة والهند والصين وروسيا والقوقاز والأناضول والكردستان وأفغان وتركيا وألبانيا وبوغوسلافيا وبولونيا وبلغاريا وأمريكا .

### دور الكتب الأزهرية

كانت أروقة الجامع الأزهر غاصة بالكتب العقلية والنقلية المخطوطة والمطبوعة الكثيرة الوجود والنادرة المثال .

ثم رُئى في سنة ١٣١٤ هجرية ( ١٨٩٧ م ) إنشاء دار كتب عامة تسمى ( دار الكتب الأزهرية ) وأعد لها مدرستا الاقبةاوية والطبرسية ، وجمع فيها كثير مما تفرق في الأروقة من الكتب ومن هبات المحسنين ، ومما اشترى من بعض الوقفيات المحبوسة على شراء الكتب .

وفي هذه الدار الآن ما يزيد على ستين ألف مجلد يبلغ عدد المخطوط منها نحو خمسة عشر ألفاً، وفيها كثير من أمهات الكتب ونادرها .

وليس الانتفاع بهذه الدار مقصوراً على الأزهرين ، بل إن كثيراً من أهل العلم والأدب يختلفون إليها وينتفعون بما جمعت من الكتب العلمية في مختلف الفنون .

وتحقيقاً للرغبة الملكية السامية في ترقية هذه الدار وتنظيمها ، انتدبت رئاسة الأزهر بعض الموظفين الإخصائيين في نظام دور الكتب لتنظيمها على أحدث طراز ، وقد جعل لكل كلية من الكليات الثلاث مكتبة أودع فيها الكتب اللازمة للكلية ؛ ولها موظف خاص يقوم على شئونها ، ولا يزال في بعض أروقة الأزهر بعض خزانات خاصة تحتوى كتباً خاصة لسكان هذه الأروقة .

## الظرف والمِلح

قال بعض رواة الأدب :

وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ لم تَجُجْ أذناه كلامي ، وقدم معاذة من سوء مقامى ، فإن البلاد مُجْدَبَةٌ ، والحال مُسْعِبَةٌ ، والحياء زاجرٌ يمنع من كلامكم ، والفقر عاذرٌ يدعو الى إخباركم ، والدعاء أحدُ الصَّدَقَتَيْنِ ، فرحم الله امرأ أمر بَيْرٌ ، أو دعا بخير ؛ فقلت : ممن أنت يرحمك الله ؟ فقال : اللهم غفراً ، سوءُ الاكتساب ، يمنع من الانتساب .

## الاسلام في السودان<sup>(١)</sup>

رأينا في الجزءين الأخيرين من هذه المجلة درجة انتشار الإسلام في الأقطار المختلفة من البلاد السودانية ، وبيّنا أن الأسباب الاجتماعية كانت أول وأهم العوامل في اتساع نطاق نفوذه وأكبر مساعد في انتشار تعاليمه<sup>(٢)</sup> . كما اتضح لنا كيف مهدت الغزوات والفتوحات الإسلامية السبل لاختلاط المسلمين بأهالي تلك الأقاليم الوثنيين وسهّلت على هؤلاء تعرف حضارة ومدنية جديدة توافق طرق معيشتهم ، وديانة سهلة واضحة تسيغها فطرتهم . كما ظهر لنا أيضا أن الدعاية الدينية للإسلام في هذه البلاد لم تكن في أي وقت من الأوقات منظمة أو كافية حتى يرحى منها فائدة كبيرة .

على أنه وإن تبادر الى ذهننا مما سبق ذكره أن دخول السودانيين في الإسلام كان لمجرد رغبة منهم في تحسين حالتهم الاجتماعية والمعيشية وطمعا في إزالة الفوارق السياسية الدينية ، فما يجدر بنا ذكره في هذا المقام أن زواج أفريقية الوثنيين وأوا في قواعد الديانة الإسلامية وتعاليمها أهم أسباب تقدم المسلمين وتفوقهم عليهم في مناحى

---

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن مقال للاستاذ « ديدريش ويستمان » في مجلة « العالم الاسلامى » الألمانية . (٢) هذا رأى صاحب المقال في سبب انتشار الاسلام في زواج أفريقية . وقد يكون هذا الرأى مقبولا حين يجعل السلام في اسلام فئة من الناس خيم عليهم الجهل والتأخر المدني وانحطاط المدارك أزمنة متطاولة . أما إذا رجعنا الى أسباب انتشار الاسلام انتشارا عالميا بين أمم متنوعة أخذت قسطا عظيما من الرق الفكرى والعلوم الكونية فان السبب حينئذ يرجع الى ما جاء به الاسلام من عقيدة صحيحة الفهم سائقة عند الفكر متينة البراهين ساطعة الحجج لا يزيدها التعمق في البحث إلا قوة ولا تزاد مع اتساع العلم والاستكشاف إلا جلاء ونورا . يعرف ذلك من درس بامعان العقيدة الاسلامية وردها الى براهينها القوية المتينة وكان نظره لتلمس الحق في ذاته لا يدفعه تعصب ممقوت ولا يبيغى بالصواب بدلا .

الحياة المختلفة ، فبدأ يتضح لهم قوة إله المسلمين وقدرته ، وليس أيسر على الوثني من تغيير عبادته ، فكثيرا ما بدلت قبائل منهم آلهتهم بمجرد ظهور إله أقوى في القبائل المتناخضة ، وهكذا تركوا معبوداتهم القديمة ودخلوا في دين الله ، حيث يرجون الخير والنفع الكبير في الدنيا والآخرة ، خصوصا وأنهم كانوا لا تربطهم بآلهتهم روابط قوية ، فكثيرا ما هجروها أو حطموها لسخطهم عليها إذا لم تستطع نفعهم وعجزت عن قضاء حوائجهم أو قصرت في درء الشر عنهم .

هذا علاوة على ارتباطها الوثيق بمحل إقامتها ، فلا يستطيع أحد من القيام بشعائره الدينية أو تقديم القرбан والضحايا لها إلا في مكان نصبها ، وكثيرا ما كانت تضطرم حاجتهم المعاشية للهجرة عن مواطنهم شهورا وأعواما طويلة ، خصوصا بعد الاحتلال الأجنبي الذي أخرجهم عن عزلتهم وفتح أمامهم طرقا مختلفة جديدة للسعي وراء الرزق ، فكان ذلك سببا في نسيانها وإغفال أمرها واحتقار شأنها .

ولا يمكن للزنجي أن يعيش طويلا بلا ديانة ، فحياته الروحية دأمة التعتش الى التعبد ، إلا إذا استثنينا بعض الأحوال التي يموت فيها هذا الإحساس الغريزي باحتسائه في المعاملة بالأوروبيين اللادينيين . لذلك فأننا نجده يسعى حثيثا للانضمام الى الدين الأكثر شيوعا بين الأهالي والمساوق لفطرته ، وهو الاسلام . هذا إن هو لم يقتصر على التلهي بالقيام ببعض الشعوذة الدينية ، وهذا في النادر جدا في مثل هذه الظروف .

فدخول الأفريقي في الدين الاسلامي ليس هو مجرد رغبة في تحسين حالته الاجتماعية والمعاشية ، أو رهبة من قيود الرق والاستعباد فحسب كما قد يتطرق الى ذهن القارئ ، لأول وهلة ، بل إنه إنما يفعل ذلك لأنه شديد الرغبة في الوصول الى كشف حقيقة العالم ونظمه الخفية والوقوف على سر الحياة والموت ، متطلع دائما الى الاعتراف



بوحداية الإله الحى الذى لا يموت القادر على كل شىء ، فهو متدين بطبيعته وكثير الاهتمام بالمسائل الدينية بفطرته ، فوجد فى الدين الإسلامى ما يطفىء به ظمأه ويشفى به غامته ، فجاءت هذه الديانة محقة لآماله التى ينشدها ، ووافية بأغراضه التى يصبو إليها .

رأى الأفريقى فى الديانة الإسلامية بساطة فى أركان إقامة الصلوات ، وسهولة ويسر فى أداء الشعائر الدينية ، هذا علاوة على ملاءمتها لكل فرد فى كل مكان وزمان ، فكان ذلك كله سببا فى تعلقه بها دون سواها ، وتمسكه بفروضها واتباع تعاليمها ، فبرزت الى ناظره محاسنها ، كما وجد أن الانسان إنما يتعبد ويتقرب بها الى إله تزه عن الأغراض والوسائط الدنيوية ، وقد تمكن بها من تفسير كثير مما شمله الغموض وحامت حوله الشبهات من مسائل الحياة الدنيوية وحياة الآخرة ، كل هذه الأمور أقرب الى ذهنه وأنسب لفطرته من المذاهب المسيحية الملتوية التى تفرق بين الدنيا والدين .

أما من جهة أثر الاسلام فى تلك البلاد النائية المنعزلة عن العالم المتمدين ، فما لا شك فيه أن الاسلام كان سببا فى تحسين كثير من أمور الحياة من وجوه ونواح متعددة ، على أننا لا يمكننا فى كثير من الأحوال أن نعزو التقدم — خصوصا فى الميدان السياسى — الى دخول الاسلام فحسب ، بل إن تيار التطور العالمى الذى اجترف جميع أنحاء المعمورة فى هذا الحين كانت قد وصلت موجاته أيضا الى تلك البقاع ، وأصبح من المتعذر على الباحث كثيرا معرفة أسباب التطور الحقيقية : أهى نتيجة دخول الدين الجديد ، أم أن هذا التقدم والعمران كان نتيجة لا بد واقعة لتيار التطور العالمى ، ولكن على كل حال فإن ظهور هذا التقدم فى الوقت الذى دخل فيه الاسلام مما يحملنا على الاعتقاد أن تلك البلاد مدينة من هذه الناحية العمرانية للاسلام بكثير من الإصلاحات والتقدم الفكرى ولو من طريق غير بعيد .

لم تكن البلاد السودانية تعرف النظم السياسية والاجتماعية في تكوين الأمم قبل دخول الاسلام، فاهتم الفاتحون المسلمون بتنظيمها من هذه الناحية، فنشأت على أيديهم بلاد مستقرة الحكم، ذات سلطة مركزية، وإدارة منظمة، وحدود سياسية وشعب يشعر بالرابطة الوطنية، ونظمت جباية الضرائب والخراج، ووضعت قواعد عادلة للأحكام، فاستتب الأمن، وزاد الرخاء، وأمن الضعيف غائلة القوى.

زاد من ثمرة الإصلاح الذي دخل على يد الفاتحين من المسلمين انتشار اللغة العربية بين الأهالي الوطنيين، حيث كانوا قبل الفتح الإسلامي لا تربطهم رابطة تفاهم، فجمعت اللغة شمل الكثير منهم، فقربت العلاقات، ووطدت عرى الإخاء والتفاهم، وعاونت على تذليل كثير من الصعوبات التي كانت تقوم في وجه الكثير من المصلحين بينهم، فبدأت تقوى هناك روح الحياة التعاونية المشتركة بزوال التعصب بين الأجناس واللغات المختلفة.

تظهر ثمرة الإصلاح والتقدم للناس جاليا عند مقارنة الأقاليم التي انتشر فيها الاسلام بالبقاع الوثنية من الوجهة الاجتماعية والعلمية، فأننا نجد أن انضمامهم الى ديانة عالمية تربطهم من نواح حيوية متعددة بالأقطار الاسلامية المتمدينة، مثل شمال أفريقية ومصر وسوريا وبلاد العرب، مما ساعد على اتساع نطاق تفكيرهم وازدياد الروابط التجارية والعلمية بينهم، بينما تنزوى القبائل الباقية على الوثنية في زوايا النسيان والعزلة التامة، حتى تكاد لا تخرج معاملاتهم وتجارتهم عن طرق التبادل المعروفة في عصور الإنسان الأولية.

يتبع

## تصحيح

ورد في مقال كتاب جديد عن الاسلام للمستشرق الأستاذ كامبفابر المنشور بالعدد العاشر من السنة الثمالة بالمجلة بعض عبارات مخالفة للحقيقة وتوهم معنى غير صحيح ، ولم يتسع ذلك الجزء للتعليق عاها ، ونشير هنا الى تصحيح وإيضاح ما ورد بها .  
فن ذلك قوله : « وقد ناقش أعضاء مجلس النواب في تعديلات بعض جزئيات الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالأوقاف » .

والواقع أنه لم تجر مناقشات بمجلس النواب بتعديل شئ من جزئيات الشريعة الاسلامية لا في الأوقاف ولا في غيرها ، وغاية الأمر أنه حصلت مناقشة في الصحف اليومية بين بعض الكتاب المفكرين في أمر الأوقاف ، وهل هي حكم ديني أو نظام اجتماعي ، وبعد قيام الحجة على أنه من الدين انتهت المناقشة .

وكذلك قوله : « قررت الحكومة البعض الآخر ( بعض التعديلات ) بطريق التشريع كقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ الخاص بإعادة تنظيم الأحكام بالمحاكم الشرعية » .  
وتخصيص ولي الأمر القضاء ببعض الحالات ليس فيه افتيات على الدين ولا خروج على أحكام الشريعة .

وأما رفع سن الزواج الى ١٦ سنة بالنسبة للزوجة و ١٨ بالنسبة للزوج ، فلم يكن حكماً ببطالان هذه العقود إذا حصلت ، وإنما هو محاولة منع الناس عن التعجل بالزواج قبل كمال استعداد الأولاد له ، فأخرجت القضايا المتفرعة على الزواج المتعجل عن اختصاص المحاكم الشرعية ليمتنع الناس عن إجراء هذه العقود .

وورد في مقال « كيف انتشر الاسلام » المنشور في العدد نفسه من كتاب العقيدة والشرعية في الاسلام لمؤلفه جولد تزيهر :

« لايسع أحداً أن ينكر أن أول الأوامر التي فرضت على المسلمين الفاتحين إزاء الأمم المغلوبة والتي كانت تدين بديانات أخرى لم تكن مصبوغة بصبغة التسامح في العهد الأول لا انتشار الشريعة الاسلامية » .

والحقيقة أن التسامح مع أهل الديانات الأخرى من أهل الكتاب موجود في الشريعة الاسلامية وفي العهد الأول لا انتشار الاسلام : عهد نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال تعالى : ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ) وقوله تعالى : ( أَفَأَنْتَ تُسْكِرُ الْنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) وقوله تعالى : ( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ) وقال عليه الصلاة والسلام في أهل الكتاب من يهود ونصارى « لهم مالنا وعليهم ما علينا » .

وجاء خطأ في صفحة ٧٢٧ سطر ٥ من العدد العاشر أيضا :

عمرو بن العاص . والصواب عمر بن الخطاب .

His Majesty then went over to the professor's room and graciously thanked them for their efforts and favoured them with words of encouragement.

He then inspected the College library and the reading room and moved on to the Dean's room where he graciously signed the distinguished visitors' book and listened to a speech of thanks given by the Dean of the College His Eminence Sheikh Mohammed Mamoun Al-Shinnawy on behalf of the faculty, staff and students.

His Majesty then went over to the College of Arabic Language and was shown round the classes.

In the first class, His Majesty attended a lecture given by Professor Sheikh Soliman Nowar on "The connection between sentences and points of union and separation".

In the next class, Professor Doctor Abdul-Wahab Azzam was lecturing on the History of Islam, his subject being "Haroun Al-Rasheid".

A Jugoslav student gave a speech of thanks.

Next came a class of Grammar where Professor Sheikh Mohammed Mohyel-Din was lecturing on the "Mobtada and Khabar" giving for example the verse:

(الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ). (Holy Koran, verse 35, Chap. XXIV).

An Indian student gave a speech of thanks.

His Majesty then attended a class of pedagogy where Professor Mohammed Al-Makhzangy was lecturing on "Dalton's system of education".

A Syrian student gave a speech of thanks.

In the next class, Professor Mohammed Mahdi Allam was lecturing on hygiene, the subject being "The heart and its function in relation to the other parts of the body". The Professor aptly remarked that it occupies the same position in relation to them as that of the king.

An Egyptian student gave a speech of thanks.

His Majesty then inspected the College library and reading room. In the Dean's room, His Eminence Sheikh Ibrahim Hamroush gave a speech of thanks on behalf of the faculty, staff and students.

His Majesty then went over to the marquee especially erected for his reception where His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University delivered a speech and the Royal visit was concluded.

## INAUGURATION OF THE COLLEGES OF MOHAMMEDAN LAW AND ARABIC LANGUAGE.

---

Next day (Wednesday the 3rd. of Zul-Hidja, 1351 A.H., 29th. March, 1933), His Majesty drove to the Colleges of Mohammedan Law and Arabic Language where His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University, Their excellencies the Cabinet Ministers, their Honour the Grand Ulema and the chief dignitaries of the State were waiting for his reception.

At 11 a.m., His Majesty arrived and his arrival evoked loud cheers from the crowds lining the road and was hailed with applause from all those present.

His Majesty was directly shown round the class rooms. In the first class Professor Sheikh Al-Husaini Sultan was lecturing on the History of Islamic jurisprudence. After attending a part of the lecture, His Majesty moved on to the next class where Professor Sheikh Mahmoud Arafa sub-dean of the College, was lecturing on the interpretation of the Koranic verse:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.)  
(Holy Koran, Verse 58, Chap. IV.)

A student from Palestine gave a short speech of greeting and alluded in course thereof to the gratitude of Eastern countries for His Majesty's favours on the Moslem world.

In the next class, Professor Sheikh Abdul-Salam Sharaf was lecturing on Mohammedan Law, the subject being "Wakf in Islam, its place in the Law and confirmation from the Koran and the Sunnah (usage)."

A Javanese student gave a speech on behalf of his colleagues.

His Majesty then attended a lecture on literature given by Professor Sheikh Abdullah Afifi who greeted His Majesty with a masterly poem of his own composition.

A Circassian student gave a speech of thanks.

In the next class, His Majesty attended a lecture on Tradition given by Professor Sheikh Abdullah Moussa, the subject being "Traditionists and Abdullah Ibn Amrou Ibn Al-Ass."

and Defender of the Faith. Missions from China, Poland, Albania, India etc. began to arrive in succession to Al-Azhar in quest of knowledge; and great universities began to get in touch with it, the last being the University of Granada whose invitation to the ceremony of the fourth centenary of its foundation, was accepted by Al-Azhar.

Your Majesty have greatly augmented your favours by graciously deigning to visit the Colleges for the official inauguration. It is an auspicious sign that this Royal visit should take place in the interval between two great festivals, Your Majesty's Birthday and that of Eid-ul-Adha.

And this, Your Majesty, is the College of Principles of Religion whose object is the training of preachers and spiritual teachers and to fulfil the Lord's words:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . (Holy Koran, Verse 104, Chap. III.)

For if preaching and spiritual edification are properly conducted, they would prove the right source of salvation in this world and the hereafter and would help to solve the knotty problems of life and reduce crime to a minimum.

In this College, professors of Divinity exegesis and Tradition have joined with those of psychology, philosophy, history and natural sciences and they co-operate together to train and fit the students to discharge the duty of preaching and spiritual edification in the best manner suited to the needs of present time.

The Azharites fail indeed to express the thanks due to Your Majesty in return of those successive favours showered on them and they pray the Almighty Allah with loyal and faithful hearts that He may long spare Your Majesty for Islam and the Moslems and bless His Royal Highness Prince Farouk. Amen.

---

The subjects of study in the Colleges were augmented by: History of Islamic Jurisprudence, Comparative study of rites, Scientific study of Tradition, Arabic Literature and History, Philology, History of Moslem Countries, Psychology, Philosophy and the refutation of anti-religious conceptions and other subjects which were not given in the Higher Section of Al-Azhar.

Seeing that specialisation in sciences is the only productive system which the Ulema of Islam adopted at the beginning of the Islamic era, and as the development and progress of sciences in olden and modern times is directly due to specialisation, this Law has provided for the establishment of specialisation sections in the more important subjects studied at the Colleges for further extensive study. It has also decreed that graduates of these sections should be granted the Alimieh Certificate with the title of Ostaz (Master) and that they should be eligible for nomination to the professorship of the Colleges.

This Law has also provided for the establishment of specialisation sections in teaching, Mohammedan Law, preaching and spiritual edification, the graduates of these sections to be eligible for nomination to the teaching posts in Government schools and Religious Institutes and to the states sharie and religious posts.

In fulfilment of your wishes, Your Majesty's Government has decreed the construction of large buildings in the vicinity of Al-Azhar to house the Colleges, the Specialisation Sections, the Al-Azhar Institute, as well as a large library, lecture rooms, students' hostels, infirmary and other buildings for the Rectory of Al-Azhar and its Supreme Council.

Pending the construction of these buildings, temporary places have been arranged through the help of both Ministries of Education and Wakfs (Pious Foundations). The College of Principles of Religion is housed in this building and the Colleges of Mohammedan Law and Arabic Language are given the building occupied before by the School of "Al-Qada Al-Sharie."

Your Royal attention was not confined to the stages of regular education, but was also directed to public religious instruction which provides a more extensive study of Religion and the Arabic Language and aims at the dissemination of high morals and noble ideals among all classes of the people. The Law has provided for the establishment of public sections for this purpose at Cairo and other towns.

But though the Colleges of Al-Azhar will be housed in separate buildings in the Al-Azhar quarter and adjacent to it, Al-Azhar itself will continue to provide various studies and will be open to all Moslems of all nationalities. It will not be confined to the performance of prayers.

The promulgation of this Law and the publication of news regarding it, have made a most favourable impression on the minds of the Moslems of all countries who rightly acclaimed Your Majesty the Patron of Learning



ADDRESS OF HIS EMINENCE THE GRAND SHEIKH MOHAMMAD  
AL-AHMADI AL-ZAWAHRY, RECTOR OF AL-AZHAR UNIVERSITY  
TO  
HIS MAJESTY THE KING.

---

Your Majesty,

Praise be to Almighty Allah for the blessing of Your Majesty's accession to the throne of Egypt. Your Majesty have regenerated its glory, realised its aspirations and contributed to the development of all its activities. The Al-Azhar University has equally engaged Your Majesty's attention and has been the favoured recipient of a good deal of Your Royal interest.

This interest, Your Majesty, is nothing short than the interest in Islam and Moslems wherever they may be, for Al-Azhar is the throbbing heart of Islam, its radiant light-beacon which has, for successive centuries and generations, shed the light of faith, piety and high morals on the furthest corner of the earth. It is the Kaaba of religious and Arabic sciences to which Islamic missions from all the continents repair to acquaint themselves with Religion and the language of the Holy Koran, spreading this knowledge among their people on their return home.

Over and above those countless favours, the greatest manifestation of this Royal interest was Your Majesty's directions for the reorganisation of Al-Azhar in such a manner as to fulfil the expectations of the Moslems and be compatible with its glorious history and traditions. Also to fit its graduates for the right discharge of their duty and to render them active members in the Islamic and universal fraternity of learning, and thoroughly acquainted with the trend and exigencies of life so that they may be able, through the progress of arts and science, to bring to light those facts of which the Holy Koran and Tradition have spoken over thirteen centuries ago, long before men had an inkling of them.

Providence has always pleased to crown Your Majesty's efforts with success, for thus have Your Majesty promulgated the Law No. 49 of 1930, which fully realised those great ends and at the same time, maintained the religious and Arabic character of Al-Azhar.

Among the great advantages of this Law, are the establishment of the Colleges of Principles of Religion, Mohammedan Law and Arabic Language, the free admission to all Moslems of all nationalities and the amendment of deficiencies detected in the preceding laws in the subjects to study in its different stages.

In the second class, His Majesty attended a lecture on Exegesis given by Professor Sheikh Sayyed Qinawy, the subject being the interpretation of the Koranic verse:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ) (Holy Koran, verse 104 Chap. III).

His Majesty then moved on to the third class where Professor Sheikh Amin Al-Khouly was lecturing on philosophy and its relation to religion.

In the next class, His Majesty attended a history lecture given by Professor Mohammad Habib, the subject being "The works of Mohammad Aly, the head of the reigning dynasty of Egypt, and the religious and social state of the country in his time" quoting the opinions of Western historians of him.

Next, His Majesty attended a class of psychology where Professor Mazhar Said was lecturing on "The instinct of imitation in man and its effect on upbringing". The Professor pointed out that this theory was expounded by the Arabs in their works on sociology and that the credit of its exposition is not at all due to the Westerners as claimed by some of them.

The Specialisation Sections came next and His Majesty attended a lecture on Tradition given by Professor Sheikh Mohammad Al-Ezaby Rizq, the subject being "The merits of the just Khalif (ruler)". A Javanese student gave a short speech of thanks and greetings on behalf of his colleagues.

In the next class, His Majesty attended a lecture on logic given by Professor Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, the subject being "The use of logic and the need of man to it in thought process."

His Majesty then attended the class of preaching and spiritual edification where Professor Sheikh Ali Mahfouz was lecturing on "Guidance of the Koran to salvation in this life and the next."

After having thus attended the different classes of the College, His Majesty went over to the professors' room where He was received by the faculty. His Majesty graciously expressed his appreciation of the efforts and favoured them with words of encouragement.

His Majesty then inspected the College library and graciously signed the distinguished visitors' book. In the Dean's room, he listened to a speech of thanks given by His Eminence Sheikh Abdul-Majied Al-Labban Dean of the College on behalf of the faculty, staff and students.

His Majesty then went over to the marquee especially erected for his reception where a distinguished company of guests were waiting to receive him. There, His Eminence the Grand Sheikh Rector of Al-Azhar University, delivered the following address:

With this object in view, His Majesty has graciously ordered the enactment of new laws and the modification of the curricula. New subjects were added and the scope of study extended further afield. The students of the Higher sections were assigned certain subjects to specialise therein. These developments, ultimately resulted in the adoption of the best possible régime to which investigation and experience have lead, and Law No. 49 of 1930 relating to the reorganisation of Al-Azhar was promulgated and put in force at the beginning of 1931.

When this new régime was put to practice which revealed the legislation in its best practical form, His Majesty announced his royal wish to visit the three Colleges and the Specialisation Sections affiliated thereto, in order to see for himself the fruits of those successful efforts.

Tuesday the 2nd of Zul-Hidja, 1531 A.H. (28th of March 1933), was consequently fixed for the inaugural visit to the College of Principles of Religion and the Specialisation Sections affiliated thereto viz: Section of Exegesis and Tradition, Section of Monotheistic Divinity and Logic and Section of Preaching and Spiritual Edification.

Wednesday the 3rd of Zul-Hidja, 1531 A.H. (29th of March, 1933), was fixed for the inaugural visit to the College of Mohammedan Law and the Specialisation Section of Mohammedan Law in accordance with the recognised rites and the principles of Mohammedan Law. The same day was also fixed for the inaugural visit to the College of Arabic Language and the Specialisation Sections affiliated thereto viz: Section of Grammar (Nahw) and Morphology (Sarf), Section of Rhetoric and Literature and Section of History, Logic and Psychology.

When the set time for the Royal visit arrived, the inhabitants of Shoubra quarter in which the College of Principles of Religion is situated, crowded on both sides of the road and were elated at the prospect of seeing their King whose patronage of Al-Azhar and favours to men of learning and religion have touched a vital chord in their hearts.

His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University, Their Honour the Grand Ulema, Their excellencies the Cabinet Ministers and the Chief dignitaries of the State were all waiting to receive His Majesty at the College entrance.

As the Royal procession came along, the place echoed with applause and ovation. His Majesty arrived at 11 a.m. and was directly shown round the College class rooms. The first class His Majesty attended, was a lecture on Divinity given by the Professor Sheikh Mahmoud Abou Daqqa, the subject being "The need of man to the mission of Prophets". His Majesty listened to a good part of the lecture and a student gave a short speech of greetings on behalf of his colleagues.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## OFFICIAL INAUGURATION OF THE THREE COLLEGES OF AL-AZHAR UNIVERSITY

BY

HIS MAJESTY FOUAD I, KING OF EGYPT.

---

It is a great blessing to this country that Providence has favoured it with a benevolent king who rightly merits the commendation of history and the gratitude of present and future generations. Added to his devoutness and religious fervour, His Majesty has been endowed with great intellect, foresight and zeal, all of which combined to give rise to a great revival which embraced all the activities of the Egyptian people.

Seeing that the progress of nations, unless it is firmly established on a sound basis of religion and safeguarded with morality and thorough education, will be liable to serious errors and set-backs, His Majesty has turned his attentions to the educational institutions of Egypt. He has found in Al-Azhar University the stronghold of the Faith and the fountain-head of true religious education which sheds its light all over the Moslem world, a prevelige which Moslem nations accede only to Al-Azhar and is amply testified to by sending their sons in ever increasing numbers to pursue their studies at that University.

In view of all these considerations, His Majesty has given Al-Azhar a great share of his attention in order to effect its further advancement and enlarge the scope of subjects studied in it, so that it may satisfactorily accomplish the great mission expected from it to the interest of Egypt and the Moslem world.

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ نَاصِرَ لُطُوفٍ وَسُوءَ لُطُوفٍ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

# بَيْتُ الْأَزْهَرِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكومية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غمرة كل شهر عربي

المجلد الرابع

صفر سنة ١٣٥٢

الجزء الثاني

رئيس التحرير  
المسيد

محمد أنصاري

من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد العزيز محمد بك

المستشار بمحكمة الاستئناف  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الاشتراك

الإدارة

- داخل القطر المصري ... ٤٠  
خارج القطر المصري ... ٥٠  
للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد { داخل القطر ٢٠  
والمساذنين ومعلمي المدارس { خارج القطر ٣٠  
الاولية والطلاب ...

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

من الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٩٣٣ - ١٣٥٢ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الرسالة صلى الله عليه وسلم - والتسامح

التسامح معنى فى النفس يرجع الى طائفة من الأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة ،  
أوهو مظهرها وأثر من أعظم آثارها ، وثمره جليلة من أعز ثمارها ، منها الحلم ، والصبر  
والاحتمال ، وسعة الصدر ، والعفو عند المقدرة ، والتواضع ؛ ومنها السخاء ، والجود ،  
والعفة ، وضبط النفس . وهذه الصفات على تقارب معنى بعضها من بعض ، قد فرق  
بينها علماء الأخلاق فروقا ليس المقام متسعا لشرحها ، على أن معانيها فى الجملة غير خفية .

والتسامح على اتصاله بهذه المجموعة العظيمة من الأخلاق الكريمة ، من أئمن  
الصفات الحميدة أثرا ، وأجزؤها فائدة ، وأعودها بالخير على المجموع . يؤلف القلوب  
المتنافرة ، ويقرب النفوس المتباعدة ، ويهدى الأرواح الجالحة ؛ فرب كلمة طيبة فضت  
مشا كل وحلت عقدا متعاصية الحل ؛ ورب تسامح فى أمر قليل ، حفظ من الوقوع  
فى خطر كبير وخطب جليل .

واقدر كان صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا فى هذا الخلق الكريم ، سواء  
فى معاملته الفردية أو فى مواقفه الخطيرة الاجتماعية ، ما لم تكن الحكمة السديدة  
فى المعاملة الشديدة ، بل قد تجلى ذلك فيما أوحى الله به إليه من أحكام التشريع الذى جاء به  
رحمة للناس أجمعين . فاختير صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن  
إثما ؛ وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله فيغضب الله أن تنتهك

حرمته ؛ وما عالج أمرا من الأمور الحيوية بشيء من الشدة إلا إذا تعينت واستحكم العناد والاباء في نفوس من يعاندونه ويأبون قبول المصالحة لأنفسهم ، أمثال أولئك الأغبياء الذين قالوا فيما قالوا : ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) بدل أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه الصراط المستقيم .

وإن استقصاء مظاهر التسامح منه صلى الله عليه وسلم لا يكاد يتيسر لي في هذه العجالة ، إلا أن هذا لا يمنع من الإلمام بما يحضرني الآن من روائع الشواهد التي تعتبر للمثل الأعلى في هذا الباب ، بل يصح أن تكون مضرب الأمثال .

فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم في أول أمره حين اشتد أذى قريش له ، عرض نفسه على القبائل ليحجيه أحد منهم ، فكان بعضهم يردّ دجاجيلا ، وبعضهم يغالظ في الرد ؛ ووصل الأمر بسفهاء بعض القبائل أن أتبعوا الرد بإغراء صبيانهم به عليه الصلاة والسلام فأدموا قدمه الشريف برمية حجر ، فما زاد صلى الله عليه وسلم على قوله : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » أو « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » وروى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد حين كسرت ربايته صلى الله عليه وسلم ، وأدميت وجنته بدخول حلقة المنفر فيها .

فانظر الى وقت اشتد فيه البأس وحى وطيس الحرب ، والنفوس عادة تستجمع أقوى ما عندها من غضب لتستعين به على حفز قواها المناهضة خصمها ، ويزيد في ذلك ما تتحرك به القوة الغضبية حين وصول الأذى ، انظر مع هذا كله تطيب نفسه ، فبدل أن يسكت عنهم أو يدعو عليهم ، يدعو لهم بالمغفرة أو بالهداية على اختلاف الروايتين . والدعاء لهم إنما يصدر عن وفور الشفقة ، ويسند تلك الشفقة بأنهم قومه ؛ والالتفات الى هذا إنما يكون عادة من الوسيط بين المتخاصمين لامن أحدهما بالنسبة الى الآخر ، ثم يعتذر عن فظيع عملهم ومقابلتهم دعوته الى سعادتهم بمهاجته ومقاتلته ، يعتذر عنهم بأنهم لا يعلمون ، والجاهل ينبغي أن يقبل منه العذر .



وانظر الى ما روى في صلح الحديبية حين قدم صلى الله عليه وسلم مكة للنسك لا للحرب ، والكعبة بيت الله الحرام لا يصد عنه ناسك ، وقد ظهرت أمارات قدومهم للنسك لا للحرب ، فأبوا عليه وصدوه عن بيت الله ، فلما اقتنعوا بنيته تمادوا في إياهم وقالوا : « وليكن نسككم في عام قابل » واتخذت هذه الواقعة فرصة مناسبة لعقد صلح بينه وبين المشركين على شروط اشتط فيها المشركون حتى قالوا : « من ذهب منا اليكم فعليكم أن تردوه لنا ومن جاء إلينا منكم فليس علينا رده » فتذمر المسلمون لهذا الشرط ، فرضاهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن من ذهب منا إليهم فلا رده الله ، ثقة بأنه لا يذهب إليهم أحد من المسلمين مرتدا ، ومن جاء منهم إلينا ورددناه فسيجعل الله له فرجا . وقد كان هذا التسامح في الشروط من أيمن التمهيدات وأعودها بالخير على المجتمع ، فقد وضعت الحرب بين الفريقين أوزارها ، وأمن الناس على أنفسهم فانتقلوا بالتاجر وغيرها ، وأدّى ذلك الى الاختلاط ، فسماع الهدى منه صلى الله عليه وسلم ، فانشراح صدور الاسلام ، وهداية كثير من الناس .

ولما ردّ صلى الله عليه وسلم بعض المسلمين إليهم مراعاة للشروط التي بينه وبينهم صمد أولئك المسلمون الذين ردّوا لعناد قريش وإلحاق الأذى بهم ، غير مستندين الى قوة إخوانهم المسلمين ، بل مستقلين في ذلك بأنفسهم ، حتى فرج الله عن المسلمين ، ونقضت قريش شروطها ، فكان المسلمون بذلك في حل من تلك الشروط ؛ وجاء الفتح الذي به دخل الناس في دين الله أفواجا .

ومما وقع في هذه القصة أيضا : تسامحه عليه السلام بمحذف كلمة (رسول الله) حين تصلبوا وقالوا : لو تعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ولكن قل : محمد بن عبد الله . فأبى كاتبه عليه السلام أن يحوها ، فحاشا صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وأجابهم الى طلبهم ، ثقة بأن الله ناصره في النهاية ، وقد كان .

وانظر اليه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد دخلها وهي موطنه الذي أخرج منه قسرا فدخلها ظافرا ، ولا تزال تلك الرؤس التي كانت تعمل على أذاد شاحخة بعزها الى هذا اليوم الذي قهرها الله فيه ، فزاعت منهم الأَبصار وظنوا أنه يوم هلاكهم ، ولا شيء أدعى لليأس ، من غلبة من كان مظلوما بالأمس ، فجمعهم وقال : ما تقولون <sup>(١)</sup> أنى فاعل بكم ؟ فقالوا استعظافا لرحمته : « أخ كريم وابن أخ كريم » فقال عليه الصلاة والسلام : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وقد كان أبو سفيان من أشد رؤس قريش عنادا وتعنتا ، وهو الذي آتب عليه الأحزاب فنزوا المدينة ؛ وهو الذي استنفر عليه قريشا يوم بدر ويوم أحد ؛ وهو الذي كان منه من العناد ما كان ، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن يستنزله عن عناده وكبريائه بأعظم تسامح : فبدأ بأن نوده بشأنه ، فنادى مناديه فيما نادى بقوله : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ففتح ذلك باب الرجاء في نفس أبي سفيان . ولما جىء به اليه وهو رأس تلك الحوادث ، لم يزد على أن قال له : « ألم يأن لك أن تشهد ألا إله إلا الله » ! فاستلَّ بهذا ما بقى في نفسه من غطرسة وعناد ، وأسلم طائعا غير مجروح العزة ولا فاقد الشمم ، وكان في إسلامه وهو من عظماء قريش عزة المسلمين . ولقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بعض الغزوات ، فأنسلَّ اليه رجل من المشركين خلصة ، واختلط سيفه وكان معلقا بشجرة ، واستيقظ صلى الله عليه وسلم فرأى الرجل والسييف مصلبت في يده ، فقال له الرجل : من يمنعك مني الآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الله » فوقع السييف من يد الرجل ، فأخذه صلى الله عليه وسلم وشهره عليه وقال : من يمنعك مني ؟ فقال الرجل : كن خير آخذ يا محمد . فعفا عنه صلى الله عليه وسلم ، فأسلم الرجل .

ومن ذلك ما يروى أن رجلا جبنه عليه السلام من رداءه وقال : أعطاني يا محمد من مال الله فانك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك . وكانت الجبذة شديدة حتى أثر

(١) أى ما تظنون .

طرف الرداء في عنقه صلى الله عليه وسلم ، فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده . ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي » فقال : لا ، قال ولم ؟ قال : لأنك لا تجزى بالسيئة السيئة . فضحك صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر .

وجاءه رجل يتقاضاه ديناً قبل أجله بثلاث ، فأغاظ في القول حتى قال له : أعطني ديني إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل . فأنهره عمر وأغلظ له في القول ، فكفّفه عنه صلى الله عليه وسلم وقال له : « دعه يا عمر أنا وهو كئنا إلى غير هذا أحوج منك : تأمره بحسن التقاضى وتأمرني بحسن الأداء » وقضاه دينه ، وزاده عشرين صاعاً دفماً لترويع عمر إياه ، مع أنه لم يكن حل أجله . فانظر إلى هذا الاحتمال مع أن الطالب بغير وجه حق ، وإلى تعليمه عمر ما ينبغي أن يصنعه الرجل الذي يحضر خطاباً بين اثنين .

ولقد أسلم الرجل وقال : لقد رأيت فيه كل علائم النبوة إلا هاتين العلامتين : يسبق حامله جهله ، ولا تزيد شدة الجهل إلا حاماً ، فعمات ماعمات لا تبيينهما . ومثل ذلك ما روى أن رجلاً استعطاه صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، ثم سأله : أحسنتُ إليك يا أعرابي ؟ فقال : لا ، ولا أجمت . فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : كفوا عنه ، وأعطاء حتى رضى ، وقال : أحسنتُ إليك يا أعرابي ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً . فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت منه فاتبعها الناس ليردوها عليه فلم يردوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها خلّوا بيني وبين ناقةي فاني أرفق بها وأعلم ، فتوجه إليها وأخذها من قام الأَرْض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال وقتلتموه ، دخل النار .

فانظر كيف يردف الخلق الحسن بشرح الثمرة المترتبة . واقرأ إن شئت قوله تعالى :  
( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُقَاتِبَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَاتِبَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ .

وبعد : فهل هذا مستغرب على من يقول الله له : ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضْتُمُوهَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) ويقول الله في وصفه مخاطبا المؤمنين : ( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) .

#### معاملته للمنافقين :

ولقد كان للمنافقين معه عليه السلام حوادث يضيق لها صدر الحليم ، وهم مستظلون بظله ومحتمون بحمايته ، ومخاطبون للمسلمين ، يعمون دخائلهم ، ويفشون أسرارهم ، ويصحبونهم في غزواتهم لينهزموا في وسط المعركة فينهزم المسلمون ، أو لينصرفوا في أثناء الطريق لينصرف معهم ضعفاء القلوب . وكان صلى الله عليه وسلم عالما بهم يطاعه الله على دخائل قلوبهم وذات صدورهم ، ويشير عليه بعض الصحابة بقتلهم ، وهو قادر على إبادةهم ، ومع ذلك ينهائم عنهم ويقول : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه .

فانظر كيف يتحمل أذاخ مع هذه الصفات حتى لا يلعب الشيطان شيطان الانس وشيطان الجن بعقول من يشاور نفسه في الاسلام ويقول له مالك ولرجل يقتل أتباعه . وحسبك في تمثل جرهم ما حكاه عز وجل عنهم في قوله تعالى : ( هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ) وقوله : ( يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ) وابتكارهم لتصرة الإفك ، وقد بينا في مجلة نور الاسلام ما فيها من الفضاة من جانبهم ، وحسن الاحتمال من جانبه صلى الله عليه وسلم .

## تسامحه مع ضغفائه المؤمنين :

ويلتحق بذلك تسامحه مع حاطب بن أبى باتعة حين عزم صلى الله عليه وسلم على فتح مكة، وكان من كمال التدبير ألا يعلم القوم، لكيلا يستعدوا فتتسع دائرة الحرب وتراق دماء كثيرة، فعن رجل من المسلمين أن يحظر القوم، فكتب لهم يعلمهم، وأعطى الكتاب لامرأة وضعت في شعرها، فأعلمه الحق جل جلاله، فأرسل إليها من الصحابة من أدرکها وانتزع الكتاب منها، فلما سأل حاطباً في ذلك اعتذر بأن له لديهم مصالح خشي عليها منهم، فأراد أن يتخذ عندهم يدًا يحفظوه في مصالحه، وهو مع ذلك عالم أن الله ناصرهم عليهم، فقبل صلى الله عليه وسلم منه ذلك وعفا عنه. فكم في هذا من تسامح فيما يعدّ اليوم خيانة كبرى يجازى عايبها بالقتل.

## التسامح في الشريعة الغراء :

لقد استفاضت الدعوة الى التسامح في الشريعة الغراء حتى سميت بحق الشريعة السمحة. اقرأ إن شئت قوله تعالى : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

فاذا انتقلت بنظرك الى سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين، وجدت العجب العجيب. وعسى أن تطالع ما نشرته «مجلة نور الاسلام» بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين في هذا الموضوع، فقد شرح من أحكام الفقه الاسلامي، وساق من أدلة الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ما ينشرح له صدور قوم مؤمنين، ويتجلى به شيء من سر قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

صلى الله عليه وسلم صلاة تامق بمقامه الكريم، وننتفع ببركتها في يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ابراهيم الجبالي

# النفس

## سورة النور

١٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفْعَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) .

بينما فيما سبق كيف أُرِدَف المولى جل وعلا تلك الآيات البينة والتعاليم الحكيمة والإرشادات المنيرة للطريق السوى، الهادية الى سبيل السعادة، المنظمة لأحكام المعيشة البيتية، أُرِدَفها بما يرغب في الاهتداء بها والامتثال لأمرها والتحقق بالعمل، فيبين أنها آيات مبينة ، وأنها موعظة نافعة لمن عمل بها واتقى ربه في الأخذ بسبيلها ، وأن نورها وهداها لا يصدر إلا من العليم الحكيم . ثم ضرب مثلا لنور بصوير أعظم ما يخطر بالبال وتراه العيون من النور ، شارحا أثر الاهتداء بذلك النور والمقصود الأعظم منه

وهو شكر النعم ، والقيام بحق العبودية له ، وإفراغ الجهد في طاعته ، ونوّه بالأماكن المخصصة لعبادته ، ورتب على ذلك الجزاء الذي أعدّ لهم ، والفضل الذي يمنحهم زيادة عن توفيتهم أجورهم .

وكان جديراً بل منتظراً بعد ما عرف من حال المهتدين ما عرف ، أن يشرح حال من ضلوا السبيل ولم ينفعهم هدى الله الذي جاءهم ، فبين سبحانه وتعالى حال أولئك الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فضرَب لهم مثلين : (أحدهما) حال من عقد قلبه على الضلال واطمأن الى الكفر وبنى آماله على غير أساس جازما بأن له العقبى والفوز ، وأولئك هم الذين ظنوا أنهم على شيء وما هم على شيء . و (الثاني) حال من ملكت الحيرة قلوبهم وتاهوا في بيداء الضلالة يتلمسون الهدى وهو بين أيديهم يناديهم ويضئ لهم وهم عنه عمون ، كالضالين الذين لا يعتقدون ديناً أو يتخيّلون أمراً يدينون به وهم في شك منه ، ككفار قريش الذين كانوا يسألون اليهود أيهم خير ديننا أم دين محمد ؟ فقال في الأولين « والذين كفروا أعماهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا » وقال في الآخرين : « أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » .

وأيضاً فإنه لما بين حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بأنهم في الدنيا على نور الله وهدايته وفي الآخرة يحزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، بين حال الكافرين كذلك في الدنيا والآخرة ، فبين حالهم في الآخرة بأنهم يردون على أمل كاذب في عمل خاطئ كمتبع السراب وقد اشتد به الظم ، فلا يجدون مما أمّلوا شيئا ، بل يجدون الجزاء الذي أعد لهم على ما اقترفوا وضلوا ، فيجدون الله يحاسبهم حسابا عسيرا ، ويستوفون جزاءهم جزاء نكرا ، وبين حالهم في الدنيا بأنهم يسرون في ضلالة ويتيهون في ظلمات متركمة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وأتى لمن كانت هذه حاله أن يصل الى غاية صحيحة :

وقدّم هنا ما يتعلق بأحوال الآخرة ، لأن صدمتها لهم أشد ، وحسرتهم على ما قدموا من عمل يلتفتون إليه أقوى . وقدّم في الأول حال الدنيا ، ليكون الترتيب حسب ترتيب الوقوع ، وهو ظاهر . وأيضا فلترية الرجاء ليزداد الإقبال على اتباع الهدى .

وقد يقال أيضا إن أعمال الكفار منها ما هو موضع لأمل أخير فيرجون بها الثواب ، فإذا ما وردوا عليها يوم القيامة وجدوا أنفسهم قد ضيعوها وخابت آمالهم عندها ، إذ لم تبني على أساس الإيمان الصحيح ، وكل ما بني على غير أساس فالى الانهيار يصير ، ومنها ما هو أذى وشر في ذاته ، فإذا انضم الى ظلمة الكفر كان كالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض . والآية قابلة لهذه المعاني كلها

والسراب : ما يترأى في الفلوات وقت الضحوة كأنه ماء وليس بماء . يرى ذلك من يسافر في الصحراء ، فن الناس من يعلمه بأنه بخار رقيق يتصاعد من قعور القيعان فإذا وقع عليه شعاع الشمس تراءى كالماء ، ومنهم من يقول : بل هو هواء رقيق يظهر عند وقوع الشعاع عليه بهذا المظهر ، وليس المقام مقام تعليله .

والقيعة : الأرض المنبسطة المستوية . أو هي جمع قاع كبيرة جمع جار . والقاع : هو الأرض المنبسطة المستوية . ومحسبه بمعنى يظنه . وفرق بعضهم بين الحسبان والظن بأن الحسبان هو أن يخطر المعنى بالبال فيعاق بالنفس ، وهو قابل للزوال بالتشكيك ونحوه . والظن أن يرد المعنيان على النفس ويرجح أحدهما على صاحبه رجحانا لا يصل لليقين . فكأن الظان قد خطر له المعنيان وركن الى أحدهما ، والحاسب لم يخطر له إلا معنى واحد . والظن : شدة العاطش . وكأنه خص التشبيه بالظمئان مع أن السراب يترأى كالماء للظمئان وغيره ، لأن الظن يدفع بالمرء الى تلمس الماء ، فإذا ما وقع بصره على السراب خطر بباله ما هو بحاجة إليه ، ودفعه الحرص على هذا الحسبان وهو



لا يشعر . ثم فيه نكتة أخرى وهي الجمع بين ضلال الحسبان وخيبة الرجاء مع اشتداد الحاجة ، وذلك حال الكافر إذ يرد على ربه معتدا بعمله مؤملا فيه حسن المثوبة ، إذ كان يراه من عمل البر ، كصلة الرحم ، أو مساعدة الضعيف ، أو الصدقة على الفقير ، فإذا ما جاءه لم يجده شيئا يعول عليه ، بل وجد الحساب أمامه بالمرصاد ، فيستوفى جزاء ما فرط في أمر الايمان ، وهو أساس كل طاعة وعماد كل بر ، وحينئذ تشتد به الحسرة على ضياع ما أمل ، ومصادفة العقاب الذي لم يكن له على بال .

وأما ما عملوا من سوء فإنه يراه وقد عظم جرمه وتراكم إثمه ، فازداد بالكفر جرما وإثما ، وحق به من سوء عمله ما لم يكن مقدرا له ، فضاقت نفسه ، واشتدت حيرته ، وانسدت مسالك الأمل في وجهه ، فإذا رجع الى ما عمل وجدده سوءا ، وإذا رجع الى ما اعتقد وجدده ضلالا وظلاما ، وإذا رجع الى نفسه وجددها نفس سوء شريرة ، فكأنه قد قذف به في بحر لجي تلاطمت أمواجه ، وتراكت غيومه ، وأظلم ليله ، فلا شمس ولا قمر ، ولا كواكب ولا نجوم ، فإذا حاول أن يرى يده فلا سبيل له الى رؤيتها ، فلا يقرب من أن يراها فضلا عن أن يراها ، ذلك لأنه فقد نور ربه . فمن يعوضه من نوره ؟ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

والخلاصة أن التشبيهين في الآية الكريمة يحتملان جملة معان لا تعارض بينهما ، فيصح استفادتهما جميعا منهما . الأول : أن التشبيه بالسراب لبيان خيبة أمهم في الآخرة وضياع ما كانوا يرجون منه المنفعة في وقت هم أشد ما يكون فيه احتياجا الى تحقق أمهم . والتشبيه بالظلمات لبيان حالهم في الدنيا ، وأنهم يتخبطون فيما يعتقدون ما لهم به من سلطان ولا عليه برهان .

والمعنى الثاني : أن التشبيه بالسراب راجع الى الأعمال التي كانوا يرجون منها الخير كالأبر وصلة الرحم ومساعدة البائسين ، فإذا جاءوها يخنون ثمارها وجدوها باطلة

من أساسها متهمة في قاعها . والتشبيه بالظلمات راجع الى سيئات أعمالهم التي زادها كفرهم سوءا على سوء . والثالث : أن التشبيه بالسراب راجع الى الفئة المعتمدة جزما بحقية ما هم عليه . والتشبيه بالظلمات راجع الى أولئك الحيارى الذين ضلوا سواء السبيل .  
والأجبي : منسوب للجنة ، وهى معظم الماء الغمر البعيد القعر . وكأن نسبته للجنة لكثرة اللجج فيه ، أو لأنه هو فى البحار كاللجنة وسط البحر . وغشيان الموج له بعضه فوق بعض مما يزيد هولاً ، فإذا تراكم السحاب حتى حجب ضوء الكواكب فكيف يكون استحكام الظلام فى وجهه والحيرة فى نفسه : فاللجنة لها أثرها فى زوغان النفوس وشروء العقول . وتراكم الأمواج بعضها فوق بعض مما يزيد هولاً ، فإذا حجب الضوء وتراكت السحب ، حارت النفس فى أمرها فلا تدري ماذا تصنع ولا كيف تنجو ولا أين تتجه . والمرء إذا ضل المسالك ووقف ذهنه عن الحركة ، فقدم ملكه اليأس من كل جانب . ومنشأ ذلك كله عليهم أن حرموا من نور الله ، ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من زور .

## النُظْرُفُ وَالْمُلْح

قيل لأعرابي : ما تقول فى المرء ؟ قال : ما عسى أن أقول فى شئ يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقد الوثيقة ؛ أقل ما فيه أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة .

# السنة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى مسلم عن حنظلة الأسدي قال : ( كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار ، قال : ثم جئت الى البيت فضاكت الصبيان ولاعبت المرأة ، قال : فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال : وأنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله نأفق حنظلة ، فقال : مه ، فحدثته بالحديث ، فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل ، فقال : يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكركم لصاغتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق ) وفي رواية : ( قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنه رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ففسدنا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكركم لصاغتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة — ثلاث مرات ) .

### شرح المفردات :

نأفق : يريد بها تغير عما عهد نفسه عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
دفعه الحذر الشديد والاحتياط لنفسه أن يتهمها في القليل حتى يطمئن على السلامة .

وقوله : « مه » إما بمعنى الاستفهام فهي ما لحقها هاء السكت ، وإما بمعنى الأمر بالكف والزجر عما فرط منه تهويلا لهذه التهمة الشنيعة التي اتهم بها نفسه . وقوله « عافسنا » بمعنى مارسنا وعالجنا أشغالنا وحظوظنا كما يصرح به قوله في الرواية الأخرى « فضا حكت الصبيان ولاعبت المرأة » . والضيعات : جمع ضيعة وهي ما فيه معاش الرجل من مال وحرقة ، كأنه إذا ترك تعهده ضاع . وتطابق على الأرض المغلة والعقار .

لقد كلف الله العباد ما يطيقون رحمة منه وفضلا ، ورفع عنهم الإصر والعنت ؛ وجاءت الشريعة سمجة سهلة ؛ وجاء الإرشاد الى اتباع الرفق في كل شيء ؛ وورد : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت<sup>(١)</sup> لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وإن يشاء الدين أحد إلا غلبه ، وقليل يبقي خير من كثير منقطع . وجاء قوله صلى الله عليه وسلم لمن كان يصوم النهار دأما ويقوم الليل : « قم ونم وصم وأفطر فإن لبدنك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا » . لم يكن كل هذا ولا شيء منه للترغيب عن العبادة والتزهيد فيها ، كيف والعبادة هي طريق السعادة ، وهي أهم ما ينبغي للعاقل أن يصرف وقته فيه ، وإنما ذاك كله للمحافظة على العبادة ، وحذرا من أن تسأمها النفس فتنتقطع عنها بتاتا ، كما قيل : « أخاف عليكم إن حملتكم عليه جملة تركتموه جملة » . فكانت الحكمة المأمور بمراعاتها في الدعوة الى الله هي في التوسط وعدم الإفراط ، حتى تكون النفس دائمة الإقبال على ربها ، محببا إليها السعي لارضائه والزلفى إليه .

واقصد تضمّن هذا الحديث الشريف أمورا ذات بال ، فقد صور لنا ما كان الصحابة رضي الله عنهم يجدونه من أنفسهم حين كانوا يجتمعون به صلى الله عليه وسلم ليعظهم ، فكان الأمر يبلغ بهم الى درجة أنهم كأنهم يرون ما يوعظون به رأى العين ؛ وهذا شأن كمال الاستحضار وإقبال النفس على التفهم والاتعاظ ، مع ما يحيط بذلك من سطوع

(١) المنبت : هو الذي انقطع في سفره وعطبت راحلته لتحميلها فوق طاقتها .

نور النبوة على قلوبهم وتجلى القوة الروحانية في التأثير في نفوسهم ، ومن أجدر بذلك منه ، صلى الله عليه وسلم ومنهم رضى الله عنهم . ووصف لنا حالهم البشرية على صورتها الحقيقية التي لامراء فيها ولا مواربة ، يصورون لنا ما هم عليه مما تتسع دائرته لطوائف المكافين وعامتهم ، لا أنهم مستغرقون في الشهوات ، ولا قانون في الذكر والفكر كل أوقاتهم ، بل يمارسون معاشهم ، ويلعبون أطفالهم ، ويؤانسون أسرهم ، مما يقوم عليه نظام الحياة المعتادة التي لا إرهاق فيها ولا إعنات ؛ ويصورون لنا مزيد حذرهم ورهبهم من ربهم ، وشدة يقظتهم في مراقبة نفوسهم ، حتى إذا لحقهم شك في استقامتهم على الطريقة المثلى فزعوا إليه عليه الصلاة والسلام يستفتونه فيما هم فيه ، متهيئين لقبول ما يفتيهم به إن سهلا وإن صعبا . وهذا هو معنى الاستسلام التام وهو قول المؤمن : أسلمت وجهي لله رب العالمين .

وبين لنا ما يتجلى في الشريعة الغراء من رافة وسماحة ، وأن من لم يطق درجة من نوافل العبادة فلا عليه أن يقف عند ما يطبق ، ما لم يكن تفريطا في واجب ، أو انغماسا في إثم . وقد ورد « اتق المحارم تكن أعبد الناس » . وكذلك جاء في الحديث ما يرجو لمن يداوم الذكر والفكر وحضور القاب ، كما يكون حالهم وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد رتب عليه في الحديث الشريف ما يشوق إليه ويحفز الهمم للسير نحوه ، وهو صفاء روحه وطهارة قلبه ، واتصاله بمن أنعم الله عليهم من عباد الله المقربين ، حتى تتم النسابة بينه وبين الملائكة ، فتصافه الملائكة ، وتسلم عليه في طريقه وفي فرشه .

ومعنى ذلك أن الكدورة البشرية والظلمات المادية ترقحجبها عن نفسه ، فتصفو وتنقلب روحانيتها على ماديتها ، فيكون فيها الاقتدار على مشاركة هذه المنزل البعيدة عن العامة : منزلة الروحانية الصافية ، والملكية الطاهرة ؛ فإن الانسان فيه الشبه من العالمين المحيطين به ، ففيه شبه بالملائكة في نفسه الطاهرة وروحه الخيرة ، وفيه شبه من

الشياطين ومن البهائم بما ركب فيه من استعداد للشور والاثام، وانغماس في الرذائل والشهوات، فأى الأمرين غلب عليه انجذب نحوه وتجلى فيه .

واستوضح ذلك إن شئت بمشاهدة تلك الفئات التى غلبت عليها شقوتها حتى التحقت بالشياطين فلا يهدأ لها روع ولا تطمئن لها نفس حتى يكون منها إفساد بنميمة أو فتن أو تدبير مكيد، حتى يصبح المرء منهم ولا لذة له إلا بأن يؤذى مخلوقا، أفليس هذا من جند الشيطان الذى أخلص له الطاعة وتم بينه وبينه التفامم والتخاطب؟ وكذلك أولئك الذين انغمسوا فى الماء كل والمشارب، حتى يصبح أحدهم ولا هم له إلا أن يأكل ويملا فراغ بطنه، ولا ترجو منه أكثر من أن تستخدم جسمه فى الشاق من الأعمال كما تستخدم البهائم سواء بسواء. أليس هذا قد التحق بعالم البهائم واندرج فى صفوفها حتى كأنها صاحفئة وصافها وسالمة وسلمها؟ ولم لا تقول قد يلتحق بعض الأناس بالسباع فيمتخاها بخلة ويتربى معها فتأنس به ويأنس بها ويكون معها فى مستوى واحد. فإذا كنا نشاهد هذا فيما بين الإنسان وبين البهائم، وفيما بين الإنسان وبين السباع، وفيما بين الإنسان وبين الشياطين، وكل ذلك من غلبة إحدى طبائع الإنسان عليه، حتى غمطت باقى طبائعه، فما لنا لا ندركه فيما تغلب عليه طبيعة الخير والنفس الملكية العالية، فيلتحق بمصاف الملائكة، فتصافه الملائكة ويصافها، وتأنس به ويأنس بها .

وبعد: فانظر الى هذه الروعة فى التعليم والإرشاد، وما تجلى فيها من باهر الحكمة وعظيم السداد، فقد جاء حنظلة وهو منزعج على نفسه خائف مما أحسه من تغيرها عما كانت عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخوفه أن يكون ذلك من صفات النفاق التى حكاها عز وجل عن المنافقين فى قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) والمنتظر فى الجواب حينئذ إنما هو

أن يطمئن به بأن لا بأس عليه في النسيان والاشتغال بما لا غنى له عنه من معاش ونحوه .  
ولكنه عليه السلام لم يقتصر له على ذلك ، بل شرح له الفوائد التي تترتب على دوام الذكر  
والفكر وشغل أعظم قسط من الوقت بالعبادة ، فيبين له أن من داوم على ذلك وصل من  
درجة القدسية وعلو الروح وصفاء النفس منزلة تدنيه من الملائكة وتناسب بينه وبينهم  
وتجعلهم يصافحونه في الطرقات — غير أن هذا على عظم فضله ليس مكلفاً به ، وإنما هو  
باب من الفضل مفتوح ، ومنهل سائغ لمن يردده فيغترف منه ما يقدر عليه . أما الذي  
لا يسع العبد أن يركن إليه ، فهو النسيان جملة ، والإعراض الكلي وانصراف نفس المؤمن  
عن ربه بتاتا ، فهذا قوله : « ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ويكرر ذلك ثلاثاً لتثبيته  
في نفسه وتنمية غرسه .

فهذا هو نور النبوة يتجلى على نفوس الصحابة رضى الله عنهم كلما استعدت لإشراقه  
عليها ، فتكمل تربيتهم ، ويصلون بالتدرج الى ما أعد لهم .  
نسأل الله تعالى أن يمدنا بالتوفيق ، ويهدينا الى خير طريق . وصلى الله على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .  
ابراهيم الجبالي

## الظرف والمُلمح

قال الشاعر :

وإني لأعطي كلَّ أمرٍ بقسطه      إذا الخطبُ عن حزمِ الروية أجهضاً  
فأستعيب الأحيابَ وأخذ ضارِعُ      وأستعيب الأعداء والسيف مُنتَفِئاً

## شق صدره

صلى الله عليه وسلم

جاء في كتب السنة ورواه جميع أرباب السير وأخرجه مسلم في صحيحه : أن حليلة السعدية التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم قالت : بينما هو وأخوه — أى من الرضاع — يوماً خلف البيوت يريان بهما<sup>(١)</sup> لنا ، إذ جاء أخوه يشتد — أى يسرع في مشيه — فقال لى ولأبيه : أدركا أخى القرشى قد جاء رجلا فأضجعاه وشقا بطنه ، فخرجنا فاتهمنا إليه وهو قائم منتقع لونه<sup>(٢)</sup> قالت حليلة : فاعتنقه أبوه واعتنقته ، وقالنا : أى بُنى مالك ؟ قال : أتانى رجلا فلبسهما ثياب بيض فأضجعاني ثم شقا بطنى (أى ما بين مفرق صدره الى منتهى عاتقه كما فى بعض الروايات) . وفى رواية : فأقبلا يتدردان فأضجعاني فشقا بطنى فالتسافيه شيئا فوجداه فأخذه فطرحاه . وفى رواية : فأخذني فشقا بطنى ثم استخرجا قلبي فشقا فاستخرجا منه علقه سوداء وقيل هذا حظ للشيطان منك يا حبيب الله<sup>(٣)</sup> . قال : ثم غسل قلبي حتى أنقياه وملاّه حكمة وإيمانا ، ثم قال : إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك .

وأما رواية مسلم في صحيحه ، فعن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه

(١) اللهم : صغار الغنم . (٢) بنون وقاف مفتوحة كما صرح به صاحب القاموس واقتصر عليه الشامي

في سيرته . أو مكسورة كما يفيد المصباح . أى متغير يكون النقع أى الغبار من فزع أو حزن . ومثله يبتقع بالوحدة ، ويمتقع بالميم وهو أجود . (٣) المراد بكونها حظ للشيطان منه أنها مطعمه لأن مثلها من البشر هو محل وسوسته .



فأستخرجه ثم أستخرج منه علقه فقال هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب ثم أعاده الى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون الى أمه — یعنی ظئره — فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وروى أبو نعیم فی الدلائل وعبد الله بن الامام أحمد فی زوائد مسند أبيه : أن أحدهما قال لصاحبه : أخرج الغل والحسد منه ، فأخرج شبه العلقه فنبذ به ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة قلبه ، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ، ثم قرأ بها ، ثم قال : أغد ، فرجعت بما لم أغد به : من رحمتي للصغير ، ورأفتي بالكبير . وقد بلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم أن كسروا رباعيته يوم أحد فلم يدع عليهم بل كان يقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . وجاءه ملك الجبال وقد أدموا قدميه يريد أن يطبق عليهم الأخشبين<sup>(١)</sup> فلم يرض صلى الله عليه وسلم بذلك بعد ما فعلوا به الأفاعيل ، الى غير ذلك مما هو معروف . وهذا مما لا يكاد يدخل تحت سلطان البشرية بعد ذلك الإيذاء الشديد .

أما استبعاد ذلك فإنما هو من بنات الوهم والوقوف مع المعروف من العادات ، وليس ذلك إلا من قياس الملائكة على الحدادين كما يقولون . على أن الطب قد أتى الآن بالأعاجيب ، وهو في تقدم باهر ورقى مطرد . وقد قالت الملائكة لامرأة ابراهيم عليه السلام عند ما قالت إن هذا شيء عجيب وقوفامع العادة : ( أتعجبين من أمر الله ) . على أنها سنة الله في الأنبياء : يخرج لهم العادة تهيداً لما يراهم ، وتنبيهاً على أن لهم شأناً غير شأن الكافة ، كما حصل لسيدنا عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء ، وهو المسمى بالإرهاصات في عرف العلماء . على أنك إذا حللت نفسية من ينكر أمثال هذه الخوارق وجدت منبع هذا الإنكار وسر ذلك الاستبعاد هو الشك في قدرة الله تعالى وحصر مقدوراته فيما علمنا من النواميس التي ما عرفناها إلا بالحس والمشاهدة ؛ ومن يعتقد أن

كل شيء، راجع الى ما علم ومنحصر فيما شاهد، فما أعظم جهله وأقل علمه ! وهو بعد ذلك غير مؤمن بقوله تعالى : ( إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) ولا بقوله : ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) ولا بقوله : ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) الى غير ذلك ، بل هو جاهل بقدر نفسه وقدر العلم الذي لا نهاية له ، فرحم الله امرءاً عرف قدره ، فلم يتعدَّ طوره .

أما حكمة خلقه صلى الله عليه وسلم بهذه العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان من الانسان ، فهي أنه بشر في تكوينه ، وإنسان في خلقته وطبيعته ، وإن كان التفاوت بين أفراد الانسان على مراتب لا يحصيها العد ، ولا يأتي عاينها البيان ، وليس هناك نوع من الأنواع تتفاوت أفرادها كما تتفاوت أفراد نوع الانسان ، والكامل من كله الله تعالى ، فأراد الله أن يجعل نبيه صلى الله عليه وسلم أكمل نوع الانسان ، حتى يتم ما أريد منه من الغايات السامية ، فأرسل اليه ملائكته ليظهره من نقائص البشرية ، وقابلية الشر ، والالتقياد للشهوات الدنيئة ، والأهواء المضلة . وأيضاً لخلق سليمان من العلقة السوداء لم يقع الاطلاع على ذلك ، وهو أيضاً أدل على مزيد العناية ، فكان في ذلك إظهار لكمال الرفيع ، وإعلان لعناية الله الخاصة به صلى الله عليه وسلم .

وانرجع الى الموضوع فنقول :

اخلاصة أن الله يريد أن يظهره من عوارض البشرية ، وظلمات الأنانية ، وسلطان الشهوات ، وجميع الآفات ، حتى يخلص من رجونات النفوس التي توقع صاحبها في الإفراط أو التفريط ، ليكون مستعداً للتخلي بمكارم الأخلاق ومراقبة الواحد اخلاق في كل ما يأتي ويذر . وقد كان صلى الله عليه وسلم معروفاً بمكارم الأخلاق ، حتى كان يسمى عندهم قبل النبوة بالأأمين . وكان يكره ما كانوا عليه من عادات وعبادات ، وما كان يلهو به الشباب ، كما هو معروف من سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم .

وقد كان يخلو بغار حراء قبل النبوة، اعتزالا لهم، وبغضالما كانوا عليه من عبادة الأوثان وعدم توحيد الواحد الديان، فإن نفسه الشريفة لا تطيق ذلك ولا تصبر عليه (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر شيئا من شمائل هذا الرسول الأعظم الذي طهر الله قلبه وهو طفل من حظ الشيطان تكميلا للفائدة فنقول: من درس سيرة هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من مصادرهما الصحيحة دراسة مدققة، وعرف تاريخ حياته الشريفة معرفة كاملة، لا يقتحم صدره أدنى ريب في أنه واسطة عقد السكال، ويتبين حكمة العلي الأعلى سبحانه وتعالى في اختياره عليه الصلاة والسلام على السابقين واللاحقين، ووضعه بالحل الأعلى سيدا للخلق أجمعين، ويعلم علما تسوق إليه البراهين الناصعة، وتنطق به الأدلة القاطعة، أن من أراد استقصاء ما أفرغ الله عليه من السكالات في أي نحو من أنحاء حياته، فإنما يحاول جمع ما في البحار من درر، أو حصر ما في الفضاء السماوي الذي لا يعلم مداه إلا الله من شمس وكواكب.

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بقم فأوسع الناس علما، وأفصحهم بيانا، وأبلغهم قلما، إذا تكلم عن هذه النفس العلية القدسية في أي نوع من أنواع كلها، فإنه واقف دون الغاية ومنبت قبل الأمد.

ولكن تأخذ الأحكام منه على قدر القرائح والفهوم

ينطق المتواتر من سيرته أنه المثل الأعلى ناشئا وشابا وكهلا، عزبا ومتزوجا، مفردا للأزواج أو معددا لهم. قال النضر بن الحارث لكفار قريش: «إن محمدا كان فيكم رصينا أميننا صادقا وهو شاب حتى إذا ظهر به الشيب قلتم إنه كاذب وساحر»! وهذا يشبه ما جاء في الحديث الصحيح أن هرقل سأل أباسفيان: هل كان يكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: لا، فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب

على الله . وقد كان يلقب قبل النبوة بالأمين لعظم منزلته عندهم ، وقد حكموه في أمرهم عند ما اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود عند ما بنت قريش الكعبة قبل النبوة ، فكانوا بحكمه راضين مقتبطين .

وأما حاله بعد النبوة فيكشفنا فيه قول عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون » الى آخره <sup>(١)</sup> وقول أنس رضى الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأنا غلام صغير لا أكون على ما يشتهى صاحبي فما قال لى أف قط ، ولا لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟ وكان إذا أرساني الى الحاجة فأبطأت ولم تقض فيريد أهل البيت أن يعنفوني فيقول عليه الصلاة والسلام : دعوه لو قدر لكان .

## فصل

كان صلى الله عليه وسلم أقوم الخلق بعبادة ربه ، قالت إحدى أمهات المؤمنين : كان صلى الله عليه وسلم يحدثنا فإذا نودى للصلاة قام كأنه لم يعرفنا ، وكان يضطجع معهم حتى إذا انتصف الليل أو كاد قام الى ربه فصلى فأطال القيام والركوع والسجود حتى تورمت قدماه ، فكان يقال له في ذلك فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ! وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك ، فرجعت قسمته يقول في سجوده : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ،

(١) وقول السيدة خديجة : والله لا ينجزيك الله أبدا إنك لتحمل السكل وتصل الرحم وتكسب المعدوم وتعين

وأعوذ بك منك<sup>(١)</sup> لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة أو يا حميراء : أظننت أن النبي قد خاس بك؟ قلت : لا والله يا رسول الله ولكن ظننت أنك قبضت أطول سجودك . ( يقال خاس به إذا غدره ولم يوفه حقه ) . وقد بلغ من رفقه أنه كان يتلطف إذا قام من نومه حتى لا يزعج أهله ، ويتوضأ بنفسه لا يوظفها ، ولا الخادم لتسكب عليه وضوءه .

## فصل

كان أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس . حمل إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها . قال : وجاءه رجل فقال : ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جانا شيء قضينا ، فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه . فذكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه .

كان أبغض الأخلق إليه الكذب ، كان إذا رأى على أحد من أهل بيته كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة ، كان يجالس الفقراء ، ويؤا كل المساكين ، ويكرم أهل الفضل ، ويتألف أهل الشرف ، ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لا يحقد على أحد ، يقبل معذرة المعتذر إليه . كان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأبدى ، كان يقول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . كان لا يشبع صلى الله عليه وسلم من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف . قال مالك : سألت رجلاً من أهل البادية : ما الضفف ؟ قال : أن يتناول مع الناس .

(١) ألجأ اليك وأعتصم بك من البلاء الذي تصيب به من تشاء من عبادك ، ونظيره قوله تعالى : ( وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ) .

كان إذا دخل بيته قال : هل عندكم طعام ؟ فإن قيل لا ، قال : إني صائم ، وإن لم يكن عندهم إلا الخل ، قال : نِعِمَّ الأدم الخل . كان يميل الإيلاء للهرة فتشرب منه .

### تتمه

من عجيب أمره صلى الله عليه وسلم أنه أخذ القلوب الى الله تعالى ، وملأ النفوس رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه ، ومع ذلك رغب في العمل للمجتمع ، ولم يحرم زينة الدنيا التي أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق ، بل فضل الأمور العامة التي ينتفع بها الناس على العبادات الخاصة ، كما قال للذين خدموا إخوانهم في السفر في يوم شديد الحر : إنهم فازوا بالأجر كله ، ولم يجعل ذلك للصائمين المتعبدين في ذلك اليوم . وقد ورد موقوفاً أو مرفوعاً : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » وقال تعالى : ( فَأْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ) . وقال : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » ولكن به حكيمته البالغة حول كل شيء من أمور الدنيا والآخرة بالنية الصالحة والإخلاص لله ، فصار كل شيء عند المسلمين طاعة وعبادة بهذا الطريق ، بل أصبح من المقرر أن العمل المتعدى أفضل من العمل القاصر ، فجمع لنا بذلك بين مصالحة الدنيا والآخرة على أتم الوجوه ، وفي الوقت نفسه حفظنا من سفاسف الأخلاق ودنايا الخصال ، بفضل تلك المراقبة وذلك الإخلاص ، فصار كل إنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويعتبر منفعة أخيه منفعة له ، إن لم يكن ذلك في الدنيا كان في الآخرة . ولهذا شرح طويل لا تسعه هذه العجالة .

ولنقتصر من ذلك البحر على هذه الدرر التي يطيب بها الحديث وتعتطر بها المجالس :

محمد ما أحلى شمائله وما      ألد حديثا فيه ذكر محمد

محمد كل الحسن من بعض حسنه      وما حسن كل الحسن غير محمد

يوسف الدهوري

# الفتاوى والأحكام

ورد على إدارة المجلة الاسئلة الآتية :

## تخصيص بعض الورثة بشيء من الميراث

السؤال الأول :

هل يجوز المورث تخصيص بعض الورثة بشيء من الميراث ؟ وإذا قلتم بالجواز فكيف يتفق هذا مع الحكمة في التوريث ؟ وإذا قلتم بعدمه فكيف التوفيق بين هذا وحرية الملك المكفولة مع هذا ؟

## الجواب

روى مسلم رضى الله عنه في كتاب الهبات عن النعمان بن بشير أنه قال : إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحت ابني هذا غلاما (عبدا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجعه ، وفي رواية : فاردده ، وفي رواية : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال : لا ، قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم . قال : فرجع أبي فرد تلك الصدقة ، وفي رواية : قال : فلا تشهدني إذن فاني لا أشهد على جور ، وفي رواية : لا تشهدني على جور ، وفي رواية : قال : فأشهد على هذا غيري ، وفي رواية : قال : فإني لا أشهد ، وفي رواية : قال : فليس يصح هذا وإني لا أشهد إلا على حق . قال النووي رحمه الله تعليقا على هذا : وفي هذا الحديث أنه ينبغي أن يسوى بين أولاد في الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل ، ويسوى بين

الذكر والأنثى ، وقال بعض أصحابنا : يكون للذكر مثل حظ الأنثيين . والصحيح المشهور أنه يسوى بينهما لظاهر الحديث .

وفي الدر المختار من كتاب الهبة ما نصه : وفي الخانية : لا بأس بتفضيل بعض الأولاد في المحبة لأنها عمل القلب ، وكذا في العطايا إن لم يقصد به الإضرار . وفيه أيضا : ولو وهب في صحته كل المال للولد جاز وأثم .

من هذا يتبين أن هبة الوالد لولده كل ماله ، أو تمييزه أحد أولاده عن بقيتهم ، تصرف مكروه شرعا ، ولكنه مع ذلك نافذ لازم ، متى كان المتصرف صحيحا غير محجور عليه ، وكان التصرف منجزا . أما إذا كان التصرف مضافا إلى ما بعد الموت فإنه يعتبر وصية ، فإن كان لأجنبي ، نفذ من ثلث المال بعد الدين والتجهيز ، أجاز الورثة أم لم يجزوا ، وتوقف على إجازتهم فيما زاد على الثلث ، فإن أجازوا نفذ وإلا لم ينفذ . وإن كان التصرف المضاف إلى ما بعد الموت للوارث فإنه يعتبر وصية ولا وصية لوارث إلا بإجازة بقية الورثة بعد موت المورث . ومثل ذلك التصرف المنجز في مرض الموت للوارث ، فإنه يعتبر وصية أيضا لا تنفذ إلا بإجازة الورثة — غير أن الوقف في مرض الموت على بعض الورثة فيه تفصيل : هو أنه إن أجاز الورثة التصرف ، نفذ ، وإن لم يجزوا يقسم الريع بين الورثة جميعهم قسمة للميراث ، ولا يعمل بشرط الواقف إلا بعد انقراض الورثة جميعا ، فإن انقضوا اتبع شرط الواقف .

وصفة القول أن تصرف المالك في ملكه نافذ من كل ماله متى كان صحيحا غير محجور عليه ، ليس لأحد حق الاعتراض عليه . ونفاذ التصرف لا يمنع من أن يكون المتصرف ظالما يستوجب بهذا الظلم الإثم إن قصد بإعطاء أحدهم الإضرار بالباقيين ؛ أما إذا أعطى أحدهم جزءا من ماله لسبب يقتضيه ، كما لو كان ذا أولاد كثيرة ، أو كان في حاجة إلى معونة لسبب آخر كطلب العلم ، أو كان قصده أن يشجعه على العمل بمجد واجتهاد ، فإن هذا لا إثم فيه ولا حرج ، وإن كان الأفضل أن يسوى في العطاء ، حتى قال بعضهم بتسوية البنات والبنات في العطاء ، لأن هذا شئ غير الميراث .



وقد علمت مما سبق أن تصرفات المريض والتصرفات المضافة الى ما بعد الموت بالنسبة لبعض الورثة، تعتبر وصية، وعلمت حكمها. وزيادة في الإيضاح نقول: إن حق الورثة لا يتعلق بمال المورث إلا إذا كان مريضاً مريض الموت، وهو الذي يكون منه الموت، فلاحل للقول بأن تصرف الرجل الصحيح الخالي من الحرج لفسفه أو دين ينافي حكمة التوريث، لأن التوريث بعد الموت والتصرف قبله في وقت لم يكن لأحد من الذين سيرثون عند الموت حق في مال المتصرف.

وبهذا الإيضاح يتبين أن حرمة المالك مكفولة، والحكمة في التوريث محققة لا تنافي صحة التصرف الصادر من الصحيح الذي يملكه. والله أعلم.

## الضيافة ونحوها في المآتم

### السؤال الثاني:

هل لما يتخذ الناس من الضيافة في المآتم وتكاليف أنفسهم ما لا يطيقونه مدة ثلاثة أيام أو أكثر أصل؟ وهل ما يتخذ الناس عند موت عظيم من عظامهم من ذبح بقرة أو ثور أو شاة عند عتبة البيت حين خروج النعش أصل؟

## الجواب

اجتماع الناس في المآتم على الوجه المعروف الآن من تهيئة الطعام والشراب للمعزّين، وإيقاد الأنوار والجلوس أياماً معينة تعدّ فيها المآدب، ليس من هديه صلى الله عليه وسلم، ولا هدى أصحابه، ولا ورد عن أحد من الصحابة ولا من التابعين، ولا حبذه إمام من الأئمة الأربعة فيما نعلم، بل هو بدعة حادثة. قال في فتح القدير: وتستحب التعزية، الى أن قال: ويكره اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت لأنه شرع في السرور لا في الشور، وهي بدعة مستقبحة. روى الامام أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير بن عبد الله، قال: كننا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعهم

الطعام، من النياحة . ويستحب لجيران أهل الميت والأقرباء الأبعد تهيئة طعام لهم يكفيهم يومهم ولياتهم، لقوله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم » حسنه الترمذى وصححه الحاكم، ولأنه بر وم معروف ؛ ويأبح عليهم في الأكل، لأن الحزن يمنعهم من ذلك فيضعفون .

وفي زاد المعاد ما نصه : وكان من هديه صلى الله عليه وسلم تعزية أهل الميت ، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ، لا عند قبره ولا غيره ، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة ؛ وكان من هديه السكون والرضا لقضاء الله والحمد له والاسترجاع ؛ وكان من هديه أن أهل الميت لا يتكفون الطعام للناس ، بل أمر أن يصنع الناس لهم طعاما يرسلونه اليهم ؛ وهذا من أعظم مكارم الأخلاق .

أما ذبح الذبائح عند خروج الجنازة على عتبة البيت ، فهو من عمل الجاهلية وليس من الدين في شيء .

ومن هذا جميعه يتبين أن ما يعمل الآن في المآتم مما ورد في السؤال ، مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومخالف لما كان عليه السلف الصالح . وهو في ذاته بدعة قد تقترن بما هو منكرا كما هو مشاهد والله أعلم .

## قراءة سورة الكهف يوم الجمعة

### السؤال الثالث :

ما حكم قراءة سورة الكهف يوم الجمعة في المساجد ؟

## الجواب

سورة الكهف من القرآن ، وتلاوة القرآن عبادة في أى وقت وفي الأمكنة الطاهرة . وسماع القرآن عبادة كذلك ، لا فرق في ذلك بين أن تكون القراءة سرا

أوجهراني المسجد أو خارج المسجد، فقراءتها يوم الجمعة قبل الصلاة على الوضع المعروف الآن وإن لم تكن معروفة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أصحابه، إلا أن هذا لا يجعل قراءتها على الوجه والوضع المعروفين الآن ممنوعة، بل قراءة القرآن كما تقدم عبادة مندوب اليها؛ وكل ما ينبغي أنه لا يصح لقارئ أن يقرأ في مكان يشوش عليه الناس فيه؛ كذلك لا ينبغي أن يرفع صوته إذا كان رفع صوته يحدث تشويشا على المصلين فعلا.

على أن الواقع أن قراءة سورة الكهف في المساجد تكون قبل دخول وقت الصلاة، ويسكت القارئ عند شروع المؤذن في الأذان الأول، ولم يترتب على هذا تشويش، أما إذا ترتب على القراءة تشويش، فإن القراءة والحالة هذه تكون غير جائزة. والله أعلم. وتخصيص سورة الكهف بالقراءة يوم الجمعة، لما ورد في ذلك من الآثار.

## حكم إقامة الموالد

### السؤال الرابع :

ما حكم إقامة الموالد؟

## الجواب

إقامة الموالد ليست سنة عن رسول الله ولا عن أصحابه، فهي بدعة حسنة إذا اقتصر فيها على توزيع الصدقات على الفقراء، واقتصر فيها على تعظيم وإجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقيام بشكر الله على ما أنعم به علينا من نعمه الجزيلة التي أجزلها، وأعظمها إرسال خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام. ومتى كانت إقامة الموالد

مقصورة على قراءة القرآن ورواية الأخبار الصحيحة الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما وقع في مولده من الآيات ، وما وقع منه صلى الله عليه وسلم من المعجزات ، كان ذلك خيراً كله ، لا يستطيع أحد إنكاره ، بل لا يستطيع أحد إنكار أن هذا العمل مثاب عليه .

إذ من الذى ينكر ما فى هذا العمل من الفوائد الجليلة التى من أهمها معرفة شئ من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الإلهامات التى ظهرت بين يدي بعثته ، والمعجزات التى ظهرت على يديه ، ومعرفة ما لاقاه فى سبيل الدعوة الى الاسلام من شدة ، وما قام به من جهاد ؟ من الذى ينكر أن ذكر مناقبه وطلب التأسي به فيها أعظم درس خلقى للأمة ، وهى أشد ما تكون حاجة الى التأسي بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أما إقامة الموالد على الوجه الذى لا يتفق وتعاليم الدين ، كأشكال الملاحى التى تكون غالباً مصحوبة بما ينكره الدين ولا يرضى عنه رسول رب العالمين ، فهو أمر مذموم لا يقره شرع ، ولا يطلب الى أحد عمله . ومن ذلك لا يكون ثمة مانع شرعاً من إقامة الاحتفالات العامة التى تكون لذكرى موالد بعض الأولياء ، متى كانت على الوجه الذى وصفنا أولاً . والله أعلم .

## حكم الصلاة قبل الجمعة والامام يخطب

### السؤال الخامس :

ما حكم الصلاة قبل الجمعة والامام يخطب ؟

### الجواب

قال فى الهداية : وإذا خرج الامام يوم الجمعة ترك الناس الصلاة والكلام حتى يفرغ من خطبته . قال رضى الله عنه : وهذا عند أبى حنيفة رحمه الله . وقالوا ( محمد وأبو يوسف ) :

لا بأس بالكلام إذا خرج الامام قبل أن يخطب ، وإذا نزل قبل أن يكبر ، لأن الكراهة للإخلال بفرض الاستماع ولا استماع هنا ، بخلاف الصلاة لأنها قد تمتد قال في فتح القدير : أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم : كانوا يكرهون الصلاة والكلام بعد خروج الامام . وأخرج ابن أبي شيبة عن عروة قال : إذا قعد الامام على المنبر فلا صلاة . وعن الزهري قال في الرجل يحج يوم الجمعة والامام يخطب : يحاس ولا يصلي .

وأخرج الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب : أنصت ، فقد لغوت » . وهذا يفيد بطريق الدلالة منع الصلاة وتحية المسجد ، لأن المنع من الأمر بالمعروف وهو أعلى من السنة وتحية المسجد منع منهما بالأولى .

ومن هذا يعلم أن الصلاة حين يخرج الامام من الحجرة — إن كان له حجرة — أو حين قيامه للصعود ، غير جائزة ومكرهة ، إلا إذا كانت الصلاة قضاء لفائتة لم يسقط الترتيب بينها وبين الصلاة الوقتية ، فإنها لا تكره ، بل يجب فعلها لضرورة صحة الجمعة . أما إذا كان الترتيب قد سقط بينها وبين الوقتية فإنها تكره . ولو خرج الامام والمصلي في صلاة السنة أو بعد قيامه لثلاثة النفل ، قال في الفتح : ولو خرج وهو فيها ، يقطع على ركعتين . وقال في شرح الدر : يتم في الأصح . وفي ابن عابدين ترجيح ما في الفتح حيث قال : وقدمنا في باب إدراك الفريضة ترجيح ما في الفتح أيضا ، وأن هذا كله حيث لم يقيم الى الثالثة ، وإلا فإن قيدها بسجدة أتم ، وإلا يكن قيدها بسجدة ، فقييل : يتم ، وقييل : يقعد ويسلم . قال في الخانية : وهذا أشبه . لكن رجح في شرح المنية الأول .

هذا وقد نص الحنفية على أن كل ما يحرم في الصلاة يحرم في الخطبة ، فيحرم الأكل والشرب والكلام وإن كان أمرا بمعروف أو تنبيها . ويكره تسميت العاطس

ورد السلام، خلافاً لأبي يوسف في رد السلام . والصواب أنه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع اسمه الشريف في نفسه . ويستثنى من تحريم الكلام تحذير من خيف هلاكه ، لأن هذا حق الآدمي وهو محتاج إليه .

من هذا يتبين حكم الصلاة قبل الجمعة والامام يخطب عند الحنفية ، وهو أن هذه الصلاة غير جائزة على الوجه المشرع قبل .

## مكتبة الاسكندرية

### السؤال السادس :

هل ما يدعيه بعض الغربيين من أن مكتبة الاسكندرية المشهورة أحرقت بأمر الخليفة عمر بن الخطاب صحيح ؟

## الجواب

لا صحة مطلقاً لما قاله بعض المؤرخين المتعصبين من أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . والحقيقة أن المكتبة التي بدأت في عهد بطليموس أحرقت قبل الميلاد على أثر إحراق قيصر أسطوله . ويقول المؤرخ الروماني « بلوتارك » : بينما كان الأعداء يستولون على أسطوله اضطر أن يردم بالنار ، واندلع لهيبها من الحياض وأتلف المكتبة . وقد تجددت مكتبة بالاسكندرية بعد هذه المكتبة ، وهذه الثانية خربت في أواخر القرن الرابع حيث قام بعض المسيحيين يخربون المعاهد الوثنية ، ومنها جامعة الاسكندرية حيث كانت الكتب ، وتم إعدامها عن آخرها سنة ٢٩١ ميلادية . ولا يعقل أن العرب الذين كانوا يعتقون الأسير إذا علم عشرة من الصبيان القراءة والكتابة يحاربون العلم .

## الولى

### السؤال السابع :

جاءنا من السيد محمد جاد مأذون الشرع بناحية كفر البرى أسئلة - منها : أن رجلا يعتقد الناس أنه ولى من أولياء الله تعالى ، وأننا لا نراه يؤدي الصلوات الخمس المفروضة مع أنه لا يتهيب عن ناظرنا ، ولكنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأمر الناس بأداء الصلاة في أوقاتها ، وإذا اعترض أحد عليه سرا أو جهرا يحصل له حادث يؤلمه ، وأن قواه الجسمية والعقلية سليمة ، فما حكمكم في هذا الرجل واعتقاد الناس فيه وما يجب عليهم بخصوصه ؟

## الجواب

الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن ، للمواظب على الطاعات ، المجتنب للمعاصي ، المعرض عن الانهماك في الشهوات والذات . وقد يكرمه الله بإظهار أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة ، فما لا يكون مقرونا بالآيات والعمل الصالح يكون استدرجا إن وافق الغرض . من هذا يتبين أن من لم يأتمر بأوامر الله ومن لم يجتنب نواهيه ، لا يكون ولياً ، ولا يصح الاعتقاد بأنه ولى . أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمطلوب من كل مسلم . أما ما يتوهم من أن الضرر الذي يحصل لبعض الناس إذا اعترضوا على من لا يأتمر بالأوامر ناشئ عن اعتراضهم عليه ، فلا أصل له ، بل هو وهم . والواجب على كل مسلم الحض على إقامة الأمر واجتناب النواهي متى استطاع الى ذلك سبيلا ، خصوصا ما كان منها معلوما من الدين بالضرورة كالصلاة والصوم .

## نقل رفات الميت

### السؤال الثامن :

وورد منه أيضا سؤال يتضمن : هل يجوز نقل رفات الأموات من مقبرة يتبرك بها لدفن غيرهم فيها ؟

### الجواب

لا يجوز إخراج رفات الميت من قبر دفن فيه بعد إهالة التراب عليه إلا لحق آدمي كما إذا دفن في أرض مغصوبة وأبى صاحب الأرض إبقاءه، أو دفن في أرض أخذت بعد دفنه بالشفعة لآخر. أما في غير هذه الأحوال فلا يجوز نقل رفات الميت، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح نقل ميت من مقبرة لدفن ميت آخر فيها، والميت أمره مفوض لربه في أي مكان دفن .

## هل المعاصي تمنع من دخول الجنة ؟

### السؤال التاسع :

وورد أيضا سؤال من حضرة عمر عبده خلاصته أنه سمع حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضمن أن من مات غير مشرك دخل الجنة وإن زنى وإن سرق . ثم سأل : هل يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب السارق والزاني وشارب الخمر ؟

### الجواب

يظهر أن السائل قد سمع حديث أبي ذر رضى الله عنه ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قال أبو ذر : قلت



وإن زنى وإن سرق ؟ الحديث . ولا يخفى أن الكبائر والمعاصي التي يرتكبها الشخص معتقدا حرمتها لا تسلب اسم الإيمان عنه ، ولا تحبط طاعته ، ولا توجب خلوده في النار بل عاقبته أن يدخل الجنة ، لأن من اعتقد بوجود الله وآمن بوحدايته مخلصا في ذلك فما ارتكبه من الذنوب والآثام إن كان في حقوق الله تعالى وتاب ، فالأصل قبول توبته ، لأن الله هو التواب الرحيم . ومن مات مصرا على الذنب من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، وفي كلتا الحالتين فهو من أهل الجنة ؛ وإن كان ما ارتكبه متعلقا بحقوق العباد ، فإذا ردها إليهم أو أبرأوه منها وعفوا عنه ، فالأمر ظاهر ، وإذا لم يردها ولم يبرأوه منها ، فالله تعالى كفيل بأن يرضى صاحب الحق عن حقه ، ويدخل المسلم الجنة بعد تطهيره من الذنوب .

فالحديث يدل على أن من مات على التوحيد وارتكب ذنوبا لا يخلد في النار ، وهذا لا يتنافى أن يجازى ويحاسب على ما اقترف من ذنب وجنى من جنابة .

وفي هذا الحديث رد على المبتدعة الذين يدعون أن من مات من مرتكب الكبائر من غير توبة يخلد في النار . وإنما كرر أبو ذر استعماله بقوله : وإن زنى وإن سرق ، استعظاما لشأن دخول الجنة مع ارتكاب الكبائر . ولقد كرر صلى الله عليه وسلم الرد على أبي ذر إنكارا منه استعظام ذلك وتحجير أبي ذر رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء .

وصفوة القول أنه عليه الصلاة والسلام أفاد أن الكبائر لا توجب على صاحبها الخلود في النار ، وأن المؤمن الذي يقول لا إله إلا الله مخلصا ثم يموت على ذلك يدخل الجنة ولو كان مرتكبها لبعض المعاصي ، لأن عفو الله قد يتداركه فيدخل الجنة دون عقاب أو بعد عقاب يطهر به من الذنوب .

طه مهيب

عضو المحكمة العليا الشرعية  
سابقاً

## تفنيد مذهب القاديانية<sup>(١)</sup>

دفع شبهه يتشبه بها القاديانية

— ٢ —

وأورد داعية القاديانية مستدلاً على ما يزعم من عدم انقطاع النبوة قوله تعالى :  
(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ) فقال : « وعد الله في هذه الآية يجعل الإمامة في ذرية إبراهيم ما عدا الظالمين منها ، فهل يظن المشايخ أن ذرية إبراهيم كلها صارت في زمرة الظالمين لاسيما الأمة المحمدية ، فخرمت من الإمامة الموعود بها أي من النعمة الاجتماعية ، ولا يظن أحد من المشايخ ( لأن غيرهم لا يتطرق إليه هذا الظن ) أن المراد من الإمامة في الآية الإمامة بالصلاة أو غيرها دون النبوة ، لأن هذه الإمامة إبراهيمية وهي النبوة دون شك كما كان هو إماماً بها عليه السلام ، فالنبوة باقية في ذرية إبراهيم سوى الظالمين » .

هذا ما يقوله الداعية في الاستدلال بهذه الآية على عدم انقطاع النبوة ، ونحن لا نمانع من أن يكون المراد من الإمامة النبوة ، ولكننا نفهم الآية على معنى أن إبراهيم عليه السلام قد طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أئمة ، أي أنبياء ، إذ قال : (ومن ذريتي ) ولم يقل : ( وذريتي ) فأجابه الله تعالى بقوله : ( لا ينال عهدي الظالمين ) وفي هذا عدة له بأنه سيجعل من ذريته غير الظالمين أنبياء ، فإنه نفى أن ينال العهد الذي هو الإمامة الظالمين ، ولو قال في الجواب : « نعم » لأفاد أنه سيجعل من ذرية إبراهيم عليه السلام أنبياء ، من غير دلالة على أنهم سيكونون من المؤمنين ، ولو قال في الجواب :

(١) تابع لما نشر في الجزء الاول من هذه السنة .

« ينال عهدي المؤمنين » مثلاً — لم يكن فيه نص على أن الظالمين ليسوا بأهل للإمامة ، فقلوه تعالى : ( لا ينال عهدي الظالمين ) نص على أن الظالمين ليسوا بأهل للإمامة ، ويؤخذ منه على طريق دلالة المفهوم أن النبوة تنال المؤمنين من ذريته ، وقد قامت الأدلة القاطعة على أن من لم يكونوا ظالمين قد يرفعهم الله تعالى الى مقام النبوة ، كما رفع اليه إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وقد يبقى في منزلة دونها ككثير من الصالحين الذين طهرهم الله تعالى من الظلم ولم يدعوا النبوة في حال ، فقول داعية القاديانية : « فهل يظن المشايخ أن ذرية ابراهيم كلها صارت ظلمة الخ ) ضرب في غير منفصل ، ورمى للكلام في غير مرمى ، فان المشايخ يقولون : إن الآية واردة للدلالة على أن النبوة تجعل في غير الظالمين ، ويقولون مع هذا : الله أعلم أين يجعلها ، ومتى يجعلها ، وليس في الآية دليل على بقاء النبوة في سائر العصور ، حتى في العصر الذي يستغنى فيه عن النبوة والرسالة بالكتاب الذي أودع الله تعالى فيه جلائل الهداية ودقائقها ، وتكفل بحفظه وحمايته من أن يدخله تحريف ، قال تعالى : ( مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) وقال تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) ومن نفي عن أمة النبوة لعدم حاجتها إليها ، وإقيام الأدلة على انقطاعها ، لم يلزمه الحكم عايبا بأنها كلها صارت ظلمة ، ومن ألزمه هذا الحكم فقد خرج عن أدب البحث ، ومشى في غير طريق .

وأورد داعية القاديانية في الاستدلال على بقاء النبوة قوله تعالى : ( أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ) فقال : « هذا الدعاء يبشرنا بأن الله يجعل المؤمنين في مقام الذين أنعم عليهم سابقا ، ويعطيهم كل نعمة أعطاها للأولين ، ويتمها عليهم ، والنعمة نعمتان : دينية ونهايتها النبوة ، ودينية ونهايتها الحكومة والسلطة » .

غاب هذا الداعية عن الصواب ، وانطلق يتحدث في غير علم ، ومن ذا الذي يعرف شيئا من العربية الصحيحة أو المعتلة ، ويقرأ قوله تعالى : ( أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ويفهم منها أن المناجى لله بهذه السورة يطلب أن يكون هو أو غيره من المؤمنين في مقام النبوة، والآية لا تدل على أكثر من أن المؤمن يدعو الله تعالى في جملة المؤمنين بأن يهديه طريق من أنعم عليهم. ومن استقام على واجبات الدين وسننه جهد استطاعته، فقد اهتدى طريق النعم عليهم، ولا يلزم من اهتدائه لطريق النعم عليهم من النبيين أن يرزق ما رزقوه من نعمة النبوة التي لا ينالها الناس بكثرة أعمالهم الصالحة، إذ النبوة مقام يختص به الله من يشاء من عباده.

وما قاله هذا الداعية في هذه الآية أصله اكبيرهم الذي علمهم اللعب واللغو في تفسير القرآن الحكيم، إذ قال في خطبته الالهامية: «وأنا النعم عليه الذي أشير إليه في الفاتحة عند ظهور الحزين المذكورين» يعني المغضوب عليهم والضالين، وقال: «إن سورة الفاتحة لتؤذن إيدانا بأن بعض الأفراد من هذه الأمة سيظهرون بمظهر الأنبياء من كل الجود».

ومن نكد الدنيا أن نشغل بحكاية أمثال هذا اللغو، وننفق وقتا في التنبيه على أنه هذيان في هذيان.

وأورد داعية القاديانية في الاستدلال على بقاء النبوة قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) فقال: «وهذه الآية تصرح جليا أن الأمة المحمدية تنال هذه الدرجات الأربع».

والصواب في فهم الآية أن قوله تعالى (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) هو بيان لقوله (الذين أنعم الله عليهم) والأصل في كلمة «مع» المصاحبة، والمصاحبة لا تستلزم المساواة في الرتبة، بل يكفي فيها الاشتراك في دار النعيم مع تمكن كل واحد من رؤية الآخر وملاقاته متى شاء.

فالآية وردت لبيان ما يجازى به المطيع لله ورسوله وهو مرافقة الأنبياء ومن ذكر بعدهم ، وتأويلها على معنى أن من المطيعين أنبياء ، ومنهم صديقين ، ومنهم شهداء ، وتأويل للآية على معنى لا يتقبله إلا نفوس تلوثت باعتقاد أن غلام أحمد وأذنبه أنبياء صادقون .

وأما ما ذكره الداعية من أن قوله تعالى : ( من النبين والصديقين والشهداء والصالحين ) بيان لقوله تعالى ( ومن يطع الله والرسول ) فحمل للآية على وجه تتجاف عنه قوانين البلاغة ، ويكسبها تقييداً يتبرأ منه كلام الفصحاء ، قبل أن يتبرأ منه كلام خالق الفصحاء . فعُدَّ هذا الوجه في أخطاء قائله أولى من حشره في شبهة هي أوهى من نسج المنكبوت .

### دعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى عليه السلام

نقلنا في مقالنا السابق شواهد على غرور غلام أحمد واستحواذ الشيطان عليه ، حتى ادعى أنه خير من عيسى عليه السلام ، فردَّ داعيته على هذا باعتراف أن غلام أحمد يفضل نفسه على عيسى عليه السلام ، وذهب إلى أن هذا التفضيل صحيح ، بزعم أن غلام أحمد مسيح الأمة الإسلامية ، فيكون أفضل من مسيح الأمة الإسرائيلية . ولم يستطيعوا إنكار هذه الضلالة ، لأن غلام أحمد قلها في مواضع من مؤلفاته بعبارات صريحة ، ففي مقال له نشر في كتاب « تعاليم المسيح المنتظر » ما يأتي : « كما أن مؤسس الشريعة الإسلامية أعظم من مؤسس الشريعة الموسوية ، كذلك مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية » .

فالقاديانيون يعتقدون أن غلام أحمد أفضل من عيسى عليه السلام ، أفلا يكفي هذا شاهداً على أن النحلة القاديانية شعبة من الشعب التي انسلخت من الإسلام ، والإسلام يرى منها ؛ وكيف يكون غلام أحمد الذي قامت البراهين على كذبه وسوء طويته ، أفضل من عيسى بن مريم الذي وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بالنبوة

والرسالة، وأيده بالآيات البينات ! فما قاله غلام أحمد في الاستدلال على أفضليته إلحاد وهذيان ، فإن دعواه أنه مسيح السلالة الإسلامية باطلة على البداة ، وكل ما يبني عليها ضلال في ضلال .

تكفير غلام أحمد عليه السلام عن الله من اتباعه :

ذكرنا في مقالنا السابق أن غلام أحمد يعدّ المساميين الذين ينبذون دعوته كفارا ، ويمثلهم باليهود ، فأراد الداعية القادياني أن يرد علينا في هذا الموضع ، وأورد حديث ( ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ) ، وحديث ( إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ) ثم قال : « وأحمد المسيح الموعود لم يجعل مسالما كافرا ، ولم يثبث مؤمنا باليهود ، بل بين حقيقة قرآنية ونبا نبويا » ثم قال : « وإننا نسأل المشايخ : هل كان قول أحمد في غير محله ، وهل كان مجيئه في غير حاجة ؟ » .

ونحن لم ننازع في أن من المنتمين الى الاسلام طوائف زائغة عن السبيل ، حتى نحتاج الى أن نذكر بهذه الأحاديث ؛ والذي نعدّه في ضلالات غلام أحمد أنه يسمي المساميين الذين لا يقبلون دعوته كفارا ، وينهى عن مصاهرتهم والصلاة خلفهم . ومن شواهد تكفيره من حفظهم الله تعالى من فتنته قوله في كتاب « حقيقة الوحي » : « الكفر على قسمين : ( أحدهما ) أن يجهد الرجل عن الاسلام أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . و ( الثاني ) أن يجهد المسيح الموعود ( يعني نفسه ) ويكذبه مع سطوع الحجج على صدقه ، وإن أمعنت النظر وجدت كلا القسمين واحدا .

ومن تمويه داعيتهم قوله : « إن أحمد المسيح الموعود لم يجعل مسالما كافرا الخ » فإن المسلم والمؤمن عند القاديانية من صدق بأن غلام أحمد نبي ، وغيره في مذهبهم ليس

بمسلم ولا مؤمن، فإذا وصف من لم يقبلوا دعوته بالكفر أو باليهودية، لم يجعل مسالماً كافراً في نظرهم أو يهودياً.

أما قوله: « وإننا نسأل المشايخ هل كان قول أحمد الخ » جوابه أن غلام أحمد يقول غير الحق، وما كانت دعوته إلا فتنة، وتفريقاً بين المسلمين، وصداً عن طرق الفلاح ومراقى العزة، ولم يحىء على يديه ما فيه خير للدين، بل وضع نخلة ملفقة من آراء باطلة وأقوال لاغية، ثم أضاف إليها شيئاً من مبادئ الإسلام، وسماها في الظاهر باسم الإسلام مكرراً وتغريراً.

#### تزوير داعية القاديانية :

نقل هذا الداعية عبارات لبعض العلماء في صورة الاستدلال بها على أن في أهل العلم من يذهب إلى بقاء باب النبوة مفتوحاً، واسنأ في حاجة إلى إطالة الكلام بذكر تلك العبارات وبيان ما فيها من جهالة أو تحريف، ونقول والأدلة تناصرنا: إن كل عبارة تصرح بصحة بعث نبي بعد الرسول الأعظم غير عيسى عليه السلام فهي كفر صراح. ونسوق إليك مثلاً من تزوير هذا الداعية فيما يعزوه إلى أولئك العلماء:

نقل الداعية عبارة للشيخ عبد القادر الكردستاني يؤم بها أن الشيخ يجوز أن يحىء نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مشرع، فقال: « يقول الشيخ عبد القادر الكردستاني ما نصه: « إن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يبعث بعده نبي مشرع ».

أورد القادياني هذه العبارة مقطوعة عن سابقها ولأحقها، ليخدع بها قراء ورفاقه. والحقيقة أن عبارة الشيخ عبد القادر وردت في تعليقه على كتاب التهذيب وشرحه، وأصل ما في التهذيب والشرح: « وأنه لا يبعث نبي بعده ولكن رسول الله وخاتم النبيين،

وإذا ثبت أنه خاتم الأنبياء ثبت أنه لا تنسخ شريعته» وكتب الشيخ عبد القادر معلقا على ذلك ما نصه : قوله : ( وأنه لا يبعث نبي بعده ) إشارة الى دفع ما يقال : إن عيسى حتى بعد نبينا صلى الله عليه وسلم حيث رفع الى السماء ، وينزل الى الدنيا ، فلا يكون صلى الله عليه وسلم خاتما ، وحاصل الدفع أن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يبعث بعده نبي آخر بشريعة أخرى ، فإن عيسى عليه السلام إنما ينزل على شريعة نبينا ، ولا يسعه إلا اتباعه . »

هذه عبارة الشيخ الكردي ، وهي كما رأيتها خاصة بالحديث عن عيسى عليه السلام ، ولم يقلها ليدل على أن باب النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال مفتوحا ، وهذه العبارة تشبه عبارة النيسابوري إذ قال عند قوله تعالى ( وخاتم النبيين ) : ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي ذلك ، لأنه ممن نبي قبله ، وهو يحيى على شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته ، وكأنه بعض أمته . وهذا مثل ينبتك أن داعية القاديانية ينسب الى علماء الاسلام ما لم يخطر لهم على بال .

اقترح عديم أحمد على علماء الهند أنه يتركوه عشر سنين :

ذكرنا في المقال السابق أن غلام أحمد اقترح على علماء الاسلام بالهند أن يتركوه عشر سنين لا يعارضونه ولا يفندون آراءه ، وقال لهم : إن كنت كاذبا فسيظهر كذبي ، وإن كنت صادقا نجوت من العقوبة التي ينزلها الله على من يناوئني ، وقلنا : إن العلماء لم يكونوا من الغباوة بحيث تروج عليهم هذه المسكيدة ، بل لم يكونوا من الجمل بواجبات الدين على حد أن يقبلوا هذا الاقتراح ، ويطلقوا لغلام أحمد الشكيمة غير مباليين بما يفسده من عقائد وأخلاق وآداب ، ولم يخجل داعية القاديانية أن يتعرض في مقاله لهذا الاقتراح ، وتبلغ به قلة الخجل أن يعدّ مثل هذا في طرق الدعوة الصحيحة ، ويقيسه بحكمة القرآن الكريم في قوله تعالى : ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ



بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

والفرق بين الآية الكريمة واقتراح غلام أحمد كالفرق بين البياض الناصع والسواد الحالك ، وداعية القاديانية إما أنه لم يفهم معنى الآية ، وإما أنه يتخيل أن قراء مقاله قد وضعوا عقولهم بين أصابعه يعذب بها كيف يشاء .

وهل من المعلوم أن يكون مثل غلام أحمد في اقتراحه السخيف مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أمره الله تعالى بأن يدعو أهل الكتاب الى إخلاص العبادة لله تعالى وعدم اتخاذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإذا لم يقبلوا هذه الدعوة اعتز هو وأصحابه بإسلامهم ، وأعرض عن أولئك الجاهلين !

وإذا قص القرآن الكريم أن بعض المدافعين عن رسول عزم بعض قومه على قتله ، قال لهم في دفاعه عنه : (أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم) فإن ذلك الرجل إنما قال هذه الكلمة في حق داع الى الله بحق ، قد قامت البينات على صدقه ، ولم يكن بيد القوم دليل أو أماراة على كذبه البتة ، وليس هذا حال غلام أحمد مع علماء الاسلام ، فإن دعاوى غلام أحمد مناقضة لأصول الاسلام ، فكذبه مقطوع به ، فإذا قال لأهل العلم دعوني ، ولا تعرضوا لدعائى مقدار عشرين سنين ، فإنا يقول لهم : دعوني أبدل دينكم الحنيف ، وأهدم شريعتكم الغراء ، وأقيم العقبات في سبيل عزتكم ، وكونوا على هذا البلاء صابرين ، ولهذه المهانة محتملين ، وبعبقوبة الله غير مباينين .

ولا عجب لمن لم يذق للغيرة على الحق طعماً أن يعرض ذلك الاقتراح على من علمهم القرآن العزيز أدب النصيح لله ولرسوله وللمؤمنين .

### الرداء غلام أحمد للنبوة :

بعث إلينا معتمد القاديانية في بلد « نكس » بلاهور كتابا ينكر فيه أن غلام أحمد قد ادعى النبوة ، ويعدّ فرقة قاديان التي من زعمائها داعية فلسطين فئة ضالة ، ومما قال في الكتاب : « حينما بحثتم عن عقائد فئة قديان الغالية الضالة عن جادة الحق والصواب بنيتم بحسكم على عبارات هذه الفرقة الغالية دون عبارات كتب حضرة المجدد وتصريحاته وجعلتم عقائد هذه الفئة مرآيا عقائد حضرة المجدد افتراء عليه » ثم قال : « فمليك أن تأتي بكلمة من كتبه دالة على أن حضرة المجدد ادعى النبوة ، وإن تستطيع أبدا » .

ونحن نوافقه على أن فرقة قاديان فرقة ضالة ، بل هي خارجة في ضلالها عن دائرة الاسلام ، ونقول له : إن حضرة مجددكم قد فضل نفسه على عيسى بن مريم عليه السلام وهل يصح لمجدد أن يفضل نفسه على رسول عظيم قبل أن يزعم أنه قد أوتي النبوة والرسالة ؛ وإذا كان غلام أحمد لا يدعى النبوة والرسالة ، فما معنى الآيات التي يتبجح بها ويزعم أن الله أيده بها ، والمجدد والمصاح غير النبي إنما يرجع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ، أو إلى الأصول النظرية المعقولة ، فيستمد منها الأدلة على ما يقرره ويدعو إليه من عقائد أو أحكام أو آداب ، وإذا لم يمكنه إقناع الناس من هذه الناحية ، فعده مجددا مصلحا ، جهالة ليس وراءها جهالة .

أليس مجددكم هو الذي يقول : « بعث الله تعالى في هذه الأمة مسيحا أفضل من المسيح الأول في جميع السمكالات ، والذي نفسى بيده لو كان عيسى بن مريم في زمان أنا فيه لما استطاع عملا مما عملته ، ولم يكذب يظهر المعجزة التي ظهرت <sup>(١)</sup> » .

أو ليس مجددكم هو الذي يدعى أنه أوحى إليه قوله : « إنا أرسلنا أحمد إلى قومه فأعرضوا عنه وقالوا كذاب أشر <sup>(٢)</sup> » :

(١) كتاب حقيقة الوحي . (٢) كتاب أربعين .

بل وجد في كلام غلام أحمد ما يدل على أنه يحدث نفسه بأنه رسول مشرع ، فقد عد من أقسام الكفر جحود المسيح الموعود (يعنى نفسه) وتكذيبه فيما جاء به ، وقال في حاشية على كتاب « تزيان القلوب » : « وليتنبه أن تكفير المنكرين من خواص الأنبياء الذين جاءوا بشريعة جديدة وأحكام ناسخة ، وأما من سواهم من الملهمين والمحدثين فلا يكفر أحد بجحوده » فان كان غلام أحمد يكتب ما يكتب وهو عارف ما يكتب ، قلنا : إن حكمه بتكفير من يكذب به ، ثم قصره التكفير على من يكذب الأنبياء الذين جاءوا بشرائع جديدة ، يفيدان أن غلام أحمد يدعى أنه من الأنبياء الذين جاءوا بشرائع جديدة .

فدعوا أيها اللاهوريون ذكر النبوة الظلمية أو المجازية ، وتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نثق بأن غلام أحمد قد ادعى النبوة والرسالة كذبا ، وأميطوا ما يزعم غلام أحمد أنه أوحى إليه إمارة الأذى عن الطريق ، وارجعوا الى كتاب الله وسنة رسول الله ، ولا تجحدوا ما نطق به القرآن من معجزات رسل الله الأكرمين ، واعترفوا بأن ما أولتموها به لا يحتمله اللفظ العربى ولا يسمح به سياق الآيات ، ولم يعرفه علماء الصحابة الذين تلقوا القرآن وبيانه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن فرقة القاديانية التى تصدق غلام أحمد فى دعوى النبوة لتعدكم فرقة خارجة عن نحلتهن ، والأمة الإسلامية التى تؤمن بما نزل على محمد وما حدث به محمد صلى الله عليه وسلم تعدكم فرقة خارجة عن حدود دينهم ، وليس تأويلكم للمعجزات المذكورة فى القرآن إلا إنكارا لوقوعها ، وما تسميتكم لغلام أحمد بالمجدد المصالح إلا نصب أحبولة لاستدراج المستضعفين أو الغافلين الى نحلة ملفقة شوهاء .

محمد الخضر حسين

# الاسلام فى بلاد الصين<sup>(١)</sup>

رأى مستشرق

لقد بقى الاسلام فى بلاد الصين اغزا زمنا طويلا لا يُعرف عنه شىء ، الى أن تنبأ « دابرى ده تيرسان » ( Dabry de Thiersant ) وفاسلييف ( Vassiliev ) بدخول بلاد الصين فى الاسلام عاجلا .

ولا يزال الاسلام فى الصين مجهولا عنه شىء كثير ، وإن الإحصائيات التى سنوردها فيما يلى إما ناقصة وإما تخريبية ، لأنها مأخوذة فى الغالب عن التحريات التى أجراها « برومبال » ( Broomball ) فى سنة ١٩١٠ أو عن تحريات بعثة « أولون » ( Ollone ) فى سنة ١٩١١ .

ولم يضيف الى تلك التحريات سوى محاولة قام بها « ف . ه . رودس » ( F. H. Rhodes ) فى سنة ١٩١١ على أن كل تلك التحريات تبين لنا على الأقل أن الاسلام من العوامل الأساسية التى لها أثر كبير فى حياة جمهور عظيم من بلاد الصين فى الوقت الحاضر ، فقد كانت تمزقها الفوضى السياسية والاجتماعية منذ وفاة « يوان شى - ك . آى » ( Yuan - che - K'ai ) حيث أخذ ينضب معين الأخلاق والآداب القديمة التى دعا إليها كونفشيوس ، وصارت الأديرة الطاؤستية ( Taoistes ) قاعا صفصفا ، وأصاب الرهبانية البوذية الهزال والاضمحلال بسبب ما حدث لها من الضغط الناشئ من قيود الأوامر التى أصدرها أمباطرة الصين الأخيرون ، وبسبب ما ناله من الهزيمة

على أيدي الشوار العمانيين، فلم يبق بعد ذلك وجهالوجه سوى فئتين ضعيفتين في وسط تلك الكتلة الهائلة من بني الانسان التي كانت تقدر بأكثر من حقيقتها منذ زمن قريب، إلا أنها قد تبلغ الآن ثلثمائة مليون نفس<sup>(١)</sup> بالرغم مما أصابها بسبب المجاعة، وهاتان الفئتان هما المسلمون والمسيحيون، وهما على عدااء صريح بينهما بالرغم عن أنهما يتجهان نحو فكرة وحدانية الإله. ويبلغ عدد المسلمين في وسط تلك الكتلة ٦ ملايين، وعدد المسيحيين مليونين أى بنسبة ثلاثة الى واحد. ويعتقد أهل مكة أن عدد مسلمي الصين يبلغ ثلاثين مليوناً، ولذلك احتفظ لهم بثلاثة كرسي من ٤٩ كرسيًا في « مؤتمر العالم الاسلامي » الذي عقد هناك في سنة ١٩٢٦

إن تقويمات الحكومة الصينية تطلق على المسلمين اسم « هوئي — هوئي » (Hoei — Hoei) وعلى الاسلام « تسنج — تشن — كياوه » (Ts'ing - tchen - kiao) ومعناه « الدين الخالص الحق » ويسمون العرب باسم « طاشي » (Ta - chi) . ويروى في القصص الصينية أن للصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) المتوفى بالعقيق في سنة ٦٧٤ ضريحاً بالقرب من مدينة « طورفان » من مدن التركستان الصينية، ومسجداً في مدينة « كانتون » .

ومن المؤكد أن هناك بعثتين إسلاميتين سافرتا الى بلاد الصين ووصلتا فعلاً إليها، وهما : بعثة أرسلها سيدنا عائش (رضي الله عنه) استقبلها أمبراطور الصين (تانج كاو — تسونج) (T'ang, Kao - Tsong) في سنة ٦٥١ ميلادية، وبعثة سيدنا « قتيبة » في سنة ٧١٣ وسافرت بعدهما تسع عشرة بعثة فيما بين سنتي ٧١٦ و ٧٥٩ من الميلاد، وقد نوه المسيو شافان بتلك البعثات في كتابه عن الصين . هذا وقد توطد الاسلام في بلاد الصين الاكية :

(١) يؤكد لنا بعض إخواننا من مسلمي الصين نزلاء مصر أن عدد سكان الصين الآن يبلغ ٤٠٠ مليون نفس منهم ٥٠ مليوناً من المسلمين .

( ا ) في مقاطعة « كان — صو » Kan-sou منذ القرن الثامن الميلادي بواسطة جنود العرب المرتزقة التي كان جندها الامبراطور « سو — تسونج » Sou-Tsong عند قيام الثورة الكبرى .

( ب ) على الساحل الجنوبي الشرقي في « كانتون » Canton و « زاي تون » Zayton و « يانغ — جييو » Yang-Tcheou منذ القرن العاشر بواسطة البحارة الذين جاءوا من الخليج الفارسي ، وقد ذكروا كثيرا من الملاحظات الدقيقة عما شاهدوه في بلاد الصين ، مثل الأشجار ذات الأوراق المصنوعة من الحرير والتي تزدان بها حديقة قصر الامبراطور « ابن السماء » وكان ذلك منذ عهد « يانغ — تي » ( yang-ti ) .

( ح ) في مقاطعة « يون — نان » ( Yun-nàn ) في القرن الثامن بواسطة حاكم منغولي : مسلم غيور من نجارا .

هذا ومنذ القرن السابع عشر الميلادي أصبحت كتب الفقه والعبادات في الاسلام تكتب باللغتين الصينية والعربية أو بالصينية فقط بعد أن كانت مكتوبة باللغة التركية الشرقية ( بحروف الوجور ) ( Oigour ) ثم بالعربية . ويذكر « برومهال » من هذه الكتب عشرين مؤلفا . و « فسيبر » ستة وثلاثين ، والخط العربي الذي يكتبه مسلمو الصين بالفرشة بدل القلم<sup>(١)</sup> ذو شكل غريب جدا ، وأهم الحرف التي يحترفها مسلمو الصين هي : الجندية وتجارة الصادرات ، والتجارة بالتجوال في الطرق لبيع الحرير والقطن والشاي ، وفتح المطاعم والحمامات ، وكذلك العمل في المصانع مثل مصانع الحديد الشهيرة في « هان — يانغ » Han-yang ومصانع الغزل على الساحل الجنوبي الشرقي .

وتبدأ أسماء الأسر الاسلامية بالمقاطع التالية : « ما » « وكين » « وها » « وشا » وغيرها . وقد بقي المسلمون متمسكين بعاداتهم القديمة في الجنوب الغربي

( ١ ) يقول بعض إخواننا الصينيين المقيمين بمصر : إنهم يكتبون اللغة العربية بالقلم في مقاطعة يونان .

لكنهم تطوروا في الشمال الغربي بتأثير الأتراك « الويجور » الذين اعتنقوا الاسلام .  
وقد حاولت الحكومة العثمانية منذ عشرين عاما أن تنظم أحوال مسلمي الصين .

وفي سنة ١٩٠٨ طلبت ألمانيا من الحكومة الصينية بأن تجعل لها مركزا سياسيا خاصا بأن تكون هي « الدولة الحامية » للاسلام في الصين .

ويحتفل مسلمو الصين بالأعياد الدينية مثل العيدين ، وبالمولد النبوي ، وبالعراج وبليلة القدر ، ويوم عاشوراء ، وغيرها .

وإليك ما يمكن إثباته عن الاسلام في التسع عشرة مقاطعة من مقاطعات الصين :  
مقاطعة « سن — كيانج » ( Sin - Kiang ) : وهي من مقاطعات التركستان الصينية  
ويبلغ عدد المسلمين بها مليونان من مجموع عدد سكانها البالغين مايونا ومائتي ألف نسمة .  
مقاطعة « كان — صو » : وبها من المسلمين ١٤٠٠٠٠٠ نسمة من ٣٠٨١٠٠٠٠ نفس  
وهو عدد ضئيل جدا .

مقاطعة « يون — نان » : يبلغ عدد المسلمين بها ٧٠٠٠٠٠<sup>(١)</sup> من مجموع سكانها البالغ ٨٠٥٣٦٠٠٠ نسمة ، وسنفرد لكل من هذه المقاطعات الثلاث بمحا على حدة لأنها هي أهم المقاطعات التي انتشر فيها الاسلام بصفة جديدة . وأما بقية المقاطعات فيكتفي بإبداء بعض المعلومات الموجزة عنها . وهي :

مقاطعة « تشي — لي » ( Tche-li ) : بها من المسلمين ٥٠٠٠٠٠ نفس من مجموع سكانها البالغين ٢٢٠٩٧٠٠٠ نسمة أي بنسبة ٢٪ في المائة . وفي « بكين » وهي العاصمة ٤٥٠٠٠ مسلم من ٨٠٠٠٠٠ نسمة عدد سكانها . وإطلاق عليهم اسم « خوجم » ( Khodjem ) وهم نزحوا إليها من بلاد « تزونجباريا » ( Dzongarie ) في القرن الثامن

(١) وهو إحصاء مشكوك في صحته حسب تأكيدات بعض إخواننا من مسلمي الصين في مصر .

عشر من الميلاد، ويوجد بهذه المقاطعة ستة وثلاثون مسجداً<sup>(١)</sup> منها واحد بالعاصمة، ومنذ سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩٢٤ كان خليفة آل عثمان يبعث الى الصين ببعض المندوبين بصفة شبيهة بالسمية مثل « القاضي » وهو زائر منتدب من قبل شيخ الاسلام في الاستانة ويوجد بمدينة « تيين - تسين » ( T'ien-tsin ) ٧٠,٠٠٠ مسلم من مجموع عدد سكانها البالغ ٧٥٠,٠٠٠ نسمة، وبها عشرة مساجد .

وأما نهضة التربية الحديثة التي مركزها بمسجد « كيتاسو » ( Kiatso ) في بكين فهي ترمي الى تحيين دراسة اللغة العربية والى نشر التعليم بين النساء .

وفي ولاية « شان - تونج » ( Chan-tong ) ٢٠٠,٠٠٠ مسلم من ٢٥٨١,٠٠٠ مجموع أهاليها، وبها ١٦ مسجداً، منها ثمانية مساجد بمدينة « تسينان » ( Tsinan ) ويوجد بها كذلك مساجد خاصة بالسيدات .

مقاطعة شان - سي « ( Chan-si ) : بها ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ٩٤٢,٠٠٠ نسمة .

مقاطعة « هو - نان » ( Ho-Nan ) : بها ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ٢٢٣,٧٥٠,٠٠٠ من السكان

وبها ٣٠٠ مسجد، وفي مدينة كايفونج ( K'ai-fong ) ١٧٥,٠٠٠ مسلم من ١٥٠٠,٠٠٠ من سكانها، وبها خمسة عشر مسجداً منها ثمانية للنساء، وبها كذلك مدارس ابتدائية مهمة، ويوجد بعض المسلمين ممن اعتنقوا الاسلام من بين الجالية الاسرائيلية التي أقامت هناك منذ القرن الخامس عشر، وتعد مدينة « هواي - شنج » ( Houai-Ching ) مركزاً لتعليم الدين الاسلامي .

مقاطعة « كيانج - سو » ( Kiang-sou ) : بها ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ١٥,٣٨٠,٠٠٠

من الأهالي، وفي مدينة « نانكين » ( Nan-kin ) ٢٥,٠٠٠ مسلم من ٢٥٠,٠٠٠ من سكانها، وبها سبعة وعشرون مسجداً . وكانت « يانج - تشو » ( Yang-tcheou ) مركزاً

(١) يؤكد بعض الصينيين نزلاء مصر أن عدد المساجد في الصين يبلغ ٣٠ ، ٤٠٠ مسجد



صغيرا لتعليم الدين الاسلامى ، وذلك منذ القرن العاشر الميلادى ، ولا يزال يوجد بها مدرسة ثانوية إسلامية ، ويوجد بمدينة « شانغاي » ( Chang-hai ) بعض المسلمين ويؤلفون بينهم جمعية دينية اسمها « الجمعية العالمية الاسلامية الصينية » .

مقاطعة « غان — هوى » ( hgan-houei ) : بها ٤٠,٠٠٠ مسلم من ١٤,٠٧٥,٠٠٠ من السكان .

مقاطعة « كيانج — سى » Kiang-si وعاصمتها « نان — تشانج » — Nan-tchang : بها ٢,٥٠٠ مسلم من ١٦,٢٥٥,٠٠٠ من السكان .

مقاطعة « جيكيان » ( Tchô-kiang ) : بها ٧,٥٠٠ مسلم من ١٣,٩٥٠,٠٠٠ من السكان ويرجع اعتناق أسرها للدين الاسلامى الى عهد قديم .

مقاطعة « فو — كين » ( Fou-kien ) : بها ١٠,٠٠٠ مسلم من مجموع عدد سكانها البالغ ٨,٥٦٠,٠٠٠ نسمة . ويوجد بمدينة « تسنجون » مسجد عجيب يرجع عهده الى القرن الحادى عشر ( سنة ١٠٠٩ ) وقد درس تاريخه للمسيو فان برشم والمسيو ارنيير ) .

مقاطعة « هوبى » ( Hou-pei ) : بها ١٠,٠٠٠ مسلم من ٢١,٢٦٠,٠٠٠ من السكان .

مقاطعة « هونان » ( Hou-nan ) : بها ١٠,٠٠٠ مسلم من ٢٠,٥٨٠,٠٠٠ من السكان وفيها تسعة عشر مسجدا ، منها اثنان بمدينة « تشانج شاه » ( Tch'ang-cha ) .

مقاطعة « شين — سى » ( Chen-si ) : إن عدد المسلمين بها قد تلاشى منذ سنة ١٨٦٠

ولم يبق منهم الآن أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ نسمة من ٦,٧٢٥,٠٠٠ من مجموع سكانها ، وهم موزعون على مدن سيغان ( Si-ngan ) و « غانجون » و « هنغان » ( Hing-ngan ) ويوجد بها جالية إسلامية منذ القرن التاسع ، وبها سبعة مساجد .

مقاطعة ، سيجوان ( Seu-tchouang ) : بها ٢٠٠,٠٠٠ مسلم من ٥,٤٥٠,٠٠٠

من مجموع سكانها ، ولاسيا بمدينة « جندو » ( Tch'eng-tou ) حيث يوجد بها ١١,٥٠٠ مسلم

وأحد عشر مسجداً ، عشرة منها للشافعية ، وبها مصنع للنقش والخز على الخشب ذائع الصيت . وفي مدينة « تا — تسين — لو » ( Ta-t sien-lou ) ١٢,٥٠٠ مسلم ، وقد عم الاسلام كذلك مدينة « با — تانج » ( Ba-tang ) وبها بعض المولوية ( المشايخ ) ( Mollas ) الذين يدرسون باللغة الفارسية .

ولاية « كوانتونغ » ( Kouang-tong ) : بها ٣٥,٠٠٠ مسلم من ٢٣,٧٠٠,٠٠٠ من السكان ، وبمدينة « كوانجو » ( Kouang-tcheou ) — أو كانتون ( ٢٥,٠٠٠ مسلم من ٨٠٠,٠٠٠ من السكان ، وبها أربعة مساجد ، منها مسجد « سان سوفنير » ( Saint-Souvenir ) « أو الذكري المقدسة » أو « شوق النبي » وقد أعيد بناؤه في سنة ١٣٤٣ ميلادية ، وفيها ( قبر سعد بن أبي وقاص ) وقد دخل الاسلام في مركز « ساما » ( Sama ) الصغير بجزيرة « هيجان » ( Hainan ) .

ولاية « كوانج-سى » ( Kouang-si ) : بها ١٥,٠٠٠ مسلم من ٥,٤٢٥,٠٠٠ من سكانها . ولاية « كويجون » ( Kouei-tchou ) : بها ٢٠٠,٠٠٠ مسلم من مجموع عدد سكانها البالغ ٩,٢٦٣,٠٠٠ .

فيكون المجموع الكلي لعدد سكان الصين الأصلية هو ٣١,٤٦٨,٥٠٠ نسمة على الأقل ؛ ويبلغ عدد المسلمين فيهم من ٦,١٢٥,٠٠٠ إلى ٧,٠٦٦,٠٠٠ نفس . ويوجد نصفهم في ولايات « سنكيان » ( Sinkiang ) و « كان-سو » ( Kan-sou ) « يون-نان » ( Yun-nan ) وقد اجتهد في وضع نظام رسمي ( إداري ) لهم في سنة ١٦٨٣ ثم في سنة ١٨٥٨ .

#### ملحقات الصين الأخرى :

منشوريا : بها من المسلمين ٢٠٠,٠٠٠ من مجموع عدد سكانها البالغين ١٠,٧٤٠,٠٠٠ وفي مدينة « مكدن » ٦,٠٠٠ مسلم ، وبها أربعة مساجد .

« كونكور - تسايديان » (Kouunkour-tsaidan): وهي ولاية تقيم حكومتها بمدينة « سي - ننج » (Si-ning) في ولاية « كانسو » ويبلغ عدد سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمة أصلهم من جنس أهالي التبت الموسومين باسم « طانجوتس » (Tangoutés) وهم خاضعون للنظام الاقطاعي المنغولي منذ سنة ١٥١٢ ويكنون « لواء » أو قبيلة ، ويقال إنهم من « الدادا » أو « التتار » (Daldas) أحفاد جنغيز خان (Tchinguiz-khan) وأصبحوا خاضعين للصين منذ سنة ١٦٩٧ وإن أغليتهم العظمى تدين بالبوذية ، ولكن يوجد منهم نحو ٣٠٠٠ مسلم يطابق عليهم اسم « سيشا » يعرفون زمام التجارة في البلاد .

« التبت » هذه البلاد موضوعة تحت الرقابة الثنائية ، وهي الرقابة الصينية التي تستمد سلطتها من نائب الحاكم العام لولاية « صو - تش - وان » (Sseu-tch,ouan) ، والرقابة البريطانية ، ويقال إنه يوجد بها مليونان من السكان الذين معظمهم من البوذيين ومن بينهم بعض المسيحيين المتكبرين و ٣٠٠,٠٠٠ مسلم ، ويوجد ١٠,٠٠٠ مسلم في ولاية « واي » (Weï) أصلهم من مهاجري الهنود في « لاسا » (Lassa) وفي بلاد « تسيامدو » (Tsiampo) و (درايا) Draya و (سي - تشنج) Se - tching يوجد ١٤,٠٠٠ مسلم . وفي ولاية ( غاري ) Gartok-ngari يوجد ٦,٠٠٠ مسلم ، وهم من المهاجرين السنين الذين نزحوا من بلاد الكشمير أو من الاسماعيليين الذين جاءوا من « بالتستان » Baltistan .

ويوجد كذلك بعض من أسلموا من أهل بلاد التبت الأصليين الذين يقطنون على الحدود الصينية في جهة « صواتشوان » .

### الإدارة في الصين :

إن إدارة الولايات الصينية قد عمها الإصلاح منذ سنة ١٩١٢ ، فقد ألغى نظام المديرات القديم ذات الدرجة الأولى والثانية «فو» و « تشو » Fou et tcheou واحتفظ

فى كل ولاية بدوائر رئيسية مقسمة الى مراكز . وحدث فى نفس الوقت تعديل فى عدد عظيم من الأسماء : نحو بكين التى كانت حاضرة « جوينتان » أصبحت عاصمة (كنج - شاؤ) .

ولا تزال الخرائط الأوربية محتفظة بالأسماء السابقة لهذا التعديل .

### الصمافنة :

فى مدينة بيكين : يوجد بها صحيفة (مو - شنج باؤ) Mou-cheng pao أو «صوت محمد» وهى جريدة أسبوعية كان يصدرها « ر . هسى تان » R. hsi tan وأوقفت .  
وصحيفة « يى - كوانج » Yi-kouang ( نور الاسلام ) وهى شهرية ، وتصدر منذ سنة ١٩٢٧ .

وصحيفة « مو كوانج » ( نور محمد ) Mou kouang وهى نصف شهرية .  
وفى مدينة « يون - نان - سن » توجد صحيفة « يون نان . شينج . شن . يوه ياؤ » ومعناه مجلة الدين الحق الخالص Yün nan ch'ing cheng yueh pao وهى صحيفة شهرية مصورة كانت تصدر منذ سنة ١٩١٦ وأوقفت .

## الطرف والمُلمح

قال بعض النساءك :

قد أعيانى أن أنزل على رجل يعلم أنى لست آكل من رزقه شيئاً .

## في بلاد التركستان الصينية

(سين كيآنج)

الموقع — المساحة — التعداد :

تقع بلاد التركستان الصينية فيما بين الدرجة ٣٥ والدرجة ٤٩ من خطوط العرض الشمالية ، وفيما بين الدرجة ٧٩ والدرجة ٩٦ من خطوط الطول الشرقية ، وتبلغ مساحة «السين كيآنج» ومعناها البلاد الجديدة ١,٤٢٦,٠٠٠ كيلومترا مربعا ، وتشمل ما يأتي :  
(١) بحيرة محصورة عمقها ١٠٠٠ متر وهي بحيرة «تاعلي — موهو» ويبلغ مجراها ٢٠٠٠ كيلو متر ثم تضيق في المستنقعات التي وسط صحراء «تاكلا — ماكان» وهي صحراء تنتشر فيها واحات كثيرة .

(ب) سلسلة جبال تبدأ من «البامير» من جهة الشرق وتبلغ أعلى قمة فيها ٧,٨٠٠ متر عند «كوين — لوين» في الجنوب ، وتبلغ قمة «خان تنجري» في الشمال ٨٧٠ مترا ، وتلتف من الجهة الغربية بوادي «ييلي» ومن الجهة الشرقية بمنحدر «الطورفان» وتشرف من الجهة الشمالية الشرقية على صحراء منغوليا .

(ج) «هضبة جبال تزوتجاريا» : في الجهة الشمالية الغربية وهي تبلغ ١,٥٠٠ متر ، ويوجد بها بعض البحيرات مثل «سابرام — نور» .

مجموع السكان :

يبلغ مجموع سكانها نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٠٢<sup>(١)</sup> وقد كان أكثر من ذلك كثيرا فيما مضى .

المدن :

أولاً الست المدن الأصلية وهي : «خوتان» و«بالصينية» و«هوتين» ويبلغ عدد

(١) يقول بعض اخواننا من مسلمي الصين المقيمين بمصر إن عدد السكان يبلغ الآن ٢,٢٠٠,٠٠٠ نسمة .

سكانها ٢٦,٠٠٠ نسمة و « يارقند » وبالصينية « شاجو » ويبلغ تعدادها ٦٠,٠٠٠ نسمة و « كاشجار » أو « صوفر » وعدد سكانها ٧٠,٠٠٠ نسمة و « اوج - طورفان » أو « ووشى » و « اكسوا » أو « وين - صو » و « يانغى - حصار » أو « ينغ - كى شا - ؤول » ثم مدن « طورفان » أو « طولوفان » و « كارشال » أو « كولاشاؤول » و « قومول » أو « هامى » و « أورو متسى » أو « تى - هوا » ويبلغ عدد سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٢,٠٠٠ من الأتراك ، وأما الحاضرة القديمة « البيشباليك » فكانت أقرب الى الجهة الشرقية ، و « كوجنج » و « كولجا » أو « ييلى » ويبلغ تعدادها ١٠,٠٠٠ نسمة ، وكانت تحتلها روسيا من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨١ ، وبها مسجد وثمانية وعشرون مدرسة ، وكانت سابقا معقلا للمسيحيين النستوريين .

### دخول المسلم في التركستان :

لقد مرت بلاد التركستان الصينية بعصر مدنية ورخاء في عهد الملوك الطوخابين الهنود الذين جاءوا من « كاراشار » و « كوجا » وكان آخرهم ( هاريبوسيا الذى خضع للصين فى سنة ٦٤٨ ) والذين قدموا من « الكاماديشا » فيما بين سنة ٢٠٠ قبل الميلاد وسنة ٦٤٨ بعد الميلاد وكانوا خاضعين للصين . وقد عثر على آثارهم ودرستها بعثات « أوريل اشتين » و « فون ليسكوك » و « بيوه » . وفى القرن الثامن من الميلاد خضعت كل بلاد اتركستان للصين إلا أنها بقيت تتكلم اللغة اليورانية الشرقية أو « الطوخارية » . ومن سنة ٧٤٥ - سنة ٨٤٥ كانت دولة ترك ياغان الويغور من « أورخون » تنازع التبتيين فى الاستيلاء على بلاد التركستان ، وقد اعتنق أولئك الأتراك مذهب المانوية اليورانية ( الزندقة ) فى سنة ٧٦٢ على يد رئيس هذا المذهب الذى كان يطلق عليه اسم موزاق ، وكان يقيم فى « كاراخوجا » بالقرب من طورفان . وقد حطم دولة الأتراك الهجوم الصينى فيما بين سنة ٨٤٠ الى سنة ٨٤٥ فتجزأت الى ثلاث حكومات :

(١) حكومة «الويجور الشرقية» في «كانجيو» وقد أخضعت أسرة «هيا» الصينية هذه الحكومة وجهاتها على اعتناق البوذية في سنة ١٠٢٨ ثم خضعت لأسرة «يوان» .

(٢) حكومة «الويجور الوسطى» ويطلق عليها اسم «طوقوز أوغوز»، ومعناه الويجور ذو التسع القبائل . ومركزها في «كلوجانج» بالقرب من «طورفان»، وقد ضمه «جاغاتيوي - كاشجار» و «أمراء المنغول من نسل «جنغيرخان» الى ملكهم ودخلت في الاسلام تحت حكمهم في عهد «خضر» من سنة ١٣٧١ الى سنة ١٤٠٤ ميلادية .

(٣) حكومة «الويجور الغربية» في «كاشجار» وكانت تحت حكم «إبليك» «خانيد» (خانات) أو أمراء إبليك من سنة ٨٩٠ - سنة ١٢١٤ ميلادية . وهم من نسل «أفراسياب» ودخلوا في الاسلام حوالي سنة ٩٥٠ وكانوا خاضعين هم والسابقون لحكم «الجورخان السكاراخيتاي» البوذيين من سنة ١١٢٠ الى سنة ١٢١٥ ، وقد خلفهم في الحكم بعد الفتح المنغولي فرع من أسرة «الجاغاتيين» من سنة ١٣١٥ - سنة ١٦٧٨ اعتنق الاسلام حوالي سنة ١٣٧٠ وفرع آخر من الخوجا أسسه حضرة أبابك هداية الله سنة ١٦٧٨ ، وكانت كل هذه البلاد خاضعة للواراد (المنغول) البوذيين من أهالي زننجاريا من سنة ١٦٥٠ الى سنة ١٧٥٨ حتى فتحها الصين في سنة ١٧٥٨ ، فلجأ آخر أمراء «الخوجا» الى «خوقند» ومن خوقند هذه عاد يعقوب بك عند نشوب ثورة المسلمين الكبرى ضد الصين في سنة ١٨٦٢ - سنة ١٨٧٨ ، وقد كان يعقوب بك ذا كفاية ومقدرة إدارية بارزة وكان تابعاً لخان (أمير) نجارا وملقب بلقب أناليك غازي واعترف به الخليفة العثماني (أمير المؤمنين) ولم تخضع البلاد إلا بعد وفاته في سنة ١٨٧٧ .

## الاسلام في السودان<sup>(١)</sup>

رأينا فيما تقدم مقدار درجة انتشار الاسلام في الأقطار السودانية ، كما أوضحنا العوامل التي ساعدت على تقدمه وتقوية كبلته وتحسين حالة أهله من الوجهة السياسية والاجتماعية والمادية ، وبينا أثر هذا الدين فيهم من نواح متعددة مثل تقوية الروابط القومية وتنشيط روح الحياة التعاونية وتقريب طرق التناغم بين أجناسهم المختلفة .

دخل الاسلام في مجاهل أواسط أفريقية حاملا لواء العلم ، فهو أول دين نزل به كتاب مقدس عرفته الأهالي ، فكان ذلك داعيا لتعلم القراءة والكتابة ، فبعد أن كانت مجهولة تماما أصبح عدد الملمين بها يتراوح بين ٢/٦٠٪ من السكان المسلمين ، كما أنشئت في جهات متعددة مدارس أولية لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الأساسية ، وقد لا تخلو الآن قرية صغيرة من مدرس يلتف حوله صغار طلاب العلم لحفظ القرآن وتجويده وتلقين تعاليم الاسلام وقواعده ، وذلك كله بواسطة اللغة العربية .

وكذلك توجد الآن بعض المدارس العالية في المراكز الرئيسية للتعلم في الدراسات الاسلامية والفقه والشريعة ، ويتحصل الكثير من طلاب العلم مشقات السفر البعيد لتلقى علومهم العالية بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، فيكثرون بذلك نواة لمجمع علمي تلتقي به الثقافة الاسلامية العربية بمدينة الأهالي القديمة ، وظهرت ثمراته القيمة في كثير من الموضوعات الأدبية والدينية المفيدة .

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن مقال للاستاذ « ديدريش ويستزمان » في مجلة « العالم الاسلامي »



ومن آثار الاسلام الخالدة محاربة المسكرات في غرب أفريقيا ، فان الحالة الصحية والاجتماعية التي وصل إليها سكان الجهات التي انتشر فيها هذا الدين تعد بحق مفخرة كبيرة للاسلام إذا قورنت بفساد الأخلاق الذي يسود الجهات الوثنية والفوضى التي تعم أركانها .

وللاسلام آثار ظاهرة ومفاخر أخرى عديدة من الناحية الخلقية ، فانه قضى على كثير من أعمال القسوة ضد الانسان والحيوان وأكل لحوم البشر وقتل الأطفال والكحول والمرضى ، بعد أن كانت هذه الرذائل متفشية مثل الوباء الخبيث بين الأهالي الوثنيين والعياذ بالله . أمر الاسلام بالمعروف والشفقة والمحبة بين عباد الله ، وحث على الصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف ، فكل هذه الأمور وغيرها من فرائض دينية جعلت الأهالي من الوجهة الخلقية والاجتماعية في مصاف غيرهم من البشر أخرجتهم من عالم الوحشية الى عالم الانسانية المتمدينة ، فبدوا يشعرون بدخولهم في الهيئة الاجتماعية ، وعرفوا قيمة الحياة وصلاحياتهم ، لها فأخذوا يطالبون بما لهم من حقوق ويخضعون لما عليهم من واجبات .

هذا من جهة آثار الاسلام الخالدة في أخلاق الأهالي الوطنيين وعوائدهم . أما من جهة النظم الدينية الموضوعة في الاسلام فهي على غاية من البساطة ، فالهيئة الكليريكية غير معروفة ، بمعنى أنه لا تقام مراسيم خاصة لاتعميد الأشخاص ، ولا تقوم الجهات بتعيينهم لأداء الوظائف الدينية ، بل يتولى الإمام عادة الرئاسة الدينية في الناحية ، ولا يشترط في شغله لهذا المركز الديني إلا إلمامه بشيء من العلوم الدينية والآداب ، وأن يكون مجيدا لحفظ القرآن ، وكلما نشأت ناحية جديدة يختار أهلها من بينهم من يصح أن يتولى هذه الزعامة الدينية ، أو يطالبون من أحد أئمة النواحي المتاخمة أن يعين لهم من يقوم بهذا المنصب إذا اختلفوا فيما بينهم في التعيين .

فإذا خلا أحد هذه المراکز بوفاة صاحبه مثلاً خلفه عادةً من كان أقرب الناس إليه . وكثيراً ما يتوارث أفراد الأسرة الواحدة العلم والتربية الدينية، وبذا يكونون أصلاً من غيرهم لمنصب الإمامة . وتقتصر وظيفة الإمام على أن يؤم المصلين وأن يلقي الخطبة . وفي الجهات التي بها عدد كبير من الجوامع يتولى الزعامة الدينية إمام أكبر أو أقدم هذه الجوامع ، وله منزلة ومكانة اجتماعية ممتازة ولو بصفة غير رسمية ، وله حق الإمامة بالمصلين في الأعياد حيث يأتهم به الأئمة الآخرون كثيرهم من المصلين من أهل البلدة .

وكثيراً ما كان يجمع بعض الأئمة في الماضي بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في المدن ، بل قد تتعدى ذلك حتى يشمل نفوذه دولة كاملة . ولا توجد هناك هيئة منظمة مركزية للأئمة ، فكل واحد منهم مستقل عن الآخر استقلالاً تاماً . وكثيراً ما يجمع بعضهم حوله طلاب العلم الصغار ويلقنهم القرآن وبعض التعاليم الدينية الابتدائية ، كما يوجد في كل ناحية تقريباً معلم يدرس الكتابة والقراءة وبعض العلوم الدينية الإسلامية ، ومن هذه الأعمال وغيرها يجمع موارده المادية ، ولا يقل نشاط بعض الأئمة في هذا العمل عن المعلمين ، وبذا يجمعون معظم ثروتهم الضئيلة . وكثيراً ما يكتفي بعض المعلمين بالتجوال بين القرى والكفور ، ويلقون بين حين وآخر بعض المحاضرات والأحاديث ، وينزلون ضيوفاً على الرحب والسعة عند أغنياء تلك النواحي الذين يتشرفون بالمبالغة في إكرامهم لمركزهم الديني ولسعة اطلاعهم في العلم .

وقد لا نكون مغالين إذا قلنا إن الأغلبية الساحقة من مسلمي السودان يتبعون طريقاً من الطرق الإسلامية المختلفة ، وأكثر هذه الطرق شيوعاً في تلك الأقاليم الشاسعة هي القدرية والتيجانية والسنيوسية <sup>(١)</sup> .

(١) ولم يخص حضرة الكاتب المستشرق بالذكر الطريقة المرغنية الشائعة في شمال السودان [ المجلة ] .

أما القدرية فيرجع تاريخها الى سيدى عبد القادر بمدينة بغداد فى القرن الثانى عشر، وجاءت الى السودان من طريق بلاد المغرب (مراكش) الجنوبية أو عن طريق تونس . ويغلب على الظن أنها لم تنتشر فى السودان قبل القرن الخامس عشر ، وأغلب أتباع القدرية موجودون فى غرب السودان حتى « سو كوتو » وهم الجانب الأعظم من المغاربة والسونارى والتواريج والفولبا ، وكذلك غالبية سكان غرب « تومبكتو » ويزيد عدد أتباع هذه الطريقة يوما بعد يوم فى « فوتالون » فى قبائل المالينكة وفى غيانا الفرنسية وما الى شرق ذلك حتى ساحل العاج والكنغو .

أما طريقة التيجانية فيرجع أصلها لمؤسسها سيدى أحمد التيجانى من الجزائر المتوفى سنة ١٨٠٠ وهى بذلك مثل الطريقة السنوسية تعتبر أحدث تاريخا من القدرية فى أفريقية . وانتشرت الطريقة التيجانية فى السودان على الأخص على يدى الحاج عمر ، وقد كان أقطاب هذه الطريقة القدماء يقيمون سابقا فى منطقة نفوذ البائدة وابتدأت هذه الطريقة التيجانية تنتشر من هذه البقعة شرقا وجنوبا مجتذبة بعض القديرين الى زمريتها ، كما حدث ذلك فى نيجيريا وبورنو وأداماوه مثلا ، ونجد التيجانية أكثر شيوعا فى جميع المناطق الساحلية من نيجيريا حتى ساحل الذهب .

وأما طريقة السنوسية فوطنها أواسط السودان وبعض جهاته الشرقية ، وهذه الطريقة عبارة عن فرع لا حدى الطرق المنتشرة فى شمال إفريقيا ومؤسسها هو العالم المحقق ابن على السنوسى المولود فى تلمسان سنة ١٧٩٢ وقد كانت واحة جغبوب فيما قبل المركز الرئيسى لأقطاب هذه الطريقة ، ثم تحول هذا المركز الى جهات مختلفة فى الجنوب بناحية « بوركو » ، وأما أتباع هذه الطريقة فنجدهم منتشرين علاوة عن وجودهم فى طرابلس وتونس والجزائر ومصر فى « تيمبستى » و « بوركو » وكذلك بين قبائل « التيبو » فى الوادى وفى كاتم . ويوجد أفراد قليلة منهم فى باجرى وبورنو .

وأما الأغراض التي من أجلها تأسست تلك الطرق فهي التجديد والتعمق في الحياة الدينية ونشر الدعوة ، وتسلك في ذلك طرقا مختلفة باختلاف الزمان والمكان ، ومنها محاضرات الوعظ والإرشاد وتشديد المدارس ، والغزوات الحربية ، وتأسيس المستعمرات .

تأمر الطريقة السنوسية باتباع أوامر القرآن اتباعا دقيقا ، كما تحرم البدع المستحدثة . وتنتهى عن مخالطة المسيحيين واليهود وشرب القهوة والتدخين . ولطريقة السنوسية مستعمرات عديدة في المناطق الإسلامية والوثنية مؤسسة على أحدث النظم الزراعية والصناعية .

ويدفع الأعضاء في مثل هذه المستعمرات اشتراكات منظمة ، وتجمع هذه الاشتراكات للصرف منها على صالح المجموع . ولقد أدوا خدمات جليلة في إحياء كثير من التراث العقلي الإسلامي القديم ، ومما لا شك فيه أن هذه الطريقة كانت سببا مشجعا لكثير من قبائل الوثنيين في شرق وأوسط السودان للدخول في الإسلام ، وهي هيئة موحدة لها رئيس أعلى — وهو في ذلك الوقت سيدى أحمد الشريف — ويتصل أعضاؤها بعضهم ببعض باتصال قومي متين ، كما يربطهم برئيسهم الأعلى روابط مركزية قوية ، ولها نظام ثابت . على أن نفوذ هذه الطائفة لم يصل يوما بعد إلى الدرجة التي يخشاها المستعمر الأوروبي ، بل بالعكس فإن الحكومة الفرنسية كثيرا ما أثنت على موقفهم المحايد ، خصوصا وأنهم لم يستعملوا القهر في الدعوة إلى طريقتهم أو إلى الإسلام على العموم أو أى الطرق الاجبارية بل كانوا في جميع الأحوال يتبعون الطرق السلمية .

وأما الطريقة القدرية فإنها نجحت إلى حد بعيد في رفع مستوى الثقافة العامة في غرب السودان ، وذلك بفضل مجهودها في الترية وأعمالها التهديبية ، فإن أغلب المدارس الموجودة في غرب السودان أو في أواسطه هي من إنشاء أتباع القدرية ،

ولقد تخرج من هذه المدارس كثير من الأئمة ورجال الشريعة والدين وانتشروا بعد ذلك بين المسلمين والوثنيين ، فاكتمسبوا لطريقتهم وللدين الاسلامي على العموم أتباعا كثيرة . وهذه الطريقة مثل سابقتها لم تاجأ في الدعوة الى الطرق الحربية قط ، بل كانت تدعو دائما الى السلام .

وأما الطريقة التيجانية فكانت على نقیض ذلك على خط مستقیم ، فان ناشرها في السودان وهو الحاج عمر هو أحد الغزاة الفاتحين الذين تعودوا في حياتهم العملية الالتجاء الى القهر والشدة ، وكذلك المدعو « ساموري » هو أحد رجالها المبرزين . ولقد كان جميع رجال التيجانية ينزعون بفطرتهم الى استعمال الشدة للدعوة الى طريقتهم أو الى الدين الاسلامي ، ولو أن ذلك لم يعقبهم عن الدعاية المسالمة أيضا لنشر تعاليم الدين الاسلامي ، فكان الواعظ والمعلم يبدآن عملهما بنشاط بعد أن يمهّد الجندي لهما الطريق بالسلاح في البلاد المغزوة .

ولقد أخذت الطرق الدينية في بعض الجهات شكل الروابط الأخوية الاجتماعية: يلتقي الانسان فيها من الأعضاء كل حفاوة وإكرام .

ويمتاز المسلم عن الوثني وغيره في هذه النواحي باعتزازه بدينه وتقديره له حق قدره وتعلقه به الى أبعد حد ، فتجده واثقا منه كل الوثوق في تفسير المسائل الدينية والدينية ، وهو بذلك قد تخلص من ضيق ديانة أهله القديمة وعدم كفاءتها لتفسير أمور الحياة الدنيا والآخرة وقلة صلاحيتها للزمان والمكان ، وشهد بنفسه انحذالها أمام الديانة والثقافة الجديدة ، فأصبح بعد حيرته في مأمن من جهة حياته الأخرى ، فبدأ يشعر بأحقية في الحياة باتباعه دين الله وكتابه الشريف الذي زوده تحصينا لمواجهة تقلبات الحياة بالانصياع لأوامر الله والعمل بما جاء في كلماته التي لا تبديل لها ، فزادته ثباتا ووثوقا بنفسه وجعلته بعيدا كل البعد من أن يؤثر فيه أي مؤثر خارجي .

# نقض مطاعن في القرآن الكريم

تأليف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ البارع الشيخ محمد عرفه وكيل كلية الشريعة الإسلامية . بحث به بجداً دقيقاً ما افترى به الدكتور طه حسين على كتاب الله الحكيم ففند مطاعنه عليه ، وفضح ضلالاته فيه ، ووضع يده على منشأ جهله ، وفواحش تخريفه وهذيانه . كل ذلك في بيان عذب وأسلوب متين .

والكتاب يجمع الى قوة الحججة وسطوع البرهان حسن البحث مع الإفاضة والإتقان . فلا جرم أن يتلقاه العلماء والباحثون بالقبول الحسن والثناء الجميل . فجزى الله المؤلف بما نافع عن كتاب الله خير الجزاء ونفع به المسلمين <sup>(١)</sup> .

وقد ورد على فضيلة المؤلف تقديراً لفضله وإنصافاً لمجهوده من حضرة صاحب المعالي وزير المعارف الكتاب التالي :

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفه وكيل كلية الشريعة .

إشارة الى خطاب فضيلتكم المؤرخ ٧ مايو سنة ١٩٣٣ الذي تفضلتم فيه باهداء وزارة المعارف ثلثمائة نسخة من كتابكم الذي وضعتموه في نقض مطاعن الدكتور طه حسين في القرآن الكريم — يسرني أن أبلغ فضيلتكم أن هذه النسخ قد وردت وستقوم الوزارة بتوزيعها للانتفاع بما حواه هذا الكتاب القيم .

(١) يطلب هذا الكتاب من مكتبة الحلبي والمكتبة التجارية ومكتبة الخانجي .

وإني أنتهز هذه الفرصة لأثني على فضيلتكم أطيّب الشّاء، مقدرا الباعث الشريف الذي حدا بكم الى وضع هذا الكتاب، وشاكرًا لفضيلتكم هذا الإهداء الكريم وما ينطوي عليه من الغيرة البالغة على الدين القويم.

وزير المعارف

إهداء

وتفضلوا بقبول أخلص تحياتي وعظيم احترامي

ونحن نثبت هنا للقراء فصلا من فصول هذا الكتاب كأنموذج لما أودعه من حكمة وبيان :

### تفنيد الطعن الثالث

يقول هذا الطعان :

إن القسم المكي يمتاز بقطع الفكرة، واقتضاب المعاني، وقصر الآيات، والخلو التام من التشريع والفوائن، كما يكثّر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم. أما القسم المدني فأفكاره منسجمة متسلسلة، ترى أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية، وفيه هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ، وفيه التشريعات الإسلامية، كالواريث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع والمعاملات. هكذا يقول الناقد.

(نزير القسم المكي عن قطع الفكرة - واقتضاب المعاني)

إن الذي يقرأ القرآن ولا يتدبره، ولا يكلف نفسه الصبر لمعرفة أغراضه، هو الذي لا يستبين كثيرا منها، فيبدو له متقطع الفكرة، مقتضب المعاني، ولكن الذي يتدبره وينعم النظر فيه، ويقرؤه على سبيل الاعتبار، ويكون مع ذلك قد أوتي طبعًا سليمًا ودربة على معرفة منطق العرب الذين يكتبون باللمحة والوحي السريع، يدرك كثيرا من أغراضه، ويبدو له قصده، فيرى الآيات الكثيرة في غرض واحد كالحلقة المفرغة مرتبطة بعضها ببعض أتم ارتباط، حتى إن السورة الواحدة المكية الطويلة قد تكون في غرض واحد يشملها ويعمها، وسأضرب لذلك مثلا :

هذه سورة الأنعام المسكية ، مقدارها ١٦٥ آية قد انتظمها غرض واحد وهو إبطال الشرك <sup>(١)</sup> فتقرؤها جميعها ، فتجدها في هذا الغرض ، وما سيق فيها فهو لهذه الغاية ، ولولا ضيق المقام لاستوعبتها جميعها ، وبينت كيف تتجه الى هذا الغرض ، ولكننا نشير هنا إشارة موجزة :

بدأ الله تعالى هذه السورة بحمد نفسه أو استحقاقه الحمد ، وأنه خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، وأنه بعد أن أنعم بهذه النعم يعدل به الذين كفروا الأوثان والأنناد . وكل ما ذكر بعد يتجه نحو هذه الغاية — إبطال الشرك — فتجده يقول بعد ١٢ آية : ( وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعم ولا يُطعم ؟ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ) ويقول بعد : ( أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل لا أشهد ، قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ) ويقول بعد ٣٩ آية : ( قل أرايتكم إن أنا لكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتدسون ما تشركون ) .

ويقول بعد ٦٢ آية : ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ) .

ويقول بعد ٧٠ آية : ( قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ؟ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى : أتئتنا . قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ) وما ذكر

(١) أى أن موضوعها الإله المقصود بالذات إبطال الشرك بدحض أوهامه وخرافاته وإثبات التوحيد ، وبإله إثبات الرسالة ودحض شبهاتهم عليها ، مع المأم بأثبات البعث أيضا ، بجملة السورة في أصول العقائد الثلاث . والوصايا التي في آخرها هي الحجة الدنية على حقيقتها .



قصة إبراهيم مع أبيه آزر إلا لأن فيها أدلة على إبطال الشرك (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفان . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربى لأكوننَّ من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون . إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . وحاجَّه قومه قال أتعجبونى فى الله وقد هدىنا ولا أخف مما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تتخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً؟ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ) .

ويقول بعد ٩٣ آية : ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ) .

ويقول بعد ٩٩ آية : ( وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ) .

وحرّم فى هذه السورة ما لم يذكر اسم الله عليه لأنه مما كان يذكر عليه أسماء آلهتهم فهو شرك ، وذكر من عاداتهم فى الحرث والأنعام أنهم كانوا يجعلون بعضها لآلهتهم وهو شرك فأبطلها ، واستدل على بطلانها ( وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان

لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم أيردوهم وليلبسوا عابهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ) .

ويقول بعد ١٤٧ : ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا )<sup>(١)</sup> .

ويقول بعد ١٥٠ آية : ( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً )  
ويذكر في مختتم السورة ( قل إني هادي ربي الى صراط مستقيم ديناً قيميا ملة إبراهيم

( ١ ) بين في هذه الآية بطلان احتجاجهم على شركهم وتحريم ما حرموا من الحرت والالعام بمشيئة الله تعالى كما يحتاج الى الاكن بعض المبتدعة والمنصوفة . قالوا : لو شاء الله ألا نشرك لما أشركنا نحن ولا آباؤنا ولو شاء ألا نحرم ما ذكر لما حرمننا . فنحن إنما أشركنا وحرمننا بمشيئته . ومشيئته تستلزم رضاه . أو أنه هو الشارع لذلك . وقد رد الله تعالى عليهم جهلهم هذا بحجة تاريخية وحجة عقلية : أما الأولى فقوله ( كذلك كذب الذين من قبلهم ) من أقوام الأنبياء رسلهم فيما بلغوهم عن الله تعالى من توحيد الألوهية وهو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وتوحيد الربوبية وهو أن الشارع للدين هو رب العالمين فلا يحرم عليهم إلا ربهم ، فليس لأحد أن يقول عليه إنه حرم شيئاً بغير علم من وحيه كما قال في أصول المحرمات من سورة الاعراف المسكية : ( وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) أي كذب الذين من قبلهم رسلهم كما يكذبك هؤلاء يا محمد ( حتى ذاقوا بأسنا ) أي عذابنا ، فلو كان راضياً عن عملهم لما عذبهم .

وأما الحجة العقلية فقوله لرسوله : ( قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ) إثباتاً لزمكم هذا فان القول في صفات الله وأفعاله وأصول دينه وتشريعه لا يصح إلا بعلم يقيني يثبت به وما عندكم شيء من علم بهذا ( إن تتبعون إلا الظن ) أي ما تتبعون فيه إلا الظن في فهم المشيئة واستلزامها للرضا وأمر التشريع . وقد حكى عنهم ذلك في سورة الاعراف بقوله : ( وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ) ثم أسقطهم من مرتبة الظن الى ما دونها فقال : ( وإن أتمم إلا تخوضون ) الخرص الحزر والتخمين كمتقدير الثمر في شجره وما يبلغه بعد الجفاف فهو لا يستند الى دليل وأطلق على الكذب لأنه لا يكاد يكون مطابقاً للواقع . ثم قال لرسوله ما قلنا له حجته البالغة بعد إبطال حجته الداحضة : ( قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ) أي لو شاء أن يهديكم كلكم بمحض قدرته من غير أن يكون لكم إرادة ولا كسب ولا اختيار في إيمان ولا عمل لهداكم بخلقه إياكم مهتدين بالفطرة . ويراجع تحقيق هذه المسألة في الجزء الثامن من تيسير المنار .

حنيفاً وما كان من المشركين . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل غير الله أبني ربا وهو رب كل شيء ولا تسكب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ) .

فأين تقطع الفكرة واقتضاب المعاني ؟ أليست متسلسلة منتظمة آخذاً بعضها بعرض بعض تنظمها وحدة الغرض ، واتحاد الموضوع ؛ ولكن ذلك يدق إلا على ذي الفهم والحجبي .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم  
لو أن أصحابنا هؤلاء يسألوننا ما خفي عليهم من علم ، لما بخلنا عليهم به ، ولبدلنا  
لهم من فضل الله علينا ، ولحمينام من أن يكونوا ضحكة الضاحكين ، وسخرية  
الساخرين .

### الحكمة في خلو القسم المكي من التشريعات الجزئية

وعنايته باثبات العقائد الأصلية والتشريعات الكلية

وأما خلو القسم المكي من التشريع التفصيلي ووجوده في المدني ، فهذا أمر  
طبيعي ، لأن الإسلام لم يكن قد تقرر في مكة ، وكان المشركون ينازعون في أصله ،  
وهو التوحيد والنبوة والمعاد الخ ، فحق أن يكون الحجاج في ذلك ، وكذلك كان .  
ولما كان بالمدينة وآمن به المدنيون ، وصاروا جماعة يقدر أن يقيموا أحكامهم كأمة  
منتظمة ، أتى بالقوانين والشرائع .

وهل كان يريد الناقذ أن يفرض على كفار مكة أحكام المواريث <sup>(١)</sup> والزواج ،  
والطلاق وهم ينازعون في أصل العقيدة وفي أنه رسول ، ولا يدينون له ؟

(١) (إن قيل) اننا نوافقكم على أن الكفار لا يناطون بفروع الشريعة وإنما نقول لماذا لم تشرع هذه  
الأحكام للمؤمنين أنفسهم ( قلنا ) إن بعضها لم يكن موافقاً لمصلحة المؤمنين كالمواريث لأن أكثر أقاربهم كانوا  
مشركين وأما الأصل العام فيها كلها فهو أن فائدة التشريع رهينة بالقدرة على التنفيذ وإنما يكونان بالسلطان والدولة .

أفليس الواجب يقضى أن يثبت أصل الإيمان أولاً ثم يثبت بعد ذلك فروعه !  
وعبارة الناقد تفيد أن القسم المكي خلا خلوا تأما من التشريع التفصيلي .

(إثبات القصص والتاريخ في القسم للمكي)

وأما القصص والتاريخ فليسوا خاصين بالقسم المدني كما يرى الناقد ، بل هما يوجدان  
كثيرا جدا في القسم المكي . هذه سورة الأعراف ، ويونس ، وهود ، والكهف ،  
ومريم ، وطه ، ويوسف ، والشعراء ، مكية ؛ وهي مفعمة بالقصص والتاريخ ؛ بل إنني  
لأزعم أن ما يوجد من ذلك في المكي أكثر منه في المدني . وهنا ينبغي أن أنبه  
القارئ أن الله ذكر ذلك للعظة والاعتبار .

### تنبيه

نشر بصفحة ٧٢ من الجزء الأول للمجلد الرابع تصحيح لبعض ما سبقت  
ترجمته في الأجزاء الماضية ، ووقع في هذا التصحيح الاستشهاد سهوا بقوله تعالى :  
( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ) على تسامح الاسلام مع أهل الديانات  
الأخرى . والحقيقة أن هذه الآية جاءت في مقام التهديد والوعيد لا للتسامح  
المستشهد بها عليه .

## **Students of Al-Azhar University and the Religious Institutes.**

The Al-Azhar University and the Religious Institutes are attended not only by Egyptians but also by a great number of foreigners who repair to Al-Azhar in view of the great renown it has attained throughout the Moslem world. Included in the number of students of Al-Azhar are many who hail from Syria, Tripoli, Tunis, Algeria, Morocco, Iraq, Turkey, Asia Minor, Caucasia, Hedjaz, Nejd, Kurdistan, Yemen, India, Sudan, Abyssinia, Somaliland, South Africa, Afghanistan, Java, Borneo, China, Yougoslavia, Russia, Poland, Albania, Bulgaria and America.

### **Students' Lodgings at Al-Azhar.**

Students are accommodated in hostels adjoining Al-Azhar called Riwaks. Caliph Al-Aziz Billah son of Caliph Al-Moezz-Lidin Ellah was the first to provide lodgings for the students of Al-Azhar. Princes and other highly placed and rich people followed his instance and contributed to the establishment of those lodgings for students. The number of these hostels has now reached 29 riwaks.

### **Library of Al-Azhar University.**

Al-Azhar University has, at one time, owned a great collection of books distributed among the different Riwaks.

In 1897 a public library, "The Library of Al-Azhar", was established to house this great collection. It now contains 60,000 volumes of which 15,000 are manuscripts. Many valuable and rare books are included in this number.

The Library is not only frequented by students but also by men of learning who find it of great utility to consult the numerous volumes on different matters.

In fulfilment of His Majesty's wish to organise the Al-Azhar Library, the Rector of Al-Azhar has delegated certain competent officials who are experienced in library organisation in order to organise it on modern and up-to-date lines.

Each of the three Colleges of Al-Azhar University has its own private library which is in charge of a competent librarian.

Some Riwaks still retain their own libraries for the use of their inmates.

---

## Supreme Council of Al-Azhar.

The Supreme Council of Al-Azhar is constituted of the following members :—

- (a) The Rector of Al-Azhar University.
- (b) The Vice-Rector of Al-Azhar and the Religious Institutes.
- (c) The Grand Mufti of Egypt.
- (d) Head Sheikhs (Deans) of Colleges of Al-Azhar.
- (e) The Under-Secretary of State to the Ministry of Justice.
- (f) The Under-Secretary of State to the Ministry of Wakfs.
- (g) The Under-Secretary of State to the Ministry of Education.
- (h) The Under-Secretary of State to the Ministry of Finance.
- (i) Two members of the body of Grand Ulema nominated by Royal Decree for two years.
- (j) Two members whose appointment is deemed beneficial to education at Al-Azhar and the Religious Institutes, nominated by Royal Decree for two years.

## The Religious Institutions affiliated to Al-Azhar University.

The denomination "Al-Jami-El-Azhar" (University of Al-Azhar) is assigned by Law No. 49 to the Colleges of higher education and Sections of Specialisation.

The "Religious Institutes" is the designation given to Islamic religious institutions where students are instructed in religion and Arabic Language with view to qualifying for admission to Al-Azhar University.

Education in those institutions is either primary only or both primary and secondary as shown below ;

- |     |                                      |                     |
|-----|--------------------------------------|---------------------|
| (a) | The Institution of Al-Azhar at Cairo | (Prim. & Secondary) |
| (b) | » » of Alexandria                    | » »                 |
| (c) | » » » Tanta                          | » »                 |
| (d) | » » » Zagazig                        | » »                 |
| (e) | » » » Asiat                          | » »                 |
| (f) | » » » Dessouk                        | ( Primary )         |
| (g) | » » » Damietta                       | »                   |

## Certificates.

The certificates granted to successful candidates in the final examinations are :—

**A. — The Primary Certificate.** It is granted on the completion of the course of study in the Primary Section. Students are qualified thereby to enrol in the Secondary Section Part I.

**B. — The Secondary Certificate part I.** It is granted on the completion of the course of study in the Primary Section. Students are qualified thereby to enrol in the Secondary Section Part II.

**C. — The Secondary Certificate Part II.** It is granted on the completion of the fourth and fifth years of the course of study in the Secondary Section. Students are qualified thereby to enrol in one of the Colleges.

**D. — The Higher Certificate.** It is granted on the completion of the course of study in one of the Colleges of the Higher Section. Candidates obtaining this certificate are eligible for appointment to the clerical posts in Al-Azhar University the Religious Institutes, Mohammedan Law Courts, Majlis Hasbis (Tutelage Courts), Ministry of Wakfs (Pious Foundations), or as teachers in mosques, preachers, imams and religious notaries (Maazouns) in charge of marriage and divorce certificates.

**E. — Alimieh Certificate.** It is granted on the completion of the specialisation courses in Teaching, Mohammedan Law and Theology. Candidates obtaining the Teaching Certificate are eligible for appointment as teachers in the Religious Institutes and Government Schools. Candidates obtaining the Mohammedan Law Certificate are eligible for appointment as judges, juriconsults and lawyers in Mohammedan Law Courts and Majlis Hasbis. Candidates obtaining the Theological Certificate are eligible for appointment as preachers.

**F. — Alimieh Certificate with title of Ostaz (Master).** It is granted to those specialising in one of the subject matters. Candidates obtaining this certificate are eligible for appointment as teachers in the Colleges and Specialisation Sections.

## Administration of Al-Azhar.

The Rector of Al-Azhar University is the chief general executant who enforces all laws and regulations pertaining to Al-Azhar and the Religious Institutes. General control of the administration of Al-Azhar is vested in the Supreme Council of Al-Azhar presided over by the Rector in whose absence the Vice-Rector presides.

(b) The Secondary Section of five years duration and comprising the following subjects of study: Mohammedan Law, Exegesis, Traditions of the Prophet, Monotheistic Divinity, Recitation of the Holy Koran, Grammar, Morphology, Rhetoric, Prosody and Rhyme, Reading and selections of prose and poetry, Composition, Arabic Literature, Mathematics (Arithmetic, Algebra and Geometry), Science (Physics, Chemistry and Natural History), Logic, History, Geography, Ethics and Civics.

(c) The Higher Section of four years duration is divided into three Colleges :—

(i) The College of Arabic Language comprising the following subjects of study :—

Grammar, Etymology, Morphology, Logic, Rhetoric, Arabic Literature and History, History of the Arabs before Islam, History of Moslem Countries, Exegesis, Traditions of the Prophet, Principles of Mohammedan Law, Composition and Philology.

(ii) The College of Mohammedan Law comprising the following subjects of study :—

Exegesis, Traditions of the Prophet inclusive of the study of Texts, authors and terminology (Matn, Rigal and Moustalah), Principles of Mohammedan Law, History of Islamic Jurisprudence, Mohammedan Law and the comparative study of rites in regard to fundamental questions and the *raison d'être* of the Law (*Hikmet-el-Tashrie*), Arabic Literature, Rhetoric and logic.

(iii) The College of Principles of Religion comprising the following subjects of study :—

Monotheistic Divinity and the elaboration of a polemical system in refutation of current doubts and heresies, Logic and Debate, Philosophy and the criticism of anti-religious conceptions, Ethics, Exegesis, Traditions of the Prophet, Arabic Literature and History, History of Islam, Psychology and Rhetoric.

(d) Specialisation Section.

Specialisation is of two kinds ; specialisation in the profession and specialisation in the subject matter. The object of the former is to train Ulema to be preachers and imams, judges and lawyers in Mohammedan Law Courts and teachers in Government schools and Religious institutions ; while the object of the latter is to train Ulema to be teachers in the Colleges and Specialisation Sections.

There are moreover, Irregular Sections to which students who did not satisfy the conditions of admission to the regular sections, as well as members of the public are admitted in order to pursue a more extensive study of Arabic and Religious subjects.



The subjects prescribed for the examination by that law were :—

The Mohammedan Law (Fikh), Principles of Mohammedan Law (Ossoul), Monotheistic Divinity (Tawhid), Traditions of the Prophet (Hadith), Exegesis (Tafsir), Grammar (Nahw), Morphology (Sarf), Rhetoric (Maani, Bayan and Badie) and Logic. Other sciences as Arithmetic, Algebra, Geometry and Astronomy continued however, to be studied at Al-Azhar.

Several laws and regulations were adopted until the promulgation of Law No. 10 of 1911.

This law is considered one of the most important laws of Al-Azhar in so far as it divided the study into stages, prescribed certain subjects and regulations to each stage and introduced new subjects into the curriculum. The competence of the Rector was specified and a council presided over by him was instituted to supervise the affairs of Al-Azhar.

A body of Grand Ulema was also created with a régime of its own, and a Sheikh was to be nominated for each of the four Rites recognised at Al-Azhar. The law provided also for an administrative council for each of the Religious Institutes.

Al-Azhar continued to be administered in accordance with that law which received fresh modifications in the reign of His Majesty King Fouad I, the most important of which being the institution of a Section of Specialisation.

His Majesty has later graciously ordered the revision of laws and regulations of Al-Azhar with a view to introducing a new régime which will provide the students with a greater share of general culture without being incompatible with the religious and Arabic character of Al-Azhar. Also to fit them for the maintenance of Mohammedan Law and its principles and the propagation of the Arabic Language for the benefit of the people.

The proposed régime also aimed at qualifying the students for the teaching posts in the Religious Institutes and Government Schools as well as for the State religious posts.

His Majesty's orders were duly carried into effect by the promulgation of the Law No. 49 of 1930.

## **Law No. 49 of 1930.**

This law has classified education at Al-Azhar into four stages :—

(a) The primary Section of four years duration and comprising the following subjects of study : Mohammedan Law, Ethics, Psalmody, Recitation of the Holy Koran, Monotheistic Divinity, Life of the Prophet, Reading and Selections of prose and poetry, Composition, Grammar, Morphology, Dictation, Calligraphy, History, Geography, Arithmetic, Practical Geometry, Elements of Science, Hygiene and drawing.

As theology was the principal subject of study at Al-Azhar, it was started on exactly the same lines as were followed in the study of religion and religious sciences by the ulema of old. Lectures were given in circles, the professor was to occupy a middle place among his students and may sometimes take a high seat so that he may be audibly heard by his many hearers.

The system of education at the time was that of dictation, the professor having to dictate to the students whatever subject he may choose.

This system was followed for a time until the writing and compilation of books were widely undertaken and the means for publishing them were comparatively facilitated. The students then began the study of those books and the elucidation of their authors' intentions. Some of those books were compiled from detailed treatises which required no commentaries. Others were in the form of brief synopses comprising a summarised account of the subject treated. These latter ones necessarily required commentaries to which annotations were sometimes appended.

Discussions and arguments between students and professors formed the main method of education and contributed to the mental enlightenment of the students.

This was continued for a long time until new laws and regulations were promulgated bringing this system more into conformity with the modern ideals of education, without in any way, affecting the characteristic stamp of the teachings and traditions of Al-Azhar.

## **Laws of Al-Azhar.**

As already pointed out there was no specific law governing the study at Al-Azhar University. But as the number of students increased and the subjects of study became diversified, the need was felt for the promulgation of laws to regulate the study at Al-Azhar.

The first law of Al-Azhar was introduced by the Late Rector Sheikh Mohammad Al-Abassi Al-Mahdi and was promulgated by Khedivial Decree on the 23rd. of Zilkâde 1288 of the Hejira (3rd. of February 1872 A.D.) in the reign of the Khedive Ismail Pacha.

The most important feature of this law was the institution of the Alimieh Certificate to be granted to candidates passing the requisite examination before a committee of Ulema nominated by the Rector. The successful candidates being awarded first, second or third class according to their order of merit and the certificate issued by High edict duly signed by the Sovereign.

When Al-Azhar was built in the year 359 of the Hijra (970 A.D.), and was completed in the year 361 of the Hijra (972 A.D.), this religious movement passed to it where it grew into a veritable source of Islamic culture and learning. Many imams and ulema of the time pursued their studies at Al-Azhar and contributed to the cause of Islam and the Moslems by widely undertaking the writing of books and teaching so that Al-Azhar was truly rendered the pride of the Moslem World at large and Egypt in particular.

This great University has exhaustively treated the religious sciences and opened up its resources to all and sundry. Nor was the Arabic language neglected. Great attention was paid to the study and elucidation of its hidden treasures.

Al-Azhar continued throughout the centuries to accomplish its mission of education until it gained such wide-world fame that students and ulema from all quarters of the world repaired thereto in quest of knowledge in order to benefit thereby and share in the pride of spreading its culture throughout the world.

Since its foundation, Al-Azhar had unremittingly enjoyed the patronage and favour of the Fatimite Caliphs who gave generous endowments and donations to its ulema and students. They used to visit it in person, to join in the prayers and to acquaint themselves with its conditions, a fact which had a great effect to spur the ardour of ulema and students equally to devote themselves to learning to the exclusion of everything else.

## **Old System of Education.**

The system which was followed by Al-Azhar since it had become a university was an almost natural and easy one. Piety and reverence for the Faith and men of religion constituted its basis. The Sheikh (Rector) of Al-Azhar was the highest authority to whom students and ulema appeal. His word was law and his decision final in whatever differences that may arise. The distribution of endowments and donations and the approval of ulema and teachers were entrusted to him ; and when confronted with an ambiguous question, he sought the advice of the great ulema.

The students were admitted to Al-Azhar voluntarily and unconditionally. Personal inclination and aptitude of the student himself constituted the basis of study. It was left to him to choose his own subject as well as his own professor and remain at Al-Azhar as long as he liked until he deems himself competent enough to lecture to others with effect. After having secured the permission of his professors, he lectures to a circle of students and colleagues and should he fail to impress them, they would cease to attend his lectures, but should they find his arguments to carry conviction, they would continue to attend his lectures and the Rector of Al-Azhar would then approve him as a teacher.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

### MOSLEM EDUCATION IN EGYPT.

---

When Amrou Ibn Al-Ass conquered Egypt and built his famous Mosque at Cairo in the year 21 of the Hijra, some of the Prophet's companions and disciples took it up as a religious centre for the propagation of the True Faith and its teachings.

Thus instituted, this religious movement began to flourish and gain renown that it attracted many distinguished men of learning and great imams with the result that the Moslem World was greatly benefited by the valuable and vast heritage of works which they left behind. Famous among these men, were Abdullah Ibn Amrou Ibn-Al-Ass, Abdullah Ibn Leheia and Al-Laith Ibn Saad.

Imam Mohammad Ibn Idris Al-Shafie took up a place in the Mosque where he taught his doctrine and many learned Ulema were tutored by him. They were instrumental in recording his opinions and spreading his teachings. His large following included such men as Al-Rabieh Ibn Solaiman, Al-Mouzany, Al-Boweity and many others.

Teaching continued in full swing for a long time in the old mosque of Amrou and Ahmed Ibn Tuloun's mosque followed later in the same steps.

وَقَدْ جَاءَ كَذِبُ النَّاسِ نُورُ كِتَابِ مُبِينٍ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ وَضَوَّاهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*

# بُحُورُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تُصَدِّرُهَا مَشِيخَةُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

تظهر غرة كل شهر عربي

الجزء الثالث	ربيع الأول سنة ١٣٥٢	المجلد الرابع
--------------	---------------------	---------------

مدير إدارة المجلة عبد الغني محمد بك	رئيس التحرير السيد محمد الخسرين
المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى	من علماء الأزهر

الإدارة	الاشتراك
شارع محمد مظلوم بأشار رقم ١	داخل القطر المصري ... ٤٠
تليفون : ٨٤٣٣٢	خارج القطر المصري ... ٥٠
الرسائل تكون باسم مدير المجلة	للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد } داخل القطر ٢٠
	والمساذونين ومعلمي المدارس } خارج القطر ٣٠
	الأولية والطلاب ...

ضمن الجزء الواحد ٣ صاغة داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٣ - ١٣٥٢ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الانصاف الادبى

لا أريد أن أبحث تحت هذا العنوان عن الانصاف الذى يفسر بالعدل ، ويوصف به من ينتصب للحكم بين المتخاصمين ، فتمد سبق لنا أن تعرضنا لهذا الموضوع فى مقال « القضاء العادل فى الاسلام » . كما أنى لا أريد البحث عن الانصاف الذى هو خلق يحمل صاحبه على أن يعطى الحقوق المادية من نفسه ، كأن يعرف الرجل أن هذا المال أو المتاع حق لفلان ، فيكف يده أو يرفعها عنه ، من تلقاء نفسه ، لا يخشى سطوة حاكم أو لومة لأثم ، فلحديث عن الانصاف الذى هو تبرئة الذمة من الحقوق المادية مقام غير هذا المقام ؛ وإنما الغرض البحث عن ضرب خاص من ضروب الانصاف ، وهو أن يقول الرجل صوابا ، فتعترف بأنه محق ، أو يحرز خصلة حمد فتقرّ بها ولا تنازع من يصفه بها ؛ ولا أجد مانعا من أن أسمى هذا النوع من الانصاف « الانصاف الأدبى » ويقابله من الأخلاق المذمومة « العناد » وهو جحود الحق وردّه مع العلم بأنه حق .

والانصاف الأدبى من الخصال التى لا ترسخ إلا فى نفس نبئت فى بيئة صالحة ، وارتضعت من ثدى التربية الصحيحة لبنا خالصا ؛ والجماعة التى تفقد هذا الخلق تفقد جانبها عظيما من أسباب السعادة ، ويدخلها الوهن بعد الوهن ، حتى تتفرق أيدى سبأ .

وعليك الانصافات وعلينا البيان :

بين الأَخلاق روابط ، وكثيرا ما يكون بعضها وليد بعض ، كالعَدل قد يكون وليد القناعة ، وكالشجاعة قد تكون وليدة عزة النفس ، وكالجبن قد يكون وليد الطمع ؛ وكذلك خلق العناد وعدم الإذعان للحق قد يكون وليد الحسد ، وقد ينشأ عن طبيعة الغلو في حب الذات ؛ وللغلو في حب الذات فرعان : حب الانفراد بالفخر ، وإيثار النفس على كل شيء حتى الحق ، فالحاسد أو الحريص على حب الانفراد بالفخر هو الذي يسمع الرجل يقول صوابا ، فيقول له : أخطأت ، أو يسمع الثناء عليه ببعض ما أحرز من خصال ، فيقول للمثنى عليه : كذبت ؛ وإيثار النفس على الحق هو الذي يحمل الرجل على التعصب لرأيه والدفاع عنه وهو يعلم أنه في خطأ مبين .

فمن أراد أن يطبع ناشئا على خالق الانصاف نقب على عاتق الحسد والغلو في حب الذات ، فإن وجد لهما في نفس الناشئ أثرًا ، راوضه بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى يتهيأ الناشئ ، لأن يكون على هذا الخالق العظيم ، أعنى خالق الانصاف .

وإذا كان منشأ الحسد قلة ملاحظة أن النعمة تصل الى صاحبها من علام الغيوب ، وهو لا يرسلها إلا لحكمة ، فإن من وسائل علاج هذا الداء تلقين الناشئ أن النعم مادية أو أدبية إنما ينالها الناس بمشيئة العليم الحكيم ؛ وإذا كان منشأ الحرص على الانفراد بالفخر هو الغلو في حب الذات ، كان على المربي تهذيب عاطفة حب الذات في نفس الناشئ حتى تكون عاطفة معتدلة : تجلب له الخير ، وتأبى له أن ينال غيره بكمروه .

وإذا شفى الناشئ من مرض الحسد ، وخلص من لوثة الغلو في حب الذات ، لم يبق بينه وبين فضيلة الانصاف إلا أن تعرض عليه شيئًا من آثارها الطيبة ، وتذكره بما يدرك المتجردين منها أو المستخفين بها من خسار وهوان .

وقلة الانصاف تبعد ما بين الأقارب أو الأصدقاء ؛ وكمن تجاف نشأ بين أخوين أو صديقين ، وإنما نشأ من جحود أحدهما بعض ما يتحلى به الآخر من فضل ،



أو من ردّه عليه رأياً أو رواية وهو يعلم أنه مصيب فيما رأى أو صادق فيما روى ، قال  
الحكيم العربي :

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم

ومتى شعر الرجل من آخر بإنكار شيء من فضله ، أو بتعسف في معارضة رأيه ،  
رآه غير موضع للصحبة والمعاشرة ؛ وربما وقع في ظنه أن الراحة في عدم لقائه .

قلة الانصاف تجرّ الى التقاطع ، والانصاف يدعو الى الألفة ، ويؤكد صلة  
الصداقة ؛ فإذا كنت في مجلس ، فقرر الرجل رأياً واضح الحجة ، فغلبك ما في نفسك  
وحاولت أن تصوّره للناس خطأ ، فقد ألقيت بينك وبينه عداوة ، فإن خضعت لحجته  
وأعربت له عن استحسان رأيه ، فقد مددت بينك وبينه سبباً من أسباب الألفة ،  
إذ يشعر من إنصافك أنك لا تحمل له ضغناً ، ولا تكره له أن ينال حمداً ، فإن سبق  
هذا الانصاف خصومة ، شعر بأنك خصم شريف ، فيسعى لأن تنقّب الخصومة  
ساماً ، ويتبدل التقاطع ولاء .

وقلة الانصاف تسقط احترامك من العيون ، فإن من يراك تهاجم الآراء المؤيدة  
بالحجة ، قد يحمل هذا الهجوم على قصر نظرك وعجزك عن تمييز الباطل من الحق ، فإن  
حملة على أنك تهاجمها كراهة أن تكسب صاحبها حمداً ، وقع في نفسه أنك تتمنى  
لغيرك زوال النعمة ، أو أنك حريص على الانفراد بنحوال الحمد ، فإن ذهب في تأويل  
إبائيتك لقبول الحق الى أنك تموّه على الناس حتى لا ينسبوا اليك تقيصة الخطأ ، علم  
مالم يكن يعلم من إثارة النفس على الحق ؛ ولا احترام لمن لا يدرك الآراء المؤيدة  
بالحجة ، أو من يتألم من أن يرى غيره في نعمة ، أو من يعمل للانفراد بالحمد من طريق  
التعسف والعناد ، أو من يدافع عن نفسه نقص الخطأ بمحاولة قتل الحق .

قوله الانصاف تسقط احترامك من القلوب ؛ والانصاف يزيد احترامك في القلوب مكانة ، ذلك لأن انصافك للرجال يدل على صفاء سريرتك وتقائها من أن تكون قد حملت شيئاً من دنس الحسد ، أو حام بها الغلو في حب الذات .

نقرأ في كتب الأدب أن منذر بن سعيد البلوطي دخل مصر ، وحضر مجلس أبي جعفر النحاس وهو يلى أخبار الشعراء ، فأنشد أبو جعفر أبيات مجنون ليلي هكذا :

خليلي هل بالشام عين حزينه      تبسكي على نجد لعل أعيها  
قد اسلمها الباكون إلا حمامة      مطوقة باتت وبات قرينها  
تجاوبها أخرى على خيزرانة      يسكاد يديها من الأرض لينها

فأراد منذر أن ينبهه على أن قراءة « باتت وبات » من عجز البيت الثاني بالناء المثناة خطأ ، فقال : يا أبا جعفر ماذا أعزك الله باتا يصنعان ؟ فقال أبو جعفر : كيف تقول أنت يا أندلسي ؟ قال منذر : « باتت وبات قرينها » .

كيف يكون مقام أبي جعفر في نفسك لو قص عليك التاريخ أنه تلقى تصحيح منذر بن سعيد بالارتياح ، وقال له : أنا أخطأت وأنت أصبت . لا شك أنك تحمل له من الاحترام فوق ما كنت تحمل ، ولكن منذر بن سعيد يقول : إن ابن النحاس سكت وما زال يستثقلني ، ثم عاد بعد حين الى ما كنت أعرفه منه ، يعني من الإقبال والحقاوة .

وقلة الانصاف تحول بين الرجل وبين أن يزداد علماً ، فمن لم تنصفه من أهل العلم ، وجد في نفسه مثبطاً عن أن يسرع الى إفادتك ، أو يفيض القول في مذاكرتك ، فيفوتك حظ من العلم لولا عدم انصافك لازددت به قوة في الفهم وسعة في العلم ؛ وقد يكون من أثر جحودك لفضل الرجل أن تقل رغبتك في ملاقاته والتزود من آرائه أو رواياته ؛ وكم وصل الرجل بانصافه الى علم وأدب جم ، قال أبو إسحاق الزجاج : لما قدم المبرد بغداد أتته لأناظره ، وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب ، وأميل الى قول

السكوفيين، فعزمت على إعنات المبرد، فلما فاتحني أَلجئني بالحجة، وطالبني بالعدة، وألزماني إلزامات لم أهتمد إليها، فتبينت فضله، واسترجعت عقله، وجددت في ملازمته.

فلو كان أبو اسحاق من أولئك الذين يجمع بهم التعصب للأشياء أو المذهب حتى ينبذوا الانصاف ناحية، لما اعترف بفضل المبرد وقد فاتحه بالمناظرة عازماً على إعناته، ولَفاته العلم الذي غنمه بالجد في ملازمته.

وقلة الانصاف تُحدث في العلم فساداً كبيراً، ذلك لأن من لا يقدر الانصاف قدره، قد يرى بعض الآراء العلمية الصحيحة قد صدرت من شخص لا يرتاح هو لأن تكون قد صدرت منه، فيقابلها بالرد والإنكار؛ وقد تكون له براعة بيان، فيصرفها في تشويه وجه الحق وهو يعلم أنه حق، فيظهر الجهل على العلم ولو في فئة قليلة أو دائرة صغيرة.

قلة الانصاف تخذل العلم، وتطمس شيئاً من معالمه؛ والانصاف يؤيد العلم، ويجعل موارده صافية سائغة؛ ولو أخذ الانصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق لقلّت مسائل الخلاف في كل علم، فيكون حفظ العلوم أيسر، ومدة دراستها والرسوخ فيها أقصر.

نقرأ في تاريخ العلامة محمد بن عبد السلام أن ابن الصباغ اعترض عليه في أربع عشرة مسألة، فلم يدافع عن واحدة منها، بل أقر بالخطأ في جميعها.

ومن النواحي التي غفل فيها بعض الناس عن فضيلة الانصاف، فكانت منبت فساد غير قليل، ناحية التعصب للمذهب تعصباً من لا يسمع ولا يرى؛ ولصاحب المذهب أو المقتدى به أن يبسط القول في تقرير أصوله وإيراد حججه، وله أن يناقش أقوال مخالفيه وأدلتهم، فيردها، ويصفها بالخطأ إذا شاء، ومن الانصاف أن يناقشها استبانة للحق، ولا يصفها بالخطأ إلا بعد أن تأذن له الحجة في وصفها؛ والعالم الذي

يطول نظره في أقوال الأئمة، يشهدهم كيف يرمون الى غرض واحد هو الحكم المطابق للحق، فيمتلئ قلبه باحترامهم، ويتقف في حدود الانصاف عند درسه لمسألة من المسائل التي جرى فيها اختلافهم، قال الامام الشافعي: الظرف في الوقوف عند الحق كما وقف. لا يصعب على النفوس التي فيها بقية من خير أن تنصف الرجل ببتكر رأيا، أو ينهض لعمل، فتعترف لرأيه بالإصابة، أو لعمله بالإجادة، والانصاف الذي قد تجمع عنه نفسك كثيرا أو قليلا، أن تقول قولا تظنه صوابا، أو تعمل عملا تحسبه حسنا، فينقده آخر بميزان العلم الصحيح، ويريك أنك قد قلت خطأ، أو عملت سيئا، ففي مثل هذا المقام قد تجدد في نفسك كراهة للاعتراف بالخطأ في القول أو الإساءة في العمل؛ فإن كنت على ذكر من فضيلة الانصاف وما تؤتيه من ثمار طيبة، لم تلبث أن تكظم هذه الكراهة، ولا تجدد في نفسك حرجا من أن تقول للناس: إني قد أخطأت في قولي، أو أسأت في عملي. وتاريخ علماء الاسلام مملوء بقصص الذين رجعوا عن آرائهم بعد محاورات أو مناظرات ظهر لهم منها أن الحق في جانب من دارت بينهم وبينه المحاورة أو المناظرة. ومما يروى في هذا الصدد أن مناظرة جرت بين الامامين: مالك بن أنس، وأبي يوسف صاحب الامام أبي حنيفة في مقدار الصاع الذي تؤدي به زكاة الفطر، فقال مالك: هو خمسة أرطال وثلاث، وكان أبو يوسف يذهب الى أنها ثمانية أرطال، فاحتج عليه مالك بالصيغان الموجودات لذلك العهد عند أبناء المهاجرين والانصار بالمدينة، فرجع الامام أبو يوسف الى ما قاله الامام مالك.

لا يصعب على الرجل أن ينصف قريبا أو صديقا، بل لا يصعب عليه أن ينصف من لا تربطه به قرابة أو صداقة، ولا تبعده منه عداوة؛ والانصاف الذي قد يحتاج فيه الى مراوغة النفس كثيرا أو قليلا، أن يبدي بعض أعدائه رأيا سديدا، أو يناقشه في رأى مناقشة صائبة، فهذا موطن تذكير النفس بأدب الانصاف، وإنذارها ما يترتب على العناد من إثم وفساد.

ومن الانصاف الذى يدل على الرسوخ فى الفضيلة أن يتحدث الرجل عن خصمه فينسب اليه ما يعرفه له من فضل ، أنشد فى مجلس الامام على بن أبى طالب قول الشاعر :

فتى كان يدينه الننى من صديقه إذا ما هو استغنى وببعده الفقر  
كأن الثريا عاقت بحبيبه وفى خده الشعري وفى الآخر البدر

فلمّا سمعها على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : هذا طلحة بن عبيد الله ، وكان السيف ليلتئذ مجردا بينهما .

يسهل على الرجل أن ينصف من هو أكبر سنا منه ، أكثر مما يسهل عليه أن أن ينصف قرينه ، ذلك لأن أكبر عائق عن الانصاف التحاسد ، وحسد الانسان لأقرانه أكبر وأشد من حسده للمتقدمين عليه فى السن . ويسهل عليه أن ينصف أقرانه أكثر مما يسهل عليه أن ينصف من هو أحدث سنا منه ، إذ يسبق الى ظنه أن ظهور مزبة لمن هو أحدث عهدا منه ، قد تفضى الى أن يكون ذكره أرفع ؛ وفضل القرين على بعض أقرانه شائع أكثر من فضل المتأخر على المتقدم ؛ وشيوع الشيء يجعله أهون على النفس مما هو أقل شيوعا منه .

فينبغي للانسان أن يتيقظ للأحوال التى قد تتقوى فيها داعية العناد ، ويُعدّ للوقوف عند حدود الانصاف ومقاومة تلك الداعية ما استطاع من قوة .

ويقص علينا التاريخ أن فى الأسانذة من يحرص على أن يرتقى تلاميذه فى العلم الى الذروة ، ولا يجد فى نفسه حرجا من أن يظهر عليه أحدهم فى بحث أو محاوراة . يذكرون أن العلامة أبا عبد الله الشريف التلمسانى كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه ، ويبرزه فى أحسن صورة ؛ وروى أن أبا عبد الله هذا كان قد تجاذب

مع أستاذه أبي زيد بن الامام الكلام في مسألة ، وطال البحث اعتراضا وجوابا حتى ظهر أبو عبد الله على أستاذه أبي زيد ، فاعترف له الأستاذ بالاصابة ، وأنشد مداعبا :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

ومن نظر بروية الى أن فضل العلم من جهة أنه وسيلة الى إصلاح العمل وإسعاد البشر ، وكان مع هذا النظر ناصحا لأئمته ، وقف عند حد الانصاف ، ولم ينحرف عنه إجابة لداعى الحسد ، أو انسياقا مع حب العلو في الأرض ولو بغير حق .

أخذ رجال بأدب الاسلام فرسخوا في فضيلة الانصاف على قدر صفاء سرائرهم واحترامهم لأصول الدين وأحكامه ؛ وقد مثل الصحابة رضى الله عنهم الانصاف في أكل صورة ؛ بدا لعمر بن الخطاب مرة أن يضع للمهور حدا ، فخطب قائلا : « لا تريدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، فن زاد أقيمت زيادته في بيت المال » فقامت امرأة من صف النساء ، فقامت : ما ذاك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله عز وجل يقول : ( وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ) فقال عمر : « امرأة أصابت ورجل أخطأ » ولو كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أولئك الذين يألمون من أن ينسب إليهم نقص أكثر من ألمهم لتحريف آية عن موضعها ، أو استبدال خاطر بشرى بحكم إلهي ، لما عدم وجهها من أمثال تلك الوجوه التي يصورها المخادعون أو ضعفاء الايمان تعصبا لآرائهم المخالفة للقرآن .

اختلف ابن عباس وزيد بن حارثة رضى الله عنهما في مسألة من باب الحيض ، فقرر ابن عباس حكما ، وخالفه زيد فرأى فيها رأيا آخر ، فقال له ابن عباس : سل نسياتك : أم سليمان وضويحباتها ، فذهب زيد فسألهن ، ثم جاء وهو يضحك فقال لابن عباس : القول ما قلت . وموضع العبرة من هذه القصة أن زيدا تمسك برأيه في مخالفة ابن عباس

حتى استبان له أن الحق مع ابن عباس، فلم يجد في نفسه حرجاً من أن يرجع إليه ضاحكاً، ويقول له: القول ما قلت.

ويروى أن الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه تكلم في مسألة، فقال له أحد الحاضرين: ليس الأمر كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: أصبت وأخطأت، وفوق كل ذي علم عليم. وعشاق الأخلاق الكريمة يُجَلُّون الإمام علياً لهذا الإنصاف إجلالهم له عندما يفتي فيصيب الحق، أو يعط فينطق بالحكمة.

وقد اقتدى بالصحاب في هذا الخلق الكريم من جاء بعدهم من كبار العلماء، وهذا الإمام الشافعي رضى الله عنه يقول: «ما ناظرت أحداً على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه».

والراسخون في فضيلة الإنصاف لا يبالون أن يكون رجوعهم عن الخطأ أمام من خالفهم وحده، أو بمحضر جمع كبير لم يشعروا بالخلاف، ولا بخطأ الخطي أو إصابة المصيب. وها هو ذا التاريخ يحدثنا عن رجال من علماء الإسلام بلغوا هذه الغاية من الإنصاف، قال عبد الرحمن بن مهدي: ذا كرت القاضي عبيد الله بن الحسين في حديث وهو بومئذ قاض، فخالفني فيه، فدخلت عليه بعد وعنده الناس سباطين<sup>(١)</sup>، فقال لي: ذلك الحديث كما قلت أنت، وأرجع أنا صاغراً. فعبيد الله بن الحسين قد أحسن إلى نفسه إذ أخذها بفضيلة الإنصاف، وأحسن إلى الناس إذ علمهم كيف يعترفون بالخطأ إذا أخطأوا، ولا يتلبثون في الرجوع إلى الحق ولو عظمت مناصبهم وعلت أقدارهم.

العناد قبيح، ويشتد هذا القبح بمقدار ظهور الحجة على الرأي الذي تحاول رده على صاحبه، فتي كانت الحجة أظهر كان العناد أقبح؛ والإنصاف جميل، ويكون جماله أوضح وأجلى حيث يكون في حجة الرأي الصائب شيء من الخفاء، وحيث يمكنك أن تتحيز لرأيك وتهمي كثيراً من الأذهان لقبوله.

(١) سباط القوم صنفهم، يقال قام القوم حوله سباطين أي صنفين.

وقد ينقل التاريخ شذرات من حوادث المنصفين لمن خالفهم في أمر، أو المعترفين لبعض خصومهم بفضيلة، فتهتز في نفوس قرائها عاطفة احترام لمن أقر بالخطأ أو اعترف لخصمه بخصلة حمد، وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه في الرأي فأصاب، وربما كان إكبارهم لمن شهد لخصمه بمكرمة فوق إكبارهم للشخص المشهود له بتلك المكرمة؛ وسبب هذا الإكبار عظمة خصلة الانصاف، وعزة من يأخذ نفسه بها في كل حال؛ قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الانصاف.

وإذا لم ينصفك الرجل، فرد عليك الحق بالشمال واليمين، أو جدد جانباً من فضلك وهو يراه رأي العين، فلا تكن قلة إنصافه حاملة لك على أن تقابله بالعناد، فترد عليه حقاً، أو تجدد له فضلاً؛ واحترس من أن تسرى لك من خصومك عدوى هذا الخلق الممقوت، فيلج في نفسك، وينشط له لسانك أو قلمك وأنت تحسبه من محاربة الخصوم بمثل سلاحهم. كلا، لا يحارب الرجل خصومه المبطلين بمثل الاعتصام بالفضيلة، ولا سيما فضيلة كفضيلة الانصاف تدل على نفس مطمئنة ونظر في العواقب بعيد. ومن وجد في خصمه فضائل، حصر محاربتة في الأمر الذي هو منشأ الخصومة، وترك تلك الفضائل قارة في مكانها، بادية لمن أراد أن يقتدى بها.

وإذا كان الانصاف فضيلة ترتفع بها أقدار الرجال، وتوسع بها دوائر العلوم، وتصفوها موارد الآداب، ويشتد بها حبل الاتحاد، وينتظم بها شأن الاجتماع، كان من واجب أولياء الأطفال وأساتذة الأخلاق ودعاة الإصلاح أن يجعلوا له من تربيتهم وتعليمهم ودعوتهم نصيباً يكفي لأن نرى أندية ومؤلفاتنا وصحفنا نقية من إنكار الحق، بريئة من جحود الفضل.

محمد الخضر حسين



# النفس

## سورة النور

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاقِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ) .

لقد وصف لنا جل شأنه نور الله في تلالئه وصفائه ، وكيف يشرق على قلوب المؤمنين فيقبلون على طاعته ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره ، وكيف تغلق دونه قلوب طمس عليها فغرقت في ظلمات متراكمة ، وشملتها العماية حتى لا ترى شيئاً ما مهما كان منها قريباً ، فكان جديراً أن يردف ذلك بالثمره المقصودة من تجلى النور على القلوب ، لتقارن بحال من حرم منه ، فتبتهج النفوس بالنعمة ، وتسارع الى التقاطها ، وتحمد الله على التوفيق

بها ، وتزداد بها تمسكا . وساق ذلك على وجه يبرزه في صورة المحسوس المرئي إيذانا بوضوحه أمام عين البصيرة كما تتضح المرئيات أمام العين الباصرة ، فقال جل شأنه : « ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض » . وأصل الرؤية الإِبصار بالعين ، وتستعمل كثيرا في العلم بالبصيرة وهو المراد هنا ، أى ألم تعلم . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد ما يعلمه ويعلم أمته ؛ أو الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية . والاستفهام هنا للتقرير ، ويستعمل في الإخبار بالشيء الذى بلغ من الوضوح حالة يستغنى عن الإخبار به ، بل يكفي تنبيه المخاطب اليه فيقرّبه من نفسه ، كقوله تعالى : ( ألم يجدك يتيما فآوى ) لأنه عليه السلام كان يعلم ذلك من نفسه . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يسبح له الخ » فيه دلالة على وضوح ذلك الأمر الى حد أنه يرى ويعلم علما واضحا ، ودلالة على أن هذا الوضوح وهذا العلم أمر يحده كل ذى قلب أشرق عليه النور الإلهي ، وانتفع بالمواهب التى أنعم الله بها عليه من عقل يميز وآيات بينة . والتسبيح : التنزيه عما لا يليق .

والمعنى أنها تعترف بتنزيهه وتقديسه ، وتشهد بذلك بلسان حالها وبما أودع فيها من آيات الإبداع الدالة على كمال منشئها وعظيم قدرته وواسع علمه وباهر حكمته ، فإنك إذا تأملت في هذه الأنواع المتباينة وما أودع في خلقة كل منها مما يحتاج اليه في حياته وجدتها جميعها ناطقة بأفصح بيان بتنزيه مبدعها ، شاهدة بأصدق لسان بتهجيده وتقديسه .

انظر الى الحيوانات الصغيرة الضعيفة وما ركب فيها من قوى تعينها على تحصيل رزقها والدفاع عن أنفسها ، تجد العجب العجيب . انظر الى النحل وما ألهمت ، والى النمل وما منحت ، والى الوحوش وما أعطيت ، والى البهائم وما ركب فيها من قوى ، تجد ما لا يقف عند حد من دلائل القدرة وآثار الحكمة . انظر الى الانسان وكيف خلق ، وتأمل فى أى ناحية من نواحيه شئت ، وفى أى عضو من أعضائه أو أى جهاز من أجهزة بدنه ، وأطل البحث والتأمل ، فإنك كلما ازددت نظرا أو تأملا ازددت علما ويقينا بهذا المعنى . إنك إذا تأملت فى الجهاز التنفسى للحيوان ، أو الدورة الدموية وما تغذى به

الأعضاء آنا فآنا، أو للعصب وما يوصل، أو لأعصاب الحركة وكيف طاعتها، أو الغدد المفرزة وثمراتها، فإنك سيتجلى لك في كل خطوة تخطوها نور تشهده ينطق لسانك بالتسبيح والتمجيد، فكل من في السموات والأرض، وكل ما في السموات والأرض وما بينهما من الطير صافات في الفضاء ناطقة بأجلى بيان، شاهدة بتسبيح الملك الديان، جل شأنه ولا إله غيره. أمر بين، ولسان فصيح، يجده كل من فتح عين بصيرته ونظر الى عجيب صنع الله.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

من هذا ترى الكلام قد انتقل بالطف أسلوب وأرق مسلك الى تقرير أدلة الربوبية، ولفت النظر الى آيات العظمة الإلهية والحكمة الصمدانية، وجعل ذلك نتيجة لازمة وثمره مترتبة على ما سبق من تفصيل أحوال العالمين، الى مستنير مبصر، والى أعمى حائر في بحر من الظلمات. وكأز سوق الأدلة على هذا الوجه، ليفيد أنها مع كونها من الواضح بهذه المثابة فقد عمى عنها فريق، فهل عمائم عنها إلا لانطباس أبصارهم وبصائرهم، ولا نفما سهم في الظلمات فهم فيها يعمهون!

وترى بهذا أن التسبيح معناه الشهادة بلسان حالها بتنزيه مبدعها. وبعضهم يرى أن التسبيح لا يبعد أن يكون باللسان، ويقول: لا يبعد أن يخلق الله لكل ما في الأرض من حيوان ولطير السنة توحد صانعها وتسبح له باغة تفهمها وإن لم تفهمها عنها. ولكن الآية في غنى عن هذا، كيف ولسان الحال أفسح من لسان المقال. وانفط «من» وإن اختص بالعلاء فباب التغليب واسع، أي أننا أطلقناه على الجميع تلميذا للعلاء على غيرهم؛ أو أنه لما أسند اليهم ما شأنه أن يسند الى العلاء، عبر عن الجميع عن المختصة بالعلاء. وعطف الطير على من في السموات والأرض للتنصيص على عموم من يسكنها، ولا إفادة الشمول للجميع، حتى من يكون بينهما، فضلا عما في الطير في هذه الحالة وهي استقرارها

في الفضاء صافئة أجنحتها لا تحركها لتتوج الهواء من تحتها ليقوى على حملها من الدلالة العظمى على عظيم قدرة الصانع ، فإنها تُنطقُ الألسنة بتمجيدهِ وتنزيهِهِ ، فان معنى صافات : باسقاط أجنحتها لا تحركها .

وقوله تعالى : « كل قد علم صلاته وتسبيحه » معناه أن كل فريق من هؤلاء قد علم الله صلاته وتسبيحه . وقوله : « والله عليم بما يفعلون » تقرير لذلك وتثبيت له ، أى قد علم الله من كل فريق ما وجهه اليه من الابتهال والاستعانة به والتوجه اليه والاعتماد عليه في تحصيل ما يبتغى . فالصلاة معناها طلب المعونة منه واللاجأ في تحصيل المقاصد اليه ، وهو أمر يشعر به بفطرته كل من حاول تحصيل مقصد وهو فيه بين أن ينال وأن لا ينال ، فيصرف جهده في إحرازه وهو بين الرجاء والخوف وبين الشك واليقين ، فتدفعه غريزته الى اللجأ الى من وهبه بقواه وأمدّه بمدده ، فكأنه يستنصره ويستمد منه مزيد القوة ، ويلاجأ اليه فيما تعاضى عليه ، والله عليم بما يكون منه من هذا الاجتباء والاستعانة ، فقد علم صلاته كما علم تسبيحه ، فانه عليم بكل ما يفعلون .

ويجوز أن يكون المعنى : كل فريق من هؤلاء قد علم بما يكون منه من صلاة هي مختصة به وتسبيح صادر منه وإن لم يستطع شرحه والتعبير عنه ، فشعور النفس شئ والتعبير عنه وشرحه شئ آخر ، وعلى هذا التقرير يكون محصل معنى الآية الكريمة واتصالها بما قبلها هكذا : قد تبين لكم النور الإلهي وأثره في نفوس من اهتدى به ، وظهر أن هناك نفوسا عميت عنه فلم تنتفع به مع عظيم تألقه وصفائه ، فكانوا في ظلمات بعضها فوق بعض ، وإن مما يقرر هذا ما ترون من آيات ناطقة بأوضح دلالة بتسبيح الخالق وهي منبثة في كل ما في السموات والأرض ، لا تحتاج إلا الى من يفتح عينيه ليبصرها ومع ذلك فقد عمى أولئك المخذولون عن رؤيتهم ، ألم تنظروا الى نفسك وما منحت من إحكام في التركيب وإتقان في الخلق ، ألم ترائى ما يحيط بك ويلابسك ويقع عليه نظرك وقد منح كل منها ما هو محتاج اليه في حياته ، ألم ترائى تركيب الأعضاء ، ألم ترائى تنويع القوى ،

ألم تر ألم تر، مما لا يكاد يحصى؟ أليس هذا كله ناطقا بتسبيح الله وتمجيد؟ أليس من وهب كل هذا وكونه عالما بما يصدر عنه، قد علم الله من كل تمجيدته وتعظيمه، وقد عرف كل ما هو منوط به من تمجيد وتعظيم، والله عليم بما يفعلون.

وقوله تعالى: «ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير» معناه أنه وحده هو الواهب لكل القوى المنبثقة في هذه الكائنات، فكل شيء منه ومستند إلى هيبته ومنحته، وليس لممكن من الممكنات أثر بنفسه في شيء من هذه الكائنات، كيف وهو بذاته وصفاته هبة من الحق جل وعلا، لا قدرة له على تكوين نفسه ولا تكوين شيء فيها ولا أن يهبها ما لم يهبها الله، فهو المالك لكل شيء، فله ملك السموات والأرض، وهو المنتهى والمرجع، فالكل مبتدأ منه وصائر إليه؛ والصورورة إليه إما بالبعث وهو ظاهر؛ وإما على معنى أن ما يظهر على يد بعض المخلوقات من آثار تنسب إليها فهي في الآخر مرجعها إليه، أو لا قوة لها من ذاتها. ولا يخفى أن منزلة قوله ولله ملك السموات والأرض مما قبله منزلة النتيجة من الدليل، ومنزلة الثمرة من الشجرة.

وقوله تعالى: «ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما» تقرير لدليل ثان من أدلة العظمة الإلهية والآثار الربانية، وهو ما يجري أمام أعيننا، وننظر إليه وننتظر نفعه أو نستدفع ضرره.

ومعنى يزجى: يسوق رويدا رويدا، ومنه بضاعة مزجاة متداولة تساق على يد الكثير من الناس ليس من الطرف التي تفتن بها. وإزجاء السحاب معناه سوق بعض قطمه إلى بعض. والسحاب معروف، وهو اسم جنس جمعي لسحابة كشجر وشجرة. والتأليف: الضم مع مراعاة الألفة والتناسب. والركام: المتراكب بعضه فوق بعض. والودق: المطر أو القطر، وقيل: البرق. وخلالله: جمع خلل كجبل وجبال، أي الشقوق التي تكون بين أجزائه. وقوله: وينزل من السماء، أي من جهة العلو، أو من السحاب،

لأنه يسمى سماء أيضا لعلوه . وقوله « من جبال فيها من برد » إما أن تجعل من الأولى ابتدائية ويكون بدلا من قوله من السماء ، والمعنى : ينزل من السماء من الجبال التي فيها بعض برد ، وتكون من الثانية تبعيضية ؛ أو تكون من الأولى تبعيضية ومن الثانية زائدة أو تبعيضية ، ويكون قوله فيها من برد جملة من مبتدأ وخبر صفة لجبال ، أى ينزل من السماء بعض جبال فيها برد أو بعض برد . والمراد بالجبال على كمال حال القطع العظيمة الكبيرة ، فعلى الأول ، المراد ما يتراءى للناظر من السحاب المتراكم المشبه للجبال المترصة ، وعلى الثانى ، ما ينزل من كتل كبيرة فيها برد ، أو ما يتكون على الأرض من تاج وبرد حتى يكون كالجبال .

هذا وإن منظر السحاب فى تراكمه ثم نزوله مطرا أو ثلجا أو بردا مما يوقظ النفوس الغافلة ويفتها مهما تحجرت الى عظمة المهيمن على العالم .

وقوله تعالى : « فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء » فيه توجيه النظر الى ناحية أخرى من نواحي دلالة السحاب والظواهر الجوية على عظمة الصانع ، فبعد أن استرعى النظر الى تكوينه ونزوله ، وجهه الى توزيعه وتصريفه حسب حكمته . وإن من عاشر الأقوام الذين ترتبط حياتهم بالأمطار ويعاقون على نزولها عابهم أو صرفها عنهم الآمال السكبار وهم الكثير فى الناس ، يفهم حق الفهم سر توجيه النظر الى توزيعه بعد ما وجهه الى تكوينه ؛ قرب منتظر له فاته وهو فى أشد الحاجة اليه ؛ ورب خائف منه صادفه وهو على أشد الوجع منه ؛ وربما جاء كلا منهما ما يؤمله ، وعلى كمال حال لا يسع أحدا منهم إلا التوجه الى القادر الناهر ، إما بالشكر أو باستدفاع الضر ، فقد علم كمال أن لا حيلة له فى جلبه ولا فى دفعه .

وقوله تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالآبصار » توجيهه الى ناحية أخرى من نواحي الدلالة فى هذه الظاهرة الجوية القوية ، فإنك إذا تأملت فيه وجدته لم يخرج عن أنه ذرات بخارية تكونت بتراكمها بعضها الى بعض ، وأقوى عدة فيها هو الماء ، فن أين

للماء أن يولد ذلك الشرر العظيم والضوء القوي الذي يكاد يخطف الأبصار، وكيف والماء ضد النار يتولد الشيء من ضده . سياجاً قائل الى التعليل بأن في تلك السحب المتقطعة التي يدخل بعضها في بعض تيارات كهربائية، فإذا تجذب بعضها الى بعض وكان بعضها سالبا وبعضها موجبا عملت هذا العمل . ونقول : فايكن كل هذا صحيحا، فمن ذا الذي أودع فيها كل ذلك؟ وهل نقول : إن الدال على عظمة الخالق أمر لا يستند الى ناموس ثابت؟ إنما نقول : إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وقوله تعالى : « يقلب الله الليل والنهار » هو أخذ بالذهن من شهود أثر عظيم الى شهود أثر عظيم حتى يشهد عظمة الخالق بشهود عظمة الخلق، فيقول : سبحانه ما خلقت هذا عبثا . وكأن إتيانه عقبه ليرشد التأمل الى أن أمر السحاب وإن أخذ منك ذلك المأخذ لأنه ليس مما يتكرر وقوعه ، فإن بين يدك ما هو أعظم وإن كنت ذهلت عن التأمل فيه لكثرة تكرره ، وذلك هو تقلب الليل والنهار ، يعاقب كل منهما صاحبه ويأكل كل منهما من أخيه بالزيادة والنقصان ، وتقلب الأحوال فيهما من حر وبرد وغيرهما ، هذه كلها أدلة على تمجيد الله ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . وكأن التعبير بالأبصار ، لأن ما سبق من الأدلة هو بمنزلة المحسوس الذي يدركه من له عينان ، وليس من الأمور العويصة التي تحتاج الى تأمل ودقة نظر، وليراجع قوله في أول الدليل : ألم تر ، بدل ألم تعلم ، ولأن أكثر ما سبق هنا أمور بصرية . ويجوز أن يكون المراد بالأبصار البصائر، ويكون بينها وبين الأبصار في قوله يذهب بالأبصار جناس تام ، وكل من المعنيين صحيح ، ولكن الأول أدق وأبلغ . والله سبحانه وتعالى أعلم

ابراهيم الجبالي

## ربيع الأول

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد كان لهذا الشهر المبارك ربيع الأول في أدوار حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم حظ لم يشاركه فيه غيره من الشهور ، ففيه أشرق نور جبينه صلى الله عليه وسلم على هذا الوجود ، وفيه أشرق نور الوحي على نفسه الشريفة ، وفيه أشرق نور العزة والنصر عليه وعلى أمته بالهجرة ، وفيه تشرفت روحه الكريمة بالصعود الى الدرجات العلى وبمجاورة الرفيق الأعلى . وسنتكلم من بين هذه الأدوار على المقصد الأعلى وهو البعثة الشريفة :

لقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » .

ولقد كان في هذا الاختيار الحكمة البالغة ، فقد جاء هذا الشعب العربي ، أكل الشعوب رجولة ، وأمتها أخلاقا ، وأصدقها عزيمة ، وأقواها شكيمة ، جاء سليما من داء الترف الذي يأكل الأمم أكلا ، ويذيب أخلاقها ويحل عزائمها ويفل غربها ، جاء شعبا بدويا لم تعرف نفسه الخضوع لغير ما تعتقده الصواب ، ولم تتعود الخنوع لإحراز أى غرض من الأغراض ، قنعت نفسه من نعم العيش بما يمسك الرمح ، ولم ترض من عزة النفس والإباء والشمم إلا بالمنزلة العليا ، وترنمت بذلك في أشعارها ، واستفاض في وصاياها



وتوارد ذكره في مفاخرها، حتى تأصلت فيها الأخلاق المتينة والسجايا العالية، يشب عليها أبناءهم ويلقنها الوليد في المهد، وتبرز في الحوادث الجسام، وتتجلى في أوقات الخطر ولا تنس في الساعة الرهيبة ساعة انفصال الحياة من الموت والموت من الحياة، فكأنهم ما جعلوا حياتهم إلا لحماية الذمار، وإكرام الجوار، والوفاء بالعهد، والصدق في النجدة والاستماتة دون تنفيذ ما يريدون من هذه الفضائل. وما كان القتل والنهب وأمثالها مرهوبا من جانبهم رهبتهم من أن ينسب لأحدهم عار أو تلحقه مذمة، فكم من حروب دامت عشرات السنين وأفتت عشرات الألوف وليس لها من سبب سوى أن أحدهم خفرت ذمته في شيء نافه لا يزيد عن قرى ضيف طارق وينصرف من غداته.

شعب صميم هذا شأنه وهذه سجاياه، هو الجدير بأن يعهد إليه بمهمة كبرى تغير وجه البسيطة، ويبطش بالبدو والخضر في سبيل تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه والمعهود بها إليه. هذا إلى راحة العقل، واستكمال الذكاء، ونضوج الفكر، وتدفق ينابيع الحكمة وإشراق نور الهداية من أفواه الكثير منهم، ومعرفة جمهورهم قيمة ما يطرّفهم به حكماؤهم، فيترنمون به، ويترسمون خطاه، ويشيدون بذكره، وينوهون بقدره.

كان إلى جانب هذا كله بركان شر مستطير، يلتهم العالم كله، لم يسلم منه دولة حضرية ولا شعب بدوى. كان العالم يموج بأصناف المظالم ويرسف في قيود من الشقاء بحكم ما تأصل فيه ورسخ عند جميع الطوائف من تقديس القوة وجعلها المهيمن الأعلى على جميع المصالح، فقد كانت القوة هي الدستور المحترم والقانون الأساسى لجميع الشعوب، ففي الدول المتحضرة تتجلى فيما يعده القائمون بالحكم من وسائل الإرهاب والإرهاب حتى يخضع الجميع إلى فئة تملك النواصى بما وضعت يدها عليه من وسائل العنف. وفي الشعوب البادية تتجلى فيما يكون من شجاعة فرد أو بأس قبيلة، فلا يكون لمن يصادمه بد من أن يحفز قواه أمامه حتى تكون الغلبة لأحد الطرفين، فينسحب

المغلوب الى حيث يلتبس لنفسه مأمنا ومفرا يستكمل فيه قوته ليدفع عن نفسه تلك الغوائل . وهكذا كان الحكم للقوة ، ولا يعرفون من الحق إلا القوة . وإنها لخطاة لا تصاح لطأ نينة ، ولا تقوم عليها حماية . انضم الى هذا كله عامل فساد أقوى وأدهى وأعم وأطم ، وامله أثر من آثار ما سبق من سيادة سلطان القوة أو يمت إليه بسبب ، ذاك هو شيوخ عبادة غير الله ، فان النفوس في تغالبها وتجالدها دأمة تقدر قوة خصمها وتخشى أن يتطرق الضعف الى ناحيتها ، فكلمأ أحست من جانبها شيئاً من الضعف لجأت بفطرتها الى استمداد القوة من مصدر القوة الذى تشعر به من بين جوانحها ، وإن عجزت عن إدراكه حق الإدراك وتقديره بما ينبغى له من التقدير ، التمتته في مواقع إحساسها وما كان مما تناه له الحواس وأخذت تفتش عنه في طيات عقولها ، وما كانت العقول لتقوى وحدها على اختراق سجف الظلمات التى أطبقت على العالم من كل النواحي إلا بضياء النبوة ، وأنى لهم وقد لعبت الأهواء بما مضى من نصوص الشرائع وضعف حملتها عن أن يجالوا للناس نورها بما يمتنع نفوسهم وبرد غوائلهم ، فلما أعيتهم الحيل أخذوا يتخيلون ثم يخالون ، فكل أمة قادتها نزعتها الى شرعة لها ومعبود صوردها وهمها ، حسبته مصدر القوة لخصته بالعبادة ، فمنهم من عبد السكواكب ، ومنهم من عبد الحيوانات النافعة ، ومنهم من عبد الحيوانات الضارة ، ومنهم من عبد الأنهار والأشجار بل منهم من نحت بيده من الصخور تماثيل وعبدها وهى من صنع أيديهم ، كما أن منهم من عبد الملوك والعظماء . وهكذا أطبقت العماية من كل جانب وظهر الفساد فى البر والبحر .

جاء شهر ربيع الأول من عام ٦٧٠ لميلاد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فأشرق على العالم نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وولد لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وكان ذلك عام الفيل وهو العام الذى حى الله فيه بيته الكريم من أن يدمره المغيرون ويطمسه المعاندون ، فكان فى ذلك مظهر يدل على أن العناية الإلهية لم تتخل عن هذه البقعة المباركة التى هى من أثر خليله إبراهيم عليه السلام ، وأن هذا الشعب وإن تهادى

في غيه فإنما هي رعونة طفولة له ، أو طيش شباب يمدله فيه ، وسيأتي له يوم يستكمل  
رشدّه ويبلغ أشده ، فينابط به أعظم وأخطر مهمة في العالم تغير وجه البسيطة وينتقد فيه  
الناس من الظلمات الى النور .

ما زالت حاله هكذا : يشتد الشعور عنده بما فيه العالم من بؤس وشقاء ، ويقلب  
فكره في كيفية الخلاص فلا يجد الى ذلك سبيلا ، ولا قوة لديه على هذا ، حتى ألجأه  
الأمر الى التماس الخلوة بالنفس والبعد عن ضوضاء هذا العالم لعله يستريح من شروره  
أو يجد قوة على تفريج كربّه ، فكان يذهب الى غار حراء وهو غار في أحد جبال مكة  
بعيد عن ممر الطارقين ، فكان يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، حتى إذا  
نفد ما أعده من زاد عاد الى مكة ومكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم يتزود لمثلها ، وحبب  
اليه الخلاء لما كان يجد فيه من الراحة بالخلو الى نفسه والبعد عن شرور العالم ومفاسده ،  
ثم لما كان يجد فيه من لذة إشراق النور الإلهي على نفسه رويدا ، ثم لأنه كان يعبد إلهه  
والله أبيه إبراهيم : إلهه الذي لا شريك له في ملكه ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا  
أحد ، فكان يجد لهذه العبادة من اللذة الروحية والتنفيس عن نفسه ما يغريه بالعودة  
والمواظبة ، وما زالت نفسه تصفو وتقوى على تحمل ما أعدها لها اللطيف الخبير ، حتى  
كان شهر ربيع الأول من العام المتمم للأربعين من حياته الشريفة ، فبدأه الوحي ،  
وكان أول ما بدأ به الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ،  
فكان في هذا إيناس لنفسه عليه السلام ، وإشعار لها بما أعدت له ، حتى تتربى ثقته بنفسه ،  
بل باللفظ الإلهي الذي يحفه ويشعر به ، وتقوى في قلبه الطمأنينة ، فلا بهلع ولا يرتاع  
لمناجاة الملك بدون استعداد للقياد ، فان الطبيعة البشرية خاضعة لما ألوفها منقادا لما  
تعودته ، وما زالت الرؤى تتكرر ويصحبها مشاهدة الملك ليأنس به شيئا فشيئا حتى  
أكمل ستة أشهر ، وجاء رمضان فنزل عليه جبريل بأول سورة من القرآن : سورة اقرأ ،  
وبدأه وهو في الغار ، فقال له اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، فضمه حتى بلغ منه الجهد ، ثم قال له :

اقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ ، فضمه كذلك ، ثم قال له في الثالثة : اقرأ باسم ربك الذى خلق  
خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ،  
فرجع بها يرجف فؤاده .

ومعنى قول الملك له : اقرأ ، أى ليكن منك قراءة ، وقوله ما أنا بقارئ ، أى أنه  
أنى لا عهد له بالقراءة . والحكمة في ضمه اليه حتى يبلغ منه الجهد ، أن يوجه كل انتباهه  
اليه ويسترعى كل مداركه حتى يتفرغ عن كل شىء من شأنه أن يصرفه ويتجه اليه  
خاصة ، وذلك شأن الانسان : أن يتوافر كل اتجاه له نحو ما كان له فيه من أثر ، والأمر  
هنا عظيم الخطر ، فلا غرو ألهم عليه السلام أن يستعد له بتفريغ القلب عن الشواغل ،  
ثم بالتطلع الى ما تعودده من صدق الرؤيا وماذا يردفه ، ثم برؤية الملك وما وراءه ، ثم بأمره  
بما لا عهد له به ، وتكرار ذلك الأمر ، ثم بضمه اليه ذلك الضم الذى أجهد ، وإن لكل  
واحد من هذا أثرا كبيرا فى استرعاء الانتباه وتقوية الاتجاه ، حتى لا يغيب عنه شىء ،  
مما يلقيه اليه .

وأما قوله : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، فيشير الى أن كونه لا عهد له فيما سبق  
بالقراءة ، لا تقطع عنه أن يقرأ بمعونة الله الذى خلق الخلق من عدم ، الذى خلق الخلق  
ولم يك شيئا ، الذى أوجد كل شىء خالق ، فقدرته على أصل الإيجاد والخلق أعظم إذا  
قيست الى أن يجعل من ليس بقارئ قارئاً . وقوله : خلق الانسان من علق ، تفصيل  
لخلق بعض الأنواع ، وهو أقربها الى المخاطب وأسهلها عليها استحضارا ، وأقربها اليه  
تأملا واستنتاجا ، ثم يقول بعد ذلك : اقرأ وربك الأكرم ، فيعيد الأمر بالقراءة  
مصحوبا بتوجيه نظره الى الفيوضات الربانية . والتعبير بلفظ ربك فيه ما فيه . واختيار  
صفة الأكرمية لتربيته الثقة الملقنة بأن ما طلب منه ليس بمتعاص ميؤوس منه ، فليس  
عليه أكثر من أن يتجه الى تلقى الفيض الإلهي والكرم الرباني ، فيقوم بما طالب منه حق  
القيام ، ثم أردف ذلك بقوله جل جلاله : الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، ليدل تمام

الدلالة على أن الهداية للقراءة والكتابة إنما هي بتعليم الإله الذى يأمرك والرب الذى يتولاك، فهو الذى علم بالقلم، بل هو الذى منّ على الانسان بتعليم كل شئ بعد أن كان لا يعلم شيئاً، هو الذى أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، فكيف يتعاصى عليه أن تكون قارئاً بعد أن لم تكن قارئاً، وكيف يتعاصى عليه أن يهبك علم ما لم تعلم. ثم تركه المدة الطويلة لتنبت هذه النواة على مهل، وتأخذ مكانها من نفسه الشريفة ويسوغها ويتحقق بها أكل تحقق، ثم يتشوف لما وراءها ويشتاق لما هو تكملة لها، ويتطلع الى المزيد منها، حتى إذا أخذ الشوق منه مأخذه، وطال به الانتظار الذى يخشى عليه معه أن يتسرب الى النفس اليأس، عاوده الوحي وأخذ يتوالى حتى بلغ من العظمة ما بلغ.

فكان شهر ربيع الأول هو مطلع فجر الهدى الإلهى، ففيه ابتدأت حياته الشريفة عليه الصلاة والسلام، وفيه ابتدأ مولد الوحي كما سبق شرحه إذا نبثق فجر النبوة، وفيه ابتدأ فجر العز والنصر المبين بالهجرة، وفيه انتقل عليه الصلاة والسلام الى المكان الأعلى والمقام الأسمى حين اختاره الرفيق الأعلى لجواره، وحين قام بمأهده إليه به، وحين تمت النعمة نعمة الهداية العظمى على يديه، وكملت السعادة الكبرى للنوع الانساني ببعثته، وتجلت رحمة الله بذلك على الناس أجمعين، وتحقق قوله عز وجل:

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ابراهيم الجبالى

# الحكم على المسلمين بالكفر

شبهة مجسمة ونسبية فاسد ومكتم باطل

جاءنا هذا السؤال تحت هذا العنوان :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير والمحقق الشهير ، مرشد الضالين وقامع الملحدين ، لسان الاسلام الناطق ، وترجمانه الصادق ، وسيفه الماحق لكل مارق وفاسق ، الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى ، حفظه الله وأطال بقاءه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فغير خاف على فضيلتكم أن تفسير الشوكاني المسمى « فتح القدير » طبع بمطبعة الحلبي بمصر ، وكان من بين ما قرأناه فيه عند تفسير قوله تعالى في سورة التوبة : ( اتَّخَذُوا أَحِبَّاءَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ) الآية ( ص ٣٢٧ ) من الجزء الثانى العبارة الآتية التى حكم فيها على عموم المسلمين المقلدين للأئمة المجتهدين بالكفر الصريح ، وحضهم على نبذ كتب الدين ، ولم يردعه عن جهره بهذا الحكم الفاسد والرأى المنكر وازع من الدين ولا زاجر من العلم . وهذا نص عبارته : وفى هذه الآية ما يزر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله وتأثير<sup>(١)</sup> ما يقوله الأسلاف على ما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فإن طاعة الممتذهب لمن يقتدى بقوله ويستأن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقته به كتبه وأنبياءه هو كاتخاذ اليهود

والنصارى للأخبار والرهبان أرباباً من دون الله ، للقطع بأنهم لم يعبدوه بل أطاعوه وحرّموا ما حرّموا وحلّوا ما حلّوا ، وهذا هو صنيع المقلّدين من هذه الأمة ، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرّة بالتمرّة والماء بالماء ، فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وأفاداه ، فعمدتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمّد بعاد الحق ولم تعضد بعضها الدين ، ونصوص الكتاب والسنة تنادى بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه ، فأعرتموها آذاناً صماً وقلوباً غافلاً وأفهاماً مريضّة وعقولاً مهيبضة وأذهاناً كليّة وخواطر عليلة ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فدعوا أرشدكم الله وإياي كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم <sup>(١)</sup> واستبدلوا بها كتاب الله خالفهم وخالفكم ومتعبدكم ومتعبدكم ومعبودكم ومعبودكم ، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءكم به من الرأي أقوال إمامكم وإمامهم وقدوتكم وقدوتهم ، وهو الامام الأول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اهـ .

ففلتمس من فضيلتكم دحض هذه الشبهة ، ورد هذه الفرية ، بما آتاكم الله من قوة في الدين وصلابة في الحق ، ونشر ذلك بأول عدد من مجلة نور الاسلام الغراء . وحبذا لو أنيتم على جميع شبههم ، فكم في تفسير الشوكاني من الشبه المعسولة المسمومة التي نحا فيها نحو ابن تيمية ؛ وإن الله يؤيدكم بروح القدس ما نأختم عن دينه ودافعت عن كتابه وأرشدتم عباده إلى الصراط المستقيم . وختاماً نبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم زخراً للاسلام ومرشداً للمسلمين وتفضل ياسيدي بقبول فائق احتراي .

محمد احمد عماره

تلا — منوفية

(١) ليت شعري ماذا يريد بكلمة الأموات وماذا دس فيها ، أيريد ألا تأخذ شيئاً إلا عن الأحياء وإذن

يضيع الدين كله ، أم ماذا يريد !

## الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فهذا كلام لا يصدر إلا ممن غلظ فهمه وجهدت عواطفه وقسا قلبه وقل احتياظه ، فاستهان بإجماع العلماء وكلام أئمة الهدى الذين لا يقولون في الدين بشيء إلا إذا كان لهم مستند من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما سنبينه ، وذلك منه اغترارا بما زعمه لنفسه من زعامة كاذبة واجتهاد باطل ، ولو احتاط في أمر الدماء وتخرج من خطر التكفير ، أو احترم اتفاق المسلمين وكلام غيره من العلماء المبرزين ، لم يجازف بإلقاء القول على عواهنه ضد أمة بأسرها ، وفيها من العلماء والفضلاء والأولياء والمحدثين والمفسرين وعلماء التوحيد والفلسفة ما أدهش التاريخ وأنطق أعداء الاسلام بفضل الاسلام ( وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في النار سبعين خريفاً ) وكل من قدس نفسه واتبع هواه فلا بد أن يضل عن سبيل الله ، وكل من امتلأ أنانية وكبرا فلا بد أن يحتقر المسلمين ولا يحترم العلماء السابقين ( إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير )<sup>(١)</sup> هؤلاء إذا حللنا نفوسهم وجدناها مملوءة قسوة لا تقل في وزنها وتقديرها عن قسوة قطاع الطريق الذين يستهزئون بسفك الدماء وقتل الأبرياء ، غير أن أولئك يسفكونه ليلاً وهؤلاء يسفكونه نهاراً لو قدروا ، وأولئك يسفكونه خائفين وجلين وهؤلاء يسفكونه فرحين متبجحين<sup>(٢)</sup> وأولئك لا يصفون بألسنتهم الكذب ولا يقولون على الله ، وربما رجعوا إليه نادمين مستغفرين ، وهؤلاء

(١) وليس أدل على ذلك من أن جهلة أتباعهم يجرمون بل يكفرون من صلى على الرسول بعد الأذان بلا حياة من رسول الله ولا تحقيق من العلم ولا احتياط في الدين وعندنا خطابات كثيرة من هذا وهو أدل دليل على ما ذكرنا فإن علماء المذاهب الاربعة نعموا على استحسانها . وكلهم من أمثال تلك المجازفات .

(٢) وانظر الى الوهاية مقلدة ابن تيمية وما امتلا به تاريخهم من حوادث قتل المسلمين واعتقادهم أنهم يشركون فهم يتقربون الى الله بسفك دمائهم وتطهير الارض منهم كما هو معروف .



يلصقون ذلك بدين الله مفترين على الله الكذب قائلين : هذا حلال وهذا حرام ، هذا كفر وذاك إسلام . فجدير بهم أن يغلق باب التوبة في وجوههم ، فإنهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فكيف يتوبون أو يستغفرون ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) . هذه النزعة نزعة تكفير المسلمين والاستهانة بدمائهم هي نزعة الخوارج الذين هم شر الطوائف ، حتى ذهب كثير من العلماء ( وتشهد لهم الأحاديث الصحيحة ) الى تكفيرهم . وما نرى طائفة على نقیض ما جاء به الأنبياء من الشفقة والرحمة والمحبة والوئام وعدم الانقسام مثل هذه الطائفة .

وبعد فالقول بوجوب الاجتهاد وتحريم التقاليد على كل واحد يحافي المعقول قبل أن يخالف المنقول ، فما أدري بأي قلم يكتبون وبأي عقل يتفكرون ؛ فإن الناس خلقوا على درجات متفاوتة لا يحصيها إلا الله ( وإنما العلم بالتعلم ) ومبنى هذا الوجود على أن الصغير يرجع الى الكبير والجاهل يرجع الى العالم والضعيف يرجع الى القوى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإن شفاء العي السؤال » قال ذلك في قوم أفتوا مجروحا أن يغتسل ويغتسل جرحه ولا يتيمم فأت . رواه أبو داود وابن ماجه <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَالِمُهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ) وقال : ( فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) فعلة الأمر بالسؤال هو الجهل والأمر المتيقن بالعلة يتكرر بتكررها . ومعلوم أن العلماء لم يزالوا يُستفتون فيفتون ويتبعهم الناس من غير إبداء المستند ثقة بدينهم وأمانتهم ومزيد معرفتهم حتى شاع وملا البقاع ولم ينكره أحد ، فكان إجماعا .

(١) وكان من حقه على من ذهب هؤلاء أن لا يرى له فانه اتخذ هؤلاء المسئولين الجاهلين أربابا من دون الله

فكان حقه أن يسخط عليه وأن يحذر من مثل فعله .

ولو أوجبنا على كل أحد أن يؤهل نفسه للأخذ من الكتاب والسنة وما يجب لذلك لأدى الأمر الى إبطال المعاش والصنائع ، وإن كان تكليفا بما لا يطاق . ولا يمكن أن نطيل في النصوص الآن ، ولا فيما ورد من خطر تكفير المسلم وعدم احترام دمه وماله وعرضه ، وإن كان نقول : إن سنة الله في البشر أن يرجع الناس في كل شيء الى العارفين به المبرزين فيه ، ولو لم يفعلوا ذلك لا اختلت أمورهم وفسد نظامهم ، ولأصبح العالم فوضى ، وإن كان الهلاك أسرع إليه من السلامة .

وانظر لو اجتهد كل إنسان برأيه في الطب أو ذهب المريض الى من لا يحسن علاجه ، فماذا تكون النتيجة . وكيف يكون الحال إذا ألقينا بقيادة الحروب الى الجهال الأغرار أو الجبناء الأنهار ، أو خوّلنا كل أحد حرية الرأي ورسم الخطط في مجادلة الأعداء والذود عن بيضة الإسلام ، أفلا تكون النتيجة خراب البلاد وهلاك العباد : وقل مثل ذلك في التجارة والزراعة وكل حرفة من الحرف وصناعة من الصنائع . وها أنت ذا ترانا إذا أردنا طبيباً لمرض من الأمراض لم يقنعنا أن نذهب الى طبيب عام بل الى الطبيب المختص بذلك الفرع الذي وجه كل عنايته اليه ، علماً منا بسعة العلم وأن الأمور تستتب ، وأن الجهل غريزة في البشر ، والضعف طبيعة في الانسان ، وشعورا بأنه لا يكاد يخاص من ساطان الوهم وظلمات المشكلات والمتشابهات إلا من قتل العلم بحثاً ، وأحاط بمناحي التفكير خبراً ، وعرف ضعف نفسه فلم يسارع الى أول رأى فطير ولا أسبق خيال طائش .

هذا كله مركز في الطباع يعرفه الجاهل والعالم ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة . فليت شعري هل أصبحت الشريعة أهون من ذلك كله مع ما فيها من الأضرار الدقيقة ، والمشكلات الخفية ، والمتعارضات القوية ، والارجحات المختلفة ، والمنسوخات المتروكة ، والمطلقات المقيدة ، والعدومات المخصصة ، والمفاهيم المعطلة ، والجملات التي قد يخفى بيانها ، والظواهر التي لا يراد ظاهرها ، والمجازات التي تدق قرينتها ، والكنايات

التي تخفى إشارتها وتبعد غايتها ، ومواقع الإجماع والاختلاف ، ومباحث القياس المتشعبة ، ومسالك الملل الخفية وقوادحها المترامية ، الى أقوال الصحابة المختلفة وآرائهم المتباينة ، وما يحتاج إليه ذلك كله من دقة الفهم ، وإصابة الرأي ، وأهلية الحكم ، وسعة الاطلاع وطول الباع ، بعد معرفة اللغة العربية وفنونها ، الى آخر ما ذكره الأصويون في مباحثهم الطويلة العريضة ، خصوصاً شروط الاجتهاد المبينة هناك ، حتى قال كثير منهم : إن الاجتهاد لا يتجزأ لجواز أن يكون لبعض الأبواب علاقة بغيره ، الى آخر ما قالوا .

فلا بد إذًا من الرسوخ في جميع الأبواب والإحاطة بمظانها ، وما عسى أن يكون فيها من مقيد ومخصص ومعارض ومرجح ، الى غير ذلك ، وهذا بحر لا ساحل له ، ومهامه فيحاء يضل فيها الخريت ، ولذلك كان كثير من السلف الصالح يتخرجون من الفتيا غاية التخرج ( أجزؤكم على الفتيا أجزؤكم على النار ) . وقد عرض الخليفة المنصور العباسي وحفيده هرون الرشيد على الامام مالك أن يحملا الناس على الموطأ فأبى ، وإذا حالت ذلك الإباء ، وبحثت عن سره وجدته الا خلاص البالغ والدين القيم ، واتهام النفس وعدم تقديسها ، فهو يجوز على نفسه أن يكون مخطئاً وأن يكون الحق مع غيره ، نالياً قوله تعالى : ( وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْءِ ) وقوله عز وجل : ( وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ) ( إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ) .

وإن من أول شروط الاجتهاد عندى نور البصيرة وصفاء الذوق وقوة الاخلاص وشدة الخوف والمراقبة ، واتهام النفس الباعث على شدة التحرى ومزيد الاحتياط ، ولا يكفي في ذلك سعة العلم ولا كثرة الاطلاع ، وكم قد رأينا من كبار الحفاظ من هو أكثر حديثاً من بعض المجتهدين ولكن لم يسمح له دينه أن يدعى الاجتهاد ، علماً منه بأنه لم يخلق له ولا وجد فيه استعداد الذى يعرف به روح الشريعة فى كل شىء ، وذوقها فى أحكامها ومراميتها ، وقد قالوا : إن المحدث كالصيدلى والمجتهد كالطبيب .

ولا بأس أن أفكرك بشيء طريف له مغزى شريف عن بعض هؤلاء المجتهدين  
العصرين ، ثم زردفهم برؤسائهم المتقدمين الذين كانوا من سعة العلم بالذروة العليا ،  
ولكن ليس فيهم أناة الأئمة ولا تحريمهم ولا رزائهم ووقارهم ، بل كانوا أنانيين  
متبجحين ، وقاما يأتي المتبجح بخير أو يهدي الى صواب ؛ وقد قال تعالى : ( وَجَعَلْنَاكُمْ  
أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) أما هؤلاء الطائشون  
فلا يعرفون الصبر ولا الايقان . وعلى الجملة فالأمانة تحتاج الى استعداد خاص  
في طينة النفس وتكوينها (والناس معادن كعادن الذهب والفضة) والنحاس لا يكون  
ذهبا أبدا وإن رافتمك صفرتة وخفيت عنك حقيقة . وقد شط بنا القلم ، فانعد الى  
تلك الفكاهة :

سئل بعض مجتهدى العصر عن قوله تعالى : ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ  
الْخِنْزِيرِ ) هل يبقى التحريم فى لحم الخنزير إذا أوصاناه من النمليان الى درجة تقتل كل  
ما فيه من الديدان التى اكتشفوها الآن ؟ فأجاب مجتهدنا الظريف بأنه لا وجه للتحريم  
حينئذ ويمكننا أن نستنبط ذلك من آخر الآية حيث تقول ( إلا ما ذكيت ) والتذكية  
هى التطهير ، فحيث طهر لحم الخنزير مما فيه ، كان حلالا داخلا فى هذا الاستثناء .

ولم يفرق حضرته بين التذكية بالذال وهى الذبح ، وبين التذكية بالزاي وهى التطهير  
( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ) ولا حقق ما يرجع إليه الاستثناء  
فى الآية ؛ وهذا من البدهيات التى يعرفها صغار الطلبة ، فماذا تقول فى هذا الاجتهاد  
وذلك التجديد العصرى : أليس هذا أشبه شيء بقول من قالت : إن النساء أفضل من  
الرجال بنص القرآن ، ثم استدلت بقوله تعالى : ( أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ) غير  
مفرقة بين همزة الوصل وهمزة الإنكار فظنت أنه إخبار عن فضاهن ؟ ! فلا أكثر الله  
من هؤلاء المجتهدين ولا هؤلاء المجتهدات !

## لون آخر

جاء في تفسير ابن كثير هذا الحديث الذى رواه الحاكم عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيكم يتابعنى على ثلاث ؟ ثم قرأ قوله تعالى : ( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَائِيكُمْ ) الخ الآيات الثلاث ، ثم قال : « فمن وفى فأجره على الله » الحديث . قال الحاكم : صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه ، فعاق عليه ذلك المجتهد بقوله : لـكـنـه غير صحيح المعنى فإن الوصايا خمس لا ثلاث ، ولم يبين حضرته فى الحديث علة تقدح فى صحته غير ما أبداه من فهمه السقيم ، فإنه فهم أن الثلاث هى الوصايا مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد بها الآيات لا الوصايا ، والآيات ثلاث بلا شك ؛ وقد جاء التصريح بذلك فى رواية غير الحاكم ، فقد رواه الترمذى وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبادة بن الصامت ، وفيه : « أيكم يتابعنى على الآيات ؟ ثم تلا ( قل تعالوا ) الى ثلاث آيات » فانظر الى تسرع الشيخ واجتهاده الذى يبنيه دائماً على شفا جرف هار ؛ وكم لهؤلاء من أمثال هذه التعليقات الخفاء ، فرحم الله امرءاً عرف قدره فلم يتعد طوره .

وانترك هذه الطبقة المتفهمة المتشدقة على ما بهم من جهل وسخافة ؛ ولترجع الى من قبلهم من رؤسائهم وأئمتهم انرى إمامهم ابن تيمية الذى قدموه على جميع الأئمة ، وهم فى تلك النزعات الخبيثة على الرغم من دعوى الاجتهاد مقلدون له فانون فى تقليده ، كيف منع من شد الرحال لزيارته صلى الله عليه وسلم وجعل السفر الزيارة سفر معصية لا يصح فيه قصر الصلاة ، خارقاً بذلك إجماع المسلمين ، غير مستحى من سيد المرسلين ؛ ودليله الذى استند إليه واستنبط منه ما لم يستنبطه أحد من الأولين والآخرين هو منعه صلى الله عليه وسلم من شد الرحال إلا لأحد المساجد الثلاثة ، فمنهم من ذلك التهمى أن الرحال لا تشد للزيارة بناء على خيال قام برأسه أن القصر حقيق لا إضافي ؛ ولو كان

كما فهم ذلك المجتهد الكبير لكان شد الرحال لصلة الرحم أو زيارة الإخوان أو التجارة أو غير ذلك محرماً ، فإذا تقف مصالح العالم ، وتتعطل أمور الدين والدنيا !

ولو تبصر قليلاً لعلم ما أراد صلى الله عليه وسلم من أن المساجد متساوية في الفضل فكما سواء إلا هذه المساجد الثلاثة ، وذلك ظاهر لا خفاء فيه ، فإن الأصل أن الشيء يستثنى من جنسه القريب ، فإذا قلنا : ما مات إلا زيد ، كان معناه : ما مات إنسان إلا زيد ، وليس معناه : ما مات حيوان إلا زيد ، ومن فهم ذلك كان من الحيوان لا من الانسان . على أننا لو جعلنا القصر حقيقة ففسدت أمور العالم كما قلنا ، والشرعية إنما جاءت بالصالح لا بالفساد .

ويلتحق بذلك ما رأيناه في فتح الباري من قول ابن تيمية المذكور : إنه لم يجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم في رواية من الروايات التي وردت في تعليم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن ذلك ، مع أن الجمع بينهما وارد في البخاري ، وهو لدى الحفاظ بمنزلة الأجرومية في النحو ، إلى غير ذلك مما هو معروف عنه وهو من كبار (أو كبير) أولئك المجتهدين ، ولو لم يكن له إلا ما هو معروف عنه وعن تلميذه ابن القيم خصوصاً في نونيته من إثبات الجهة لله تعالى أخذاً بالمشابهات واغتراراً بظواهر الآيات لكان كافياً لكل منصف في تقدير ما لهم من علم وعقل <sup>(١)</sup> .

ثم انظر بعد ذلك كله إلى كلام الشوكاني <sup>(٢)</sup> الذي ذكره السائل ، وإلى فهمه الكاسد

(١) ومن الاجتهاد المضحك قول بعضهم إن الامة إذا زنت جلدت مائة إن كانت بكرًا لدخولها في عموم قوله تعالى : ( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) فان تزوجت جلدت خمسين بقوله : ( فاذا أحصين فان أتيت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ) فالمحصنة عنده أقل من غير المحصنة . فانظر إلى هذا الاستنباط العجيب . وأعجب منه ما نقل بعضهم عن ابن حزم من أن الانسان اذا بال في الماء الزاكد نجسه لورود النهي في الحديث عن ذلك ، فان بال في إناء ثم صبه فيه لم يتنجس ، إلى غير ذلك من المضحكات المبكيات من أولئك المجتهدين الذين لا يأخذون إلا من الكتاب والسنة . وما أحسن قول ابن الجوزي في حقهم :

لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من أدركته ماله عقل

(٢) لما تولى الشوكاني القضاء قال بعض علماء اليمن : وأنا لا ندرى أشد أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً . وهناك ما هو أشد من هذا من أقوال العلماء في حقه ، ولا داعي إلى نقلها .

وقياسه الفاسد ، وهو من كبار هؤلاء أيضا ، فإن الأخبار والرهبان كانوا يحللون ويحرمون من عند أنفسهم قائلين : ما حللناه في الأرض فهو محلول في السماء وما ربطناه في الأرض فهو مربوط في السماء ، كما هو معروف عنهم ومسطر في كتبهم المقدسة فضلا عن تاريخ الكنيسة أو التاريخ العام .

وأما أئمة المسلمين فلم يدعوا لأنفسهم ذلك المنصب الذي لا ينبغي أن يكون إلا لله ، وحاشاكم أن تقولوا ذلك أو يصدرُوا عن غير قول المعصوم وسنته التي هم أعرف الناس بها وأحرصهم عليها . وقد صرحوا بذلك فقالوا : إذا خالفنا الحديث الصحيح فاضربوا بقولنا عرض الحائط . فكيف يحل له بعد ذلك أن يقول : إنكم اتبعتم آراءهم ولم تتبعوا الكتاب والسنة ، وكل إنسان يعلم أنهم لم يقولوا من عند أنفسهم ، وإنما يقولون : هذا قول رسول الله وذاك فعله وتلك سنته ، وهم أعرف الناس بذلك وأقدرهم على تعرّف ما جاء فيه ! وقد وثق الناس بهم فلم يهتموهم في دينهم ولا علمهم ولا أمانتهم بعد ما عرفوا أنهم يتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاكم أن يشرعوا من عند أنفسهم وهم خير القرون ، فإن لم يجدوا شيئا في كتاب الله ولا سنة رسوله ، اجتهدوا ما استطاعوا ، وهم أعرف بروح الشريعة ومقاصدها ومناط أحكامها ، ولو لم يفعلوا ما فعلوا لكانت الشريعة الآن لعبة بيد الجبال كما رأيت فيما تلوناه عليك . وبالجملة فهؤلاء الأئمة قد نظروا في الشريعة نظر العالم المدقق والأمين الحذر ، فما وجدوه مجمعا عليه عضوا عليه بالتواجد ، وما كان فيه اختلاف أخذوا منه الأقوى والأرجح ، لكثرة من ذهب إليه أو موافقته لقياس قوى ، أو تخريج صحيح من الكتاب والسنة ؛ وقد كان هذا ميسرا للطراز الأول من المجتهدين حين كان العهد قريبا ، والعلوم غير متشعبة ، ومذاهب الصحابة والتابعين معروفة . على أنه لم يتيسر ذلك أيضا إلا لنفوس قليلة ، ومع ذلك فقد كانوا مقتدين بمشايخهم ، معتمدين عليهم ، ولكن

لكثرة تصرفهم في العلم صاروا مستقلين؛ وكيف يقيس عاقل هؤلاء الأئمة على أولئك الرهبان الذين لم يدعوا لأنفسهم منصب النبوة فحسب، بل تخطوا ذلك الى منصب الإلهية ! فإن النبي لا يقول من عند نفسه، ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) ولذلك قالت الآية : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) كما اتخذوا المسيح ابن مريم، فسوت بينهما، وقالت في آخرها : ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) !

فهل ترانا أشركننا الأئمة بالله تعالى، أم ذلك كلام من يرسل لقامه العنان بما يوجب سيخط الله والملائكة والناس أجمعين ؟ ! وقد استتبع ذلك ما لا يحصى من المفسد التي يرتكبها هؤلاء الجهالة ويتشدق بها أغمار من ينتسبون الى العلم من زعانف القوم وأراذلهم . وقد جرد ذلك الى استباحة الأعراض بل الأموال والدماء، فهي من السيئات الباقيات التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة . فإن تشبهوا بالقياس والاستنباط، قلنا : ذلك لا بد منه على رغم أنوفهم بمقتضى الدلائل العقلية والنقلية، حتى قال بعضهم : إن من لا يقول بالقياس لا يعد من العلماء ولا يعتبر من أهل الإجماع .

وإجمال القول أنهم إذا قالوا إن كل إنسان يأخذ من الكتاب والسنة ولو لم يعرف الفاعل من المفعول فضلا عن دلالة الإيحاء والاقتضاء، ومسالك العلة وقوادحها، ومعرفة المنطوق والمفهوم وما فيه من جدل وكبير عمل، ومعرفة ماصح وما لم يصح، وما يعمل به في فضائل الأعمال، وما يحتج به في الحلال والحرام، وما قيل في المرسل والمسند، الى غير ذلك، فضلا عما قيل في الرجال من تعديل وتجريح، وهو بحر لا ساحل له، وما عسى أن يكون في الحديث من علة خفية، مع معرفة تاريخ الأحاديث لتمييز الناسخ من المنسوخ، ومعرفة المرجحات عند التعارض، ومواقع الاختلاف والاتفاق، حتى لا يجرقوا الإجماع الخ، نقول : إذا أباحوا للناس أن يأخذوا من الكتاب والسنة مع



الجهل بذلك كله ، فقد عرضوا الدين للضياع والشرعية للهزء والسخرية ، وكان ذلك منهم جنونا أو فوق الجنون ؛ وإن قالوا إنه يقلد العالم في ذلك كله ، فتمد هدموا ما بنوا ، وقوضوا ما شيدوا ، فأين يذهبون ! (وهل هذا إلا رجوع للتقليد الذي منعه وتفسير للماء بعد الجهد بالماء) <sup>(١)</sup> !

وبعد فإني أعجب كيف يكفون أرباب الحرف والصنائع وعامة السونة المشتغلين بمعاشهم وعيالهم أن يأخذوا من الكتاب والسنة وليس ذلك في وسعهم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ؟ ! ولا أراني محتاجا بعد ذلك للإفاضة في الدلائل النقية والكلام عليها ، فإن الأمر أوضح من الشمس وأبين من الحس . ولو لا ظهور تلك الطائفة التي اقتدت بأسلافها من الخوارج الذين هم أسرع الى تكفير المسلمين واستباحة دماءهم من الفراش الى النار ، لما تحرك به قلم ولا تفكر فيه أحد .

ولنختم كلمتنا هذه بتلك الحكاية التي تخفف عنك ما لا قيت من تلك الترهات التي يخجل منها العلم ويبكى لها الدين — قال مولانا الشيخ محمد عايش رحمه الله في فتاويه : إن ابن حزم كان له مناظرات مع الباجي وهو من كبار علماء المالكية ، فلقى أخاه ابراهيم بن خلف الباجي يوما فقال له : ما قرأت على أخيك ؟ فقال : قرأت عليه كثيرا ، فقال له : هلا اختصر لك العلم فأقرأك إياه في سنة أو أقل ؟ فقال : أو يصح هذا ؟ فقال : أنا أقرأك العلم في سنة ، فقال : أنا أحب ذلك ، فقال له : أو في شهر ، فقال له : ذلك أشهى الى ، فقال له : أو في جمعة أو دفعة ، فقال : هذا أحب الى من كل شيء ، فقال له : إذا وردت عليك مسألة فاعرضها على الكتاب ، فإن وجدت فيها وإلا فاعرضها على السنة ، فإن وجدت ذلك فيها وإلا فاعرضها على مسائل الإجماع ، فإن وجدت فيها وإلا

(١) وليت شعري ماذا يريدون منا ؟ أيريدون أن نقلدهم فيما يقولون وهم يحررون التقليد أم يريدون أن ينازعونا ونحن مجتهدون كما أنهم مجتهدون ؟ !

فالأصل الإباحة فافعلها . فقال له ابراهيم الباجي : أرشدني الى ما يفتقر الى عمر طويل وعلم جليل ، لأنه يفتقر الى فهم الكتاب ومعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومؤوله وظاهره ، ومنصوصه ، ومطلقه ومقيدته وعمومه وخصوصه ، الى غير ذلك من أحكامه ؛ ويفتقر أيضا الى حفظ الأحاديث ، ومعرفة صحيحها من سقيمها ، ومسندها ، ومرسلها ومعضلها ، وتأويل مشتبهها ، وتاريخ المتقدم والمتأخر منها ، الى غير ذلك ؛ ويفتقر الى معرفة مسائل الإجماع وتتبعها في جميع أقطار الاسلام ، وقل من يحيط بهذا هـ .

وقد قال الامام أبو بكر بن العربي في حق هذه الطائفة في القواصم والمواصم : إنها أمة سخيفة تسورت مرتبة ليست لها ، وتكلمت بكلام لم تفهمه ، تلقفوه من إخوانهم الخوارج حين حكم على رضى الله عنه يوم صفين ، فقالوا : لا حكم إلا لله . وما أدري أيهما أجهل وأخطر : أطائفة الباطنية أم طائفة الظاهرية ؟

هذا وإنى ألفت نظرك الى ما أتى به الخوارج والروافض والمعتزلة والظاهرية والوهابية مما تقشع منه الأبدان وتبرأ منه الأديان بناء على اجتهادهم المبني على الوهم دون الفهم . ولنقهر القلم على ترك الجولان في هذا الميدان ، إشفاقا على القارئ . وربما عدنا اليه مرة أخرى مـ

يوسف الدجوي  
من هيئة كبار العلماء

## النظر في الملح

قال الأصمعي : قالت لأعرابي معه شاة : لمن هذه الشاة ؟ فقال : هي لله عندي .

## تفسیر سورة الضحی

شیء من سیرتہ صلی اللہ علیہ وسلم

---

اقتضت حکمة الباری جل وعلا التفرقة بین الناس، فجعل منهم الطیب والخبیث والصالح والطالح، والرضی و غیر الرضی، والقانع والطامع، والسعید والشقی .

ولکمال حکمته وعلمه لا یصطفی من کل جنس من أجناس المخلوقات إلا أطيبه فیختصه بنفسه یرتضیه دون غیره، لهذا قد اختار رسوله محمدا صلی اللہ علیہ وسلم من أکرم العناصر وأطیبها . اختاره واصطفاه، فنشأ علیه الصلاة والسلام علی مکارم الأخلاق، حلیمًا وقورًا، رؤوفًا رحیمًا، صابرًا، سهل الجانب، لین العریکة، صدیقًا صدوقًا، لیس فی صدره غل، ولا فی نفسه حقد ولا حسد، متواضعًا غاية التواضع لأهل الإیمان، رحیمًا علی المؤمنین، شدیدًا علی الکافرين، عفاً سمحاً شجاعاً، بعیداً عن الریب والظنون، لم یعهد علیه شیء من أوصاف الجاهلیة، بعیداً عن النجس فی المقال والبذاءة فی اللسان، بریئاً من الکذب والنمیة والغش . ولا غرو فی ذلك فإن الله سبحانه وتعالی — وقد علم أن سیکون صفیه وخاتم أنبیائه وأکرمهم عنده — قد کلاه بعین عنايته وشمله برعايته . اختاره الله من بین خلقه، فجعله لسانه الهادی الی طریق الرشاد، ورسوله الداعی الی محبة الله، وحبیبه الذی یطلب الی عباده القرب الی الله .

اختاره جل شأنه من خیر أهل الأرض نسباً، فنسبه أشرف وأعلى من کل نسب، شهد بذلك أعداؤه، شهدوا بأن أشرف القوم قومہ، وأشرف القبائل قبیلته، وأعلى

الأَنساب نسبته ، فهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان أبوه عبد الله ابن عبد المطلب أَحَبُّ أَبناء عبد المطلب إليه . نشأَ في مكة حيث العزة والكرامة والأخلاق الكريمة والشَّمايل الطيبة . خرج به أبوه حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وهو يومئذ سيد بني زهرة شرفا ونسبا ، فزوَّجه ابنته آمنه وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وحسبا ، فلما بنى بها عبد الله حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن المنية عاجت عبد الله فلم تسكتحل عينه برؤية سيد الخلق فمات والرسول لا يزال جنينا في بطن أمه .

فولد صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه بشهور لا تثقَى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل على المشهور . ولد يتيما فلاحظته العناية خبيبته الى جده عبد المطلب فصار شغله الشاغل وموضع عنايته ، لاسيما وقد عرفت أنه ابن أَحَبِّ أَبناءه إليه وآثرهم عنده ، فكيفله جده عبد المطلب ، وأرضعته امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب ، إذ كانت عادة أعيان أهل مكة التماس المرضعات لأبنائهم ، وكانت نساء الأحياء الأخرى من العرب الفقراء من يحضرن الى مكة حينما بعد حين التماسا للرضعاء نظير لما يرزقنه به من مال تجود به أيدي الآباء بين حين وآخر ، نظير رعاية أولادهم فكان يطمعن في المليء ويرغب في ذى الجاه والثروة ، ليضمن معاشا رغدا وكسبا وافرا ، فلما أن جئن عقب ولادته صلى الله عليه وسلم أبينه — غير أن رعاية الله التي لاحظته لم تنفك ترعاه ، فكان أن ذلل الله نفس حليلة وأخضعها حيث أراد لها السعادة ، فأرضاها أن تأخذ رسوله بعد أن أبته وأباه المرضعات ، فلما أخذته عوضها الله عن قليل كانت تنتظره بكثير أفاءه عليها ، وبدلها برضا الخلق رضاه سبحانه جل شأنه فحسن حالها ، ويسرت معيشتها ، ودرلبنها ، وكثر كسبها ، بفضل الله وبركة الرسول ، قالت حليلة تخبر خبرها وتحدث بما أصابها من خير بعد أن قبات محمداً عليه الصلاة والسلام

وضمته إليها: « خرجت أنا ونسوة من بنى سعد ومعى زوجى وابن لى صغير نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء لم تبق شيئا ، فخرجت على أنان لى قراء<sup>(١)</sup> ومعنا شارف<sup>(٢)</sup> لنا والله ما تبض<sup>(٣)</sup> بقطرة ولا ننام ليلنا من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ، ما فى ثدى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغذيه ، ولسكنا كننا نرجو الغيث والفرج ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فاما امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، كذلك أنا ، إنما نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكسنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده ، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى ، فاما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلا آخذنه ، قال : فلا عليك أن تفعل عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت : فذهبت اليه فأخذته وما حماني على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ، فلما أخذته رجعت به الى رحلى ، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما وما كننا ننام معه قبل ذلك . ثم استطردت تقص ما جلب الله عليها رضى الله عنها من خير وبركة بفضلته صلى الله عليه وسلم .

وما زالت حليلة ترضعه صلى الله عليه وسلم وتحبوه بعنايتها ، وما زال الله تعالى يسكرم حليلة ويوفقها ، حتى أتم نعمته عليها ، فكتب لها الاسلام ، فأسمت هي وزوجها فكانا من الناجين المخلصين .

درج محمد صلى الله عليه وسلم فى أحضان أمه وجده وهما لا يألوان جهدا فى الحرص عليه — غير أنه ما كاد يحس عطف أمه وحدها عليه حتى كان ما أراد الله ففقد أمه ولما يبلغ السادسة ، خباه الله عوضا عن ذلك زيادة حب جده له وعطفه عليه ، غير أنه لحكمة أرادها الله قضى جده وقد أوصى به عمه أبا طالب ، فحذا هذا فى تكفله حذو أبيه ولم يغير من أمره شيئا ، بل زاد عطفه عليه ومناصرتة له . وكلنا يعلم ما كان

(١) يبضاء . (٢) الشارف : الناقة التى قد أسنت . (٣) أى ما يدر لبنها .

من أمر أبي طالب في عنايته برسول الله وتحمله الشدائد والأذى من قريش ، حتى لقد آلى أن قريشا لن يصلوا الى محمد بأذى حتى يوسد في التراب دفينا .

نما الرسول إذن بين يدي حليلة ، ثم يدي أمه الشريفة الطاهرة ، وكفالة جده عبد المطلب ، وعناية عمه أبي طالب ، فلم يشعر باليتم ولا أحس تغيرا في الحياة ، بل كان ينعم بها ككل أبناء قريش : له مالهم ، وقد كان محبا في قومه يحرص كلهم على إرضائه ويسعون الى التبرك به ، وكان موضع الرعاية من أهل عشيرته وأقربائه ، تحوطه العناية الربانية ، وتحفظه ، وتوجهه الى الخير دائما ، حتى عرف بين قومه بالأمين ، لأنه امتاز عن بقية الفتيان . فيه دعة لم تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة في الحق ، وله من المزايا ما جعله نصيرا للضعفاء حكما بين الخصوم ، لم يصدر في أعماله عن هوى ، بل كان يصدر في أعماله عن قوة خفية تسيطر عليه وتهديه أبداً الى الخير ، فكان خلقه من صغره خالق الدين لم يتدنس بدنس الجاهلية قط ، حتى لقد حكى أبو طالب ما كان من عناية به ، وما رآه منه ، قال لأخيه العباس فيما قال : « لقد كنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني ، وذلك عند مضي بعض الليل ، وكنا لا نسمى على الطعام والشراب ولا نحمد بعده ، وكان يقول في أول الطعام : باسم الله الأحد ، ويقول في آخره : الحمد لله ، فتعجبت منه ، ثم لم أرمه كذبة ولا ضحكة ولا جاهلية ، ولا رأيت له وقف مع صبيان يلعبون » .

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، قلت ليلة لغلाम من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو حفظت لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشبان ! فخرجت أريد ذلك حتى أتيت أول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير ، فقالوا : فلان بن فلان يزوج بفلانة فجلست أنظر إليهم ، وضرب الله على أذني فسمت ما أيقظني إلا مس الشمس ، قال : فجئت صاحبي فقال : ما فعلت ؟

فقلت : ما صنعت شيئا ، ثم أخبرته الخبر ، ثم قال : قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مس الشمس .

ولقد وفق الله نبيه الى طرق الكسب فسافر في التجارة واتجر بال خديجة رضى الله عنها ؛ وكان من شأنه في التجارة أنه ما اتجر إلا ربح ؛ ولقد تضاعف مال خديجة ببركة تجارته ؛ ولما علمت من شأنه صلى الله عليه وسلم ما أخبرها به ميسرة غلامها ممرآة في خلقه وفي عناية الله به صلى الله عليه وسلم ، وكانت سيدة حازمة شريفة ، رغبت في الزواج به وتم لها ما أرادت لسبق سعادتها في الأزل ، فكان زواجها به من فضل الله عايتها ، فكانت رضى الله عنها أول من أسلم من النساء : آمنت بالله وبالرسول ، وصدقت ماجاء به ، خفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إنه ما كان يسمع شيئا يكرهه من المعاندین المكذبين فيحزنه إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تخفف عنه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس .

ولقد ساعدته بماله في كل ما يطلب ، حتى إنه دخل مرة عايتها مغموما لخط الزمان وأخبرها أنه إن بذل المال ينفد ماله فيستحي منها ، فعدت قريشا ومنهم الصديق فوهبته أمامهم كل ماله ؛ شهادة أن هذا المال ماله إن شاء فرقه وإن شاء أمسكه . وما زال عليه الصلاة والسلام بين قومه تحفه المهابة والوقار ، معروفًا كما قدمنا بالأمانة والصدق ، حتى بعثه الله رسولاً إلى الناس كافة ، فقام بأمر الدعوة ودعا قومه وعشيرته الأقربين ، وصدع بالدعوة بعد ذلك حيث أمر بذلك ( فَأُصْذِعَ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) .

وأوحى الله اليه ما أوحى من تعليم وإرشاد ، حتى غضب قومه وتألبوا عليه وألبوا باقي القبائل عليه أيضا ، كل ذلك وهو لا يفتر لحظة عن الدعوة الى الله بكل ما يملك من قوة ؛ وكان الوحي يتتابع عليه بالأوامر ، ثم فتر الوحي عنه مدة قصيرة حتى شق الأمر عليه وحزن من أجله ؛ وكان ذلك بعد أن نزلت سورة « تبت يدا أبي لهب »

وبعد أن ذهبت امرأة أبي لهب تسأل الرسول علام تهجونى فقال : إني والله ما هجوتك ما هجأك إلا الله تعالى . ثم انطلقت فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتيه الوحي فرجعت إليه شامته قائلة : ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك ؛ وشمتم المشركون وقالوا مثل ذلك القول ، فكان ذلك سببا في نزول سورة ( والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ) .

### تفسير هذه السورة

أقسم سبحانه وتعالى بالضحى والليل إذا سجى أنه ما ودعه وما قلاه : ما تركه وما أبغضه ، وما كان ذلك ليكون ممكنا بعد أن أكرمه بما أكرمه به ووعدته الحسنى وزيادة ، وبعد أن أخبره أنه خاتم المرسلين ، وأن كلمته ستكون هى العليا وكلمة أعدائه السفلى ، فرد بذلك على المشركين زعمهم ، وأنسه صلى الله عليه وسلم ، وأزال الوحشة عنه حيث نفى ما زعموه على أبلغ وجه ، فكأنه يقول له عليه الصلاة والسلام : إن أى نوع يخل بمقامك الجليل لم يوجد ولم يكن فضلا عما زعموه من الترك . وفى التعبير بعنوان الربوبية وإضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم من كمال اللطف ما لا يخفى ، بما يتضمن من النكير على هؤلاء ، فكأنه يقول : كيف يتركك المتكفل بمصالحتك والمبلغ لك كما لك اللائق بك ، وكيف يبغضك من أنت حبيبه وصفيه وخائيله ؟ إنه لم يتركك ولم يبغضك ، بل أعطاك وسيعطيك من أنواع الكمالات وعليا الدرجات ما ليس فى حسابان أحد من هؤلاء .

والضحى : معروف ، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها . والليل : معروف ، وسجود : سكون أهله . وذلك يكون غالبا فيما بين طرفيه أو بعد مضي برهة من أوله . وتخصيص الضحى بالإقسام به لأنه شباب النهار . والجواب قوله تعالى : ( مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ) أى ما تركك ربك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك .



والمراد المبالغة في نفي الترك كما شرحنا ، فهو نظير قوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

قال تعالى : (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) أى الذى أعطاك ربك فى الآخرة خير لك وأعظم مما أعطاك فى الدنيا ، لأن ما أعطاك فى الدنيا من أنك سيد ولد آدم ، وأنك خاتم الأنبياء والمرسلين باق لك فى الآخرة بزد عليه السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله ، وشهادة أمتك على سائر الأمم ، ورفع درجات المؤمنين ، وإعلاء مرتبتهم ، وغير ذلك من الكرامات السنية ، فكان ما فى الآخرة خيرا لك مما فى الأولى لهذا ، ولأن ما فى الدنيا مشوب بالمضار ، وما أوتى عليه الصلاة والسلام فى الآخرة صاف عن الشوائب ؛ وما أعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآخرة خير مما أعد لجميع الفائزين . ويكفى لذلك اختصاص المقام المحمود به صلى الله عليه وسلم ، لهذا كانت الآخرة خيرا له من الأولى على الإطلاق . وحمل بعضهم الآخرة على نهاية أمره صلى الله عليه وسلم ، والأولى على بدايته . والمعنى عليه أن نهاية أمرك خير من بدايته ، لأنك ستزداد قوة وتمتصاعد رفعة — غير أن حمل الآخرة على الدار الآخرة المتعاقبة للدنيا هو الظاهر ، والأنسب لمقام الامتنان .

والخلاصة أن معنى الآية أن الذى أعطاك ربك فى الآخرة خير لك وأعظم من الذى أعطاك فى الدنيا . ووجه ارتباط قوله تعالى : « وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى » بقوله : « ما ودعك ربك وما قلى » أن نفي التوديع والفلى يتضمن أن الله مواصلة بالوحي ، وأنه حبيب الله . ولما كان ذلك من أعظم الكرامات على الله ، بل قد لا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجمل منه ، أخبره جل شأنه أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك وأجمل . (وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) عدة شاملة منه جل وعلا لما أعطاك فى الدنيا : من الفلاح ، وانتشار الدعوة ، ودخول الناس فى الدين أفواجا ، والظفر بالأعداء ،

وما فتح على خلائئه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن . عدة شاملة لذلك ولما ادخره الله له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا هو . قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن العطية في قوله تعالى : « ولسوف يعطيك » هي الشفاعة حتى يرضى .

فدلت الآية على خيرى الدنيا والآخرة معا ، فقد أعطاه الله في الدنيا النصر والظفر ، وأعلى دينه ، وجعل أمته خير الأمم ، وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة وهي مزايا لم تعط لغيره ولم يظفر بها أحد سواه ، صلى الله عليه وسلم .

بعد أن أدخل جل شأنه الطمانينة على رسول الله ، لأنه لم يتركه ولم يبغضه ، وأنه أعد له في الدنيا والآخرة ما لم يعد لغيره ، وأنه سيعطيه فيرضى ، أخذ يعدد ما أفاض الله عليه في أول أمره من النعم العظام ، ليكون الحاضر شاهدا على المترقب للموعود ، فيزداد قلبه الشريف اطمئنانا وترداد نفسه سرورا وانشراحا ، فقال : ( أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ) أى ألم يعلمك طفلا لا أب لك فضمك الى من قام بأمرك وعنى بشأنك أتم العناية ، وهم جدك والدتك وعمك وحليمة السعدية مرضعتك التى رزقها بصحبتك الخير والبركة ، حتى أحبتك واهتمت بكل الاهتمام بشأنك . وفيما قدمناه لك من عناية هؤلاء وكفالتهم له وذودهم عنه وقيامهم بشئونه وتحمل بعضهم الأذى في سبيله ما يشرح لك هذه الآية ويوضحها .

( وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ) : جملة معطوفة على ما قبلها ، أى أما وجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ؟

والعنى أن الله سبحانه وتعالى علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من شأنه مع قومه أنه كلما دعاهم الى الدخول فى الدين وبين لهم الرشده من الغى وطالب إليهم البعد عما هم عاكفون عليه من الآراء السخيفة وعبادتهم لغير الله ، أبوا وصموا آذانهم عن سماع الحق ، وأعرضوا عن الإصغاء إليه ، واستحبوا العمى ، ورضوا بالضلال والكفر

عنادا واستكبارا، وغلوا في ذلك غلوا كبيرا، ولم يقفوا عند حد الإعراض، بل كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويؤذون من آمن به. كل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يترك دعوتهم، ويصبر على أذاهم، داعيا لهم في كل حال بالتوفيق، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، لفرط حبه لهداية الناس، وأنه قد بلغ من أمره أنه حزن لإعراضهم حزنا كاد يذهب بنفسه (فَاعْلَمْ أَنَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ يَتَّخِذُ الْوَسِيلَةَ أَمَّا لَكَ فَارْحَمْنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُ) (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) علم أن النبي هاله إعراض قومه عن نور الهداية حتى أملت الحيرة بقلبه كيف يتخذ الطريق إلى إخراج هؤلاء من الظلمات إلى النور، علم الله ذلك فهداه إلى الصراط السوي في الدعوة وأرشده إلى أحسن المناهج فيها، وعلمه ما لم تصل إليه العقول من الشرائع وعلمه ما لم يكن يعلم، وطلب إليه ألا تذهب نفسه عليهم حسرات، وأنه يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأبان له أن من القوم قوما لا ينفع فيهم الإيذار (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وبشره في الوقت نفسه بأن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وأن نصر الله لا بد مؤاتيه، وأن الناس تدخل في دينه أفواجا. ولقد وقع ما أراده الله من تلك النعم العالية، فصدق وعده، ونصر عبده، وهداه وامتن عليه فقال: «ووجدك ضالا فهدى».

هذا هو الظاهر من الآية، وهو الأنسب لمقام الامتنان على مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمّا أنه صلى الله عليه وسلم ضلت ناقته عن الطريق وهو مسافر إلى الشام، أو غاب عن جده عبد المطلب وهو صغير، أو حصل له ذلك وهو لدى السيدة خديجة بعد فطامه، فلا يناسب مناسبة تامة مقام المنّة على خاتم الأنبياء وصفوة الخلق وأكملهم عنده تعالى.

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) - العائل : الفقير . أى علمك فقيرا محتاجا اليه فأغناك به عن كل ما سواه ، ففقتعت نفسك فلم تمد عينك الى عرض الدنيا الزائل ولا الى حطامها الناني . أغناك ربك فلم تأبه لزينة الدنيا ، أغناك فيسر لك المال بما أعطاك من مال خديجة زوجك ومال أبى بكر صديقك ، فلم يجد المال الى نفسك سبيلا ، بل كنت تعين الكل ، وتوثى المحروم ، وتدخل اليسار على المعسر ، وتؤثر الفقير على نفسك ، لم تر للمال قيمة إلا أنه وديمة عندك تصرفها في مصارفها مما يعود بالنفع على غيرك من أمتك . أغناك الله عن كل من سواه حيث وجدك عائلا محتاجا الى الجاه والجند والأعوان ، فيسر لك أصحابا يؤثرونك على أنفسهم ، ويسترحضون كل عزيز لديهم في سبيل مرضاتك ، وينصرونك ويؤيدونك ، فجعل لك منهم جندا وأعوانا ناصروك وقتلوا معك ، وجعل جاهك أعظم جاه ، وأيدك بالنصر وألقى الرعب فى قلوب أعدائك ، وجعلك مهيب الجانب ، فكان الذى يلقاك فردا يفرق ويخاف من هيبتك التى جلاك الله بها .

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يرعى النعمة ويقدرها ويشكر عليها ، وكان من شكر النعمة أن يعامل الشخص غيره المعاملة التى تلائم مزيد النعم وتستوجب زيادة الفضل ، أرشده سبحانه وتعالى (الخطاب له ولأئمة) الى أن رعاية الناس بلين ورفق من مظاهر الشكر . ولما كان أولى الناس بالرعاية وأحقهم بحسن المعاملة اليتيم ، لأنه عديم الأهلية فاقد القدرة ، يطمع فى ماله الأقوياء ، وكان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك بما كان يتما ، ورأى من صنيع الناس باليتامى ما رآه فى صغره ، ورأى ما كان من حذب عمه عليه ونصرته إياه ما لولاه لكان للأقوياء شأن عليه ، حضه الله جل شأنه على مواساة اليتيم وعدم قهره وحفظ ماله ، فقال تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ » ومثل اليتيم كل شخص عدم الأهلية ، وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه أظهر فى ذلك من غيره .

ولما كان العلم هو الخير كله ، إذ لا منقبة إلا وهو الدليل عليها ، ولا مفخرة إلا هو سندها ، ولا حسنة إلا هو مفتاحها ، ولولاه ما تميز الانسان على الحيوان ، ولا وجد الناس طريقا الى الفضل وسبيلا الى المجد ، بل ولا الى الكسب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك ، أوصاه الله تعالى بطالب العلم خيرا ، فقال عز من قائل : «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» أى وأما من طلب إليك أن يعلم فأفده ولا تنهره ، لأن ذاك هو عماد الدعوة وأساس الهداية ، إذ من علم فقد رشد ، ومن جهل فقد هلك ؛ وازيد العناية بهذا ورد الوعيد فيمن علم علما وكتمه . هذا هو الظاهر من معنى الآية ، وإن صح حمل الآية على أن المراد بالسائل طالب المال ، إلا أن ما قدمناه يجعل حماها على طالب العلم أظهر .

على أنه يصح التعميم فى الأمرين ، أى لا تنهر طالب العلم ولا طالب المال ، وذلك إرشاد منه تعالى له ولائمه .

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) : لأن فى الحديث عن النعمة شكرا لها . وقد روى مرفوعا : من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ومن كتّمه فقد كفره ، ومن تحمل بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور . وقد استحب السلف الصالح التحدث بما يعمله الانسان من الخير إذا لم يرد به الرياء والافتخار ليقتردى الناس به فى ذلك . والمراد بالنعمة ما أفاضه الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم من صنوف النعم التى من جملتها ما تقدم .

وخلاصة القول أن الله أرشد نبيه بما معناه أنك كنت يتما وضالا وعائلا فأواك وهداك وأغنأك ، فهما يسكن من شئ فالواجب ذكر هذه النعم والافتداء بالله تعالى بالعطف على اليتيم ورحمة السائل . والله أعلم

طه حبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا

# الفتاوى والأحكام

## صلاة العيد

ورد من حضرة بسيوني بيوى أبو طالب ما يأتى :

صلاة العيد هل تصح فى المسجد أم خارجه بجانبه أو فى الصحراء بعيدا  
عن المسجد ؟

وورد نفس هذا السؤال من حضرة سكرتير لجنة جامع كولمبو الأعظم على  
الوجه الآتى :

هل يصح للمؤمن أن يصلى صلاة العيد فى تكايا وزوايا صغيرة على مقربة من  
المسجد الجامع تبعد عنه حوالى مائتى ( ياردة ) مع أن هذا كما ترون يقلل كثيرا من عدد  
الحاضرين المسجد الجامع ؟ وإنى أكون مسرورا إذا تفضلتم علىّ بفتوى عما إذا كان  
ذلك مسموحا للحنفية والشافعية .

## الجواب

تجب صلاة العيد على من تجب عليه صلاة الجمعة بشرائطها سوى الخطبة ، فإنها  
سنة بعد صلاة العيد . وقد نص الفقهاء على أنه يندب المصلى الاستياك والغتسال  
والتطيب ولبس أحسن الثياب ، ثم يخرج ماشيا الى الجبانة ، وهى المصلى العام ، والخروج

الى الجبابة لصلاة العيد سنة ، وإن وسعهم المسجد الجامع . وكان صلى الله عليه وسلم يصلى العيدين فى المصلى ، وهو الذى على باب المدينة الشرقى ، ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة واحدة أصابهم مطر فصلى بهم العيد فى المسجد . وكان من هديه الصلاة قبل الخطبة . وكان إذا انتهى الى المصلى أخذ فى الصلاة بغير أذان ولا إقامة ، ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون شيئاً قبل صلاة العيد ولا بعدها . من هذا يتبين أن السنة فى صلاة العيد أن تكون فى الصحراء اقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا صليت فى المسجد كانت صحيحة . وبما أن صلاة العيد واجبة عند الحنفية على من تجب عليه الجمعة بشرائطها فلا يصح عندهم صلاتها منفرداً ، سواء أكان ذلك فى البيت أم فى المسجد . أما صلاتها بجماعة فى زاوية صغيرة أو فى تكية فلا مانع منه متى تحققت شروط الجمعة . ولا شك فى أن الأفضل فى صلاتها هو الائتيان بها على الوجه الذى كان يفعله الرسول عليه السلام ، كما أنه لا شك فى أن صلاتها فى المسجد الجامع خير من صلاتها فى غيره ، خصوصاً لمن كان قريباً منه . هذا فى مذهب الحنفية .

أما السادة الشافعية فعندهم صلاة العيدين سنة ، ويسن فيها الجماعة وخطبتان بعدها . والأفضل أن تصلى فى المسجد لأنه أشرف وأنظف ، إلا إذا ضاق فالأفضل أن يصلى بهم فى الصحراء ، ويستخلف من يصلى بالضعفاء فى المسجد .

وقيل الأفضل صلاتها فى الصحراء وإن اتسع المسجد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم واظب على صلاتها فى الصحراء . وأجاب أصحاب الوجه الأول بأن ذلك كان لضيق المسجد بالمدينة . وكل هذا فى الأفضل ، وإلا فهم تصح فى المسجد وفى البيت وفى غيرها جماعة وفردى .

## أحكام الجنائز

وورد أيضاً من حضرة بسيونى يومى أبو طالب ما يأتى :

هل تصح صلاة الجنائز في الصحن أم في المسجد أم أمام المسجد أم في المقبرة ؟ وما حكم الذكر أمام الجنائز ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقراءة البردة والأحزاب ؟ — وسأل أيضا عن حكم الصلاة على النبي بعد الأذان ، وحكم قراءة سورة الكهف في المسجد قبل صلاة الجمعة .

## الجواب

الصلاة على الميت فرض كفاية ، وهي أربع تكبيرات كل تكبيرة منها قائمة مقام ركعة . ومن السنة الدعاء فيها بعد التكبيرة الثالثة بأمور الآخرة ، والدعاء بالمأثور أولى نحو : اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا ، ونحو : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله . إلى آخر ما هو معلوم من هذا ، ويسلم بعد الرابعة تسليمتين ، ولا قراءة ولا تشهد فيها ، ولا يستغفر فيها لصبي ولا لمن بلغ مجنونا أو معتوها لعدم تكليفهم . وتكره صلاتها في المسجد ، سواء أكان الميت داخل المسجد أم خارجه على ما هو ظاهر الرواية . وفي رواية لا تكره صلاتها في المسجد إذا كان الميت خارج المسجد . والختار الكراهة مطلقا ، وحق السجالات أنها كراهة تنزيه . وخالفه بعض تلاميذه ، ورجح القول بكراهة التحريم لإطلاق المنع في قول محمد في موطنه : لا يصلى على جنازة في مسجد . وكان هديه صلى الله عليه وسلم الصلاة على الجنائز واتباعها ودفنها . وكان يحمد الله ويسأل المغفرة للميت والرحمة له ، وكذلك أصحابه . وكان يصلى عليه خارج المسجد . ولم يكن من هديه الراتب الصلاة عليه في المسجد ، غير أنه صلى أحيانا على الميت في المسجد ، ولكن لم يكن ذلك عادة . وعليه فالصلاة على الميت تكون خارج المسجد ، سواء في ذلك المقبرة وغيرها ، وتصح في المسجد .

أما الذكر أمام الجنائز ورفع الصوت بالقراءة أو بإنشاد بعض الشعر وما مائل ذلك ، فقد سبق أن كتبت عنه المجلة في العدد السابع من السنة الثالثة ، فليراجع .



وكذلك كتبت عن حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ، وكتبت عن حكم قراءة سورة الكهف في العدد الثاني من السنة الرابعة .

## صلاة الجمعة في القرى

وورد من حضرة أحمد افندى فرج ناظر مدرسة دماط الإلزامية ما يأتى :

كثير من الناس يترك صلاة الجمعة في القرى معتمدين على أن صلاتها على مذهب الحنفية أن تكون في مصر، وأن المصر ما كان له حاكم وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود، فهل العدة ومأذون الشرع الشريف يقومان مقامهما أم لا ؟ ... وإذا كان الجواب بالإيجاب ووجوبها على أهل القرى ، فهل تغنى عن الظهر مع تعدد المساجد ؟

## الجواب

من شروط صحة الجمعة عند الحنفية المصر ، وهو ما لا يسع أكبر مساجده أهله المكلفين بها ، وعليه فتوى أكثر الفقهاء . وبناء على ذلك تكون الجمعة واجبة على أهل القرى إذا كان مسجد القرية الكبير لا يسع أكثر المكلفين بها . أما تفسير المصر بأنه كل موضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ، فهو رأى آخر لأبى يوسف رحمه الله ، وليس مفتى به ، وبالتطبيق عليه لا تجب الجمعة على أهل القرى .

ومن الواضح أن العدة والمأذون لا يقومان مقام الأمير والقاضى ، لأن اختصاص العدة لا يشمل إقامة الحدود والفصل فى الخصومات ، كما أن اختصاص المأذون لا يتجاوز التوثيق فى عقود الزواج وما يقع من طلاق . على أنك قد علمت أن المفتى به هو تفسير المصر بأنه ما لا يسع أكبر مساجده أهله المكلفين بها ، ولا يصح الجرى على غير المفتى به . ومتى صحت الجمعة أغنت عن الظهر عند الحنفية . والله أعلم .

## القرآن لفظا ومعنى

وورد من حضرة محمد جودت بدر حباتر ما يأتى :

هل نزل القرآن الكريم بالمعنى وعبر عنه باللفظ فقط ، أم نزل باللفظ فقط ، مع أن كلام الله ليس بصوت ؟ وما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسى ؟

### الجواب

القرآن هو اللفظ العربى المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المتواتر ، فالمنزل هو اللفظ المقروء . أما الحديث القدسى فهو ما أسنده النبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ، ولا يلزم أن يكون متواترا ولا هو متعبد بتلاوته ولا متحدى به . أما كلام الله الذى هو صفة له عز وجل منافية للسكوت والآفة ، فليس من جنس الحروف والأصوات ، ولا يختلف الى الأمر والنهى والإخبار ، ولا يتصف بالماضى والحال والاستقبال إلا بحسب التعلقات والإضافات .

وجملة القول أن المنزل والمقروء ليس هو الصفة القديمة كما هو ظاهر . والله أعلم .

طه هبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا

## حكم صلاة الظهر بعد الجمعة

ورد على إدارة المجلة عدة أسئلة تتعلق بهذا الموضوع ، فجوابا عليها نقول :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قد فرض الله على عباده خمس صلوات في اليوم والليلة ، وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، وفرض يوم الجمعة هو صلاة الجمعة متى استوفت شروطها ، فإن لم تستوف شروطها فالفرض الظهر كباقي الأيام ، لا يخالف في ذلك أحد .

وقد اشترط الشافعي لصحتها ألا يسبقها ولا يقارنها جمعة في مكانها ، أى في البلد الذى أقيمت فيه . هكذا نص الشافعي ، وعلمه الأصحاب بأنه صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لم يقيموا في البلد الواحد إلا جمعة واحدة ، ولأن المقصود من الجمعة إظهار شعار الاجتماع ، واتفاق الكلمة ، وكونها جمعة واحدة أفضى الى هذا المقصود .

وقد دخل الشافعي بغداد وفيها يقام جعتان ، وقيل ثلاث ، فلم ينكر على أهلها ، فاختلف الأصحاب في الجمع بين نصه على عدم جواز التعدد وسكوته عن إنكار التعدد : فمنهم من قال : إن التعدد في بغداد كان لحاجة ، ونصه محمول على ما إذا لم يكن هناك حاجة للتعدد ولم يعسر الاجتماع . وعليه أكثر الأصحاب ، بل قال الروائي : إن مذهب الشافعي لا يحتمل إلا هذا . ومنهم من قال : بل كانت بغداد يشقها نهر الى قسمين ، وفي كل قسم جمعة ، والتعدد حينئذ يجوز . وقال بعضهم : كانت قرى منفصلة ثم تلاصقت ، والتعدد

يجوز في هذه الحال . ومنهم من قال : إن مذهب الشافعي هو ما نص عليه من عدم جواز التعدد مطلقا ، وأما سكوته عن الإنكار على أهل بغداد فلأن المسألة اجتهادية ، وليس للمجتهد أن ينكر على مجتهد في ذلك . وإذا جرينا على ما عليه الأكثر من جواز التعدد لحاجة ، فلا حاجة صور ، منها أن يكثُر أهل المصر بحيث لا يسعهم مكان واحد ، مسجدا كان أو غيره ، وأن تبعد أطرافه بحيث يشق السعي منها إلى مكان واحد ، وأن يوجد بين أهله خصومات تؤدي إلى فتن لو اجتمعوا في مكان واحد ، وأمثال ذلك .

وعلى هذا فإذا لم تتعدد الجمعة أو تعددت وعلم السابق لا يجوز إعادة الجمعة ولا الظهر ، أما عدم إعادة الجمعة فليسبق جمعة صحيحة لها ، وأما عدم جواز إعادة الظهر فلأن فرض اليوم هو الجمعة لا الظهر ، وهذا بالنسبة لأهل الجمعة السابقة ، أما أهل الجمعة المسبوقه ، فإن قلنا بعدم جواز التعدد مطلقا فعليهم إعادة الظهر ، وإن قلنا بجوازه لحاجة ، وكان هذا التعدد لحاجة ، فيسن لهم إعادة الظهر ، خروجاً من خلاف من يمنع التعدد مطلقا ، وإن كان هذا التعدد بلا حاجة فعليهم إعادة الظهر حتما ، لأن جمعهم لم تستوف شرط صحتها وهو عدم سبق جمعة صحيحة لها ، فإن اقترنا وجب عليهم جميعا إعادة الجمعة ، لأنه لم يسبق جمعة صحيحة وهم من أهلها ، فإن شك في السابق والمقارنة أو علم السابق ولم يعلم السابق ، وجب عليهم جميعا إعادة الظهر ، أما في حالة الشك فلا احتياط للخروج من عهدة التكليف بيقين كما شغلت الذمة بفرض الجمعة بيقين ، فانه يحتمل المقارنة فتكون جمعهم كلهم باطلة ، ويحتمل السابق ، وكل من الطرفين يجوز أن يكون هو المسبوق ، وأما في حالة ما إذا علم سبق ولم يعلم من السابق ، فلأن كلا منهما يحتمل أن يكون هو المسبوق ، فيكون الفرض لا يزال في ذمته .

وعلى ذلك تكون الخلاصة أنه إذا لم تتعدد الجمعة لا يجوز إعادتها جمعة ولا ظهرا ، وإذا تعددت لغير حاجة ، فإن سبقت إحداها وعلمت فهي المعتد بها ، وعلى الآخرين إعادة الظهر ، وإن قارنت وجب على الجميع إعادة الجمعة لبطلان الجمعيتين بالمقارنة ،

وإن سبقت إحداها بيقين ولكن لم تعلم السابقة ، وجب على الجميع إعادة الظهر ، وإن شك في السبق والمقارنة وجب على الجميع إعادة الظهر .

وبهذا يتبين جهل من يرى الشافعية بأنه يلزم مذهبهم أن تكون فرائض الصلاة ستاً في أحد الأيام وقد جعلها الله خمساً ، فهذا كلام لا يصدر إلا عن مسرف في المجازفة والافتيات على أئمة الدين بدون أن يتفهم كلامهم ويعرف مستندهم ، فقد رأيت مما تقدم أنهم استندوا في وجوب أن تكون جمعة البلد الواحدة واحدة الى ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده من أنهم لم يقيموا في البلد الواحد إلا جمعة واحدة . والحكمة في ذلك واضحة ، وهي أن المقصود من الجمعة إظهار شعار الاجتماع واتفاق الحكمة ، ولا شك أن تعدد الجمعة في البلد الواحد لا يفضي الى هذا المقصود إفضاء وحدتها ، فمن الذى ينكر ما في اجتماع أهل البلد الواحد كل أسبوع مرة في مكان واحد : يتعارفون ، ويتوادون ، ويتعهد بعضهم بعضاً ، ويجددون رابطتهم ، من الفائدة العظمى التى لا يزال الدين يرى الى أمثالها .

وإذ قد ثبت عند الشافعى أن وحدتها شرط لصحتها بالدليل النقلى المسند بالنظر العقلى ، فكل ما فقد شرط صحته من العبادات فهو غير مجزئ ، وإذا لم تقع الجمعة مجزئة فالظهر واجب بإجماع المسلمين . والمراد بأهلها الذين لا يسعهم مكان واحد ، من يغاب صلاتهم لها في البلد . وقيل من تجب عليهم ، وقيل من تصح منهم . واعتمد الرملى الأول . ثم العبرة في السبق بسبق الإمام بتكبيرة التحريم ، أى بتمام (الراء) من (أكبر) وقيل العبرة بسبق بدء الإمام بالتحريم ، أى بهزمة (الله) . وقيل بالسلام . وقيل بالخطبة .

ولنتل عليك عبارة الأم التى هي أصل نص الشافعى في هذا الموضوع : «ولا يجمع في مصر وإن عظم أهله وكثر عامله ومساجده إلا في المسجد الأعظم ، وإن كانت له

مساجد عظام لم يجمع فيها إلا في واحد ، وأيها جمع فيه أولاً بعد الزوال فهي الجمعة ، وإن جمع في آخر سواه بعده لم يعتد الذين جمعوا بعده بالجمعة ، وكان عليهم أن يعيدوا ظهراً أربعاً . ثم قال : « وإن أشكل على الذين جمعوا أيهم جمع أولاً ، أعادوا كلهم ظهراً أربعاً » والله سبحانه وتعالى أعلم .  
ابراهيم الجبالي

## الظرف والملح

قال أبان بن تغلب :

شهدت أعرابية توصي ولدأ لها أراد سفرا وهي تقول : أى بنى ! اجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، قال أبان : فوقنت مستمعا لكلامها ، مستحسنا لوصيتها ، فإذا هى تقول : أى بنى ! إياك والنيمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ؛ وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت السهام غرضا إلا كليتته ، حتى يهوى ما اشتد من قوته ؛ وإياك والجلود بدينك ، والبخل بمالك ؛ وإذا هزرت فاهزز كريما ، يلن لهزرتك ، ولا تهزز للثيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ؛ ومثل بنفسك مثال غيرك ، فما استحسننت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بشرة ، وخالف منه ذلك فعلة ، كان صديقه منه على مثل الریح في تصرفها .

ثم أمسكت ، فدنوت منها فقلت لها : بالله يا أعرابية إلا مازدته في الوصية ! قالت : أوقد أعجبك كلام العرب يا حضري ؟ قلت : نعم ، قالت : الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء ، فقد أجاد الحلة ريتهما <sup>(١)</sup> وسر بالها .

# قرار

هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

فيما يجب على الأمة الإسلامية اتخاذه إزاء أعمال المبشرين

في يوم الاثنين ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ (٢٦ من يونيو سنة ١٩٣٣) اجتمعت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر الشريف تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بناء على الدعوة الموجهة إليهم من فضيلته . وقد عرض عليهم فضيلته في هذا الاجتماع ما استفاضت به الأخبار من قيام (المبشرين) بتنصير أبناء المسلمين وفتياتهم في مختلف الجهات بما يتخذونه من وسائل الحيل والخديعة والإغراء تارة، وضروب العنف والإرهاب تارة أخرى . وبعد البحث والمداولة قررت الهيئة ما يأتي :

أولاً — مطالبة الحكومة بأن تسن تشريعاً حازماً حاسماً يجهت بذور هذا الفساد ويستأصل شأفة هذا المرض الويل الفتاك ، كي يطمئن المسلمون على الدين الاسلامي القويم والقرآن المجيد ، وكي يكون أولادهم وإخوانهم وأقاربهم في مأمن من أن تصل إليهم يد بالاعتداء أو الإغراء لتحويلهم عن دينهم .

وقد عهدت في تنفيذ ذلك الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ليقوم بمطالبة الحكومة بسن هذا التشريع .

ثانياً — إصدار البيان الآتي :

# بيان

الى الامم الاسلامية

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

أيها المسلمون : لقد استفاضت الأخبار بما يعمل به هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (مبشرين) وعمت البلاد من أولها الى آخرها، ووصل الى علمكم أنهم يتخذون الوسائل الفظيعة الى تنصير أطفال المسلمين ، وضعفاء العقول منهم ، وأنهم لا يخرجون من ارتكاب ما لا يحجزه عقل ولا فطرة ، وما يحمر منه وجه المروءة والفضيلة ، ويجعلون ذلك طريقا لا يخرج الشاب المسلم الضعيف الا إدراك من دينه .

فإذا أعيتهم الحيلة عمدوا ( على ما جاء في الصحف ) الى التخدير والتنويم ، فإذا لم يقدم هذا عمدوا الى الإرهاب والتعذيب حتى يصلوا الى بغيتهم .

ولقد انبث هؤلاء المبشرون في المدن والقرى ، وأتقنوا الحيل : فظهروا أمام ضعفاء العقول بمظهر رسل الرحمة ، فأنشئوا المستشفيات تقبل المرضى وتعالجهم مجانا ، وأنشئوا المدارس تقبل أولاد الفقراء وتعلمهم بلا مقابل ، وبنوا الملاجئ تقبل المعوزين وتوسع عليهم في النفقة — عمل ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه فيه الختل والخداع .

فأقبل ضعفاء الإدراك والعقول على مستشفياتهم ومدارسهم وملاجئهم ، ورائدكم حسن النية ، لا يدرون أن وراء الأكمة ما وراءها .

إنهم أيها المسلمون يتخذون من هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ شباكا يصطادون بها ضعفاء العقول من الأطفال والمرضى والفقراء والمعوزين .



أما في المستشفيات فإن المبشرين ينتهزون من مرض المسلم وفقره وضعفه وحاجته إلى الصحة فرصة لحزخته عن دين الإسلام .

وأما في المدارس فإنهم يعلمون أولاد المسلمين أموراً هي ضد الدين الإسلامي وضد محمد صلى الله عليه وسلم ، وضد القرآن الكريم ، يشنون ذلك في الدروس كالسم في الدسم ، ويصورون للأطفال محمداً صلى الله عليه وسلم تصويراً مخيفاً مزعجاً ، ويفترون على الدين الإسلامي ، والقرآن المجيد ما شاءوا أن يفتروا ، ويرغمون هؤلاء الأطفال على تأدية صلواتهم ، معتمدين في ذلك كله على أن الأطفال ضعفاء لا إدراك يسهل تشكيكهم وتحويلهم عن دينهم .

وأما في الملاجئ فإنهم يتصيدون الفقراء الذين مسهم الضر ثم يضعونهم فيها فيطعمونهم ويكسونهم ، وعند ذلك يتصرف المبشرون في عقائد دينية حتى يخرجونهم من دين الإسلام .

فإذا تم لهم ما أرادوا اجتهدوا في قطع صلة من نصرّوه بأهله وذوى قرابته ، وربما غربوه إلى البلاد البعيدة التي لا يرجع منها إلى بلاده .

أيها المسلمون : إن مما فرضه الله على العلماء أن يذكروكم بما يوجب الإسلام عليكم نحو هذه الأعمال الضارة بدينكم وأولادكم وإخوانكم وأمتكم .

فالواجب عليكم شرعاً أن تحبطوا أعمال المبشرين ، وتباعدوا بينهم وبين أولادكم الذين هم فلذات أكبادكم .

يوجب عليكم الإسلام أن تنبذوا وتهجروا كل من يعرض ابنه أو بنته أو قريبه للدخول في هذه الأماكن الخبيثة والبيئات الضالة المضلة .

إن من يدخل ولده أو مريضه في هذه الأماكن الموبوءة بعد أن افترض أمرها وتبينت الأعمال المروعة التي ترتكب فيها هو الرجل المحتقر في نظر الدين بل الخارج من حظيرة الإسلام إن كان عالماً بتلك النتائج التي يقصدها المبشرون راضياً بها .

فيجب عليكم معاشر المسلمين أن تهجروا، ولا تمكثوا من معاملتكم، ولا يكون له في قلوبكم أى ميل أو عطف، حتى يشعر بعظم ما ارتكب في حق دينه وأولاده وعشيرته فينىء إلى أمر الله، ويرجع عن غيه، ويخرج صغيره أو قريبه من الظلمات إلى النور.

أيها المسلمون : هل ترضون لأولادكم وإخوانكم أن يتخذوا غير الإسلام ديناً والله تعالى يقول : ( وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) .

وهل ترضون أن يردوا عن الإسلام والله تعالى يقول : ( وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .

وهل يسوغ لكم أن تساموا أولادكم إلى طائفة المبشرين ونخدعكم حيلهم والله تعالى يقول : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ) .

وهل ترضون لبناتكم المسلمات أن يكن زوجات لمن ليسوا على دين الإسلام فيتصرفوا في أعراضهن ودينهن .

أين نخوتكم الإسلامية، وأين غيرتكم على دينكم وأحسابكم وأنسابكم الكريمة ! أيها المسلمون : إذا أنتم تهانونم في أمر دينكم فاذا يكون موقفكم غدا بين يدي الله تعالى : ( يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ) !

أيها المسلمون : لقد علمتم أن أعمال هؤلاء المبشرين قامت على المستشفيات والمدارس والملاجئ، ينشئونهم في المدن والقرى، ويتصيدون لها من هنا ومن هنا من أوقعهم الفقر وسوء الحظ في حبالهم .

فالإسلام يوجب عليكم أن تبحثوا الوباء من أساسه، فتنشئوا مثل هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ، وتقوموا بالنفقة عليها، إنقاذ الدينكم وأعراضكم، ومنعاً لفقرائكم ومعوزيكم من الذهاب إلى تلك الأماكن الموبوءة التي علمتم أغراض المبشرين من إنشائها. قال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

وقال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). وقال الله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

أيها المسلمون: إن إنقاذ الدين الإسلامي وأولاد المسلمين بإنشاء مثل هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ والإنفاق عليها واجب على الأمة الإسلامية حكومةً وشعباً على اختلاف الطبقات، وفي المقدمة العلماء، كل بحسب قدرته وما يستطيع بذله. وواجب العلماء أن يبذلوا أموالهم ونصحتهم وإرشادهم للناس بالحجة والبرهان إلى معرفة ما يوجب الدين الإسلامي عليهم في هذا الأمر.

وواجب الحكومة التي تعنى بالمحافظة على الأرواح والأموال أن تقوم بمحاربة الدين، وأن تنقذ أولاد المسلمين من مخالب المبشرين، وأن تضع تشريعاً حاسماً يستأصل ضلال المبشرين من الدولة المصرية.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

وعلى أثر صدور هذا القرار تبرع لمشروع مقاومة التبشير المشار إليه في القرار  
 حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الطواهرى شيخ  
 الجامع الأزهر بمبلغ ٢٠٠ مائتي جنيهه ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير  
 الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية بمبلغ ١٠٠ مائة جنيهه ، وحضرة صاحب  
 الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر بمبلغ  
 ٥٠ خمسين جنيهها ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسين والى بمبلغ  
 ٥٠ خمسين جنيهها ، وتبرع كثير من كبار العلماء بمبالغ مختلفة .

ونرجو أن يكون هذا التبرع الكريم فاتحة اكتتاب تبسط له الأمة أيديها  
 بسخاء وكبرهمة حتى تبلغ الغاية الكافية لتحقيق هذا المشروع الجليل .

## الطرف والملح

قال الشاعر :

وأنف من أخى لأبى وأمى	إذا ما لم أجده من الكرام
ولست بقانع من كل فضل	بأن أعزى إلى جد همام
ولم أر فى عيوب الناس شيئا	كنقص القادرين على التمام

## حول حوادث التبشير

كنا نحسب أننا في عصر يعرف فيه الأفراد والجماعات ما لغیرهم من الحقوق ، ويقومون فيه على حسن المعاشرة محتفظین بما ينبغي أن يكونوا علیه من الآداب المرضیة ، وهو المسلك الذي يرفع لواء السلام ، ويبسط ظلال الأمن فی البلاد ، ويمكن الجماعات المختلفة فی الملل والمذاهب أن يعيشوا فی وطن واحد ، يتعاونون على مصالحهم المشتركة ، وتستقل كل جماعة بمصالحها الخاصة دون أن تلحق بغيرها ضرراً . ولكن المبشرين من البلاد الأجنبية يهبطون بلاد الاسلام ويستخفون بأدب حسن المعاشرة ، ويرتكبون الطرق المموجة فی دعايتهم ، فينتهزون جهالة بعض الشبان المسلمين ، أو الشباب وغفلة أولیائهم فرصة لإفساد عقائدهم ، وإخراجهم الى ملة غیر ملتهم .

وقد غلب قصدهم الى هذا الغرض السيء فلم يراعوا حتى مصلحة مدارسهم ومستشفياتهم التي يدعون أنهم فتحوها لخدمة العلم والانسانية ، فان ما ظهر من حوادث تغريهم الفتیان والفتیات المرة بعد الأخرى ، لما ينبه الناس للتهلكة التي يلقون فيها بأنفسهم إذا هم زجوا بهم فی هذه المدارس ، أو حملوهم ليعالجوا فی هذه المستشفيات ، ومن الذي يرضى لابنه أو قریبه الانسلاخ من الدين الحق ؛ وأی فائدة لهم فی علم يُخطئ بزيف العقيدة ؛ وأی فضل لأخلاق لا تقوم على قرارة الايمان ؛ ومن أرسل ناشئاً جعله الله تحت ولايته الى أمثال هذه المدارس أو المستشفيات وهو يعلم ما تفعله من إفساد العقائد فقد سفه نفسه ، وخسر ابنه ، وباء بغضب من الله .

وقد اشتد ألمنا لصنيع هؤلاء المبشرين ، وكنا نود أن يدركوا من أنفسهم أن للنزلاء آدابا يحسن منهم الوقوف عندها ، ومن هذه الآداب أن لا يتعرضوا لإفساد عقائد أبنائنا وبناتنا ، ويتجنبوا إثارة الفتن بمحاولة تنصيرهم ، ولكنهم لم يشاءوا إلا أن ينبذوا هذا الأدب جملة ، حتى ذهبوا في إغواء بعض البنات أو البنين مذهب الإرهاق زيادة على طريقة الاستدراج والإغراء .

ومن حوادثهم الجديدة ما جرى في مدرستهم المسماة « مدرسة السلام » ببور سعيد ، ومن أشنع هذه الحوادث أن مبشرة أجنبية هنالك كانت تستهوى فتاة مسلمة الى النصرانية ، ولما لم يجدها الاستهواء بالقول نفعا ، عمدت الى تعذيبها بالضرب حتى اضطرت الفتاة تحت هذا الإرهاق الى التظاهر بالدخول في النصرانية . وظهر على ما روته الصحف أيضا أنهم توسلوا الى تنصير فتاة مسلمة بتأثير التنويم المغناطيسى ، وزوجوها من داعية لهم نصراني زعموا لأمرها أنه مسلم ، الى ما يشاء كل هذا من الحوادث التي تنكرها الشرائع وتبهرأ منها الانسانية الفاضلة .

وقد فزع لهذه الحوادث الفظيعة الشعب المصري بأجمعه ، ونودى بالاحتجاج عليها من كل ناحية . ومقاومة هذا الخطر الذي لا يطاق ، تتحقق من ناحية الأهالى بامتناعهم من إدخال أبنائهم أو بناتهم في مدارس عرفت بمحاولة إفساد عقائد البنين والبنات ، وببذل المال لإنشاء مستشفيات وملاجئ يأوى اليها الأيتام والفقراء بدل مستشفيات أوائلئك المضايين وملاجئهم . ومن ناحية الحكومة باتخاذ الوسائل الكافية لاقتراف النشء من شرور هذه الأخطار .

فجلة نور الاسلام تنكر هذه الحوادث المزعجة أشد الإنكار ، وتنصح المسلمين بالكف عن إرسال أبنائهم الى هذه المدارس المفسدة لعقائدهم ، المجردة لهم من آداب

دينهم، البائثة فيهم بغض أهلهم وعشيرتهم، ونؤمل من رجال حكومتنا الرشيدة أن يدبروا الوسائل الحكيمة الى قطع هذه الحوادث الممقوتة، حتى لا يتجدد أمثالها، وتأمين الأمة على دينها، ومستقبل أبنائها. وفي دفع أذى هؤلاء المبشرين بالتى هى أقوم قطع لأسباب فتن نحن فى حاجة الى أن نضع مكانها أمناً وسلاماً .

## الطرف والملح

قال معن بن أوس :

ورثنا المجد عن آباء صدق

أسأنا فى جـ — وارهـم الصنيما

إذا المجد الرفيع تعاورته

بُناة السوء أو شك أن يضيما

## حلقة جديدة

من سلسلة الآثار العبدية

التي لجلالة مولانا الملك فؤاد الاول وأياديه البيضاء على مصر

### تجريد

كوبرى الحزبرى اسماعيل والامتنال بافتتاحه رسميا

منذ جلس جلالة مليكننا المعظم على عرش مصر وهو دائب على ترقية شئونها وترفيه أحوالها، ورفع مكانتها بين الأمم . فما من سبيل الى نشر العلوم والفنون إلا سلكه بها، ولا وسيلة من وسائل الحضارة والتجديد إلا أمر باتخاذها، فبهما قلبت طرفك فى أنحائها، وجلت بفكرك فى المقارنة بين ماضيها وحاضرها، بهرتك الآيات البينات، والشواهد القامات على ما لهذا الملك العظيم من العقل الرصين، والحكمة السامية، والخبرة الواسعة بتدبير شئون مملكته، وتصريف زمامها، وتوجيه رعيته الى الخير .

ناهيك بالجامع الأزهر وكنياته ومعاهده الدينية، وبالجامعة وفروعها، ودور العلم المختلفة، والمدارس العالية، ومعاهد التربية، ومكاتب التعليم الإلزامى، ودور الصناعة والمنشآت الكبيرة، كالمستشفيات، والملاجئ، والمساجد، وأندية الرياضة البدنية، والمطارات والكبارى، والجسور، والترع، وغير ذلك مما لا يأتى عليه عد ولا يباغى حصر .



وآخر منقبة من هذه المناقب الخالدة أمرد بتجديد الكبرى الذى كان مقاماً على صفتى النيل بجوار قصر النيل ، وكان يطلق عليه « كوبرى قصر النيل » .

قامت حكومته المسارعة الى تلبية دعوته فى كل ما يعود على البلاد بالراحة والرخاء ، القائمة على تنفيذ إرادته المالكية ، فعهدت الى شركة ( دورمان لونيغ ) بهذا العمل على أن تنجزه فى ثلاثين شهراً من أول يناير سنة ١٩٣١ ، فأنجزته فى سنتين وشهرين وخمسة أيام ، وكانت نفقة إنشائه ٢٩١٩٥٥ جنيهها ، وسأته عقب إتمامه الى وزارة المواصلات وهو يمتاز عن الكوبرى القديم بفرط متانته ، وقوة رسوخ دعائمه ، وزيادة مساحته طولاً وعرضاً ، فجاء أحسن مرفقاً ، وأتم راحة ويسراً .

جعل يوم ١٣ صفر سنة ١٣٥٢ الموافق ٦ يونيه سنة ١٩٣٣ ميقاتاً للاحتفال بافتتاح هذا الكوبرى الجديد الذى سمي ( بكوبرى الخديوى إسماعيل ) تخليداً لذكر ذلك الرجل العظيم ، صاحب المآثر العديدة على مصر .

فكان يوماً تاريخياً مشهوداً جذباً بأن يعد من أيام هذا العهد الفؤادى المبارك .  
نصب أمام الكوبرى من الجهة الغربية سرادق نخم فرش بالطنافس الفاخرة وصفت فيه الكراسى المذهبة المخملة . وفى الموعد المحدد توافد إليه وزراء الدولة ورجال الدين ، يتقدمهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأبر شيخ الجامع الأزهر وكبار الأئمة من شيوخ ونواب وموظفين وغيرهم . ثم شرفه جلالة الملك المعظم ، فاستقبل بالاجلال والايعاز ، وكان بدر الاحتفال المنير ، تحوطه المهابة ، وتلوح على محياه الكريمة علامة البشر واللذة لإتمام هذا العمل الجليل .

وقد ألقى بين يدي جلالته سعادة وزير المواصلات كلمة شكر واعتراف بما لجلالته من الأيادى المشكورة ، وذكر نبذة وجيزة فى تاريخ الكوبرى القديم ووصفه ونفقته

وفى السبب الذى دعا لإنشاء الجديد . ثم ألقى النائب عن الشركة كلمة بالانجليزية لا تخرج عما ذكر .

وبعد ذلك تفضل جلالة الملك فافتتح بيده السكينة طريق الكوبرى الجديد وودّع كما استقبل : بقلوب وامقة تحفظ له عوارفه الكثيرة ، مقرونة بالشكر الخالص وعيون رامة تملؤها مهابة إكبارا وإعظاما ، وأسنة داعية بدوام ملكه السعيد ، وعظفه على رعيته ، قرير العين بسمو ولىّ عهده الأمير فاروق ، حرسه الله للبلاد ذخرا وعتادا .

## الى رسالة الخالدة

أو

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهى الحلقة الثانية من سلسلة المعارف التاريخية الاسلامية التى يقوم بتأليفها فضيلة الأستاذ الأديب الشيخ محمد حسين النجار المحامى الشرعى بأسيوط .

تكلم فيها عن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحال الأمم قبل بعثته الشريفة التى نقلت الأمم من وحشية واضطراب الى سلم ونظام ، ببيان عذب وأسلوب رصين ، نجاء كتابا وافيا نافعا .

فنشكره على هذا العمل الجليل . طبع بالمطبعة الأهلية بأسيوط طبعا متقنا فى ورق جيد . ويطلب من حضرة المؤلف .

## قرار

منه العلماء في كلية الشريعة الإسلامية

في يوم الثلاثاء ٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ ( ٢٧ من يونيه سنة ١٩٣٣ ) اجتمع حضرات أساتذة كلية الشريعة الإسلامية برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الكلية ، وتداولوا فيما يقوم به المبشرون من أعمال تنفر منها العقول السليمة ، وفيما يجب على المسلمين عامة والعلماء منهم خاصة نحو ذلك فأصدروا البيان الآتى :

اطلعنا على القرار الحكيم الذى أصدرته هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فى شأن التبشير والمبشرين ، فوجدناه قد كشف الداء ووصف الدواء ، وأبان عن حكم الله ورسم للمسلمين المحجة البيضاء — ولا عذر بعد البيان .

وإننا نؤيد ذلك القرار ، ونرى أنه هو الدواء الحاسم لصد عدوان المبشرين ، ونضم صوتنا الى صوت هيئة كبار العلماء فى مطالبة أولى الأمر بسن تشريع حازم حاسم يقطع على أولئك المهرجين سبيلهم ، ويطمئن المسلمين على دينهم وعلى أطفالهم وذوى الحاجة والضعفاء منهم .

وإن الحكومة إذ تسن هذا التشريع تعمل على صون الأمن فى البلاد ، وعلى إطفاء نار الفتنة التى يوقدها هؤلاء المبشرون دائماً بما يرتكبون من استهواء أبناء المسلمين ، وصرفهم عن دينهم واستعمال وسائل غير مشروعة : من إغراء القاصرين والقاصرات تارة ، ومن ضربهم وسجنهم وتعذيبهم تارات أخرى ، الى غير ذلك من الأعمال

التي تهيج شعور المسلمين وتثير الفتن والفلاقل . وإن تشريعاً يحفظ على الأمة الإسلامية دينها لهُو عمل إنسانى جليل ، يصون المبادئ السامية ، ويعزز الفضيلة ومكارم الأخلاق وينشر السلام بين الناس جميعاً ، فالسلام دين السلام والمحبة والوئام .

وإننا ندعو الأمة كما دعاها هيئة كبار العلماء ألا يدخلوا أبناءهم وبناتهم مدارس المبشرين ولا ملاجئهم ولا مستشفياتهم ، لأنهم يسلبونهم فيها أعز شئ لديهم وهو دينهم ، وذلك هو الخسران المبين .

وندعو الأمة كلها الى أن يتواصوا فيما بينهم بالنصح والإرشاد أن يمتنعوا من معاملة هؤلاء النفر الذين يرسلون أبناءهم الى مدارس المبشرين ، بعد أن ظهر للعيان ضررها البالغ في الدين ، وبعد أن تبينت مقاصد هذه الفئة التي سمت نفسها بالمبشرين ، وأن يتوخوا في ذلك سبيل الحكمة والسكينة والهدوء . وليتنبهوا الى أن أى اعتداء على أى شخص هو أكبر عقبة في سبيل العاملين المدين .

كما أننا ندعو أغنياء الأمة وموسريها أن ينموا فيهم عاطفة الرحمة بالفقراء والضعفاء ببذل اليسير مما أنعم الله عليهم من الأموال في سبيل إنقاذ هؤلاء البائسين من هوة الفساد . وسنكون من أول الباذلين لأموالهم في هذه السبيل ( الراحون برحمهم الرحمن ) .

ساهموا أيها المسلمون في بناء المستشفيات والملاجئ والمدارس لإيواء إخوانكم وأبنائكم وذوى الحاجة منكم ، ولا تاجئوهم الى أن يدخلوا في تلك النار المستعرة مضطرين في صورة مختارين ( وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ) .

# الأزهر<sup>ك</sup>

## وجامعة المسجد الأقصى

رد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر  
على حديث الوفد الاسلامى المسافر فى الهند

عربيته لفضيلته مع المقطعم

نظم التعليم فى الأزهر — عدد الطلاب الا جانب  
فى الأزهر وطرق دخولهم — رأى فضيلته فى  
فلسطين — مصر قلب الاسلام النابض .

.....

نشرت جريدة الأهرام يوم الأحد الماضى حديثاً للسيد أمين الحسينى ومحمد  
على علوبة باشا عضوى الوفد الاسلامى الى الهند قالا فيه عن الجامعة الأزهرية : « إن  
التعليم فيها يكاد يكون مقتصر على الشئون الدينية ، وإن حواجز وقيوداً تحول دون  
دخول الأجنب فيها » فقابل مندوبنا فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر  
وسأله رأيه فى الحديث وفى الجزء الخاص بالجامعة الأزهرية فقال :

لقد اطاعت على الحديث ، وأول ما تبادر الى ذهنى حين قرأته أن اضطراباً  
أو تحريفاً وقع فى نقله أو ترجمته قبل وصوله الى الأهرام ، فاستأصديق أن رجلاً  
فاضلاً مثل محمد علوبة باشا — وقد كان وزيراً للأوقاف واطلع طبعاً على نظام الأزهر بحكم  
منصبه — يصفه بأن فيه حواجز وقيوداً تحول دون دخول الأجنب فيه . فالجامعة  
الأزهرية ما زالت منذ إنشائها منهلاً عذباً يرده أبناء المسلمين على اختلاف أقطارهم

وتباين لغاتهم ولهجاتهم، وما ردت طالبا جنسيته . ولقد أيدت المادة الثامنة من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ ما جرى عليه العمل في القديم، فقالت ما نصه: « الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والأقسام العامة معدة لقبول الطلبة المسلمين أيّا كانت جنسياتهم » .

وكذلك لا أكاد أصدق أن رجلا فاضلا كالسيد أمين الحسيني سبق له أن اندمج في طلاب الأزهر، وارتشف من مناهل علمه، ولم يجد يوما مانعا يمنعه أو يمنع غيره بسبب جنسيته من دخوله الأزهر وطلبه العلم فيه — أقول: لا أكاد أصدق أن مثل السيد الحسيني يقول عن الأزهر ما جاء في الحديث المنسوب اليهما .

س — هل يسمح لنا فضيلة الأستاذ الأكرم بذكر شيء عن عدد الطلاب الأجانب وجنسياتهم؟ وهل هنالك شروط خاصة بالأجانب دون المصريين؟

ج — لقد منحت القوانين المتبعة الطلبة الأجانب امتيازات ضنت بها على زملائهم المصريين، أذكر بعضها: ففي الأقسام الابتدائية استثنيتهم من استظهار القرآن مع أن استظهاره شرط على المصريين لما ثبت من أن بعض الأقطار الإسلامية لم تأخذ بهذه القاعدة .

وكذلك منحوا امتيازات خاصة في تحديد السن، فيجوز قبول من كان منهم في الثامنة عشرة، مع أنه لا يجوز قبول من تجاوز الست عشرة من المصريين .

وكذلك منحوا امتيازات أخرى في قسم التخصص، فقد جاء في المادة ٢٢ من هذا القانون «أن لمجلس الأزهر الأعلى بعد أخذ رأي مجلس إدارة الكليات أن يرخص بقبول طلبة من الغرباء من غير الحاصلين على الشهادة العالية» والحصول على هذه الشهادة شرط لقبول المصريين في هذه الأقسام . وكذلك أجازت هذه المادة للمجلس أن يرخص بقبول طلبة غرباء مستمعين لتأني محاضرات، وأباح لهم أن يتقدموا لأداء الامتحان في المواد التي تلقوها، فإذا نجحوا نالوا شهادة بما نجحوا فيه من مواد، وهذا ممنوع على المصريين .

والتعليم في الجامعة الأزهرية المجان في جميع مراحلها ، ويمنح الأ جانب إعانات تساعد على معيشتهم ، ويهيأ لفريق منهم أما كن للسكنى على حساب الأزهر . وفضلا عن ذلك فدخل الأقسام العامة وقسم الأزهر القديم مباح لهم بلا قيد ولا شرط . وأظن أنه ليس بعد هذه التسهيلات تسهيلات يمكن منحها لهم .

وفي الأزهر أيضا ١٨ رواقا معدة لهؤلاء تضم ٦٣٤ طالبا من جنسيات مختلفة وأقطار متباينة .

س - هل يتفضل مولانا الأستاذ بشرح مناهج الأزهر وخططه في دراسة العلوم ؟

ج - مراحل التعليم في الأزهر أربع :

١ - ابتدائي ومدته أربع سنوات ، ويدرس فيه من المواد : الفقه ، الأ خلاق الدينية ، التجويد ، استذكار القرآن الكريم ، التوحيد ، السيرة النبوية ، المطالعة والمحفوظات ، الإنشاء ، النحو ، الصرف ، الإملاء ، الخط ، التاريخ ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم .

٢ - ثانوي ومدته خمس سنوات ، ويدرس فيه غير ما تقدم من العلوم العربية والدينية - ارياضة ( الحساب والهندسة والجبر ) والعلوم ( الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي ) والمنطق ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والأ خلاق ، والتربية الوطنية .

٣ - عال ومدته أربع سنوات ، وينقسم الى ثلاث كليات :

كلية اللغة العربية ، وتدرس فيها العلوم العربية بأنواعها . وكلية الشريعة ، وتدرس فيها علوم الدين مع أدب اللغة العربية وعلوم البلاغة . وكلية أصول الدين ، ويدرس فيها التوحيد ، والمنطق ، والمناظرة ، والفلسفة ، والأ خلاق ، وعلم النفس والبلاغة ، وتاريخ الاسلام ، وآداب اللغة العربية .

٤ - التخصص ، والغرض منه إعداد علماء متفوقين في العلوم الأساسية . فالمواد

التي تدرس في تخصص الوعظ والإرشاد هي التوحيد مع الرد على الشبه الذائعة ، والقرآن

الكريم وعلومه ، والحديث الشريف وعلومه ، والدعوة الى سبيل الله ووسائلها ، والخطابة والإلقاء ، والمناظرة ، والمال والنحل ، والمذاهب الفقهية وتواريخها ، والبدع والعادات والأخلاق والفضائل الاسلامية. عاضرات صحية ، لغة أجنبية شرقية أوغربية . ولم تحدد اللغة لأننا نريد أن تكون مطابقة للحاجة ، فتارة تكون شرقية وأخرى غربية .

والمواد التي تدرس في تخصص التدريس هي علم النفس بقسميه العام والتعليمي والتربية العلمية بأقسامها الثلاثة . أصول التربية والطرق العامة ، والتنظيم المدرسي . طرق التدريس الخاصة ، وتاريخ التربية العملية ، والتربية العملية ، والأخلاق ، والمنطق ، وتدير الصحة المدرسي ، والرسم ، والتربية البدنية الخ .

س - ما رأى فضيلة مولانا الأستاذ في مشروع جامعة المسجد الأقصى ؟

ج - نحن نعطف على فلسطين وقضيتها كما نعطف على مشروع جامعة المسجد الأقصى ، ونرحب بكل مشروع يؤدي الى نشر العلم وتعزيزه بين المسلمين عملاً بأوامر ديننا الكريم . على أننا في جانب هذا نرجو أن لا ينسى القائمون بأمثال هذه المشروعات أن للجامعة الأزهرية مقاما رفيعا في العالم الاسلامي استمدته من تاريخها ومن جليل خدمها ، فهي ما تزال منذ ألف سنة تقوم على حراسة الدين الاسلامي واللغة العربية . وقد أخرجت المسلمين في مختلف العصور علماء أعلاما وقادة عظاما ملأت أخبارهم الصحف واستفاضت بذكر أحاديثهم الأوراق . كما نحب أن يذكرنا أيضا ما لمصر من المقام العظيم في العالم الاسلامي ، فالمسلمون على اختلاف أقطارهم وبلدانهم يسرون وراءها ويتبعون خطواتها وينظرون اليها نظر الجندي الى القائد . ويحمل الينا البريد كل يوم عشرات من الرسائل من أنحاء العالم الاسلامي وكلها تنطق بهذه الحقيقة ، وها هي ذي رسالة جاءتني الآن وأنا أحدثكم من جمعية نهضة العلماء في بندوبج ( جاوة ) تؤيد ما قلت . وقد وصف بعض إخواننا العراقيين مصر بأنها قلب العالم الاسلامي النابض حين زيارة محمد علي باشا لهم .

الى هنا انتهى الحديث . ثم ودع المحرر فضيلة الأستاذ الأكرم وخرج شاكرام



Monotheistic Divinity and the refutation of current doubts and heresies, The Holy Koran and conjoint subjects, Traditions of the Prophets and conjoint subjects, Preaching and methods, oratory, elocution and debate, sects, creeds, rites and their development, heresies, customs, ethics and Islamic virtues, lectures on Hygiene and a foreign language either Oriental or European. The foreign language has been purposely left undetermined as need alone could determine the choice thereof sometimes being Oriental and other times European as the case may be.

The Specialisation Section for Teaching comprises the following subjects of study : —

Psychology, general and educational, Scientific Pedagogy comprising principles of pedagogy, general methods and school organisation, Methods of teaching, History of pedagogy and practical pedagogy, Ethics, Logic, school hygiene, drawing, physical culture etc.

Q. — Would Your Eminence kindly give your opinion on the project of the Palestine University?

R. — We sympathise with Palestine and its case as well as with the project of the Palestine University as we welcome every project which aims at the dissemination and maintenance of learning among Moslems in pursuance of the conjunctions of our Holy Faith.

We hope however, that those interested in such projects should not forget that Al-Azhar University enjoys a unique standing in the Moslem world, a standing which it has attained through its history and the great services which it has rendered to Moslems all over the earth. For a thousand years, the Al-Azhar University has vigilantly guarded the Moslem Religion and the Arabic language, and has given the Moslems, throughout the ages, distinguished ulema and great leaders whose tidings and sayings were recorded everywhere. We would also like that they should bear in mind that Egypt occupies a leading place in the Moslem World. For despite the differences of race and country, Moslems follow in its footsteps and look up to it as a soldier to his leader.

We receive tens of letters daily from all corners of the Moslem world all of which emphasise this fact and here is a letter which I have just received as I was talking to you from the Association of "Nahdatul-Ulema" of Tjabang, Java, in support of what I have just said. Some of our brethren in Iraq, have rightly described Egypt on Mohammed Ali Pasha's visit to them as "the throbbing heart of the Moslem world".

---

Q. — Would Your Eminence please explain the curricula of Al-Azhar and the subjects of study?

R. — Education in Al-Azhar is classified into four stages :

1) The Primary Section of four years duration and comprising the following subjects of study: Mohammedan Law, Ethics, Psalmody, Recitation of the Holy Koran, Monotheistic Divinity, Life of the Prophet, Reading and Selections of prose and poetry, Composition, Grammar, Morphology, Dictation, Calligraphy, History, Geography, Arithmetic, Practical Geometry, Elements of Science, Hygiene and drawing.

2) The Secondary Section of five years duration and comprising the following subjects of study: Mohammedan Law, Exegesis, Traditions of the Prophet, Monotheistic Divinity, Recitation of the Holy Koran, Grammar, Morphology, Rhetoric, Prosody and Rhyme, Reading and selections of prose and poetry, Composition, Arabic Literature, Mathematics (Arithmetic, Algebra and Geometry), Science (Physics, Chemistry and Natural History), Logic, History, Geography, Ethics and Civics.

3) The Higher Section of four years duration is divided into three Faculties : —

(i) The Faculty of Arabic Language comprising the following subjects of study : —

Grammar, Etymology, Morphology, Logic, Rhetoric, Arabic Literature and History, History of the Arabs before Islam, History of Moslem Countries, Exegesis, Traditions of the Prophet, Principles of Mohammedan Law, Composition and Philology.

(ii) The Faculty of Mohammedan Law comprising the following subjects of study : —

Exegesis, Traditions of the Prophet, Principles of Mohammedan Law, History of Islamic Jurisprudence, Mohammedan Law and the comparative study of rites in regard to fundamental questions and the *raison d'être* of the Law (*Hikmet-el-Tashrie*), Arabic Literature, Rhetoric and Logic.

(iii) The Faculty of Principles of Religion comprising the following subjects of study : —

Monotheistic Divinity, Logic and debate, Philosophy and the criticism of anti-religious conceptions, Ethics, Exegesis, Traditions of the Prophet, Arabic Literature and History, History of Islam, Psychology and Rhetoric.

4) Specialisation Section, the object of which being the training of efficient ulema in the principal subjects of study. In the Specialisation Section of Preaching and Spiritual edification the following subjects of study are given : —

"Also I could hardly believe that an eminent man such as Al-Sayyed Amin Al-Hussainy who had, at one time, been a student of Al-Azhar and had imbibed of its culture and learning, never encountering any restriction to bar him or any other student, on account of their nationality, from pursuing their studies at that University, I repeat that I could hardly believe that such a man as Al-Sayyed Al-Hussainy would say of Al-Azhar what had been reported by the "Al-Ahram" in the conversation ascribed to him".

Q. — Would Your Eminence kindly give some information of the number of foreign students at Al-Azhar University and their nationalities?

R. — The laws in force have granted certain privileges to foreign students, which have been denied to Egyptian students, of which the following may serve as an example :

In the Primary Section, foreign students are exempted from the committal of the Koran to memory, whereas it is a condition in regard to Egyptians, as it has been discovered that some Moslem countries do not follow the same rule. They have also been granted a privilege in so far as the age limit is concerned. Foreign students are admitted to Al-Azhar up to the age of 18 whereas Egyptian students over 16 years of age are not admitted.

They have also been granted other privileges in the Specialisation Section. Article No. 22 of the Law provides that subsequent to the opinion of the College Board being taken, the Supreme Council of Al-Azhar may sanction the admission of foreign students who have not obtained the Higher Certificate. In the case of Egyptians, this certificate is a necessary condition for admission to the Specialisation Sections.

This article has also authorised the Council to concede the admission of foreign students as irregular students to the lectures and allow them to sit for the examination in the subjects attended by them, and if successful, they are granted a certificate in regard to those subjects. This is denied to Egyptian students.

Education at Al-Azhar is free of charge in all its stages and foreign students are granted pecuniary aids while a great number of them are provided with free lodgings by Al-Azhar.

Moreover they are granted free and unconditional admission to the Irregular Sections and the old Azhar Institution. I daresay that there could be no more facilities given than the foregoing.

There are 18 Riwaqs (hostels) in Al-Azhar housing 634 students of different nationalities and countries. (1)

---

(1) The following is a list of the countries to which foreign students at Al-Azhar University belong : Syria, Tripoli, Tunis, Algeria, Morocco, Iraq, Turkey, Asia Minor, Caucasia, Hedjaz, Nejd, Yemen, Kurdistan, Afghanistan, India, The Sudan, Abyssinia, Somaliland, South Africa, Java, Borneo, China, Yougoslavia, Russia, Poland, Albania, Bulgaria and America.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

### AL-AZHAR AND THE PALESTINE UNIVERSITY.

#### An Interview with His Eminence the Rector of Al-Azhar University.

---

It was reported by the "Al-Ahram" of Sunday, July 2nd., 1933, that in course of a conversation made by Al-Sayyed Amin Al-Hussainy and Mohammed Aly Allouba Pasha, members of the Moslem Delegation to India, the statement was made that education at Al-Azhar University is almost confined to religious subjects and that there were certain restrictions which bars foreign students from admission to that University.

Following the publication of the said conversation, a "Mokattam" reporter sought an interview with His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University to ask His Eminence's opinion regarding the part of the conversation concerning Al-Azhar. His Eminence made the following statements :

"I have read the report of "Al-Ahram" and the first thing which occurred to me as I read it, was that some confusion or distortion in the quotation or translation of the conversation must have taken place before the report was transmitted to "Al-Ahram". I could not bring myself to believe that an eminent man such as Mohammed Allouba Pasha who was a Minister of Wakfs and had naturally been conversant, by virtue of his office, with the regulations of Al-Azhar, would say that there were restrictions barring the admission of foreign students to Al-Azhar University. For, since its foundation, Al-Azhar University has always been the fountain-head of Islamic culture and learning to which Moslems of different nationalities and languages repair. No student has ever been denied admission to Al-Azhar on account of his nationality. Article No. 8 of Law No. 49 of 1930 has maintained the procedure of old. It provides that "Al-Azhar University, the Religious Institutions and Irregular Sections are open for the admission of Moslem students whatever their nationality might be".

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ •

# بِفُكْرِ الْإِسْلَامِ الْإِهْرَاقِيِّ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصديرها ميسخنة للأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

المجلد الرابع

ربيع الثاني سنة ١٣٥٢

الجزء الرابع

رئيس التحرير

السيد

محمد الخضر حسين

من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد الغني زمر محمد بك

المستشار بمحكمة الاستئناف { سابقا  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الاشتراك

الإدارة

٤٠	...	...	...	...	داخل القطر المصري
٥٠	...	...	...	...	خارج القطر المصري
٢٠	داخل القطر	{			
٣٠	خارج القطر				
					للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد
					والمساذنين ومعلمي المدارس
					الأولية والطلاب ...

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجة

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٣ - ١٣٥٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## التعاون في الاسلام

الاسلام في مقدمة الشرائع المتضافرة على حفظ حقائق هي الدين والنفس والعرض والعقل والنسل والمال ، فمن قصده الى المحافظة على الدين فرضه القيام بالدعوة إليه والدفاع عن حوزته ، ومن قصده الى المحافظة على النفس شرعه القصاص وفرضه حضانة الأطفال ورعايتهم ، ومن قصده الى المحافظة على العرض تقريره لعقوبة القذف بالزنا وأمره بتأديب من يتناول على غيره بامز أو هجاء ، ومن قصده الى المحافظة على العقل شرعه لعقوبة من يتناول المسكرات أو يسعى في إزالة عقل شخص بالضرب ونحوه ، ومن قصده الى المحافظة على النسل حثه على النكاح وسنه لعقوبة من يعتدى على شخص فيبطل منه قوة التناسل ، ومن قصده الى المحافظة على المال شرعه لعقوبة السارق وقاطع الطريق .

وقد يقع بعض هذه الحقائق في ضياع أو يكون مشرفا على الضياع ، ويتعذر على الشخص الواحد العمل لسلامتها ، فكان من مقتضى ثقل أعبائها أو كثرة شُعبها ، أن يمد إليه أشخاص آخرون أيديهم ليتعاون الجميع على حفظ دين أو نفس أو عرض أو عقل أو نسل أو مال .

ومن المعلوم المائل أمام كل من تفقه في الدين أن الاسلام قد راعى عجز الأفراد عن القيام بكثير من المصالح الخاصة أو العامة ، فأمر بالتعاون على وجه عام ، ثم أقام

كثيرا من أحكامه وآدابه على هذه القاعدة التي ينتظم بها العمران وتخف بها متاع الحياة .

أما الأمر بالتعاون على وجه عام فنشاهد قوله تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ) .

يتناول التعاون على البر والتقوى المؤازرة في كل عمل ينتج عنه الخير ، سواء كان القائم به فرداً أم جماعة ، وسواء كان الخير عائداً الى فرد أم الى أمة ، ولا فرق في أصل طلب التعاون بين أن يكون الخير من مصالح الحياة الدنيا التي أذنت الشريعة بإقامتها ، وأن يكون من وسائل السعادة في الأخرى ، فن التعاون على البر والتقوى أن يقوم الرجل للصلاة فتناوله وضوءاً ، أو تهيب له مصلي ، ومن التعاون على البر والتقوى أن ينهض القوم لإعلاء كلمتهم بنحو بناء المدارس أو المستشفيات أو الملاجئ أو إقامة مصانع تسد جانباً من حاجاتهم المدنية ، فتبذل في إسعادهم ما تستطيع من قوة .

ويدخل في الإثم والعدوان كل عمل يعطل شريعة من شرائع الدين أو يعود على النفس أو العرض أو العقل أو النسل أو المال بالفساد ، فن التعاون على الإثم والعدوان أن تقضى للخصم بقطعة من مال خصمه وأنت تعلم أنه يدعيها زوراً وبهتاناً ، ومن التعاون على الإثم والعدوان أن تشهد حفلات ترتكب فيها بعض محرمات كاستعاطى المسكرات ، أو رقص الفتيان مع الفتيات ، ومن التعاون على الإثم والعدوان أن تشتري ورقة من تلك الأوراق التي يصدرها جماعات ، ويسمونها « اليانصيب » فانها من الميسر الذي وصفه الله تعالى بأنه رجس من عمل الشيطان ، ومن التعاون على الإثم والعدوان أن تكون كاتب البطاقة التي يأمر فيها الظالم بالاعتداء على نفس أو عرض أو مال .

ومما ورد في التعاون قوله صلى الله عليه وسلم : ( أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ) فَإِنْ قَصِدَ أَحَدُكَ مِنْ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ إِخَاءٌ لِيَمْتَدِّ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ عَرْضِهِ ، وَجِبَّ



عليك الانتصار للمعتدى عليه ودفع المعتدى بما يكفي للخلاص من شره ، وذلك معنى الانتصار له وهو مظلوم ، أما الانتصار له وهو ظالم ، فقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث بمعنى الأخذ على يده ومنعه من الظلم ، وفي كفه عن الظلم الذي يذيقه عذاب الهون في الآخرة ، ويلبسه ثوب الخزي في الأولى ، انتصار له أى انتصار .

ومن الوجوه التي تدل على قصد الشريعة الى التعاون تحريم السؤال على مستطيع الكسب ، وفي هذا التحريم باعث له على القيام بجانب من حاجات الأمة ، وفي إخلاد القادر على الكسب الى السؤال بليتان اجتماعيتان : (أولاهما) فوات الانتفاع بشخص يمكنه أن يكون كقطرة صالحة في دم حياة الأمة فتزداد به قوة على قوتها ، (ثانيتهما) بقاءه في جسم الأمة كعضو يشرب من دمها ويأكل من لحمها ، بل كعضو يسرى منه مرض البطالة الى أشخاص لا تعرف نفوسهم العزة ، فيكثر سواد هؤلاء الثقلاء في البلاد ، قال صلى الله عليه وسلم : (والذي <sup>(١)</sup> نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه) فحرام على من يستطيع كسب الرزق أن ينكث يده عن العمل ويحس تشوفا لما سمحت أو تسمح به نفوس المحسنين لمن قعد به العجز عن طريق الاكتساب .

فلو بدا لأولى الأمر أن يهيئوا للعاجزين عن الكسب ملاجئ ، يأخذوا على أيدي المتسولين حتى يضطر صحيح البنية الى مباشرة بعض الأعمال الحيوية ، لوجدوا في الاسلام ما يحثهم على أن يبنوا الملاجئ ، ويمنعوا المتكسفين من التجول في الطرق والأسواق .

وقد بث الاسلام روح التعاون في النفوس لأول ظهوره ، ترى هذا في حياة المسلمين بالمدينة عقب الهجرة ، فقد ورد في الصحيح أن المهاجرين قدموا من مكة وليس

بأيديهم شيء ، فعرض الأنصار على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم النخيل بينهم وبين المهاجرين ، فقال : لا ، فعرضوا عليه بعد أن يكفهم المهاجرون مؤونة العمل ويشركوهم في الثمرة ، فأجاب لذلك ، فقاسمهم الأنصار على ذلك ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين بما عندهم وإن كانوا في حاجة اليه ، وهو الإيثار الذي مدحهم الله تعالى به في قوله : ( وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) .

ومن قصد الشارع الى التعاون على وجه عام أنه نظر الى الأعمال المنطوية على مصالح ، فكان منها ما تحصل مصالحة لكل شخص يقوم به ، وتوجد هذه المصاحبة كلما قام به قائم وهو مستوفى الشروط والأسباب والأركان ، فجعل الخطاب فيه موجهاً الى كل من بلغ سن التكليف ، كالصلاة والصيام والحج والزكاة ، وهذا ما يسميه الفقهاء بالواجب على الأعيان ، ومنها ما تحصل مصاحبة بفعل شخص أو أشخاص ، ولو قام غيرهم من بعدهم ليفعله وجد المصاحبة قد تحققت ، فجعل الخطاب فيه موجهاً الى الأمة على أن تقوم به طائفة منها ، كتجهيز الموتى وإنشاء ما يكفي حاجة البلاد من المدارس ، وهذا ما يسمى في عرف الفقهاء بفرض الكفاية .

والحقيقة أن الطلب في فرض الكفاية يتوجه الى من فيهم الكفاية للقيام بالعمل المطلوب ، وإذا قام به بعضهم سقط الطلب عن سائرهم ، فولاية القضاء مثلاً يتوجه الطلب فيها الى من درسوا أحكام الشريعة وكان لهم مقدرة على تطبيق الأصول على الوقائع ، وإنقاذ الغرقى يتوجه الطلب فيه الى من يحسنون السباحة ، وإغاثة المضطر يتوجه الطلب فيها الى من يستطيعون الإغاثة ، ونصرة المظلوم يتوجه الطلب فيها الى من كان قادراً على أن ينصره بانفراده أو بالانضمام الى غيره ، وإنما جعل الخطاب في فرض الكفاية موجهاً الى الأمة لأنه يجب على من لم يكن فيهم أهلية للعمل المطلوب أن يهيئوا وسائله لمن فيهم أهلية ، أو يجبروهم على القيام به إذا أهملوا أو تباطؤوا ،

فدفع الشبه وتقويم الزينغ واجب على العارفين بأصول الدين ، فإذا دخلت الضلالة في قرية لا يوجد فيها من فيهم الكفاية لتقويم الزائفين ، وجب على من فيهم الكفاية ببلد آخر أن ينتقلوا لإرشاد أولئك الضالين ، وإن احتاجوا الى نفقة أو وسيلة غيرها وجب على القادرين على مساعدتهم بالمال أو بهيئة ما احتاجوا اليه من الوسائل أن يعينوهم على أداء واجب الإرشاد فيسقط الوجوب عن الجميع . وقيادة الجيوش تجب على من جمع الى الشجاعة العلم بالفنون الحربية ، فإذا امتنع من تحققت فيهم شروط القيادة من الخروج الى مواقع القتال ، لا يتركون وشأنهم بعلة أن الأمر بقيادة الجيش موجه اليهم وحدهم ، بل على أولى الشأن إجباهم على تولى قيادة الجيش ، فإن لم يجبروهم كانوا في العقوبة سواء ، بل لولى الأمر أن يعتمد الى من فيهم الكفاية لأمر من الأمور ، ويعين من بينهم شخصا أو أشخاصا للقيام به ، فيصير بهذا التعمين فرض عين لا يسوغ لهم التأخر عنه .

ومن المطلوب على الكفاية ما هو ديني محض كالصلاة على الميت ، ومنه ما يرجع الى مطالب مدنية كتماطى بعض الحرف أو الصنائع المحتاج اليها في انتظام حال الجماعة . والنوع الأول يبعث على القيام به القصد الى امتثال أمر الله تعالى ، وأما النوع الثانى فقد يبعث عليه داعية فطرية ، ذلك لأن هم الناس تختلف في توجهها الى ما تستدعيه الحياة من الحرف والصنائع ، فيوجد في أغلب البلاد الحداد والنجار والبناء والصائغ والخائط والحمال والسكناس ، الى غير هذا من الحرف والصنائع الضرورية . ومن المحتمل أن لا تطرد هذه السنة في بلد أو في عصر ، فيزهد الناس في حرفة أو في صناعة ، فلم يدع الشارع هذه الضروريات أو الحاجيات الى الدواعى الفطرية وحدها ، بل جعل القيام بكل حرفة أو صناعة يحتاج اليها في الحياة فرض كفاية ، حتى يستقيم أمر الحياة ، فإن لم تختلف هم الناس اختلافا يفي بما تحتاج اليه البلاد من الحرف والصنائع ، وجب على

أولى الشأن العمل لسد حاجات الأمة وإقامة الحرفة أو الصنعة المفقودة ولو بيعت طائفة الى خارج البلاد ليتعلموها ويحسنوا القيام عليها .

وقد دلنا التاريخ الصحيح لعهد النبوة أن الناس كانوا يتعاونون على مرافق الحياة ووسائل السعادة ، فقد روى الإمام البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : ( إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْق <sup>(١)</sup> بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون ) .

فدل الحديث على أن طائفة من المهاجرين كانوا يشتغلون بالتجارة ، وطائفة من الأنصار كانوا يشتغلون بالفلاحة والزراعة ، وأن أبا هريرة كان منقطعاً لطلب العلم . وعرفنا من طرق غير هذه الرواية أن في الأمة لذلك العهد طائفة كانت تتعاطى بعض الصنائع كالنجارة والحداة .

ولم يكن أهل الصَّفْق <sup>(٢)</sup> إلا بمنزلة الجند المهيأ للدفاع زيادة على ما كانوا يتلقونه من علم ، فلهم من هذه الناحية قسط عظيم من التعاون المطلوب في قوله تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ) .

ويجربى على شاكلة الحرف والصنائع العلوم والفنون ، فقد قرر علماء الشريعة أن كل علم أو فن يحتاج اليه في الحياة يجب أن تقوم به طائفة من الأمة ، فن التعاون على تنمية العلوم وتحقيتها إقبال كل طائفة على علم يقتلونه بحثاً ، ويحيطون به من كل جانب ، وإنما اتسعت دوائر العلوم بمثل هذا العمل المسمى بالتخصص . وقد أدرك علماء الاسلام في القديم فائدة انفراد كل طائفة بعلم تفرغ فيه جهودها وتصرف فيه جانباً كبيراً من أوقاتها ، فاختلفت وجهاتهم على قدر ما كان بين أيديهم من العلوم ، وظهر النبوغ في هذه العلوم على اختلاف موضوعاتها وتباعد أغراضها .

(١) البيع والشراء . (٢) موضع ، ظل في مسجد المدينة يأوى اليه المساكين .

وقد يكون اختلاف الناس في إتقان هذه العلوم من دواعي الفطرة ، بأن يقبل كل إنسان على العلم الذي يجد في نفسه الميل الى تعاطيه ، فإن وجد الرئيس هم الناس منصرفه عن بعض العلوم اتخذ الوسيلة الى حمل طائفة منهم على مزاواته .

وأما أن الشريعة بنت كثيرا من أحكامها وآدابها على قاعدة التعاون ، فشواهد كثيرة ، تجدد هذه الشواهد في التعاون على حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والنسل والمال .

من شواهد التعاون على حفظ الدين أن الشريعة نظرت الى ما ينبغي على التفقه في الدين من إنارة الجاهلين ، وإنذار المسرفين ، وتنظيم الحياة على وجه أدعى الى الارتياح والاطمئنان ، فلم تترك لهم الأفراد التي قد يطرأ عليها ضعف أو انصراف عن التعلم ، بل فرضت على كل فرقة من المسلمين أن يرسل منها طائفة الى المواضع التي يمكنهم أن يتفقهوا بها في الدين ثم يعودوا الى قومهم ، فتبقى عقائد الدين وواجباته وآدابه محفوظة بينهم .

قررت رحلة طائفة للتفقه في الدين ، وفيه معنى التعاون على حفظه ، وورد في الشريعة الأمر بالتعاون على حفظ الدين من وجه آخر ، وهو أن رجال القبيلة أو القرية قد يغفلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتتضيع أحكام الدين وآدابه ، وفرضت على الأمة أن يقوم طائفة منها بالدعوة الى الحق والإصلاح ، والتحذير من الباطل والفساد ، قال تعالى : ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) .

وقد تختلف وجوه التعاون على حفظ الدين اختلاف الأحوال والأزمان . ومما حدث في هذا العصر أن بعض المخالفين يعملون لزلزلة أركانه وطمس معالمه ، بوسيلة ما يفتحونه من مدارس ومستشفيات وملاجئ ، يزعمون أنهم يخدمون بها العلم

والانسانية، فهناك يحدون الأطفال والمستضعفين من الرجال والنساء واقعين في حبائلهم لا شاهد عليهم ولا رقيب، فيحدثونهم عن الاسلام بالسنّة تفترى عليه الكذب، ويلقنونهم آراء تجعلهم من أشد الناس عداوة لدينهم وازدراء لأبائهم، فن التعاون على الدين في هذا العصر أن ينهض المسلمون نهضة صادقة، فيسقطوا أيديهم بالبذل في سبيل إنشاء مدارس ومستشفيات وملاجئ تغني عن تلك المباني المفتوحة لائغواء الغافلين، ومن التعاون على حفظ الدين أن ينشط العلماء للإرشاد فيطلقوا ألسنتهم وأقلامهم في نصيح من في قلوبهم بقية من خير، بأن لا يرسلوا أبناءهم الى تلك المدارس التي لو غفل عنها الناس اليوم غفلتهم عنها بالأمس لطوى بساط الدين طي السجل للكتاب.

ومن شواهد التعاون على حفظ النفوس أن الشريعة قد نظرت الى ما يحدث بين الطوائف من التنازع والتقاتل، فأشفقت من أن تذهب نفوس بريئة، وتراق دماء كثيرة، فأمرت الباقيين من المسلمين بالسعى للصالح بين الطائفتين المتقاتلتين.

ومن هذا القبيل فرض إغاثة العطشان والجائع، حتى قال الفقهاء: من لقي عطشانا ومعه ماء، أو لقي جائعا ومعه طعام، فنع العطشان الماء أو الجائع الطعام، وهو يعلم أنه لا يجوز له منعه، وأنه يموت إن لم يسعده بما عنده، حقت عليه عقوبة القصاص.

دعت الشريعة الى التعاون على حفظ النفوس، وجعلت له من الزكاة النصيب الأوفى، فكان من مصارفها الفقراء والمساكين، ليسدوا بها حاجتهم ويصونوا بها ماء وجوههم، ثم نذبت الى وجوه أخرى من وجوه البر كالصدقة والهبة، فالتقصد من الصدقة أو الهبة مواساة من يتصدق عليه أو يوهب له، وإعائته على حفظ نفسه أو نفس من يعوله، غالبا.

وفي الناس من لا تسمح نفسه برفع يده عن الشيء المنتفع به جملة ، فجعل له الشارع طريقا الى أن يعين غيره بمنفعة الشيء مع بقاء ذاته تحت ملكه ، كالعارية والعمرى (١) ومن الوجوه الراجعة في تفسير قوله تعالى : (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) أن المراد ما يتعاوره الناس من متاع البيت كالقدر والجفنة والسكين . وإذا طلب منك إعاره أمثال هذه الأدوات في حال ضرورة كان منعها حراما ، فإن طلب منك إعارتها في حال لا تبلغ حال الضرورة ، كان منعها خادشا في المروءة ، دليلا على أنك تطوى نفسك على شيء من البخل بما آتاك الله من خير .

ومن شواهد التعاون على حفظ العرض أن الشريعة قد وضعت على القذف بالزنا عقوبة محدودة ، وعلى من يتناول غيره بسباب أو هجاء التعزير بما يكفي لردعه ، وعهدت بإجراء ذلك الجزاء الى الرئيس الأعلى أو من يقوم مقامه ، وفي إجراء ذلك الجزاء تعاون على حفظ الأعراض ، والقاضي الذي لا يحقق النظر في قضايا السباب والهجاء ، ولا يقرر لها جزاء وفاقا ، يعدّ فيمن لا يقدر حق صيانة الأعراض ، ويلحق بمن يجهل أن العرض أعز على الرجل من ماله ونفسه .

ومن مقتضى التعاون على حفظ الأعراض أن لا تترك مجلسك ميدانا يتسابق فيه الطغام الى ثلب الأعراض ، فاذا حرّك أحد لسانه بالقبح في عرض برى أو بريئة ، أجمته بالحكمة ، وكذلك يفعل الصالحون والمصلحون ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يخذل امرءا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يجب فيه نصرته ، وما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موضع يجب نصرته (٢) » .

(١) ان تعطى شخصا منفعة شيء مدة حياته أو حياتك أو الى أجل مسمى . (٢) أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من ذبّ عن عرض أخيه رد الله النار عن وجهه يوم القيامة <sup>(١)</sup> » .

ومن شواهد التعاون على حفظ العقل أن الشريعة وضعت عقوبة على من يتناول شيئاً من المسكرات ، أو يؤذى شخصاً فيزيل عقله ، وعقوبة الأول معروفة ، وعقوبة الثاني الدية كاملة ، وهذه العقوبات يجريها القائمون على المصالح العامة ، وإجراؤها من قبيل التعاون على حفظ العقول .

ومن مقتضى التعاون أن تحول بين الإنسان وما يذهب بقوته العاقلة أو يضعفها ما استطعت أن تحول ، فإن كان لك سلطان منعه يبدك الغالبة ، وإن كنت مرشداً منعه بموعظتك الحسنة . ونصح الطبيب في معالجة من تصاب عقولهم بشيء من الخلل داخل في قبيل هذا التعاون المطلوب .

ومن شواهد التعاون على حفظ النسل أن الشريعة رغبت في النكاح ، وجعلت من شروط صحته الإِشهاد ، فمن حضر ليشهد به فقد أخذ بأدب التعاون على حفظ النسل ، ومن الآخذين بهذا الأدب المحمود الخاطب ومن يشفع لدى الزوجة أو وليها في تخفيف نفقات العرس ، أو الرضا بالميسور من المهر .

ومتى ظهر في الناس قلة الإقبال على الزواج ، وجب على حكاء الأمة والقائمين على مصالحها أن يتعاونوا في البحث عن علل قلة الزواج ، ويتخذوا الوسائل إلى علاج هذه العلل ، حتى تعود الأمة إلى الفطرة السليمة ، وتسير في طهر ، وينمو عددها نماء يكفل حياتها ، ويكسبها قوة على القيام بنفسها .

ومن شواهد التعاون على حفظ المال بمجاوبته من التلف أو العمل على نمائه أن الشارع قرّر الإيصاء ، وهو أن يعهد الأب لمن يعرف فيه الأمانة وجودة الرأي



بالنظر في شئون ابنه من بعده ، ومن مقتضيات الإيصال حفظ مال الطفل والتصرف فيه على ما تقتضيه المصلحة ، فقيام الوصي على أمر الطفل بحزم ونصيح معونة على حفظ ماله وإصلاح حاله .

ومن هذا الباب تقرير الشارع لباب القراض ، وهو إعطاء مال لمن يتجر به على أن له جزءاً من ربحه ، فصاحب المال يعين العامل على كسب جزء من المال كانت يده فارغة منه ، والعامل يعين صاحب المال على تنمية ماله ، ولولا إعانة هذا العامل لبقى المال عند حد ، وقد ينقصه إلا نفاق حتى يذهب به جملة .

ومن هذا القبيل فتح الشارع لباب عقد الشركات في الأموال ، وهي خلط شخص ماله بمال آخر على أن يتصرف كل منهما في المالين في حال حضرة شريكه وغيبته ، أو في حال حضرة فقط .

وفي هذا النوع من التعاون فائدة عظيمة لا توجد عند عمل كل واحد في ماله منفردا ، فإن ضم القليل الى القليل يصيره كثيرا ، وهذه الكثرة تجعل الشركاء قادرين على جاب بضائع مرتفعة القيم ، أو مختلفة الأجناس والأصناف ، ولولا الشركة لضاق باع كل منهم أن يصل الى تلك البضائع ذات القيم المرتفعة ، أو ذات الأجناس والأصناف المختلفة فتقل الأرباح ، ولا يجد أهل البلد على تفاوت طبقاتهم كل ما يقوم بمحاجتهم ويوافق رغباتهم ، ونجاح الشركات قائم على تحقق الأمانة والسير على نظم علم الاقتصاد الصحيح ، فمن الملائم لروح التعاون في الاسلام تأليف شركات تحتفظ بعهد الأمانة ، وتسير على نظم يراعى فيها قواعد الاقتصاد المعقولة ، وتسعها أصول الشريعة الغراء .

والتعاون بالنظر الى ما تقع به المعونة إما أن يكون تعاونا بالنفس ، كأن تدفع بيدك أو سلاحك صائلا على نفس أو مال ، وإما أن يكون تعاونا بالمال ، كالقرض والهبة والصدقة وضرب الدية في قتل الخطأ على العاقلة ، وإما أن يكون تعاونا بالرأى كأن تشير

على الرجل بما يخرج من خيرة أو ينقذه من عطب ، وإما أن يكون تعاوناً بالجاه ، كأن تشفع لدى حاجة عند من يملك قضاءها ، قال صلى الله عليه وسلم : ( اشفعوا تؤجروا )<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام : ( والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه )<sup>(٢)</sup> وتتفاوت همم الناس في مصارف الجاه ، وأصغرهم هممة من يستخدمه في منفعه الخاصة ، ولا يوجهه إلى قضاء المصالح العامة ، وقد دلنا التاريخ على أن كثيراً من زعماء الإسلام وعلمائهم يدوسون منافعهم الخاصة بأقدامهم ، وإذا وجدوا موضعاً لنفوذ الكلمة لم يذكروا إلا مصلحة عامة أو مصالح أشخاص يبتغون من السعي لها رضا الله في الدنيا والآخرة .

وخلاصة المقال أن الإسلام أقام التعاون على أساس محكم ، ومدّله في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب ، فإذا وضع السامعون أيديهم على هذه الأسباب الوثيقة ، بلغت بهم المسكنة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله تعالى : ( وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٣)</sup> محمد الحضر حسين

# النفس

## سورة النور

١٦

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرُّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ آلَافُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفَبِ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .

قوله تعالى : «والله خلق كل دابة من ماء» الآية ، متسق مع ما قبله في نسق واحد ، وهو بيان عظمة الإلهية ، والإرشاد الى الآثار الربانية ، البالغة منتهى النظام وغاية الأحكام ، الدالة على جلال مبدعها ، وقدرة موجدتها ، وتنزهه عن شريك أو ضريب ،

فلو كان هناك إله غيره ما استقام لها هذا النظام وهذا الإبداع سالماً من كل ما يشوبه أو يفسده : لو كان فهما آلهة إلا الله لفسدتا .

والدابة : اسم لكل مادب على وجه الأرض . وقد تستعمل في العرف العام خاصة بذوات الأربع . والمراد هنا كل مادب ودرج من إنسان وأنعام ووحوش وزواحف وطيور وأسماك وغيرها . والمراد بالماء إما العنصر المعروف ، باعتبار أنه لا غنى عنه في تخلق الحيوان ، وإما النظفة التي يتكون منها الحيوان . وكون آدم عليه السلام خلق من التراب بلا نظفة ، وعيسى عليه السلام خلق بنفخ الروح بلا نظفة أب ، لا يقدر في السكينة . لأن المراد بلفظ كل التكثير لا العموم ، كقوله تعالى : «يجي إليه ثمرات كل شيء» فان أريد بالماء العنصر المخصوص فلا ورود لهما لما عرفت أن الماء داخل في قوام كل حيوان ، أو لما قيل من أن أصل المخلوقات الماء ، إذا صحت الرواية في ذلك . وأياً ما كان فان هذه الآية تشبه في الدلالة على باهر القدرة قوله تعالى : «يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل» ففي كل منهما شهادة بعظم اقتداره ورجوع الأمر في التخصيص بالأحوال إلى مشيئته ، فقد خلق الأنواع من أصل واحد ، وباعد بينها أنواعاً وأفراداً ، حتى لا تكاد تجد فرداً يشبه فرداً من جميع الوجود ، فهو وحده المبدع والمدير والمتصرف في خلقه كما يشاء . ولما كان لفظ دابة قد استعمل في العقلاء وغيرهم ، وكان الاستعمال الفصيح في هذه الحال أن يغاب العقلاء على غيرهم ، أتى بالضمير بصيغة ضمير العقلاء في قوله : «فمنهم من يمشي» الخ ، فإن ضمير (هم) خاص بالعقلاء . وبهذا حسن استعمال من في قوله : «من يمشي على بطنه» وقوله : «من يمشي على أربع» وأما قوله : «من يمشي على رجلين» فالأمر فيها ظاهر ، فانها للإنسان والطيور ونحوهما ؛ وتغليب العاقل أمر معهود . على أن المشاكلة من المحسنات البديعية ، وهي التعبير عن شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، كقول الشاعر :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه      قلت اطبخوا لي جبة وقيصا

والحاصل أن لفظ دابة شامل للعقلاء وغيرهم، فعاد عليه ضمير العقلاء في قوله :  
 فمنهم ، لتغليب العقلاء . ولفظ « من يمشى على بطنه » و « من يمشى على أربع » خاص  
 بغير العقلاء، مع أن من للعقلاء، فإماتتابعة لحكم الضمير السابق، وإما من باب المشاكلة.  
 ولما كان سياق الكلام لإظهار باهر القدرة واجتلاء الآثار الدالة على أنه لا يعجزه  
 شيء، بدأ بمن يمشى على بطنه أى بدون آلة مشى وهى الأ رجل، حتى يبهز السامع لأول  
 ما يلقي به فيعترف بأن ذلك تقدير العزيز العليم، ولذلك سمي هذا مشياً وإن كان الأ أكثر  
 تسميته زحفاً؛ ولا تنس حديث المشاكلة الذى قدمناه آنفاً؛ ثم ثنى بما يمشى على رجلين  
 وثالث بما يمشى على أربع، لأنها تلى ذلك فى الدلالة على المقصود، فكأنها تتميم لها  
 واستيفاء لما قصد منها. وقد اقتصر على من يمشى على أربع مع أن هناك من يمشى على  
 أكثر، إما لدخولها فى قوله : يخلق الله ما يشاء، وإما لما قيل إن الدواب التى تمشى على  
 أكثر أعمادها فى الحقيقة حال المشى إنما هو على أربع والباقي كالمساعد للأربع. والله أعلم.  
 ومع ذلك فالأكثر فى توجه التأمل إليه هو الأصناف الثلاثة : الماشى على بطنه، وعلى  
 رجلين، وعلى أربع؛ وأما الأصناف الباقية فقلما يتوجه إليها النظر والتفكير لندرتها  
 وقلة ملابسة الانسان فى شئونه لها.

وقوله تعالى: «إن الله على كل شيء قدير» كالنتيجة لما قبله . وإظهار لفظ الجلالة  
 للتنويه بالحكم المقصود واقعا على صريح اللفظ الكريم، إذ كان هو المقصود بالذات،  
 كما أن إظهاره فى قوله : « والله خلق كل دابة من ماء » للعناية بأمر الخلق وإفادة أنه  
 من الأحكام الخاصة بالإله لا يشركه فيها مخلوق . والله أعلم .

قال تعالى : ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ . وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ) :

بعد أن ساق جل شأنه من الأدلة الباهرة والبراهين الساطعة ما يملأ القلوب إيماناً، ويشبع النفوس يقيناً، ويقطع كل شك، وينفي كل ريب، شرع جل جلاله يبين حال بعض من أضله الله عن الهدى حتى عمى عن هذه الشمس الساطعة ولم تفده تلك الحجيح القاطعة، لتعلم أن هدى الله هو الهدى، وأن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، حتى يدوم للمؤمن التجاؤء إلى ربه، ويبقى هو موثله في كل أمر مهما تقوت أسبابه، فلا يأمن مكر الله، ولا يعمل على قواه، ولا يخرج لحظة عن الحظيرة المباركة التي هي منزلة بين الخوف والرجاء، ومعناها الرجوع إليه في كل الأشياء، فقال: «لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» مردفاً لها بقصة أولئك المنافقين التي ساقها بعد هذه الآية على وجه يجعل هذه الآية كالمقدمة لذكرها، حتى يكون الكلام كله على سنن واحد، وفي نسق متسق.

وسبب نزولها: أن رجلاً من المنافقين كان بينه وبين يهودى خصومة، فدعاه اليهودى للتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاه المنافق للتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فرارا من التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى دعا إليه اليهودى، كأن كلا منهما يعلم أن الحق في جانب اليهودى، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجيد عن الحق، فلذا كانت رغبة اليهودى في التحاكم إليه عليه السلام، بينما يطمع المنافق في محاباة كعب بن الأشرف له حين يقول له: لقد دعوتك إلى التحاكم إليك وكان يدعوني للتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. ثم انتهى للتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحكم لليهودى، فلم يرض المنافق بقضائه عليه السلام، وقال: بل نتحاكم إلى عمر، وكأنه حدثته نفسه الخبيثة بالطماعية في عمر كما كان يطمع في كعب بن الأشرف، فرضى اليهودى وتحاكما إلى عمر، فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه: تحاكمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففضى لى فلم يرض بقضائه، فقال عمر للمنافق: أحق هذا؟ قال:

نعم ، فقال : مكانكما حتى أخرج إليكما ، ودخل بيته وخرج بسيفه فضرب عنق المنافق حتى برد ، وقال : هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . ووجه ذلك أن الرجل قد أعلن الردة برده قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجهره بأنه قد حاف عايمه ، وحكم المرتد القتل ؛ وقد تحاكما إليه ورضيا بقضائه . وروى أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن عمر قد فرق بين الحق والباطل ، فسمى الفاروق من حينئذ . وروى في سبب نزولها أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي كرم الله وجهه شراكة في أرض فتقاسماها فوق علي جزء ، لا يصل إليه الماء إلا بمشقة ، فقال المغيرة : بعني أرضك فباعه إياها وتقابضا ، فقال الناس للمغيرة : اشتريت أرضا سبخة لا يصل إليها الماء فرجع على علي يقول : إنما اشتريتها على شرط أن أرضاها ولم أرضها ، فقال علي : بل اشتريتها وأنت تعرفها ، وقبضتها وأنت تعرف حالها ، لا أقيها منك ، ودعاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة : أما محمد فاست آتية فإنه يبعضني وأخاف أن يحيف علي . فنزلت الآية .

وعلى هذا كله يكون اتساق الآية بعد الآي السابقة التي جملت من البراهين ما جملت ، هكذا : هذه الأدلة ترونها تجلي عليكم فلا تدع مرية في نفس ، ولا يعتريها شك ولا ابس ، وهكذا شأن آيات الله ، لقد أنزل آيات مبينات ، أي تبين الحق من الباطل والرشد من الغي ، أو آيات يبينات في نفسها ، يقال بين بمعنى تبين ، كما يقال قدم بمعنى تقدم ، إلا أن وضوح الآيات في نفسها وتبينها السبل تبيننا وإفيا لا يغني عن توفيق الله للهدى ، بل من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، بل قد يصل الأمر ببعض من خذلهم الله إلى أن يعلم الهدى وموضعه والزنج وموقعه ثم يعرض عنه إباء واستكبارا ، أو طمعا في عرض الدنيا واستمثارا ، ومع ذلك يكون قد أعطى العهد على نفسه ، وأعان التزام حكم الإيمان وطاعة الله ورسوله ، ثم يتولى معرضا

عن حكم ربه لأنه لم يوافق هواه، كما حصل من هؤلاء المنافقين، فما كان إعراضهم عن خوف من حيف كما يتشددون، بل أولئك هم الظالمون. وهل أدلّ على ذلك من أنهم إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعنين؟

قوله تعالى: «لقد أنزلنا آيات مبينات»: جيء بها هكذا بلا عطف، لأنه ابتداء الشروع في شرح حالة جديدة، وهي حال المنافقين الذين يعلنون الإيمان ويتجلى لهم البرهان، ومع ذلك يتمادون في طغيانهم. والكلام المبتدأ من جديد لا حاجة به إلى العطف على ما سبقه، وإن كانت مناسبتة ظاهرة كما شرحناه. ولم يقل: أنزلنا إليكم، كما قال في الآية السابقة، لأن الكلام فيما سبق كان لتوجيه نظرهم إلى الأحكام التي سيقم لهم ليستبصروا بها ويعرفوا مقدارها، فيحرصوا على امتثالها، ثم يأخذوا منها فائدة أجل، وهي علم أنها لم تصدر إلا عن النور الإلهي، فهو وحده الجدير بأمثال هذه الهدايا، فلذا قال: أنزلنا إليكم. وأما هنا فإن الكلام مسوق لبيان حال الآيات في نفسها، وأن الله قد أنزلها بينة مبينة، لا يشك فيها شك ولا يرتاب فيها مرتاب، ومع ذلك يصادف الخذلان بعض الناس المطلعين عليها فتعشى أبصارهم وتعشى بصائرهم عنها، وهذا شأن يرجع إلى نفس الآيات لا يختص بالمخاطبين. وقوله: «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» لتقرير أن جلاء النور لا يغني عن الرجوع إلى واهب القول على ما سبق. وقد قال القائل:

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وقوله تعالى: «ويقولون» معناه أن من الناس من يقول بلسانه آمنا وأطعنا ثم يتسأل فريق منهم ويعرض عن حكم هذه المقالة، والباقي منهم عرضة لمثل هذا يقرون إخوانهم عليه، فأصحاب هذه المقالة الجوفاء الكاذبة في تصوير معتقداتهم ليسوا من المؤمنين في شيء. وعلى هذا فضمير «يقولون» المنافقين، وهم وإن لم يسبق ذكرهم فإن



بقية الكلام مبين المراد . ومثل هذا فيما يجرى بين الناس في مخاطبتهم أن يبدأ الرجل كلامه بمثل هذه العبارة : إني أعجب من هؤلاء الناس يا أخى : يعاهدوننى على أنهم معى الى آخر الأمر ، وبجرد أن تبدر أول بادرة مكروهة لا أجد حولى منهم أحدا ؛ فقد تعاهد معى فلان وفلان الخ . وتجد للكلام تمكنا فى النفس ليس له إذا بدأت بتعيين المحدث عنه بادئ ذى بدء . وعلى هذا فقوله : « وما أولئك بالمؤمنين » إشارة الى القائلين هذه المقالة جميعهم .

وجوز أن يكون ضمير يقولون اكل من أظهر الايمان صادقا أو كاذبا ، وقوله : يتولى فريق منهم ، المراد به المنافقون . والإشارة فى قوله : وما أولئك بالمؤمنين ، للفريق خاصة ؛ وهذا مع ظهوره لا يساوى الأول فى دقة الأسلوب ، فتميل الى ترجيح الوجه الأول فى تفسير الآية الكريمة .

ومعنى يتولى : يعرض . والإتيان بـ ثم التى معناها التراخى فى الترتيب للإشارة الى أن التولى أمر بعيد الحصول ما كان يظنه العقل ، فمن صدر منه الاعتراف بالايمان والطاعة فمن البعيد أن يعطى على نفسه عهدا بالطاعة بعد تلك الآيات البينة ثم يتولى عن حكم الله ورسوله . وأما على الوجه الثانى فعنها استبعاد تولى هذا الفريق الى طريق الشقاء والضلال بعد أن اندرج فى زمرة المؤمنين ، فما كان يُظن بما قل أن يتولى عن فرقة الراشدين بعد أن اندرج فى زمرتها الى فرقة الغاوين .

وقوله : وما أولئك بالمؤمنين ، إذا رجع الى كل القائلين يكون معناه أن الذين يقولون آمنا ثم يتسللون فيتولى فريق منهم والباقي سكوت عليهم موافقون على مسلكهم — هؤلاء كلهم ما هم بالمؤمنين ؛ وإذا رجع الى الفريق المتولى خاصة فأمره ظاهر . وأيما كان فاختيار لفظ أولئك فى التعبير عنهم دون الضمير ، لتصويرهم بالصفات التى تجردوا من الايمان بسببها ؛ وكونه بصفة البعيد لتحقيق منزلتهم وإقصائهم عن أن يلتفت اليهم

أو يكونوا بمقربة من ساحة الخطاب. ويشبه هذا من بعض الوجوه قول الناس في مخاطبهم حين الذم أو الاشمئزاز: (البعيد) أو (الأبعد). فهي مثل هذا في أغراضهم وإن لم يفظنوا الى تصويره حق التصوير. وقوله: بالؤمنين، بصيغة المعرف باللام، للتنويه بعظمة المؤمنين كأنه يقال: ليس أولئك بالؤمنين المعروف حالهم الظاهر أمرهم الذين لا يلتبسون ولا يخفون. وقوله: من بعد ذلك، مبالغة في استبعاد أن يصدر هذا التولى ممن يعقل، من بعد أن اندمج في المهتدين، واعترف على نفسه بالايان، وأعطى على نفسه حكم الطاعة، ووضحت له الآيات البينة، أفن بعد ذلك كله يكون التولى؟ والإشارة التي للبعيد في لفظ ذلك لتعظيمه. وما أكثر النكات التي يعطيها اسم الإشارة في البلاغة العربية! وقوله تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ):

من تمام تصوير حالهم الشنيعة، فقد وصفهم أولاً بالتولى من حكم الايمان في الجملة، ووصفهم هنا بإظهار الإعراض والتمرد عند دعوتهم للتحاكم. وقوله: «ليحكم بينهم» أي وبين خصومهم. والتعبير يحكم بينهم دون عليهم، ليقطع ما عسى أن يتلمسوه عذرا لهم من أنهم فروا من الحكم عليهم، وكل امرئ يخاف من أن يحكم عليه، فلذا عدل الى هذه العبارة الدالة على أنهم دعوا ليحكم بينهم، عليهم أولهم. وقوله: «إذا فريق منهم معرضون»: «إذا» هنا تسمى اذا الفجائية، وهي جواب لا إذا الأولى الشرطية. والمعنى أنهم إذا دعوا للمحاكمة فاجأ الداعي إعراضهم وأنهم مصممون على الإعراض معزرون عليه من قبل. وهذا سر المدول عن لفظ أعرضوا في الجواب الى هذا، فكأن المعنى أنهم منطوون على الإعراض عن حكومته مصممون على ذلك من قبل الدعوة، فإذا جاءت الدعوة فاجأها إعراضهم الثابت المستقر. وكأن قوله: فريق منهم، بدل قوله: إذا هم معرضون، للتوطئة لقوله: وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين. وكأنه

يبادر بإفادة أنهم ليسوا كلهم معرضين عن حكمه ، بل إنما يعرضون حين يعلمون أن الحق عليهم لا لهم ، فإن علموا أن الحق بيدهم — و قليلا ما يكون ذلك بدليل التعبير بأن التي للشك أو القلة والندرة في الشرط — أتوا اليه مدعين طائعين مستسلمين لحكومته أو مسرعين مبادرين ، كما روى في تفسيره ، فقد روى تفسير مدعين بمستسلمين وبمسرعين .

قال تعالى : ( أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) :

هذا أشبه شيء بما يسمونه السبر والتقسيم ، ليبطل الباطل ويحق الحق ، فقد ردد أمرهم في التقسيم بين أشياء في سياق الاستفهام الإنكارى ليخلص الى النتيجة المحتومة ، وهي بيان أن الباعث الحقيقي على إعراضهم إنما هو توغاهم في الظلم حتى كأنهم وحدثهم هم الظالمون لا يشاركهم في ذلك الظلم أحد . ومعنى الآية : أعميت بصائرهم فلم يدركوا رسالته صلى الله عليه وسلم ؟ فرض القلوب معناه عمى البصائر عن الإدراك ، أم هم في شك من أمره عليه السلام فلا يدرون أيوفق في حكومته أم لا ، أم لحقهم الخوف من الحيف لما شعروا به من أنه عليه السلام يبغضهم ، كما صرح بذلك بعضهم علنا ، فأعراضهم خوف على حقهم أن يضيعه بغض الرسول عليه السلام لهم ؟ كلا ، لم يكن شيء من ذلك هو الباعث . فلو كان الباعث لهم على الإعراض أحد هذه الأشياء فلماذا يأتون مدعين طائعين مستسلمين مسرعين إن كان لهم الحق ، ويخصون إعراضهم بحالة ما إذا كان الحق في جانب خصومهم ؟ فهل هذا إلا شيء واحد وهو علمهم أنه لا يقضى إلا بالحق وأن الحق في جانب خصومهم ، فهم جازمون بأنه سيحكم عليهم ؟ وهذا كقول القائل : إذا لم تكن مدينا لي حقا فلماذا تخاف من توجهي الى محكمة العدل ؟ فهؤلاء لم يكن الباعث لهم على الإعراض عمى قلوبهم عن الحق وإن كانوا عمى القلوب حقا ، ولا ارتياهم

في عدالة حكومته عليه السلام ولو كانوا غير مؤمنين ، فقد أذن السكك الى أنه عليه السلام لا يقضى إلا بالحق ، وما اتهموه بكذب ولا جور حتى كبار المشركين في الإشرار ؛ وما كان ذلك خوفاً من حيف ، فقد علموا أنه أبعد من أن يحيف في حكومته ، وإنما باعهم على الإعرض محض تمسكهم بالظلم . وعلى هذا فالاستفهام إنكارى ، وليس محل الإنكار هو مرض قلوبهم وما معه ، فهم مرضى القلوب ولا شك ، وإنما محل الإنكار أن يكون هذا هو باعث الإعراض ، بل باعث الإعراض هو ظلمهم وتمسكهم بغير الحق . وإنك لتعرف موقع البراعة في أن يجمع الاسم الكريم الى اسمه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ( وإذا دعوا الى الله ورسوله ) وفي قوله : ( أن يحيف الله عليهم ورسوله ) ففيه من التنويه بشأن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ، فقد بين أن حكمه حكم الله ، وأن ما يصدر منه فهو صادر من الله ، فكيف يتصور أن يصدر منه حيف . بل قد جىء بالآية على وجه يدل على استحالة ما يخافونه ، على فرض أنهم يخافون ذلك ، فقد قيل : أم يخافون أن يحيف الله عليهم ، وكيف يعقل من الله حيف ؟ ثم عطف عليه لفظ رسوله كأنه ليفهم أنه لا يمكن الحيف من الرسول إلا إن أمكن الحيف من الله ، وهذا مستحيل قطعاً ، والنبي لا يحكم إلا بما أمر به ربه ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فنسأل الله أن يجعلنا ممن تمسك بهداه ، لا من اتخذ إلهه هواه ، فأضله عن سبيل الله .

رب إن الهدى هداك وآيا      تك نور تهدى بها من تشاء

ابراهيم الجبالى

# الْإِيمَانُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ :  
أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ  
يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

الايمن : هو التصديق الجازم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغا  
عن ربه مصحوبا بإذعان النفس وقبولها وطمانينتها له وعدم إياها مكابرة أو عنادا  
واستكبارا . وقد يوجد الجزم ويرتفع عن النفس الريب والشك ولكن تبقى المكابرة  
والإباء والعناد وعدم الإذعان ، فثقل هذا لا يعد إيمانا . ولكن المؤمن حقا هو من  
أذعن نفسه واطمأن قلبه وانشرح صدره ورأى في ذلك نعمة كبرى من الله عليه  
يغتبط بنيلها ويحمد الله على منته بها ويقول باسان حاله : الحمد لله على نعمة الايمان .

ولكل نعمة لذة تقوى بحسب نذبه النفس وشعورها بعظم الانتفاع بها ، ويزداد الشكر  
عاياها وتقديرها بحسب ما يدرك من نالها من آثارها . فكم ترى في الناس من آمن  
في يسر ورخاء وهو غافل عن نعمة الأمن واليسار . وإن المتمتعين بنعمة الصحة مع  
غفلتهم عن الشعور بها لا أكثر من أن يحصوا ، حتى قيل : الصحة تاج على رؤوس

الأصحاء لا يراه إلا المرضى . فالنعم قد تصادف للرء ويكون وافر الحظ منها وهو مع ذلك لا يتذوقها ولا يحسها لأنه منصرف عن التفكير فيها والالتفات إليها ، وإنما يوجهه إليها ويشعره بها حرصه على اجتناء ثمرها وقيامه بواجب شكرها .

ومن أجل نعم الله على العبد نعمة الإيمان . ولقد ترى الكثير ممن آمن وجزم واستيقن وخلص من الشك والريب وسلم من آفة العناد والمكابرة ، ولم يبتل بكراهية ما أنعم الله به عليه من نعمة الإيمان ، تراه مع هذا مستغرقا في غفلته ، منصرفا عن أن يقدر نعمته حق قدرها ، مقصرا في القيام بواجب شكرها . فمثل هذا مؤمن ولا شك ، إلا أنه لم يذق لا إيمانه طعما ، ولم يدرك له لذة . وكيف يدرك لذة لم يلتفت إليها ولم يتنبه لعظيم قدرها ولم يشعر بغبطة لإحرازها ! ومثله مثل من نشأ في مجبوحة من العيش ولم يلتفت الى حال الفقدان والعدم ، فعلمنا تجده قائما بشكر نعمة السعة ، إلا أن يزجه تعرضها للزوال ، فعندئذ يتنبه لما هو معرض له من أخطر الأحوال . كذلك تجد هذا قلما يتنبه للإيمان ونعمته ، إلا إذا كان عرضة للمهاجمة فيه ومحاولة انتزاعه منه ، فتنبه حواسه ويستيقظ من سباته ، كما يحكى عن ذلك المؤمن الذي كان منغمسا في الشهوات ولا يتحاشى عن تعاطي المسكرات فعرض له أحد المغوين الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين وظن أنه يختلس منه إيمانه وهو في غفلة من سكره فتقدم له يقول : إنك شاب مهذب نشأت ربيب نعمة وتعودت الرفاهية ومثلك لا يمكنه إلا قلاع عما اعتاد من ترف ، ولكنك تدين بدن يحظر عليك هذه العادات التي تملكك ، ويتوعد بانار كل من تعاطاها ، فإن بقيت على ذلك الدين وأنت تتعاطاها حكم عليك بدخول النار ، أفلا أدراك على دين متى اعتنقته استبحت كل شيء ، ونجوت من عقابه ؟ ذلك أن تؤمن بمخلصنا المسيح ، فانه افتدانا من الخطايا بصليبه ، فتي آمنت به نجوت من كل عذاب مهما فعلت من الجرائم . فاهو إلا أن وصل به الى هذا حتى تنبهت فيه غريزة إيمانه وتحركت فيه نحوه دينه ،

فصحا من سكرته ، ودفع ذلك المضل في جبهته ، وقال له : اخسأ يا كافر ! إنا نطلب من الله أن يغفر لنا جريمة السكر فتريد أنت أن توقعنا في الكفر ؟ ! فذهب عنه خاسرا . فمثل هذا ممن شملتهم نعمة الإيمان ، ولكن ذهلوا عنها بسكرة الحياة الشهوانية وانغمسهم في حمأة من الترف بل البهيمية ، فقلما يذوق أحدهم لذة إيمانه أو يشعر بعظيم النعمة التي أنعم الله عليه بها ، وكيف ينتفع بالنعمة من لم يعرف قيمتها ، وكيف يقوم بشكرها من لم يقدرها حق قدرها .

ولقد جاء هذا الحديث ينير لنا الطريق الذي به نتعرف مقدار هذه النعمة العظمى : نعمة السعادة الدائمة والنعيم المقيم ، نعمة الإيمان الضامنة لسعادة الدارين ، لنجني ثمرها ونوفيا شكرها ، فأرشدنا الى ما به نمتحن نفوسنا ، فإن وجدنا فيها أماراة الإيمان حمدنا الله وزدناها نموا ، وإن وجدنا النفوس خلوا منها جاهدناها حتى نحليها بها ونروضها عليها ، وذلك من أعظم وسائل تربية النفوس ومراقبتها ليكمل نقصها وتحلى بما فقدت من فضائل ، فقال عليه أفضل الصلاة والتسليم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » والمراد ثلاث خصال ، وهى المبينة فيما يأتى . وستعرف مقدارها من الدين ليتجلى لك أن هذا الحديث أصل عظيم جامع لأبواب الخير . وحلاوة الإيمان هو ما يتذوقه المؤمن المطمئن النفس من لذة هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه فهيأها بها لآحراز سعادتي الدنيا والآخرة . أجل : سعادة الدنيا بإرشاده الى ما فيه صلاح معيشتة وتهذيب نفسه وتنظيم حياته الخاصة والعامة ، وناهيك بما يفيضه الإيمان على صاحبه من نعمة الصبر على البلاء ، والشكر على السراء ، والنظر الى كل ما يصادفه المرء في حياته بأنه صادر عن الحكيم العليم ، فيشهد فيه ما ينشج له صدره ويطمئن له فؤاده ، فلا يفتأ يشهد من بديع الحكم ما يربو على المتنقل في بستان بين طيب الرياحين وبديع الأزهير وشهى الثمار . هذا ما يحده المؤمن من ثمرة إيمانه في الدنيا وما عند الله خير وأبقى . حلاوة

الإيمان يتذوقها المؤمن الصادق في إيمانه في كل مظهر من مظاهر حياته من سراء وضراء، فهو في كل شيء يشهد أثر اللطيف الخبير، فيستفيد بإيمانه لذة في الدنيا وأجرا عظيما في الآخرة.

الأولى — أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما :

الحب ميل النفس الى ما تجد فيه لذة أو منفعة أو موافقة طبع . وأسبابه متنوعة ، فقد يحب المرء الشيء لأنه يعود عليه بالنفع ، أو يحب الشخص لأنه يسديه الإحسان ، وقد يحب الإنسان الشيء لما فيه من كمال ذات أو جمال صفات أو حسن اتساق . ولقد ذكر الغزالي رحمه الله للحب خمسة أسباب وهي :

( ١ ) حب الإنسان نفسه ، ووجوده ، ودوام وجوده ، وكماله ، وذلك ضرورى .

( ٢ ) حب الإنسان من أحسن اليه وانتفع منه منفعة ما ، وهو ما يشهد به كل إنسان . جبلت النفوس على حب من أحسن إليها .

( ٣ ) وحب المحسن في ذاته لنفس الإحسان وإن لم يصل أثره الى الإنسان ، فإننا إذا سمعنا بشخص له إحسان وبر ، وقد بسط خيره وكثر منه النفع للعباد ، وجدنا من نفوسنا الميل اليه ، وعلقت محبته بالقلوب ، وإن كنا في غنى عنه وعن إحسانه .

( ٤ ) وحب الجمال والحسن في ذاته بقطع النظر عن أن يعود علينا منه لذة أو منفعة ، والجمال يتفاوت الى أنواع ومراتب كثيرة لا تنحصر : فنه حسن كحسن الأزهار والألوان الجميلة والأشكال الهندسية المتقنة والخط الحسن والحيوانات المتناسبة الأجزاء أو الطيور الزاهية الألوان وأمثال ذلك ، ومنه معنوى كحسن الأخلاق الكاملة والصفات الفاضلة ، كالعلم والذكاء والشجاعة والعدل وضبط النفس مع القدرة وهلم جرا . فكم ترى لبعض المشهورين بالشجاعة من محبة في نفوس العامة الى درجة



التفاني في التعصب لتفضيلهم والتقاتل في سبيل الذب عن مكانتهم، وما ذلك عن رؤية لذواتهم أو صلة بينهم وبينهم، وإنما هو الولوع بالصفة الفاضلة التي تعتبر مثلاً أعلى في الجلال النفسى عند أولئك الأقوام، حتى لقد يكون صاحب الصفة شخصاً خيالياً وتقاض عليه صفات الجلال مضمومة بعضها الى بعض، ويذكر من شواهد ما يعزز وجودها وكمالها فيه، فتملق محبته بالقلوب ولو صور بصورة زنجى أسود. فهذا من حب الجلال المعنوى حيث لا إحسان فيه لك ولا لغيرك، ولا فائدة منه مرجوة للمحب تعود إليه أو الى أحد ممن يتصل به.

(٥) وحب الإنسان لمن بينه وبينه مناسبة وألفة ولو لم تكن تلك الأسباب السابقة أو شئ منها موجوداً، وذلك كما ورد في الحديث: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وإذا نظرنا الى هذه الأسباب وجدناها موجبة حب المؤمن العارف لربه حباً لا يشاركه فيه محبوب. فأما السبب الأول وهو حب الإنسان لنفسه ووجوده وكماله وبقائه فهو ظاهر التوصيل الى حب الخالق الموجد المكمل للمبقي. وهل يتصور امرؤ يحب أن يعيش ولا يحب ما به قوام معيشته وما لا يحيا إلا به كقوته وماله؟ وهل يمنح الوجود والكمال والبقاء إلا الله الموجد؟ وكذلك السبب الثانى فى غاية الظهور، فلا محسن على الحقيقة إلا الله تعالى، وما يتصور من إحسان غيره فهو إحسان مجازى لا يزيد فى مجارى العادات على إحسان خازن مال الأمير على شخص بأمر الأمير. فإذا نظرت الى ملك الأمير لماله بالنسبة الى مالك الأمر كله فإنه أضعف من نسبة خازن المال الى الأمير، فالأمر مسخر فى عطايه للدواعى التى سلطها الله عليه لا يستطيع منها فكاً، كما أن الخازن لا يقدر على مخالفة أمر أميره، بل تسخير الأمر لدواعيه أقوى من سلطان الأمير على الخازن. وفوق هذا فالمحسن من الناس لا يحسن إلا فى مقابلة عوض: من انتظار أجر

وثواب، أو إحرار محمد وثناء، أو اشتها راسم وبعد صيت، أو ما مائل ذلك من دواعي الإحسان . وأما الإحسان الإلهي فإنه إحسان وفضل محض لا يعود منه الى المحسن فائدة ولا له فيه غرض ، فقد تنزه جل شأنه عن الأغراض .

هذا في الإحسان الى الحب خاصة . أما الإحسان المطلق وهو السبب الثالث ، فأى محسن يتصوره الوهم يمكن أن ينسب إحسانه الى الجود الإلهي المطلق ، كيف وكل ما في الوجود هبة من هباته وجزء من نفعاته ؟ لا ينكر ذلك بر ولا فاجر ، ونعم الله على عباده لا تحصى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) .

أما الجمال والكمال في الذات والصفات والتنزه التام عن سمات النقص ، فمن خواص الذات الأقدس ، المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقصان . فالحب للكمال والجمال متى نسب إليه فقد ضاع كل حب دونه . بقى السبب الخامس وهو الحب للمناسبة والمشاكلة ، ففي هذا النوع خفاء يحتاج الى كشف وإيضاح ، فان مشاكلة المخلوق للخالق مستحيلة بالضرورة والبرهان ، فما يتحقق منها في هذا الباب يحتاج الى تلمظ في الفهم وأناة في التعقل .

لقد اتصف جل شأنه بصفات تفرد بها وكان لها تعلقات وآثار دعا المؤمنين الى التأسي به فيها ، كالرحمة والرأفة والإحسان والعطف والبر . وقد جاء : تخلقوا بأخلاق الله . فالؤمن الذي وفقه الله للتخلي بهذه المكارم والأخلاق الفاضلة يجد نفسه مظهرًا لبعض الصفات التي يمن الله بها على عباده ليتخلقوا بأخلاقه ؛ فإذا كان مظهرًا للرحمة أو للعدالة أو للبر والخير وذكر الرحمة الإلهية والعدل الإلهي ، فلا شك أنه يحس من نفسه اقترابًا لتلك الصفات الكمالية التي ينعم بها الخالق على المخلوق ، وتكون من باب التأسي والافتداء ، وإن كانت المسافة شاسعة بين المقامين ، فيحس حينئذ بالزلفي التي تدفعه الى المحبة والتعلق الروحاني . وأول باب لذلك التقرب بالنوافل . ومن هذا جاء في الحديث

القدسي: «لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به». والمعنى والله أعلم: أنه فى كل ما ينظر ويسمع ويخطر له من خطرات يراعى معنى التقرب الى الله ويتحرى مرضاته، وكفى بهذا تصويرا فى معنى الألفة بل فى تقريب أسباب المحبة من الأفهام، وإلا فالمحبة وجدان تعالى عن أن يناله الشرح أو يكفى فيه الوصف.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها  
وإنما أطيننا فى هذا المقام لأن بعض الناظرين فسر المحبة بالطاعة والامتثال فحسب  
وقال: إن المحبة لا تتصور إلا بين الأجناس المتألفة أو التى يتصور فيها التألف، وذلك  
محال بين الخالق والمخلوق فتحمل على لازمها وهو الطاعة. وقد علمت ما يزيل هذه الشبهة  
وأن المحبة لا تقتصر على ذلك، إلا إن نظر الى نوع منها هى المحبة الشهوية كمحبة الحيوان  
للحيوان. وليت شعرى كيف يفسر هؤلاء محبة الانسان لمظاهر السكون المنسجمة  
أو للأزاهير والرياحين أو للبلاغة والبراعة أو للأشكال الهندسية المتقنة وهكذا  
مما لا ينحصر!

نعم ثمرة المحبة الإلهية الطاعة والامتثال، ولكن فرق بين طاعة عن حب وطاعة  
عن رغبة أو رهبة. روى أن عيسى عليه السلام مر بقوم يعبدون خشية النار أو رجاء  
الجنة فقال: إنكم تخشون مخلوقا وترجون مخلوقا. ومر بآخرين قد نحتل أجسامهم من  
العبادة وقالوا: نعبده حبا له وتعظيما لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقا، معكم أمرت أن  
أجلس. ويقربه من الذهن فى معتاد الناس أن يقول الرجل الذى عرف من آثار ملكه  
وعدله وحس تقديره للأمور ونحو ذلك من الصفات الحميدة: إني أخدم ملكى لا بمجرد  
أن القانون يوجب ذلك بل لأن هذا الملك أهل لأن يحب مستحق لأن يخدم، وإن  
من عرف فيه ما أعرف من صفات الكمال يجد لذته فى أن يخاض إليه ويتقرب منه.

هذا في أصل الحب وهو أمر يزداد وينمو بقوة الايمان والطاعات حتى يكون ماثلا دائماً أمام الحب ، فيصل عند بعض المفكرين الى أن تكون قلوبهم دائماً مشغولة بذكره متلذذة بتحميده وتمجيده والزلفى اليه . نسأل الله أن يوفقنا لمرضاته .

وأما حب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من حب الله ، فإنه ليس أحد بعد الله أمنّ علينا ممن اصطفاه لتبليغ هدايه وتوصيل رحمته إلينا ، وبه أنقذنا من الظلمات الى النور وأعدنا للسعادة الدائمة والنعيم المقيم ، وقال مخاطباً له : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) . وكون الله ورسوله أحب الى المؤمن مما سواهما ، أى من أهله وولده ووالده والناس أجمعين ، بل أحب اليه من نفسه . وليس في هذا تمدد ولا غرابة ، فالمؤمن هو الذى يفتدى نبيه بنفسه ، حتى لو خسر في الضرر يصديه أو يصيب نبيه فلا يرغب بنفسه عن نفس نبيه ، ففي افتداء نبيه بنفسه تقديم حياة دائمة وسعادة خالدة على متاع زائل وعرض فان . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

الخلاصة الثانية — أن يحب المرء لا يحبه إلا الله :

وهذا فرع عن الخلاصة الأولى وهى محبته لله ، فالذى يحب الله حبا صادقا إذا أحب امرءا فإنما يحبه لما يراه منه من طاعة ربه ، وليس معنى هذا أن من أحب إنسانا لبعض أغراض نفسية يخرج بذلك عن الايمان ، وإنما المعنى أن الذى يعتبر ثمرة من ثمار الايمان ودليلا على أن الشخص قد ذاق حلاوة الايمان ، أن يكون منه حب فى الله وبغض فى الله ، أى أن يوجد منه حب لا يكون الدافع اليه غرضا نفسيا ولا غاية شهوية وإنما يكون داعيه هو قيام المحبوب بطاعة الله ، وأنه من المقربين الى الله ؛ وكذلك داعية البغض تلبس للبغوض بمعصية الله ، فهذا هو الذى يعتبر علامة ذوق المؤمن حلاوة الايمان ؛ فلا ينافى أن يوجد معه حب لشخص آخر لغاية من غايات هذه الحياة الدنيا ،

فإنه فرق بين أن يقال : أن يحب المرء لا يحبه إلا الله وبين أن يقال : ألا يحب أحدا إلا الله ولا يبغض أحدا إلا الله .

الخلاصة الثالثة — أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلتقي في النار :

وهي من الأمارات الظاهرة لرسوخ الإيمان في النفوس بل لحصوله واستقراره ؛ وكيف يكون مؤمنا بالله ورسوله من لم ير أن إيمانه هو وحده المنجى من النار ؟ وكيف يؤمن بالله ورسوله من لا يصدق بقوله تعالى : ( وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) فإما من حقا هو من لا يعزب عنه أو من لا يشك في أنه إن عاد الى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كان لا محالة يلتقي في النار نار الآخرة ، فهو يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلتقي في النار . ويصح أن يراد نار الدنيا ، والتشبيه باعتبار أنها أشد ما يخشاه الانسان من الألم المحسوس ، ولنار الآخرة أشد وأبقى .

وكما يكره المؤمن لنفسه أن يلتقي في النار يكره لأخيه المؤمن صغيرا كان أو كبيرا ولولده ولكل من له به سبب أو صلة نسب أن يلتقي في النار . فمن ذا الذي يرى إنسانا ما ولو كان لا يعرفه أو ولو كان عدوه ، يراه يتردى في النار على غفلة منه أو علم ثم لا يسارع لنقاذه منها مهما كان متحجرا القلب صخرى العاطفة ؟ إن هذا شعور تلميه الحساسية الإنسانية ، فكيف بعاطفة الإيمان التي هي مصدر الرحمة والرأفة والحنان . وإن ما يساق اليه سيئو الحظ من ضعفاء العقول : من أخذهم على غرة منهم ، واستغلال ضعفهم وسوء حالهم لردهم عن دينهم ، إنما هو ثمر يساقون إليه بأيدي مجرمة انتزعت منها الرحمة الى الإيقاع في النار ؛ فهل في المؤمنين من يستهين بأخيه وولده فيرى من يسوقه الى النار على غرة منه ثم لا تأخذه الشفقة لنقاذه منها واستخلاصه من هذا العدو الجبار ؟ !

وإن من البلية أن يزعم أولئك المضلون أنهم مرشدون ويقولون عن أنفسهم إنهم مبشرون . ولو كانوا على بينة من أمرهم وعلى يقين من صحة دعوتهم ما عمدوا الى اختلاس الضعفاء على غفلة من ذويهم وأهليهم ، بل كانوا يعمدون بالحجة والبينة ليدلوا على صحة أقوالهم ، أو على الأقل على أنها ليست سخافة وحماقة . فصاحب الحق المتمسك بالحجة والبرهان لا يخشى المجادلة بالبرهان ولا يعمد الى اختلاس الضعفاء والصبيان ولا ياجأ الى تلك الوسائل الإجرامية : من تغرير وتغذيب ، وتشويق الأطفال بقطع الحلو ، وخداع الشبان بأخس الوسائل الغرامية ، واستغلال ضعف المرضى وضجرهم مما هم فيه . وإنما لفتنة لعن الله من أيقظها . وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار . نسأل الله تعالى أن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي

## الى اديو

من الوجهتين الدينية والفنية

محاضرة قيمة ألقاها حضرة صاحب النضيلة العلامة الكبير الأستاذ الشيخ محمد بنحيت مفتي الديار المصرية سابقا في مركز فرع جمعية الهداية الاسلامية بالعباسية ؛ وحضرها جمع عظيم من العلماء والفضلاء . وقد بحث فضيلة الأستاذ في محاضراته عن هذه الآلة ( الراديو ) من الوجهة الفنية ، وتعرض لحكم قراءة القرآن في موضع إذاعتها ، وأضاف الى ذلك فوائد جلييلة ، فتلقاها الحاضرون بالإعجاب والثناء لفصيلته بطول البقاء (١) .

(١) ستنتشر هذه المحاضرة في عدد جمادى الاولى من مجلة الهداية الاسلامية .

## توحيد الألوهية - وتوحيد الربوبية

جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ما معناهما ، وما الذي يترتب عليهما ، ومن ذا الذي فرق بينهما ، وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه ؟ فنقول وبالله التوفيق :

إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره .

قال : إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة ، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين ، بدليل قوله تعالى : ( وَلَيْسَ سَاءَ لَهُمْ مَن خَاقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) ثم قالوا : إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا بما كفر به عباد الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء ، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها ، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالآولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ( بل قل محمد بن عبد الوهاب : إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان ، وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة ) فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح ، وفيه عدة دعاوى . فلنعرض لها على سبيل الاختصار ، ولنجعل الكلام في مقامين فنتحكما إلى العقل ثم نتحكما إلى النقل ، فنقول :

قولهم : إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية ، وغير معقول أيضا كما ستعرفه ، وما كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول لأحد دخل في الاسلام: إن هناك توحيدين، وإنك لا تكون مسلماً حتى توحيد توحيد الألوهية، ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة، ولا تسمع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبعون باتباعهم في كل شيء، ولا معنى لهذا التقسيم، فإن الإله الحق هو الرب الحق، والإله الباطل هو الرب الباطل، ولا يستحق العبادة والتأليه إلا من كان ربا، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك، كما قال تعالى: ( رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ) فرتب العبادة على الربوبية، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبد كما قلنا. ويقول تعالى: ( أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا لمن ثبت اقتداره التام، ولا معنى لأن يسجدوا لغيره. هذا هو المعقول، ويدل عليه القرآن والسنة.

أما القرآن فقد قال: ( وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ) فصرح بتعدد الأرباب عندهم، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب: إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد وإنما أشركوا في توحيد الألوهية. ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوها إلى التوحيد: ( أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَاكَ مُتَقَرَّبُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) .

ويقول الله تعالى أيضاً: ( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي ) وأما هم فلم يجعلوه ربا. ومثل ذلك قوله تعالى: ( أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ رَبِّي ) خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى. وانظر إلى قولهم يوم القيامة: ( تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّدُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) (أى) في جعلكم أرباباً كما هو ظاهر. وانظر إلى قوله تعالى: ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا نَأْمُرُنَا ) فهل ترى صاحب



هذا الكلام موحدًا أو معترفًا؟ ثم انظر الى قوله: (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) الى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره .

فإذاً ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية كما قال ابن تيمية ، وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلا الى توحيد الربوبية ، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام ( فهل هم أعرف بالتوحيد منه أو يعملونه خطأ في التعبير بالأرباب دون الآلهة ؟ ) .

ويقول الله في أخذ الميثاق: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققا عند المشركين ولكنه لا ينفعهم كما يقول ابن تيمية ، ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا ، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة: (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق الى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية حيث إن توحيد الربوبية غير كاف كما يقول هؤلاء ، الى آخر ما يمكننا أن نتوسع فيه ، وهو لا يخفى عليك . وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية ، ولو لم يكونا متلازمين لطلب إقرارهم بتوحيد الألوهية أيضا ، ومن ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) فإنه إله في الأرض ولو لم يكن فيها من يعبده كما في آخر الزمان . فإن قلوا إنه معبود فيها أى مستحق للعبادة ، قلنا إذاً لا فرق بين الإله والرب ، فإن المستحق للعبادة هو الرب لا غير ، وما كانت محاوره فرعون لموسى عليه السلام إلا في الربوبية ، وقد قل: «أنا ربكم الأعلى» ثم قال: «لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين» ولا داعي للتطويل في هذا .

وأما السنة فسؤال المالكين للميت عن ربه لاعتن إلهه ، لأنهم لا يفرقون بين الرب والإله ( فإنهم ليسوا تيميين ولا متخبطين ) وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت مَنْ إلهك لا من ربك ، أو يسألوه عن هذا وذاك . وأما قوله: (وَأَيْنَ

سَاءَ لَهُمْ مَنْ خَاقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت ، مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات . ولعلمهم نطقوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل الى نفوسهم ، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم ، وأنهم ينسبون الضر والنفع الى غيره ، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور . وإن شئت فانظر الى قولهم لهود عليه السلام : ( إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ) فكيف يقول ابن تيمية : إنهم يعتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع الى آخر ما يقول ؟ ! ثم انظر بعد ذلك الى قولهم في زرعهم وأنعامهم : ( هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ) فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها . وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام : ( وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ) فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم .

ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد : أَعْلَىٰ هَبْلٌ ، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله : الله أعلى وأجل . فانظر الى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك التوحيد الذي ينسبه اليهم ابن تيمية ويقول إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افرقوا بتوحيد الألوهية ! ثم انظر بعد ذلك الى قوله تعالى : ( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي ) ( أى ) وأما هم فلم يجعلوه رباً . ومثل ذلك قوله تعالى : ( لَسْكَنًا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) خطابا لمن أنكر ربوبيته تعالى : وانظر الى قولهم يوم القيامة : ( تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّدُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) ( أى ) في جمعكم أربابا كما هو ظاهر لغير المتعسف . وانظر الى قوله تعالى . ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ) فهل ترى هذا

كلام موحد أو معترف؟ ثم انظر الى قوله: (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) الى غير ذلك، وهو كثير.

وأدل من ذلك كله قوله تعالى: (وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ) الى غير ذلك مما يطول شرحه، فهل ترى لهم توحيدا بعد ذلك يصح أن يقال فيه إنه عقيدة؟ أما التمييز فيقولون بعد هذا كله إنهم موحدون توحيد الربوبية، وإن الرسل لم يقاتلوهم إلا على توحيد الألوهية الذي لم يكفروا إلا بتركه. ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذبوا الأنبياء وردوا ما أنزل عليهم واستحلوا المحرمات وأنكروا البعث واليوم الآخر وزعموا أن لله صاحبة ولدا وأن الملائكة بنات الله (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) الخ الخ وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل في رأى هؤلاء، وإنما قاتلوهم على عدم توحيد الألوهية كما يزعمون، وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء، أو المسلمون أكفر منهم في رأى ابن عبد الوهاب! وما علينا من ذلك كله، ولكن نقول لهم بعد هذا: على فرض أن هناك فرقا بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية كما يزعمون فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية، فإنه ليس من العبادة في شيء، لا لغة ولا شرعا ولا عرفا، ولم يقل أحد إن النداء أو التوسل بالصالحين عبادة، ولا أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحى ولا بالميت. ومن المعلوم أن المتوسل لم يطلب إلا من الله تعالى بمنزلة هذا النبي أو الولي، ولا شك في أن لها منزلة عند الله تعالى في الحياة وبعد الممات، فإن تشبث متشبث بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج الى واسطة، قلنا له: حفظت شيئا وغابت عنك أشياء، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء. ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة وهي معلومة

من الدين بالضرورة ، فإنها على هذا الرأي لا حاجة اليها ، إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى الى واسطة فإنه أقرب من الواسطة ، ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله : إنا نتوسل اليك بـم نبيك العباس الخ .

وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط ، وهو خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها الى آخرها ، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين ، فإنه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط ، بل هم أشد الناس تعلقا بها واعتمادا عليها .

ولا يفوتنا أن نقول : إن التفرقة بين الحى والميت فى هذا المقام لا معنى لها ، فإن المتوسل لم يطلب شيئاً من الميت أصلاً ، وإنما طلب من الله متوسلاً اليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك ، فهل فى هذا كله تأليه للميت أو عبادة له ، أم هو حق لا مزية فيه ، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون ؟ كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين !

وانظر كتب المذاهب الأربعة ( حتى مذهب الحنابلة ) فى آداب زيارته صلى الله عليه وسلم : تجدهم قد استحبوا التوسل به الى الله تعالى ، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم الماركوز فى الفطر مخالفاً فى ذلك العقل والنقل . ونخشى أن يطول بنا القول . فلنقف هنا ، ونؤخر الكلام على نداء الأولياء وتعظيمهم والاستغاثة بهم . وموعداً العدد الآتى ، إن شاء الله .

يوسف الدمردى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## أبو بكر الصديق



نسأه :

نشأ أبو بكر في بيئة عربية خالصة ، ودرج يستنشق حياة بدوية ناعمة ، فيها شيء من العناية التي قلما يجدها من يعيش في تلك الصحراء القاسية ، حيث الخشونة والجذب . فلا جرم كان أبو بكر لينا هادئ الطبع ، رقيق الإحساس والشعور .

نشأ أبو بكر على ما ينشأ عليه أبناء البادية جميعا : من طلاقة في اللسان ، وفصاحة في القول ، وشدة في الحق ، وتمسك بأهداب الفضيلة . وكان أبو بكر يجمع الى تلك الثقافة البدوية الخالصة علما بالأنساب والشعر الصحيح ، فكان ينسب كل قول الى قائله ، وكل فرد الى قبيلته ، ويكفي أن تعلم أن أبا بكر من قريش سيدة العرب ، لتعلم أنه عريق النسب عربي الأرومة .

نسبه وبنيته :

هو عبد الله بن أبي قحافة ، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة . ومهما يكن فانه يلتقي نسبه مع نسب سيد الخلق جميعا وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجد الخامس وهو مرة بن كعب . أما أمه فهي سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكان يقال لها أم الخير . فأنت ترى من هذا أن بيته من البيوت التي انتهت إليها الشرف ، جاهلية إذ كانت سيدة العرب وحامية ذمارها ، وإسلاما إذ شرفها تعالى بيعت رسوله

منها، وزاد إكرامها أن كان منها أبو بكر أول المسلمين وسيد الذائدين وخير الداعين الى دين الحق .

ترعرع أبو بكر في تلك البيئة، وفي كنف ذلك البيت الذي وقفناك على ما خص به من مجد، وما حبي به من شرف، وما كان إليه في الجاهلية، وما صار إليه في الإسلام، فكان طبعياً أن يكون لهذا أثره في نفس أبي بكر فينشأ على مسكram الأخلاق، والصدق في القول، والإخلاص في العمل .

### مولده وهبته :

ولد أبو بكر بعد مولده صلى الله عليه وسلم بسنين ثلاث، فهو يقاربه في السن؛ وهو أيضاً من نفس القبيلة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقد اصطحبها في الطفولة وارتبطا أيام الشباب، فليس من شك أن عرى الصداقة زادتها الأيام توثقا. وقد ظلّا هكذا صفيين يحب أحدهما لأخيه ما يحب لنفسه، ويرضى له ما يرضاه لها، حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، فكان أبو بكر أسرع الناس الى تلبية نداءه، وتصديق دعائه، والعمل على نشر الدعوة بين العرب .

كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال، وأول من صلى منهم، فقد صح عن عائشة رضى الله عنها قولها: « ما عقلت أبوى إلا وهما يدينان الدين وما مر علينا يوم قط إلا ورسول الله يأتينا بكرة وعشية »

نحب قبل أن نسرع بك الى ما قدم أبو بكر للإسلام من خدمات، وما ضحى في سبيله من نفس ومال، وما جهد في تثبيته — أن نقفك على مركز أبي بكر في قومه قبل الدعوة :

يحدثنا أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه أن أبا بكر كان معروفاً بالتجارة، وهي إذ ذاك من أشرف الحرف، وأنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده

أربعون ألف درهم، فكان ينفق منها في شئون المسلمين، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة؛ وأبو بكر مع هذا كان في قومه بمنزلة القطب من الرحي : ينحدر عنه السيل ، ولا يرقى إليه الطير ؛ فهو في الطود الأشم ، يصدقه قومه إذا حدثهم ، ويحمدون له فعله إذا وقفوا منه على شيء ، لا يردون له قولاً ، ولا يندبون له رأياً ، فقد كانت إليه في الجاهلية الأشناق (الديات والمغرم) فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا جمالة من نهض معه .

### صفة أبي بكر :

كان أبو بكر رجلاً نحيفاً ، خفيف اللحم ، أبيض . وقد صح عن عائشة رضي الله عنها قولها في وصف أبيها حين طلب إليها وصفه : أنه رجل أبيض ، نحيف العارضين ، أجناً لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حقوته ، معروق الوجه ، غائر العينين ، نأتى ، الجبهة ، عارى الأشاجع .

### مزايأ أبي بكر :

علمت مما قدمناه لك أن أبا بكر كان في الجاهلية من سادة العرب ومن بيوت المجد ؛ ونحن ذا كرون لك هنا ما ميز الله به أبا بكر في الاسلام ، فنقول :

إن مزايأ أبي بكر في الاسلام قد تجل عن الحصر ؛ وأفضل مزية له هي ذكر الله عز وجل له في كتابه العزيز مثنيا عليه ، حيث قال تعالى : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) . وهذه مزية لم يشاركه فيها أحد من المسلمين . وقد أخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة قال :

عاب الله المسلمين جميعا في نبيه صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر رضى الله عنه فانه خرج من المعاتبة ، ثم قرأ : إلا تنصروه فقد نصره الله — الآية .

ومنها أنه رضى الله عنه أول من آمن برسالته صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحبه الملازم ، فحصلت له بركة هذه الصداقة الخيرات الجمّة . ولعرفانه بفضائل النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كان أشد هذه الأمة استعدادا لنور الاسلام . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرض الاّ اسلام على أحد إلا وكان له فيه وقفة إلاّ أبا بكر رضى الله عنه . وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت : لم أعقل أبوى قط إلاّ وهما يدينان الدين ولا يمر علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها أنه كان صفي النبي عليه الصلاة والسلام وموضع سره ، حتى إنه صلى الله عليه وسلم لم يختار لصحبته حين الهجرة غيره ، ولم يأمن على سره وعلى نفسه حين أراد الهجرة إلاّ أبا بكر . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان : هل قلت في أبي بكر شيئا ؟ قال : نعم ، قال : قل وأنا أسمع ، فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبل

وكان حب رسول الله قد غاموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجمه ثم قال : صدقت يا حسان .

ومنها أنه كان ثاني اثنين في الغار ، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم بقوله : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . وهذه منقبة من أفضل المناقب ، ومرتبة هي أعلى المراتب ، لأن رسول الله عليه الصلاة والسلام أكبرها ، وأشار الى أنه لا شأن أعلى من هذا الشأن ، ولا منزلة أسمى من هذه المنزلة . وقد أيد الله ذلك بقوله عز وجل حكاية لرسوله : « لا تحزن إن الله معنا » ولا يخفى أن المراد بالمعية هنا معية خاصة هي معية التأييد ، ومنها ثبتت صحة أبي بكر بالكتاب .



وقد دلت الآيات السكرية على فضل المجاهدين على القاعدين وإن كان لكل الحسنى ؛ ودلت على تفاوت الناس في الإيمان والعمل . ومما لا شك فيه أن المهاجرين السابقين أفضل من سائر المؤمنين ؛ وقد امتاز أبو بكر رضي الله عنه بالسبق في كل شيء ؛ وامتاز بأن هجرته كانت مع رسول الله نفسه ، وبإذن من الله تعالى ورغبة من رسوله . وقد اختص بمدح الله تعالى له دون غيره في القرآن الكريم كما سبقت الإشارة إلى هذا قبل ذلك .

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما تجهز أبو بكر قبل المدينة قال له صلى الله عليه وسلم : على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي . فقال له أبو بكر : وهل ترجو ذلك ؟ بأبي أنت . قال : نعم . فبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه . قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإنني قد أذن لي بالخروج ، فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت يا رسول الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . إلى آخر ما جاء في قصة الهجرة وحديث الغار .

هذه الزايا وغيرها مما لا يسع المقام ذكرها دلت على أن صحبة أبي بكر أفضل وأكمل من صحبة غيره ، وأنه أفضل الصحابة من غير منازع . ومما يشرح هذا ويقرره ما في صحيح البخاري : أن عمر بن الخطاب غضب من أبي بكر رضي الله عنه في محاورة بينهما فطلب منه أبو بكر أن يغفر له فأبى ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ،

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يغفر الله لك يا أبا بكر — ثلثنا . قال الراوى وهو أبو الدرداء رضى الله عنه : ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال : أأثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى الى النبي عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ، مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثنى اليكم فقاتم كذبت وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركولى صاحبي ؟ ! مرتين ، فما أودى أبو بكر بعدها . وقد صرح أيضا بأن أمن الناس عليه فى ماله ونفسه أبو بكر .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين أصحابه آخى بين أبي بكر وعمر ، فآخاهما يوما مقبلين فقال : إن هذين لسيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين : كهولهم وشبابهم إلا النبيين والمرسلين . وقد روى عن عبد الله بن عتبة : لما أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدور بالمدينة جعل لأبى بكر موضع داره عند المسجد . وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر . وعن عمرو ابن العاص قال قلت : يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قلت : إنى أبرا أعنى من الرجال ، قال : أبوها . وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : إنى أبرا الى كل خليل من خلته ، غير أن الله قد اتخذ صاحبكم خليلا — يعنى نفسه — ولو كنت متخذًا خليلا لا تتخذت أبا بكر خليلا .

استخفاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر :

عن عائشة رضى الله عنها : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذن للصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : فقلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ! قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقلت لحفصة : قولى له إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى ما يقيم مقامك

لا يسمع الناس فلو أمرت عمر . فقالت له حفصة ، فقال : إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيرا . قالت : فأمروا أبا بكر يصلي بالناس ، فلما دخل أبو بكر في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد ، الى آخر الحديث . وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ادعى لى أبالك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا فإنى أخاف أن يقول قائل ويتمنى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . وعنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن أبى بكر فقال : ائتنى بكشف حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه ، فذهب عبد الرحمن ليقوم فقال : اجلس أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبى بكر .

#### بيعة أبى بكر :

تبين لك مما أوضناه قبل ما كان لأبى بكر من ميزات لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ، كما تبين لك موضعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته العظيمة عنده ، وأنه كان رضى الله عنه ثانى اثنين فى الغار ، ولم يقف الأمر عند هذا ، بل كان رضى الله عنه ثانى اثنين فى أكثر المناصب الدينية ، فانه صلى الله عليه وسلم لما أرسل الى الخلق وعرض الاسلام على أبى بكر ، آمن به ، وعرض الاسلام على طاحه والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة فآمنوا على يديه ثم أحضرهم الى الرسول بعد أيام فلائل فكان ثانى اثنين فى الدعوة الى الله ، كما كان رضى الله عنه ثانى اثنين فى مجالته صلى الله عليه وسلم فى حياته . وقد دفن بعد وفاته بجانب الرسول ، فكان ثانى اثنين هناك أيضا . ولقد سبق أنه استخلفه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة حيث أمر بأن يصلى بالناس ، فكان ثانى اثنين فى إمامة الناس .

ونزيد على ما تقدم أن من المزايا التي امتاز بها أبو بكر الثبات الذي لم يكن لغيره من الصحابة مثله ، فإنه لما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى ماكنت الدهشة جميع الصحابة وذهل بعضهم ، حتى قال عمر : من قال إن محمد قد مات علوت رأسه بسيفي هذا . أما أبو بكر فإنه لما بلغه نعيه عليه السلام وكان غائبا في أهله بالسنع ، أقبل فوجد الناس في اختباط عظيم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم المصدق ومنهم المكذب ، أقبل فوجدهم على هذه الحال ، فلم يزايله الثبات ، ولم يعتوره الدهش ، ولم يذهل ، وبقى ثابتا ، وأعاد إلى القوم ثباتهم الذي زايهم لحظة لهول ما هم فيه من الحزن لوفاة الرسول عليه السلام ، فدخل رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال : بأبي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك . ثم خرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا قوله تعالى : ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَابْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ) فقال عمر : فما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت إلى الآن <sup>(١)</sup> ماتحمانى رجلاى . وقال غيره : والله ما كنت أحسبها نزلت .

رجل هذا شأنه وهذه أعماله وأخلاقه حرى بأن تتوجه إليه نفوس الناس بعد الرسول عليه السلام ، فلا يستطيع أحد أن يجرا على القول بأنه أفضل منه . وفي القصة التي نسردها عليك الدليل على ذلك : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال : ابسط يدك فلا بايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله . فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فية <sup>(٢)</sup> قبلها منذ أسامت ، أتبايعني وفيكم الصديق وثانى اثنين ؟! وفي رواية أنه لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم أتوا أبا عبيدة فقال :

(١) يريد أنه وقع لساعته (٢) سقطة أو جهلة .

أَتَأْتُونِي وَفِيكُمْ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ؟ قَالَ أَبُو عَوْنٍ: قُلْتُ لِمُحَمَّدٍ: مَا ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى تِلْكَ الْآيَةِ (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)؟ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَذَكَرَ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تَقْطَعُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ.

وَعَنْ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قُبِضَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا: نَوَلِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَأَخْرَجُوا سَعْدًا إِلَيْهِمْ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لِابْنِهِ أَوْ بَعْضِ بَنِي عَمِّهِ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَشُكْوَايَ أَنْ أَسْمَعَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ كَلَامِي وَلَكِنْ تَلَقِ مِنِّي قَوْلِي فَأَسْمِعْهُمْ مَوْدهُ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ وَيَحْفَظُ الرَّجُلُ قَوْلَهُ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ فَيَسْمَعُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَكُمْ سَابِقَةٌ فِي الدِّينِ وَفُضِيلَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ، إِنْ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبِثَ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَخُلَاعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجَالٌ قَلِيلٌ، وَمَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْزِمُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ يَعِزُّوا دِينَهُ وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضِيَاءَ عُمُوِّهِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ بِكُمْ الْفُضِيلَةَ سَاقَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ، وَخَصَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ، فَزَرَقَكُمْ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْمَنْعَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ وَلِدِينِهِ، وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ، فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عَدُوِّهِمْ مِنْكُمْ، وَأَثْقَلَهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ مِنْ غَيْرِكُمْ، حَتَّى اسْتَقَامَتِ الْعَرَبُ لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَأَعْطَى الْبَعِيدَ الْمَقَادَةَ صَاحِرًا دَاخِرًا، حَتَّى أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِكُمْ الْأَرْضَ، وَدَانَتْ بِأَسْيَافِكُمْ لَهُ الْعَرَبُ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ وَبِكُمْ قَرِيرٌ عَيْنٌ. اسْتَبَدُّوا بِهَذَا الْأَمْرِ دُونَ النَّاسِ فَانْهَلَتْ لَكُمْ دُونَ النَّاسِ. فَأَجَابُوهُ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ قَدْ وَفَّقْتَ فِي الرَّأْيِ وَأَصَبْتَ فِي الْقَوْلِ، وَلَنْ نَعُدَّوْ مَا رَأَيْتَ، نَوَلِيكَ هَذَا الْأَمْرَ فَانْهَلَتْ لَكَ فِيْنَا مَقْنَعٌ وَلِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ رَضَى. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَادَّوْا السَّلَامَ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا: فَإِنْ أَبَتْ مِهَاجِرَةُ قُرَيْشٍ

فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده . فقالت طائفة منهم : فإنا نقول : إذاً منّا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً . فقال سعد بن عبادة حين سمعها : هذا أول الوهن . وأتى عمر الخبر ، فأقبل الى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الى أبي بكر ، وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الى أبي بكر أن اخرج الى ، فأرسل إليه أنى مشتغل ، فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره ، فخرج إليه فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ، وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومن قريش أمير ؟ ففضيا مسرعين نحوهم فلقياً أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم ، فلقيهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة ، فقالا لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون . فقالوا : لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون فقال عمر بن الخطاب : أتيناكم وقد كنت زوّيتُ<sup>(١)</sup> كلاماً أردت أن أقوم به فيهم فلما أن دفعت إليهم ذهبتي لأبتدئ المنطق فقال لي أبو بكر : رويدا حتى أتسكلم ثم انطق بعد بما أحببت ، فنطق فقال عمر : فما شئ ، كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه .

ثم بدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله بعث محمدا رسولا الى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة ، وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور . ثم قرأ : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، وقالوا « ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زُلفى » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به والمؤاساة له والصبر معه

على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس لهم مخالف زار<sup>(١)</sup> عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنفِ الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم . وأنتم يامعشر الأنصار مَنْ لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام ، رضيكُم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل اليكُم هجرته ، وفيكُم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تُقتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور . قال : فقام الحباب بن المنذر بن الجوح فقال : يامعشر الأنصار ! املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ، وإن يجترى مجترى على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، ذووالبأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس الى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم ، أبى هؤلاء إلا ما سمعتم ، فإنا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع اثنان في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدل بباطل ، أو متجانف لأثم أو متورط في هلكة ! فقام الحباب بن المنذر فقال : يامعشر الأنصار ! املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ، أنا جديلاها المحكم ، وعزيقها المرجب . أما والله لئن شئتم لنعيدنها جزعة ، فقال عمر : إذن

يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار ! إنكم أول من نصر وأزر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير . فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يا معشر الأنصار ! إنا والله لنكونا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا الرضى ربنا وطاعة نبينا والسكدر لا نفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا ، فإن الله ولى المنة علينا بذلك ، إلا أن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى ، وإيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم . فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأبهما شتم فبايعوه ، فقالا : لا والله لا تتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسامين ، فمن ذا يدبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ؟ أبسط يدك نبايعك . فلما ذهبوا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، فزاده الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد ! عقلت عقاق . ما أحوجك الى ما صنعت ! أنفست على ابن عمك الإمارة ؟ ! فقال : لا والله ولكنى كرهت أن أنزع قوما حقا جعله الله لهم . ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخرج من تأمير سعد بن عباد ، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن خضير وكان أحد النقباء : والله لن وليتها الخرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا ، فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا اليه فبايعوه ، فانكسر على سعد ابن عباد وعلى الخرج ما كانوا أجواله من أمرهم ، فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عباد ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدا لا تطؤوه . وتمت البيعة ، ثم بايع بعد ذلك على بن أبى طالب والزبير بن العوام وغيرهم من بنى هاشم . لاحفاء فى أنك علمت من هذا ما بلغه الصحابة من جهد فى بقاء الخلافة المهاجرين وأنهم دافعوا عن حق اعتقدوه ما وسعتهم الحاجة ، حتى تمت لهم الإمارة ، وأجمع



على إمارة أبي بكر أصحاب رسول الله إلا نفرًا قليلًا . وقد رأيت من سياق خطب القوم أن الجهاد القوي كان شاقًا عنيفًا كاد يخرج عن القول والحجة إلى القوة ، وأن أبا بكر كان دائمًا كما عهدته المسلمون رقيقًا لينًا في غير هوادة ، يدعو إلى الرفق والتسامح ، يأخذ بالحجة ما لا يأخذ بغيرها ، فأدلى رضى الله عنه بعد هذا الاجاج وتلك المناقشة الحادة العنيفة بحجج كانت أشد فعلا من السيف البتار ، فما هو أن سمعها المسلمون حتى ركنوا إليه وأساموا الأمر بعد الرسول إليه .

ولى أبو بكر أمر المسلمين بإجماعهم عليه إلا قليلًا . ولهم وحاتهم غير مستقرة ، ومن القبائل من يرغب أن تكون فيهم الخلافة ، وفيهم من كان بنفس عليه ويرى نفسه أحق منه بها ، فأراد أن يثلج الصدور ويذهب بالفتنة ويغيظ الحاقدين . أراد أن يحو ما علق في نفوس بعض المسلمين ويطمئنهم على أن ما عهدوه زمن الرسول من الأمن والعدل والحق سيكون هو عمل أبي بكر ، فافتتح إمارته رضى الله عنه بخطبة جامعة عرض فيها لخطته وسياسته وما هو عازم عليه ، فداوى بتلك الخطبة الجروح ، فقال : « أيها الناس ! قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن صدفت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذله بحقه ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، إن شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحكم الله .

نبات أبي بكر وقوة إرادته :

افتتح أبو بكر حياته السياسية بهذه السكامة البليغة التي جعلها عهدا وميثاقا ، ولكنه ما كاد يتسلم الأُمور حتى فوجئ بأحداث طارئة تتصدع لها الجبال ، ولكن

أبا بكر كما علمت ثابت الجنان رابط الجأش، لا تذهله نائبة ولا تدهشه فاجعة، وقد مر عليك حديث موقفه يوم توفى صلى الله عليه وسلم وكيف كان موفئاً فيه حكيمًا، فليس عجباً أن ينهض بالأعباء الثقيلة، وأن يتحمل الشدائد، فالحوادث مهما عصفت لاتلين قناته، فقد استقبل رضى الله عنه الأنباء المتواترة بامتناع بعض العرب عن إخراج الزكاة وبارتداد بعض المسلمين عن الدين بنفس هادئة وعزيمة ثابتة وصدر رحب، فلم تقل عزيمته الحوادث، بل صمد لها وسار بالسفينة كالربان الماهر وسط الأمواج المتلاطمة حتى وصل بها الى شاطئ السلامة والنجاة، ولم يلحق بربه إلا بعد أن أعاد شوكة الاسلام كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم، وبعد أن قاتل أهل الردة ومانعي الزكاة. ونحن ذاكرون لك ما كان منه ومن أكابر الصحابة بعد أن ولى الأمر، لتعلم مقدار ثباته وقوة إرادته :

لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم استنقل بعض العرب دفع الزكاة لأنهم كانوا يعدونها كالأناوة، حتى لقد قال قرّة بن هبيرة لعمر بن العاص: إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالأناوة، فإن أعفيتهموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتهم فلا تجتمع عليكم. فانهز بعض العرب فرصة المهرج التي سنحت بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وعملوا للتحلل من هذا العبء فامتنعوا عن دفع الزكاة وطرّدوا عمالها، فلما وصل الخبر الى أبي بكر رضى الله تعالى عنه جمع الصحابة للمشورة، فاختلفوا في هل يقاتل العرب على تركهم دفع الزكاة كما لو تركوا الدين، فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة، وقال قوم: بل نقاتلهم، فكان عمر بن الخطاب ممن يرون عدم قتالهم، ولكن أبا بكر لم يكن ليوافق على هذا الرأي بل خالف عمر وقال: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

إلا الله محمد رسول الله فن قالحا عصم منى ماله ودمه إلا بحقتها وحسابهم على الله ؟ فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال إلا بحقتها ، فقال عمر رضى الله عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

هذا الموقف الذى وقفه أبو بكر رضى الله عنه ولم يمنعه منه تجهيز جيش أسامة كان موقفا كله حكمة ، إذ لو تساهل رضى الله عنه لضاع الدين وتأب الناس يريدون الخروج منه وعدم القيام بشعائره . رأى ذلك جميعه أبو بكر فأصر على قتال مانعى الزكاة ، فلم يكن أبو بكر موقفا فى رأى خسب ، بل كان موقفا أيضا فى فهم حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث قرر رضى الله عنه أن الزكاة حق المال ، فقد قال النبى إلا بحقتها . ولقد أكبر المسلمون له هذا رأى وعلموا أن التوفيق كان رائده حتى صح أن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لقد قننا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبى بكر : أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطبة المخزية أو الحرب المجلية ، فأما الخطبة المخزية فأن يقرروا بأن من قتل منهم فى النار ومن قتل منا فى الجنة ، وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم ، وأن ما أخذوا منا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم .

طه هبيب

يتبع

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا

# هيئة كبار العلماء

وصحابة الاسلام والمسلمين

## قراراتها ونداء للامة

---

اجتمعت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر الشريف في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ (١٧ يولييه سنة ١٩٣٣) لتنظيم العمل لحماية الاسلام والمسلمين من خطر التبشير ، وقررت ما يأتى :

١ - أن تضم اليها في هذا العمل حضرات :

صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى

» الفضيلة الأستاذ السيد محمد على الببلاوى

» » » الشيخ محمد مأمون الشناوى

» » » ابراهيم حمروش

» » » أحمد حسين

» » » ابراهيم الجبالى

» » » على الخليف

» » » أمين الخولى

» » » محمد الخضر حسين

» » » طه حبيب

» » » محمد أحمد عرفه

٢ - توجيه نداء الى الأمة الاسلامية

٣ - تأليف لجنة تنفيذية لهذا العمل برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

الأكبر شيخ الجامع الأزهر وعضوية حضرات أصحاب الفضيلة :

الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم

» محمد عبد اللطيف الفحام

» حسين والى

صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى

٤ - يقوم بسكرتارية الهيئة في هذا العمل حضرات أصحاب الفضيلة :

الأستاذ الشيخ أحمد حسين

» على الخفيف

» أمين الخولى

٥ - تأليف لجان لا اعداد ما يلزم لذلك العمل ، منها لجنة علمية ، وتؤلف من حضرات

أصحاب الفضيلة الأساتدة :

الشيخ أحمد نصر

» محمد حسنين

» يوسف الدجوى

» عبد الرحمن عlish

» عبد المجيد اللبان

» ابراهيم حمروش

» ابراهيم الجبالى

السيد محمد على الببلاوى

واللجنة التنفيذية أن تضم الى أعضائها كل من ترى مصلحة في ضمه .

٦ - تأليف لجنة لوضع لائحة لتنظيم عمل الهيئة في هذا السبيل من حضرات أصحاب الفضيلة الأستاذة :

الشيخ عبد المجيد سليم	الشيخ على الخفيف
» محمد عبد اللطيف الفحام	» ابراهيم الجبالى
» أحمد حسين	» أمين الخولى

٧ - تأليف لجان فرعية لمعاونة هيئة كبار العلماء في تحقيق غرضها في المدن الآتية :  
الاسكندرية . طنطا . الزقازيق . دسوق . دمياط . أسيوط .  
وفوضت الهيئة الى اللجنة التنفيذية تأليف لجان في جهات أخرى كلما اقتضت الحال .

٨ - أن يكون للهيئة أمين صندوق هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة بالأزهر .

وترجو الهيئة أن يكون لها من أربحية المسامين أكبر المعونة في مهمتها الشريفة . ويتقبل أمين صندوقها تبرعات ذوى الغيرة والحمية الاسلامية بعنوان :  
(الإدارة العامة للمعاهد الدينية - شارع نوبار - صندوق البريد رقم ٩١٩ بالقاهرة) .

## نداء

هيئة كبار العلماء، بالأزهر الشريف

أيها المسلمون :

لقد جاءكم نبأ تلك الأموال المرصدة، والجموع الحاشدة، والمكاييد المدبرة،  
والوسائل الماكرة، التي يتخذها أولئك المتسمون باسم المبشرين، محاولة لإفساد أمر  
الإسلام ونكت حبله.

ولقد تجلّى لكم من ذلك ما عزّت معه الجمالة، وقبح بعده التواكل والإهمال،  
فأنقتم أن يسعى بينكم أولئك المغررون المضلون، ونهضتم نهضة المؤمن الأبى،  
وغضبتم غضبة ذى اليقين الحى. وكان علماءكم منكم حيث يلى عليهم دينهم، ويضعهم  
واجبهم، وهام أولاء قد ألف كبارهم جماعة للعمل المنظم، ووضعوا خطة للسمى المحكم،  
وربّت تلك الجماعة نظامها، وبدأت جهدها، مستعينة بالعون الإلهى، مهتدية بالهدى  
النبوى، واثقة من غير تكم الإسلامية، قوية الأمل فى أريجيتكم الدينية، ما إن تشك  
لحظة فى أنكم باذلون فى سبيل الله ما لكم، متطوعون بكل مقدوركم، مابون داعى  
ربكم (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ).

أيها المسلمون :

عار عليكم أن تساق تلك الجموع للإضلال، وترصد تلك الأموال للإغواء،  
وتقام تلك الصروح للصد عن سبيل الله، ثم لا يكون لنا بعد تلك الهجمات  
ما يحدث عن إيمان راسخ، وعقيدة ثابتة، ويعان فى أنفة وعزة سخريتنا بهذه

الإعتداءات الخاسرة، وهاتيك المحاولات الضائعة، وإيصدقن أبدا قول العليم الحكيم:  
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ  
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ).

أبهرها المسلمون :

إن جماعة علمائكم وهي الحريصة أشد الحرص على الذود عن دينها، تكره منكم  
الشغب، وتوصيكم بالصبر، وتذكركم بأن كل عنف في ذلك شر، وكل سفه فيه خطر،  
يضيع غرضها ويعطل عملها (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ).

أبهرها المسلمون :

إن العالم ليشهد صراعا بين حق وديع، وباطل جرى، ومعاذ الله أن يكون الباطل  
في مهاجمته، أمضى من الحق في مقاومته، وما إن رضيتم ولن ترضوا أن يكون بذهم  
في سبيل الإضرار بكم، أكثر مما تبذلون لحماية دينكم، وإنقاذ كرامتكم، وتخليص  
أبنائكم من التهاكة النفسية، والخسار الديني. وإن الكثير في ذلك من الفرد قليل،  
والقليل فيه من الجمع كثير (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ  
مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا).

إن علماءكم لا يعرفون بكم حاجة الى حث على إنفاق، وإو استشارة الى بذل، وإنما  
هي الذكرى فحسب فإن الذكرى تنفع المؤمنين: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).



## قصيدة

لفضيلة رئيس تحرير هذه المجلة

بمناسبة سفره الى الاقطار الحجازية

لأداء فريضة الحج في هذا العام ١٣٥١

المجد لا ينال الفاطنين ودّع الصحبَ وحيّا الظاعنين  
شامَ في وجهته يئنا ولو زجر الطير لمرّت باليمن  
لا تلوما في النوى من هاجه للنوى لاعجُ شوق في الكنين  
شاقه البيتُ وقبرُ المصطفى وربوعُ الخلفاء الراشدين  
سار شوطاً وهو لا يدري أني حلمُ أم في زمان لا يخون  
ذكرَ الخضرَ وموسى إذ أتى مجمعَ البحارين مرتادَ السفين  
ركبَ الطائفَ<sup>(١)</sup> يطوى البحر في جذلٍ والبحرُ كالشيخ الرزين  
وإذا هبت جنوب طرّدت ما يلاقيه الندامى من شجون  
هم سكارى ما احتست آذانهم حكمةَ القرآن في نطق رصين  
ودنوا من رابع فاستبقوا يذكرُ الله جهراً محرمين  
في يياض ناصع تحسبهم بادئ الرأي زهوراً في الغصون  
رست الطائف في جُدة لا برحت جُدة في حصن حصين  
رحلوا في جنح ليل وأتوا مكة الغراء من نحو المجون

(١) الطائف : اسم الباخرة التي نقلتنا من السويس الى جدة .

في رضا الله خُطاً خاضوا بها  
 دخلوا بيتاً حراماً يستوى  
 شاهدوا الكعبة وهناً<sup>(١)</sup> فجرت  
 مقلة الدنيا فإن أبصرتها  
 لثموا من ركنها الأيمن ما  
 هي بيت الله إن طافوا بها  
 وردوا زمزم يشفون بها  
 لوشفا عمرو بن كلثوم بها  
 صعدوا المروة من بعد الصفا  
 وقفوا في عرفات موقفا  
 إن دهرراً طاف ساقيه بما  
 هبطوا «جعا»<sup>(٢)</sup> وقد ساد الدجى  
 هل درى «المشعر»<sup>(٣)</sup> إذعاجابه  
 نزلوا خيف منى حيث رموا  
 وأتوا أم القرى فاطوفوا  
 ركعوا في مسجد الخيف وهل  
 وقضوا حق منى وارتحلوا  
 سل ثبيراً<sup>(٥)</sup> ماله ظل بها  
 أفـ لا يحمل ما نحملة  
 دع ثبيراً قاسى القلب فهل

في حصا يغبطه الدر المصون  
 فيه ذو التاج ومغبر الجبين  
 عبرات البشر من بعض الجفون  
 في سواد فعيون الغيد جُون  
 لثمته شفتا طه الأمين  
 وهم أضياف رب العالمين  
 ظلماً الأكباد حيناً بعد حين  
 غلة عاف خور الأندرين  
 وسعوا لله سبعاً راجلين  
 يطرح الآثام من ماضى السنين  
 تشهى أنفسهم غير ضنين  
 وحدوا منها المطايا مصبحين  
 أنهم جند إمام المرسلين  
 بالحصا سبعا على وجه الاعمين  
 ثم عادوا لمنى في العائدين  
 أحرزوا فيه ثواب الخاشعين؟  
 بعد أن أذن بالعصر أذن<sup>(٤)</sup>  
 مابقى الرجل وقد بان القطين  
 لرُبا طيبة من شوق مكين  
 تلفح الأشواق صخرا فيلين

(١) الوهن : نحو من نصف الليل

(٢) جمع : المزدلفة

(٣) المشعر الحرام

(٤) الاذنين : المؤذن (٥) جبل بمنى .

هذه مكة ما للشمس في صفرة تحكى بها وجه الحزين  
أترينا والنوى قد أزفت كيف تصفرّ وجوه النازحين  
بلدة عظمى وفي آثارها أنفع الذكرى لقوم يعقلون  
شب في بطحاءها خير الورى وشبا<sup>(١)</sup> في أفقها أسمع دين  
إن عزمنا النأى عنها فالضرورا ت قد تنّى خدينا<sup>(٢)</sup> عن خدين

\*  
\* \*

حادى السيارة انهض نغتم فرصة نرقبها منذ سنين  
خض بها اليد الى سلع فلى حاجة فى أرض سلع وشئون  
بين ليل مثل أحداق المها ونهار مثل نور الياسمين

\*  
\* \*

أحمدُ الإدلاج والتأويب<sup>(٣)</sup> إذ أريانى خير ما تهوى العيون  
أمتعا طرفى بمرأى روضة أودعوا تربتها خير دفين  
روضة يصبو اليها كل من عرف الحق وبالحق يدين  
شادها الهادى على أس التقى وتلا القرآن فيها جبرئين  
حرم كم سقيت حصباؤه فى دجى الليل دموع القانتين  
فاسألوا المحراب عن بدر الهدى إذ هو يسجد فى ماء وطين  
معهد الحكمة لا ينبت فى دوحه إلا الدعاة المصاحون  
مدرّسٌ للحرب لم يرم العدا قط إلا بالحكمة الفاتحين  
نُكّنة للجند والقضب إذا لم يكن بُدٌّ من الحرب الزبون

(١) شبا : علا ، وأضاء (٢) الخدين : الصاحب (٣) التأويب : السير فى الهار .

حجرات ملئت طُهرًا أما عمرتها أمهات المؤمنين  
لَقَنْتَ فِيهَا حَقُوقَ أَنْقَذْتَ رَبَّةَ الْمَنْزَلِ مِنْ أَسْرِيشِينَ

\*  
\*  
\*

ها أنا ذا في مقام مؤنس كسنا البدر مهيب كالعرين  
فسلاما في حضور بعد ما كان يزجيه على البعد حنين

\*  
\*  
\*

جئتَ يا مختار والعالم في ليل جهل وضلال ومجون  
فحوت الهزل بالجد كما ذُدت ليل النى عن صبح اليقين  
وأثقت العلم صرحا شاخنا وصرعت الجهل طعنا في الوترين  
سُستَ أقواما فساسوا أمما بيد الإنصاف في حزم ولين  
وقضوا فيها بشرع قيم فأروها كيف يقضى العادلون

\*  
\*  
\*

دينك الوضاء ثارت حوله غبرة من شبهات المبطلين  
من يد ترميه في رَأْد الضحى ويد ترميه من خاف الدجون  
ولهم في كل واد قلم ولسان لاصطياد الغافلين  
كم أزاغوا عن عفاف وهدى من بنات طاهرات وبنين

\*  
\*  
\*

لم يرعنا يا أبا القاسم من جـولة الغي دوى وطنين  
إن في الشرق شبابا أيقنوا أنك الداعي الى الحق المبين  
وقفوا يرمون أعداء الهدى بنبال قوسها العلم المتين

يعشقون البذل في الخير إذا عشق المال طعام موسرون  
والى الحضرة ما حملته من تحيات شباب ناهضين

\*  
\* \*

أئى ورد لم يكدر صفوه صَدَّرَ ما الدهر لإلّا منجنون (١)  
أزعم الركبُ رحيلًا لم يكن منه بُدٌّ والضرورات فنون  
فوقفنا لوداع والأسى يلذع الآماق بالدمع السخين  
أفلا نأسى على عهد أئى وتولى وهو مقطوع القرين  
بهج كالورد حلاه الندى بُجَّان (٢) صيغ من ماء معين

\*  
\* \*

ياحى ودعته والشمس قد ودّعت والتحقت بالراحلين  
هل لنا عود كعود الشمس من قبل أن يصرفنا عنك المنون ؟  
وسلاما كلمّا رتلتته قالت الدنيا ومن فيها « أمين »

(١) المنجنون : الدولاب التى يستقى عليها . (٢) الجمان : الأولاد .

# الإسلام في بلاد الصين

التركستان الصينية

(سين كيآنج) (١)

وقد عم الإسلام جنوب جبال « كوين - لون » منذ القرن السادس عشر ، وذاك بعد أن واجه البوذية والزندقة والنسطورية . وكل المسامين تقريباً سنيون . وقد دخل المذهب الشافعي في هذه البلاد في القرن الخامس عشر ، إلا أن المذهب الحنفي كان أكثر ذيوفاً بفضل تأييد الخوارج ( مشايخ الأتراك ) الذين جاءوا من بخارا . ويوجد بعض الشيعة ( من العبدلين أو الاسماعيليين والباطنيين ) في شرق البامير ؛ ويبلغ عدد المسامين بها مليوناً بنسبة ٨٣ ٪ في المائة ، كما يوجد بضعة مئتين من اليهود في كاشجار . هذا ويوجد المرء في بلاد التركستان من الصينيين من أصلهم من الأجناس التالية :

( أ ) « الطاجيك » الذين صبغوا بالصبغة التركية ، وأصلهم من الجنس الهندي الأوربي ( الإيراني ) ، ويكوّنون الأغلبية ، ويبلغ عددهم ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة .

( ب ) صينيّين من أصل « طونجاني » واعتنقوا الإسلام ، ويبلغ عددهم ٢٠٠ ٠٠٠ و يقيمون بالمدن .

( ج ) الأتراك المهاجرين ، وهم من العشائر الآتية :

عشيرة « كارا - قرغيز » ويبلغ عددها ٥٠ ٠٠٠ نسمة ، وتقيم في « ايلي » وفي أوج - طورفان . وعشيرة « الكايجاك - دولمان » ( قازاق ) وتقيم في « تزونجاريا » وعلى نهر

« التاريم »، ويبلغ عددها ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة؛ وعشيرة « النوجاي » ويبلغ عددها ٣ ٠٠٠ نفس جاءوا من قازان وأقاموا في « قولجا » وطائفة النبلاء ( الخواجات ) أو ( العلماء ) .  
( د ) المنغول الذين اعتنقوا الاسلام ، وقيمون في « كاراشار » ولهم سبعة « خوشون » أو ألوية .

( هـ ) الايرانيين الشيعة السابق ذكرهم ، وقيمون في « بايناب » في « خان — أريق » بعد ٤٠ كيلو مترا من جنوب كاشجار ، وفي « تزجون » و « كريا » و « جيرجين » ويبلغ عددهم ٣٠٠٠ نسمة حسب قول « فون ليكوك » وجرينار ، و « بيوه » وعلى بحيرة « لوب — نور » .

( و ) « اللولين » وهم جماعة التور الذين اعتنقوا الاسلام ، وقيمون بالقرب من « خوتان » . واللغة التركية هي اللغة السائدة هناك ، وتكاد تكون اللغة الوحيدة ، أما اللغة الصينية فهي نظريا اللغة الرسمية .

#### الحكومة والادارة :

إن بلاد التركستان الصينية ( سين كيانج ) يديرها حاكم يطلق عليه اسم « شنغ شانغ » وقيم في « أورومتسي » ، وله ستة وكلاء يقيمون في أورومتسي و « تارباغاتاي » و « ييلي » و « أكسو » و « كاشجار » و « آ — شان » ، ويشرف في الادارة على ٤٨ مركزا ، والقنصلية البريطانية في كاشجار ، تابع دورا سياسيا ذا أهمية كبرى في آسيا الروسية منذ سنة ١٩١٧

أما نظام الضرائب عند المسلمين والذي وضعه يعقوب بك فقد استبقى وازداد شدة ، وهو يتضمن : ( الخراج ) ، وهو عبارة عن ضريبة العشور التي تؤخذ عن المحصولات الزراعية ، فان الحكومة قد وجدت مخازن عمومية للحبوب تقرر عليها . و ( الزكاة ) وهي اختيارية منذ سنة ١٨٨١ ، و ( الضرائب الاضافية ) مثل المال الباجي الذي يؤخذ

على المواشى وبيعها . أما النظم الشرعية فقد أضعفت : فصدورت الأوقاف ، وألغيت وظائف المحتسبين ، وأصبح الملا ( العلماء ) والقضاة ورجال الإفتاء والأئمة والخطباء خاضعين للإدارة ، وصار القاضي لا يحكم إلا في المسائل المدنية ، أما المسائل الجنائية فمن اختصاص القاضي الصيني ، وكانت خطبة الجمعة تلقى باسم خليفة آل عثمان ، وتوجد بها مساجد عديدة ، منها ٤٤ مسجداً في « خوتان » ، وكثير من المدارس و « مزارات » ( أمكنة يحجون إليها ) وأشهرها مزار « حضرة إياك » في « كاشجار » ومزار « سلطان أبو سعيد » في « خوتان » ومزار الأئمة الاثني عشر ، ومزار « جعفر الصادق » في « خوتان » ومزار سعد بن أبي وقاص في « طورفان » ، أما الأعياد عندهم فهي الأعياد التركية ، منها « البراءة » في ١٤ شعبان ، ويشمل المذاهب الخاصة في البلاد ، وفي الزواج لا تتسلم الزوجة « القايم » (١) .

#### الزراعة والحاصلات :

إن زراعة الذرة تعطى محصولاً غير عادي ، ويزرع الشعير والقطن في مرتفعات قد تبلغ من ١٦٣٤ متراً إلى ٣١١٠ متراً .

#### الصناعات :

صناعة الحرير في مدينتي « قومول » و « طورفان » ، والمنسوجات القطنية في « كاشجار » والصباغة في « طورفان » ، صناعة الأواني المنزلية من النحاس الأصفر في « أسكو » . صناعة السجاد من أصناف « كاشجار » و « يارقند » في « خوتان » و « يورنجكاش » ، والجلود في « كوتشا » ، والسروج في « كاراشاهي » ، والفحم الحجري فيما بين « أسكو » و « قومول » أو في « بوكاليك » ، وصناعة « اليشب » ومنها اشتق اسم « بو - من » ، ومعناه « باب اليشب » الذي أطلق على العمر الموصل للصين .

(١) كذا في الأصل وربما كان المقصود منها الصداق .



هذا وقد درس المسيو « جرينار » دراسة دقيقة حالة الطبقات الاجتماعية المختلفة للمسلمين في بلاد « كاشجاري » مثل طبقة البهوات ، وطبقة « الملا » ( العلماء ) وطبقة أصحاب الأموال ، وطبقة الزراع ، وطبقة العمال ( ذوى الأجر الضئيلة ) وطبقة الشحاذين . وقد تحايلوا بحيلة قانونية لايّ باحة الرق بأن وضعوا قانونا يسمح باستئجار الأطفال المسلمين للخدمة امدة خمسين سنة فيبيعهم بيع الأرقاء .

### طرق القوافل المزمعة هي :

#### ( ا ) الطرق الموصلة للصين :

- ( ١ ) طريق الجنوب وهو طريق قليل الارتياح .
  - ( ٢ ) طريق جبل طاش داوان ويبلغ ارتفاعه ٣٩٦٠ مترا .
  - ( ٣ ) طريق الشمال . وهو الطريق القديم والمعتاد ، ويمر بجبل أورومتسى .
- ( ب ) الطرق الموصلة للروسيا :

- ( ١ ) طريق كاشجار — نارين — أوش ، وطوله مسيرة أحد عشر يوما ، ويمر بجبل « تريك داوان » ، وارتفاعه ٣٨١٠ مترا .
- ( ٢ ) طريق الشمال : الطريق القديم المسمى طريق الحرير ، ويمر بأورومتسى وقولجا .

#### ( ج ) الطرق الموصلة للهند :

طريق « يارقند — ليه » ويمر بجبل كارا كوروم ، وارتفاعه ٥٦٥٠ مترا ، وتوجد الحربة الجركية بين بلاد التركستان وبين روسيا منذ سنة ١٨٨٠ ، وهل هذا لأن البلاد تتبادل التجارة مع بلاد التركستان الروسية على الأخص ؟ إنه ليس لدينا عن ذلك معلومات إحصائية حديثة .

## ولاية « كان - صو » الصينية

سميت هذه البلاد بهذا الاسم نسبة لمدينتي « كانتشيو » و « سوتشيو » وهذه الولاية واقعة في جنوب « منغوليا » وتبلغ مساحتها ٣٢٥ ٠٠٠ كيلو مترا مربعا، وهي عبارة عن الجزء الأعلى من وادي نهر « هوانغ - هو » وهو نهر وعر الجري وسريع الاندفاع من الجهة الغربية ، حيث يوجد بها بعض جبال عالية يبلغ ارتفاعها ٦ ٠٠٠ مترا ، أما من الجهة الشرقية فهو سهل الملائحة ، وعند مصبه يمر بأراضي من الصلصال الأصفر .

إن ولاية « كان - صو » تشمل ثلاث مديريات و ٩١ مركزا ، ويبلغ عدد سكانها ٣ ٨١٠ ٠٠٠ ( في سنة ١٩٥٢ ) وقد يبالغون أكثر من ضعف هذا العدد .

أما مدنها التي يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٠٠ ٠٠٠ نسمة فهي : « لانتشيو » وعدد المسلمين بها يبلغ ٥٠ ٠٠٠ ، وبها أربعة عشر مسجدا ، و « تسين - تشيو » وبها ٤ ٠٠٠ مسلم وأربعة مساجد ، و « لينغتشيو » . ومدينة « سي - نغ » يبلغ عدد سكانها ٦٠ ٠٠٠ ، ولها ضاحية خاصة بالمسلمين بها مسجدان ، ومدينة « هو - تشيو » يبلغ عدد سكانها ٦٠ ٠٠٠ نسمة ، منهم أكثر من ٣٠ ٠٠٠ مسلم يقيمون في ضاحية خاصة يوجد بها من ١٤ مسجدا إلى أربعة وعشرين مسجدا . وأول من دخل فيها من المسلمين هم الجنود المرتزقة المستعربون الذين جاءوا إليها من بغداد لخدمة الأباطور « تانغ - سو - تسونغ » الذي هاجم التبتيون في سنة ٧٥٥ من الميلاد ، ولا يزالون إلى الآن يُجْلَوْنَ قبر أحدهم وكان يدعى عبد الرحمن البغدادي الذي قتل في سنة ٧٥٧ ، ولا تزال ولاية « كان - صو » منذ أحد عشر قرنا ثم معقل للتجنيد في الجيش الصيني .

والمسلمون الذين لبثوا خاضعين لحكم بودى « قاغانات الوبجور » فى ولاية « كان تشيو » من سنة ٧٠٠ الى سنة ١٠٢٨ ، ولحكم تيبتي « تانغ هيانغ » فى « هيا » من سنة ٨٧٠ الى سنة ١٢٢٦ ، ثم تحت حكم أسرتى « يوان » و « منغ » : هؤلاء المسلمون أثاروا ثورة فيما بين سنتى ١٨٦١ و ١٨٧١ انتقاما من المذابح الرسمية التى وقعت فى « شين — سى » وقد كانت هذه الثورة تهدد مدينة « سينغان » بالسقوط فى أيدي الثوار فيما بين سنتى ١٨٦٧ و ١٨٧٠ ، هذا وقد احتفظ المسلمون الى الآن بنظم وطيدة بالرغم مما أصابهم من أعمال القمع الوحشية .

وقد يبلغ مجموع المسلمين فى هذه الولاية ١ ٤٠٠ ٠٠٠ ، أى بنسبة ٢٧ ٪ ( فى المائة ) وهذا تقدير رسمى غير كاف ، إذ لابد أنهم يبلغون ٤٠ ٪ ( فى المائة ) من مجموع السكان . وقد طالب المسلمون ( فى سنة ١٩٢٣ ) من حكومة بيكين بتقليد وظيفة « الحاكم الحربى » للولاية أحد المسلمين ؛ أما من الوجهة الجغرافية فإنهم ينقسمون الى ثلاث فئات : فئة تقيم فى الشمال الغربى فى « صو — تشيو » وبها ٢٠ ٠٠٠ مسلم ، وفئة فى الشمال الشرقى فى « نغ — هيا » و « كين — تسى — بو » وبها ٢٠٠ ٠٠٠ مسلم ، وفئة تقيم فى الوسط الغربى فيما بين « سى غنج » و « لان — تشيو » و « هو — تشيو » وبها ٧٠٠ ٠٠٠ مسلم ، ويوجد فى جهة الجنوب فى « مين — تشيو » و « تسين — تشيو » ٥٠٠ ٠٠٠ مسلم ، وينتمى سكان هذه الولاية الى ثلاثة أجناس مهمة وهى :

( أ ) الصينيون الذين اعتنقوا الاسلام ، وهم على الأرجح ممن اتصلوا بصلات المصاهرة بذرية الجنود العرب المرتزقة الذين جاءوا الى الصين فى العهد الأول ، ويبلغ عددهم مليون نسمة .

( ب ) الأتراك الويغور الذين اعتنقوا الاسلام ، ويطلق عليهم اسم « تونغ هيانغ هوئى — هوئى » ويبلغ عددهم ٣٠٠ ٠٠٠ نسمة ، ويقيمون بالقرب من « هو تشيو » .

(ح) « الأتراك السالار » (سالار مأخوذة من كلمة سايير ومعناها: تركي) وقد نزحوا الى الصين فيما بين سنتي ١٣٨٠ و ١٤٢٨ من « ساراخس » عن طريق سمرقند وطورفان وصوتشيوتشي حتى سى غنج في الغرب، ومن « هوتشيو »، ويبلغ عددهم ٧٠.٠٠٠ (د) بعض المنغول الذين اعتنقوا الاسلام بالقرب من « نغغ - هيا » وأما إخوانهم من البوذيين المتحمسين لبوذيتهم فهم متمردون ضد اعتناق الاسلام كما هو الحال مع أهالي التبت (التنغوت) في « سى - غنج » الذين يقيمون حول أديرتهم البوذية التي يبلغ عددها أربعة وعشرين، ومنها دير « كوم بون » الشهير .

وهؤلاء المسلمون يتكلمون الصينية، وبعضهم يتكلمون التركية (سالار) ويقتنون الكتب الفارسية والعربية، والمدرسون في مدارس تعليم القرآن (أهونغ) يتلقون علومهم في « هو - تشيو » وهي مركز التعليم الاسلامي لجميع بلاد الصين الشمالية الغربية، أما خطبة الجمعة فهي خطبة « بخارا ». والنساء سافرات إلا نساء « هو - تشيو » فانهن مقنعات، ومحظور تدخين الدخان، ولكن لا حرج من تعاطي الكحول، ومسموح اتباع لوحات العبادات التي كان يقيمها أسلافهم القدماء، اللهم إلا عند الأتراك (السالار) فان ذلك محظور عليهم، ويذهب كل عام بعض الحجاج الصينيين الى مكة وجميعهم سنيون، وينقسمون الى مذهبين متنافسين: « القديم » وهو يعادل المذهب الحنفي، إذ أن الصلاة تؤدي فيه « بالذكر الخفي <sup>(١)</sup> » وهو عبارة عن متابعة المؤمنين بفكرهم للإمام في تلاوته للقرآن عند إقامته صلاة الجماعة جهرا، ثم المذهب « الجديد » وهو يعادل على الأرجح مذهب الشافعية، إذ أن الصلاة تؤدي فيه « بالذكر الجهرى » أو التلاوة بصوت عال .

وقد لوحظ أن الأتراك كانوا يتبعون هذا المذهب الأخير في سنة ١٧٦٠ وفيما بين سنتي ١٧٨١ و ١٧٨٥، ويعزو « ده جروت » الى هذا المذهب الجديد بعض

(١) لعل مراده بهذه العبارة أن الحنفي قراءة إمامه قراءة له فلا يقرأ بخلاف الشافعي فانه يقرأ سرا .

الممول الوهاية ، وقد أدخلت على هذا المذهب بعض التعديلات في سنة ١٨٦٠ ، أدخلها عليه « ماهوا — لونغ » المتوفى سنة ١٨٧١ ، وقد كان زعيم الثورة الكبرى التي قامت في ذلك الحين ، وكان رجلاً عظيماً مبعجلاً ، وقد أسس طريقة تدعى الطريقة « الجهرية » ويطلق عليها في بلاد التركستان اسم الطريقة « القادرية » التي تعارض الطريقة « النقشبندية ، وقد انتقل مركز الطريقة « الجهرية » في سنة ١٨٧١ من مدينة « كين نسي — بو » الى « شاكيو » بالقرب من « كو — يين — تشيو » وقد كانت الأغلبية تنظر إلى أتباع هذه الطريقة نظرة استصغار ، فتنسبوا إلى ولايتي « صوتشوان » و « يون — نان » ، أما التوسل بالأولياء وهو عبارة عن زيارة أضرحتهم فقد انتشر في ولاية « كان — صو » مع كثرة إقبال الناس على الدخول في الطريقتين النادرة والنقشبندية .

### في ولاية « يون — نان »

إن ولاية « يون — نان » ومعناها ( الجنوب الغائم ) وتمتد من الجنوب الغربي لبلاد الصين إلى جنوب مصب « يانغ — تسو » وتبلغ مساحتها ٣٨٠ ٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وتقع في منطقتين : منطقة شمالية ، وشمالية شرقية وغربية ، وهي منطقة ذات جبال شاذية وعرة وقاحلة ، ومنطقة أخرى شرقية جنوبية ، وهي منطقة ذات هضبة عالية ينتشر فيها كثير من البحيرات ، وكثيفة السكان ، وتشمل هذه الولاية أربع مديريات و ٩٧ مركزاً .

ويحكم هذه الولاية منذ ٧ فبراير سنة ١٩٢٧ مجلس أعلى ينوب عنه في « إدارة الشؤون الحربية » قائد مسلم « ماتسونج » ويبلغ عدد سكانها ٨٠٥٣ ٠٠٠ نسمة حسب إحصاء سنة ١٩١١ ، هذا وقد أثبت الإحصاء الرسمي أن متوسط أفراد كل أسرة إسلامية يبلغ ستة أشخاص وغير الإسلامية خمسة .

أما مدنها حسب البحث الذى قام به « ج . سولية » فهى :

مدينة « يون — نان — سين » ويبلغ عدد سكانها ٤٥٠٠٠ نسمة ، منهم ٧٢٠٠ مسلم ، وبها سبعة مساجد . ومدينة « تشاؤ — تونغ » ويبلغ عدد سكانها ٣٥٠٠٠ نفس ، منهم ١٥٠٠٠ من المسلمين . ومدينة « تونغ — تشوان » ويبلغ عدد سكانها ١٥٠٠٠ نسمة منهم خمسة آلاف مسلم . ومدينة « مونغ — تسو » ويبلغ تعدادها ١٢٠٠٠ نسمة . ومدينة « تنغ — يو » وعدد سكانها ١٢٠٠٠ نفس . ومدينة « طالى » ويبلغ تعدادها ٦٠٠٠ نسمة ، منهم ١٥٠٠ مسلم . ومدينة « لى — غان » وعدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة ، من بينهم ٤٠٠٠ مسلم . ومدينة « مونغ — هوا » ويبلغ عدد أهلها ٣٠٠٠ نفس ، منهم ١٢٠٠ من المسلمين ، و « أتتسيه » حيث يوجد السوق التبتى ويبلغ ارتفاعه ٣١٠٠ متر . ومدينة « ناتشوانغ » بالقرب من « مونغ تسو » ويبلغ عدد المسلمين بها ٢٣٥٠ نفس من مجموع عدد سكانها البالغين ٢٥٠٠ نسمة . هذا ولم يكن هناك شىء أكيد عن حالة الاسلام فى مملكة « نان تشاؤ » قبل الفتح المنغولى فى سنة ١٢٥٣ .

وقد كان حاكم هذه الولاية الذى عينته أسرة « يوان » فى سنة ١٢٧٤ مسلماً يلقب باسم « أمير هين يانغ » وكان اسمه ( شمس الدين عمر بخارى ) ويكنى باسم « السيد الأجل » توفى سنة ١٢٧٩ ، وقد وُطد ابنه « ناصر الدين » وحفيده « سعدى » دعائم استقرار الجالية الاسلامية التى قدمت الى هذه البلاد مع الجد من بخارا .

هذا وقد أجريت الأبحاث عن الآثار التى شيدها فى « يون — نانسين » مثل المساجد الموجودة فى « الباب الجنوبى » وفى « يانغ پى » والضريح الموجود فى « أول — تو » ومنذ بدء القرن التاسع عشر ثار المسلمون المتجمعون فى « نالى » و « لينغان » ( فى سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨١٩ ، وسنة ١٨٢٩ وسنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٤٠ ) .

وقد نشبت الثورة الكبرى فيما بين سنتي ١٨٥٦ و ١٨٧٣ ، وقام بها المسلمون المتحالفون ، إلا أن هذا التحالف لم يلبث طويلا ، إذ انقسم الى فريقين : فريق المعتدلين بقيادة « حاج ماتوسين » في « يون نان — فو » ، وفريق المتطرفين تحت قيادة « تووين — سيو » الملقب باسم « السلطان سليمان » في « نالي » والذي رفض الخضوع للصين ، والذي استنجد بخليفة آل عثمان في سنة ١٨٧٣ ، إلا أن مدينة « نالي » سقطت في سنة ١٨٧٣ وأيد جميع من كانوا بها من المسلمين .

ويقدر عدد المسلمين في ولاية « يون — نان » بسبعائة ألف ، أى بنسبة ٩٠٪ في المائة من عدد السكان ، وهم كما يأتي :

( ١ ) المسلمون الذين هم من نسل مهاجري بخارا الذين قدموا الى هذه الولاية في القرن الثالث عشر مضافا اليهم الصينيون الذين اعتنقوا الاسلام لا سيما في « يونان — سين » .

( ب ) أهالي « اللولو » الذين اعتنقوا الاسلام في « لينغان » حيث يقطنون قصورا مكعبة الشكل .

وتلقى خطبة الجمعة باللغة العربية ، ويقراءون الفاتحة كذلك عند انتهاءهم من تناول الغداء شكراً وحمداً لله ، ويقومون كذلك بأداء فريضة الصوم والزكاة ، ويذهب بعض الحجاج الصينيون سنويا الى مكة عن طريق صوتشوان والتركستان وبخارا ، وفي الغالب عن طريق هانوى وهايفونغ وبورسعيد ، وجميعهم سنيون حنفيو المذهب ومسموح لهم إبقاء الألواح المكتوبة عليها الشعائر الدينية التي كان يقيمها أسلافهم القدماء .

## ولاية « هونغ — كونغ »

يبلغ تعدادها حسب إحصاء سنة ١٩٢١ : ١٦٦ ٦٢٥ نسمة، ويوجد من بينهم نحو ٣٠٠٠ مسلم، كما يوجد بها مسجدان ومنتدى للمسلمين .

---

الخلق الكامل

---

تأليف حضرة صاحب العزة الباحث القدير الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك  
المفتش بوزارة المعارف .

وهو كتاب جامع لأبحاث خلقية نافعة تعرض فيها للكلام على الفلاسفة الخلقية ونسبتها الى سائر العلوم ، وبسط القول في الكلام على الغرائز والعادات والاحساسات ونحوها من ينابيع الخلق ، وأتبع ذلك بفصول ممتعة في أمثل الطرق لتكوين الخلق وهي طريقة دين الاسلام ، وقد أورد حضرته أثناء بحثه آراء علماء الاسلام وفلاسفة الأخلاق مع أمثلة تاريخية وشواهد قيمة تدل على غزارة العلم وسعة الاطلاع . فجاء من أوسع ما كتب في موضوعه ومن أوفى الكتب الخلقية الدينية علما وأعمها فائدة . والكتاب مفصل تفصيلا وافيا ، ومطبوع طبعاً متقناً ويقع في ٤٦٤ صفحة .  
فجزى الله المؤلف عن عمله النافع خيراً .

يطلب من المكتبة التازية بشارع الصنادقية بمصر .



His Eminence Sheikh Ali Al-Khafif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

7 — The appointment of sub-committees in the following towns to co-operate with the Body of Grand Ulema for the fulfilment of its object :

Alexandria, Tanta, Zagazig, Dessouk, Damietta and Assiut.

The Body has authorised the Executive Committee to appoint further sub-committees in other parts should it be deemed necessary.

8 — The appointment of His Eminence Sheikh Mohammed Maamoun Al-Shinnawy, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University as Treasurer to the Body.

The Body of Grand Ulema trusts that it will find the greatest support in the generosity of Moslems to discharge this noble duty. Contributions are received by the Treasurer of the Body at the following address :

Religious Institutions Department,  
Sharia Noubar, P. O. B. 919, Cairo.

---

Following the first convocation of the Body of Grand Ulema to discuss the situation arising from the recent missionary activities in Egypt, His Eminence Grand Sheikh Mohammed Al-Ahmadi Al-Zawahiri, Rector of Al-Azhar University, has made a contribution of L.E. 200 for the purpose of counteracting these activities. His Eminence Sheikh Abdul-Majeid Selim, Grand Mufti of Egypt, gave L.E. 100.

His Eminence Sheikh Mohammed Abdul-Latif Al-Faham gave L.E. 50 and His Eminence Sheikh Hussain Wali, member of the Body of Grand Ulema, gave L.E. 50.

Many other Ulema also contributed.

His Eminence Sheikh Mohammed Hassanein, member of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Sheikh Abdul-Rahman Oleish, member of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Sheikh Abdul-Majeid Al-Labban, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ibrahim Hamroush, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Al-Sayyed Mohammed Ali Al-Biblawy, Chief of the Descendants of the Holy Prophet in Egypt.

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ali Al-Khafif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Taha Habib, professor at the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Al-Khidr Hussain, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Ahmed Arafa, sub-dean of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Abdul-Rahman Qorraa, member of the Body of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Sheikh Hussain Wali, member of the Body of Grand Ulema.

The Executive Committee has the right to include in its membership anyone whose inclusion is deemed beneficial to it.

6 — The appointment of a committee to make the necessary regulations pertaining to the organisation of the work of the body in this connection. The said committee to be constituted of the following :

His Eminence Sheikh Abdul-Majeid Selim, Grand Mufti of Egypt.

His Eminence Sheikh Mohammed Abdul-Latif Al-Faham, Vice Rector of Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs (Pious Foundations).

His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ali Al-Khafif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Al-Khidr Hussain, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Taha Habib, professor at the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Ahmed Arafa, sub-dean of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

2 — The publication of an appeal to Moslem people.

3 — The appointment of an executive committee for this purpose presided over by His Eminence the Grand Sheikh Rector of Al-Azhar University and including the following :

His Eminence Sheikh Abdul-Majid Selim, Grand Mufti of Egypt.

His Eminence Sheikh Mohammed Abdul-Latif Al-Faham, Vice-Rector of Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Hussain Wali, member of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Al Sayyed Abdul-Hamid Al-Bakry, head Sheikh of Sufis.

4 — The secretarial work of the Body to be entrusted to the following :

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ali Al-Khafif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, Professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

5 — The appointment of committees for the preparation of preliminaries necessary for the work and a learned committee to be constituted of the following :

His Eminence Sheikh Ahmed Nasr, head Sheikh of the Malikites.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## RESOLUTIONS OF THE BODY OF GRAND ULEMA FOR THE PROTECTION OF ISLAM AND MOSLEMS

---

On Monday the 24th. of Rabei-ul-Awal, 1352 A.H. (17th. of July, 1933 A.D.), a meeting of the Body of Grand Ulema was held at Al-Azhar University to organise the work for the protection of Islam and the Moslem people against the grave dangers of missionary activities. The Body passed the following resolutions:

1 — The inclusion of the following for the purpose of assisting in this work :

His Eminence Al-Sayyed Abdul-Hamid Al-Bakry, Head Sheikh of Sufis.

His Eminence Al-Sayyed Mohammed Ali Al-Biblawy, Chief of the Descendants of The Holy Prophet in Egypt.

His Eminence Sheikh Mohammed Maamoun Al-Shinnawy, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ibrahim Hamroush, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University.

# من مدير مجلة نور الاسلام

لقرائها الكرام

شرفنى مجلس الأ زهر الأعلى ، بناء على اقتراح حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأ زهر ، بإسناد وظيفة إدارة هذه المجلة الى . وإنى حيال هذا التوجيه الكريم ، أعاهد الله على بذل الوسع فى الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة ، ووقف كل جهودى ، على إبلاغ هذه المجلة للمكانة التى تليق بها ، من قيادة النهضة الدينية فى العالم الإسلامى ، ودفع شبهات خصوم الدين التى توجه إليه ، واستخدام الأسلحة العلمية والفلسفية لإثبات أنه الحق ، وأنه الدين العالمى الخالد ، الكافل لسعادة البشر على اختلاف بيئاتهم وأجناسهم .

وإنى فى هذا المقام ، أرى من أوجب واجباتى ، رفع يد الدعاء والابتهاال الى الله تعالى بأن يبقى حضرة صاحب الجلالة الملك « فؤاد الاول » ملاذاً لهذا الدين ، فإن أياديه التى تترى على معاهده ، وعنايته العالمية التى تتوالى على قادته ، مما يعجز القلم عن حصرها ، ويعيا اللسان عن القيام بواجب شكرها . أبقى الله ذاته الكريمة ذخرا للأمة ، وأقر عينيه بحضرة صاحب السمو الملكى ولى عهد الدولة المصرية « الأمير فاروق » .

وإنى أقدم نفسى لحضرات القارئىن ، واعدأ إياهم بالعمل على إبلاغهم أقصى أمنياتهم ، فى أن يجدوا من هذه المجلة منارة للهدى ، وعاملاً للحق ، ومورداً عذبا لعلوم الدين وبيناته ، بمساعدة حضرات أصحاب الفضيلة محرريها من العلماء الأعلام ، وفقنا الله جميعا للقيام بمراضيه ، والعمل بمحابه ، بفضل وكرمه .

محمد فريد ومبرى

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١ -

الإنسانية تتدرج نحو الكمال بقدم ثابتة ، وخطى متزنة . والجماعات البشرية كلها وإن تناحرت وظهر أن بعضها يهدم بعضا ، فإنها في الواقع مسخرة لقوى تخضعها مخضاً لتستخرج منها خلاصة ما أودعته فطرتها من خصائص كريمة وخلال عالية . وقد نزول أمم وتقوم أمم ، وتبيد طوائف وتنشأ طوائف ، وتزلزل الأرض تحت أقدام الجماعات حتى كأيظن الناظر إليها أن العالم مدفوع لدمار محقق ، وخراب لا مردّ له . والحقيقة أن أجزاءه تتفاعل تتفاعل المواد السكياوية ، لتخرج مركبا جديداً أجمع منها جميعا للمزايا المتفرقة فيها ، ليؤدي عملا جديدا لا يستطيع أن يضطلع به من كان قبله ، ويكون مقدمة لغيره من الترقيات الصورية والمعنوية التي يأخذ بعضها بأيدي بعض ، متكافلة على تحقيق وعد الله في الأرض .

لقد عاش الناس آمادا طويلة متفرقين شيعة ، ومتخالفين أصولا ومبادئ ، وكان العقل الإنساني ملتاثا ببقايا السذاجة الأولى ، يتخذ من هذا النشيع والتخالف عاملين قويين على توسيع شقة الانقسام البشري . وقد اتخذوا الأديان بواعث المضي في هذا التناحر الى أقصى حد . وما زالوا جارين على هذا السمت حتى تمهدت سبل الاتصال بين الشعوب ، وتساهت وسائل التعارف بينها ، ونجحت حاجات حيوية تدعوها لتبادل الثمرات ، وتداول المنافع ، فنشأ للأمم شعور لم يكن من قبل ، وهو وجوب قيام صلة بينها تسمح لها بالتكافل في الحياة ، ليكمل بعضها نقص البعض

الآخر في أعم الحاجات وأبسطها، فنشأت التجارة العالمية، فكانت وسيلة للتفاهم، والتفاهم يدفع الى التسالم، فكان هذا عهداً جديداً في حياة الأمم ما زال تدفع عوامله بالشعوب بعضها نحو بعض، ممهداً لأكبر عهد من عهود البشرية، ألا وهو القيام على أصل جامع يؤلف بين الكافة في حضيرة واحدة، إخواناً على سرر متقابلين، ليقطعوا مراحل هذه الحياة، مجردين قوائم كلها للتكامل في العلم والعمل، لا متناحرين يبغي كل فريق خضمه الفشل، ويبييت له الويل والخليل.

وُلد هذا الشعور في العالم، واسكنه ولد خيالاً يطوف ببعض الرؤوس ولا يستقر فيها، إلا أنه كان يزداد على مرّ الأيام قوة، الى عهد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

في هذا العهد أراد قيوم الوجود سبحانه وتعالى أن يجعل من هذا الشعور الخيالي حقيقة واقعة، فشرح للناس الإسلام، وأمر بإشاعته في جميع أكناف الأرض. افتتح به عهداً نهائياً للبشرية لم تكن تتخيله من ناحية الدين قط، لأن كل أمة أُنفت أن الأديان كلها مزورة إلا الدين الذي هي عليه، فمن أية جهة تأتى مجموعها الوحدة المرغوبة من قبله؟ ذلك كان من المحالات العقلية، فكان بعض الفلاسفة يتخيل هذه الوحدة من ناحية التخلي عن جميع الأديان. وكيف كان يعقل ذلك في أمم اختلط حب الدين بدمها وآثرته على نفسها وولدها؟

فكيف حل الإسلام هذه المعضلة الخطيرة في حدود العقل ومنطق الأشياء، وسوّغها للأذهان الى حد أن صار ليس بين خصم الإسلام وقبوله والتحمس له إلا أن يسمعا بيّنة من الداعي اليه، وأن يفهما حق الفهم؟

حقاً إن هذه لمعجزة لدين يعلن أنه آخر الأديان الإلهية، وأنه الدين العام لمجموع البشرية، وسيصبح دين الكافة غير منازع، بعد أن تتجلى للناس آياته في الآفاق والأنفس الإنسانية.

أعلن الإسلام أنه في أصوله الاعتقادية ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله الى نوح ، ثم تابع وحيه الى جميع المرسلين من بعده ، فاذا كان الناس يرون أمام أعينهم أديانا مختلفة في هذه الأصول ، فإنما حدث ذلك من تحريف قاداتها لها ، وتحميلها مالا تحمله من أهوائهم وأوهامهم ، بغيا بينهم .

وقد أرسل الله به نبيه محمدا في آخر الزمان ، خالصا من كل ما أدخل اليه مما ليس منه ، ليقوم الناس على أصل جامع ، فينعموا بزايا الوحدة ، ويتوجهوا بجملة لهم لتحصيل الكمال الذي وعدت به البشرية . ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : ( شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ ، وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ . فَلِذَلِكَ فادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ (أى لا حاجة ولا خصومة) اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ) .

وقال تعالى : ( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ . وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ . وَقُلْ لِلَّذِينَ



أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ) .

إذا ألقيت هذا البيان الى كائن من كان ، أسأغه عقله ، واطمأن اليه قلبه ، وحنّ له شعوره ، وإلا فهل يعقل أن الله يوحى أديانا متخالفة فى أصول العقائد لأُم تتشابه فى عقولها وقابلياتها ووجهاتها ، على حين أن الحق لا يتعدد ، ونواميس الكون لا تتغير ؟ فإذا لم يكن هذا التخالف فى الأديان من جنبايات قادة الأديان ، فجنابة من هو ؟ وهل يعقل أن يتوحد العلم الكونى فى كل مكان ، حتى تكون أصوله فى أية بقعة من بقاع الأرض هى أصوله فى سائر بقاع العالم ، ويكون الدين فى أصوله ذا وجوه مختلفة ينقض بعضها بعضا ، ويبغى بعضها على بعض ؟

والذى ضمن للدين الإسلامى الخلود أمران : الفطرة الإنسانية ، وسلطان العقل الكامل . والناس جميعا يتفقون فى مقتضيات الفطرة ، فما يراه إنسان بنظره حسنا يراه كل الناس حسنا ، وما يراه قبيحا يراه الكافة قبيحا ، اللهم إلا إذا تعمد الالباء والمربون إفساد هذه الفطرة ، وشرط الإسلام أن تبقى الفطرة سليمة من الشوائب التى تحولها عن منهجها .

وأما سلطان العقل الكامل ، فلا سبيل لأ كبر قوة فى الأرض أن تسلبه إياه ، فإنه قبس من نور الله ، ونفحة من حكمته ، وقد حاول طمسه قادة الأديان السابقة أجيالا ، وعاقبوا من يحوم حول حماء بالحديد والنار قرونا ، فأظهره الله على جميع القوى الظلمانية التى جردت لمكافحته ، وتجلّى جوهرها خالصا لم يسسه سوء ، وهو اليوم يفصل التفرقة بين الحق والباطل فى العالم كله .

اعتمد الإسلام على هذين الأمرين الطبيعيين ، اعتماد البناء على ركنيه الركينين فقال عن الفطرة الإنسانية : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )

فالخالق جل شأنه يبين للناس أن الدين هو ما جلبت عليه النفوس من الفطرة الإلهية، ولكن بشرط أن لا تشاب بتعاليم تتحكم فيها وتوجهها غير وجهتها الطبيعية. وهذه الفطرة الخالصة من كل شوب: من هوى، أو وهم أو تقليد، أو تعليم، هي الإسلام نفسه. إلا أن هذا الموقف يحتاج لمقوم يقومه، فإن الناس يتخالفون في الغرائز الطبيعية، وفي الصفات الوراثية: فمنهم المنثبث والمتسرع، والبعيد النظر والقصير، والكثير العلم والقليل، فكان لابد من حكم يرضى الناس جميعاً بحكومته، ولا يشذ عنها إلا مفتون أو متعنت. هذا الحكم هو العقل. ولما كان هذا العقل مناط التكليف، وفيصل التفرقة بين الحق والباطل، وجب أن يكون بحيث يصاح لهذه المهمة الخطيرة. فذلك حث الحق سبحانه وتعالى على تكميله، بالنظر في الأعلام التي نصبها في السكون لتكميله، والمنار التي أقامها لهديته، ليقوى على ما هو بصدد، ويأمن العثار في حكمه، ولا يلتبس عليه الباطل في تلونه.

فهذا الجمع بين حكم الفطرة المعدلة بحكم العقل الكامل، هو الأساس الديني الذي بعث الله خاتم أنبياءه لوضعه وإعلانه بين الأمم، لتتوحد في أديانها وعقائدها، كما هي متوحدة في إنسانيتها وفطرها وعقولها.

لقد أنجح الفيلسوف الانجليزي (باكون) واضع الدستور العالمي قبل نحو ثلاثة قرون في توحيد العلم في كل بقاع الأرض، ببنائه على المشاهدة والتجربة، وعلى التحليل والتركيب، وبإخراجه جميع الآراء والظنون من مادته، فاذا كان (باكون) قد استحق إعجاب العالم كله به لتوفقه الى هذا العمل العظيم، فإن الإسلام يستحق أكبر ما يتصور من الإجلال والإكبار لإيحائه الى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الدستور الديني الذي نحن بسبيله، فجمع به بين أمم لا تغرب عن بلادها الشمس، وسيجتمع عليه سائرهما، متى وفق الله المسامين لإعلانه للناس في هذه الصورة الباهرة، ومتى أراد الله أن يتم هذا الإصلاح الكبير في الأرض.

وبما أن الاسلام يرى الى توحيد الأمم في عهد جديد للبشرية، كانت عقائده على هذا الأصل الجامع، فأمر الآخذين به أن يعتقدوا بجميع رسل الله، وأن لا يفرقوا بينهم، وأن يصدقوا بما أرسلوا به من الكتب، جاعلا ذلك أساس الإيمان، لتكون صبغته عالمية من كل وجه، فقال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

وبعد هذا البيان لا يستطيع أحد أن ينكر أن هذا الأساس الديني الذي جاء به الاسلام هو أقصى ما يمكن تخيله من نظام يدعو الى دين واحد، والى الاخاء بين الأديان، ويجمع على الرضاء به كل ذى فطرة وعقل. وإن رجلا في أبعد بقعة من الأرض عن العمران، وعن مثل هذه الأحلام العالمية، وفي عصر لم يطف فيه توحيد الأديان والأمم في عقل بشر، لا يعقل أن يكون انفرد بالتفكير في هذا الأمر، وهو لم يفرغ بعد من التوحيد بين القبائل التي نشأ في بيتها. وإذا عقل أنه قد يفكر في ذلك، فلا يعقل أن يأتي بدستور يبلغ من السكال الى هذا الحد.

لا مشاحة في أن هذا أمر جليل، وفي أنه مبرز الى أقصى حدود الإعجاز، وفي أنه سيكسب الاسلام المكانة التي يرى اليها، وهي أن يكون الدين الذي شرعه الله للناس كافة (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ).

فاذا قدر الله للبشر أن يجتمعوا على دين عام، في عهد من عهودهم، فهو هذا الاسلام، وقد قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحَقٌ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). محمد فريد وجدي

# النفس

## سورة النور

١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْهُ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَوْ يُغْلِبَهُمْ فَكُونُوا مِنَ الْمُهْزَمِينَ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) .

لقد رأيت كيف قصّ علينا جل شأنه في الآيات السابقة حال المنافقين وذئبتهم ، ومقاتلتهم المتقلبة مع أهوائهم ، وأنهم يدعون أنهم آمنوا بالله وبالرسول ، وأنهم أطاعوا ثم يتولّون معرضين عن مقتضى حكم الإيمان ، خارجين عن حكمه ، فهم وهذه حالهم ليسوا من الإيمان في شيء . وزاد ذلك توضيحا بما يكشف القناع عن تلبسهم ، ويفضح مكنون أستارهم ، إذ يتكشفون على حقيقةهم حين يدعون الى الله والى الرسول ليحكم بينهم ، فتراهم حينئذ : إن كان الحق بيد خصومهم أعرضوا عن حكم الله ورسوله علما منهم أنه لا يقضى إلا بالحق ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين .

هذه الحالة لا يصح أن تصدر عن صادق في دعوى الإيمان . هذه المقالة ليست شعار المخلص فيما يزعم من الطاعة والانقياد . هذه الذبذة ليست صفة المستيقنين ، إنما هي صفة الكاذبين المنافقين ، الذين لا يرتادون إلا مصالحهم الشخصية ، مهما صادمت قضية الحق والعدالة . أما ما يقابل هذه المقالة ، وذلك هو القول الثابت المطابق ظاهره لباطنه ، وهو قول سمعنا وأطعنا حين يدعون للحكم بينهم ، فإنما هو قول المؤمنين وحدهم ، لا ينتظر أن يصدر من تلك الفئات التي لا تعرف إلا أشخاصها ، ولا تقدر إلا مصالحها . وباليتمها كانت تنظر الى صالحها بالنظر الصائب ! إذاً علمت أن صالحها الحقيقي مرتبط بالصالح العام ، فهو المستقر الثابت الدائم ، الكافل للسعادة العامة الشاملة المستقرة . ذلك هو النظام الدائم الذي يعرف الكل طريقه ، فيسلكونه ليصلوا الى ما ينبغي أن يكون به عمار الكون . ذلك هو العدل الذي هو أساس الملك الذي يستند العمران ، ويكفل الطمأنينة والأمن بين الناس أجمعين .

إذا تأملت ما شرحناه لك في مقارنة الآيتين إحداها بالأخرى ، لننظر اليهما نظراً واحداً ، عرفت السرّ في نصب ( قول المؤمنين ) على أنه خبر كان ، والمصدر المأخوذ من قوله : « أن يقولوا سمعنا وأطعنا » اسم كان مؤخراً . وإن كان يجوز في العربية أن يكون كل منهما خبراً لكان واسماً لها ، فكل منهما معرفة . وقد قرئ في غير القراءة المشهورة برفع « قول » على أنه اسم كان . وزعم بعض المفسرين أنه أقعد من جهة المعنى ، وذلك لعدم تنبيههم لما شرحناه لك من أن الكلام في الآية الأولى كان لبيان مقالة المنافقين العوجاء ، فخرى بقارئها أن يتطلع الى المقالة التي تقابلها ، وهي المقالة الثابتة الصادقة ، وينتظر أن يعرف لمن تكون ، ومن ذا الذي يتحلى بها . فكان الإفادة في حين التطلع ، وقيل فيها : هذه الكلمة إنما هي قول المؤمنين ، لا ينتظر أن يتحلى بها سواهم . وكأن تقديم الخبر على الاسم للمبادرة بالتنويه بمجالها ، والتنبيه على شرف مقدارها ، بأنها حلية المؤمنين الصادقين .

ولا يفوتك أن تقييد الخبر وهو «قول المؤمنين» بقيد «إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم» محط قصد، وهو يجعل الفائدة منتظرة أيما انتظار. ولا تسأم من هذه الجملة النفيسة، فقد دعانا إليها ما رأيناه من حيرة بعض المفسرين في الترجيح بين قراءة نصب وهي المشهورة، وبين قراءة الرفع. ولا يستطيع الناظر في تفسير كلام الله - وهو أبلغ كلام - أن يتخلى من النظر في دقائق أسرار البلاغة العربية.

وقوله تعالى في بيان مقالة المؤمنين: «سمعنا وأطعنا» معناه: سمعنا دعوتكم للتحاكم للرسول صلى الله عليه وسلم، وأطعناكم فيما تطلبون. أو سمعنا قولكم سماع انقياد، وأطعنا الرسول فيما حكم. أو سمعنا وأطعنا إطاعة ثابتة على كل حال، ليست متقلبة ولا معرضة للزوال، كما كانت طاعة أولئك الكاذبين المنافقين. وعلى كل حال: فالطرفان وإن اشتركا في إظهار الطاعة، فقد اختلفا أيما افتراق في تمحيصها، فإن الطاعة المقيدة بموافقة هوى المطيع ليست من الطاعة في شيء، وإنما هي اختياره لما فيه حظ له، فلا بدع أن كانت غير جديرة بأن تسمى طاعة مطلقا. من أجل ذلك جاء قوله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» بعد بيان حال المؤمنين فيه لفظ (يطع) على إطلاقه، لم يقيده بمثل طاعة صادقة، أو طاعة صحيحة، أو طاعة في كل حال، إشارة الى أن ما زعموه طاعة ليس من الطاعة في شيء، وإنما هي تسمية كاذبة.

ومعنى «من يطع الله ورسوله» أي يطع الله فيما كلف، ورسوله فيما بين، أو يطع الله فيما فرض، ورسوله فيما سنّ. وعلى كل حال: من يطع الرسول فقد أطاع الله. وإنما نص عليه بالذكر تنويفا بشرفه صلى الله عليه وسلم، وتنبهيا على أن طاعة الرسول مطلوبة المرسل، جل وعلا. وقوله: «ويخش الله» أي يخشى عذابه فيما مضى له من ذنوب، ويتقه فيما يستقبل منها. وخشية عذابه في الذنوب الماضية باعثة على الندم على ما فرط منها، وهي تستتبع اتقاءه فيما يستقبل، وذلك من أركان التوبة: الندم على الماضي، والعزم على عدم الوقوع في الذنب. ولذلك قال بعض المفسرين: إن هذه الآية على إيجازها حاوية

لما ينبغي أن يكون من المؤمنين : طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وخشية عذابه لما مضى ،  
واتقاؤه فيما يستقبل . وكيف لا وهي مستجمعة لامثال الأوامر في : يطع الله ورسوله ،  
واجتناب النواهي في : يخشى الله ويتقّه ؟ فما أحقها أن يرتب عليها الفوز بالأمال ، والظفر  
بالمطلوب ! فلذا قال جل شأنه : « فأولئك هم الفائزون » بهذا التعبير الدال على حصر  
الفوز فيمن هذه حاله .

ولقد قلنا مرارا : إن اختيار اسم الإشارة « أولئك » للتعبير في مثل هذه المواطن  
ليدل على أن المحدث عنه استحق هذا الحكم من أجل الصفات السابقة التي استحضرت  
مع موصوفها بالإشارة إليه . والفوز : النجاة والظفر بالخير ونيل المقصود . وقد قرئ  
يتقّه بإسكان القاف ، وهي قراءة حفص . وكأن وجهها أن اللفظ وإن كان مركبا من  
الفعل والضمير الذي هو الهاء ، إلا أنه لا اتصاله نزل منزلة الكلمة الواحدة . وهذا الوزن  
كثيرا ما يسكن وسطه للتخفيف ، كلفظ كتف . وقرئ بكسر القاف على الأصل مع  
تسكين الهاء على أنها هاء السكت أو هاء الضمير ، ونزل الوصل منزلة الوقف . وقرئ  
بتحريك الهاء بإشباع الكسرة وعدم إشباعها .

قال تعالى : ( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا  
طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) :

عود على بدء ، وحكاية لحال من أحوال المنافقين ، زيادة في فضح حالهم ، وكشفا  
لمستور قناعهم ، وتفضيحا لشنيع أعمالهم ، حتى يكمل النفور من تقليدهم . وكثيرا ما نرى  
في القرآن الكريم عند الكلام على المنافقين أن يفيض القول في شرح سوءاتهم ،  
وتقاليب الأساليب الفاضحة لهم . وما أجدر من يزعم أنه يخدع الله ورسوله والمؤمنين  
بأن يكشف حاله وتعلن مخازيه ! والقسم : اليمين . أو أصله خاص بيمين القسماء ، وهي  
اليمين التي توجه إلى القبيلة في نفي تهمة القتل عن أحدهم ، فيقتسمونها ، ثم غلب استعماله

في مطلق اليمين . وقوله : « جهد أيمانهم » أى أقصاه ومنتهاه ، كأنه جهد يمينه ، أى بلغ أقصاه . وهو منصوب على الحال ، أى جاهدن أيمانهم ، أو على أنه مصدر لفعل محذوف ، أى يجهدون أيمانهم جهداً .

وقوله : « لئن أمرتهم ليخرجن » جواب القسم ، على أنه حكاية لما كان منهم لا حكاية لمقاتلتهم ، وإلا كان مقتضى الظاهر : لئن أمرتنا لنخرجن . ومعنى أمرتهم ، أى بالخروج ، كما يدل عليه الجواب ، وهو ليخرجن . ومعنى الخروج إما للجهاد ، أو الخروج عن أموالهم وما يمتلكون .

وقوله تعالى : « قل لا تقسموا » ردّ عليهم ، وتبكييت لهم ، وكشف خداعهم . ومعناه : أنكم تقسمون لتثبتوا دعواكم في نفوسنا ، ولكن ذلك لا يفيدكم شيئاً ، فطاعتكم طاعة معروفة ، هى طاعة لا تتجاوز اللسان والشفقتين ، ولا يخفى من أمركم من شئ . أو فالطاعة فى حقيقتها أمر معروف ، وليس مما يثبتته أو ينفيه دعوى اللسان ، وإنما هى آثار ظاهرة لا يحتاج من اتصف بها الى ادعائها ، ولا يغنى عن حرمها أن يدعيها ويقسم عليها . فتكون « طاعة » متبداً ، وجاز الابتداء به لأن المقصود حقيقة الطاعة وماهيتها ، لا فرد منها الذى هو محل إبهام يمنع من صحة الابتداء بالنكرة . أو فالطالوب منكم طاعة معروفة بينة لا تلك المراوغة . ولعل الأظهر الوجه الأول ، وهو أن التقدير : فطاعتكم طاعة معروفة ، أى بأنها اسمية لا فعلية . ويشهد له إردافها بقوله تعالى : « إن الله خبير بما تعملون » أى فقد كشف الله ستركم ، وهو لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، فكيف تحدثكم أنفسكم أن يخفيه عن نبيه الذى يوحى اليه ما فيه الهداية والإرشاد ؟

يقول تعالى بعد ذلك خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) أى قل لهم : لقد كشف حالكم ، وتبين أمركم ، ولا يغنيكم محالكم ، خير



لكم أن تعرضوا عن هذا السبيل الملتوى الذى لا يفيدكم ، وأن تطيعوا الله وتطيعوا الرسول فيما يأمركم وينهاكم . هذا هو سبيل النجاة لكم . فالمقول لهم فى قوله : « قل لا تقسموا طاعة معروفة » فضح وتوبيخ وتبكييت . والمقول لهم فى « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » إرشاد وتعليم . فالكلامان نوعان مختلفان . ونظير هذا فى متعارف الناس كثير : يعمد المرء مع مخاطبه حتى يكشف دخائله ، ويبين تغريده ، ثم يقول له : لا لا ، ليس هذا هو الطريق ، يجب أن تعمل كيت وكيت ، ويرى نفسه قد انتقل من فن فى القول الى فن آخر . وهذا هو السر فى تكرير لفظ « قل » مع « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وعدم الاكتفاء بتسايط قل على لا تقسموا وعلى أطيعوا .

وبعد : فلعلك تشعر بالروعة العظيمة فى ذلك الأمر الجازم الحازم يلقى عليه بإيجاز ، فكأنه قيل له عليه السلام : قل لهم هذه الكلمة ، وأمرهم هذا الأمر وكفى ، ولا عليك بعد فيما يكون منهم . وإن هذا ليشعر بالعظمة والرهبة ، تملك المسامير وتأخذ عليه نواحيه . وقوله بعد ذلك : ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) الخ ، يحمل من مكملات الرهبة والتحذير ما يحمل . ثم إن إعادة لفظ أطيعوا مع جانب الرسول يفيد أن طاعة الرسول مأمور بها بعناية مستقلة ، وذلك من بواعث الامتثال ، إذ كانت طاعته عليه السلام قد أمر بها الله ، فيصدق : من يطع الرسول فقد أطاع الله .

وقوله تعالى : ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) تولوا ، أى تعرضوا . وأصله تتولوا ، فهو خطاب لهم بعد خطابه صلى الله عليه وسلم . وتغيير الأسلوب كأن فيه إشارة الى أنه قد أمر فامتثل ، وقيل له : قل لهم : أطيعوا فقال لكم ، إذ شأنه أنه متى أمر بادر بالامتثال ، صلى الله عليه وسلم ، وليس كشأنكم : يحتاج الى التكرير والتحذير ، ويوجه اليه التخويف ، ليقاع عن التسويف ، لا ، بل متى قيل له : قل ، فقد قال حتما . فيبقى الكلام معكم أنتم ، فإن تعرضوا عما أمركم وتتولوا عنه ،

فما ذلك بضارده شيئاً، فإنما عليه ما حمل وقد أداه، وعليكم ما حملتم، فانظروا لأنفسكم، وأنقذوا أنفسكم من الضلال الذى يردكم، والحيرة التى توقعكم فى التهلكة، ولا عذر لكم فيما تنكصون، فقد بين لكم طريق الرشاد والهدى، وذلك فى طاعته واتباع أمره؛ وذلك قوله عز وجل: «وإن تطيعوه تهتدوا» فهو ترغيب بعد تهريب. وفى ذلك من سوقهم الى ما فيه سعادتهم ما فيه، فقد دفعوا بالرهبة، وجذبوا بالرغبة. وذلك هو الأسلوب الحكيم: تملأ قلب الجناح المغتر رعباً مما هو فيه، حتى إذا أخذت عليه الجوانب وتلفت يميناً وشمالاً، فتحت له طريق الخلاص، مرغبا له فيه، فينساق اليه طوعاً أو كرهاً.

وقوله عز وجل: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) معناه: فلن يضره تأخركم عن إجابته، ولا يحيق سوء عملكم إلا بكم. وأما هو فما بعثناه عليكم وكيلاً، ولا يتضرر من قبلكم فتيلاً «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات».

فالقصر ليس معناه أنه طوبى بالبلاغ ويتركهم بعد ذلك فلا يعالجهم بوسائل العلاج الناجعة، بل معناه أن ضرر معصيتهم حائق بهم وحدهم، ولا يضره ضلال من ضل متى قام بما طلب منه، فهى كقوله: «فإنما عليه ما حمل» وهذا يحمل الآيات التى من هذا القبيل، مثل قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا). (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ). (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) وغير ذلك كثير. فمن فهم منها أن وظيفة الرسول مجرد التبليغ، وليس منها أخذ الناس بصنوف التريية اللائقة بمقتضى الحكمة من شدة ولين وغيرهما، وكل من ذلك فى موضعه، فقد جهل.

وبعد: فلعلك ترجع الى الآية السكرية متأملاً متدبراً، لتشهد ما احتوته من معالجة النفاق، وهو من أشد أمراض النفوس استعصاء، فترى كيف بدأ بتحليل نفسياتهم، والتعجب مما يجول فى خواطرهم، بعد ما بزغت شمس الهداية، ووضحت أنوار

الآيات البينات التي أنزلها الله على عباده ، ثم أطاعهم وأطاع المؤمنين على حركات نفوسهم متتبعاً لها على وجه يسائر الخواطر التي تعتر بهم ، حتى يخزوا مما اقترفوا ، وحتى يأخذوا من ذلك برهاناً قاطعاً على أنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . ثم لم يدعهم عند تشخيص المرض ، بل أردفه بالدواء ، يحثهم على التزود منه والاستشفاء به ، واعدأ لهم بالهداية متى سلكوا طريقه ، مزيجاً عنهم ما قد يهيجس بنفوسهم من أن للأمر مصلحة ذاتية تعود عليه منهم ، فتدفعه الى الإلحاح عليهم في أن يهتدوا ويرشدوا ، اللهم إلا ما وعد الله به من كان سبباً في الهداية وتوصيل الرحمة الإلهية لأحد من العالمين ، كما جاء في الخبر : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

نسأل الله تعالى أن يلهمنا الهداية والرشاد ، وأن يوفقنا لطريق الخير والساد ،

إبراهيم الجبالي

إنه سميع مجيب

## التورع عن ولاية المناصب

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الى عدي بن أرطاة : أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشي ، فول القضاء أئذهما . فجمع عدي بينهما ، فقال له إياس : أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة : الحسن وابن سيرين . وكان القاسم يتردد عليهما وإياس لا يأتيهما ، يريد بذلك أن يشهدا بكنفائته ، فيسند عدي القضاء اليه ، ويخلص هو منه .

فأدرك القاسم هذه الحيلة ، فقال لعدي : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء . فان كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني ، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي .

فقال إياس لعدي : إنك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم ، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها ، وينجو مما يخاف .

فقال له عدي : أما إذ فهمتها فأنت لها . فاستقضاه .

# السُّنَّةُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » رواه البخارى .

إن المرء الذى يجاهد نفسه لا يزال مترددا بين نفس أمارة بالسوء ، نزاعة الى الهوى ، ونفس لوامة على التفریط ، جاذبة الى الخير ، تواقعة الى التوفيق . أما النفس المطمئنة الراضية ، فتلك نفس المخلصين الصديقين ، والإنسان مهما قارف مشتهى أو شارف هوى ، انطلق يتلمس لنفسه المعاذير ، ويبحث لها عن مختلف التأويل ، حرصا على أن يجمع لها بين الاستمتاع بما تهوى ، والظفر بالنجاة من البلوى . وكيف لا وهو دائما بين هوى متغلب وعقل يردع ، والعراك بين العقل والهوى لا يفتر ، والمركة لا تنتهى . وللعقل سلطان ولكنه كثيرا ما يغفو أو يلهو ، والهوى يقظان مترقب للفرص ينتهزها ، والأرادة بينهما كرة بين صوالجة .

وإن أكبر الخطر في أعوان الهوى يرجع إلى التلبيس والتدليس، وتصوير العمل بغير صورته، وفهم الأمر على غير حقيقته. ولقد تجدد الكثير من الأعمال جامعاً لصفات عدة، كل صفة منها تلحقه بأصل من أصول الخير أو الشر غير ما تلحقه به الصفة الأخرى. وكل امرئ يقرأ من الكتاب الصفحة التي توافق غرضه. وهنا يحى اختلاف الآراء وتباعد النزعات.

وقلما يحصل العراك والنزاع بين قوى النفس المختلفة فيما استبان أمره من حلال خالص أو حرام محض. وإنما يحى هذا التردد، وتنشأ تلك المعركة بين القوى النفسية خيرية وشرية، فيما اشتبه من الأعمال، وتردد أمره بين الحرام والحلال. فكان هذا الحديث الشريف نعم المرشد، وأقوى العون على قهر الشيطان، وسد باب الشر عن الإنسان. والحلال: ما أذن فيه الشارع ولم يمنع منه. والحرام ضده. وقد ذكر الأصوليون أن الحلال يتناول الواجب والمندوب والمباح والمكروه، والحرام خاص بالمنوع المحذور. وقيل: ليس المكروه من الحلال المذكور هنا، بل هو من المشبهات، و«بين» أى ظاهر واضح لا يشتبه فيه.

وقوله: «وبينهما مشبهات» روى بتشديد الباء مفتوحة ومكسورة، أى شبهت بأمرين مختلفين، أو ألحقت نفسها بالأموال المختلفة المتعارضة في الحل والحرم. وروى: مشبهات ومتشابهات، بمعنى مشكلات في أحكامها، لما فيها من وجوه الشبه بالأموال المتعارضة فتخفى على الكثير من الناس. والمتشابهة من الأمور: المختلط النواحي، الذى يتعسر تمييز بعضه من بعض. ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الْبَقَرَ كَشَابَهَ عَلَيْنَا) أى اختلط في صفاته، وأشبه بعضه بعضاً، فلا ندري ما الذى يراد بجمعه منه. ومثله المشتبه.

و«اتقى» من الوقاية وهى الحفظ، أى احتفظ من الوقوع فيها، و«استبرأ لدينه وعرضه» أى طلب البراءة لهما، أى عمل على تحصيلها، وسلك سبيلها. ومعنى ذلك أنه اجتهد فى نقاء دينه وعرضه، وسلامتهما من الثلم والخذش والانتقاص.

وقوله : « ومن وقع في الشبهات » أى قارفها وانغمس فيها . والوقوع في الشيء الانغماس فيه والتدهور في جوانبه ، وهو غير الإلمام البسيط .

وقوله : « كراع يرعى حول الحمى » هو خبر قوله : ومن وقع في الشبهات . وفي رواية مسلم : « ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى » الخ . والحمى : الحمى . وأصله أن ملوك العرب كانوا يحمون أما كن من المراعى يحظرون على غيرهم أن يرعى فيها ، وينزلون العقاب بمن يرعى فيه ، فخطبوا بما يعهدون . على أن الحمى هو المكان الحمى المحتجز عن غير حاميه . ولا يكاد عظيم من ملك أو غيره يخلو من أن يكون له حمى ، فلذا جاء « ألا وإن لكل ملك حمى » توطئة للتشبيه الآتى في الجملة التالية . ومعنى أن حمى الله محارمه ، أنها هى التى منع الناس أن يرتعوا فيها ، أو يقتحموها .

#### المعنى :

ومعنى الحديث : أن الشيطان فى إغوائه للإنسان لا يكاد يأتى المؤمن من طريق صريح فى العصيان ، فهو يداوره ويروغه ، ويزين له المبادئ ، مخفيا عنه ما فيها من المفاسد والشُرور . فأمر الحلال الصرف والحرام الصرف نهج واضح لا يشتبه على المؤمن المراقب لنفسه . ولكن الخوف كل الخوف هو فى أمور يحسبها المرء هينة ، لما فيها من الانتساب الى المباحات التى أحاطها الشارع ورخص فيها ، فهوّن عليه مقارفتها ، ثم يزين له الخوض والاسترسال فيها ، ثم يغريه بالإكثار منها ، حتى يستدرجه بعدها لما هو أشد منها ، فاذا هو راتع فى الحرام منغمس فيه . والأمر يجر بعضها بعضا ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

ولقد نجد بعض الناس يستهين مثلا بشرب بعض الأنبذة التى لا يسكر قليلا ، استنادا الى أن بعض المجتهدين يرى أن غير الخمر لا يحرم منه إلا المقدار المسكر ، وأما ما دونه فلا حرمه فيه ، فيستدرجه ذلك الى الزيادة ، لأنه يرى استطابة هذا الذى شرب منه ، والفصل بين المقدار المسكر وغير المسكر مما يدق ويخفى . فهل ترى بعيدا أن ينزلق

في هاوية السكر ويتردى فيها وهو لا يشعر؟ وإنك لترى في الكثير من أنواع الترف أو اللهو المباح بأصله، أنه يجرّ إلى هاوية عميقة لا يشعر بها صاحبها إلا بعد أن يتردى فيها. ومثال هذا من المعاملات ما يجري من بعض الناس من المبيعات الآجلة بأثمان عالية، ثم يبيعها المشتري بثمان عاجل أقل مما اشترى، تحايلا على أن يجري قرضا يجر نفعاً، وهو عين الربا. ولا يجدى فيه أنه عمل صفقتي بيع كل منهما حلال في ذاته. فمثل هذا إذا قال بعض الفقهاء فيه بالحل، فغير خاف ما فيه من التوصيل إلى الربا الممقوت، ولو من وراء ذلك الستر الشفاف، الذي لو فرض فيه أنه أخفى شيئاً على الخلاق، فلا يصح الطمع في أن يخفى على العليم الخبير، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومن ذا الذي يعقل أن الحكيم العليم يحرم على الناس أمراً لما فيه من المفاسد والشُرور والمضار، ثم يفتح له باب الحل من طريق آخر لم تقتل منه شروره ومفاسده؟ وعلى فرض أنه ليس بالحرام المحض لأن فيه يبعاً على دورين وكل منهما حلال في ذاته، فهل يخفى أن الانغماس فيه يجر إلى اختصار الطريق، والوقوع في الربا المباشر، احتقاراً لهذه المحاولات والمماحكات التي لا تنطلي على أضعف العقول وأقصر الأفكار؟!

نعم: الحلال والحرام كل منهما بين واضح لا يلتبس فيه، وذلك هو ما جاء في صريح النصوص الشرعية بعمومه أو خصوصه، كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) وكقوله جل شأنه: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وكقوله عز وجل: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ). قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) (قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) وهكذا من الآيات الصريحة في تحريم الحرام وتحليل الحلال . ومثلها الحديث الذي صح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فإنه واجب الطاعة بقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) . وأما ما لم يدخل دخولا صريحا في النصوص الشرعية ، فإن كثيرا منه يتردد وجه الشبه فيه بين ما هو حلال بعمومه ، وبين ما هو حرام بعمومه ، فيخفى حكمه على كثير من الناس . وخفاؤه على الكثير لا يقتضى خفاءه على الجميع ، فقد يدرك حكمه الحقيقي من بذل الجهد في تعرف أغاب الأشباه عليه ، فردّه الى نصابه ، وألحقه بما هو الأشبه به ، وحينئذ يتضح حكمه ، ويتجلى أمره .

أما ما بقي على اشتباهه فالورع التحرز عنه ، والاحتياط لسلاوة النفس من العقوبات البعد بها عن مواطن الشبهات . وحسبك منه أن كل ما فيه من خير إنما هو حظ عاجل زائل ، من حظوظ هذه الحياة الفانية . ولكن ما يعقبه من شر وويل ، سيكون جزاؤه عقابا جسيما ، وعذابا ألما ، لا سيما إذا تدهور فيه حتى جرّه الى الوقوع في المحظور ، وارتكاب الحرام البين ، كما هو الغالب في متبع اللذائذ والشهوات ، المنحدر مع الهوى في أعماق المنحدرات . وقد روى : « اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال » .



وقال بعض السلف : المكروه عقبة بين العبد وبين الحرام ، فمن استكثر من المكروه تطرق الى الحرام ؛ والمباح عقبة بين العبد وبين المكروه ، فمن استكثر منه تطرق الى المكروه . فاللائق بحال المؤمن الحريص على إيفاء حق العبودية ألا يجعل كل همه الانغماس والاسترسال في الطيبات واللذات ولو مباحة . فأقل ما في هذا تمكن الشهوات من نفسه ، وغلبة اللذائذ على قلبه ، فيتملكه الطغيان ، ويأخذه البطر ، وتقل منه همه الاشتغال بالنافع ، حتى في أمور دنياه . ولا تكاد تجد امراً حصر همه في لذائذه ولو مباحة ، وتملكه الرفه والنعيم ، إلا وخارت قواه ، وضعفت همته ، وقلت حميته حتى في المصالح التي تهمة ، فما بالك بأمر الآخرة ، وهو لا يكاد ينقاد إلا للنفوس اليقظة والأرواح الصافية ، والقلوب النيرة ؟ وهل يستقيم هذا لمن جعل همه في نعيمه وترفه ؟ ثم هل ينكر أن الانغماس في هذه مدعاة الى التكالب على الجمع ، والتغالب في أمر الكسب ، من غير احتياط فيما حل وفيما حرم ، فإذا ما انزلق في هذا فقد خرّ الى الهاوية ، واستمرأ الغش والظلم ، والكذب في سبيل إحراز ما يريد من أمر الدنيا ، فنلبته شقوته ، وكان رعيه حول الحى مزلفة له آلت به الى أن يقع فيه ؟ نسأل الله السلامة في ديننا ودنيانا .

يقول صلى الله عليه وسلم بعد هذا : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » . وهذا من الهداية الى طريق العلاج ، وبيان ما ينبغي المرء أن يرقبه من نفسه ، حتى يصلحه ، فيصلح ما سواه تبعاله . فالقلب سلطان الجوارح ، أو هو مبعث الإرادات ، ومبدأ الميول . ومهما قيل في أن مركز العقل الدماغ أو القلب ، فلا ينكر أن العواطف والميول ، والاستحسان والاستهجان — وهي مبدأ تكوين الإرادة — تستند الى القلب أقوى استناد ، بل كثير من الخواطر والهواجس كان الانسان يشعر بأنه من وحى القلب وحديثه الخفى ، وبخاصة ما لم يستند الى التفكير والاستنباط ، وهو ما نعرفه بأنه إلقاء في الروع .

وإن للقلب صلاحا وفسادا بحسب ما يعتاد من الأعمال ، حسنها وقبيحها ، خيرها وشرها ، فإن للاعتياد والمران أقوى تأثير في صلاح القلب وفساده ، فهو - مع أنه صاحب السلطان على الجوارح - تجده عرضة للتأثر بما يجري عليها ، فيمرن ويرناض بكثرة التكرار ، حتى يصير الأمر فيه سجية : إن خيرا نخير ، وإن شرا فشر .

واعتبر بما تراه من اعتياد الإنسان لبعض الأعمال التي يكرهها في أول الأمر فلا يزال به التكرار حتى تنقاب السكراهية محبة ، والاشمئزاز ألفة ، بل يصير ما كان مكروها بغضضا ضربة لازب ، يحاول المرء أن يتخلص منه فلا يستطيع . وهل أدل على ذلك من حال شارب التبغ مثلا ؟ إنك لن ترى واحدا يشربه لأول عهده به إلا ويتضرر من رائحته وطعمه ، ولكنه يغريه به المغريات : من حب تقليد ، أو محاكاة من يعتقد فيه العظمة أو الظرف ، فيتجرعه على كره ، ولا يزال يعاوده حتى يخف اشمئزازه منه ، ثم يتدرج الى استطابته ، وإذا هو بعد ذلك قد أصبح ولاغنى له عنه ، ولا مفر له منه . أصبح مستطابا مستلذا ، تميل اليه النفس ، بل تراه من ضرورياتها ومقومات حياتها . وهل مصدر الاستطابة والميول إلا القلب ؟ وهل يعتقد أنه بحاجة أو ضرورة اليه إلا القلب ؟ فلو أنه حرص من أول أمره على مراقبة قلبه : فلم يدع العادة السيئة تتحكم فيه ، فتقاب إرادته وميوله الى السيئات ، لما تحكم فيه ، وأوحى الى جوارحه ما يضره ويبطش بصحته وماله .

فالقلب من الجوارح بمنزلة السلطان الأمر الناهي ، وهي خاضعة له أيا خضوع . فمن شاء أن يصلح جوارحه ويحسن أعماله ، فلينظر من أين يجيئها الفساد ، فيقطع عليه الطريق ، ومن أين يرجي لها الصلاح ، فيصل ما بينها وبينه ، حتى يتم له ما يريد من صلاح حاله وحسن أعماله . وهذا هو القلب ، فهو الذي إذا صاح صاح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله .

نسأله جل شأنه أن يصلح قلوبنا ، ويحسن أعمالنا ، ويرزقنا سداد الرأي ، وصدق

## توحيد الألوهية - وتوحيد الربوبية

تفرّق قومنا من غير شيء فحلّ بقومنا وبنا البلاء

كتبنا في هذا الموضوع في العدد الماضي ، ونكتب فيه اليوم ، ولعلنا نكتب فيه غدا . وإنما نريد بذلك كله الدفاع عن سماحة الإسلام ، غيرَةً عليه من تلك الطائفة التي جعلته حرباً لا سلاماً . ولو كان كما زعموا لم يكن دين الرحمة والمحبة والحكمة ، ولا دين الأُمِّ كلها ، بل كان دين الخصام والانقسام ، والنار والدمار ، ولم يصالح إلا لقوم جامدين ، وطائفة مخصوصين .

ولسنا نريد بكل ما نكتب في هذا الموضوع غيراً لا يتنازع المسلمون ، ولا ينقسم بعضهم على بعض ، من أجل أشياء يقع فيها الخلاف ، ويتباين فيها الرأي . فيجب على أولئك المكفرين المسلمين أن يحترموا رأي غيرهم ، ولا نريد منهم أن يتبعوا غيرهم ، بل أن يتركوا أحراراً كما أنهم أحرار ، وأن يقيموا لأولئك العلماء من أئمة الهدى وزناً ، فلهم منطق سليم ، ونظر مستقيم ، وسلف صالح . وينبغي أن يعرفوا أن كل ما هو محل للنظر وموضع للاجتهاد ، يجب أن لا يتنازع فيه الناس ، فالأمر واسع . فكم اختلف الصحابة والتابعون وتابعوهم ، مع محبة بعضهم بعضاً ، حتى قاسم الإمام مالك الإمام الشافعي ماله مراراً ، وقد خالفه في أشياء كثيرة وهو تلميذه . وقد قالوا : إن المنكر لا يجب إنكاره إلا إذا كان مجمعا على إنكاره . فكيف بالكفر الذي جاء في الحديث الصحيح أن أحدهما ببوء به ؟! وكيف بالقتل الذي يستبيحه هؤلاء ؟!

وقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة حين قتل من قال : لا إله إلا الله - تقية في رأى أسامة - ولم يقبل منه ذلك العذر ، ولا رضى منه هذا التأويل . وإني أكرر عجي

منهم كيف يُلزمون غيرهم باتباعهم وهو ينادى بخطئهم ، ويقيم البرهان من الكتاب والسنة والعقل والنقل على ذلك ؟ وهل هذه إلا رتبة المعصوم الذي يجب على الناس أن يتبعوه ولا يخالفوه ؟ فهل هم معصومون حتى لا يجوز أن نخالفهم بحال من الأحوال ؟ ! بل ننزل قليلا ، ونقول لهم : أفترجون علينا التقليد وأنتم تحرمون التقليد ، أم تلزموننا أن نتبعكم ونحن مجتهدون كما أنكم مجتهدون ؟ !

وإنا نسألهم : هل كان الصحابة والتابعون يقسمون التوحيد الى توحيد الألوهية والربوبية ، ويدعون الناس لذلك ؟ الجواب أنه لم يسمع ذلك عن أحد منهم ، فلماذا لا يسمعنا ما وسعهم ؟ !

وإن من علامات الراسخين في العلم أن يحترموا كلام الأئمة ، وما درجت عليه الأمة . أما إمامهم ابن تيمية فلم يسلم منه أحد ، حتى أبو بكر وعمر ، وعلى وفاطمة . ولا يسمعنا تفصيل ذلك الآن .

ومن علامات الراسخين في العلم أيضا أن تراعى ميالين دائما الى اليسر والسهولة ، علما بسماحة الإسلام ، وأنه يسر لا عسر فيه ؛ وعملا بما كان عليه صلى الله عليه وسلم مع المسلمين ؛ وأنهم لا ينكرون إلا ما أجمع على إنكاره ، إلا ما اختلف فيه ، كما كان حال أئمة الهدى بعضهم مع بعض ؛ وأن كل ما كان محلا للاجتهاد والنظر كان الأمر فيه واسعا ، متمسكين في ذلك بأن المجتهد إذا أخطأ كان له أجر ، وإذا أصاب كان له أجران ، كما في الصحيح .

ومن علاماتهم أنهم لا يقدسون أنفسهم ، ولا يحتقرون غيرهم ، علما منهم أنهم غير معصومين ولا مقدسين ، فلا يوجبون على غيرهم أن يرجع الى رأيهم ، ولا يفرضون طاعتهم على الناس فرضا ، كما فعل الخوارج فيما مضى ، وكما يفعلون الآن .

ومن علامتهم أنهم يجادلون غيرهم بالتي هي أحسن ، وأن الحق إذا ظهر على يد

غيرهم اتبعوه ، كما هو معروف من سيرة السلف الصالح . أما أرباب الأهواء ، فهم على العكس من ذلك كله ، وإن صاموا وصلوا ، وعملوا من ظواهر العبادات ما يحقر أحدنا صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم .

وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنهم يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، وأنهم تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب<sup>(١)</sup> بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخل فيه . وكأنه صلى الله عليه وسلم يحذرنا من مخالطهم ، مخافة أن يسرى إلينا دأؤهم كما يسرى داء الكلب الذي يسرع انتقاله ويعسر شفاؤه . جزاه الله عنا أفضل ما جازى نبياعن أمته .

ولا تكاد يجد لواحد منهم شيئاً يروقه من علم أو عمل إلا وجدت بجانبه ما يفسده ويربو عليه . وسرّ ذلك أنهم يتبعون الهوى ، فهو معهم حيثما كانوا ، ومن كان تابعا لهواه فلا بد أن يضل عن سبيل الله . وعلامة الإيمان الصحيح ، بل علامة العقل الصحيح ، أن يتهم المرء نفسه ، ويرجع الى ما عليه الأمة المعصومة التي شهد لها صلى الله عليه وسلم أنها لا تجتمع على ضلالة . وأكثر ما نجد هذه النزعة التي لا تحترم إلا عقلها ، ولا تقدس إلا هواها ، ولا تبالي بالتضليل والتكفير — أكثر ما نجد لها في الخوارج الذين هم أضر على الإسلام والمسلمين من كل شيء ، بنص الحديث الصحيح الذي يقول فيه : إنهم شر الخلق والخلق ، ويقول في تصابهم فيما أشربوا من حب الهوى : إنهم لا يعودون الى الإسلام حتى يعود السهم الى فوقه ، أى مع كون أحدنا يحقر صلاته مع صلاتهم الخ . ولا بدع في ذلك ، فإن للأخبار والرهبان من التقشف والزهد في الدنيا والبعد عن زخارفها وأنواع المجاهدات ما لا يتفق لكثير من أفاضل المسلمين ، ومع ذلك لم يغن عنهم شيئاً ( أَفَنَزَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) والله يتولى هدى الجميع .

(١) بالتحريك : هو الداء المعروف الذي يصيب الكلاب الكلبة .

وإني أُعجب لتفريقهم بين توحيد الألوهية والربوبية ، وجعل للمشركين موحدين  
توحيد الربوبية مع قوله تعالى : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) !  
وهل المراد من الأرباب في الآية إلا المعبودون <sup>(١)</sup> ؟ الى آخر ما ذكرناه في مقالنا  
السابق من تفنيد تلك الدعوى التي ابتدعوها ، فإننا لم نسمع أن أحدا سعى المشركين  
موحدين غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب .

والخلاصة التي نريدها من ذلك كله : أن الذي يجب على كل من يحتاط لدينه ونفسه  
هو الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا ، فإن استباحه دماء المسلمين المصلين  
المقرين بالتوحيد خطأ لا يماثله شيء ، فإن الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من  
الخطأ في سفك دم مسلم واحد ، كما قاله حجة الإسلام الغزالي وغيره .

ولابد أن ننبه هنا على أن الشرك والكفر لا بد أن يكون معقول المعنى . ولا أدري  
كيف يكفرون بالاستغاثة ونحوها ، فإن المستغيث إن كان طالبا من الله بـكرامة  
هذا الميث لديه ، فالأمر واضح ، وإن كان طالبا من الولى نفسه ، فإنما يطلب منه على  
اعتقاد أن الله أعطاه قوة روحانية تشبه قوة الملائكة ، فهو يفعل بها بإذن الله ، فهل  
في ذلك تأليه له ؟ ولو فرضنا جدلاً أننا مخطئون في ذلك ، لم يكن فيه شرك ولا كفر ،  
بل نكون كمن طلب من المقعد المعونة معتقدا أنه صحيح غير مقعد ، مع أن عمل  
الأرواح ومواهب الأنبياء والأولياء ثابتة في الدلائل القطعية ، على الرغم من أنوفهم .  
وصفوة القول أننا نقول : هؤلاء المستغيثون يعتقدون أن الله أعطى هؤلاء  
الأولياء مواهب لم يعطها غيرهم ، وذلك جائز لا يمكنهم منعه . وهم يقولون : إنهم اعتقدوا

(١) فكيف يقولون إن عندهم توحيد الربوبية : وكذلك قوله : ( ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين  
أرباباً ) وقد قال عدى : إننا لم نتخذ الأحرار والرهبان أرباباً فأننا لم نعبدهم . فدل ذلك دلالة صريحة على أن  
كل معبود رب . وقد أقره صلى الله عليه وسلم على هذا . فإذا ترى ؟

فيهم الألوهية ، مع أن ذلك لا يقول به أحد ، إلا عند من أساء الظن بالمؤمنين ظلما وعنادا . ولو فرضنا أن ذلك مشكوك فيه ، فهل يجوز التكفير والقتل بمجرد الشك ؟ فلاستغاثه مبنية عندنا على أن الأنبياء والأولياء أحياء ، في قبورهم كالشهداء ، بل أعلى من الشهداء ، ويمكنهم أن يدعوا الله تعالى للمستغيث بهم ، بل يمكنهم أن يعاونوه بأنفسهم كما تعاون الملائكة بنى آدم . وللأرواح تصرف كبير في البرزخ . وعلى ذلك دلائل كثيرة أطنب فيها ابن القيم ، وهو من أئمة هؤلاء . وأثبت ابن تيمية سماع الأموات وردهم السلام في فتاويه وغيرها ، مستندا إلى الأحاديث الصحيحة في ذلك ، وذكر سماع سعيد بن المسيب الأذان من قبره صلى الله عليه وسلم أيام الحرية في كتبه . فإذا استغاث بهم كان كمن يستغيث بالحي سواء بسواء ، لأنهم عندنا أحياء ، بل أعظم نفوذا ، وأوسع تصرفا من الأحياء .

ولو تنزلنا غاية التنزل ، وفرضنا أننا مخطئون في ذلك ، لم يكن هناك وجه للتكفير . وإنما يقال للمستغيثين : إنكم أخطأتم في ذلك ، فإنهم ليسوا أحياء ولا قادرين ، على ما سبق لنا . فإذا يكون الخلاف بيننا وبينهم مبنيا على أن الأموات يسمعون ويعقلون ويدعون ، أم هم كالجماد لا يستطيعون شيئا من ذلك ؟ فنحن نقول بالأول ، مستندين في ذلك إلى الكتاب والسنة ، والأخبار المتواترة عن كرامات الأولياء ، ومرأى الصالحين ، وبركات النبي صلى الله عليه وسلم التي حصلت للمستغيثين به ، والاستشفاع به عند زيارته صلى الله عليه وسلم . وقد نصت على ذلك كتب المذاهب الأربعة ، حتى الحنابلة عند ذكر آداب الزيارة له صلى الله عليه وسلم . وهم يقولون بالثاني ، وأن الأموات قد دخلوا في عالم العدم ، كما يقول الماديون . وعند ما تخرجهم بالبراهين القاطعة يقولون : إنهم أحياء ، ولكنهم مشغولون بالعذاب أو النعيم :

وهذا كلام خيالي ، ولا نقول خطابي ، فإنه أقل من ذلك . وأكبر ظني أنهم يقولونه بالسنتهم وليس في قلوبهم . وليس هذا محل شرح ذلك ، فإن المتنعم حرته

مختار ، ولا ينافي نعيمه أنه يدعو الله لأحد المسلمين ، بل قد يرى من نعيمه أن يساعد ابنه أو محبه بما يقدر عليه . والدلائل على ذلك متواترة مستفيضة ، خصوصا المرائي في ذلك ، كحديث بلال بن الحارث الصحابي رضى الله عنه المذكور عند البيهقي وابن أبي شيبة ، وفيه : أنه جاء قبره صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، أى ادع الله لهم ، فجاءه في المنام وقال : بشرهم أنهم سيسقون ، وقل له : عليك السكيس السكيس . ورؤيته صلى الله عليه وسلم جعفرًا ذا الجناحين يطير مع الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر . وهو في المستدرک وغيره بألفاظ مختلفة . وكرؤية أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم وإخباره إياها بقتل الحسين . وهو في المسند وغيره .

ويكفي في ذلك محاجة آدم لموسى عليه السلام ، وما رأى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من الحوادث الكثيرة ، خصوصا مراجعة موسى في أمر الصلاة ، وكفالة إبراهيم لأطفال المؤمنين . وانظر كيف رأى موسى يصلي في قبره ، ثم رآه في السماء السادسة وبيت المقدس مع الأنبياء . وأى استبعاد في ذلك ؟ وقد قلنا : إن لهم حالة ملكية لا تقاس على أحوالنا .

وإنك لتعرف أن عزرائيل عليه السلام لا يشغله قبض عن قبض ، والقبض لا يشغله عن العبادة طرفة عين . على أن حال البرزخ بخلاف حال الدنيا . وقد قال أبو الطيب المتنبي ما يفيد هذا المعنى وإن لم يكن مما نحن فيه :

وكالبدر من حيث التفت رأيت بهدى الى عينيك نورا ثاقبا

(ولكل عالم نواويس تخصه . ومن الغلط البين الحكم على عالم بأحكام عالم آخر) . وقد نهى عمر عن رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونهى الامام مالك المنصور عن رفع صوته كذلك . ونهت السيدة عائشة عن دق الود بالودر المجاورة للحجرة الشريفة ، مخافة أن يتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كانت



تدخل مشدودا عليها إزارها بعد دفن عمر ، حياءً من عمر . الى غير ذلك مما هو معروف في كتب السنن والآثار .

فلو كانوا منقطعين عن هذا العالم تمام الانقطاع على ما يقول هؤلاء ، لم يكن لذلك معنى ، خصوصا ما هو خارج عن المعقول في العادة ، كعرض الأعمال عليه ، واستغفاره لنا صلى الله عليه وسلم ، ورد السلام على كل من يسلم عليه ، وهو ثابت لامراء فيه . وقد كتبنا فيه في العام الماضي . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أذية الميت ، وكسر عظمه ، والجلوس على قبره ، مخافة تأذيه . الى غير ذلك ، وهو كثير . ولا يمكننا في هذه العجالة إلا أن نلمع اليه ، ونذل على ما وراءه ، ولا نزال نكرر أنه إذا لم يكن في هذا إلا ما كان في حديث المراج : من أسف سيدنا موسى على بني إسرائيل ، ومراجعة النبي في أمر الصلاة ، واجتماع الأنبياء في بيت المقدس ، وخطبهم ، لكفى .

وقد ذكر ابن القيم في كتاب الروح حديث مذاكرة الأنبياء في أمر الساعة ، وأنه إذا جاء عيسى عليه السلام كانت كالحامل المتم<sup>(١)</sup> فلو كانت الأرواح على ما يقولون لم يكن لهذا معنى . ومع كل هذا نسلم لهم صحة ما يقولون ، ونفرض أننا نحن المخطئون ، فهل يوجب ذلك شركا أو كفرا ؟ وقد قلت لبعض أذكى العامة في المولد الحسيني — وقد قال يارسول الله : إن الوهابية يكفرونك بقولك : يارسول الله ، كما في الهدية السننية وغيرها ، فقال : إن كنا نقول يارسول الله على ما نريد ، فلا معنى للكفر ؛ وإن كنا نقوله على ما يريدون من تأليه الرسول ، فنحن كفار . فأعجبني هذا منه ، فقلت له : وهل يسمعك وأنت هنا وهو بالمدينة ؟ فلم يجب جوابا شافيا .

ونحن نقول : إن هذا الاستبعاد منشؤه قياس الغائب على الشاهد ، وقد عرفنا أن سمع الأجسام لا يصل إلا الى مسافة محدودة ضئيلة ، ولكن هل عرفنا المسافة التي

(١) وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنهم يحجون ويلبون ، ونسأل الله أن يكفينا شر المتسفين

يصل إليها سمع الأرواح ، وماذا أعطيت من ذلك ؟ وكيف ندرك أن عمر وهو بالمدينة أسمع سارية وهو بنهاوند من أرض العجم ؟ وأس الغلط في هذا وأمثاله أننا نعطي أحكام العوالم المختلفة بعضها لبعض ، مع أن لكل عالم أحكاماً تخصه ، ونواميس ليست لغيره ، فقياس عالم الأرواح على عالم الأشباح من أفسد الأقيسة وأبطلها . والواقفون عند ما عرفوا من أحكام هذا العالم فحسب ، إنما هم الماديون لا أتباع الرسل ( بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِإِلَهِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ) .

أما قولكم : إنهم يطلبون ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فكلام لا تحقيق فيه ، فهو كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً ، فإننا نقول أولاً : هب أن الأمر كذلك ، وقد أخطأ ذلك السائل فظن غير الممكن ممكناً ، وغير المقدور للبشر مقدوراً له ، أفيكفر بذلك ، أم يعذر بجحله وخطئه ؟ ( وهو لم يعتقد الألوهية على كل حال ) .

وثانياً — نقول لكم : إننا لم ندّع أنه يفعل ذلك استقلالاً من عند نفسه ، بل نقول : إنه يفعله بإذن الله . وبعبارة أخرى نقول : أعطاه من المواهب ما لا تعقلونه . وهل عرفتم ما يصح أن يعطيه الله عبده المقرين وما لا يصح ؟ وهل ثبتت عندكم تلك الحدود التي لا يصح لله أن يتجاوزها مع عبده ؟ وهل كان الايمان بعرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف مما يقدر عليه البشر في نظركم ؟ وهل كان رد عين قتادة رضى الله عنه وقد سالت على خده فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فردها اليه فكانت أحسن عينيه — مما يقدر عليه البشر في رأيكم ؟ وهل رؤية عمر بن الخطاب لسارية وجيشه ببلاد العجم مما يقدر عليه البشر ؟ وهل إسماعه صوته وهو بنهاوند مما يقدر عليه البشر ؟!

وهل قول بنى إسرائيل لموسى عليه السلام : « لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك » مما يقدر عليه البشر ؟ الى غير ذلك ، وهو طويل عريض ، أم الخوارج كلها من هذا

القبيل لا يقدر عليها البشر في العادة، ولكنه يقدر عليها بإقدار الله إياه؟ وهل تقيسون الأرواح على الأشباح؟ وهل عرفتم نوااميسها وما تنتهي إليه، أم ذلك قياس الغائب على الشاهد كما قلنا؟ فهو قياس مع الفارق، بل مع ألف فارق. وهل إذا رأيتم بني إسرائيل يطلبون من عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص تقولون إن هذا مما يقدر عليه البشر؟ وهل إذا رأيتم النبي يضرب جبل أحد ويأمره أن يثبت ولا يتحرك، تقولون إن ذلك يقدر عليه البشر؟ وهل إذا رأيتموه يأمر الشجر فيمتمثل أمره، ويخدد الطريق خدا، تقولون إن ذلك مما يقدر عليه البشر؟ وهل إذا رأيتموه وقد نبع الماء من بين أصابعه قلتم إن ذلك مما يقدر عليه البشر؟ إلى غير ذلك مما جاء في الصحيح، ولا يمكنكم المكابرة فيه.

على أن لنا أن نقول: إن كل شيء متدور للبشر بالدعاء، فإلا يقدر عليه البشر بالذات يستطيعه بالدعاء، فالفاعل في الحقيقة هو الله لا غيره، والذي يستغيث بالنبي مثلاً لا يريد منه إلا هذا. وقد عرفنا أنه صلى الله عليه وسلم يستغفر لنا بعد موته، كما في الحديث الصحيح: (حياتي خير لكم) الخ. وقد بينا صحته بلامزيد عليه في العام الماضي. ويمكننا أن نتوسع في هذا المقام كثيراً، فسمع الموتى وإدراكهم لاشك فيه لمن يؤمن بالله وما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال السيوطي في منظومته:

سماع موتى كلام الخلق قاطبة جاءت به عندنا الآثار في الكتب

وقد قدمنا أن ابن تيمية نفسه ذكر أن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان والإقامة في زمن الحرية من قبره صلى الله عليه وسلم. وأما جعلهم هذا عبادة وعبادة غير الله كفر، فهو من مجازاتهم الشنيعة، فإنهم إذا فهموا أن كل تعظيم عبادة، أو كل طلب عبادة، فقد برهنوا على جهلهم، فإننا رأينا إخوة يوسف قد سجدوا ليوسف، والملائكة قد سجدوا لآدم، وليس هناك شيء أبلغ في التعظيم من السجود، فإذا

ليس التعظيم شركاً لذاته مهما بلغ أمره . ولو كان ذلك وصفاً ذاتياً له لوجب ألا يفارقه .  
فالتعظيم لا يكون عبادة إلا إذا كان معه اعتقاد الربوبية .

وأما الدعاء الذي يتمسكون به ويستدلون عليه بمثل قوله تعالى : ( فَلَا تَدْعُوا  
مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) إلى آخر الآيات الكثيرة التي نزلت في المشركين ، فطبقوها على المسلمين ،  
زاعمين أن الدعاء عبادة وعبادة غير الله كفر ، فهو تلبيس لا ينبغي أن يصدر إلا من  
غاش أو جاهل ، فإن الدعاء مشترك .

فإذا قالوا : إن كل دعاء عبادة ، رد عليهم قوله تعالى : ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ  
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) ( رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ  
دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ) ( وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ) ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) إلى غير ذلك ، وورد  
عليهم أنهم يدعون الأمير والوزير ، فهذا دعاء لغير الله ، فيلزمهم على هذا الفرض أن  
يكون ذلك شركاً ، وأن يكون الدعاء في تلك الآيات بمعنى العبادة ، وهو ما لا يقوله  
أحد . وإن قالوا : إن الطلب من غير الله كفر ، وهذا هو العبادة ، لزمهم كفر العالم كله .  
ولا معنى هنا للفرق بين الحى والميت ، كما أوضحناه ، فلا يقول إن مجرد الطلب من غير  
الله عبادة إلا من لا يدري ما يقول . وإن قالوا : إن الطلب من الأولياء والأنبياء هو  
الكفر لا غير ، قلنا : إن هذا هو محل النزاع ، وهذه هي الدعوى التي لم يقم عليها دليل ،  
بل قام على بطلانها ألف دليل .

وإيراد الآيات النازلة في حق المشركين العابدين لغير الله لا معنى له ولا غناء فيه ،  
فهل نظفر منهم بعد ذلك بشيء من الانصاف ، حتى يرحموا هذه الأمة المسكينة ، فلا  
يكفروها ولا يستبيحوا دماءها ؟ إنى أشك في ذلك ، ولا أكاد أتوقعه ، ولكننا  
نكتب لغيرهم ، خشية أن ينخدعوا بترهاتهم وضلالاتهم .

والخلاصة أن هؤلاء يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بل هم أقل من ذلك، فإنهم يقولون ما لا معنى له ولا مستند فيه، تليسا على العوام الذين هم كالأطفال يمكن كل أحد أن يأخذهم إلى ما يشاء.

ولنختم مقالنا هذا بما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذى الخويصرة التميمي : « إن من ضائضى هذا أوفى عقي هذا — قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وفي بعض الروايات : « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيتون الفعل ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ، يرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه ، هم شرار الخلق والخليقة ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء » الحديث . وفي رواية أخرى :  
 سيخرج في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية » الحديث .

وعند مسلم من رواية عبد الله بن أبي رافع : يقولون الحق بألسنتهم ، لا يجاوز هذا منهم . وأشار إلى حلقه . وفي رواية عنده أيضا : « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثنكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم » ورواه بلفظ آخر فقال : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » وجاء في وصفهم كما في بعض الروايات عند أبي داود وغيره : أنهم تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبق فيه عرق ولا مفصل إلا دخل فيه . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت فيهم .

فجزى الله نبينا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . لقد بلغ ونصح ، وأدى الأمانة حتى تركنا على الحنيفة البيضاء ، ليلا كنهارها ، لا يزيع عنها إلهالك . وهذه الفرق الضالة لا يزال يتجدد شرها ، ويتفاقم أمرها الى يوم القيامة . ففى بعض الروايات أنه سيكون آخرهم مع الدجال ، وهم ميئوس منهم ، لحديث البخارى أنهم يرقون من الدين ثم لا يمودون فيه .

وبعد : فهل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخربون .

وكل ما يقوله الكذوب يزول بالتحقيق بل يذوب

ولنقتصر على هذا ، ففيه مقنع وكفاية  
يوسف الربوى  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## أن من البيان لسحرا

كان عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر عالما جليلا ، وخطيبا مقوها ، وشاعرا مجيدا . كتب الى بعض إخوانه :

أما بعد : فقد عاقبني الشك في أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاء ، من غير جريرة ، فأطمعنى أولك في إخالك ، وأياسنى آخرك عن وفائك ، فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك أطراحا ، ولا أنا في عدم انتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

## متى يستيقظ المسلمون لدينهم؟

لقد استحوذ الجمود على المساميين ، واستكانوا للراحة ، وشملهم الكسل ، حتى تقدمت الأمم وتأخروا ، واستيقظ الناس وناموا . تركوا كل طريق نافع من طرق العلم والعمل ، بينما أصغر الأمم قد نهضت تبحث في شئونها وما يرقىها علميا وعمليا ، حتى تتخذ لها مكانا بين الأمم الحية .

غير أن أحدا لم يكن يظن أن تصل الحال بالمساميين الى الغفلة عن دينهم ، وهو الداعي الى الحق ، والموصل للسعادة . ولكن للأسف الشديد غفل المسلم عن دينه ، وعن الاسترشاد بآله ، وهذا هو علة تأخره وتقدم غيره .

ترك المسلم الأخذ بآداب الإسلام ، حتى أصبح بعيدا عنها ، وأجنبيا منها . نسى المسلم قواعد دينه واستهان بها ، ولو أنه تمسك بما دعا إليه الدين من خلق حسن ، وتباعد عما نهى عنه من خلق قبيح ، لما كانت تلك حاله ، ولما تقدم الناس وتأخر !

سها المسلم عن تعاليم دينه فجعلها ، وظن لجعلها أن الخير كل الخير في تقليد الأجنبي فقلده ، وليته قلده في أخلاقه الحسنة ، وفي تمسكه بعاداته وقوميته ، ومحافظته على دينه وآدابه ، ولكنه قلده في الضار دون النافع ، وفي القبيح دون الحسن .

بهرته بهارج المدنية ، واستولت على نفسه ، حتى ظن أن المدنية في عدم التدبّر ، ولوتدبر ، لعلم أن المدنية لا تسمو الا بالدين ، وأن الفخر والجاه والمروءة ، اذا لم تعتمد بالدين فهي هباء ، غالى بعضهم في ذاك حتى ساءت حاله ، وكان من أثر ذلك أن وهت قوة الدين في نفوس البعض من الناس ، حتى وصل الأمر الى أسوأ الأحوال ،

وأصبحوا - إلا اخاصة منهم - فى غيابة من الجهل بدينهم ، ساهين لاهين عن تعلمه ، وعن الأخذ بأوامره ، حتى ضرب الجهل بجرانه فيهم ، وأخذهم من كل مكان . فالأغنياء منهم يقذفون بأولادهم فى بعض مدارس التبشير ، ويتذرعون فى ذلك بأن معاهد التربية فى القطر تعلم البيئة التى لا تتناسب وأوساطهم ، والمتوسطون من الناس يقلدونها فى ذلك ، والجميع غافلون عما نجم وينجم من هذا الشقاء المستور بثوب السعادة ظاهرا ، وما هو إلا تعاسة وبؤس ، وغم وهم ، وبلاء وشقاء ، فإن الناشئة هم رجال ونساء المستقبل ، فإذا نبتوا على الجهل بالدين ، وعدم المعرفة به ، ضاعت أخلاقهم ، ولا أمة دون خلق ، ( وإنما الأمم الأخلاق ) .

غفلوا عن هذا وجهلوا أو تجاهلوا ما ينشأ عليه الطالب فى هذه المدارس ، وما يتلقاه فيها من بعض التعاليم التى تنافى دينه وتبعده عنه ، حتى ساءت العقبي ، وأصبح حديث الدين بين بعض أبناء الأمة وبناتها ، حديثا ثقيلا على الأسماع ، يعرضون عنه ولا يستمعون اليه . والويل لمن دعا الى أمر دني ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر . الويل له ، لأنه فى نظرهم الفاسد جامد بعيد عن ( اللياقة ) وعن الذوق ، جامد يتكلم بالشئ العتيق ، ويدعو الى الشئ البالى القديم !

ينشأ الطالب فى بعض هذه المعاهد ، على جهل بدينه ، لأنه لا يتلقى تعاليمه ، ولا يستمع لنصائحه وإرشاداته . وأصحاب هذه المدارس لا يراعون كرم الضيافة ، فيقترون الطلبة على الإتيان ببعض العبادات فى غير دين الإسلام ، وهى من غير شك تبعدهم عن دينهم . ويتلون عليهم المطاعن فى دينهم ، وفى رسولهم عليه الصلاة والسلام ، وهم لعدم معرفتهم بأصول دينهم وما عليه رسولهم ، لا يبالون بهذا ، ولا يمتنعون عن سماعه ، ولا يعترض آباؤهم عليه ، إما لجهلهم ، أو لأن الاعتراض لا يجديهم ، لأن المدرسة حين البحث تجحد .



يتلقى الطالب في هذه المدارس تعاليم الكنيسة، وتعاليم « متى » أو « يوحنا » ولا يعلم من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً، لأنه تعلم الأول دون الثاني . ولوفقه هؤلاء الذين يرسلون أولادهم لما ينشأ عن صنيعهم من المفسد، لما أباحوا لأنفسهم إرسال أولادهم الى هذه المعاهد بحال . ولكن ما الحيلة والكثير من بعض الطبقات أصبح بعيداً عن العلم بالدين ، جاهلاً بتعاليمه ، ومن جهل شيئاً عاداه ؟! ولو أن هؤلاء الذين يرسلون أولادهم التفتوا لما عليه حال غير المسلمين من تمسك بالدين ، وقارنوا بين حال الكنائس وحال المساجد ، لقضت عليهم مروءتهم ونخوتهم بالابتعاد عن هذا الصنيع السيء .

لو تأمل المسلم في شأن غيره ، فهو لا شك عالم بعد قليل من النظر أن تسليم أبنائه لهذه المعاهد لا نتيجة له إلا أن يكونوا غير متدينين بالدين الاسلامي . ولو نظر في الناشئة لعلم أن روح الدين قد فقدت منها ، فلا عبادة لله ، ولا حياة من الناس .

انظر الى شبابنا في الطرقات ، في المشارب ، في الملاهي ، في المقاهي ، تجدهم مكدمسين يتزاحمون بالمناكب . وانظر الى محلات العبادة ، وهي المساجد ، فإنك لا تسكاد تظفر إلا بالطفيف من هذه الجموع الحاشدة ، وما سبب ذلك إلا الاستهانة بالدين ، لأنهم لم يتعلموه ، فلم يتمكن في نفوسهم . انظر الى الشابات في أكثر المحلات العمومية ، تجد البهرجة والزينة التي لا يحلها دين ، ولا تسمح بها مروءة ، وكل هذا من فقد العامل الديني في النفوس !

إن هذا الفساد العام لاسبب له إلا جهل غالب الآباء والأمهات بالدين ، فاما نزل — وهو المدرسة الأولى — خلو من الارشادات الدينية ، ومن تاريخ النبوة ، وما قام به السلف الصالح من فضائل الأعمال . فالطالب يعلم من تاريخ « نابليون » الكثير ولا يعلم من تاريخ الرسول إلا القليل . والطالب يعلم من تاريخ « لوثر » وغيره من رجال أوربا

الشيء الكثير، ويجهل الجاهل كله فضلاء الرجال من المسلمين. فعمر وفتحاته، وعلى وقفازه، وعمر بن العاص وما كان عليه من سياسة، والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من كبار الرجال مجهولون لدى أبنائنا، ولدى الكثير من آبائهم.

سل ولدك أو أخاك الصغير عن العبادات، وأنا واثق من أنك لا تجد جوابا، إذ لا جواب لمن لا يعلم. سل ابنتك التي تذهب إلى مدرسة الأمريكان مثلا عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن السيدة مريم، تلقها عالمة بالثانية دون الأولى. ادع من شئت من الناشئة إلى القيام بأمر من أمور الدين كالصوم مثلا أو الزكاة، وانظر بعد هذا ماذا يكون الجواب. أنا واثق بأنك لا تجد سميما لنصحك، ولا محببا لندائك!

نشأ كل هذا من تكوين الناشئة على عدم المعرفة بالدين، وعدم تعليمهم حتى أصول العقائد، ومن زجهم إلى معاهد تعلمهم تعليما يبعد بهم عن الرشد، ويدعوهم إلى الغي. هل كنت تسمع أو تظن أنك تسمع أن مسالما يغير دينه ويتعد عن طريق الحق إلى غيره، لو لا ما نحن فيه من هجران للدين، وجهل بوصاياه وما دعا إليه؟ هل كان يدخل في روعك أن مسالما حقا ومؤمنا صدقا يهجر دينه ويتمسك بدين سواه لو أننا أُرشدنا الناشئة وغير الناشئة إلى أصول الدين ومحاسنه؟ وهل كان يكون من الممكن أن نسمع ما نسمع الآن من أن ابنة زيد تنصرت وأن ابن عمرو خرج إلى دين غير دين الإسلام حاجة كلٍّ إلى المال؟!

لو كان المسلمون معتصمين بدينهم آخذين بقواعده، أكان أحد يتوهم حصول هذا؟ لو قام المسلمون بما أمرهم به الله من زكاة في المال: يواسون به الفقير، ويسدون به خلة المحتاج، ويكفون إخوانهم سؤال الغير والذهاب إليه، أكان يدخل في الوهم أن مسالما يغير دينه للمال؟

لو أن المسلمين تواصلوا بينهم بالحق، فأعان أقوياءهم ضعفاءهم كما أمرهم الدين،

أكان يدخل في الوهم أن يستحوذ مقرر مهمما كانت صنوف تغريه على مسلم، فيجعله يبدل دينه ؟

لو أن غالبية المسلمين تعلمت الدين وعلمته أبنائها، وتعلمت وعلمت أبنائها أوامر الحنيفية السمحة، وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من خالق وشيم وآداب وسجايلا لا يسمو إليها فرد في الوجود من الممكنات، أكان يكون الحال ما ترى أو بعض ما ترى ؟

لو استرشد المسلمون بحكمة دينهم واستيقنوا الإيمان وعلموا من شأن المسلمين ما لم يعلموه، أكان يكون تلك حال المسلمين ؟ لو تذوقوا حلاوة الإيمان واستعذبوه، ووقفوا على ما لاقاه المسلمون في سبيل المحافظة على الدين من الشدائد، هل كان يبدل المسلم دينه، إذا علم أن دينه يدعو إلى الخير وإلى الاعتماد على الله دون سواه، وأن الله هو الذي يرزق الناس، وقد كفّل الرزق لعباده (وأن التفاوت في الأرزاق من السنن الكونية) وأن على الشخص أن يحدّ في طلب الرزق، وأن يعمل وأن يعتد على نفسه بعد الله، حتى لا يكون عاطلا عالة على غيره يتكفف الناس ؟

هل كان يبدل المسلم دينه لو عنى المسلمون بشؤونهم كبيرها وصغيرها، فأنفقوا أموالهم ابتغاء رضوان الله، ففتحوا الملاهي، وأنشؤا التكايا، وبنوا المدارس وحبسوا عليها شيئا من تلك الأموال المتضخمة في المصارف، والتي يصرف أغلبها في سبيل الهوى والملاهي، التي لا تعود بفائدة على الشخص ولا على الأمة ؟

هل كان المسلم يفكر في تغيير دينه ولو ظاهرا، إذا وجد من الخاصة من يرشده إلى الطريق القويم والصرط المستقيم، فيعلمه أن دينه هو الدين الحق، وأن ما يدعى إليه هو الباطل، وأن دينه يدعو إلى التوجه نحو إله واحد، مستقل بالخلق والرزق، والإشقاء والإسعاد، وأنه يرى، من الإشراك، فلا أحد سواه بخالق، ولا أحد غيره برازق، وأن

الرسول عليه الصلاة والسلام هو المرشد الأعظم ، وهو خاتم الرسل والأنبياء ، جاء بشرع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . جاء بمكارم الأخلاق ، حاضراً على الفضيلة ، ناهياً عن الرذيلة ، داعياً إلى التعاون ، ناهياً عن التخاذل ؟ ! وهل كان المسلم يغير دينه ولو ظاهراً ، لو أن المسلمين لم يتواكلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقاموا بتلك الفريضة ولو لاقوا في سبيلها الأوهال ؟

لوعنى المسلمون بواجب الأمر بالمعروف وقاموا بالدعوة إلى الرشد والنهي عن الغي مثل ما قام سلفهم الصالح ، كانت الحال غير الحال . ولكن وأسفاه علينا ! فإن كثيراً من الناس قد بعد عن تعلم الدين كما قلنا . وارتكسوا في الجهل به ارتكاساً هو أشبه بالجاهلية الأولى .

فواجبنا الآن هو الدعوة إلى الاسترشاد بالدين حتى يفيء الناس إلى الشرع ، ويشوبوا إلى أحكامه . وحسبنا التماذي في الترتك ، فقد بانت المغبة ، وظهر ظهور الشمس أن ترك فضيلة الأمر بالمعروف أوجب مانحن فيه الآن وما نشكو منه .

وحبذا لو أن الحكومة السننية ضاعفت عدد الوعاظ حتى يكثُر عددهم في المدن والقرى ! فنحن الآن أحوج ما نكون إلى هذا ، لأن العدو ليس على الباب فحسب بل في وسط الصفوف ، فإن لم يتدارك المسلمون الأمر كان الخطب مدلهماً . فلنكثُر من الوعاظ الدينيين . وليرشد كل منهم ما أمكنه إلى العمل بالحق ، وقول الصدق ، وتبيان أصول الدين ومحاسنه ، ومزايده وفضائله .

ولنعتمد جميعاً إلى الدعوة إلى الدين كما كان يدعو السلف الصالح . ندعو إلى ما كان عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من حسن الشيم وعظيم المكارم ، ونبين أن من أعماله أنه قام بالدعوة وحده ، حتى ملأ الكون نوراً ، وعمت هدايته الخلق في المشارق والمغارب . نعمهم أن ذلك المبعوث الأعظم لم يترك فضيلة إلا دعا إليها ، ولا رذيلة

إلا نهى عنها ، وأن من اتبع دينه وأخذ بما دعا إليه كان له الفوز الأعظم ، ومن نأى وأعرض باء بالخسران المبين . نعمهم ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من صدق في العزيمة وإخلاص في العمل . نعمهم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نالوا في سبيل المحافظة على الدين ما لا قبل لهم به ، وأن الرجل منهم كان يُضرب ويعذب ويلقى في الرمضاء وقت الظهيرة ليقول كلمة الكفر فلم يقلها ، وأن البعض منهم مات من شدة العذاب ولم يظفر منه أعداء الدين بمنال ، وأن البعض ترك وطنه الى وطن آخر في سبيل تلك المحافظة على الدين .

نعمهم أن عزة الدين كعزة النفس بل أقوى ، فكما يجب على الشخص المحافظة على النفس ، كذلك يجب عليه المحافظة على الدين والذب عنه . نعمهم أن المال عرض زائل ، وأن الدين هو الباقي ، وأن المرء بدينه ومروءته لا بماله ونسبه ، وأن من فقد دينه فقد فقد ثروته ونفسه ، وكان شخصا عاطلا من كل فضيلة ، لا ينفع أحدا ولا ينتفع به أحد . نعمهم أن الدين أساس الفضائل ، وأن الدين وحده كان السبب في العظمة والمجد لأسلافنا ، وأن أبا بكر رضى الله عنه أنفق ماله في نصرة الدين ، وعثمان ابن عفان لم يأل جهدا في نيل الفضيلة بصرف ماله في سبيل الدين ، وأن السيدة خديجة رضى الله عنها صرفت كثيرا من مالها في سبيل الدين وحفظ أصحابه ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم لم ينالوا ما نالوه من سؤدد ورفعة يتحدث بها الناس جميعا إلا بالدين ، وتمسكهم بإرشاده وتعليمه ، فقد فتحوا الفتوح وعمروا الممالك بفضل تمسكهم بدينهم الذى هو عماد كل خير ، وأن الدين ليس سلعة تباع وتشترى ، وإنما الدين يقين بالله وإذعان له ، وهو أساس الفضيلة .

ترشدكم الى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس جاهًا ، وكان أعظم الناس منزلة وكان أعظم الناس خلقًا ، ولم يكن يعنى بالمال ، ولا كان فى نشأته كثير المال ، ولم يحتفظ بعد

بعثته صلى الله عليه وسلم بمال، ولم يجد المال سبيلا الى نفسه الشريفة. وكذلك كان أصحابه: لا يعنون إلا بالفضائل، ولم تجد المادة اليهم سبيلا، وقد عظم شأنهم، وحسن حالهم، وقد أتاهم المال بكثرة بفضل الدين والعلم، واخلاق والعمل الصالح. فما كان المال وحده بالذى يكسب مجدا ويكفى لريح فضيلة. وإن من العار الذى لا يماثله عار أن يفكر المسلم فى المال قبل الدين، أو يفرط فى بعض فرائض الدين للمال، ومن الخسران الذى لا يشبهه خسران أن يترك المرء دينه للمال لأن ذلك وأد للفضيلة.

فمن هذا الذى سفه نفسه ورضى بخسران الدنيا والآخرة من أجل المال؟! وإن الذى يزايل دينه للمال لادين له، ولا ينبغي لمن ذهب إليهم أن يسروا به ولا أن يفرحوا من أجله، لأنه تاجر أديان، فأى شخص أعطاه مالا أكثر كان معه، فهو عبد المال أين سار وأين أقام، فلا خير يرجى منه، ولا فضل يعرفه، بل هو سلعة تباع فى الأسواق. فمن بذل فيها عطاء أكثر كان له حق الاستيلاء عليها.

نعلم المسلمين آباءً وأبناءً ما حاز المسلمون الأ ولون من الفضائل، وما ورثوا من مجد بفضل الدين. نعمهم أن العزة لله ولدين الله، لا للمال ولا للنوال، وأن الإنسان الفاضل بدينه وخلقه يواتيه الله بالمال من حيث يدرى ولا يدرى، بل إن الإنسان بدينه وخلقه يميزه الله على غيره، ويجعل له السلطان عليهم. وهام أولاء صحابة رسول الله لم يكونوا من أصحاب الأموال، وقد أفاء الله عليهم المال، وأغدق عليهم الرزق والعطاء، وما كسبهم الأ راضى والدور، وجعلهم الحكام على الناس، فكان منهم مع فقرهم فى المال أمراء الجند وقواد الجيوش، وكان منهم مع هذا الأمراء والوزراء، ومنهم القضاة والرؤساء ومنهم ومنهم... الى ما لا قبل للمعدد بحصره، وكل ذلك بفضل دينهم وتمسكهم به، وجعل المال عرضا غير مقصود. نرشدهم الى ذلك، ونسرد عليهم من سير الصحابة والتابعين ما فيه مزرر لقوم لا يعقلون، فضلا عن مسلمين يسترشدون.

نرشدكم الى أن المسلم الحق هو الذى يؤمن بربه إيماناً صادقاً، ويدعن بأن الله واجب الوجود يجب له كل كمال، وأن من الكمال الواجب لذاته ألا يكون له شريك، وألا يكون له ولد ولا صاحبة، وأنه يتنزه عن أن يحل فى جسد، أو يتصل اتصالاً جسمانياً بمخلوق مهما علت منزلته، وأن الأنبياء والمرسلين كلهم عبيده، وكلهم نشأ بقدرته، ومحتاج فى وجوده وبقائه اليه. فعيسى مثل موسى وغيره: عبد من عباد الرحمن، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأنه كغيره من بقية الرسل ليس له من الأمر شيء، وأنه وكل المخلوقات كلهم مفتقر الى الله فى وجوده وبقائه، وكل ما أظهره الله على يديه من معجزات فهو بإذن الله وإرادته وقدرته، وأنه لا يقدر على الايمان بأى واحدة منها لولا تأييد الله له، وأن من السخف الذى لا يقبله العقل أنه ابن لله، فلا أبوة ولا بنوة، لأن كل ذلك نقص يستحيل على الله، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه وتعالى عما يشركون، له الخلق والأمر تعالى عما يظنون.

نرشدكم الى أنه لا معبود بحق سوى الله، وأنه تعالى الذى تجب عبادته دون غيره، وأن اتخاذ معبود سواه شرك، إذ لا تأثير لغيره، فالعذراء والمسيح عبدان من عباده، لا ميزة لهما فى العبودية عن غيرهما، وإن كان الله قد منّ على المسيح بالرسالة، وعلى والدته بالهداية، وأن من المحال الذى لا يقبله عقل اعتقاد الألوهية فيمن هو محتاج الى غيره، محتاج كغيره للطعام والشراب، وهو ينام حيث ينام الناس، ويصح ويمرض، ولا يستطيع دفع الضر عن نفسه، وهو فى ذاته غير باق، بل يفنى ويهلك، وقد وجد بعد أن كان معدوماً، وكان بعد أن لم يكن، وكل هذه صفات تنافى الألوهية، إذ كيف يكون إلهاً من لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه، ومن إذا منع عنه الطعام عدة أيام هلك؟ وكيف يكون إلهاً من يحله العدم ويسبقه العدم؟ وكيف يكون إلهاً من لا يعرف ماذا يراد به؟

إذا عرف المسلم هذا على البساطة لا يكاد يفهم ألوهية غير الله، ولا يمكنه إجابة داع يدعو به إلى غير التوحيد. وإذا عرف المسلم ما كان من أمر الرسالة والدعوة، وما كان من شأن المسلمين حين البعثة، وإجاباتهم داعي الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث دعاهم إلى ما يحبيهم، وعرفوا أن الخروج من الدين يستوجب الهلاك في الدنيا والآخرة: أما في الآخرة فالخلود في النار، وأما في الدنيا فخرج عن الإنسانية، والبواء بالخسران العظيم، وأن الخارح عن دينه يصبح فاقداً الأهلية في كثير من التصرفات، ويترتب على خروجه من دينه أن تبين امرأته منه، وإن عاشرها بعد ذلك فأولاده منها غير ثابتي النسب، وأنه مع هذا يحجب السبب والعار لنفسه وعائلته وقرينته.

إذا أنشأنا النشء على معرفة محاسن الإسلام ومزاياه، وأفهمنا العامة ما يجب عليهم لله، وجعلناهم يدركون الحق بأسلوب بسيط لا عوج فيه ولا تعقيد، وأيقظنا فيهم وازع الدين، وسلكنا بهم طريق الحكمة، وأوضحنا لهم ما في عقيدة الإسلام من معارف وما فيها من حكم، وما اشتملت عليه من أنواع الفضائل، لاستيقظ المسلمون لدينهم، وأمنياً على الكبير منهم والصغير، ولما استطاع مغرر جاهل من تجار الأديان أن يؤثر فيهم، لأنهم يستطيعون أن يردوا شبه زيغه، وأن يكبحوا جماحه بالحجة بفضل ما علموا.

لو رشدنا وأرشدنا لكان لنا من حسن إيمان المؤمنين وصدق إسلام المسلمين ما يجعلنا في مأمن من الحن، وأمان من الإحن، ولباء تجار الأديان بالفشل. بل لو سار المسلمون على الصراط السوي الذي دعانا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، قلقت أو عذمت الجرائم، وأمن الناس على أنفسهم وأديانهم، وأموالهم وأعراضهم، ولما استطاع إنسان أيا كان أن يطلب إلى أحد من الدهماء تغيير دينه أو تبديل عقيدته، بل لما وسعه المقام بينهم، لأنهم بالعلم بما دعا إليه الرسول يعلمون أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لم يدع فضيلة من الفضائل ولا خلقاً كريماً إلا ودعا إليه ونهى عن ضده. يعلمون أن من اتبع أوامره كان من الناجحين، وأن من حاد كان من الهالكين. وفقنا الله جميعاً



# علة اعراض الشبان

عنه الزواج وعملها

فى الشعوب من يهضم حقوق الزوجة ، ويقسو فى عشرتها ؛ وفيهم من تكون إرادته تابعة لإرادتها ، ورأيه ملغى أمام رأيها . وقلمأ أخلصت المرأة لمن يهضم حقوقها ويسىء عشرتها . وقلمأ طاب للرجل عيش مع زوجة تكون كلمتها فوق كلمته . وقلمأ اغتبط بولد تضعه من لا تحترمه فى حضوره فضلا عن غيبته .

أما الاسلام فكان بين ذلك قواما : أنقذ المرأة من أيدى الفريق الذين يزدرون مكانها ، وتأخذهم الجفوة فى معاشرتها ، فقرّر لها من الحقوق ما يكفل راحتها ، وينبّه على رفعة منزلتها ؛ ثم جعل للرجل حق رعايتها ، وإقامة سياج بينها وبين ما يחדش كرامتها . ومن الشاهد على هذا قوله تعالى : ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ) فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل . وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يديره ، فأحقهم بالرياسة هو الرجل ، الذى شأنه الإنفاق عليها ، والقدرة على دفاع الأذى عن ساحتها . وهذا ما استحق به الدرجة المومأ إليها فى قوله تعالى : ( وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ) .

فالإسلام أصلح الصلة بين الرجل والمرأة ، وجعلها بأمن من أن ياحقها وهن ، أو يعلق بها كدر . وبعد أن أحكم صلة الزواج ، وهذب حواشيها ، حث على الزواج ، وجعله من سننه التى يعدّ تاركها من غير عذر ، مستخفأ بما أمر الله .

وإذا نظرت الى أن حكمة الله تعالى قد اقتضت بقاء النسل ، لإقامة الشرائع ، وعمران السكون ، وإصلاح الأرض ، وأن النسل الصالح لا يبقى إلا بالزواج ، رأيت

كيف كان الزواج وسيلة الى تحقيق أمور عظيمة أحب الله أن تكون، وحبيب للناس القيام عليها .

وإن كنت من علماء الأخلاق ، ونظرت الى أن هناك فضيلة يقال لها العفاف ، وعرفت أن الزواج مما يعين على التحلي بهذه الفضيلة ، ظهر لك أن الزواج وسيلة من وسائل الفضائل ، وكثيرا ما تأخذ الوسائل حكم المقاصد في نظر الشارع ، وفي عرف الناس .

وإذا نظرت الى النساء ( الجنس اللطيف ) وما فطرن عليه من الضعف وعدم إطفاء الأعمال الشاقة ، شهدت فيهن العجز على أن يهيئن لأنفسهن مرافق الحياة ، ويعشن في شيء من الراحة . والزواج يصل ضعفهن بقوة ، ويسوق اليهن جانباً من الهناءة . ولو قصد الرجل كفاية المرأة ما يعينها من مطالب الحياة ، لقصد لعمل يكسبه شكورا ، وتزداد به صحيفة حياته نورا .

أوليس الزواج يكسب الرجل رفيقة تخلص له ودّها ، وتشمل منزلها برعايتها ؟ ومثل هذه الرفيقة التي تحمل حبه الطاهر ، وتعمل لتدبير منزلها في غير مَنٍ ولا تباطؤ لا تتمثل إلا فيمن تربطها بها صلة الزواج .

وليس الزواج صلة مقصورة على الزوجين حسب ، بل تمتد هذه الصلة من الزوجين الى أسرتهما ، فتكون حلقة واسعة في سلسلة اتحاد الأمة . وللصلات الخاصة ، كالقربة والتّصهر أثر في العناصر كبير .

والزواج يكسب الرجل ولداً إن يحسن تربيته ، كان له قرّة عين في حياته ، وذِكْرًا طيباً بعد وفاته . ومن ذا يفكر أن الولد المهبذب من أجلّ النعم في هذه الحياة ؟

فللزواج مصالح تكثر بكثرتها ، وتقلّ بقلته ، وتفقد بفقده . وقد عرفت قيمة هذه المصالح ، ومكانها في إعلاء الدين ، وبسط أجنحة العمران ، وتخفيف متاعب الحياة .

ويكفي الإعراض عن الزواج شراً أنه غلة خراب الديار ، واليد القابضة لروح العفاف ، والوسيلة الى ابتذال فتياتنا وعيشهن في تعب أو في غير صيانة . فمن واجب من يغارون على الفضيلة ، أو على عمارة الأوطان ، أو على الفتيات المصونات ، أن يعملوا للتعاون على مكافحة هذا الوباء المتفشى في البلاد ، وهو انصراف شبابتنا عن الزواج .

الزواج صلة بين الرجل والمرأة ، تسوق اليه الفطر السليمة ، وتدعو اليه الشرائع الحكيمة . وما زالت نفوس البشر تنساق فيه مع الفطرة ، وتجيّب به داعي الحكمة ، إلا نفوساً لم تسلم فطرتها ، أو عميت عن حكمة خالقها . وقد كانت هذه النفوس المعرضة عن الزواج لعدم سلامة الفطرة ، أو لجهلها بما في الزواج من حكمة ، مغمورة بالنفوس الآخذة بسنته ، العاملة على تحقيق حكمتها ، فلم يشعر الناس بالنقص أو الفساد الذي دخل في المجتمع من ناحية أولئك المعرضين عن الزواج .

أما اليوم ، فقد أصبح انصراف شبابتنا عن الزواج في ازدياد ، حتى ظهر في مظهر ينذرنا سوء المنقلب ، وما بعد هذا المنقلب إلا الانقراض . فخرام علينا أن نقف أمام هذا الخطر الدائم صامتين . وتحقيق علينا أن نبحث عن العلل التي أصبحت بها قلة الزواج ظاهرة ظهور المرئى بالعين الباصرة . وعلينا بعد البحث عن هذه العلل النظر في طريق معالجتها ، لعائنا نقطعها من منبعها ، وننقذ فتياتنا ، ونحفظ أمتنا ، ونظهر أوطاننا من خبائث لا تظهر إلا من إعراض الفتيان عن الزواج .

وإذا بحثنا عما يصح أن يكون سبباً لهذه الأزمة الاجتماعية ، وجدناه يرجع الى علل مختلفة .

وأظهر هذه العلل تبرّج كثير من الفتيات تبرج من استولى عليهن الهوى ، ونضب من وجوههن ماء الحياء ، حتى استوى في هذا التبرج الممقوت بعض الناشئات

في بيوت غير فاضلة ، وبعض المترددات على مدارس لا تعنى بتلقين الفضيلة ، ولا يؤلمها أن تذهب الفتاة في الخلاعة الى غاية قصوى .

وهذا المظهر الذي ظهر به كثير من فتياتنا اليوم ، قد جعل الشاب يحجم عن الزواج مخافة أن ينساق الى قرينة تستخف بجانب الصيانة ، كما تستخف به هؤلاء السفارات المتهتكات .

وليس هذا الخوف بحق ، فإن البيوت المحتفظة بالحشمة ، لا آخذة بأدب الصيانة غير قائمة ، يهتدى اليها كل من يبتغى الحياة الطاهرة ، ولا سيما فتى لا يعنيه من الفتاة إلا أن يرتاح قلبه إذا نظر اليها ، ويأمن على عرضه إن غاب عنها .

وإذا أردنا معالجة هذا التبرج الذي أوجس منه الشبان خيفة ، فإن تبعته تعود الى أولياء هؤلاء المتبرجات ، إذ لم يأخذوا في تربيتهن بالحزم ، ولا في الرقابة عليهن باليقظة . فمن طرق مكافأة الإعراض عن الزواج ، مقاومة هذا السفور القاضى على كرامة فتياتنا ، وإرشادهن الى أن الصيانة خير من الابتذال ، والحياء أجل من الصفاقة . وأى صفاقة أكثر من أن تُقَاب الفتاة وجهها في وجوه الرجال !

ومن علل قلة الزواج ضعف العقيدة الدينية ، فإن الايمان بما ينال الفاسق من الخزي والشقاء ، يقر النفس على العفاف ، ويقطع تطلعها الى ما ليس بحلال ، فلا يبقى له إلا الاستمتاع بالزواج المباح . أما مزلزل العقيدة ، فلا يجد في نفسه حرجا من أن يطابق لشهواته العنان ، ويتقلب بها في بيوت الدعارة ، وذلك ما يصرف قصده عن الزواج وهو يستطيع الزواج .

وإذا أردنا أن نعالج هذه العلة ، فإن أكبر جانب من تبعه ضعف العقيدة يقع على المتولين لتربية النشء ، حيث لم يعملوا لتلقينهم العقائد الصحيحة لتلقينها راسخة رسوخ الشجرة الطيبة : أصلها ثابت ، وفرعها في السماء .

فعلاج هذه العلة أن نسعى لأن يكون نشؤنا على تربية دينية صحيحة، والدين هو الذى يزكى النفوس، فلا ترى القبيح حسنا، ولا الخبيث طيبا .

ومن علل قلة الزواج تشوّف كثير من الشبان للاقتران بذات ثروة، وذواتُ الثروة اللاتي يقبلن على التزوج بالشبان المقلّين غير كثير . فهل لأساتيد التربية وخطباء المنابر، أن يلقوا للنشء نصائح في الزواج، ويوجهوا نفوسهم الى الناحية التى تجيء منها راحة البال، وانتظام الحياة، ودوام العشرة، وهى طيب منبت الزوجة، وسماحة أخلاقها، وسمو آدابها؟! وأريد بطيب المنبت أن تنشأ فى بيت يرباه ذو غيرة وحزم وإن كان قوت أهله كفافا، قال صلى الله عليه وسلم: « الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة <sup>(١)</sup> »، وقال صلى الله عليه وسلم: « تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك <sup>(٢)</sup> » .

وانظروا كيف عنيت الشريعة الإسلامية بوصف الكفاءة بين الرجل والمرأة، ومن وجوه الكفاءة أن يكون حال الرجل من جهة المال والحسب مناسبا لحال المرأة من هذه الجهة . وإنما عنيت بالكفاءة بين الزوجين، وجعلت المال من مقوماتها، لأن أمر الزواج لا ينتظم فى غالب الأحوال إلا أن يكون الرجل محترما فى عين المرأة، وشأن المرأة أن لا تحترم من يكون أقل منها مالا أو حسبا، فلا يجد منها المعاشرة التى يؤدّ دوامها، ولا يطعم أن تطيعه بالمعروف، فيسكون مرتاح القلب للاقتران بمثلها .

وقد يكون سبب الإعراض عن الزواج اتساع رغبات النساء فى صنوف الملابس والمآكل والفرش، ونحوها من أمتعة البيوت ووسائل الرفاهية، حتى صارت كل طبقة تنظر الى ما فوقها من الطبقات ثروة، وتجتهد أن تحاكيها فى الترف ومظاهر الأبهة .

(١) صحيح الامام مسلم . (٢) رواه الامامان البخارى ومسلم .

فإن صممت الفتاة على محاكاة الأسر التي هي أوسع غنى وأنكى ثراء من أسرة زوجها ،  
فإما أن تجد من الزوج غفلة أو ضعف إرادة ، فترهقه بما تقترحه من النفقات إرهاقا ،  
ومصير من ينفق من غير سعة الفاقة والافلاس ، وإما أن يقابل مقترحاتها الخارجية  
عن مستطاعه بشيء من الحزم والنظر في العواقب ، فينفق بمقدار مايسعه كسبه . وهي  
بمد هذا إما أن تجنح الى الفراق ، وإما أن تبقى مع زوجها الحازم في حالة من ترى أنها  
مبتلاة بهذا الزواج الذي لا يفي بجمع رغائبها . وماذا ترى في عيشة صاحبين يعتقد  
أحدهما أن صحبته للآخر قد جرت عليه شقاء ، وإلى عيشه كدرا ؟ فهل يقطعان مسافة  
الحياة في شيء من الراحة والصفاء ؟ !

أما التي تعود الى رشدتها ، وتقنع بالرزق الذي يسوقه الله تعالى الى زوجها ،  
فأمثالها في هذا العصر — ولا سيما الناشئات في المدن — غير كثير .

قد يكون هذا المرض الخلقي المتفشى في فتياتنا أحد الأسباب التي صرفت الشبان  
عن الزواج ، لأن الشاب يخشى أن يكون نصيبه بمطالبها وما تشتهيه نفسها في حدود  
المعروف ، فإما إن ترهقه عسرا ، وأما أن تسلب ثوبها من ثوبه جانحة للفراق ؛ وإما أن  
تبقى معه على غير مودة خالصة . وإذا لم تخلص المودة بين الصاحبين ، فلا تسلب عن  
كثرة ما يدور من مناقشات ومنغصات .

ونحن لا تنازع في أن اتساع رغبات النساء في شئون الحياة قد تجاوز حد المستطاع ،  
ولكننا لا نسلم أنه نزعة عامة ، وطبيعة لا تتحول ، حتى نتخذ منه للشبان الذين  
لا يقبلون على الزواج معذرة ، بل نرى أن اتساع الرغبات الى الحد الذي يثبط عن  
الزواج إنما هو شائع في طبقات الناشئات في ترف ، أو من يتصلن بهن ولم تسبق لهن  
تربية نافعة . أما الأسر التي تعيش في حالة اقتصاد وفيها أثارة من تهذيب ، فإن  
فتاتهم تقنع بما يسره الله لزوجها من رزق ، وتغتبط بحسن خلقه ومودته وبذله الوسع

فى إإنعام بالها؁ غير ناظرة الى ما تقصر عنه يده من الأشياء الزائدة على الضروريات والحاجيات . وليست هذه الأسر المهذبات بقليل؁ فلو وجه الفتيان همهم الى لذة الحكمة والعلم؁ وعرفوا أنهم يحدون مع الفتاة المهذبة من راحة الضمير والتفرغ لا اكتساب المجد ما لا يحدونه مع الفتاة الواسعة الرغبات؁ لكان لهم فى مصاهرة تلك الأسر الفاضلة ما يجعل ضمائرهم فى راحة؁ وعيشهم فى هناء .

فمن يبلغ شبابنا هذه الحقائق؁ ليعلموا أن إعراضهم عن الزواج قتل لفضيلة العفاف؁ وحرمان للأوطان من نسل طيب؁ وإطفاء لمصابيح الحياة الاجتماعية الراقية ! ولا أراهم بعد أن يعلموا هذه الحقائق وهم عشاق الفضيلة؁ والغيورون على المصالح العامة؁ والعاملون لحياة الأمة ورقبها — إلا أن يطهروا نفوسهم من محاكاة الإباحيين فى الإعراض عن الزواج وهم يستطيعونه؁ فيكونوا بتوفيق الله تعالى أيدىً بانية لا هادمة؁ ومصالحة لا مفسدة : ( إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) .

محمد الحضر مسبين

## البلاغة فى الإيجاز

قال رجل لعمر بن العاص : والله لا تفرغن لك ! قال : هنالك وقعت فى الشغل . فقال له الرجل : كأنك تهددنى؁ والله لئن قلت لى كلمة لا أقولن لك عشرين ! فقال له عمرو : وأنت والله لئن قلت لى عشرين لم أقل لك واحدة !

وقال رجل لأبى بكر رضى الله عنه : والله لا أسبنك سباً يدخل القبر معك ! فقال الصديق : معك يدخل لامعى .

وقيل لعمر بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أبوأيوب السجستاني حتى رحمتك . فقال عمرو : إياه فارحموا .

## تأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله

( أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ  
مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى )

يُخِيلُ إِلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ الْعِلْمَ قَدْ قَضَىٰ عَلَى الْعَقِيدَةِ بِوُجُودِ الْخَالِقِ ، وَيَلُو كُونا  
عِبَارَاتٍ اقْتَضِيَتْهَا مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ، مِنْ كِتَابَاتٍ مَلْحَدَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ ، أَمْثَالُ  
بُوخَرٍ وَمَلْدَرٍ وَجِيْبِيلٍ ، وَمِنْ كُتُبِ الدَّارَوِينِيِّينَ ، يَثْبُتُونَ بِهَا دَعْوَاهُمْ .

نعم : صَدَرَتْ كِتَابَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي مَدَى الْقَرْنَيْنِ : الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ عَشَرَ ، فِي أَثْنَاءِ  
الذَّشْوَةِ الَّتِي أَصَابَتْ بَعْضَ رِجَالِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ ، مِنْ انْتِصَارِهِمْ عَلَى اتُّوْقْرَاطِيَّةِ رِجَالِ  
الدِّينِ فِي أَوْرُوبَا . وَقَدْ غَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى حِدِّ انْكَارِ الْمَحْسُوسِ مِنْ أَعْلَامِ الْكُونا الْمَنْصُوبَةِ  
لِهَدَايَةِ الْعُقُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، فَخَوَّلُوا جَمِيعَ هَذِهِ الْأَعْلَامِ إِلَى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمُ الْإِلْهَادِيَّةَ ،  
فَاسْتَقَوْا الْجَاهِلِيَّةَ أَمَامَهُمْ إِلَى مَتْنِ الْإِلْهَادِ ، غَيْرَ مَبَالِيْنِ بِنَتِيجَةِ هَذِهِ الْمَغَامِرَةِ عَلَى نِظَامِ  
الْإِجْتِمَاعِ ، وَنَامُوسِ الْأَخْلَاقِ . فَافْتَكَّتِ النُّفُوسُ مِنْ شِكَايَتِهَا الْأَدْبِيَّةِ ، وَتَسَكَّعَتْ  
فِي عَالَمِ الْإِبْرَاحَةِ ، غَيْرَ مَبَالِيَةٍ بِالْغَايَةِ الَّتِي تَتَأَدَّى إِلَيْهَا ، مَدْفُوعَةٌ بِهَذِهِ الدَّوَافِعِ الشَّهْوَانِيَّةِ .  
وَقَدْ اجْتَازَتْ هَذِهِ النُّزَعَاتُ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ ، بِحُكْمِ اتِّصَالِهَا الْعَالَمِيِّ وَالْفَلَسَفِيِّ ،  
فَنَجَمَتْ نَوَاجِمُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، وَشَرَعَ بَعْضُ الْمَتَسَرِّعِينَ يَعلَنُونَ لِلْإِلْهَادِ فِي مَجَالِسِهِمْ الْخَاصَّةِ ،  
وَعَمَدُ كِتَابَتِهِمْ إِلَى نَشْرِهِ مِنْ طَرِيقِ الدَّسِّ فِي كِتَابَاتِهِمْ ، يَحْدُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ مَا يَتَخِيلُونَهُ مِنْ  
أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِتَخْلِيصِ مَوَاطِنِهِمْ مِنْ حَالَةِ الْجُودِ الَّتِي يَتَخِيلُونَ أَنَّهَا نَتِيجَةُ  
طَبِيعِيَّةٍ لِعَقَائِدِهِمُ الْوَرَاثِيَّةِ .



جهلٌ معيبٌ بحقيقة العوامل الاجتماعية، وخطأ كبيرين العلل الأدبية، وطيش لا يغتفر لرجال نصبوا أنفسهم لقيادة العقول في الحياة المدنية .

ونحن في هذه المجلة نجد أول واجباتنا تعقبهم في مزاعمهم هذه، للتدليل على خطئها ولحماية العقول الحائمة حولهم من الانخداع بما يقدمونه إليها ، من هذا الغذاء الضار بكيانها .

وإنما نسلك الى هذا الغرض من طريقين : (أولهما) نقل ماردّه أهل البصر من العلماء على مروّجة الإلحاد في أوربا، و(ثانيهما) تعقب أذنانهم هنا فيما يدسونه من هذه السموم القتالة، لحماية النشء من تسربها إليهم .

كتب العلامة الفرنسي (لوجيل) في كتابه (العلم والفلسفة) يناقش الماديين في ذات أصولهم المقررة، ويثبت لهم أنها لا تؤدي الى النتائج التي يودون استنتاجها منها، فقال :

« العلم يستسلم أحيانا لانسكارات وشكوك تزغنا، ولكن للعلم مساتير لا يسر لها غور، فهو يكتفي بالألفاظ كلما لم يجد سبيلا للنفوذ الى سرائر الظواهر المحسوسة .

» تكثر الكيمياء من ذكر الألفة الكيميائية (أى الميل الذى هو بين بعض الجواهر وبعضها الآخر لاجتماع مركبات جديدة) . أليست هذه الألفة قوة فرضية غير مدركة بالحواس كالحياة والروح ؟

« الكيمياء ترجع الى الفيزيولوجيا أصل الحياة ، وتأبى عليها أن تشتغل بها ، ولكن المذهب الذى تحوم حوله الكيمياء هل فيه ظل من الحقيقة ؟ هذا الأصل الحيوى لا يدرك ليس فى ينبوعه فحسب، ولكن فى نتأجه أيضا . فهل يستطيع الإنسان أن يتأمل قليلا فى القوانين المسماة بقوانين (برتلو) مثلا، دون أن يدرك بأنه حيال سر لا يسر غوره ؟

« وإذا اعتبرنا ظاهرة بسيطة من ظواهر الألفة الكيميائية ، وأشرفنا على هذا الميل الذى يدفع بعض الذرات الى بعض آخر ، فتراها تتباحث ثم تتضام ، بعد تخلصها من المركبات التى كانت تحويها ، أليس فى هذا ما يحير العقل ؟

« كلما أنعم الإنسان فى درس العلوم من وجهتها المعنوية ، زاد اعتقاداً بأن ليس فى العلم ما يمنع من اتفاهه مع أبعد الفلسفات العقلية مرمى . العلوم تحلل العلاقات ، وتأخذ القياسات ، وتكتشف النواميس التى تنظم عالم الظواهر ، ولكن لا يوجد ظاهرة واحدة مهما كانت تافهة لا تضعها العلوم حيال أمرين ليس للأسلوب التجريبي عليهما من سبيل . ( أولهما ) أصل المادة التى تغيرت بواسطة تلك الظاهرة الطبيعية . و ( ثانيهما ) القوة التى استدعت هذه التغيرات فيها .

« نحن لا نعلم ولا نرى إلا الظواهر والقشور ، أما الحقيقة والعلة فتأبى أن تنكشفنا لنا . وإنه ليحقق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التى أفعالها قد تحللت بالعلوم المختلفة ، صادرة من قوة أولية أبدية واجبة الوجود ، مصدر كل حركة ، ومركز كل عمل . إذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة تظهر لنا الحوادث الطبيعية ، والكائنات ذاتها صوراً متغيرة لفكرة إلهية » .

وقال العلامة الكبير ( كاميل فلا مريون ) الفلكى فى كتابه ( الاعتقاد بالله من النظر فى الطبيعة ) واسمه الحقيقى فى عبارة المؤلف ( الله فى الطبيعة ) :

« إذا أعلننا أن جميع أنواع النباتات والحيوانات لم تخلق خلقاً مستقلاً على صورة مقدرة لكل منها ، وذهبنا الى أن هذا التنوع فى الصور فعل قوة متحدة بالمادة ، فهل يمنعنا ذلك من الاعتقاد بوجود عقل خالق ، وبظهور غرضه وقصده فى الخليفة ؟ ألسنا نكون متعمدين عدم التدبر بعين البصيرة إذا رفضنا اعتبار هذه القوة اللازمة للمادة نتيجة عقل مدبر لها ؟ ألسنا نكون عمياً إذا رفضنا الاعتراف بهذه الدلائل الناطقة على وجود عامل قادر أزلى فى الكون ؟

« إن الزعم بأن الخليقة تتكون بذاتها وترقى بطبيعتها في أعمالها على اتجاه ثابت نحو نتائج متدرجة في الكمال ، يعتبر كنصف اعتراف بأن هذه الطبيعة مقودة نحو الكمال بسبب عاقل .

« كيف يعقل أن الطبيعة الميتة تفكر في أن تترتب على التعاقب في صور نباتية ثم حيوانية ثم إنسانية ، وأن تكون هذه الأعضاء التي تؤلف الكائن الحي ، وتكون مليئة بحفظ الحياة في خلال العصور ، وأن تبني هذه الأجهزة لهذا الكائن الحي ، ليكون في اتصال مستمر بالأشياء المغايرة له ؟ بأي اتفاق مدعش تكونت هذه الأعضاء يسيراً يسيراً ، لأجل إيصال المؤثرات الخارجية إلى الجسم ، ثم ارتبطت هذه الأعضاء بالمدرك الذي هو وحده يفهم ويحكم ؟ وكيف اتفق أن تكون هذه الأعضاء على أكل حالة من البناء والتركيب ؟ وكيف حدث أن أكثر الأجهزة كملت ولم تأت عادمة الجدوى ، أو فاسدة الصنعة ؟ وكيف تستديم الأجسام الحية أنواعها بالتوالد حافظة لكل صفاتها ؟ ولماذا كانت الخليقة مؤلفة من أجناس وأنواع وفصائل ؟ ولماذا يستطيع العقل الإنساني أن يرتب هذه الكائنات في مجموعها ترتيباً مؤسسا ، ويجد فيه نظاماً عاماً ؟ ولماذا لم تكن الطبيعة مجموعاً من الكائنات المشوهة ؟

« إنهم يجيبونك على كل هذه الأسئلة بقولهم : إن علة ذلك ناموس الانتخاب الطبيعي ، فتراهم يفسرون جميع المسائل بتكرار قولهم : إن الطبيعة مدفوعة إلى الترقى المستمر ، وإنها تدع الخبيث وتأخذ الطيب ، وتميل دائماً لأن توجد الصور الكاملة .

« نعم : ولكن هذا الليل للأمام ، وهذا الترقى الطبيعي ، وهذه الحاجة إلى الكمال ، ما هي إن لم تكن عمل قوة عامة تقود العالم نحو غاية عالية ؟ وما هو هذا التدرج من جميع الكائنات نحو التكمّل إن لم يكن مظهراً واضحاً لعامل يعلم أين يوجه سفينة الكون ؟ وكيف يقودها عامل لم تستطع المادة الخاضعة له أن تقيم أمامه أقل العثرات ؟

الى أن يقول :

«إن فوق كل الاستحالات الممكنة للكائنات ناموسا لا يتحول ، يقود التطورات الطبيعية منذ بدء تكون الأنواع الأولية العريقة في السذاجة من لدن العصور الأولى لوجود الأرض ، على ما حققته الجيولوجيا والباليو نتولوجيا ( أى علم طبقات الأرض والحفريات) . هذا الناموس هو ناموس الترقى الواضح الذى لا ينكر أثره في سلسلة الأنواع المتعاقبة من أول الحيوانات الرخوة الى الإنسان . كيف يمكن أن ينكر على هذا الناموس أنه مقود بعقل مدبر ؟ أليس يمثل غرضا ومقصدا ، وقانونا مفروضا على الطبيعة برمتها ؟ نحن نربأ بكل عالم بطبقات الأرض والأحافير ، وبكل طبيعى أن ينكر هذا القانون ! » إن العقل الخالق المدبر الذى ندعوه ( الله ) هو إذن المدبر الأزلى الأبدى ، والقدرة الصميمة العامة ، المؤلفة للوحدة الحية للعالم » انتهى .

وقال الفيلسوف الكبير ( أدوارد ملن ) الانجليزى كما نقله عنه الأستاذ ( كاميل فلامريون ) :

« يجب أن يدهش الإنسان لما يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج الاتفاق والخطب ، أو عبارة أخرى : نتائج الخواص العامة المادة ، وأثر تلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب ومادة الأحجار . وأن إلهامات النمل وأسئى مدركات القوة العقلية للإنسانية ليست إلا نتيجة عمل القوى الطبيعية أو الكيماوية التى بهائتم تجمد الماء ، واحتراق الفحم ، وسقوط الأجسام . إن هذه الافتراضات الباطلة ، بل هذه الأضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى ، قد حضاها العلم الصحيح دحضا ، فإن العالم الطبيعى لا يستطيع أن يقول بها أصلا . وإذا أطل الإنسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة ، يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ، ترشد مخاوقاتهما الى أصول أعمالها اليومية » انتهى .

## الدين والدنيا معا

( رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً )

مما يأخذه علماء الاجتماع على أكثر المتدينين أنهم يقصرون في التبسط في الماديات ، ولا يتناولون منها ما به استصلاح معيشتهم ، واستكمال حاجتهم . بل من الأديان ما صرف الناس عن الماديات جملة ، إما ذهابا منها الى الطرف المناقض لما عليه المترفون ، ليثوب الناس الى الاعتدال ، كما يعالج الأخلاقيون المصاب بالسرف بلزوم الإمساك المطلق ، والممنون باللهم بالحماية المتطرفة ، وهلم جرا ، لتتذوق النفوس فضيلة الاعتدال فتعول عليها ، وإما تضليلا من قادة الأديان للناس ، ليركوا ما بأيديهم ليستأثروا هم به ، وفي تاريخ الأديان أمثلة كثيرة لهذه الأُمُرين .

ولا ننسى أن الدين في ذاته يحجب في الزهد في الدنيا ، والانصراف لأُمُور الآخرة إشارا لما هو خير وأبقى . ولقد كان لتغالي بعض الأمم في هذه النزعة أثر كبير في تأخير النهضات الاجتماعية ، وخاصة بعد أن تخلصت أوروبا من الوصاية الكهنسية ، واندفعت في طريق استكمال الوسائل العلمية والاقتصادية ، فزاحت الأمم المقصرة فيها على ما بيدها ، فكان ذلك موجدا لعوامل جديدة في وجودها .

فإن كانت توجد أمة يقيمها دينها من مثل هذا الجود المادي ، فهي الأمة الإسلامية ، لأن دينها يدعوها للاهتمام بحاجاتها المادية ، ويحثها على العمل لدنياها ، استكمال الوجودها العالَمي الذي يستدعي أن تكون منهما مثلا أعلى للأمم في الأرض فقال تعالى : ( وَأُتْبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُفْسِدِينَ) وأمر المسلم أن يقول في دعائه: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة  
حسنة» وقال تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ  
أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ).

وحثت السنة النبوية على استغلال الأرض وإحياء مواتها، وعلى السعى على المعاش  
من جميع الوجوه المشروعة. وصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ادخار المال  
ليس فيه بأس، فقال: «ما أديت زكاته فليس بكنز» أى إذا أديت زكاة مالك من  
الذهب والفضة، فلا يعتبر ادخارك لها كنزا ينطبق عليه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ  
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

وكان أبوذر الغفارى قد رأى أن ادخار المال غير جائز شرعا، وأشاع ذلك فى المؤمنين،  
فشكاه معاوية الى عثمان رضى الله عنهما، فنفاه الى الربرة يقيم فيها بعيدا عن الناس،  
حتى لا يفتتن بمذهبه الماسمون، فيقصروا فى أمور دنياهم.

ولسنا نكتفى بهذه الأدلة النقلية وإن كانت بالغة أقصى غايات التذليل العالمى،  
فإن أماننا دلائل عملية ليس فى وسع أى مكابر أن يتردد فى قبولها، وهى ما بلغته الأمة  
الاسلامية من تأسيس مدنية حاصلة على جميع المقومات الروحية والمادية، فأقامت  
بإزاء كل أصل قيم بثته فى الأرض صرحا عاليا من صروح التكامل المادى: من تمصير  
الأمصار، وإقامة المباني، والذهب فى استخراج كنوز الأرض الى أقصى ما تبلغه  
القدرة البشرية، حتى إن كتبهم فى الزراعة واستخراج المعادن والانتفاع بها تعتبر الى  
اليوم من أنفع الكتب وأولاها بالعناية. وأعمالهم فى الصناعة وترقية فنونها، وفى التجارة  
وتذليل عقباتها، تعد من مفاخر الأمم التى كان لها حظ من خلافة الله فى الأرض.  
وإذا كان لا بد من الاستئناس بأقوال المؤرخين الأجانب فى هذا الشأن، فإننا نقدم  
للقارئ طرفا منها تأييدا لما نقول:

قال العلامة (درا بر) في كتابه (المنازعة بين العلم والدين): «إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية، أى بعد موت محمد (صلى الله عليه وسلم) بست سنين، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى كانوا مستأنسين بجميع الكتب العلمية اليونانية، ومقدرها قدرها الصحيح»

الى أن قال: «ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب، فإنهم قد رَقُّوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم»

ثم قال: «الفلسكيون العرب قد اهتموا أيضا بتحسين آلات الأرصاد وتهذيبها، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال، والساعات المائية، والسطوح المدرجة الشمسية، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض.

«أما في العلوم التجريبية، فقد اكتشفوا الكيمياء، وبعضا من محلاتها الشهيرة: حمض الكبريتيك، وحمض النتريك، والكحول.

«استخدم العرب علم الكيمياء في الطب، لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات، والأقرباذينات، واستخراج الجواهر المعدنية.

«أما في علم الميكانيكا، فإنهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة.

«أما في الايدروستاتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية، وكتبوا أبحاثا عن الأجسام السابجة، والغائصة تحت الماء.

الى أن قال: «إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر (تأمل) الذى نالته الصنائع على عهدهم، فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري

والتسميد، وتربية الحيوانات، وسن انظمامات الزراعية الحكيمة، وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن . وقد انتشرت المعامل والمصانع ( تأمل ) لكل أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ، ويجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها .

وقال العلامة الدكتور (جوستاف لوبون ) الفرنسى فى كتابه ( تمدن العرب ) ما يأتى :

« العرب مع ولوعهم بالأبحاث النظرية لم يهتموا بتطبيقها على الصنائع ، فقد أكتسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جدا . وإنما وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها لذلك ، فإننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلاً أنهم احتفروا المناجم ، واستخرجوا منها الكبريت ، والنحاس ، والزئبق ، والحديد ، والذهب ، وأنهم برعوا جدا فى الصباغة ، ومهروا فى صقل الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم فى كثير من فنون الصنائع قد برعوا براعة لم يالحق لهم شأو فيها إلا أن (فتأمل ) .

وقال العلامة (سديو) فى كتابه (تاريخ العرب) : « كان المسلمون فى القرون الوسطى متفردين فى العلم والفلسفة والفنون والصنائع . وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى أوروبا ، فكانوا سببا لهضمتها وارتقاؤها .

وقال العلامة (دراير) المتقدم ذكره :

« أول مدرسة أنشئت للطب فى أوروبا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (بالرم) (عاصمة سيسيليا) من إيطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون فى أشبيلية بإسبانيا . ولو أردنا أن نستقصى نتائج كل هذه الحركة العظمى خرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم قد رققوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم . »



برى القارئون من كل ما مر أن العرب الأولون قد اتجهوا بحافز من دينهم الى طلب العلم ، منذ احتلالهم الاسكندرية ، تحت قيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأنهم اندفعوا في هذا التيار لا توفية لشهوات عقولهم خسب ، ولكن ليطبقوه على العمل ، ويزيدوا به مادة المدنية الفاضلة التي تقتضيها خلافة الله في الأرض ، مصداقا لقوله تعالى : ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) وقد وفوا بما نذبههم الله اليه من الاضطلاع بهذه المهمة ، فأسسوا ملكا لم ينبغ لأمة قبلهم ولا بعدهم الى اليوم ، وانتهت اليهم الزعامة الدائمة في كل ماله صلة بالانسانية من أخص نواحيها وأعمها . فنحن لا ندعو الأمم لشيء جديد ، وإنما ندعوهم للقيام على سنة أسلافهم الذين عملوا لدينهم ودنياهم معا ، جريا على أوامر دينهم . فإن كان قد قصر بعضهم في العمل لدنياهم ، فإنما فعلوه لا انتشار روح أجنبية عن الإسلام فيهم ، على أيدي دعاة يجهلون أسرار الدين ، وسنن الاجتماع معا .

محمد فريد وهرى

## ابن المقفع يصف صديقاله

وصف ابن المقفع صديقاله ، فكان مما وصفه به قوله : كان لي أخ أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم إلا بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم . وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قال بز القائلين . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره . وكان لا يشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا إلا أن يرجو عنده النصيحة . وكان لا يتبرم ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا ينقم من العدو ، ولا يغفل عن الولي ، ولا يخص نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحياته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطقها ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل ، خير من ترك الجميع .

# الفتاوى والأحكام

ورد إدارة المجلة الاسئلة الاتية ، ننشرها مع اجوبتها فيما يلي :

## سماع القرآن من الراديو

نرجو الافادة عن حكم قراءة القرآن ، والأذان ونحو ذلك في الراديو ، مع أن ذلك يسمع في محلات الملاهي ونحوها من الأندية التي تحتوى على ما لا يليق .

## الجواب

إن الذى يُسمع من الكلام بواسطة الراديو هو كلام المتكلم وصوت القارئ ، وليس صدى كلمات كالذى يسمع فى الجبال والصحارى وغيرها ، وعلى هذا يكون المسموع من الراديو قرآنا حقيقة . ففى كان القارئ جالسا فى محل غير متهن ، وكان فى قراءته مراعىا ما تجب مراعاته ، مستوفيا شروط القراءة ، وليس فى قراءته خلل ، كانت قراءته جائزة ، والمسموع منه قرآنا سماعه جائز ، ومثاب عليه . أما إذا لم يستوف الشروط كأن جلس فى محل متهن ، أو أخل بشروط القراءة ، أو قصد من قراءته اللهو واللعب ، فلا تجوز . ولا يضر القارئ — متى كان مستوفيا الشروط ، مراعىا أحكام التجويد ، وكان على الوصف الذى قدمنا — أن يسمع صوته فى محل لا تجوز القراءة فيه . وعلى السامع أن يستمع ، وإذا وجد من يشوش نهاه عن التشويش . ومثل القراءة غيرها فى أن المسموع هو نفس المتكلم ، فإن كان مغنيا ، فحكمه حكم الغناء ، وإن تكلم بما هو مباح ، فحكمه الإباحة ؛ وإن تكلم بمحرم ، كان ذلك حراما . والله أعلم .

## تحديد النسل

وورد أيضا على إدارة المجلة سؤال يتضمن طلب بيان الحكم في تحديد النسل .

### الجواب

إن تحديد النسل خوفا من العيلة والفقر غير جائز ، لأن الله سبحانه وتعالى كفّل الأرزاق لعباده . وإن في قوله تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ) وفي قوله تعالى : ( وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ) ما فيه الغناء لمن آمن بالله عن التفكير في مسألة الأرزاق . ومن علم أن مال الله غاد ورائح ، وأن الغنى قد يصبح فقيرا معدما ، والفقير المعدم قد يسمى غنيا موفورا للغنى ، لم يشك في أن الغنى والفقر من العوارض التي تتبدل . ومن علم أن الفقير قد يولد له أولاد منهم من يكون ذا ثروة عظيمة يستفيد منه شعب بأسره ، لا يرتاب في أن تحديد النسل خوفا من الفقر أو عدم القدرة على الإنفاق غير جائز . ومن أدرك المنفعة التي يجنيها المرء بل والأمة من الأولاد ، والمنافع التي تترتب على كثرتهم وما ينجم عنها ، مما أقله دفع يد المدوان عن الأمة ، لا يعتوره ريب في عدم الجواز . على أن ذلك التحديد قد يؤدي الى عقم المرأة ، فتندم ولات حين مندم . وقد يعتمد الشخص الى تحديد نسله ، فيمدد الدهر على ولده أو أولاده ، ويكون قد تقدم في السن ، فتعتوره الحسرة والندامة .

وعلى المجلة فمسألة تحديد النسل خوفا من الفقر أو العيلة لا تجوز ، ولا يصح أن تكون مدار بحث ديني . أما الأحوال التي تعتور المرأة من أضرار من الحمل أو غير ذلك ، فلكل حادثة حكمها ، وما بالضرورة يتقدر بقدرها . والله أعلم .

### تعليم القرآن بغير تجويد

هل تجوز قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مضبوطة ، وتعليمه لتلاميذ وتلميذات المدارس أو غيرهم بغير أحكام التجويد ؟

## الجواب

ينبغي أن تكون قراءة القرآن وتعليمه على وجه لا يترتب عليه خلل في القراءة، فلا يجوز الإفراط في المد، ولا في إشباع الحركات، كما لا يجوز الإدغام في غير موضع الإدغام. فمن قرأ كذلك أو تعلم كذلك، كانت قراءته وتعليمه صحيحين وإن لم يكن عالماً بأحكام التجويد. على أن مراعاة أحكام التجويد للقارئ والمتعلم مما ينبغي ألا يتساهل فيه. والله أعلم.

## ملابس النساء والرجال

وورد سؤال يعلم من جوابه :

سبق للمجلة أن بينت حكم صوت المرأة، وبينت أن كل بدنها عورة، عدا الوجه واليدين. وسبق أن فسرنا آيات الكتاب المجيد المتعلقة بما يجوز إبداءه من الزينة وما لا يجوز، وبيان من هم الأقارب التي يجوز للمرأة الاجتماع بهم، وغير ذلك مما ورد مفصلاً في آيات سورة النور. فعلى السائل الرجوع إليها، ففيها الغناء. أما الخلوة بالأجنبي ولو طيباً، فغير جائزة في أى مكان كانت، بل الواجب أن يكون مع السيدة أحد من المحارم، كالأب أو الأخ أو العم إن لم يتيسر حضور الزوج، أو وجود من وجوده يمنع الخلوة ولو من غير هؤلاء. ولو أن السيدات عالجن أنفسهن عند طيبة، كان ذلك أولى، لأن نظر الجنس إلى الجنس أخف. وقد بينا فيما سبق أن ما بالضرورة يتقدر بقدرها، وأن الضرورات تبيح المحظورات.

أما ملابس النساء فيعلم الحكم فيها مما يأتى :

لا حرج على السيدة أن تلبس الحرير وغيره، كما لا حرج عليها في أن تلبس الثياب بأى لون كانت. ولا حرج عليها في أن تتجلى بالذهب والفضة، سواء كان ذلك سواراً أو خاتماً أو ساعة. وكل الذى ينبغي هو أن تكون ثيابها غير مظهرة لبدنها، ولا ممثلة

لجسدها . فتى كانت الثياب ساترة غير مثقلة للبدن ، جازت . أما اذا كانت غير ساترة للبدن أو كانت مثقلة له تمثيلاً يحلب النظر ، فإنها تكون غير جائزة .

أما الرجال فقد حظرت الشريعة الإسلامية عليهم لبس الحرير في غير ضرورة ، كما حظرت عليهم التحلى بالذهب والفضة . أما ألوان الثياب فالخطب فيها يسير ، وإن كره بعض الأئمة لبس بعض الألوان . وأجازت لهم التختيم بالفضة لا بالذهب ، لتهيئه صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب . وكذلك خاتم الحديد والصفرة والنحاس مكروه للنساء والرجال . ويجوز للرجال التمتع بالأحجار الكريمة ، كالؤلؤ والياقوت ، على شريطة ألا يتحلى بها كتحلى النساء . وعلى الجملة فإن للرجل أن يتمتع في لباسه بكل ما لم تحظره الشريعة ، بشرط أن يكون ذلك في حشمة ووقار لا تقين بالرجال . والله أعلم .

أما البرنيطة ، فلا يجوز لبسها إذا كان القصد منه التشبه بالكفار . أما إذا لبسوها غير قاصدين التشبه بها ، وكان لبسهم لضرورة دفع برد أو حر أو غير ذلك من المصالح فلا إثم فيه . وهذا كله ما لم يوجد من الملابس ما يدل على استخفافه بالدين ، وإلا كفر بالاستخفاف . ومع ذلك فالخير كل الخير في اتخاذ ما يبق البرد أو الحر ، على نموذج غير نموذج القبعة ، وهو أمر ميسور . والله أعلم .

## سؤال القبر

هل صحيح أن سؤال القبر سيكون بالغة السريانية ؟ وإذا كان فما الحكمة في كونه بهذه اللغة ؟

## الجواب

إن الدين الإسلامى ورد بسؤال الناس في القبر ، ولم يقص علينا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله — على ما أعلم — أن السؤال يكون بلغة خاصة . وغير خاف أن الظاهر المعقول هو أن يكون السؤال بلغة يفهمها المستؤل . أما أنه بالسريانية أو العبرانية أو غيرها ، فلا أعلم للأئمة شيئاً فيه . والله أعلم .

طه مبيب

# الاسلام فى نظر بحاثى أوروبا

بقلم البعثة الكبرى سِنِكْس

مترجمة عن المجلد الرومى

«ظهر محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد المسيح بخمسة وسبعين سنة ، وكانت مهمته هو أيضا ترقية العقول البشرية ، بإيتائها بالأصول الأولية للأخلاق ، وإيصالها للاعتقاد بالله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة . فأحدث فى أفريقية وفى الشرق بأسره انقلابا دينيا يشبه الانقلاب الذى أحدثته تعاليم عيسى فى أوروبا . ولكن ذلك الانقلاب لم يتم بمجرد الكلام ، والأمثلة الحسنة ، واحتمال الأذى والجد ، بل حدث بمجديد للمقاتلة الذين تحمسوا لعقائد الإسلام وآدابه التى حمها الى النبى الملك جبريل (١) .

«بعد أن أمضى محمد سنين فى الحياة التأملية أعلن الأفراد المخلصين له بأنه سيقوم بنشر دين الله ، ويحمل الى الناس سعادة هذه الحياة وسعادة ما وراءها من الوجود الثانى ، فتصداه قومه فى مكة وهددوه بالقتل ، فلجأ الى قرية سميت منذ ذلك الحين بالمدينة ( مدينة النبى ) ومن تاريخ هذه الهجرة يؤرخ المسلمون .

«لما توفى النبى كان ملكه الذى عاصمته مكة قد تم تأسيسه ، ولم يمض إلا قرن بعده حتى كانت جميع شعوب البلاد العربية وشمال أفريقية من أول مضيق هرمز الى شواطئ المحيط الأطلسى خاضعة الراية الاسلامية .

---

( ١ ) يريد البعثة الفاضل أن يقول : إن المسيحية انتشرت بالكلام والامثلة الحسنة الخ والاسلام انتشر بالسيف . والحقيقة أن الاسلام هو الذى انتشر بالاقناع والامثلة الحسنة ، لانه لا يعقل أنه انتشر بالسيف قبل أن تكون له دولة ورجال ، والمعروف أن المسيحية ظلت بلادولة حتى تولى أمباطورالرومان كونستنتين فى القرن الرابع فنشرها بالحديد والنار .

« فكانت أسبانيا قد تم فتحها ، وأغار المسلمون منها على فرنسا ، ولم يصدّم عنها إلا مطرقة ( شارل مارتل ) دوق الفرنكيين الشديد البأس ، فإنه وقف تقدّمهم في بواتييه سنة ( ٧٣٢ ) .

« فلم تناسب ديانة محمد عقول الشعوب التي تكوّن نواة أوروبا الحالية ، فإن الشعوب اليونانية الرومانية التي كانت لا تزال متأثرة بأساطير الوثنية الشعرية ، لم تستطع أن تفهم دعاية غاية في البساطة والصرامة ، ولا تتملق لقوة التصوّر . لهذا السبب عينه أدخلت المسيحية الى جوهرها بعض الطقوس من الأديان القديمة ، وبعض العقائد التي كانت سائدة في المملكة ، بعد أن أحدثت فيها شيئا من التغيير . وغير ذلك فإن المسيحية وحدها تستطيع بتركيبها القوي ، وبسلطانها وتأثيرها على العقول ، أن تساعد بقوة على جمع الشعوب المغيرة المختلفة الجنسيات ، وعلى إبقائها في الأراضى التي فتحتها .

« لما وقف الشرق في فتوحاته دخل الى عهد جديد من الحياة الفكرية ، فارتقت الآداب والصنائع والعلوم ارتقاء عجيبا . فبينما كانت أوروبا تتخبط في غياهب القرون الوسطى ، كان المسلمون قد وصلوا الى درجة من المدنية عالية بالنسبة لما كان موجودا منها ، وأكبّ العرب المتعلمون على ترجمة كتابات الفلاسفة والعلماء الأقدمين ، وأسسوا في بغداد وقرطبة جامعات علمية ومدارس ، حفظوا بذلك جميع المعارف الإنسانية ، وزادوا في مادتها ، تلك المعارف التي لم تصل الى أوروبا ولم تدرس فيها بطريقة عامة إلا في عهد النهضة المعروفة . »

ثم أتى السكاتب على وقوف النهضة الإسلامية في القرن الخامس عشر بسبب تعاليم ضالة تسربت الى الناس وأسباب أخرى ، ثم خرج من ذلك الى نفى بعض ما يعاب على الإسلام في نظر بعض المتعنتين ، من مسألة القضاء والقدر ، ودل على أن في المسلمين اليوم نهضة قوية لاسترداد مجدهم ، مما هو معروف . ثم ذكر القرآن الكريم فنقل عن العلامة بار تلمي قوله :

« قال المسيو ( بار تلمى سنثيلير ) : « إن القرآن قد بقي أجمل أثر للغة التي أنزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الانساني . وهذا الأمر يفسر التأثير العظيم الذي أحدثه هذا الكتاب على العرب الذين اعتقدوا بأن محمداً في معارفه الساذجة لا يستطيع أن يؤلف بنفسه هذا الكتاب ، وأنه لابد من أن يكون قد أملاه عليه الملك جبريل . »

« وقد كان محمد يؤكّد بأنه يتلقى معارفه عن الملأ الأعلى . وقد أجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الخاصة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب مثل هذه التعاليم العالية الحكيمة المشحون بها هذا القرآن .

« تلك التعاليم هي التي رقت عقول الملايين من الناس ، ولا تزال ترقى كل يوم شعوبا متآخرة ، بإشرابها الحقائق الكبرى الضرورية للذات البشرية من الوجهة الدينية والاجتماعية والخلقية والبيئية . ولن تمضي سنوات قليلة حتى تصبح أفريقيا كلها دائنة للإسلام . والمائة والعشرون مليوناً من المسلمين في آسيا الذين يزدادون كل يوم عدداً لا دلة على حيوية وعظمة ديانة الله ( يريد الاسلام ) .

« لم يأت محمد لمكافئة التوراة والإنجيل ، فإنه يقول بأن هذين الكتابين قد أنزلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس الى الحق . وأن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما ، ولكنه لم يأخذ منهما .

« وقد رفض جميع الرموز والأساطير ، ودعا الى عبادة إله واحد قادر رحمن رحيم ، كما يصفه بذلك في رأس كل سورة من سوره .

« وقد أمر بخمس صلوات في اليوم ، ليضطر الانسان للتخلي عن اشتغالاته المادية لحیظات في اليوم ، ليرتفع في خلالها الى مولاه . وأمر أن لا تجعل العبادة موجهة لأغراض ذاتية ، فإن الله أعلم بما هو أصالح لنا . وقد أوجب على المسلم أن يتصدق بمحصة



من إرادته ، وتلك غير الصدقة الاختيارية . وأوجب حماية المرأة بالاعتراف لها بحقوقها البيتية التي كانت غير معترف بها الى عهده : بمنعه أو بتهديبه مبدأ تعدد الزوجات . وحى الأطفال بتحريم قتلهم تخلصاً من إعالهم ، وهى تلك العادة القديمة التي كانت منتشرة . ورعى حق الرقيق : فأمر بمعاملته كعضو من الأسرة . وقد كان أول من قرر مبدأ المساواة أمام العدالة بين جميع المسلمين ، من أغنى الناس وأقوام ، الى أفقرهم وأضعفهم . وحرّم السرقة والقتل والإكراه . ومنع شرب الخمر والميسر .

« وقد أعلن محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن الإنسان حياة مستقبلة فيها عقاب وثواب أبديان ، ولكن رحمة الله تدع أملاً للمذنبين في أن لا تكون عقوباتهم أبدية .

« لقد استهزأ المستهزئون بجنة محمد ، وقالوا عنها أسوأ ما يمكن قوله ، ولكن كل هذه الأحكام الضالة تتلاشى متى قرأ الإنسان القرآن .

« ومما هو جدير بالذكر أن المرأة المسلمة تظهر في تلك الآيات ذات مكانة ، فقد صرح بأنها تشارك زوجها في دار النعيم .

الى أن قال :

« الدين الإسلامى قد أحدث رقياً عظيماً جداً في تدرج العاطفة الدينية ، فقد أطلق العقل الإنسانى من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد ، بين أيدي الكهنة من ذوى الأديان المختلفة ، فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة يجازى فيها على أعماله ، وبإله واحد يمكنه أن يعبد ، ويرتفع بروحه اليه دون أن يضطر لتوسيط وسيط .

« ثم إن محمداً بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله ، قد خلص الفكر الإنسانى من وثنية القرون الأولى الخشنة ، واضطر العالم بهذه الصورة أن يرجع الى نفسه ، وأن يبحث عن الله خالقه في صميم روحه ، وأن يرتفع اليه عقب ذلك بالعبادة القلبية المملوءة بالاحترام ، والشكر والحب .

« إن الناس لم يلتفتوا للترقى العظيم الذى أوجده الإسلام من الوجهة الأدبية ، فإن ذلك الرقى تحقق بعيدا عنا فى أمم اعتدنا أن نصفهم بالبرابرة ، لأنهم ليس لديهم مثل أفكارنا ولا عقائدنا ، ولأنهم متأخرون عنا من الوجهة العلمية والعقلية . ولكن مع هذا كله يجب الاعتراف بأن هذه الحركة الدينية قد ساعدت وتساعد كل يوم لإنارة عقول أمم .

« والإسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لأقوال النبي ، يظهر لنا أنه أعظم ما يدركه الانسان عن العلاقات التى يجب أن توجد بين الانسان وخالقه ، وأكثرها انطباقا على الطبيعة والمنطق » انتهى .

محمد فريد وهبى

## إعلان

لحضرات قراء هذه المجلة

بسبب إسناد إدارة هذه المجلة الى عهدتنا نرجو أن يجعل عنوان المراسلات كلها باسمى . وأن يكون عنوان الحوالات والأذونات : ( مدير مجلة نور الاسلام ) دون إضافة اسم إليها .

محمد فريد وهبى

## مشكلة البغاء الى سهى

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمود أبى العيون

للاستاذ المصلح الشيخ محمود أبى العيون جولات فى وجوب إلغاء البغاء الرسمى ، بل كان هو أول من طرق هذا الباب ، ونبه إليه بمقالات بليغة طنابة نشرها فى الصحف السيارة ، فترددت أصداؤها فى البلاد ، وأدرك شرف مقصدها ونباله غايتها القراء ، وكان من أثرها اهتمام الجمهور بهذه المسألة . وكانت الحكومة من ناحيتها قد فكرت منذ زمان فى هذه المسألة ، فأصدر حضرة صاحب السعادة الدكتور شاهين باشا وكيل الداخلية للشئون الصحية استفتاء لأصحاب الفضيلة علماء الإسلام ، ورؤساء الأديان المختلفة ، والجماعات والأفراد الممتازين ، فأجمع السكافة على استحسان إلغاء البغاء ، فتقرر الأخذ بهذا الإجماع . والحكومة الآن تتخذ الأبهة لإلغائه رسمياً . وقد بادرت بعض المديريات بالغائه فعلاً . وكان قلم الأستاذ الغيور الشيخ محمود أبى العيون أقوم الأقلام حجة ، وأقواها عارضة .

وقد أصدر أخيراً رسالة ضمّنها جوابه على استفتاء سعادة وكيل الداخلية للأُمور الصحية ، وهى من أجمع الأجوبة للوجوه التى تحتم إلغاء البغاء ، وأوفاهما بالأدلة على وجوب ذلك . وقد أهداها لملاذ هذه الأمة وحامى حماها ، حضرة صاحب الجلالة الملك «فؤاد الأول» أطال الله بقاءه . وهى جديرة بأن ترفع الى سدة العلية . فجزى الله الأستاذ كانبها عن عمله خير ما يجزى به المخلصين ، ووفقه للمزيد من خدمة الأُخلاق والدين .

## كشف الشبهات

عن إهداء القراءة وسائر القرب للأموات

كتاب يحتوى على حكم إهداء القراءة وسائر القرب للأحياء والأموات من المسلمين ، وهل يصل ثوابها الى المهدي إليهم أولا يصل ؟ وبيان ما يقال ويفعل عند المحتضر قبل الموت وبعده ، وعند القبر ، وما يقضى عن الميت وجوبا أو ندبا مما أوصى به ومما لم يوص ، من دين وكفارة وزكاة وحج وصوم وصلاة واعتكاف وغيرها ، وكل ما ينفع الميت من دعاء وصدقة وغيرها ، والأحاديث الواردة في « قل هو الله أحد » وفي « لا إله إلا الله » وحكم العتاقة الكبرى والصغرى ، وحكم إسقاط الصلاة ، مبينا كل ذلك أتم بيان ، مع ذكر المذاهب وتحريرها ، والأحاديث وتخريجها ، والأدلة وتقريرها ، مما لا تجده مجموعا في كتاب .

هذا ما كتبه بقلمه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمود حسن ربيع من علماء الأزهر الشريف في وجه كتابه ( كشف الشبهات ) الذي تقدم ذكره . وقد وفي الأستاذ بما أخذ على نفسه ، فجمع في كل باب ما ورد فيه من الأحاديث النبوية وآراء الأئمة مما لم يسبق اليه ويكثر السؤال عنه من الناس . وقد أحسن كل الإحسان في ترتيبه وتبويبه وطبعه . أحسن الله جزاءه على خدمته الدينية ، ووفقه لأمثالها في حياته العلمية .

يباع هذا الكتاب النافع في جمعية النشر والتأليف الأزهرية بحارة الصوافة بالدراسة بمصر . وثمنه ١٥ قرشا .

The Companions of the Prophet and those learned people who followed them continued to interpret the Koran in accordance with what had been authentically cited of the Holy Prophet and in accordance with the usage of the language and their rhetorical style. An era of vast learning and rich literature was initiated by them and it was indeed a great heritage of wonderful philosophy, tolerant laws and pure social codes that they left behind.

But this seemed to be disagreeable to a certain class of men who claimed that the interpretation of the Koran which was revealed in the language of the Arabs, was not given to such men who recited it morning and night but it was entrusted to the like of Mirza Ali, Mirza Husayn, Abbas and Abul-Fadl Al-Garfadkany in order to apply their sophistry and infuse corruption in the interpretation thereof!

In refutation of the Batinists' claim that "The viceregent of Allah is he who proclaimeth Him", Abu Bakr Ibn Al-Arabi says that "The viceregent of Allah is the Prophet who announceth His truth and whom the Lord recalled back to Him and none is infallible after him".

There is a detailed answer in "Fadaihi-Batiniyya" to the claim of the advent of the so-called infallible imam and the ascription of truth to his words only. This infallible imam claimed by the Batinists is the one recognized by the Babists as "Man Yuzhiruhu Allah" (He whom Allah shall manifest).

It is claimed by them that it is him that knows the right interpretation of all that was revealed to prophets. This Persian impostor declares in a book of his that the stories of the Koran are not authentic and says in this connection "It is not feasible for the historian to derive his historical information from the Koranic verses" and that "The prophets were not precise as far as the historical facts and folklore were concerned. They spoke of what they knew and concealed many facts and truths behind the veil of symbols and metaphors".

The allegation that the Koran contains unauthentic stories symbolic of certain esoteric meanings, has apparently no justification except the wicked intentions which the exponents of such theory conceived against the Holy Koran with a view to cause doubt and scepticism as to its Divine origin.

Indeed no historical or theoretical evidence has up till now been advanced to gainsay the authenticity of a single story given in the Holy Koran. We maintain such authenticity by the verses which point out that Mohammad speaks not out of his own accord. The Moslem historian as well as the history teacher of Moslem youth, derive their historical information directly from the Koranic verses which are in our opinion, more trustworthy and reliable than any account of contemporary events by a historian. This implicit faith could not of course be entertained by those who deny or doubt that the Koran is the word of God unto mankind, and we do not expect the Magians or Babists who doubted the truth of Mohammad's prophethood, to quote in their historical works, events of past generations derived from the Koran.

(to be continued.)

Further on he says : "The divine books themselves declare that the interpretation of its verses into their real meanings shall not be revealed until Doomsday ie. the day of resurrection, the manifestation of God's will and the illumination of the earth's corners by the splendour of God".

Finally he says "It is for this reason that we find the interpretations of the Ulema since the revelation of the Old testament (Torah) up to the revelation of the "Bayan", (1) are trivial, prosaic and bigoted ; nay even misleading, distorted and corrupted".

We would have liked to pass such sophistries over in order to spare our pages the stigma of such heresy and such venomous attack on the Ulema of Islam who have stoutly maintained the truth of their faith against its enemies. But the missionaries of this cult who have succeeded in enticing a few sons of Islam, have had the audacity, to preach their creed in public meetings and in the press. They have even written books which get into the hands young Moslems and we have therefore found it imperative to give a somewhat detailed exposition of their doctrine and beliefs so that Moslems may stand on their guard against them.

The Babists have, in imitation of their co-religionists the Batinists, insisted on this kind of interpretation, so that corruption may find a way into the Koran and the Tradition and cause them to be wrongly understood by interpreting them in a sense which is contrary to the guidance and judiciousness which are meant thereby.

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

"Verily We have sent down the Koran whose revelation the unbelievers deny ; and verily We shall preserve it from distortion and corruption".

(Baidawy's Commentary).

The Lord hath revealed the Koran in a clear Arabic tongue and we were told that His Apostle will explain all that was hidden of its meanings, for so the Koran saith :

« وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

"We have revealed the Koran unto you that you may explain to men what they were commanded and forbidden to do and make clear unto them things regarding which they are confused".

(Baidawy's Commentary).

(1) The Bayan is the book written by Mirza Ali known as Al-Bab.

“When Joseph said unto his father “O my Father! Verily I have beheld in a dream eleven stars and the sun and the moon descend from heaven and make obeisance to me”.

(Baidawy's Commentary).

Mirza Ali assumes that Joseph is Husayn Ibn Ali, that the sun is Fatima, that the moon is Mohammad, and that the stars are the leaders of truth, all of whom prostrate themselves and shed tears on Joseph!

Abul-Fadl Al-Garfadkany another exponent of Babiism quotes the following two verses in his book “Al-Durarul-Bahiyya”.

« بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحَيِّطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

“Nay, they hastened to deny the truth of the Koran when they heard it recited for the first time, even before they reflect on its verses and even though they have not yet comprehended its interpretation”.

(Baidawy's Commentary).

« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

“What! have they to wait for the appearance of its truth by the fulfilment of its promises and threats? When its fulfilment shall come, those who were oblivious thereof shall say “Verily the prophets of our Lord did indeed bring the truth”.

(Baidawy's Commentary).

He explains that “What is meant by the interpretation of the verses of the Koran is not their apparent meaning or literal sense but the hidden or inner meaning which the words convey by way of metaphor, simile and metonymy”.

He then goes on to say that “The Lord has revealed those verses through the media of the prophets but has assigned the interpretation of their meaning and the explanation of the purpose thereof to the spirit of the Lord when it descends from heaven”.

He also says “The prophets were only sent to lead mankind to a fixed goal, and general belief on the part of men is considered enough by the prophets until the book attains its allotted span and hearts reach the stage of perfect attainment, then the promised spirit of the Lord will be manifested and the hidden truths be revealed on the memorable day”.

In his introduction to the latter book, the author says that he had perused all the books on the Batiniyya and had found out that they comprise two varieties, the one dealing with their history from the very outset, enumerating their missionaries in every country and giving a detailed account of their adventures in distant times and climes.

The other is a detailed exposition of their doctrines and beliefs which were borrowed from the dualists (1) and philosophers and were changed and distorted by the Babists in order to cover up the traces of their origin.

Al-Ghazali explained that he wrote this book with a view to exposing their heresies and as a warning against their sophistic casuistry.

Abu Bekr Ibn Al-Arabi is another who engaged with some of the chief exponents of the cult in debates, an account of which is given in his book "Al-Quasim Wa Al-Awasim".

Ibn Taymiyya also severely criticised and assailed certain sects of the Batiniyya in some works of his.

We have studied the Batiniyya and read a few books of the Babists, and we are convinced that the very spirit of Batiniyya had been transmitted to Mirza Ali and Mirza Husayn Ali and that it came out in a different guise under the name of Babiism or Bahaism.

As the Batinists quote the Koran and Tradition and pervert the meaning thereof such as the interpretation of the pilgrimage to the Kaaba by visiting their head sheikhs, so too do the Babists interpret the Koran and Tradition by such sophistries.

Mirza Ali or El-Bab follows the same instance in giving an interpretation of the verse IV, Chapter XII.

« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البضاوى

(1) The followers of the doctrine of dualism, a philosophical term applied to all theories which attempt to explain facts by reference to two coexistent principles. The term plays an important part in metaphysical, ethical and theological speculation.

Metaphysical dualism postulates the eternal coexistence of mind and matter, as opposed to monism both idealistic and materialistic.

In the domain of morals, dualism postulates the separate existence of Good and Evil, as principles of existence. In theology the appearance of dualism is sporadic and has not the fundamental, determining importance which it has in metaphysics. It is a result rather than a starting point. The old Zoroastrianism and those sects which were influenced by it, postulate two contending deities Ormuzd and Ahriman (Good and Evil), which war against one another in influencing the conduct of men. (*Encycl. Brit.*)



They found out that their best plan was to resort to the interpretation of the Moslem Laws so as to convert them into their own doctrines and thereby entice the weak from among the Moslems and sow the seeds of discord among them.

With this end in view, the Batinists cunningly devised a scheme which they carried out in stages :

First, to make sure whether their prospective convert is amenable to conversion or not.

Second, to lure their victims by means of asceticism or profligacy according to whether he is inclined that way or the other.

Third, by scepticism regarding the very principles of religion.

Fourth, a promise from the convert not to divulge any secret of theirs.

Fifth, the claim that their cult is fully approved of by both leading men of religion and laymen in order to entice more converts thereto.

Sixth, making such advances to would-be converts, taking their individual circumstances into consideration, as would secure their approval.

Seventh, reassuring of converts as to the propriety of dropping the physical injunctions such as prayers, fasting etc.

Eighth, the gradual corruption of the beliefs of the Moslem convert and finally the interpretation of the Moslem Law in accordance with their misguided views.

This scheme was adopted as a means of attacking Moslem Religion by many sects professing to be the loyal adherents of the family of Mohammad whereas in reality they did not believe in any prophet or revealed book, nor did they admit the judgment day or the creation of the Universe. They quote profusely the Koran and the Tradition but they distort the meaning thereof and give such renderings as are not meant by the Lord and His Apostle.

Among the Batinists who affect loyalty to the family of Mohammad, are some who claimed prophethood of certain members of that Family as for instance the Ismailites who claim the prophethood of Mohammad Ben Ismail Ben Jaafar. This sect had even gone as far as to presume that there is a prophet for every age until doomsday. Their claims did not stop at that and they further assert the divinity of certain members of the family of Mohammad and claim divinity of Aly, peace be on him, and many others of his sons and grandchildren.

Those who claimed such attributes as prophethood and divinity have often been the cause of untold troubles and afflictions to the Moslem world. The Ulema, on their part, did not fail to rebut their untruths and expose their fallacies. Among those who took up the refutation of their claims, Abu-Hamed Al-Ghazali figure prominently as the author of "Hudjatul-Haque" in Persian and "Fadaihl-Batiniyya" in Arabic.

Bahau-Allah then embarked on a campaign of propaganda for himself claiming to be "the promised one" whose advent was prophesied by El-Bab.<sup>(1)</sup> Most of the Babists accepted his claims and were thenceforward styled Bahaists. His brother Mirza Yahia styled "Subhul-Azal" (Morning of eternity) was among the dissenters who declined to follow him.

The Ottoman Government then ordered the banishment of the two parties from Adrianople. Mirza Yahia and his adherents<sup>(2)</sup> were banished to Cyprus and Bahau-Allah and his followers to Acre in Palestine where he died in 1309 of the Hijra (1892 A.D.)

His son Abbas called Abdul-Bahai succeeded him as head of the sect. He began to propagate the teachings of the sect and introduce such changes as he deemed fit. These changes did not meet however with the approval of the Bahaists who dissented thereto and turned to his brother Mirza Ali. They wrote books in Persian and Arabic bitterly criticising Abbas and accusing him of deviation from the creed of Al-Bahai.

What are the doctrines held by its founders and their adherents?

Bahaism is by no means a new cult bearing no semblance to other apostatic creeds which served as a foundation on which to establish its doctrines. It is a product of Batiniyya<sup>(3)</sup> and it had borrowed its doctrines from a medley of religions, philosophical and political ideas. It assumed a false show of religion and claimed to be a divine revelation; and were it not for those people who are wont to follow blindly any newfangled idea, it would not indeed have found a single supporter or the least response. We will give in the following pages an exposition of the doctrine of Batiniyya along with an account of Babiism from which it would be seen that Babiism is a direct issue of that wicked doctrine.

The Batiniyya aims at the abolition of the Moslem Law. The origin of this sect goes back to the time when Islam was on the ascendant. A party of the Magians of Persia, fearing the ascendancy of Islam, wanted to interpret its tenets in such a manner as to appear to be derived from the doctrines of their own ancestors. They met and discussed the situation and the glory that was theirs, and they came to the conclusion that it was not possible to overcome the Moslems by the sword on account of their great power and far-flung dominion.

(1) The Bahaists claim that El-Bab referred to some one who will come after him and whom they called "Man yuzhiruhu-Allah" (He whom Allah shall manifest).

(2) Those Babists are called the "Azalis". They claim that Yahia is the one referred to as "Man yuzhiruhu-Allah".

(3) A sect which claims that the Holy Koran has an apparent as well as an inner meaning and that the Batinists understand its inner meaning and give the interpretation of the Koranic verses accordingly.

### What is Bahaism?

Bahaism is ascribed to Bahau-Allah (the splendour of God), a title by which Mirza Husayn Ali the second head of the sect was called. The sect is also called Babists and is so styled after El-Bab, a title of Mirza Ali Mohammad who invented the doctrine.

The origin of this sect goes back to Mirza Ali Mohammad who was brought up in Shiraz, South Persia, and acquired some rudiments of knowledge, setting in business later as a trader.

In 1260 of the Hijra (1844 A.D.) on attaining his twenty fifth year, he claimed to be the expected Mahdi. He announced his doctrines and was followed by a few ignorant people some of whom he sent to different parts of Persia to proclaim his advent and propagate his pretensions.

The Ulema's attention was drawn to this propaganda and they rose up against it. Some Walis (governors) arranged for debates to be held between the Ulema and Mirza Ali. On finding out that his doctrine was pervaded with aberration and apostasy, some of the Ulema declared him an unbeliever and apostate. Others on finding out the sophistry and absurdities it contained, attributed them to insanity and the workings of a deranged mind.

He was thereafter imprisoned in Shiraz and then in Asfahan, and in the reign of King Nasir-ud-Din Shah, he was confined by the Persian Government in Tabriz. Disturbances and conflicts between his disciples and the Moslems ensued and bloodshed resulted culminating in his crucifixion in Tabriz by the Government in 1285 of the Hijra (1849 A.D.)

Then came a period in which his adherents disagreed as to his successor until they plotted the assassination of King Nasir-ud-Din Shah to avenge their chief. Two Bahaists attacked the King but the attempt on his life was abortive and the Government began forthwith to hunt the Bahaists down and bring their chiefs to justice before a special court of inquiry.

Mirza Husayn Ali, who was later given the title of Bahau-Allah, was a staunch adherent of Al-Bab and an active propagandist of his sect. He was arrested and imprisoned for a few months in Tehran whence he was exiled to Baghdad in 1269 of the Hijra (1853 A.D.)

On realising the grave dangers of this sect and the plots its adherents were constantly hatching, the Persian Government put them under strict and vigilant observation.

Many of them went to Baghdad and there they gathered round Mirza Husayn the self-styled Bahau-Allah. In Baghdad they came into dispute with the Shiites, a dispute which well nigh resulted in bloodshed. The Ottoman Government consequently decreed the banishment of the Babists from Iraq and had them transported to Constantinople whence they were exiled to Adrianople.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## BABIISM OR BAHAIISM (1)

---

What is Bahaism? What are the doctrines held by its founders and their adherents? Do they believe in doomsday, heaven and hell? Do they believe in the prophethood of Mohammad on whom be Peace? And if so, how could they believe in a prophet succeeding him and in a religion other than his? What should be done to frustrate their designs so that no one would fall in their snares?

The above questionnaire was sent to us for reply and we give hereafter each question followed by the answer relying for authority, upon the works of the Bahaists (2) themselves and other books (3) written by those who studied their works in Persian and Arabic with a view to exposing their fallacy and as a warning to our Moslem brethren throughout the world against their pernicious propaganda.

---

(1) Translated from the Very Reverend Al-Sayyed Mohammad Al-Khidre Hussain's article in Nour-El-Islam Review.

(2) Al-Durarul-Bahiyya; Book of Abdul-Bahai and Al-Asrul-Jadid.

(3) Muftahu-Babul-Abwab.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامى فى العالم

- ٢ -

إعلان الألفة العامة بين الشعوب

بعد أن أعلن الإسلام أنه الدين الحق ، ويبن الأساس الذى يقوم عليه من الفطرة السليمة والعقل الكامل ، شرع فى إحداث إصلاح اجتماعى خطير الشأن ، تستدعيه مدنية فاضلة أراد الله تعالى أن يكون الدين الاسلامى مفتتح عهدا ، وواضع أساسها . هذا الإصلاح الاجتماعى الخطير ، هو دعوة الشعوب كافة الى التآلف العام بين جميع الأجناس .

الاسلام وإن كان لا يخرج فى أصوله الاعتقادية عن الدين الأول الذى أوحاه الله الى جميع الرسل السابقين ، فإن الظروف التى تهيأت له لم تهيأ لغيره من الأديان السابقة عليه ، فقد كان الاتصال بين الأمم على عهد الديانات السابقة من الصعوبة بحيث يتعذر عليها جميعها أن تقوم على دين عام واحد ، لحفظ الله هذا الامتياز للدين الاسلامى الذى كان الاتصال على عهده بين الشعوب ميسورا ، وكانت الحكمة الإلهية تقضى بأن يكون خاتمة الأديان حاصلا على جميع المؤهلات والمقومات التى تجعله عاما ، وصالحا لكل زمان ومكان .

فهل كان العالم عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة الى قارة سماوية تهيب به

الى كلمة جامعة ، والى صيحة علوية ترد المتسكعين فى طرق الغى الى رشـد يقف بهم  
عن المضى فى عمايتهم عند حد ؟

هذا سؤال يحسن بنا أن نكل الجواب عليه الى رجل أجنبي ، هو المستشرق  
الكبير الميسو ( جول لايوم ) فقد كتب فى مقدمة الفهرست الذى وضعه للقرآن  
الكريم باللغة الفرنسية يصف حالة العالم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم  
جاء منها قوله :

« حوالى ميلاد محمد ( صلى الله عليه وسلم ) كان جو العالم ملبداً بغيوم  
الاضطرابات والفنن »

ثم أخذ يفصل هذا الإجمال منوها بما كانت عليه الأمم من التناحر أمة أمة ،  
ثم خلص من ذلك الى هذه الفذلكة ، وهى قوله :

« خلاصة أن جو العالم الأرضى كان مكسفها بسحب الاضطرابات الوحشية  
فى كل مكان ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير .  
وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة فى إصلاء نيران الحروب والمعارك . ولم  
يكن يأخذ بعواطف القلوب ، ولا يؤثر عليها تأثيراً حاداً ، إلا شئ واحد ، هو الغنم ،  
وساب الأمم والشعوب ، والمدائن والأعيان ، ورجال الحروب ، وفقراء الحرائين ، حتى  
بسطاء المتسولين . ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق فى بعض صوامع  
الكهنة ، وبعض المبادئ الفلسفية التى كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب ،  
وانتقلت من روح الى روح أخرى ، بوساطة بعض أصحاب الجرأة من رسل الرقى  
لكانت البربرية أسرع فى خطاها ، مقودة بغطرسة زعماء البهيمية ، واستحالت  
الى وحشية محضة »

ثم قال بعد كلام طويل من هذا الضرب :

« على عهد هذه الأحوال الحالكة ، وفي وسط هذا الجليل الشديد الوطأة ، ولد محمد بن عبد الله في ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ » انتهى .

نقول نحن : ولم تكن الأمة العربية بأقل من سائر الأمم تفرقا وتناحرا ، فإنها لا نقسامها الى قبائل كانت تؤلف مجموعة من جماعات متعادية لا تعرف للسلام سبيلا ، فكانت جزيرتها ميدانا لحروب جهلت فيها كل ضروب الرحمة والعطف ، حتى كان الرجل يخسف نعله من جلد عدوه ، بعد أن يقتله ويمثل به .

في هذا العهد المشحون بالفتنة ، وفي هذا الجو المكفهر بظلمات الفتن ، أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم أن يرفع علم الألفة العالمية العامة ، وأن يضع للناس تحت نور الوحي أساسها ، فنزل عليه قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَايِمٌ خَبِيرٌ ) .

كان العرب الذين أنزل بين ظهرانيهم هذا الأصل الكريم من أشد الأمم تباها بالأنساب ، وتساميا بالأباء ، فكانت كل قبيلة تزعم أنها الضاربة في المفاخر بأوفر السهوم ، وقد غلوا في نزعتهم هذه الى حد أن جعلوا لا بلهم وخبو لهم أنسابا يرفعونها بها على سائر الأبل والخيول ، فما بالك بمن نأى عنهم من الشعوب والقبائل ، واختلف وإياهم في اللون واللسان والتقاليد ؟

ولكن الله الذي أنزل الدين الحق ، بعث خاتم رسله صلى الله عليه وسلم بهذا الأصل الكريم يدعوهم اليه ، وإن استهزأ به المستهزئون ، وصدف عنه الجاهليون ( فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) .

إن مجرد إعلان هذا الأصل الكريم في عالم كل ما فيه يدعو الى الفرقة ، ولا يُطِيع في الوحدة ، يعتبر من أدل الأدلة على أنه صادر من رب العالمين ، لأن عقل الحكيم مهما حاق في جو المبادئ الصالحة فلا يستطيع أن يعدو طوره ، فيفكر في وضع أصل عالمي كهذا الأصل ، في وقت تدعو جميع الأحوال الى الصد عن التفكير فيه .

هذه الألفة العامة التي أعلنها الاسلام تعتبر فاتحة لعصر جديد ستدخل فيه الأمم ، ومقدمة لما سيعقبها من الأصول القرآنية العالمية ، التي قصد بها الى توحيد الوجهات والغايات البشرية .

ولا يصح لنا أن نتخطى هذا الموضوع الى غيره دون أن ننبه الى جمال الصيغة الإقناعية ، التي تحلى بها هذا الأصل الخطير ، ككل أصل أعانه الكتاب العزيز :  
بدأ الله تعالى الكلام ببدء الناس كافة الى السماع ، ثم ذكرهم بأصلهم الأول الذي صدروا منه ، تقديماً للدليل على الموضوع ، وهو من لب البلاغات الحكمية ، وصميم الأساليب الإقناعية . ومن الذي يشك في أن الناس جميعاً — وإن اختلفوا بيئة ولونا ومعيشة — أولاد آدم وحواء ؟

هذا التذكير الذي تخطى كل ما أقامه الناس من الحوائل بين العقول وبينه ، وما أوجدته العادات والتقاليد من دواعي تناسيه وإغفاله ، يحفز النفوس لسماع ما يبتنى عليه من أمر جال ، فتصغى اليه بكليتها ، فاذا استعدت للسمع تلقتها الآية بالغرض من هذا التذكير ، وهو : أن الله جعل الناس شعوباً وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضاً ، ويقوموا على سنة التألف والتواد ، والتعاون على تذليل عقبات الحياة ، وتوفير وسائل العمران ، ليكون ذلك ماحياً للتناكر الذي يجر الى الحروب ، ويؤدى الى الدمار . فإن الحرب في العادة سجال ، والنصر دولة بين الناس . وهي إذا كانت للأغراض المادية البحتة أوغرت الصدور ، وملأت القلوب بالسخائم ، واستدعت الانتقام ، وكل هذا يقوض



أركان النظم، ويحطم صروح الاجتماع، ويستنفد قوى الشعوب في كيد بعضها لبعض، وتربّص بعضها الدوائر ببعض. وإذا تخيلت عالماً كل ما فيه من الجماعات متأثر بهذا الروح، ظهر لك كأنه ساحة حرب، لا يقر فيها السيف في قرابه، ولا يثوب فيها الانسان الى رشاده، تجري فيها الدماء أنهاراً، وتسيل فيها المهبج إسرافاً وبداراً. وماذا كنت رائيماً لو كانت تتبدل هذه الحال المنكرة بألفة عامة بين الشعوب والقبائل، وسلام يضرب سرادقه عليها جميعاً؟ أما كانت تتحول قواها الأدبية الى ما خلقت له، من إقامة صرح الخير العام في العالم؟

هنا تشعر النفس بسمو هذا الأصل، شعوراً يكاد يدفعها الى الأخذ به دون أن ترد فيه، لولا ما يشور فيها من بقايا العصبية التقليدية، من ادعاء كل قبيل بأنه الأولى بالزعامة، والأحق بالكرامة، محتجاً بأن جنسه أشرف الأجناس البشرية، وأن من عداه فأجدر به أن يبقى في العبودية، وأن يحمل له نير التبعية. هنا يتلقاه الأصل الكريم الثاني، الذي تضمنته هذه الآية الجامعة، وهي قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، أتقاكم، أي أخوفكم لله، وأعملكم بحجابه، من: العدل، والإنصاف، والمساواة، والوفاء بالعهد، ومكافحة الشهوات، والخضوع لسلطان العقل، والخروج من طاعة الهوى، والانتداب لـحقاق الحق وإزهاق الباطل، والتخلق بأخلاق الله، والاضطلاع بخلافته في الأرض.

بهذا الأصل السامي أصيبت العصبية في مقتلها، وجُدع أنف الجنسية من منبته، وسقطت جميع ضروب الخلافات الاجتماعية الى الحضيض الذي هي أولى به، فلم يبق ما يمنع أن يعيش الناس إخواناً متعاطفين متكافلين غير ما علق في النفوس من إشار الفرق، وأصبح من غرائزها، بسبب أخذها بتعاليم ضالة، وتقاليده ضارة، يجب العمل على اجتثاث أصولها، وتطهير الصدور من آثارها، وهو الأمر الذي نيط بالاسلام

أن يقوم به ، من طريق بث تعاليمه ، ونشر أصوله ، وتعميم مبادئه بكل وسيلة من الوسائل المشروعة : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

أما وقد انتهينا الى هذا الحد ، فلا نعدم معترضا يشور في وجهنا قائلا : اذا كان الاسلام يدعو كما تقول الى الألفة العامة بين الشعوب والقبائل ، والى السلام الشامل للكافة ليفرغوا الى طلب الكمال الشخصي والاجتماعي على سنة التعاون والتكافل ، فلم يعمد الى الحرب فأوقد نارها ، والى البقاع المجاورة لبلاده فطلب استعمارها ، والى الأمم القريبة منه والبعيدة عنه فانساح في بلادها ، وانساب في ربوعها ، فهلا اكتفى بدعوتها الى محبته بالحجة ، والى اكتساب هواها بالاقناع والأمثلة الصالحة ؟

فجوابنا على هذا الاعتراض هو : أن من حكمة الاسلام مشايعة السنن الطبيعية ، ومسايرة العوامل الاجتماعية ، وقد كانت تلك السنن والعوامل الى عهده تقتضى شيئا من القوة ، وإلا بطلت الدعوة وسكنت حركتها ، وزالت ولم تحدث أثرا . ألا ترى أن ديانة عيسى عليه السلام لما فيها من التحريم الصريح للحرب ، قد بقيت أكثر من ثلثمائة سنة في حالة ضعف عام ، حتى إن ملوك الرومان كانوا يقتلون أشياعها تقتيلا ، ويمثلون بأجسادهم وهم أحياء تمثيلا ، ويتعقبونهم في كل مكان ياجأون اليه ، حتى جاءهم الأمبراطور كونستنتين ، وكانت أمه قد دخلت في المسيحية وربته عليها منذ نعومة أظفاره سرا ، فاما تولى الملك استخدام القوة في نشر هذا الدين ، فأمر بهدم المعابد الوثنية ، وأجبر الناس بالحديد والنار على الأخذ به ، فأصبح له من ذلك اليوم دولة وصوله ، ولا يزال الى اليوم راسخ الدعائم في كثير من بقاع المعمورة لهذا السبب نفسه ؟

فلو كان الاسلام قرر الاكتفاء بالدعوة دون استخدام القوة ، لبقى محصورا في جزيرته ، ولتصدى المشركون أتباعه فأجبروهم على تركه . فاذا قدر له أن ينجو

من الحق ، كان بمثابة ديانة ابراهيم التى كان يقول بها رجال هنا وهناك من بلاد العرب وليس لهم أثر بين الجماعات البشرية .

على أن الاسلام وإن اتخذ أسلحته وعدته للحرب ، فقد لطف من حديثها ، وكسر من شرتها ، وحسن من أساليبها ، فجعل لها قانونا عادلا ، ونظاما محكما ، وأمر بعدم الاعتداء فيها . وأكبر ما يسجل له من أمرها أنه لم يشترع لنيل المغنم ، وفرض المغارم ، ولسكنه جعلها وسيلة لنشر كلمة الله بين الأمم ، ولم تشرع أمة قبله الحرب لهذا الغرض قط ، بل شرعتها لاذلال الجماعات وسلب ما بيدها ، واجتياح ثمراتها ، والاستيلاء عليها .

ومع هذا فقد وصى الله نبيه بأن يكون مرماه الخير العام فى كل ما يحاوله منها ، حتى إذا جنحت الأمم للسلام فى يوم من الأيام ، لأى اعتبار من الاعتبارات الاجتماعية ، فعليه أن يلبى دعوتها ، وأن يلقى السلاح معتمدا على وسائله الأخرى ، فقال تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

الخلاصة أن هذه الصيحة التى رنت فى بلاد العرب تدعو الى التعارف العام بين الأمم لأول مرة فى تاريخ العالم ، لا يزال صداها يرن فى الأذان ، وقد دفع التطور بالأمم الى محاولة الأخذ بهذا الأصل . فما المؤتمرات التى تعقد لتحديد التسليح ، والعهود التى تقطع على الدول لعدم جعل الحرب وسيلة لنيل مطالبها ، إلا تحقيقا لهذا المبدأ العظيم الذى دعا إليه الاسلام قبل نحو أربعة عشر قرنا ، وله المثل الأعلى فى كل ما دعا إليه وعمل عليه ، كما سنبينه تفصيلا فى مقالاتنا المتتابعة هنا ، تكميلا لصرح المدينة الفاضلة فى العالم كله ، والله الأمر من قبل ومن بعد

محمد فريد ومبرى

# النفس

## سورة النور

١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) .

لقد أرسلت الآي السابقة على المنافقين تلك الصيحة الهائلة التي أزعجتهم، وهتكت سرائرهم، وفضحت ضمائرهم، وألقتهم الحجارة، فلم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم، وأقامت في وجوههم الحجة على نفاقهم، مأخوذة من قبيح أعمالهم، فلم يبق إلا أن يؤمن المؤمنون على نقاء، وأن ينسحب المنافقون عن حظيرة الإيمان مكشوفين مفضوحين . ولما حاولوا استرفضائهم بالقسم على الطاعة رد عليهم بهذا الرد الشديد، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « لا تقسموا طاعة معروفة » الخ الآية .

ولما كان مثل هذا من شأنه أن يدعو الى التفكير، لاسيما عند قوم هم في دور البناء

والتكوير ، بهمهم أن يكسر سوادهم ، وتتمكن قوتهم ، ويزداد الإقبال على ما يدعون اليه من هدى الله ودين الحق ، ومن حولهم العرب والأمم تناوئهم وتناصبهم العداء ، فهم بحاجة الى أن يزدادوا وينضم اليهم غيرهم ، وليس من السهل عليهم أن ينتقصوا وينفصل منهم من انضم اليهم ، فلعل خاطرا يهيجس في بعض النفوس قائلا : « لعل الحكمة كانت في أن يبقى أمر أولئك مستورا ، فربما كان في انضمامهم تقوية لعامل القوة وتكثير لسواد الأمة » فجاءت هذه الآية الكريمة مطمئنة لقلوب المؤمنين ، مسكنة لروعهم ، تزف اليهم البشرى السارة التي تفر أعينهم ، وتشد أزهم ، وثبت عزائمهم . ذلك وعد الله بنصره للمؤمنين ، بل باستخلافهم في الأرض ، وتمكين دينهم ، بتثبيت قواعده ورسوخ بنيانه ، إذ يقول جل شأنه : « وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض » الخ . ووعد الله ناجزا لا محالة ، وقد ناطه بالإيمان وعمل الصالحات . وقد حقق الله وعده ، فاستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وممكن لهم دينهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

ولا يزال هذا شأن من آمن وقام بحق إيمانه ، وعمل الصالحات التي أمر الله عباده أن يقوموا بها ، فأقام العدل ، وضبط النظام ، ونشر الأمن ، وأخذ الحيطة كما أمر الله سبحانه وتعالى .

والتسكين للدين تثبيت قواعده ، وإعزاز جانبه ، ليرتب على ذلك ثباته واستقراره ، وعدم زعزعته بقيام حجة ضده ، أو وهن البراهين المؤيدة له . وكأنه من التمكن في المكان ، أي الاستقرار فيه ، والسلامة من الزعزعة . وفي إضافة الدين لضميرهم تربية لوجه الامتنان عليهم . كما أن في وصفه بالذي ارتضى لهم تنويعا بشأنه ، وإعلاء لقدره . وقوله : « وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا » فيه طمأنة للمؤمنين ، واقتلاع لجراثيم الخوف من أفئدتهم ، ذلك الخوف الذي يلم عادة بقلوب الفئة القليلة إذا تألب عليها

أعداؤها الكثيرو العدد، الشديديو البأس والطول . وكان ما يساور بعضهم من الخوف الشديد يدعوهم الى الحرص على تكثير سوادهم ، بالإغماض عما يصدر من بعضهم ، وإن كان كاشفا عن سوء النية ، وفساد الطوية ، ليؤمن جانب أولئك المنحرفين بعض الأمان بكونهم في صفهم ولو بحسب الظاهر ، فجاءت الآية لتثبيتهم ، وتقوية نفوسهم ، وطمأنينتهم على أن الفوز مضمون لهم ، وأن النصر قريب منهم ، وأن هذه المخاوف ستستبدل بالأمان .

ثم ذيل الآية بما يقرر هذا الوعد ويثبتته في النفس أبلغ تثبيت ، فقال عز من قائل : « يعبدونني لا يشركون بي شيئا » . وفي هذا الأسلوب البليغ ما يشير الى أن ما وعد به المؤمنون من استخلاصهم ، وإعزازهم في الأرض ، وتمكين دينهم ، وحياتهم بالأمان الشامل ، إنما كان جزاء إخلاصهم لله في العبادة ، وأنهم يعبدونه لا يشركون به شيئا .

أما قوله جل شأنه بعد هذا : « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » فهي لترتيب حكم يلحقه العقل من سابق الكلام ، أي سيكون الأمر على ما ذكرنا من إعزاز المسامين ، والتمكين للدين ، وتأمين الخائفين ، وحينئذ تنقطع معاذير الضعفاء المترددين ، ويسد باب التضليل في وجوه أولئك الشياطين ، فلا يكفر بعد هذه المظاهر التي أيد الله بها عباده إلا من فسق عن أمر ربه ، وخرج عن حظيرة الهداية ، وصار كأنه وراء دائرة التخاطب المعقول .

وأصل الفسق الخروج عن الدائرة المحدودة المعروفة باللائقة . يقال: فسقت الرطبة ، أي خرجت عن قشرتها التي كانت تحتويها وتحفظها . واستعمال الفسق في العصيان الذي لم يصل الى درجة الكفر استعمال عرفي غير المعنى اللغوي الأصلي المراد هنا .

وقوله : « بعد ذلك » لتقوية الاستبعاد ، أي أن الكفر مع وضوح آيات الهدى لا ينبغي أن يصدر إلا من عدو نفسه ، فما بالك وقد تأيدت تلك الآيات بأن

صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز دينه ، وأعلى كلمة أوليائه ، أفينتظر كفر بعد هذا الذى صورناه لك ؟

ثم قال تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » :  
يجرى مثل هذا الأسلوب فى القرآن الكريم كثيرا ، فبعد أن يستوفى أمر الرد على الكافرين ، وبعد أن تقام الحججة فى وجه المماندين ، ويفضح جليا أمر المنافقين المخادعين ، وتبلغ الحججة غايتها وتستكمل نصابها ، يعود الى أهم ما يوجه اليه اهتمام المؤمنين ، فيأمرهم بإقامة الصلاة التى هى عماد الدين . وذلك كما يجرى فى التخاطب المتعارف ، فإنك تجد هذا الأسلوب كثيرا ما تنساق إليه العقول ، إذ يفيض المتكلم فى بيان حجته وتقرير دعواه ، حتى يبلغ القصد منها ، ويصبح ولا حاجة له فى المزيد على ما قرر بشأنها ، فيقول مخاطبه : ولنعد الى أهم ما يعنيننا : إنه يجب أن نعمل ما فيه مصلحتنا ، ونعرض عن الاهتمام بأولئك بعد ما بلغنا منهم ما أردنا .

والصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن أضاعها فهوى لما سواها أضيع . وحسبك فى شأنها قوله تعالى : ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) .  
ولا يهولنك وقوع بعض المنكرات من بعض المصلين ، فإكان عملهم إلا صورة صلاة خالية عن محتواها ، وهو الخشوع ، وكمال الاستحضار . فما أجدر أمثال هؤلاء بالدخول فى قوله تعالى : ( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ بُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ) .

والزكاة تكاد تلازم فى القرآن ذكر الصلاة ، وذلك لأن فيها من كمال الفائدة العائدة على جماعة المسلمين ما يقوى الأواصر ، ويصفي الضمائر ، وبزيل الشحناء ، ويؤكد التراحم والتعاطف .

أما قوله تعالى : « وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » فهو تميم لكل الأحكام التي جاء بها المصطفى عليه الصلاة والسلام . ومن جهة أخرى تنصيص على ما سيق الكلام السابق لتقريره ، وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما تحبه النفس وفيما تكرهه ، بل أن تجعل النفس هواها تبعاً لما أمر به صلى الله عليه وسلم ، ولفظ لعل في القرآن الكريم يفيد التعليل المصحوب بالرجاء في جانب المؤمنين . وحاصل معناها : أدوا ما أمرتم به ، فإنه أرجى للرحمة ، وأدنى إلى انتظارها وإحرازها . والتعليل به غير التعليل باللام وكى ونحوهما ، فإن ذلك فيما يكون فيه الارتباط بين العلة والمعلول مطردا البته ، وأما لعل وعسى فهو تعليل يتصل به أشياء لا بد من توافرها ، كإخلاص النية ومزید التوفيق ، والقبول عند الله عز وجل .

وقوله تعالى : « لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض » فيه من رفع استبعاد النفوس تحقق الوعد السابق ما فيه ، فكأنهم لما وعدوا بهذه العدة العظمى ، وهي أن يستخلفوا في الأرض ببسط السلطان ، وأن يمكن لهم في الدين بالأعزاز وقيام البرهان ، وأن تزول عنهم المخاوف ويعمهم الأمن والأمان ، وكانت هذه المنن بحيث تتطلع النفوس شوقاً إليها ، وتتلهف حرصاً عليها ، والعادة أن يدركها مع عظيم التشوف شيء من الهواجس والترقب ، أزيلت عنهم تلك المخاوف ، وسد في وجهها كل طريق . فالآية السابقة بددت المخاوف من ناحيتهم هم ، وذلك في قوله تعالى : « يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » أما هذه الآية ففيها تبديد لمخاوف المؤمنين من ناحية أنه تعالى واسع القدرة ، أي فاذا كنت أنا المهيمن على جميع الأشياء ، القادر الذي لا يمجزه شيء في الأرض ، واهب القوى والقدر ، المعز المذل ، وكان هؤلاء قد وفقوا لعبادتي لا يشركون بي شيئاً ، بينما أعدائهم قد اتبعوا الشياطين فضلوا عن سبيل العبادة ، أفلا يكون حقاً أن أنصر عبادي على أعدائي .



وفي هذه الآية إزاحة للاستبعاد الناشئ من استعظام شأن أولئك الأعداء ، فكانت النفوس تنظر الى ما هم فيه من كثرة عدد واستيفاء عدد ، فجاءت الآية مزيلة لهذا الهاجس أيضا ، فقال جيل من قائل : « لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض » أى لا تغفلوا عن حالهم الحقيقية ، وأنهم لا قدرة لهم من ذاتهم ، وكل ما هم فيه فإنما هو إمداد منا ، وهم في كل حال في قبضة قدرتنا ، فلا يحسبن حاسب أنهم يعجزوننا أو يخرجون عن قدرتنا . فالخطاب في لا تحسبن لمن يتأتى منه الحسبان .

ومعنى الإعجاز : الفوت عن أن تلحق بهم قدرته تعالى ، والهرب من وصول أثرها إليهم . وقوله : « في الأرض » تنبيه للأذهان الى ما يقتلع جذور ذلك الحسبان . أى فأين يعجزوننا وهم مهما ذهبوا في الأرض فهم في دائرة سلطانتنا ؟ فأين يذهبون ، وكيف يغلبون ؟ ولا شك أن من التفت الى هذا فقد اقتلع من نفسه كل جذور الاستبعاد . فالغرض من قوله : في الأرض ، سد جميع المسالك أى لا تحسبنهم فائتين قدرتنا وإن هربوا كل مهرب .

وقوله تعالى : « وما أوهم النار » وعيد لهم بالعذاب في الآخرة ، بعد وعيدهم بالإهلاك في الدنيا ، فإن الآية الأولى وإن كانت نهيا عن الحسبان فهي دالة دلالة ظاهرة على الإخبار بأنهم هالكون لا محالة . فكأنه قيل : لا تحسبنهم يعجزوننا ، بل في قبضتنا ، ذائقون في هذه الحياة مر النكال منا ، وما أوهم في الحياة الأخرى النار . وقوله : « ولبئس المصير » تذييل لسابق الكلام ، متضمن معنى راحة المسلمين من ناحيتهم ، فإن مثل هذه الجملة إنما تقال لمن ذهبت ريجته ، واستراحت النفوس منه الى النهاية .

وإنك حين تتأمل تنويع الإفادة في النظم الكريم ، وإيفاء كل مقام حقه على أبلغ وجه ، ثم تنقل الإفادة من مهم الى مهم ، تجدد الهداية قد تجلت في كل ناحية من نواحيه والنور يشرق من جميع جوانبه ، فاللهم اهدنا بنوره ، وأحى نفوسنا بهدائيه ، إنك

## الاسلام - والعلم

طلع الاسلام فوجد طرقاً من الباطل مسلوكة ، ومظاهر من الفساد مألوفة ،  
فجاهد تلك الأباطيل حتى زهقت ، وكشف عن قبح تلك المفسد حتى هجرت . قوم  
النفوس حتى استقامت على توحيد الله تعالى ، والعبادات التي يتقبلها ، ويجزل المثوبة  
عليها ، وعلمها بعد هذا كيف تعيش في هذه الدنيا عالية الهمم ، نبيلة الأعمال ، عزيزة  
الجانب ، محفوظة الكرامة ، مأمونة العواقب ، سديدة الأنظار ، رشيدة الآراء ،  
متواصلة القلوب . وتفاضل الشعوب على قدر أنصباؤها في هذه الخصال والمزايا التي  
لا تتحقق المدنية الفاضلة إلا بها .

دعا الاسلام الى تلك المقاصد السامية ، وأخذ في دعوته بإقامة الحجة ، وإلقاء  
الحكمة ، وضرب الأمثال ، وإيراد الفصوص العاصرة بما فيه عبرة .

نشأ هذا الدين الحق بين خصوم يناصبونه العدا ، ويأتمرون به ليطفئوا نوره ،  
ويقطعوا السبيل دونه ، وما كان إلا أن خاب سعيهم ، فسطعت حجته ، وعلت كلمته .  
ومع سطوع حجته وعلو كلمته يلتقي في كل عصر طوائف يأكل الزيف قلوبهم ، فيطعنون  
فيه علناً ، أو يذهبون في الكيد له مذهب التأويل الفاسد وهم يعلمون .

ولم يفقد بتوفيق الله تعالى في كل عصر طائفة من ذوى العقول الراجحة لا يخشون  
في الذود عن موارد لومة لائم ، فيزيحون من طريق هدايته ما يليقه أولئك  
الجاحدون أو المراءون .

ومن هذه الطوائف الخاطئة من يزعم أن الإسلام لم يبعث الدواعي الى طلب  
العلم . والواقع أن الإسلام قد رفع قدر العلم ، ونوه بشأن العقل ، وسلك بطلاب العلم

مسالك النظر والاجتهاد ، وعودهم على نقد الآراء وتمييز زائف الأخبار من صحيحها ، فلما نقلت العلوم النظرية الى اللغة العربية ، وجدت منهم نفوسا تلذ العلم ، وعقولا تنشط للمناظرة ، وأسنة تعرف كيف تقرر الحجة ، ففتحوا لها صدورهم ، ووضعوها تحت ساطان أنظارهم ، ولم يمنعهم إعجابهم بها ، وتنافسهم في التضلع من مواردها ، أن يطلقوا الأعنة في مناقشتها ، وتقويم المعوج من مذاهبها ، فسدوا ثغورا يأتي من قبلها الباطل ، وذللوا لطلاب العلم الطريق الذي تفتياؤا فيه ظلال الرشد ، وتدنى فيه الفلسفة المعقولة قطوفها ، فقامت للعلوم على اختلاف موضوعاتها سوق نافقة ، وأصبحت ترى علوم الشريعة وعلوم الفلسفة المعقولة يلتقيان في النفوس المطمئنة بالآيمان ، وتسئ للتاريخ أن يحدك عن كثير من علماء الاسلام ، ويصفهم بأنهم جمعوا بين العلوم الشرعية والعلوم الفلسفية ، كالغزالي وابن رشد ، وأبي عبيدة مسلم بن أحمد الأندلسي ، وهو أول من اشتهر في الأندلس بعلم الفلسفة ، وكان مع هذا صاحب فقه وحديث .

ومن الظن الخاطئ ما تخطه بعض الأقلام من أن هذه العلوم المادية قد تشد أزر الإلحاد ، وتجعله يظهر على دين كدين الاسلام ، فإن النظر الصحيح في هذه العلوم لم يأت بما يؤازر الإلحاد ، وليس في نصوص الدين الاسلامي وأصوله ما يتعارض مع العلم الصحيح ، حتى يستطيع الإلحاد أن يتخذ منه قوة ، وإنما الآراء التي تدفعها الحجة ، قد تقع في يد من لا يحسن نقدها ، ولا يميز رأسها من عقبها ، فيعارض بها آية من كتاب الله ، أو حديثا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذهب في الحيرة أو الضلالة الى مكان بعيد . وقد تكون آفة الرجل من عدم تفقهه في الدين وتخيله أن معنى الآية أو الحديث يخالف ما أثبتته العلم الصحيح .

فبلاء أبناء المسلمين الآن من أحد رجلين : رجل يتعلق بآراء المنتمين الى الفلسفة ، لا يفرق بين جيدها وزائفها ، حتى إذا لقي في الدين مالا يوافق تلك الآراء

الزائفة ، خالطه الريب أو الجحود ؛ ورجل يدرس الفلسفة ولكنه لم يدرس الدين في طائفة ، ولم يبحث في حقائقه بنظر فاضل ، فيتوهم أن بعض نصوص الدين أو أصوله لا يطابق المعقول .

ماذا يكون مبالغنا من الحكمة إذا لم نزن آراء علماء الغرب بالنقسطاس المستقيم ، ولم نفرق بين ما يندبى على علم أصيل ، وما يقولونه على وجه الفرض ، أو يتعلقون فيه بشبه واهية ، وعمدنا الى كل نص يظهر لنا أنه مخالف لرأى من آراء أولئك العلماء ، فنذهب في تأويله الى معنى يطابق ذلك الرأى ، حتى إذا انكشف الحق ، وظهر للاملا أن ذلك الرأى خيال في خيال ، عدنا الى ذلك التأويل فحجونا به بأيدينا ؛ وكذلك يفعل من يستهويه كل ناعق ، ويفتنه كل جديد .

لم يخلص الدين من مبتدعة أو زنادقة افتروا عليه مزاعم باطلة ، وذهبوا في تأويله مذاهب فاسدة . وقد قام علماء الشريعة الذين يردون منابعا العالية ، فيدينوا بطلان تلك المزاعم وفساد تلك المذاهب ، فما كان لأحد أن يأتى الى أمثال هذه الأقذاء التى نفاها أهل العلم من قبل ، ويتخذ منها شبهة على أن فى الدين ما لا يقبله العقل أو لا يرضى عنه العلم .

فإن بدالك أن فى قسم العبادات ما لم يصل العقل الى حكمته الخاصة ، وهو ما يقول فيه بعض العلماء : هذا الأمر تعبدى ، قلنا : معنى هذا أن فى الشريعة أحكاما قد تخفى على العقل حكمها المعينة ، كما أنه لا يستطيع إنكارها إنكارا يستند الى وجه معقول . وهذا النوع على قاتته فى شريعة الاسلام ليس بموضع خلاف بين الدين والعلم أو العقل ، وإنما يرينا أن من أحكام الدين ما لا يدخل العقل فى تفصيل حكمته ولا فى نفي حكمته ، ولكن الايات القاتئات على أن الدين حق ، هى الايات البيّنات على أن هذه الأحكام مطوية على حكمة بالغة ، وإن لم ندركها بوجه خاص ، فإن الدين الحق لا يدعو إلا الى ما فيه خير (وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) م

محمد الخضر حسين

# حكم الله في التبرج

الحجاب — السفور — التبرج — صور النساء — نشرها في الصحف  
التجديد وفي أى شيء يكون — تزين الرجال بزينة النساء

س — ما حكم الله تعالى في حضور المسامات حفلات السينما والملاهي التي تبعث في القلوب ينابيع الشر والفسق والفجور مما هو شائع ومشهور ، أو يوجد فيها اللهو بالآلات المحرمة التي لا تخلو من نظر رجال الأجانب الى وجوه النساء وشعورهن وأعناقهن وغير ذلك ؟ وما الحكم أيضا في ذهاب المسامات الى حوانيت الحلّاقين لقص الشعر بيد الرجال ، أو بيد النساء مع حضور الرجال ونظرهم الى رؤوس النساء وأعناقهن ، فهل يفترض منع جميع ذلك في دين الإسلام ؟

## الجواب

ظهور السيرة خارج منزلها :

خروج السيدة من منزلها متبرجة بأباه الدين وتأباه الكرامة بإجماع المسلمين ، ولا يرضى به إلا من هو بعيد عن الخلق والدين . فاذا خرجت المرأة لمقتضى فلا يباح لها الخروج بحالة تبرج وتزين يكون داعية الى نظر الرجال . قال الله تعالى : ( وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ) . وقد نص الفقهاء على أن بدن السيدة كله عورة إلا وجهها وكفيها . فلا يجوز لها أن تبدي شيئا في الطرقات والأسواق والحفلات والمجتمعات العامة ولو مع أمن الفتنة ، لأن ذلك عورة لا يجوز إظهارها . أما الوجه فإنما يجوز النظر اليه لمن يأمن الفتنة . أما من لا يأمنها فلا يجوز له النظر ،

ولو أن الوجه غير عورة، لأنه لا تلازم بين كونه ليس عورة وجواز النظر اليه، إذ جواز النظر منوط بعدم خشية الفتنة.

وصفوة القول أنه إذا خرجت السيدة لما يقتضى الخروج فينبغي أن يكون خروجها في حشمة ووقار، وعلى كيفية لا تجلب اليها أنظار المارة من الرجال والشبان. وظاهر لك من هذا أن خروج السيدة ليلاً أو نهاراً لمثل ما جاء في السؤال من الحفلات الروائية وحفلات السينما التي تقول إنها تبعث في القلوب ينابيع الشر، وإنها لا تخلو من نظر الرجال الى وجوه النساء وأعناقهن، لا يجوز، لما في ذلك من الفتنة، ولما فيه من الوقوع في المحرم فعلاً، كنظر الرجال الى أعناق السيدات وشعورهن، وغير ذلك مما لا يجوز النظر اليه.

والقاعدة أن كل ما فيه فتنة أو فتح باب فتنة محذور غير جائز، لأن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع. ولا شك أن ذهاب المسامة الى حانوت الحلاق لقص أو حلق شعرها، بيد رجل أو بيد امرأة، مع حضور الرجال ونظرهم الى رؤس النساء وأعناقهن، أمر غير جائز، لأنه فضلاً عما فيه من كشف الشعر والعنق - وهما عورتان - هو تبرج ممقوت.

#### السفور :

ولا شك أن الخروج على الوصف الوارد في السؤال لا يجوز شرعاً. وقد التبس الأمر على كثير من الناس، فظنوا أن مجرد أن وجه المرأة ليس عورة يبيح لها الخروج سائرة، مهما ترتب على ذلك من فتنة، كما ظن هؤلاء أنه مادام الوجه غير عورة يجوز النظر اليه، وكلا الأمرين غير صحيح. والأساس الذي يجب السير عليه هو خشية الفتنة، فتي وجدت لا يجوز الخروج، كما لا يجوز النظر لمن لا يأمن الفتنة.

ولقد ترتب على هذا الظن الخاطيء أن تورط الناس في ذلك تورطاً فاحشاً، فأصبحت بعض السيدات تغطي الطرقات دون حاجة، وتختلف إلى محلات التجار سافرات متبرجات يستجلبن النظر البهين، ولا تخرج إحداهن إلا متزينة بأبهى زينة، سافرة بادية الذراعين والعنق والصدر وبعض الظهر، دون حياء أو مبالاة بخلاق أو دين. ولقد بلغ من أمر بعض هؤلاء أنهن أصبحن لا يباليين بالأخلاق الفاضلة، وفقدن خلق الحياء بالمرة، وأصبحن كالنساء في الجاهلية الأولى. وقد نعى الله على أصحابها في القرآن، وأمر النساء بترك التبرج.

#### الدعوة إلى السفور :

وكأني بأصحاب الدعوة إلى السفور يندبون الأخلاق لأنهم لم يكونوا يتوهمون أن يترتب على ما قالموا به من دعوة إلى خروج المرأة سافرة ما عليه النساء الآن، لأن دعوتهم لم تكن إلا مصحوبة بطلب الحشمة والوقار، حتى إنهم نعو حين دعوا على من تستر وجهها بخمار لا يحجب ما وراءه ويدعو إلى النظر. وما كان ذلك إلا لأنهم يرون أن جواز كشف السيدة وجهها يجب أن يكون مصحوباً بغير تبرج، كما يجب أن يكون مصحوباً بترك الزينة التي تجلب الأنظار. ولقد كانت دعوتهم إلى إبداء الوجه واليدين اعتماداً منهم إلى أن ذلك أدعى إلى عدم التبرج وترك المهازل التي كان عليها النساء وقت الدعوة من التستر بخمر لا يغيب ما وراءها، بل تكون داعية إلى تحديق النظر أكثر مما لو كان الوجه عارياً والزينة متروكة.

تلك كانت دعوتهم، ولكنها للأسف لم تفهم على وجهها الصحيح، فوقعنا فيما نراه الآن: من انهيار الأخلاق، وضياع الحشمة والوقار، بل وضياع المروءة في بعض النساء، حتى أصبحن تبرزن للناس بوجه ليس فيه حياء، تسكاد الواحدة منهن تخرج عارية. وإن لك فيما تراه من الصور التي تنشرها جرائد الصباح والمساءلاً كبر العبر فيما وصل إليه الحال الآن.

التبرج والسكوى منه :

ولقد راقني ماقرأ أنه لبعض الكتّاب في جريدة الأهرام الصادرة في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ تحت عنوان «ما قل ودل» ، فقد جاء في هذا المقال ما نصه : «الأسكندرية في أوجها ، و«ستانلى باى» صباح الأحدث هائج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر مئات المتلفين على رؤيته ، الذين تنقصهم الموارد ، والناس يجذب بعضهم بعضا ، فهذا رجل حائر يدور بألة التصوير في يده ، يلتقط عن يمينه وشماله ، ويجهد في الحصول على الصور الشاذة الخارجة ، يريد الاحتفاظ بتذكاري دائم» الى آخر ما كتبه ذلك الكاتب القدير من قوله : «ولكن جزعى ليس من أجل واحدة أو اثنتين أو عشر فتيات ، ولكن جزعى هو من أجل المستقبل . أخشى عشر السنين القادمة ، أخشى التحضير للحرية عن طريق الاستعمار» : الى أن قال : فإننا يجب أن ننفخ في صور الفضائل ، ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال ، يدرسن ويبذلن شبابهن في خدمة المجتمع ، فهؤلاء هن اللواتى يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البجافات من شاطئ «ستانلى باى» .

صور الفساء :

راقتنى هذه الكلمة حقا ، وبقدر ما راقني هذا الأسلوب البديع للدعوة الى الأخلاق الفاضلة وترك التبرج الممقوت ، ساءنى والله ما رأيته فى إحدى جرائد الصباح من رسم لثلاث فتيات من مدرسة لتعليم الرقص ، ومن رسم فتياتى بثياب البحر تلعبان مع صديق لهما بقذفه الى الماء ، ومن رسم الألعاب على شواطئ البحر ، التى ستمها الجريدة «قذفة الخروف» فإن هذه الرسوم التى تنشرها جرائدنا على اختلافها ليس إظهارها من صالح مجتمعا ، ولا هى تناسب قوميتنا . وظهورها يرغب فتياتنا فى هذا ، وهو ما ينافى أخلاقنا وديننا .



ساءنى هذا ، كما ساءنى غيره من كثير مما أراه من الرسوم فى صحيفة الصور التى تنشر فى جرائد الصباح والمساء ، وقلت : حبذا لو أن كُتُبنا وجهوا عنايتهم وأقلامهم البليغة الى محاربة هذا الصنيع الممقوت ، الذى لم يقف عند النساء ، بل تعداهن الى الشبان ، فإن منهم — والحسرة تملأ القلب — من يتزين بزينة النساء ، فيضع المساحيق على وجهه بجميع أنواعها ، فهذا والله داء وبيل ، وصنيع ممقوت ، وأمر يأباه شرعنا ، وتأباه الفضيلة ، ويدعو الخاق الى تغييره . وإنه لما يدمى له القلب ويضيق له الصدر أن يترك القوم أوامر دينهم التى يؤيدها العقل ، ويسلم بها الطبع السليم ، وتدعو اليها الفضيلة . فإلام نبقى على تلك الحال السيئة ؟ ! وأين الآباء والأزواج ؟ ! إنهما مسئولان قبل كل أحد ، مسئولان عن تدهور الأخلاق وراء ما نسميه تمدينا . ألا قاتل الله التمدن إذا كانت هذه آثاره وتلك نتائجه !

لقد اعتدنا وأسفاه على أن نأخذ من عادات الغير ما هو ضار ونترك ما هو نافع . ولو أننا تمسكنا بأخلاقنا وقوميتنا تمسك هؤلاء الذين نقتل بعضهم ، لما وصل حالنا الى ما وصل اليه اليوم . فها نحن أولاء نسمع أن بعض الدول العظمى قد بلغت أسنى المراتب ، ومع ذلك لا تزال متمسكة بعاداتها التى كانت لها فى العصور الوسطى . أما نحن فمع أننا نبلغ شأواً فى الدنيا ، فقد تركنا الدين والخلق ، وأخذنا بكل جديد ، دون نظر الى آثاره وما يترتب عليه ، حتى نشأ عن ذلك أن انهارت أخلاقنا ، وكثرت فينا المفاسد ، وفشت البدع ، حتى صار القبيح المجمع على قبحه حسناً فى نظر البعض ، يجبذه ويدعو اليه . ولك مما تنشره بعض الجرائد الأسبوعية فى تحسين ما ليس بحسن الدليل القاطع على أننا قد كدنا ننسل من الأخلاق الفاضلة . واليك مثلاً أنت الحكم فيه بعد سماعه : نشرت إحدى الجرائد الأسبوعية أن ممثلة من الممثلات عقدت مباراة بين الممثلات ، لابسات ملابس البحر ، عرضتهن وهن كذلك على النظارة ، وجعلت الحكم

لبعضهم في أى الفتيات أحسن ، فحكموا لآحداهن ، وقد رستمها هذه المجلة بملايس البحر ! فهل رأيت أو سمعت مثل هذا في بلد يدعو دينه الى مكارم الأخلاق ؟ ! إني لا أكاد أصدق أن مثل هذه الأمور تبلغ مسامع القائمين بالأمر فينا ؛ ولو سمعوه لمنعوه وعاقبوا القائمين به ؛ لأن هذا الضرب من التهتك بل الجنون في التهتك انتحار لأخلاقنا !

هذا مثل من كثير من تحسين ما ليس بحسن ، والدعوة الى ما ينافى الفضيلة . ولا أدري أى نفس تلك التى تستحسن تحييد هذا الفعل القبيح وهو خزى في الدنيا والآخرة ، ومعصية تأبى الأديان وجودها ، وتدعو الى قطع شأفتها ومحو جرثومتها ؟ ! وما جاءنا هذا إلا من اتباع الهوى ، وعدم تحكيم العقل ، والتقليد الأعمى في كل ضار ؛ وترك تعاليم ديننا ، حتى أصبح الذى يدعو الى خلق حسن وعادة قومية ، وينهى عما ينهى عنه الشرع ، محلا لسخرية أصحاب الهوى والغرض ، يسكبون عليه جام غضبهم ، ويوجهون اليه كل لوم ، وينسبونه الى الجهل وقلة الذوق ، مهما كان من أمره . ولو درى الألى يعملن هذا وعلم الذين يدافعون عنهن بأن السكل بهذا قد ذهب بخلق الأمة وهدم قوميتها ، وارتكب محذور دينه — لو علم هؤلاء ذلك وتفظنوا له ، اثابوا الى رشدنم ، وحالوا بين الأمة وماهى فيه من سوء الأدب . ولكن ما الحيلة وقد ائتمد الناس عن الدين والخلق اللتين ، حتى كاد ينقض من الأساس ، وأصبحت تسمع ممن تنصحه الذراية بك والطعن عليك بأنك جاف جامد لا تكاد تصلح للجيل الذى أنت فيه : جيل التجديد والمجددين :

التجديد وبرائة المجددين من أمثال هذه المفاسد :

وإني أربأ بالمجددين وعلماء التجديد عن أن يكون منهم نصير أو شبه نصير لمثل هؤلاء ، وأعتقد أن المجددين ودعاة التجديد يدعون أول ما يدعون الى الأخلاق

والتمسك بأهداب الفضيلة . ومن الذى يقول إن التجديد غير مطلوب وهو ضرورى لحياة الأمم ؟ ولكن لم يكن معناه فى يوم من الأيام العمل على هدم القومية ، أو ضياع الأخلاق ، أو الخط من كرامة الدين ، أو العمل على محوه . وإنما هو سير مع الظواهر الكونية والنواميس الطبيعية . وهو فى كل شىء بحسبه وبما يلائمه ، ولا يكون التجديد إلا فيما يقبله .

ومن البدهيات أن الأديان لا تقبل التجديد ، لأنها عقائد وأحكام يجب على أهلها التمسك بها ، ولا يمكنهم الخروج عنها ، إلا إذا خرجوا عن الدين والأخلاق الفاضلة ، فلا يمكن التجديد فيها ، إلا بكثرة الدعوة إليها ، والتفنن فى الأخذ بها ، وصيرورتها ملكة تنطبع فى نفوس الأمة . والمحظورات الدينية لا يمكن تغييرها ، ولا المساس بجوهرها ، ولا القول بإباحتها . فإذا حظر الشارع أمرا بقى محظورا ، وليس من التجديد أن أفعله ، بل فعله والدعوة الى فعله خروج على الخلق والدين ، وليس هذا من التجديد فى شىء ، بل هو محو وهدم لا يقول به أحد ، إذ لا يمكن القول بأن ما انفقت العقول والفطر السليمة على أنه خُلِقَ حسن ، ونصت الشرائع على أنه واجب ، لا يمكن القول بأن تركه تجديد ، بل الداعى الى ذلك هادم باغ ، عاد على خلقه ودينه .

أما ما يقبل التجديد فإننا إن لم نجد فيه ونقبل التجديد ، كنا كمن يريد الخروج من الكون وهو فيه ، والقعود والركب سائر ، وهذا ما لا يقول به أحد . ومن الذى يستطيع القول بعدم الاستفادة من الحوادث والظواهر الكونية ، مع أن الأمور الدنيوية متجددة ؟ فالواجب على ذوى العقول العمل فى تلك الدوائر الواسعة ، واكتناز الحقائق العلمية منها .

كذلك الحوادث التى تقع للناس وليس فيما بين يدينا نص عليها : يجب علينا الاجتهاد فيها ، والبحث فى عوارضها ، ورد الواقعة الى حكم يتفق مع تعاليم الدين الأصلية

ولا ينبو عنها . ولا شك أن هذا تجديد . وهذا النوع من التجديد دعا اليه الشارع واعتبره ، حيث قال تعالى : ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ) والاعتبار ليس موقوفا على فن من الفنون ، ولا على قوم معينين ، ولا على زمن دون زمن ، بل هو مطلوب ممن قدر عليه ، ولم يتخذ هواه سبيلا اليه .

التجديد بهذا المعنى مطلوب ومرغوب فيه . أما ما يفهمه بعض من لا يستطيع فهم التجديد من أن معناه ترك القديم ولودينا ، فهذا مالا يقول به من له مسكة من العقل . وهانحن أولاء نرى علماء أوربا قد جددوا واستفادوا وأفادوا ، ومع ذلك لم يقل أحد منهم لواحد من قومه : لا تذهب الى محل عبادتك ، ولالدين عندهم المنزلة السامية . وهذا البابا رئيس الدين له من التجلة والاحترام في نظر ملوك أوربا وأتباعه ما هو معلوم ، فهو إذا دعا الى أمر ديني تلقته أتباعه بالقبول . ومما لفت نظري في أوامره أنه أمر بأن النساء اللاتي يكن عاريات الذراع والمعصم لا يباح لهن دخول المعابد .

راقني هذا الأمر واستحسنته ، لأنه أمر يدل على أن التبرج أمر ممقوت في الأديان ، وأن من تتبرج ليست ممن ينظر اليها الدين نظرة قبول ، ولا هي حرة بدخول معابده ومحلات التقرب الى الله .

هذه النصيحة الغالية أمر بها البابا . فهل سمعت أن أحدا من أتباعه قال : إن هذا رجوع بالناس الى القديم وترك للتجديد ؟ لم يحصل هذا ولن يحصل ، لأن الديانات ليست محل تجديد كما قدمت لك . وهذه الدعوة التي دعا اليها البابا دعا اليها الدين الاسلامي من أكثر من ألف وثلاثمائة سنة . ولكن بعض المسلمين — كما شرحنا لك — قد غفل كثير منهم عن حكم دينه ، وأبى إلا ترك تعاليم الدين ، وما لا يتفق والخلق الحسن . ولا يفوتني أن ألفت نظر المسلمين الى أن مادعا اليه ديننا الخفيف إنما هو الخير كل الخير . وأن كل خلق دعا اليه هو الفضيلة ، وكل خلق نهى عنه هو الرذيلة . وما نراه

الآن ونستحسنه مما يأتينا به الغرب منصوص في ديننا . فهذه جرائدنا تقات على سبيل الاستحسان ما أمر به زعيم إيطاليا من حظر الرقص على الضباط إشفافاً على رجولتهم . فهذا الذي استحسنته جرائدنا — وهو حسن في ذاته — دعا إليه ديننا من قبل ثلاثة عشر قرناً . ولكن غفلتنا عن حكم الدين أوقعتنا في الشرور من حيث لا ندري ، وإلا فأى مسلم هذا الذي لا يتقطع قلبه حين يرى بعض الشبان يتزين بزينة النساء ، فيزجج الحجاب ، ويحمر الخد بعد تبييضه ؟ ! إنها فضيحة وأى فضيحة أن نرى رجالاً يتركون رجولتهم ، ويأبون إلا أن يرتكبوا ما حظره الدين على النساء في الطرقات !

ولست أبالغ إذا قلت : إن الحالة في حاجة إلى سن قانون يقضى بعقاب كل شاب يلاحظ عليه التبرج ، وعقاب كل امرأة تخرج متبرجة تنزيا بأزياء الجاهلية ، وتبرج تهرجن . ففي سن هذا القانون قطع الرذيلة ومحو لها ، وبت لتلك الظاهرة السيئة التي عليها الحال الآن في الطرقات والمسارح والملاهي .

فبذا لو أن حكومتنا عملت هذا أو ما يقرب منه ، كوضع عقوبة لأولياء الأمور من آباء وأزواج ، وإلا فقد طفح السكيل وبلغ السيل الزبي . فلا حول ولا قوة إلا بالله ! م  
طه هبيب

### ابن نفسه

تكلم رجل عند عبد الله بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب به عبد الملك . فقال له : ابن من أنت ؟ قال : أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصات اليك . قال : صدقت .

# المادية ومذهب العلماء الى اسخين

ما هي المادة ، وما هو الأثير ؟

أولع الناظرون في الوجود منذ القدم بمعرفة حقيقة الموجودات ، وقد تكلموا في كنهها على قدر ما كانوا وصلوا اليه من العلم بها ، ولكن لم يدخل هذا البحث في نطاق علمي ، ولم يجعله الباحثون أساسا لفلسفاتهم إلا في نحو القرن السادس قبل ميلاد عيسى عليه السلام .

أقدم من تصدى للبحث في أصل المادة (لوسيب) من فلاسفة اليونان الأقدمين ، وتلميذه (ديموكريت) ، فذهبا الى أن المادة قديمة ، ودعوا الأصل الذي تألفت منه جميع صورها بالهيولي . وكان مؤدى مذهبهم أن هذه الهيولي مؤلفة من ذرات دقيقة جدا لا تقبل الانقسام ، متحركة منذ الأزل بحركة ذاتية فيها ، منها يتركب كل شئ ، محسوس في الكون .

بقى هذا الرأي معولا عليه الى القرن التاسع عشر ، حتى كاد يلحق بالمحسوسات عند الفلاسفة الماديين .

وقد عللوا به ظواهر الاتحادات الكيميائية ، وقالوا إن الأجسام المركبة لا تتألف عناصرها إلا على نسب معينة . فالماء مثلاً يتألف من اتحاد جوهر فرد واحد من الأوكسيجين ، وجوهرين من الهيدروجين ، ولا تحتل هذه النسبة في أية حالة من الأحوال . ويقاس على الماء جميع المركبات ، فلكل عنصر منها نسبة محفوظة إزاء بقية العناصر .

ولكن ما هو هذا الجوهر الفرد في ذاته ؟ أما قول لوسيب وديموكرت بأنّه جسم صلب متناهٍ في الصغر لا يقبل الانقسام ، ولا عرض له ولا طول ولا سمك ، فافتراض لا يقف أمام النقد ، فإنّ المادة مهما تناهت في الصغر فإنها تقبل الانقسام ولو توهماً . وما ليس له طول ولا عرض ولا سمك لا تتألف منه أجسام لها طول وعرض وسمك ، فاضطر العقل للبحث عن افتراض آخر . فذهب العلامة الانجلىزى وليم طومسون الى أن المادة حركة زوبعية في الأثير . وتفصيل هذا الإجمال أنّه استخدم الفرض القائل بأن الوجود كله مشحون بسائل لطيف للنهاية القصوى ، لا يعقل شىء أظف منه ، لا مسام فيه ، وهو متصل ببعضه ببعض كل الاتصال ، فذهب الى أن الجواهر الفردة فيه ليست بشىء سوى زوابع جزئية حدثت فيه ، فاكتمست بسرعة دورانها على نفسها صلابة يحس بها ، فتألفت من اجتماع عدد لا يحصى منها الأجسام الجامدة المرئية ، وأجساد النباتات والحيوانات . فالمادة في نظره ليست بشىء غير زوابع أثيرية ، من تركيبها وتفرقها ينشأ تركيب الأجسام وتحللها .

راج هذا التعليل زمنا ، وعلمت به بعض الحوادث الطبيعية ، وحلت به بعض الغوامض الوجودية ، ولكنه لم يكف لتعليل أكثرها ، فتمسك العلماء به وقتما حتى يجدوا تعليلاً غيره يكون أقرب منه للحقيقة ، وهجر مذهب لوسيب وديموكرت الذى بقى أكثر من ألفى سنة ، وضلل عقولا كثيرة عن حجة الصواب .

والذى حدا بالعلماء أن يتشككوا فيه ، عدم إمكانهم تعليل تلك الحركة الزوبعية التى تحدث في الأثير الساكن كل السكون ، والتى تتولد بسببها الجواهر الفردة ، وعجزهم عن تفسير ميل بعض تلك الجواهر الى بعض على نسب محدودة ، لتأليف المركبات المختلفة .

هذا فضلا عن أن الأثير في ذاته أمر افتراضى اضطر اليه العلماء اضطرابا

لتعليل بعض الظواهر الطبيعية ، فيكون تعليل وجود المادة به افتراضا في افتراض وليس هذا من الأمور اليقينية في شيء .

على أنهم بعد هذه الافتراضات قد فوجئوا برأى جديد . هو أن جميع المحسوسات الماثلة أمام أعيننا في الـكون ليست بشيء في حقيقتها سوى قوة ، فسقطت بذلك نظرية الجواهر الفردة ، وقامت مقامها نظرية أن ليس في الوجود سوى القوة ، تصدر عنها الموجودات .

وهذه خطوة حاسمة نحو إثبات القدرة الإلهية من طريق آراء علماء المادة ، إذ لا يعقل أن نفرض هذه القوة العامة مجردة من تدير صادر من حكيم يقودها الى تأليف الجواهر الفردة ، ومنها الى تركيب المركبات المختلفة الصور .

ونحن لأجل أن نبين للقراء هذا الرأي ننقل لهم ماورد في دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية ، فقد ذكرت كل ما ذكرناه من تاريخ الآراء العلمية في المادة ، ثم عقت عليها بالعبارة الآتية ، وهي :

« بناء على هذا تكون جميع الافتراضات التي افترضت الى الآن عاجزة عن حل تناقضاتها الذاتية ، ولا تنطبق على الظواهر المحسوسة . فاذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة لا تستطيع أن تزعم أنها الحقيقة المطلقة ، وهذه الافتراضات باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتماً إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها ، فهي تستخدم على أي حال من الأحوال لضبط الظواهر الوجودية ، ولكنها لا تنفذ بنا الى ما وراء هذه الظواهر . فنحن محكوم علينا والحالة هذه ببطل ماهية المادة على الدوام »



يرى قارئنا مما مر أن دعامة المذهب الإلحادي - وهي المادة - لم يعرف كنهها الآن، وما دام الأمر كذلك فكل مذهب يبتنى عليها يكون قائماً على الخيال المحض . فكيف يمكن التوفيق بين زعم الماديين أن مذهبهم قائم على العلوم اليقينية ، وبين إقرار علماءهم بأنهم لا يزالون يجهلون كنه المادة ؟ !  
 محمد فريبر ومجدي

## وصاة على كرم الله وجهه لبنديه

مما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بنيه قوله لهم :

يا بني ! عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن فقدتم بكوا عليكم .  
 يا بني ! إن القلوب جنود مجندة ، تتلاحظ بالمودة ، وتتداجى بها ، وكذلك هي في البغض ،  
 فإن أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم ، فأرجوه ، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم ، فاحذروه .

ومن حكمه رضى الله عنه :

إن السبب الذي أدرك به العاجز مأموله ، هو الذي حال بين الحازم وطلبته .

وقال :

إذا عظمت الذنب فقد عظمت حق الله ، وإذا صغرت فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب عظمته إلا صغر عند الله ، وما من ذنب صغرت إلا عظم عند الله .

وقال عدى بن أرطاة لأبياس بن معاوية :

دنى على قوم من القراء أولهم ( يريد بالقراء العلماء ) فقال له : القراء ضربان : ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك ( أى يأبون الولاية ) وضرب يعملون للدنيا . فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها ؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم .

## الحكمة العربية

الحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه ، وقد يراد بها الكلام النافع الذي يمنع من الجهل والسفه ، وهي بهذا المعنى فن من فنون الكلام المنظوم أو المنشور ، وذلك ما نريد الحديث عنه في هذا المقال . وهذا النوع من الحكمة ثمرة التجارب والتفكير على الوجه الصحيح ، فنصيب الأمة من الحكمة على قدر نصيبها من جودة التفكير والشعور بما تشترك فيه الحوادث من الأسباب والآثار .

ومن الذي ينكر ما للأمة العربية من صفاء الذهن وتوقد الذكاء ؟ فلا بد أن يكون حظها من الحكمة عظيما .

نطق العرب في جاهليتهم بحكم تدل على تجارب صادقة ، وألمعية مهبذة . وأسوق لك مثالا على هذا قول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخا لا تلهمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

فهذه الحكمة لا تصدر إلا من ألمعي خالط طبقات الناس زمنا طويلا ، ونقدم طبقة بعد طبقة ، فاستخلص من طول صحبتهم أنه لا يوجد من بينهم الصاحب الذي يصفو لصاحبه في كل حال . والإنسان محتاج الى الإخوان احتياجه الى الماء والهواء ، فليس له إلا أن يتمسك بصحبة من وثق بمودتهم ، ويغضى عن هفواتهم التي لم يقعوا فيها لفساد ضمير ، أو نكث عهد مودة .

كان للعرب براءة في صوغ الحكمة ، حتى طلع عليهم القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فامتلاأت أسماعهم بالحكم البالغة . أما القرآن فكمقوله تعالى : (أَدْفَعْ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَيْتَنُكَ وَيَبْتَغِي عَدَاوَةً كَانَتْ لِي خَيْرًا) وقوله

تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وقوله تعالى : (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْأَخْيِثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْأَخْيِثِ) وأما الأحاديث النبوية فكقوله صلى الله عليه وسلم : «اليد العليا خير من اليد السفلى» وقوله : «المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وقوله : «دع ما يريبك الى ما لا يريبك»

أفاض القرآن والحديث النبوى أمثال هذه الحكم الرائعة ، وفتحنا للحكمة طرقا كانت مقفلة ، فالاسلام ساعد الخطباء والشعراء والوعاظ على أن يسيروا فى هذا الفن من الكلام بخطأ واسعة ، ويقطعوا فيه أشواطا بعيدة ، فأصبح الناس يسمعون من الحكم أبلغ مما كانوا يسمعون ، ويجمعون منها أكثر مما كانوا يجمعون . وإذا هممت أن أسوق اليك أمثلة من حكم العرب فى الاسلام ، تكاثرت على تكاثر الظباء على زياد ، فلم أدر ما آخذ منها وما أذر ، فانظر الى ماشئت من الدواوين التى تحوى خطب البلغاء ، ورسائل الأدباء ، وقصائد الشعراء ، ومحاورات العلماء ، ففيها ثمرات قرأنهم الخصبية ، ونظراتهم الصادقة .

ولابن الطيب المتنبي فى هذا الميدان جولات سبق بها أقرانه من الشعراء ، وللصاحب بن عباد صحائف جمع فيها ما يحسن التمثيل به من شعر المتنبي ، كقوله :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله      مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقدمها هدية لخدمته نخر الدولة الذى كان يتمثل كثيرا بأبيات من نظم هذا الشاعر الحكيم .

وأورد ابن أبى حجة فى شرح بديعته<sup>(١)</sup> ما ملأه صحائف كثيرة من حكم أبى الطيب المتنبي ، وربما أورد بعد البيت أو قبله ما يدل على إعجابه به كما تعرض لقصيدة التى يقول فيها :

وما الخليل إلا كالصديق قليلة      وإن كثرت فى عين من لا يحرب  
وقال : منها وأجاد الى الغاية :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب  
وكما أشار الى قصيدته « واحرّ قلباه ممن قلبه شبم » وقال : ومنها وليس لثله مثيل :  
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم  
وفي لامية الطغرائي أبيات كثيرة تشتمل على حكم عزيزة ، فجرت على السنة  
الأدباء والكتّاب مجرى الأمثال السائرة ، كقوله :

وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل  
الحكم لذينة ، وأحسنها وقعا ما صدر على البداة ، فإنه أدل على عبقرية الرجل  
وكثرة انتفاعه بتجاربه ، لام عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز أباه على إرجائه تنفيذ بعض  
ما يراه حقا ، فقال عمر بن عبد العزيز : « أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه  
جملة » وامتدح شاعر الامام محمد بن مسلم الزهرى ، فأعطاه جائزة ، فقبل له : أتجز  
على كلام الشياطين ؟ فقال : « من ابتغاء الخير اتقاء الشر »

وأشد ما يغبط الشاعر شاعرا آخر ، في البيت العامر بالحكمة ، أنشد محمد بن  
كناسة اسحاق بن ابراهيم البيتين :

في انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم  
أرسلت نفسي على سجيتهما وقلت ما قلت غير تحتشم

فقال اسحاق : وددت والله لو أن هذين البيتين لي بنصف ما أملك ! فقال ابن كناسة :  
قد وفر الله عليك مالك ، والله ما سمعهما أحد ، ولا قلتها إلا الساعة ، فقال إسحاق : فكيف  
لي بعلم نفسي أنهما ليسا لي . وإسحاق إنما غبط ابن كناسة في البيتين لما اشتملا  
عليه من الحكمة ، وهى وضع كل من الحشمة والاسترسال على السجية في مقامه اللائق به .  
والخلاصة أن في آداب اللغة العربية حكما غزيرة ، في ألفاظ عذبة وجيزة ، فنود من  
القائمين على تعليم النشء وتربيتهم تلقينها لهم بطريقة واسعة ، حتى لا يحتاجوا الى الاستشهاد  
بأقوال الغربيين وفي كلام حكمائنا وبلغائنا ما يغنى عنه

# تأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله

رأى الفيلسوف الفرنسى ديكارت

كتبنا شيئاً فى العدد السابق فى هذا الموضوع ، ولا نريد أن نقطع هذا البحث دون أن نبلغ منه حداً يحسن السكوت عليه . ونحن فى كتابة هذه الفصول نتحرى نقل آراء رجال العلم المقدمين ، وأركان النهضة العلمية الحديثة من جميع الجنسيات ، ليكون للقارئ من مجموع ذلك مرجع يرجع إليه فى استمداد الأدلة التى تحمده فى تقوية إيمانه ، أو فى دعوته وإرشاده لغيره ، ممن يمتتون الى المعارف الطبيعية بسبب ، من أفراد النابتة الجديدة .

فنأتى اليوم على براهين الفيلسوف ( ديكارت ) المولود سنة ١٥٩٦ والمتوفى سنة ١٦٥٠ :

ديكارت هذا فرنسى الجنس ، وواحد من الذين خلدت ذكراهم فى تاريخ العقل البشرى ، لما انتهجه من الأصول الفلسفية البعيدة المدى . فهو الذى حول وجهة الفلسفة ، وجدّد القواعد التى تقوم عليها . فبعد أن كانت مستقرة على مذهب أرسطو أفرها على قاعدة العلم المجرد عن الظنون والمساهمات المتفق عاها ، والتى ليس لها فى ذاتها سلطان يحلها هذا المحل الرفيع .

وقد نهج فى تعرفه الوجود والموجودات طريقاً لم يسلكه سواه قبله ، حتى ولا ( بيرهون ) الفيلسوف اليونانى القديم . والفرق بينهما أن ديكارت جعل الشك وسيلة لا إدراك الحقائق ، ولكن بيرهون جعل الشك غاية للفلسفة .

نعم : إن من نقدة الأوربيين من قرر أن هذا الفيلسوف اليونانى لم يقصد من الشك إلا أن يصل منه الى الحقيقة ، كما فعل ديكارت من بعده . فلو صح ذلك فإنه

صرف حياته في التشكك دون أن يصل الى حقيقة ، فلم يؤثر عنه أنه أثبت حقائق كما فعل ديكارت الذي جاء بعده بنحو ألفي سنة . فإن هذا الأخير لم يمض حياته في الشك ، وفي بث فلسفة الشك ، ولكنه اتخذ أداة للوصول الى الحقائق ، وقد وصل الى بعضها على عجل .

ونحن لا يعني أننا ننقل مذهبه هنا ، ولكن يعني أننا نعرض أدلته في إثبات الخالق على أساوبه ، فإنه لا يخلو من طرافة وفائدة في آن واحد .

وهو لأجل أن يصل الى دليل قاطع على إثبات الخالق ، جرّد نفسه عن كل ما يحيط به أولاً ، ثم أخذ يبحث عنه في أعماق نفسه لا في الوجود الخارجي ، فلم يسأل الوجود عن صانعه ، ولم يناج العوالم مستفسراً عن علاها الأولية ، بل اقتصر على ذاته ، ورغب في أن ينكشف له ما غمض عليه منها ، فاستخرج منها على وجود الخالق ثلاثة أدلة كلها نفسانية كما ستري .

عند ما حاول ديكارت إقامة الدليل على وجود الخالق قدّم هاتين المسألتين ، وهما : هل يوجد إله للكون ، وما هو ذلك الإله ؟ رامياً بذلك أن يتأدى بالبحث الى حقائق ثابتة لا الى خيالات ذهنية ، فطوح به هذا الميل الى امتحان ذاته أولاً ، فرأى أن ذهنه محشو بمحسوسات من عقائد وتقاليد وموروثات مختلفة . قال : فأردت لأول مرة في حياتي أن أتخلص من هذه الآصار الثقيلة ، وأن أنظر متجرداً من كل وراثثة لأصل الى حقائق ثابتة من العلم .

سلك ديكارت هذا الطريق ، فأثار الشك في نفسه على كل شيء : على السماء التي تظله ، وعلى الأرض التي تقفه ، وغلا حتى شك في القوانين الرياضية نفسها ، وهي أثبت المعلومات البشرية .

يتبادر الى الذهن أن ديكارت هذا اندفع في تيار شكوكه هذه ، فلم يستقر على حقيقة ، ولكن هذا غير ما وقع له ، فإنه قد فجر من مجموع هذه الشكوك عيون الحقيقة

الصفافية، فقال : « إن في طي هذه الشكوك كلها شيئاً واحداً لا يتناولُه الشك أصلاً ، وهو (أنا) . وقد كنت قررت بأنى لست بشيء في الواقع ، فشككت في وجود شعورى وجثمانى . ولكنى في هذه الحالة التجريدية كنت موجوداً في الواقع ، لأننى استطعت أن أفكر ، فإذاً أنا موجود حقيقة ، ولا يوجد شيء يستطيع أن يقنعنى بأنى لست بموجود ما دمت أفكر . فقولى : (أنا موجود) حقيقة ثابتة لا أستطيع أن أشك فيها كلما قلتها ، أو تصورتها في ذهنى .

هنا تمكن ديكارت أن يحل نفسه من قيود الشك ، فخرج بعقيدة صريحة واضحة لا تقبل الجدل ، وهى أنه موجود ، ومن هذا الطريق نفسه توصل الى استكشاف حقيقة أخرى جليلة القدر ، وهى أنه توجد ذات إلهية متصفة بجميع صفات الكمال ، فقال : « إن هذه الحقيقة لازم من لوازم فطرتى ، وقد ولدت حاملاً أمانتها في ثنايا قلبي ، لأنه كيف يعقل أن أدرك بأنى شاك ، وأنى أريد الوصول الى حقيقة ، وأنى لم أبلغ الكمال الذى أرمى اليه ، إذا لم يكن مغروذاً في طبيعتى إدراك وجود ذات أكل من ذاتى ؟ » لما تأدى ديكارت الى هذه النتيجة أراد أن يبرهن على أن شعوره بوجود تلك الذات الكاملة لم يأت من التفكير الشخصى ، ولكن أتاه من تلك الذات الكاملة الخارجة عنه ، فقال :

« إن كلمة (الله) إن لفظت بهافاً إنما أعنى بها ذاتاً لا بداية لها ولا نهاية لها ، أزلية أبدية ، ومستقلة عن كل شيء ، وعالمة بكل شيء ، وقادرة على كل شيء . وإنى أنا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها . وهذه معارف جمة كلما تأملت فيها . فقة ازددت اعتقاداً بأنى لم أستنبط الشعور بوجود الله من ذاتى وحدها ، وعليه فيجب على أن أستنتج من ذلك أن لله وجوداً مستقلاً ، وأن شعورى بوجود عالم غير متناه لا يمكن أن يكون أصله في ذاتى أنا ذلك السائن المتناهى ، بل إنه عُرس في ذاتى من قبل ذات غير متناهية . »

قلنا إن ديكارت استخرج من بحثه هذا في ذاته ثلاثة أدلة على وجود الخالق ، هي ملخص ما تقدم من كلامه ، وهي :

(أولها) قال : إنى مع شعورى بنقص ذاتى ، أحس فى الوقت ذاته بوجوب وجود ذات كاملة ، وأرانى مضطرا للاعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهى : الله تعالى .

(ثانيها) قال : إنى لم أخلق ذاتى بنفسى ، وإلا فقد كنت أعطيها جميع صفات الكمال التى أدركها . إذاً فأنا مخلوق لذات أخرى ، وتلك الذات يجب أن تكون حائزة جميع صفات الكمال ، وإلا اضطررت أن أطبق عليها الحكم الذى أجرите على نفسى .

(ثالثها) قال : إن عندى شعورا بوجود ذات كاملة لا يفترق فى الوضوح عن علمى بأن مجموع زوايا أى مثلث يساوى زاويتين قائمتين . إذاً فالله تعالى موجود . أليس هذا كله مصداقا لقوله تعالى : ( وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ) .

نقول : إن ديكارت هذا الذى جعل أصل مذهبه الشك فى كل شىء حتى فى جسمانيته وما يحيط به من العالم المادى ، وغلا حتى تشكك فى القوانين الرياضية ، قد تأدى الى الاعتقاد الراسخ فى وجود الخالق . وهو بهذا قد دلل على أن وجوده تعالى فى عداد الأمور البديهية التى يتأدى اليها الإنسان تأدياً ضروريا . وهذه حجة فلسفية تثبت من طريق مباشر قوله تعالى : ( أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ )

فإلى الذين يعتبرون التشكك فى هذا العصر من شارات الألمية ، نسوق هذا الحديث ، ايروا أن إمام الشك فى هذه العصور المتأخرة يعترف صراحة بأن العقيدة بالله تستنتج من طريقته استنتاجا فلسفيا ضروريا . فأية حجة بعد هذه يمكن أن يدلى بها الذين يمثلون مذهبه ويعملون على نشره فى الشرق ، رامين من وراء ذلك الى زعزعة



# اليسيرة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الدين يُسر ، ولن يشاد الدين إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة ) رواه البخارى .

اليسر : هو السهل التناول الذى لا عنت فيه ولا صعوبة . والمشادة : المغالبة والمقاومة . والسداد : التوسط فى الأمور ، ومجانبة الإفراط والتفريط . والمقاربة معناها عدم المغالاة فى الاستقصاء الى غاية الشيء . وأبشروا : أى ارتقبوا من الله حسن المثوبة . والغدوة فى السفر : سير أول النهار وصبيحته ، والروحة : سير وقت الأصيل . والدلجة : السير ليلا ، أو فى وقت السحر خاصة .

قد يدفع الحذر الشديد بعض الناس الى أن يغلو فى دينه ، ويتعمق فى عبادته ، فيكاف نفسه فوق ما تطيق ، فيصبر على ذلك ردحا من الزمن ، ثم تفر هتمته ، وتكل عزمته ، ويقل نشاطه ، فيتراخى فى العمل ، ويخل بما التزم . ولو كان فى هذه الحالة واقفا عند حد التقصير عن بعض النوافل لهان الأمر ، ولكن مثل هذا قل أن يصير الى التراخى إلا عن سآمة وملال ، وانصراف نفس عن العبادة ، وقلة رغبة فيها . وهذا هو ما ينبغى أن يحذر من الوقوع فيه .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر » معناه أن مبنى التكليف فى شريعتنا السمحة هو عدم الإرهاق ، والبعد عن العنت . وروحها هو الاحتفاظ بالاقبال على الله ،

والرغبة في الطاعة ، والحذر من كراهية العبادة أو سآمتها ، فإن ضرر ذلك يربو بكثير عما ينتظره من ثواب الاشتغال بالنوافل الكثيرة مدةً وينقطع . وإنك لتجد في المتعارف بين الناس أن من يداوم مودة صديقه ويتردد عليه في مواعيد معينة باستمرار ولو قليلا ، خير ممن يلزمه يوما أو أسبوعا ثم ينقطع لا الى رجعة . وقد ورد أن أحب الأعمال إليه أدومها .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولن يشاد الدين إلا غلبه » معناه : ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، كما في رواية أخرى ، وهذه الجملة في معنى التعليل المبين للحكمة المنطوية في صدر الحديث . وكأنه يبين لنا أن الأمر بالرفق والتوسط ليس مبناه الزهد في العبادة والرغبة عنها ، وإنما هو للحفاظ على النفوس من أن تفلت من مجال الخير ، وتحميد عن طريق السعادة ، فإن الشيء إذا زاد عن حده قد ينقلب الى ضده . ومشادة الدين مغالته والاستقصاء في أعماله بغية الوصول الى غايته . وإن المرء مهما بذل جهده في التقرب الى الله والقيام بشكره ، فهو البتة مقصر ، فإن توفيقه لهذا الشكر نعمة تستدعي منه شكرا جديدا ، ومهما راقب جلاله وعظمته ، وجد نفسه في مقام يتطلب منه تعظيما وإجلالا ، وقيامًا بحق العبودية ، إن لم يكن خوفا من عقابه ، خياء من جنابه ، فأى نفس بشرية تستغرق في هذا المقام وتدوم عليه منقطعة عما يلزمها في شأن حياتها ، فلا بد أن ينصرف . ولأن ينصرف على شوق الى الرجوع لهذه الحظيرة القدسية ، خير من أن ينصرف وقد ملكه الملل واستولت عليه السآمة .

وفي معنى هذا ما ورد : أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . ومعنى متانة الدين أن أعمال طاعته غزيرة ، وأبواب العبادة والزلفى فيه كثيرة ، ومسالك الشكر على نعم الله الوفيرة طويلة ، فعايكم من الأعمال ما تطيقون . ومعنى المنبت : الذي يكلف مطيته من السير فوق طاقتها ، حتى تهلك منه

وهو في أثناء طريقه . فلو كان قد بقي مكانه لكان أسلم عاقبة له من الانقطاع وسط الطريق .

وغير خاف أن ذلك كله في باب النوافل والمندوبات والقربات التي ليست من الفرائض ، وإلا فالفرائض التي فرضها لم يرخص في تركها ، إلا إذا عجز عنها العجز كله ، على تفصيل معروف في كتب الأحكام .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فسدوا وقاربوا » كالنتيجة لما سبق من التعليم والتعليل له . والسداد : القصد والتوسط في العمل ، بالتجافي عن الإفراط والتفريط . ومعنى الأمر بالمقاربة : أن من تعاصى عليه بلوغ الدرجة الكاملة فليقاربها بلا إجهاد ولا كد . وقوله : « وأبشروا » أي بالثواب على العمل الدائم وإن كان قليلا ، ولا تستقلوا بما تعملون من الطاعات مع المداومة متى أدبتم فروض الله وابتعدتم عن منهياته ، كما ورد : « أتق المحارم تكن أعبد الناس » وإن البشارة في هذا الموضع لتحمل النفوس على الرغبة في المداومة والابتهاج بهذه المنزلة التي ضمن لها القبول مع سهولتها ويسرها . ومن ابتهج بما هو فيه واغتنب بحاله ، كان جديرا بملازمته ، ولا سيما إذا كان سهلا هينا .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » : هذا من باب التمثيل ، فإن الغدوة هي السير أول النهار كما قلنا ، والروحة السير آخره . فكأنه مثل المؤمن في هذه الحياة بالمسافر الذي يكبد إلى بلوغ الغاية القصوى ، وهي السعادة الخالدة ، والفوز برضائه . ولا شك أن الدنيا طريق للآخرة ، والمسافر ينبغي أن يتامس في سيره أوقات النشاط الذي يكسبه القوة في سيره ، فكأنه يقول : إنكم جادون في السير إلى السعادة التي أعدت لكم ، فالتمسوا لسيركم أوقات النشاط ، كما يعتمد المسافر إلى اختيار وقت الغداة ووقت الأصيل للسير فيهما ، حتى لا يهلكه الحر الشديد .

وقوله: « وشئ من الدجلة » ما زال يلمح منه الرفق في السير ، فإن الدجلة هي السير ليلا . وإن من سار كل الليل كلَّ لا محالة ، أو من أخذ وقت السحر كله سيرا عرض نفسه للسكران كذلك . فلذا جاء في جانب الدجلة . والكلام على كل حال من باب تمثيل السائر في عمل دينه بالمسافر ، فيؤمر بالرفق الذي يحسن أن يؤمر به للمسافر .

وبعد : فهذا باب يختلف فيه الناس بحسب قوة إقبالهم على ربهم ، وشديد مراقبتهم لجلاله ، بل يختلف فيه حال الشخص الواحد بحسب سنه شبابا وشيوخا ، وبحسب تربية نفسه وتعويدها على يسير الطاعة ، ليتدرج منها الى عظيمها . والأساس قبل كل شئ هو التنحي عن منهيات الله ، والقيام بأوامره المحتومة ، وأداء فرائضه تامة غير منقوصة . كما أن مراقبة المرء نفسه لينقيها من أدران المساوىء الباطنة من غل وحقد وحب الأذى للناس وغير ذلك من الأمراض النفسية ، أمر هو في الدرجة الأولى لمن يرغب في إسعاد نفسه ، وفوزها برضا الرحمن .

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بالرحمة والرضوان ، وأن يمنحنا التوفيق ، ويحببنا الخذلان ، والله المستعان

ابراهيم الجبالي

## الترغيب عن تولى المناصب

طلب رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله ( أى أن يوليه عملا ) . فقال له : إنا لا نستعمل على عملنا من يريده .

طلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ولاية ، فقال له النبي : يا عم ! نفس تحيها خير من ولاية لا تحصيها ، ولم يجبه الى طلبه .

## معجزة علمية للقراءة الكريم أصل الأديان دين واحد حق

كان الفلاسفة في القرون المتأخرة من الذين عنوا بالبحث في أصول الأديان واشتقاق بعضها من بعض ، يقررون أن الانسان الأول في سداخته لم يستطع أن يدرك أن للكون إلهاً واحداً موصوفاً بجميع صفات السكال ، بل اعتبروا أن وراء كل قوة طبيعية إلهاً يدبرها ، فجعلوا للهواء إلهاً ، وللأرض إلهاً ، وللبحر إلهاً وهلم جرا ؛ وتخيّلوا بينها من العلاقات مثل ما بين الناس من قرابات ومصاهرات ، بل واختلافات ودسائس وحروب . على هذا جرى المصريون والهنود والصينيون وجميع من وصلنا تاريخهم من القدماء ، وأشهر ما وصلنا عنهم تاريخ الآلهة عند اليونان والرومان . فكان الفلاسفة في العصور المتأخرة يزعمون أن الانسان بدأ حياته الدينية وثنيّاً معدداً للآلهة ، ثم ترقّت فكرة الربوبية عنده يسيراً يسيراً ، فاستحال من مادية محضة الى روحانية ، ثم تدرجت من ذلك الى التوحيد المشوب بشيء من التشبيه ، ثم الى التنزيه المطاق .

هذا الرأي كان من الآراء المقررة في الفلسفة ، الى حد أن واحداً من المشتغلين بهذا الأمر لم يجرؤ أن يبدي عليه نقداً أو اعتراضاً .

بقى هذا الرأي سائداً في أوروبا ، حتى نبغ الأستاذ الألماني ( ماكس مولر ) صاحب المباحث المستفيضة في الأديان الشرقية ، فأثبت بالدلائل القاطعة في كتابه ( أصل الدين وترقيه ) أن الإنسان عبداً في أول أمره إلهاً واحداً منزهاً عن الزمان والمكان والجسمانية ، وأن تعدد الآلهة والتشبيه عرضاً على هذه العقيدة بعد التوحيد الخالص ، دفع اليهما الإنسان بخيالات ذاتية أو بتسويلات خارجية جاءت من رؤساء

الأديان ، كإرادة تصوير تلك الذات المجردة بصور مادية ، وإحاطتها بأشكال رمزية ، ثم طوح به الخيال الى تسمية تديرها قوى الطبيعة المختلفة بأسماء شعرية ، وأنس بهذه المجموعة التصورية أنسا دفعه الى إحلالها محل عقيدة التوحيد والتنزيه . وجرى على ذلك أحقابا نسي أخلافه فيها أصلها الأول ، فقامت الأمم على هذه الوثنية وعمتها جميعا . فلما جاء الباحث العصري وجدها شائعة في كل مكان ، وخاصة لدى الأمم للمتوحشة ، فقرر بأنها أصل الأديان ، وأن التوحيد الخالص نشأ بعدها ، زاعما أن الانسان ما كان ليستطيع أن يصل الى دين حق وهو لم يخرج بعد من لفائفه الطفلية .

والذى حداهم الى هذا الزعم أنهم في ماديتهم كانوا يجهلون أن للكون إلهام قادرا ، وكانوا يعتقدون أن الأديان ليست في حقائقها إلا ثمرات الخيال المحض ، تورطت فيه الشعوب جهلا بحقائق الوجود . ولو كانوا يعتقدون بالله لما طوح بهم الوهم الى هذا الرأي . فجاء اكتشاف العلامة ( ماكس مولر ) مقوما لهذا العوج الفلسفي من جهة ، ومقربا للفلسفة الاعتقاد بالله من جهة أخرى ، فإن الشعوب ما دامت لا تستطيع في زعم الفلاسفة أن تصل الى عقيدتي التوحيد والتنزيه بقولها الفاصرة وهي في عهدا الأول ، فيكون في ثبوت وجود الدين الحق وهي في ذلك العهد دليل على أنها تلقته من خالق الكون نفسه بطريق الوحي ، كما دلت عليه نصوص الكتاب الكريم .

أما الآيات الدالة على أصل الدين فهي آى كثيرة ، منها قوله تعالى : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) .

أبان الله تعالى في هذه الآية أن الدين الحق فطرة في كل نفس بشرية ، فاذا كان الانسان قد اتخذ بدله وثنية خيالية ، فإنما حدث ذلك لخروجه عن تلك الفطرة .

وقوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اُخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ اَلْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

معنى هذه الآية: كان الناس في أول عهدهم أمة واحدة متفقين على دين الفطرة، وهو التوحيد والتنزيه، فاختلَفوا، فبعث الله اليهم النبيين، وأنزل معهم الكتاب يرشدهم إلى الحق، وليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه. وما اختلف في الكتاب إلا الذين أعطوه، أي أنهم عكسوا الأمر، فجعلوا ما أنزل لإزالة الخلاف سبباً لاستحكامه، تحاسداً منهم، فهدى الله المؤمنين للحق، والله يهدي من يشاء إلى صراط قويم.

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاُخْتَلَفُوا، وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

فانظر كيف جاءت الفلسفة في القرن العشرين تقرر ما نص عليه القرآن قبل نحو أربعة عشر قرناً؟ وهذا قليل من كثير من معجزات الاسلام العلمية والفلسفية التي سنلتم بها هنا واحدة واحدة « ولتعلمن نبأه بعد حين » محمد فريد وهري

## الفضائل الخمس

قال علي كرم الله وجهه: أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها اباط الابل لكانت لذلك أهلاً: لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه. وعليكم بالصبر فإن الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه.

## أبو بكر الصديق

لم يقف ثبات أبي بكر عند الحد الذي أشرنا اليه في مقالاتنا السابقة ، بل إن في موقفه الذي سأقصه عليك في مسألة إنفاذ جيش أسامة الذي عقد لواءه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبئك بعظمة أبي بكر ، ورفعة شأنه ، مع لين وتواضع : ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قد أعدّ قبل وفاته جيشاً ، وأمر عليه مولاة أسامة بن زيد لبعثة الى الشام ، فتأخر الجيش عن السفر لارضه عليه السلام ووفاته . فلما بويع لأبي بكر ، وكان الوقت عصيباً ، إذ لم يكد يبلغ الناس خبر وفاته عليه السلام حتى ارتد منهم كثير ، ومنع بعضهم الزكاة ، كما مر بك ، أنفذ أبو بكر جيش أسامة والحال ما وصفنا ، لأنه لم يكن ليؤخر شيئاً أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد قال له الناس : إن هؤلاء الذين مع أسامة هم جند المسلمين ، والعرب قد انتقضت بك ، فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : والذي نفسى بيده لو ظننت أن السباع تتخطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ! فانظر الى قوة الإرادة ، والى الثبات أمام الأخطار والخطوب فى مثل ذلك الموقف الحرج ، لا تجده إلا فى مثل أبي بكر رضى الله عنه .

أمر رضى الله عنه بالتجهز ، وأن يخرج الجيش من المعسكر ، فلما خرجوا وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه — وكان معه فى جيشه — الى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس ، وقال : إن معى وجوه الناس وجاتهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون ، فلم يثن ذلك أبا بكر عن عزمه ، بل استمر ثابتاً على رأيه ، وقال لعمر : إن خطفتى السكلاب والذئاب ، لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ، ولو لم يبق فى القرية غيرى لأنفذته .



حصل هذا ، وحصل أن طلب كبار الأنصار ممن كانوا في جيش أسامة من عمر بن الخطاب أن يطلب الي أبي بكر أن يولى أمرهم من هو أسن من أسامة ، فلما أفضى عمر الى الخليفة بما حمل من رسالة ، أبى إلا المضاء فيما أمر رسول الله ، واشتد على عمر حتى أخذ بلحيته ، وقال له : عدمتك أمك وشكلتك يا ابن الخطاب ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطلب الى أن أنزعه !

ولقد أعطى أبو بكر المسلمين درسا في الأخلاق أراد به أن ينتزع ما في ضمائرهم من آثار الجاهلية ، والتمسك بعرى التفاضل بالأنساب ، وأن يحو من نفوسهم كل أثر من آثار الكبرياء ، فخرج بنفسه رضى الله عنه ، حتى وافى الجيش وشيعه ماشيا وأسامة راكب . فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لا تزلن . فقال : والله لا نزلت ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ! فلم يسع الأنصار وقد رأوا خليفة الرسول ماشيا في ركاب أسامة إلا السكوت ، ولم يبدر من أحد منهم بادرة قط ، وساروا صحبته وأبدوا ما عرفوا به من إخلاص في الجهاد .

ولم يشأ الوقوف عند هذا الدرس ، بل أراد أن يفهم الجيش أنه تجب الطاعة للقائد ، والوقوف عند رأيه مهما تكن سنه ، فتقدم وهو خليفة الى أسامة ، وطلب اليه أن يترك له عمر ، قائلا له : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له .

خليفة رسول الله يستأذن من قائد جيشه في أن يترك له جنديا من جنوده ، وقد كان في وسعه أن يستثنى ما شاء من الجند . رجل هذا شأنه حرى بأن تطيعه المسلمون ، وأن تتأدب جيوشه بأدبه . وإذا لاحظت أن أبا بكر رضى الله عنه رأى أنه إن توقف عن إنفاذ جيش أسامة الى الوجه الذى أعد له ، شعرت قلوب العرب بضعف المسلمين عن حماية أنفسهم ، فيقطع الذى في قلبه مرض ، وأن إنفاذه إمضاء لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصوير المسلمين في النفوس بصورة القوى

الجرىء الذى لم يحتاج قلبه خوف ولا وجل ، علمت أن ثبات أبى بكر وقوة إرادته كانا مقرونين بحسن الرأى والتدبير .

### أعماله :

قام أبو بكر رضى الله عنه أيام خلافته بأعظم الأعمال ، ومن ذلك بل من أهم أعماله جمعه القرآن الكريم ، فقد وفقه الله بسماع مشورة عمر رضى الله عنه ، حيث أشار عليه بجمع القرآن من صدور القراء وبعض الصحف ، فأمر بجمعه وكتبه دون أن ياحق حرفا واحدا منه تغيير أو تبديل . أخرج البخارى عن زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالناس ، وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا أن يجمعه ، وإنى لأرى أن يجمع القرآن . قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعَل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلِكَ صدرى ، فرأيت الذى رأى عمر . قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم ، فقال أبو بكر : إنك شاب عاقل ، ولا تهملك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفنى نقل جبل ما كان أثقل علىّ مما كلفنى به من جمع القرآن ! فقلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجعهُ حتى شرح الله صدرى الذى شرح الله صدر أبى بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعشب وصدور الرجال ، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) الى آخره ، فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها .

ومن أعماله العظيمة عمله على نشر الدين ، وإعلاء كلمة الحق واليقين ، فى كل رقعة من

رقاع الأرض استطاع النفوذ إليها ، فقد أرسل البعوث ، وسير الجيوش الى العراق والشام وغيرها من الممالك ، وهاجم الفرس والروم ، وكاد يتم النصر للمسلمين إبان خلافته لولا أن عاجلته المنية . ومهما يكن من شيء فإنه يرجع الفضل في اتساع رقعة الأمة الإسلامية من بعده ، فقد وضع الأساس ، وسار عليه خلفاؤه من بعده .

### سياسته مع الرعية :

كان أبو بكر سياسيا حنكاً ، يأخذ الناس بالرفق واللين ، ويغفر لهم هفواتهم ، فمن ذلك أنه عفا عن السمط بن الأسود السكندى ، وعمر بن معدى كرب ، والأشعث ابن قيس ، لما جاءوه مكبلين ، فأسر بذلك نفوسهم ، وامتلك ضمايرهم ، وأصبحوا بعدد من أكبر أنصار الإسلام ، وأشد هم عوناً له على أعدائه . كذلك عفا أبو بكر عن خالد بن الوليد رضى الله عنه ولم يسمع فيه مقالة عمر ، من ضرورة إحضار خالد ومعاقبته . ولقد كانت هذه السياسة سبباً في لم شعث المسلمين وجمع كلمتهم ، كما كانت سبباً في الخير العظيم لهم . تتبين هذا من عفوهِ عن خالد ، فقد كان ذلك حكمة نتج عنها الخير العام ، فإن خالد رضى الله عنه كان سيف الله القاطع ، وكان القائد الموفق في الفتح .

وعلى الجملة فإن معاملة أبى بكر لرعيته كانت شدة في غير عنف ، ولينا من غير ضعف ، لا يتعجل العقوبة إلا في قصاص واجب . وكثيراً ما أمره بالرفق والأناة ، قائلاً : إياكم والمثلة في الناس ، فإنها مأثم ومنفرة ، إلا في قصاص .

### زهده أبى بكر وورعه :

كان أبو بكر زاهدا ورعا ، تقيا نقياً . ولسنا ندلل على زهده بأكثر من أن نقص عليك أمره بعد أن ولى خلافة المسلمين ، وكيف استكثر على نفسه أن يستعين بأموال المسلمين على سد حاجته وحاجة عياله ، بل آثر أن يبقى على ما هو عليه من تجارة ، واسكنه لما وجد أنها تستنفد من وقته ما المسلمون في حاجة اليه ، قبل أن يعين له شيء يقيم به أوده ،

لينصرف بكليته الى ما فيه صلاح المسلمين . ومع ذلك أبت نفسه إلا أن ترد ما أخذت من مال المسلمين حين حضرته الوفاة ، حتى لقد قال عمر : لقد أتعب أبو بكر من بعده . روى عن عائشة أنها قالت : لما ولي أبو بكر قال : قد علم قومي أن حرفتي لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلي ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، وسأحترف للمسلمين في مالهم ، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال . وعن عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقبه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة ابن الجراح ، فقال له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق ، قالوا تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فن أين أطعم عيالي ؟ قالوا له : انطلق حتى نفرض لك شيئاً . فانطلق معهم ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن ، فقال عمر : الى القضاء . وقال أبو عبيدة : والى النى . قال عمر : فلقد كان يأتي على الشهر ما يختصم الى فيه اثنان . وعن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : قال رجل لأبي بكر : يا خليفة الله . فقال : لست بخليفة الله والسكنى خليفة لرسول الله ، أنا راض بذلك .

وقد بويع أبو بكر الصديق يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم الاثنين لا ثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان منزله بالسنع ، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر ، فما زاد على ذلك حتى تحول الى منزله بالمدينة ، فأقام هناك بالسنع بعد ما بويع له ستة أشهر ، يغدو على رجله الى المدينة ، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء ممشق ، فيوافي المدينة ويصلي الصلوات بالناس ، فاذا صلى العشاء رجع الى أهله بالسنع . قالوا وكانت له قطعة غنم تروح عليه ، وربما خرج هو نفسه فيها ، وربما كفيها فرعيت له ، وكان يحلب للحى أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن لا تحلب لنا منائح دارنا . فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمر لأحلبنها لكم ، وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت

عليه ، فكان يحلب لهم . فربما قال للجارية من الحى : يا جارية اتحبين أن أرغى لك أو أصرح ؟  
 فربما قالت : أرغ ، وربما قالت : صرح ، فأى ذلك قالت فعل ، فسكت كذلك بالسح  
 ستة أشهر ، ثم نزل الى المدينة فأقام بها ، ونظر فى أمره فقال : لا ، والله ما يصلح أمر الناس  
 التجارة ، وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر فى شأنهم ، وما بد لعيالى مما يصلحهم ، فترك  
 التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ، ويحج ويعتمر .  
 وكان الذى فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم ، فلما حضرته الوفاة قال : ردوا ما عندنا  
 من مال المسلمين فإنى لا أصيب من هذا المال شيئا ، وإن أرضى التى بمكان كذا وكذا  
 للمسلمين بما أصبت من أموالهم . فدفع ذلك الى عمر ، فقال عمر : لقد أتعب من بعده !  
 هذا ونحب قبل أن ننتهى بك أن نقفك على قضاء أبى بكر ، فقد روى عن محمد  
 ابن سيرين أنه قال : لم يكن أحد بعد النبى أهيب لما لا يعلم من أبى بكر ، ولم يكن أحد  
 بعد أبى بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ، وإن أبابكر نزلت به قضية لم نجد لها فى كتاب  
 الله أصلا ولا فى السنة أثر فقال : أجتهد رأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ  
 فنى ، وأستغفر الله .

هذه أخلاق أبى بكر ، من الدعة والرحمة والتواضع ، وهو المميز عن سائر الصحابة ،  
 وهو الذى يقول فيه رسول الله وفى عمر ، وقد رأها مقبلين : إن هذين لسيدا كهول  
 أهل الجنة من الأولين والآخرين : كهولهم وشبابهم ، إلا النبيين والمرسلين . فهلا تخلقنا  
 نحن المسلمين الذين لا حول لنا ولا قوة بأخلاق الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم المقربون  
 المكتوب لهم الجنة ؟ ! ألا إننا ضائعون ، إلا أن تأتيننا رحمة ربك ، إنه واسع عليم : م

طه هبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية

سابقا

# تجلى التدبير الالهى فى أعمال الحيوانات

مشاهدات عجيبة فى حياة الحشرات

ينكر الماديون فى سبيل تأييد مذهبهم كل ما يقف فى وجهه ولو كان من المحسوسات ، وهذه خصلة فيهم كانت أشد على مذهبهم من كل الدلائل التى قامت ضده ، فأتهموا من أجلها بما يجب أن يتنزه عنه كل سليم الفطرة مستقيم السيرة .

من أقوى الإشكالات التى رُموا بها ما توجه اليهم من ناحية الإلهام الإلهى للحيوانات ، وخاصة الضعيفة منها ، فقد سُئلوا عن مصدر الأعمال الحيرة للعقل التى يقوم عليها الحيوانات فى بناء بيوتها ، وتربية صغارها ، وتدريبها على ما يحفظ وجودها من المحاولات ، وعدم تركها إياها ، حتى تكون قد بلغت حدا تستطيع معه أن تعيش مستقلة عنها .

فكان جوابهم أن تلك الأعمال كلها عادات موروثية ، أى أن أمهاتها وآباءها قد قامت على وسائل لحفظ وجودها ، وتربية صغارها ، فورثها عنها أخلافها .

فلما سُئلوا : ومن أين نشأت تلك العادات ؟ أجابوا بأنها هديت إليها على طريق التدرج فى آماد طويلة .

فلما سُئلوا : وكيف أمكن أسلافها ، ولم يهتدوا بعد الى تلك الوسائل كاملة ، أن تحفظ وجودها ووجود أنواعها ؟ أجابوا بأنها قبل أن تصل الى السكمال من تلك الوسائل قد هلك منها عدد لا يحصى ، وما بقى منها تناوله ناموس التطور حتى أوصلها الى ما هى فيه اليوم .

ومن العجيب أن تملج صدورهم على هذه الأجوبة الركيكة، وترتاح اليها نفوس مقلديهم دون أن يشعروا بأقل حرج منها .

ولكن العلم بُدِئَ به فى دراسة حياة الحيوانات قد وصل الى اكتشاف عجائب من هذا النوع تجعل هذه التعليقات فى مستوى الأضاليل التى لا يصح أن يقول بها رجال يدعون أنهم من أهل التحصيل الدقيق ، والأسلوب العملى .  
فلأت على شئ من تلك الاكتشافات العلمية التى تهدم آراء الماديين هدمًا لا قيام لها بعده .

لندع ما يبتنيه النحل من الخلايا المسدسة الأشكال ، وما يقيمه كلب البحر من السدود على الأنهار ، وما يأتيه النمل من الأمور المحيرة للعقل ، وما تفعله الطيور من العجائب ، لندع كل ذلك ، وننظر فيما اطلع عليه العلماء من مراقبتهم للحشرات .

فنها أن الفراشة متى وصلت الى الطور الثالث من حياتها ، تضع بيضها على هيئة دوائر على الأوراق الخضراء . هذا البيض لا يفقس إلا فى الفصل التالى ، فيخرج على هيئة ديدان صغيرة فى الوقت الذى تكون فيه أمهاتها فى عداد الأموات ، أى أنها لا تراها . فن الذى علم الفراشة أن صغارها متى خرجت احتاجت الى التغذى يجنى النباتات الخضراء ؟ ومن الذى هداها الى وضع بيضها على تلك النباتات ؟ هل هدها الى ذلك أمهاتها ؟ لا ، فإنها لم ترها فى حياتها .

ومن تلك المشاهدات أن الحشرات المسماة ( نيكروفور ) تموت بعد أن تبيض مباشرة ، أى أنها لا ترى لها ذرية أبدا ، ولم ير فرد من أفرادها له أما أو ولدا ، ولكن من العجيب أن هذه الحيوانات قبل أن تبيض تعنى غاية العناية بجمع جثث حيوانية تضعها بجانب بيضها ، لتصلح أغذية لصغارها متى خرجت . فى أى كتاب قرأت هذه الحيوانات أن بيضها يحتوى على صغار ، وأن تلك الصغار ستخرج محتاجة الى غذاء ، وأن

ما تحتاجه تلك الصغار هو تلك الجثث الحيوانية ؟ ألا يدل هذا على عناية الله بمخلوقاته وعلى توليه لهم بالإلهام والهداية ؟

ومن أعجب المشاهدات من هذا القبيل أن الحيوانات المسماة (بومبيل) من أكلة الحشائش ، ولكن صغارها تولد محتاجة للتغذى من الحيوانات . فترى الأمهات تعمد الى وضع بيضها على أجساد الحيوانات ، حتى إذا خرجت صغارها وجدت ما تغتذى به . فن الذى أدراها أن صغارها يجب أن تغتذى فى أول أمرها بالحيوانات ؟

ومن المدهشات فى هذا الباب ، الحيوانات المسماة (أوديتير) و (سفسكس) فإن صغارها متى خرجت من البويضات احتاجت أن تغتذى بأجساد حيوانات حية . فترى أمهاتها متى باضت عمدت الى اصطيد حيوانات ، فهى لا تقتلها ، ولكنها تضربها بحيث تمنعها الحركة ، وتركها بعضها على بعض على تلك الحالة من العجز ، فإذا خرجت صغارها وجدت أمامها لغذاءها حيوانات حية ، وإن كانت لا تستطيع الحركة .

ومن محيرات العقل فى أمر إلهام الحيوانات ما تكلم عنه الأستاذ (ميلن أدوارد) فى جامعة السوربون بفرنسا من حياة الحيوانات المسماة (أكسيلا كوب) ، فقد قال : إن هذه الحيوانات التى تراها طائرة فى الربيع ، تعيش منفردة ، وتموت بعد أن تبيض مباشرة ، فلم ير صغارها أمهاتها ، ولا تعيش هى حتى ترى أولادها التى تكون على حالة ديدان لا أرجل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ، ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضى أن تعيش مدة سنة من الزمان ، فى مسكن مقفل ، وهدوء تام ، وإلا هلكت .

فترى الأم متى حان وقت بويضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا ، فإذا أنتمت على ما ينبغى شرعت فى جاب ذخيرة اليه تكفى صغارها سنة كاملة ،



وتلك الذخيرة تتألف من طلع الأزهار، وبعض الأوراق السكرية، فتحشوها فى قاع السرداب، ثم تضع بيضة، وتأتى بعد ذلك بنشارة الخشب، فتكون منها عينة تجعل منها سقفاً على تلك البيضة، ثم تأتى بذخيرة جديدة فتضعها فوق ذلك السقف، وتجعل فيه بيضة أخرى، وهلم جرا، فتبنى بيتاً مؤلفاً من عدة طبقات، ثم تترك ذلك كله وتموت.

قال العلامة (ميان ادوار) مؤرد هذه المشاهدة عقب إيرادها :

« يجب أن يدهش الانسان حين يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالاً يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست غير نتائج الاتفاق، أو بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة » .

ونحن يحسن بنا أن نقف عند هذا الحد، واعدن بإيراد عجائب من نوعها، لتكون حججاً ناطقة على وجود الصانع الحكيم، وعلى توليه مخلوقاته بالهداية والتدبير، مصداقاً لقوله تعالى : ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) محمد فريد ومجدى

## من لباب الحكمة الاسلامية

قال على كرم الله وجهه : لسان العاقل من وراء قلبه، وقلب الأحمق من وراء لسانه .

قال جامع كلامه رضى الله عنه عقب هذه الحكمة :

« وهذه من المعانى الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية، ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلمات كلامه مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع لسانه . وقد روى عنه عليه السلام ( يريد عن على نفسه ) هذا المعنى بلفظ آخر وهو قوله : قلب الأحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه . ومعناها واحد .

## في تنظيم الاحسان طهأئينة المحسنين

قال الله تعالى : ( لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَقُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَابٍ ) .

جدت في هذه السنة حركة نرجو أن يكون فيها للأمة خير وبركة . تلك حركة مقاومة التسول الصناعي ، الذي ابتليت به الأمة في فئة من أبنائها ، انحطت نفوسهم ، وفقدوا الكرامة والعزة ، وذهب عنهم الإحساس بشيء يسمى شهما أو إباء ، أو شرفا أو عفة ، فلم يكن لهم همٌّ إلا في إحراز ما في يد الغير بلا مقابل ، سوى الظهور بمظهر العجز والفقر والمسكنة ، يصرفون من التفكير في ابتكار الأساليب الخداعة ما يستدر الدموع من العيون رحمة بهم ، ويدرك الألف بالصدقات إحسانا إليهم ، ويبقى الناس في عمالة من أمرهم ، وجهل بدخيلة حالهم ، حتى ينقضى عمر أحدهم — وما أطول أعمارهم — فيتكشف الأمر عن ثروة متنوعة من مال مختلف الأشكال ، ما بين فلوس صغيرة ، ونقود ذهبية وفضية وفيرة ، وأوراق مالية كثيرة ، وأمتعة مختلفة الأشكال لا تجمعها رابطة ، ولا يأنف منها قديم بجديد .

بلى : وقد يظهر مع هذا كله عقارات ثمينة ، وعمارات شاهقة ، فيدرك الناس أمران لا مفر منهما : دهش يملك عليهم تفكيرهم ؛ وندم على ما أعطوا لأولئك الخداعين المغررين يملك عليهم أيديهم ، فلا تطاوعهم بعدها بعطاء لمن يظهر بمظهر المسكنة ، بل نرى الكثير من المحسنين يكون أكثر ما يكون إساءة ظن بالمستجدي متى رأى أثر المبالغة في إظهاره للمسكنة . وهنا ينجم شران مستطيران ، أشدهما : قبض

يد الإحسان عن المستحقين الحقيقيين . وثانيهما : ظهور هؤلاء المتسكعين بالمظهر المشوه للمجموع الإنسانى ، المصور للأمة بصورة شنيعة : من فقد الشفقة ، وانحلال الرابطة . من هذا كله كان نظر العقلاء وأهل الخير الى مشروع قانون التسول نظر اغتباط ورضا ، نظر ارتياح واستحسان . وإنا لندرجو من هذا الاغتباط والرضا ، من هذا الارتياح والاستحسان ، أن يكون مصدر خير عظيم لا مداد مشروعات الملاجىء الخيرية ، التى أعدت لإيواء من يثبت أنهم مستحقون للإحسان استحقاقا صادقا ، وأنهم عاجزون عن الكسب عجزا حقيقيا . أولئك الذين لا يستطيعون ضربا فى الأرض ومنهم من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وهم أقل أولئك التعساء حظا من الإحسان ، لأنهم لا يسألون الناس إلفا ، وقد بدت عليهم آثار التربة ، بل الخهضة . فمن تتبع حالهم عرفهم بسيماهم معرفة صحيحة ، لا تلبس فيها ولا تدليس .

هذا هو تنظيم الإحسان ، وهذا هو باب الطائفة للمحسنين على أن إحسانهم قد صادف محلا ، وأن برهم قد لاقى موضع الحاجة ، وذلك أكبر ما يعنى المحسن فى إحسانه .

ولقد ينقطع بذلك تعامل المتعللين فى قبض أيديهم عن الخير بقولهم : وما يدريك فلعل الذى يستجديك هو أغنى منك وأثرى ! وكيف كنا نلومهم وقد تفنن الناس فى الأقاصيص عنهم بالحق وبالباطل ، بما ملأ النفوس اشمئزا من تلك الفئة وقسوة عليها ، وقد يكون ذلك فى بعضهم لا فى أكثرهم . ولكن الشك إذا دخل نفس المحسن كان قبض اليد أقرب اليه من بسطها . وإن حادثة واحدة تنشرها صحيفة يومية عن مستجد خلف ثروة كبيرة ، لكافية لاختلاق مائة قصة تشبهها ، من قديم وجديد ، من خيال مختلق ، بتفنن متقن ، ومن حادثة حقيقية . والنفوس مولعة بالأصغاء المستغربات . وإن أمارة تمكن الخير من نفوس الأمة وتأصل عاطفة الإحسان فيها ، أن تقبل

على إمداد هذه الأعمال الخيرية المحضة ، سواء منها الملاجىء المستجدة أو القديمة ، أو مطاعم الشعب التى أغدقت على كثير من البؤساء الذين لا تكاد أيديهم تصل الى عمل منتج يبرون به أنفسهم وأولادهم . ولو أن عطاءنا سمحوا لأنفسهم الفينة بعد الفينة فى تعرف حال العاملين فى بعض المهن الشاقة الضعيفة الإنتاج ، لرأوا فيهم بابا واسعا للشفقة والرأفة . وخير أن يكون برهم عن طريق فيه حفظ لكرامتهم نوعا ما ، أو على الأقل فيه السلامة من تعويدهم الاستجداء الذى متى ذاقوه استمرأوه وأكبوا عليه ، فلا ترتفع رأسهم لعمل نافع ، ولا لحفظ كرامة .

ولنشعر أنفسنا فى كل حال أن هذا العطف والبر بالفقير على ذلك الوجه الجميل يتضمن معنى مما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وكفى بالتسائد فى أصل العيش وضرورة الحياة شدا لبناء الأمم ، وتمتينا لصلاتها . نسأله جلت قدرته أن يوفق الجميع الى ما فيه رضاه ، والله المستعان .

ابراهيم الجبالي

## طرائف حكيمية

قال على كرم الله وجهه :

قدر الرجل على قدر همته ، وصدقه على قدر مروءته ، وشجاعته على قدر أنفته ، وعفته على قدر غيرته .

وقال أيضا : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا لقدرة عليه .

وقال أيضا : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفره منهم .

وقال أيضا : إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر .

# تراجع الفلسفة عن موقفها الإلحادى

كلام عن النواميس الطبيعية وآراء العلماء فيها

لما افتتن أهل الفلسفة بنظرياتهم التى تواضعوا عليها فى عهد نهضتهم منذ نحو ثلاثة قرون، كان فى مقدمة ما تواضعوا عليه وجعلوه أساسا لجميع بحوثهم فى الطبيعة، أن المادة محكومة بنواميس ثابتة قديمة مثلها، وأن هذه النواميس فى انتظامها وترابطها تكفى لإحداث الخليقة من أدنى رتبها الى الانسان نفسه دون أن تحتاج الى مدبر يدبرها. وهم يريدون بهذه النواميس القوى التى تربط بين أجزاء المواد، وتتولى تطوراتها المختلفة، وتقود حركات تدرجها الى السكال، وتطبع فيها الصور المنوعة، وتحدث علاقاتها المتبادلة، فإن شئت كائن عن نظامها المقرر لسبب من الأسباب، فلا تزال به حتى تخضعه له أو تبديه.

نعم إن الأقدمين قد قالوا بما يقرب من هذا الافتراض، إلا أنهم لم يباغوا منه الى الحد الذى بلغه المحدثون، ولم ينسقوه تنسيق هؤلاء له، فكان هذا رأى من أراكين الفلسفة حائلا بين بعض الناظرين وبين القول بالقدرة الإلهية.

ولكن حدث ما لم يكن فى حساب أحد، فإن التطور العلمى قد دفع رجالا من أهل البصر الى إعادة النظر فى هذا الافتراض على ضوء الاكتشافات الحديثة، فتبين لهم أنه من الوهن بحيث لا يثبت أمام النقد، ولا يكفى فى تعليل وجود الكائنات وحفظها، وفى تنويع صورها، وتولى تطوراتها، فصرحوا بأن القول بقدمها يناقض بدهة العقل، ولا يفسر غوامض الطبيعة، وأن فى الأصرار على القول به صدا عن فهم أسرار الوجود، وحائلا دون الوصول الى الحقيقة، وهى الغرض الأول لجميع المحاولات

الفلسفية . فكان لهذه المفاجأة أثر كبير في الدوائر العلمية ، فهتت لدحضه بادیء ذی بدء ، ولكنها اضطرت أخيرا الى قبوله ، فكان عهدا جديدا للفلسفة تأدّت به الى إثبات القدرة الإلهية من طريق النظر في الحوادث السكونية .

من أنجب من كتبوا في هذا الموضوع العلامة الفرنسي ( أميل بوترو ) العضو بالجمع العلمي ، فقد نشر كتابا أسماه ( حدوث النواميس الطبيعية ) جاء فيه ما يأتي :

« إن العالم يرينا في كل ناحية من نواحي الوجود تغيرا وارتقاء وانحطاطا ، وهذا يقتضى القول بحدوث النواميس وقبولها للتغير ، وليس هذا يصدق على النواميس الجزئية فحسب ، ولكن على النواميس الكلية التي تجمع تلك النواميس الجزئية وتسيطر عليها . »

يريد الأستاذ ( بوترو ) من النواميس الجزئية ، التي تظهر في صغريات الحوادث الطبيعية ، وتقود حركاتها الفردية . ويريد من النواميس الكلية التي يعم حكمها هذه الحركات الفردية ، ويوفق بينها وبين النظام العام السائد في السكون .

ثم شرع الأستاذ ( بوترو ) يتوسع في التدليل على ما ذهب اليه ، فقال ما مؤداه : إذا صح ما يزعمونه من أن المادة قديمة لم تحدث من عدم ، وأنها باقية لا تتلاشى ، وقلنا إن النواميس الطبيعية هي التي تقود هذا النظام العالمي ، فما الذي يفسر لنا ما نراه في نواحي الوجود من التغير والارتقاء والانحطاط ، إذا كان هذا العالم مقودا بنواميس طبيعية قديمة ؟ أفما كان ينبغي إذا صح ذلك أن هذا النظام العالمي يكون من مبدئه الى منتهاه على حالة واحدة ، دون أن يكون لما فيه من الموجودات قيم متفاوتة ، ودون أن يتغير من ارتقاء الى انحطاط ، ومن انحطاط الى ارتقاء ؟ ألا يدل هذا على خطأ ما يزعمونه من أن العالم مقود بنواميس طبيعية ، وأن تلك النواميس قديمة لا إدراك لها ولا اختيار ؟

إن الإنسان في علاقته مع ما يحيط به من العالم ليس واقفا موقف المنفعل الذي لا يستطيع أن يفعل، ولا أن يؤثر فيما بين يديه من الموجودات، فهو في كل آن تعمل يده في الكائنات التي تدخل في دائرة قدرته، فيحولها من حال الى آخر، ويطبع بعض المواد بما يشاء من الأشكال، ويستخدم بعض النواميس الطبيعية، ليحدث أعمالا أرقى من الأعمال التي كانت موجودة. فأين كانت تلك النواميس الطبيعية حين يعمل الإنسان هذه الأعمال، ولم لم تعقه مرغمة له على احترام أفاعيلها هي، فكانت آثارها هي التي تبدو للعالم دون ما يريده الإنسان من آثار أخرى؟ إن وجود الإنسان وهو كائن شاعر بذاته، لا يمكن تفسيره بأنه أثر لفعل النواميس الطبيعية والفيزيولوجية، لأن وجوده وقيامه بالأعمال المتنوعة والمؤثرة ضد الطبيعة يدل على أنه هو ليس أثرا من آثارها، ولا منفعلا آليا لقواها.

نقول: هذا كلام صريح حاسم، في ضرورة زعزعة سلطان النواميس الطبيعية وإحالتها الى أقدارها الحقيقية، وليس هو بقول فردى يمكن عزوه الى مؤثرات دينية في نفس قائلها ومذيعها، ولسكنه هو الرأي العالمى الراهن، الذى تصدى للكتابة فيه جبهة من أركان العلم العصرى. ونحن مضطرون لإيراد بعض أقوالهم لتقرير هذه الحقيقة الكبرى.

فإليك رأى الفيلسوف الفرنسى (أدوار لوروا) كما نقله عنه العلامة (هنرى بوانكاريه) فى كتابه (قيمة العلم) صفحة ٢٣٤، قال:

«العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره المعبود من الثبوت. فتعليل الحوادث الطبيعية، والقول بوجود النواميس، ليس إلا من مخترعات العلماء أنفسهم، فالعلم لا يستطيع وحالته هذه أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة».

وقال العلامة (هنرى بوانكاريه) ناقل هذه العبارة فى كتابه المتقدم ذكره فى صفحة ٢٧٧ :

« كثيرا ما يتساءل الناس : من ذا الذى يدرى هل النواميس تتطور أم لا ، وهل كانت فى العهد الفحشى على ما هى عليه اليوم ، أم كانت على حال أخرى ؟ » .

ثم ذكر أن محاولة الإجابة على هذه الأسئلة ليست فى قدرة العلم ، فقال : « إن هذا الأمر يتعاضى على كل ضرب من ضروب المراقبة ، بحيث إنه إذا كانت نواميس الطبيعة ليست اليوم على ما كانت عليه فى العهد الفحشى ، فإننا لا نستطيع التحقق من ذلك ، لأننا لا نعلم شيئا عن ذلك العهد إلا ما نستنتجه استنتاجا من افتراضنا عدم تغير النواميس الطبيعية » .

هذا قول ثقة فى العلم بالنواناميس . ونستطيع أن نضيف اليه قول العلامة الدكتور (ج . جولييه) للدرس بجامعة السوربون فى كتابه (من الا شاعر بذاته الى الشاعر بها) قال :

« النواميس التى يزعمون أنها تقود العالم المادى ليست بحاصلة على ما كان يظنه الناس لها من وجوب الوجود ، إذ ثبت أن قيمتها نسبية ليس إلا . وعليه فيمكن أن لا توجد أجلا محدودا ، وأن تتغير بعارض من العوارض ، وأن يبطل عملها أيضا » . وقال العلامة الكبير (وليم كروكس) رئيس المجمع العلمى الانجليزى ، كما ورد فى مجموعة خطبه صفحة ٣٦ :

« إن ما نسميه ناموسا طبيعيا هو فى حقيقته وجه من وجوه الاتجاه الذى يعمل على موجبه شكل من أشكال القوة . ونحن نستطيع أن نعالل حركات الجواهر الفردة كما نعالل حركات الأجرام السماوية ، ونستطيع أن نستكشف جميع القوانين الطبيعية



للحركة، ولكننا مع هذا لا نكون أقرب مما كنا عليه . والمسألة الوحيدة التى يجب حلها هى: أىّ ضرب من ضروب الإرادة والفكر موجود خلف هذه الحركات الجوهرية، مجبرا إياها على اتباع طريق مرسوم لها من قبل؟ وماهى العلة العاملة التى تؤثر من وراء حجاب؟ وأى ازدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفة للجواهر الفردة خارجة عن النواميس الطبيعية، بحيث يحاها على تكوين هذا العالم المادى الذى نعيش فيه؟»

وقال هذا العلامة نفسه من خطبة له أخرى فى تلك المجموعة نفسها :

« متى امتحننا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية ، نبداً بإدراك : الى أى حد تنحصر هذه القوى ، أو كما نسميها النواميس ، فى دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم ؟ »

هذه حكاية حال بعض كبار العلماء فى مسألة النواميس الطبيعية . ومنها يرى القارىء الى أى حد بلغ بهم الخروج من سلطانها الوهى . وإنا ننشرها ونشر أمثالها لتغذية عقول النشء بشمرات العقول العلمية الحديثة ، حتى لا يغتروا بالألفاظ الموضوعية ، ولا يذهبوا فى تقديسها مذاهب لا تتفق وقيمتها الحقيقية . محمد فريد وهبرى

## حكم اسلامية

قال ابو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد : فر من الشرف يتبعك الشرف ، واحرص على الموت توهب لك الحياة .

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا ( أى أن يوليه ) فبادر الرجل بطلب العمل قبل أن يفاتحه فيه ، فقال عمر : والله لقد أردت لك لذلك ، ولكن من طلب هذا الأمر لم يعن عليه .

## الحديث - تدوينه

السنة لغة الطريق المسلوكة . وهي في لسان أهل الشرع : قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وفعله ، وتقريره . وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة هي الأصل الثاني من أصول الأحكام . وقد ثبت بالسنة أحكام كثيرة ، كتحريم لحوم الجحر الأهلية ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وغير ذلك . وفي القرآن ما يشهد بوجوب الأخذ بسنة رسول الله ، قال تعالى : ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) . وقال تعالى : ( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) وقال : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ )

وكون السنة المطهرة حجة من ضروريات الدين ، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام .

وما روى عن رسول الله من طريق ثوبان : « ما أناكم عنى فأعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قتلته وإن خالف فلم أقله » موضوع ، قال الإمام الشافعى : مارواه أحد عمن يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير . وقال يحيى بن معين : إنه موضوع وضعته الزنادقة .

ولا يخفى على المسلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يباغونه عن الله تعالى ، وأن الدليل قد قام على عصمتهم . وقد عنى المسلمون بالأولون بما كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظروا فيما فعله ، وفيما قرره ، وفيما قاله ، فبحثوا الخبر من حيث التواتر وعدمه ، وشرطوا شروطا اسكل ، كما شرطوا فى الخبر وهو الراوى أن يكون مسامحا عاقلا بالغا عدلا ، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه ، كما شرطوا أن يكون الراوى ضابطا لما يرويه .

وأشرف العلوم وأجلها بعد كتاب الله ، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل هذا كانت معرفة هذا العلم موضع نخر الصحابة والتابعين وأتباعهم خلفاً بعد سلف . وقد توافرت عليه رغباتهم ، وانقطعت له همهم ، فكانوا يرحلون له المراحل ، ويحبون له الفياض . وكان اعتمادهم أول الأمر على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر ، ولم يعنوا بكتابته وتسطيره ، لما قيل من أنهم نهوا عن ذلك في أول الأمر خشية أن يشتهب عليهم بالقرآن ، ولسرعة حفظهم ، وكثرة ضبطهم .

غير أنه لما انتشر الاسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الأقطار لكثرة الفتوحات ، ومات معظم الصحابة ، احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة ، فارتسوه من هذه الناحية خشية قلة الضبط ودخول التلبيس على الحق ، فأنفقوا في تحصيله زهرة أعمارهم ، دائبين في العمل ليل نهار ، حتى أبرزوا للناس تصانيف عدة كانت قدوة وقبلة . فجزاهم الله سبحانه وتعالى أحسن الجزاء .

وكان أول من أمر بتدوين الحديث وجمعه بالكتاب ، الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عليه خوف اندراسه كما في الموطأ رواية محمد بن الحسن : أخبرنا يحيى ابن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء . وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى أهل الآفاق : انظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه . فيستفاد منه كما قال الحافظ بن حجر ابتداء تدوين الحديث النبوى . وقال الهروى : ولم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث ، إنما كانوا يؤدون حفظها ، يأخذونها لفظاً ، إلا كتاب الصدقات ، والشئ اليسير الذى يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء ، حتى خيف عليه الدروس ، وأسرع في العلماء الموت ، فأمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن محمد فيما كتب اليه : أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه .

وفي فتح الباري أن أول من جمع في ذلك الريع بن صبيح وسعيد بن أبي عروسة وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب على حدة، إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة، وصنف الامام مالك بن أنس الموطأ بالمدينة، وعبد الملك بن جريج بمكة، وعبد الرحمن الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالكوفة، وحماة بن سلمة بن دينار بالبصرة، ثم تلاهم كثير من الأئمة في التصنيف كل على حسب ما سنع له، وانتهى إليه علمه، فنهى من رتب على المسانيد كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع وغيرهم، ومنهم من رتب على العلل: بأن يجمع في كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه، بحيث يتضح إرسال ما يكون متصلاً، أو وقف ما يكون مرفوعاً، أو غير ذلك. ومنهم من رتب على الأبواب الفقهية وغيرها، ونوعه أنواعاً، وجمع ما ورد في كل نوع وفي كل حكم إثباتاً ونفيًا في باب، بحيث يتميز ما يدخل في الصوم مثلاً عما يتعلق بالصلاة، وأهل هذه الطريقة منهم من تقيّد بالصحيح، كالشيخين وغيرهما، ومنهم من لم يتقيّد بذلك، كباقي أصحاب الكتب الستة. وكان أول من صنف في الصحيح محمد بن إسماعيل البخاري، رحمه الله.

طه حبيب

## طرائف حكمية

قال الحسن البصري رضي الله عنه — وهو من علماء القرن الاسلامي الأول : يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه ؛ أترجو أن تلحق من الآخرة ما لا تطلبه ؟ !

قيل : وقع بين الحسن وأخيه محمد بن علي رضي الله عنهم نزاع ، ومشي الناس بينهما ليصلحوا بينهما ، فكتب محمد إلى أخيه الحسن : أما بعد : فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلوملت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها ، فإذا قرأت كتابي هذا فا قدم حتى تترضاني ، فإنك أحق بالفضل مني ، والسلام .

## تربية النفس بالنفس

للدكتور الأستاذ پول دوبوا مؤلف جليل القدر أسماء « تربية النفس بالنفس »  
نرى أن نقتطف منه فذلكات قيمة للاستفادة من بحوثه في هذا الصدد .

قال في مقدمة كتابه : الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي لا يعرف كيف يعيش .  
هذا ما كنت أحدث به نفسي بعد أن استمعت لشكوى مرضاى ، فلم يكن أهمهم هو  
الذى أوحى الىّ هذا الرأى . وإنما هو ما رأيت من أنهم كانوا هم أنفسهم وأقرباؤهم  
ومعاشروهم أسبابا لشقاؤهم ، وعند تأملى فى حال أولئك المساكين كنت أقول فى نفسى :  
إن كل ما يشكون منه كان من المستطاع أن لا يقع ، ويجب أن لا يتكرر وقوعه .  
والتربية تلعب من ناحيتها دورا هاما فى تكوين تلك العقليات المرضية .

حقا : إنها هى أكبر جان ، وليس هناك فرض آخر ممكن ، ذلك أننا لا نتعلم  
كيف نفكر .

نحن فى حاجة الى التفكير فى هذه الحياة ، الى إدراك صحيح للأشياء ، فنحن إذا  
تعلق الأمر بحماية مصالحنا المادية ، نظهر كثيرا من التبصر والمهارة ، ولكننا نفقد  
هذا النشاط العقلى متى كان الأمر متعلقا بحياتنا الأدبية وبسلوكنا .

نحن نشعر شعورا مختلف الدرجات بضرورة التخلص من عيوبنا الأدبية ،  
وبضرورة إنماء الصفات الحسنة فى نفوسنا ، ونحب أن نفرض على غيرنا هذا العمل  
الشاق ، ولكننا نشعر بشيء من اليأس عند ما نرى بطء هذا التقدم العام . لذلك نرى  
الناس يقابلون بابتسامة الشك كل اقتراح يرمى الى تقويم أخلاق الأفراد والجماعات .  
وليس بمثل هذه الحالة النفسية نستطيع أن نعمل للنفع العام ، بل يجب على العكس  
أن نعتقد بأنه فى الإمكان إصلاح عقلية الناس ، وأن نزرع كل نبات ، ونواله بصبر

وثبات ، وأن تتوقع منه محصولاً قيمياً ، عند ذاك لا نقف عند حد عملنا ولا نعتبره من أعمال السخرة ، بل نعجب به ، ونجد في هذا العمل جذلاً في الحال ، وأملاً في المآل .

### الحصول على السعادة :

لم نجد إلاّ إنسان كثير الغيرة ، شديد الاهتمام بتربية عقليته ، وبالتأثير في معاشريه ؟ لا شك أن غرضه من ذلك هو الحصول على أكبر قسط من السعادة الممكنة في هذه الدنيا <sup>(١)</sup> فالباعث الوحيد لأعمال الإنسان هو الحصول على هذه السعادة ، وقد اعتبروا أن ميل الإنسان الفطري لحفظ ذاته هو الإلهام الأولي لكل مخلوق حي . ليس هذا بصحيح في جميع الأحوال ، والذي يهمنا هنا هو أن نبحت أين تنوى هذه السعادة التي تتمتعش لها الإنسانية ؟

الذي يجب علينا أن نعرفه أن الحياة غرضاً واحداً ، وهو العيش على أكمل الأحوال . والإنسان تعمى عليه الطريق التي توصله إلى هذا الغرض ، فيبحث عنها في توفية جميع شهواته بما يسعه إمكانه من متاع مادي وعقلي ، ولكن السعادة الحقيقية ليست في إشباع هذه الشهوات مهما كانت مشروعة ، ولكن هنالك حقيقة تبهر أعيننا ، وهي أن جميع السعادات الجزئية فانية متحولة . فالثروة تضع ، والشهرة العالمية والسكراتية والفنية تتبخر مع الزمن متى صادفت حساداً منافسين ، والصحة تضمحل ، والمتاع البيتي والزوجي والأبوى لا بقاء له ككل ما سبقه ، فهل يقال من أجل هذا إن السعادة ( أي الدنيوية ) ليست من حظ هذا العالم ؟ لا ، لست من أصحاب هذا الرأي ، فإن كثيراً من الأحداث الحيوية يمكن تجنبها .

أجل : إن كوارث قد تقع فتكدر صفو حياتنا ولا نستطيع أن نتقيها ، ولكن أتهدم هذه الكوارث سعادتنا النفسية ؟ لا .

(١) المؤلف يريد هنا من السعادة السعادة الدنيوية ، وأما السعادة الكاملة الحققة فقد تكفل الدين بتبيانها وهي غاية ليس وراءها مطمح .

فإذا كنا نرى كثيرا من الناس يلحقهم الفزع من الحياة ، ويبأسون لأقل خيبة تنالهم ، وهؤلاء هم التعمساء حقا ، فإن بإزائهم أرواحا تقوى على تحمل جميع الآلام والأسقام والموت الذى ينزل بذويهم ، فتمطرهم الأحداث صيبا من المصائب ، ولكن سعادتهم القلبية تبقى مع كل هذه الصدمات حية لم يمسهها سوء .

فلنحذر أن نضع كل سعادتنا على مثل أوراق اللعب ، لنغير أمكنتها فى كل لحظة بأيدي غيرنا ، أو لنجعلها عرضة لريح تهب عليها فتبعثرها فى كل مكان .

أنا لست بكبير الاعتماد على ما تؤاتينا به المدنية من المنافع ، وما تمتعنا به من الخيرات المادية فيما يتعلق بمعيشتنا وتغذيتنا وشهوات عقولنا مهما كانت شريفة ، لأن السعادة ليست هنا ، ولكنها فى أعماق موطن من ذواتنا ، وفى الصميم من أفئدتنا ، وهى فى عقولنا على أكمل ما نتخيله من مثل عُلما ، وفى تقدير الحق والجميل والخير .

هذه الحالة النفسية يمكننا أن نحصل عليها بمثابرتنا على تربية نفوسنا تربية أدبية ، فنحن قد لا نبلغ السكال من هذه التربية ، ولكننا بمتابعتها نكون على الأقل جارين على الطريق الموصل الى هذا السكال ، وسعادتنا الوحيدة الحققة التى لا يمكن نقضها هى دائما على نسبة ما نحصله من هذا التكامل المعنوى .

ومهما يكن من جلالة الأعمال التى قام بها الإنسان من ناحية عقله ومثابرتة حتى انكشفت له أسرار الطبيعة وسخر قواها لتعمل على إنالته أغراضه ، فإنه لا يزال فى الشقاء الذى أوجده لنفسه ، وإن هذا الشقاء ليستد وطأته على نفسه كلما رأى أن ثروته التى حصلها له العلم وأوجدتها له الصنائع لا تغنى عنه فى شقائه شيئا .

كل مفكر يرى أن الفضائل التى تقول الأديان إنها تحقق لنا السعادة فى حياة بعد هذه الحياة ، هى فى الواقع الفضائل التى تعطينا السعادة فى هذه الحياة أيضا . ومن العجيب أن الانسان يجهل هذه الحقيقة الواضحة ، أو يصرح علنا بأنه لا يستطيع الجرى على هذه الفضائل .

وإن تكميل الشخصية الأدبية ليس ممكناً إلا بالتربية النفسية ، فكل خطوة نخطوها في هذا الطريق تساعدنا على الحصول على السعادة ، وتجذب اليينا الذين يخضعون لتأثيرنا من حيث يدرون ولا يدرون . وعلى هذا النمط تهذب الجماعات ، فإن الترقى الشخصى هو الذى يقرب مسافة الخلف بين عقلية الجماعات وعقلية الأفراد الممتازين ، ولأجل وصولنا الى هذا التكميل الضرورى ليس لنا من سبيل إلا الفكر ، فإنه المصباح الوحيد الذى ينير علينا الطريق .

( نور الاسلام ) : فى العدد المقبل نلخص لحضرات القراء ما ذكره المؤلف عن الفكر .

## طرائف حكيمة

قال حكيم : كن وصى نفسك ولا تجمع للناس اوصياءك ، وكيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك وقد ضيعتها فى حياتك !

من حلم العلماء ما رواه العلامة الماوردى فى كتابه ( أدب الدنيا والدين ) قال : كنت يوماً فى مجلسى بالبصرة وأنا مقبل على تدريس أصحابى إذ دخل على رجل مسن قد ناهز الثمانين أوجاوزها ، فقال : قد قصدتك بمسألة اخترتك لها . فقلت له : اسأل عافاك الله ، وظننته يسأل عن حادث نزل به . فقال : أخبرنى عن نجم إبليس ونجم آدم ما هو ؟ فإن هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما إلا علماء الدين .

فعجبت وعجب من فى مجلسى سن سؤاله ، وبدر إليه قوم منهم بالانكار والاستخفاف ، فكشفتهم ، وقلت : هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله . فأقبلت عليه وقلت : يا هذا إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم ، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فحينئذ أقبل عليك .

فقال : جزاك الله خيراً ، ثم انصرف مسروراً . فلما كان بعد أيام عاد وقال : ما وجدت الى وقتى هذا من يعرف مولد هذين .



# الفتاوى والأحكام

## الحلف بالمصحف

ورد : ما حكم الحلف بالمصحف ، وقول الحالف : بحق هذا المصحف ما فعلت كذا ؟ وهل يعتبر هذا يمينا شرعيا ؟ وإذا كان فما كفارته ؟

## الجواب

اختلف الأئمة رضوان الله عليهم في الحلف بالمصحف والقرآن وكلام الله : فذهب الأئمة الثلاثة رضوان الله عليهم الى أن الحلف بالمصحف والقرآن وكلام الله عيب . وقال الحنفية إن الأيمان مبنية على العرف فيما لم يرد نهى من الشارع عن الحلف به ، قال السكالي بن الهمام : ثم لا يخفى أن الحلف بالقرآن الآن متعارف فيكون يمينا كما هو قول الأئمة الثلاثة . وأما الحلف بكلام الله تعالى ، فيجب أن يدور مع العرف . ومعناه أن الكلام صفة مشتركة ، فاذا تعارف الناس الحلف بكلام الله كان يمينا ، لأن القصد حينئذ هو الحلف بصفته تعالى فيكون يمينا . وأما المصحف ، فقال العلامة العيني : وعندي لو حلف بالمصحف أو وضع يده عليه وقال : وحق هذا ، فهو عيب ، ولا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبة العوام في الحلف بالمصحف .

أما لو أقسم بما في هذا المصحف من كلام الله تعالى فهو عيب . ولو تبرأ من كلام الله أو من القرآن أو مما في المصحف أو من النبي ، فهو

عيب . ومعنى التبرى من هذا أن يقول : لو فعل كذا كان بريئا من القرآن أو مما في المصحف . وإذا كان يمينا لزم الحالف عند الحنث كفارة عيبين ، وهي المنصوص عليها في الآية في قوله تعالى : ( فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم ) والله أعلم ؟

## المطالب بدين الغير

وورد : هل يطالب الابن بدين أبيه والأب بدين ولده ؟

## الجواب

إن الدين حق في ذمة المدين يطالب به ، ويؤديه من ماله إن كان حيا ، ويؤديه وارثه من مال الميت إن ترك مالا يفي بالدين . وأما الابن أو الأب أو غيرهما فلا يطالب أحد بدين أحد ، إلا إذا كان ضامنا للمدين ، أو كان شريكا له في مال ، وكانت الشركة شركة يترتب عليها مطالبة كل منهما بدين شريكه . والله أعلم ؟

## حكم تعليق الطلاق

وورد ما خلاصته استعلام عن حكم تعليق الطلاق الثلاث على فعل شيء أو تركه ، ثم فعل المحلوف عليه .

### الجواب

إذا علق شخص طلاق زوجته ثلاثاً على فعل شيء أو تركه، فالحكم الشرعى فى ذلك أنه متى تحقق الأمر المعلق عليه، وقع الطلاق الثلاث. وهذا هو المشهور عند الحنفية. غير أن هناك رأياً بأن تعليق الطلاق إن كان القصد منه الحمل على فعل الشيء أو تركه لا غير، لا يترتب عليه وقوع الطلاق المعلق، ما دام القصد ليس إيقاع الطلاق. أما إذا كان القصد إيقاع الطلاق فإنه يقع. وقد جرت الحكومة المصرية على هذا الرأى، وصدر مرسوم ملكى بقانون نمرة ٢٥ سنة ١٩٢٩ وجرت عليه المحاكم الشرعية فى مصر من وقت صدور القانون. وقد جرى هذا القانون أيضاً على أن الطلاق الثلاث منجزاً أو معلقاً يقع واحدة فقط. والله أعلم.

راجع مادة نمرة ٢ ومادة نمرة ٥ من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ م.

### الطلاق قبل النكاح

وورد: ما هو الحكم فيما إذا قال الرجل: كل امرأة أتزوجها فهى طالق، أو إن فعلت كذا فأول امرأة أتزوجها طالق؟

### الجواب

من قال لامرأة: إن تزوجتك فأنت طالق، أو كل امرأة أتزوجها فهى طالق، أو إن فعلت كذا فأول امرأة أتزوجها طالق، صح

هذا ووقع اليمين عند حصول الشرط عند الحنفية، إذ يكفى لصحة التعليق أن يكون فى الملك أو مضافاً الى الملك. وقال الشافعى رحمه الله: لا يقع. ونقل عن على وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم، وبه قال الامام أحمد. وقال الامام مالك: إن خص بلداً أو قبيلة أو صنفاً أو امرأة، صح، وإن عمم مطلقاً لا يجوز إذ فيه سد باب النكاح. واستدل من يقول بعدم صحة هذه الأيمان بقوله صلى الله عليه وسلم: لا طلاق قبل النكاح. أخرجه ابن ماجه من حديث الثور بن مخزوم. وفى رواية أخرى: لا طلاق قبل النكاح، ولا علق قبل ملك. وأخرج أبو داود والترمذى عنه صلى الله عليه وسلم: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك، ولا علق له فيما لا يملك، ولا طلاق له فيما لا يملك. قال الترمذى: حسن وهو أحسن شيء روى فى هذا الباب. وأخرج الدارقطنى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل قال: يوم أتزوج فلانة فهى طالق ثلاثاً، قال: طلق ما لا يملك. وأخرج أيضاً عن أبى ثعلبة الخشنى قال: قال عملى: اعمل لى مملاتى أزواجك ابنتى. فقلت: إن تزوجتها فهى طالق ثلاثاً، ثم بدلى أن أتزوجها، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فقال لى: تزوجها فإنه لا طلاق إلا بعد النكاح. قال: فتزوجها فولدت لى سعداً وسعيداً. وقد ناقش الحنفية فى هذه الأدلة بما لا يتحمله البحث هنا. ومن هذا يعلم جواب السؤال فى المذاهب الأربعة، والله أعلم.

### المندوب فعده شرعا في الأفراح

وورد السؤال عما يندب عمله شرعا في الأفراح ، وعما هو منهي عنه فيها مما يحصل فعله كثيرا ببلادنا .

#### الجواب

إن المندوب فعله في الأفراح هو أن يؤلم الشخص ويطعم بقدر ما يسعه ، ولا يطلب الى غير القادر شيء . ولا باس بالزفاف وهو أن يجتمع النساء وحدهن والرجال وحدهم لحضور عرس وزفاف عروس ، ولا مانع من أن يكون لدى النساء شيء من اللّهُو الذي لا يصل الى منكر شرعا كالدّف . أما اللّهُو المحرم كالرقص وغناء النساء بصوت مرتفع فيحظر شرعا ، سواء كان ذلك للنساء أو للرجال . ومن هذا يعلم أن ما جرت عليه عادة الناس

الآن من القيام بحفلات كبيرة يتخللها الغناء والرقص وتبرز فيها النساء متبرجات وقد يختلطن بالرجال ، لا يجوز شرعا . كذلك لا يجوز شرعا أن يرهق الشخص نفسه ويعمل ما لا يستطيعه من ولائم وأفراح ليست جائزة وتؤدي به الى الاستدانة ، وقد تكون الاستدانة من غير طريق شرعى . وحبذا لو أن أهل العروسين اقتصروا على ما كان عليه السلف الصالح من إشهار الزواج وعمل الزفاف على الوجه المشروع بدل التوسع والبذخ المؤدى لهلاك المال في غير وجهه الشرعى . وحبذا لو فقه الناس والتفتوا لما يصيبهم من هذا ، فتعارفوا على عدم المبالغة والمغالاة في المهور والجهاز والاحتفالات ، وأعطوا ذلك المال للزوج أو للزوجة ، ليكون رأس مال لهم ينفعهم عند الملمات . والله أعلم ما

طه مبيب

### تنبيه هام لحضرات المشتركين

نرجو من كل مشترك أن يتفضل بذكر رقم اشتراكه (الموضوع على الغلاف) عند كل كتاب يرسله إلينا ، ليسهل علينا مراجعة اسمه ، وعمل ما يطلبه إلينا على وجه السرعة .

## نوابغ الكلم

روى انه اجتمع حكما العرب : عمرو بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسي عند أحد ملوك حمير باليمن . فقال لهما : تساءلا حتى أسمع ما تقولان .

فقال عمرو لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذى الرتبة العديم ( أى الفقير ) ، وعند ذى الخلّة ( أى الحاجة ) الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف الحليم .

قال فمن أحق الناس بالملق ؟ فقال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والغبي القوال . قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ فقال : الحريص الكاند ( أى منكر الفضل ) ، والمستفيد الحاسد ، والمحالف الواجد .

قال فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ فقال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا مظل صبر ، وإذا قدم العهد ذكر .

قال فمن أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إذا قرب منح ، وإذا ظلم صفح ، وإن ضويق سمح . قال فمن ألأم الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك كنع ، ظاهره جشع ، وباطنه طمع .

قال فمن أجل الناس ؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجل إذا انتصر ، ولم تطفه عزة الظفر . قال فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجعل العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيب دبر أذنيه ( أى أعرض عنه ) .

قال فمن أخرق الناس ؟ ( أى أحمقهم ) ؟ قال : من ركب الخطار ، واعتسف العثار ، وأسرع فى البدار ، قبل الاقتدار .

قال فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود .

قال فمن أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى المزيز ، باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحريز .

قال فمن أنعم الناس عيشا ؟ قال من تحلى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف الى ما لا يخاف .

قال فمن أشقى الناس ؟ قال من حسد على النعم ، وسخط على القسم ؛ واستشعر الندم على ما انحتم .

قال فمن أغنى الناس ؟ قال من استشعر اليأس ، وأظهر التجمل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم .

قال فمن أحكم الناس ؟ قال : من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر .

قال فمن أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخرق مغنا ، والتجاوز مغرما .

He goes on to say “Doomsday is not one of the ordinary days, but it is a day which begins with the appearance of the Great Manifestation and ends with the universal cycle”.

This is how the Bahaists interpret Judgment and resurrection day. They interpret Paradise as spiritual life and Hell as spiritual death. The following is recorded in the above book :

“Paradise and Hell in the Scriptures are symbolic facts. According to Abdul-Bahai and his son Abbas, Paradise is a state of perfection while Hell is a state of imperfection. Paradise is therefore spiritual life and Hell spiritual death”.

Ibn Hamed Al-Ghazali records the Batinists to say :

“All the apparent meanings of the ordained injunctions, doomsday and other divine matters are figurative and symbolic of certain esoteric meanings”. He then gave a few instances of their erroneous and misguided interpretations.

In the denial of resurrection, they followed in the footsteps of the naturalists and were completely taken in by their heresies which could not withstand the arguments of the Holy Koran :

«أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ.  
وَضَرَبَ كُنَّا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“Doth not man who denieth resurrection, perceive that We have created him of a mere clot of blood ? Yet lo ! He is an open caviller. And he setteth forth unto us an instance of his inability and forgetteth our creation of him : “Who” saith he, “shall give life to bones when they have rotted” ?

Say : “He shall give life to them who gave them being at first for He is cognisant of all the details of creation”.

(Baidawy's Commentary).

or new. All will find in this creed, a universal religion which is most suited to the present time and constitutes the greatest policy of mankind”(1)

In another article he says that he wishes to unify Moslems, Christians and Jews and bring them together in accordance with the Mosaic Law in which they all believe”. (2)

I do not suppose that Abbas meant anything by this but to flatter the Jews and feign loyalty to their cause in order to win their favour and support. It is inconceivable of anyone who believes in the Koran to endeavour to turn people away from Islam in the preceeding fashion.

Ibn Taymiyya says: “The Batinists were always in league with the enemies of Islam”. “The Tatars could not have conquered the lands of Islam and kill the Caliph of Baghdad and other Moslem potentates without their co-operation”.

In this same wise we find the Babists siding with the enemies of Islam. Abbas Abdul-Bahai, openly takes the part of the Jews and proclaims that Palestine will become their home. “The Israelites will gather in the Holy Land and the Jewish people who were dispersed in east, west, north and south will be unified”, says Abbas.

In another article he says :

“The tribes of the Israelites will settle in the Holy Land and gradually increase until it becomes their own home”.

The Bahaists and the Batinists are equally alike in their hatred of Islam and their support of its enemies. We confidently trust however that the Arabs and all Moslems backing them will present a united front in face of both the Zionist colonisation and the Bahaist propaganda supporting it, so that Palestine will remain, in spite Abdul-Bahai and the Bahaists, an Arabic Islamic land.

Do they believe in Doomsday, Paradise and Hell ?

The Babists do not believe in resurrection, Paradise or Hell. They interpret the judgement day as the advent of Mirza Hussain or Bahau-Allah. The following quotation from “Bahau-Allah and the New Era” is significant :

“In accordance with the Babist's interpretation, the appearance of every divine manifestation constitutes a judgement day. But the advent of the greatest manifestation Bahau-Allah, is the great judgement day for the worldly stage in which we live”.

---

(1) “Abdul-Bahai and Bahaism” p. 87 (Arabic Version).

(2) “Abdul-Bahai and Bahaism” p. 93 (Arabic Version).

Bahaism which was built up on the ruins of Batiniya continued to be a creed whose secret aim is the abolition of Islam by means of interpretation, the claim of divine mission and the revelation of a new dispensation abrogating Islam.

This went on until Abbas Abdul-Bahai became head of the sect and wished to present to the world this made-up creed under a new guise. He introduced such topics into the creed as were discussed by certain people as some pressing need of civilisation or some recent scientific discovery. They included such things as the equality of men and women in regard to educational opportunities, disarmament, the adoption of a universal language to be known throughout the world, the establishment of an international tribunal to settle world's problems and the development of man through evolution from the lowest species till he attained his present form (The Darwinian Theory). Universal peace and the renunciation of religious prejudices are also included.

By the introduction of such ideas into Bahaism, Abbas thought to entice into his creed those of the budding generation who blindly follow any new-fangled idea. To this end he preached the following:

“The teachings of Bahau-Allah offer the fulfilment of all hopes and aspirations of the world's parties whether religious, political or social, old

---

the one and negatively in the other. Ormuzd is light and life, and creates all that is pure and good — in the ethical world of law, order and truth. His antithesis is darkness, filth, death and produces all that is evil in the world. Until then, the two spirits had counterbalanced one another. The ultimate triumph of the good spirit is an ethical demand of the religious consciousness and the quintessence of the Zoroaster's religion.

The evil spiril with his wicked hosts appears in the Gathas much less endowed with the attributes of personality and individuality than does Ahura Mazda. Within the world of the good Ormuzd is Lord and God alone. In this sense, Zoroastrianism is often referred to as the the faith of Ormuzd or Mazdaism.

As soon as the two spirits encounter one another, their creative activity and at the same time their permanent conflict begin. The history of this conflict is the history of the world. All creation divides itself into that which is Ahura's and that which is Ahriman's.

In the soul of man is the object of war. Man is a creation of Ormuzd, who therefore has the right to call him to account. But Ormuzd created him free in his determinations and in his actions, wherefore he is accessible to the influences of the evil powers. Man takes part in this conflict by all his life and activity in the world. By a true confession of faith, by every good deed, word and thought, by continually keeping pure his body and his soul, he impairs the power of Satan and strenghtens the might of goodness, and establishes a claim for reward upon Ormuzd; by a false confession, by every evil deed, word and thought and defilement, he increases the evil and renders service to Satan.

(*Encycl. Brit.*)

Learned men of great standing have come forward to falsify the arguments which were advanced in favour of this view. They proved that effect should come later to cause, for cause is that which bestows existence on a thing and effect is that which receives existence from it. It is absurd therefore to bestow existence on a possibility which could be materialised, unless it were to give it existence after being non-existent, and that is nothing short of materialisation.

The astounding thing about this sect is that while they claim prophethood, divine mission may even more, they deny miracles on the ground that they are irrational. This open denial is to be found in a book of their propagandist Abul-Fadl Al-Gorfadkany. He mentioned such miracles as the cleaving of the sea and bursting forth of springs by Moses, the healing of the leper and blind and the raising of the dead by Jesus, and the flowing of water from between the fingers of Mohammed adding the following comment :

“Many leading men of learning believe that all such happenings recorded in books are merely allegorical of reasonable and possible phenomena which no balanced mind could deny”. He then started to interpret the Koranic verses and Traditions in connection with these miracles and give them such far-fetched renderings that only a half-wit or an unbeliever could entertain.

The Bahaists' denial of miracles clearly tells of their blind and headlong pursuit of materialistic philosophy which denies the universe of an omnipotent Creator who does whatever he choses.

In short Babiism or Bahaism is a creed which is made up of different religions, creeds and philosophic ideas. In describing the Babists, the writer of “Muftahu-Babul-Abwab” says :

“They have a particular creed, a medley of religions including Buddhism, Brahmanism, Zoroastrianism (1), Judaism, Christianity and Islam as well as Sufis and Batinists' beliefs.

---

(1) Zoroastrianism : the doctrine of Zoroaster, the founder of the national religion of the Iranian people from the time of Achæmenidæ to the close of the Sassanian period. Zoroaster was famous in antiquity as the founder of the wisdom of the Magi. Zoroaster taught a new religion rooted in the old Iranian — or Aryan — folk-religion, of which we can form some representation by comparison with the religion of Veda. The Aryan folk-religion was polytheistic. Worship was paid to popular divinities, such as the war-god and dragon-slayer Indra, to natural forces and elements such as fire, but the Aryans also believed in the ruling of moral powers and of an eternal law in nature.

The doctrine of Zoroaster may be summarised as follows :

At the beginning of things there existed the two spirits who represented good and evil. Both Spirits possess creative power, which manifests itself positively in



Ismaïl Ibn Jaafar. This claim ie, the incarnation of God makes its appearance in certain articles of the Bahaists.

Abbas, known as Abdul-Bahai says in an article of his: "Bahau-Allah hath told us that the advent of the Lord of the hosts, the eternal father and the world's saviour whose advent is indispensable at the end of the world, according to all prophets, means His manifestation in human form just as He manifested Himself in the form of Jesus of Nazareth, only this time His manifestation is more perfect, glorious and complete, for Jesus and other prophets have prepared the hearts of men for this grand transfiguration".

By this, he means that the Lord hath been manifested in him in a greater measure than in other prophets.

Their babbling month-piece Abul-Fadle says in this connection: "All that is attributed to God and ascribed to Him including might and glory, omnipotence and omniscience, wisdom and will, and other attributes, goes back in reality to the manifestations of His word, the illumination of His light, the descension of His revelation...." !

This is shown by the inscription written by Bahau-Allah in extolling his son Abbas for thus he said: "The tongue of eternity <sup>(1)</sup> announceth unto men the glad tidings of the appearance of the great name <sup>(2)</sup> who proclaimeth among nations that he is myself, the image of my soul, the embodiment of my word; whoever turns unto him, will he turn unto my face, walk in the light of my splendour, recognise my unity and acknowledge my oneness... etc." !

The Bahaists have emulated the philosophers in their claim regarding the infinity of the universe. In the book "Bahau-Allah and the New Era", the following statement is made: "Bahau-Allah knew that the universe had no temporal beginning. It is an eternal issue of the first cause. Creation and Creator were co-existent and co-eternal."

---

stage, the earlier teachers of Islam were shown to be wrong in doctrine and the imams alone were proved to be infallible. In the third, it was thought that there were only seven imams and that the other sects of the Shiites were in error. In the fourth, the disciple learnt that each of the seven imams had a prophet who was to be obeyed in all things. In the fifth stage, the uselessness of Tradition and the temporary nature of the precepts and practices of the Prophet Mohammad were taught, while in the sixth the believer was induced to give up these practices (praying, fasting, pilgrimage etc.). At this point, the Carmathians had completely ceased to be Moslems. In the remaining degree, there was more liberty of opinion allowed and much variety of belief and teaching existed. (Encycl. Brit.)

(1) The "tongue of eternity" is Bahau-Allah according to Bahaist's interpretation.

(2) The "great name" is Abbas Abdul-Bahai according to Bahaist's interpretation.

Al-Bab claims prophethood and asserts that his creed abrogates the Moslem Faith. He invented certain precepts for his disciples, which differ from those of Islam. He prescribed an annual fast of 19 days from sunrise to sunset. The fast was fixed for the spring equinox so that Eid-ul-Fitr was to coincide always with easter day. In his book "Al-Bayan", he refers to this fast as "Certain numbered days on the completion of which we ordained easter to be a feast-day".

Mirza Hussain, styled Bahau-Allah, reduced prayers to nine prostrations a day while Abdullah Ibn Al-Kharab Al-Kindi, in whose divinity many so-called people believe, prescribed 19 prayers a day.

The Kiblah (the point towards which Moslems turn in their prayers) of the Babists is whatever place Mirza Hussain or Bahau-Allah may happen to be. The Babists are enjoined by him "Should you wish to pray, then turn your faces towards my most holy direction". His son Abbas says: "We should turn our faces to a certain point where the manifestation of God may be". This so-called "manifestation of God" is, according to their claim, the very person of Bahau-Allah. As to pilgrimage, Al-Bahai suppressed the practice and recommended to pull down the Holy Caaba on the appearance of a powerful man of his disciples.

Certain Batinists have forbidden the common people to acquire knowledge and the upper classes to peruse the early books so that they may remain in darkness regarding the truth.

In his book "Al-Bayan", we find that Mirza Ali, otherwise styled "Al-Bab" had forbidden learning and the reading of books other than his own. It was due to this inhibition that those who believed in "Al-Bab" have burnt the Holy Koran as well as all other books of learning which have fallen into their hands. But Mirza Hussain known as Bahau-Allah realised the evident fallacy of such an inhibition and that it will inevitably result in turning discerning people away from the creed. He consequently ordained in his book "Al-Aqdas" (the Most Holy) a new precept abrogating that of "Al-Bayan". It ran thus "Allah hath abrogated for you what hath been revealed in Al-Bayan concerning the destruction of books and ye are permitted to pursue such studies as ye may find of use".

Some Batinists assert the incarnation of God in certain persons. The Carmathians (1) for instance assert the godship of Mohammed Ibn

---

(1) Carmathians: a sect named after Hamdan Qarmat, who accepted the teaching of the Ismailites toward the close of the 9th. Century.

In their religious teaching they claimed to be Shiites i.e., they asserted that the imamate belonged by right to the descendants of Ali. The adherents of this sect were initiated by degrees into the secrets of its doctrines and were divided into seven classes.

In the first stage the convert was taught the existence of mystery in the Koran and made to feel the necessity of a teacher who could explain it. In the second

The interpretation of the Babists as well as their predecessors the Batinists which is diametrically opposed to the very text of the Moham-medan law, is by no means an innovation of theirs. But by so doing they have merely followed the instance of a certain sect of Hebrew philosophers who came prior to them.

We read in a biography of "Philo" the Jewish philosopher born between 20-30 B.C., that he had written a book on the interpretation of the Torah ( Old Testament ) in which he maintained that many things referred to therein are symbolical of hidden facts. This allegorical interpretation, is said by writers who treated the history of philosophy, to have been familiar to Jewish scholars of Alexandria prior to the time of "Philo". In giving instances of this interpretation, the writers say that Adam was given to mean reason, Paradise to mean self-control, Abraham to mean dogmatic virtue, Isac to mean instinctive virtue, Jacob to mean emperical or acquired virtue and such like interpretations to which only hypocritical unbelievers have recourse and are only admitted by those who are completely blind to the manifestations of truth.

Abul-Fadl Al-Gorfadkany was by far the worst of the Babists in this respect. He evinced the most bitter animosity to the Ulema of Islam and nothing short than his whole repertoire of vituperative words would satisfy him once he starts heaping abuse on them. In page 147 of his book "Al-Dur arul-Bahiyya" he writes :

"They persisted in sin, insisted on error and delusion, wallowed in folly, were blinded by inebriety, and hopelessly indulged in abberation". It is apparent that the man had memorised certain sentences which he had come across in some paper or old book and used them indiscriminately in his writings thinking that this kind of euphuistic style would convince people against their better judgement.

There are others among the Batinists who claim to be prophets or believe in the prophethood of other men. Mirza Ali styled Al-Bab claimed to be an apostle of God and wrote a book "Al-Bayan", by name, which he asserted to be a divine revelation. He had even gone as far as to send an epistle to Sheikh Mahmoud Al-Alucy, the author of the famous commentary on the Koran "Rouh Al-Maani" requesting him to follow his creed. It ran thus "Verily I am the servant of Allah who hath sent me with guidance unto men". In this epistle he dubbed his creed "the religion of Allah" and went on to say "The state of those who did not betake themselves to the religion of Allah is like unto that of those who did not come to Islam".

Bahau-Allah, the head of the sect claims the same thing. In "Bahau-Allah and the New Era" written by one of his disciples, his mission is claimed to establish peace on earth. In speaking of Al-Bab and Al-Bahai, the author of this book says: "It is impossible to find a more fitting description of their greatness save by the admission that they have acted in compliance with divine revelation".

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## BABIISM OR BAHAIISM<sup>(1)</sup>

*(Continued.)*

---

This Persian impostor asserts that the Prophet proclaims certain scientific principles in order to curry favour with his people whereas in reality those principles are false and unfounded. Evidently this is a rash assertion on his part, for although the Prophet is not sent to establish scientific truths whether they are easily assimilated by the human mind or call for some mental exertion as in the case of natural sciences and mathematics, nevertheless he could not speak authoritatively of any such matters unless they are perfectly true.

The assertion that they are symbolic is an invention of this impostor and his associates to conceal their disbelief. But a flimsy veil concealeth not what lieth behind.

---

(1) Translated from the very Reverend Al-Sayyed Mohammed Al-Khidre Hussain's article in Nour-El-Islam Review.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ٣ —

المثل الأعلى في بناء الأمم

ليس المدار في قيمة الأصول والتعاليم على أنها بالغة مدى بعيداً من السكال ، ولكن على تطبيقها والعمل بها ، وإلا صدق عليها المثل بأنها مجرد حبر على ورق . فقد أتى أفلاطون في جمهوريته ، وأرسطو في سياسته ، بأصول قيمة ، ولكنهما عجزا عن حمل قومهما على الأخذ بها ، فبقيت ثأوية حيث هي من صحائف دينك الكتائين ، وجرى العمل على تقيضها طول حياتهما وحياة الأمة اليونانية . وخلفها الرومانيون فلم يرفعوا بها رأسا ، ولكن الأصول التي قررها القرآن الكريم ، قد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بتطبيقها على المجتمع الاسلامي تطبيقا دقيقا ، وجرى العمل عليها جريا مطردا ، واعتبر الخروج عنها خروجا على القواعد المقررة في الشريعة .

فاننا : إن القرآن الكريم دعا الى الألفة العامة بين الشعوب ، لافرق بين أبنائها وأقربها ، ولا بين أسودها وأبيضها ، مقرر أن مدار الكرامة ليست بالاعتزاز الى هذه الأمة أو تلك ، ولا بالانتساب لهذا البيت أو ذاك ، ولكن بالمميزات الأدبية ، والمزايا النفسية ، فأشعر بذلك أنه لا يرمى الى تأليف أمة على مبدأ الجنسية ، كما رمى الى ذلك جميع المصالحين قبله ، ولكن الى تأليف أمة عالمية عامة تذوب فيها الجنسيات والفوارق الاجتماعية ، ليتألف من مجموعها أمة تكون المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الناس يوم تسقط من رؤسهم الأوهام القومية ، والأهواء الجنسية ، التي تفرق بينهم وتجعل من بعضهم أعداء لبعض ، وتؤجج بينهم نيران الحروب والغارات ، وهي حال تنافي الغرض السامي الذي خلق الإنسان لتحقيقه في هذا العالم .

وأعجب ما فى هذا الأمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قام بتطبيق هذه الأصول الكريمة، على أمم كانت أعصى الناس عن قبولها، وأكثرها أوهاماً فيها، فحقق للعالم معجزة اجتماعية ينظر إليها المصلحون فى كل جيل، عاجزين عن مثاها حتى فى أمة من جنس واحد، فما ظنك بهم إن تخيلوها على مجموعة من شعوب ذات أصول شتى، وتقاليده متناقضة ؟

إن هذه المعجزة من معجزات الاسلام الخالدة، فإن كنا نفردها فصلاً خاصاً فى جديرة بكتاب ضخيم يكتبه علم من أعلام العلم الاجتماعى، ممن درسوا الحالات النفسية للجماعات البشرية، وأدركوا استحالة جمعها على أصول من هذا الضرب . وإذا غمض على علماء الاجتماع سرُّ هذا الأثر الضخم، وذهبوا فى تأويله كل مذهب، فقد كان أقرب سبيل لفهمه على أكمل وجه أن يتأملوا فى الأصول العظمين اللذين يقوم عليهما هذا الدين، وهما : إقامة الفطرة، وساطان العقل، فإن الاسلام بدعوته الى إقامة الفطرة طالب الآخذ به أن يتخلى أولاً عن جميع ما ورثه من التقاليد والأوهام، وأن يكون أمام الحقائق كيوم ولده أمه، خالى الذهن من كل صورة خيالية، أو ورانة تقليدية . ومتى تم له إحداث هذه التخيلية الذهنية طالبه بالآخذ بحكم العقل لا بحكم الهوى والوهم، ومتى كان الحكم للعقل سهل إقناعه بكل جميل وحق . فإن قيل له : أليس الناس كلهم أولاد أب وأم، وأن أجناسهم وألوانهم أمور اعتبارية لا تمنع أن يكون بعضهم إخوان بعض ؟ لم يجد مناصاً من الإذعان الى هذا الأصل والتسليم به . وإذا قيل له : ألا يجب أن يكون تفاوتهم فى الأقدار والمراتب تبعاً لمميزاتهم العامة، وميزاتهم الأدبية، لا تبعاً لاعتزازهم لجنس، ولا لتمييزهم بلون، أو لانتسابهم لطبقة من طبقات الغنى والفقر ؟ لم يجد عليه اعتراضاً .

هذه الحقائق الكبرى التى لا يزال المتمدنون يعجزون عن الآخذ بها، تعتبر لدى الذى تجرد من أوهامه وأهوائه بإقامة الفطرة على شرط الاسلام،

من الأمور البدئية ، فيندفع الى الأخذ بها محفوزا بالقوى الأدبية المغروزة فى جباته الأصلية .

هذا هو السر فى نجاح القرآن فى غرسها فى نفوس الأخذين به . ولكنك لو توجهت بها الى قوم — مهما ضربوا من المعارف الكونية بأوفر السهوم ، ولم يكلفوا أنفسهم أن يكونوا من التجرد الذهنى على ما شرطه الاسلام فى أول أصوله — لعجزت عن تسويقها لنفوسهم .

فالى أى مدى طبقت الأصول القرآنية العالية على المجتمع الاسلامى ؟ طبقت الى آخر مدى يمكن أن تبلغه أصول فى أمة . وإنا لراوون اليك طرفا من مزاجها العالمى ، لترى مثلاً أعلى من الاجتماع لم تصل الى مثله أعرق أمة فى المدنية الى اليوم . كان يقدّم الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم فيبايعه على الاسلام ، فيصيح واحداً من جماعته ، لا فرق بين قرشى من صميم هاشم أو عبد الدار ، وبين آخر من باهلة أو سلول ، وهما أخس قبائل العرب ، بل لا فرق بينه وبين رجل من الفرس أو الديلم أو الروم ، ممن كان يعدّم العرب الخلف من الأعاجم ، بل لا فرق بينه وبين عبد مملوك أو مولى أو أسود فاحم اللون قد بيع فى الأسواق كما تباع البهيمة . يجمع بينهم رباط واحد هو رباط الأخوة بكل ما يسعه هذا اللفظ من معنى الترابط والتعاون ، بعيدا عن جميع الاعتبارات التى أو جدتها التقاليد القومية ، والفوارق الاجتماعية .

حدث هذا كله فى بيئة كان للفوارق الاجتماعية فيها المكان الأعلى من نفوس أهلها ، حتى كان الرجل فيهم يعير بالاصهار الى مقرّف أو هجين . والمقرّف عندهم من كانت أمه عربية وأبوه أعجمى ، والهجين من كان أبوه عربيا وأمّه أعجمية . والأعجمى عندهم الأعجمى من أى جنس كان ، وهو غير الأعجمى الذى ينتسب الى الأعجم وهم الفرس . بل كان العرب يفرقون بين القبائل المختلفة ، فينزلون أفرادها منازل متباينة ، وكان بنو باهلة وبنو سلول يعتبرون أخس العرب . قال السموءل بن عاديا من قصيدة فى الفخر :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

وكان مسلم بن قتيبة من باهلة، فلم يحل بينه ذلك وبين أن يعين قائدا عاما لفتح ما وراء النهر، فتم له ذلك على عهد بني أمية، حتى ضرب الجزية على الصين، فاتفق له يوما أن التقي بأعرابي فقال للأعرابي مداعبا له: أتود أن تكون ذا مال كثير، وجاء عظيم وتكون من باهلة؟ فأجابه على الفور: اللهم لا. فقال له: أنجب أن تكون أميرا مثلي وتكون من باهلة؟ فأجابه غير متدلي: اللهم لا. فقال: أترضى أن ترث الجنة وتكون من باهلة؟ ففكر قليلا ثم قال: لا بأس من ذلك، على شرط أن لا يعرفني أحد.

أما سيرتهم حيال الموالى والعبيد السود ومن لا يعرف له أصل، فقد كان العرب يحفظون كل سمات الترفع، ولا يفرقون بينهم وبين الحيوانات العجم.

فلما جاء الاسلام بمبدأ المساواة العامة بين جميع الخلق، تغيرت هذه الحال فجأة، فأصبح الكل سواء: لا يسأل أحدهم جاره من أي القبائل هو، ولا إلى أي أمة يعتزى، ويخصه من عنايته ورعايته بما يخص به صميم أهله. وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بما يجعل هذه المساواة أمرا واقعا، فقد ولى بلايا المدينة، وفيها من وجود الناس وجلبتهم من ليس يتردد في فضلهم أحد؛ وأمر أسامة بن زيد - وهو مولى - على جيش كان فيه أبو بكر وعمر، وهما من نسب وحسبا وشرفا؛ وولى باذان الفارسي إقليم اليمن، وهي أخصب البلاد العربية، وقيمتها من الوجهة الحربية لا تخفى على أحد، فلما مات أسند ولايتها إلى ابنه شهر فيروز.

وقد حدث أن أبازر الغفاري تقاول هو وأحد السود يوما بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فاحتد عليه أبو ذر وصاح به قائلا: يا ابن السوداء. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وقال: «طف الصاع طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح»؛ فوضع أبو ذر خده على الأرض وقال للأسود: قم فطأ على خدي، مظهرا بذلك غاية الندم مما فرط منه.



وقد قوَّى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الأصل الكريم فى مواطن عدة ، ومن أشهر ما قاله فى ذلك : « لقد أذهب الله عنكم رجس الجاهلية وتفاخرها بالألناس ، ليس لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » .

وقد جرى المسلمون بعهد النبى صلى الله عليه وسلم على هذه السنة الكريمة ، فلم يفرقوا فى المعاملة بين الناس بحسب أصولهم وألوانهم ، بل تركوا الحكم العزايا الذاتية ، والمميزات الأدبية ، فبلغ بعض العبدان والموالى ومن لا يعرف له أصل الى قمة الشرف ، وحكم لهم بالسؤدد غير منازعين فيه لأى اعتبار من الاعتبارات ، حتى قال عمر رضى الله عنه وهو على سرير الموت وقد سُمى ستة رجال ونصح للناس أن ينتخبوا للخلافة واحدا منهم : « والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما جعلتها شورى » أى لَأَسندت اليه الخلافة ، وسالم هذا كان رقيقاً لأبى حذيفة . هذه كلمة ستبقى مثلاً أعلى ما بقى للعالم تاريخ يقرأ .

ولما تم للفاروق رضى الله عنه ترشيح الستة للانتخاب ، أمر أن لا يبرحوا الدار التى يجتمعون فيها حتى ينتخبوا واحدا منهم ، وأمر أن يتولى الصلاة بالناس صهيب ، والصلاة بالناس كانت مهمة عالية لا تسند إلا لأهل الكفايات من ذوى السابقات الكريمة ، وصهيب هذا كان أصله عبداً رومياً . فانظر الى أى حد بلغ هذا المجتمع الاسلامى من الإغضاء عن الفوارق الجنسية ، والاعتداد بالمزاي الذاتية !

ومما يؤثر عن هذه الأمة العالمية — وليس له شبيه فى تاريخ العالم كافة الى اليوم — أن قادتها وعلماءها والمبرزين فى مجال نشاطها العقلى ، كانوا من جنسيات مختلفة ، ومنهم من كانوا أرقاء أو أبناء أرقاء ، فلم يمنع ذلك أن يحملوا من هذه الأمة حيث وضعهم مواهبهم وكفاياتهم .

فقد كان جميع مقدمى الفقهاء الأولين فى الولايات الاسلامية من أجناس مختلفة ، ومنهم عدد من الموالى ، إلا النخعى ، فقد كان عربياً . وكان إمام المحدثين الحسن البصرى

فارسيا، واتفق أن أول الأئمة المجتهدين أبو حنيفة النعمان بن ثابت كان فارسياً أيضاً، وقد لقبوه بالامام الأعظم. وكان العدد الأكبر من أصحاب الصحاح فى الحديث من أجناس شتى، كالبخارى ومسلم وأحمد والبيهقى والترمذى والدارقطنى وابن ماجه، فلم يكن ذلك ليشير عليهم حقداً، ولا ليمنع الناس عن الأخذ عنهم. وكان يجرى هذا المجرى أقدم المفسرين وكبارهم، كالطبرى والزمخشرى والرازى والنيسابورى. وكان من مقدمى علمائهم الذين ولوا الأئمة الأولين فى مختلف العلوم على هذا النحو أيضاً، فكان الباقلانى والاسفرايينى وأبو حامد الغزالى الذى لقبوه بحجة الاسلام، والراغب الأصفهانى، ومن لا يحصى لهم عدد، من بقاع مختلفة من الأرض. ولم يستثن من ذلك حفاظ اللغة العربية نفسها، كأبى عبيدة الفيروزبادهى والجوهري، ووضع آلاتها من نحو وعروض ومنطق، كالخليل بن أحمد وسيبويه ونفطويه وابن خالويه وابن فارس، وأعلام أدبها كبشار بن برد وأبى نواس ومروان بن أبى حفصة ومهيار الديلمى الخ.

فهذا الاجتماع العالمى الذى طبع به الاسلام أهله الأولين، صورة مصغرة لما ستكون عليه الحال حين يُعرف الاسلام معرفة عامة، ويصبح بعد أن تدرس أصوله على نور العلم، دين البشرية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها. فإن أكبر ما يصد الناس عن الاتفاق، ويحول بينهم وبين نعمة التعاون العام، ويجعل من بعضهم أعداء لبعض، هى روح القومية التى توهم ذوبها أن قومها خير الأقوام، وأنها اختصت من جانب العزة الإلهية بمميزات تجعل لها السيادة على العالم كله، وأن جميع الأمم تقصر أن تصل الى مستواها الأرفع، بل منها ما تُحِيل لها تلك الروح أن نسبها يتصل بخالق الكون نفسه، فلا عجب أن تتربص بعض هذه الأمم ببعضها الدوائر، وأن تكون البقاع الأرضية فى نظرها ساحات لحروب ترتكب فيها أشنع القساوات البربرية.

ولكن اليوم الذى يحل فيه الروح الاسلامى الأقدس، بما يقتضيه من العدل والمساواة والإخاء، ترتفع من بينها هذه الأهام الشيطانية، فيعيش الكافة إخواناً

مترا بطين بأشرف الروابط الأدبية ، وينفتح المجال أمامها للعمل على ما ينفع الناس على السواء ، ويأخذ الناس عنهم غير متأثرين بروح الأنفة الجاهلية ، فيحل الوفاق بينهم محل الشقاق ، وتبطل من بينهم الحروب والغارات ، والمزاحمات الحيوانية .

نعم : إن هذا مطلب بعيد المنال ، ولكنه كائن لا محالة ، فإن كل ما يشعر به العالم اليوم من الشدائد وضروب الأزمات يعمل على تهديد السبيل له ، وتعبيد الطريق أمامه ، وإذ ذاك يتبين معنى قوله تعالى : ( أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَمْعُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ؟ ) .

ومما يجدر بنا أن نزيده على هذا الكلام أن الاسلام وإن كان أعلن الأخوة العامة والمساواة بين الناس ، فقد اعترف بضرورة وجود الطبقات الاجتماعية فى الأمة ، ليقوم صرح الاجتماع على أمتن القواعد ، فلا تتسرب اليه الفوضى من ناحية من نواحيه . وكل ما شرطه فى تأليف تلك الطبقات أن تكون بحسب المؤهلات العلمية ، والمزايا الأدبية ، قياما على سنة إسناد كل أمر الى أهله الذين يستطيعون أن يقوموا بمهامه على أكمل حال . وقد وجدت فيه هذه الطبقات منذ وجوده الأول ، فهو دين مدنى نظائى من كل وجه : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ) . محمد فريبر ومبرى

## الحرص على طلب الحكمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها من سمعها ، ولا يبالي من أى وعاء خرجت .

أى أن الحكمة يجب أن تلتقط مع صرف النظر عن قائلها . وقد أطلق عليها كلمة الضالة ، وهى ما يفقده الانسان ويظل يبحث عنه حتى يجده ، مبالغة فى أن الحكمة حاجة لا بد منها . ومن كانت له ضالة فوجدها اضطر لآخذها غير مبال بمن وجدها عنده ، سواء أكان مؤمنا أم كافرا ، طيبا أم خبيثا ، وهذا أبلغ ما سمع من الحث على طلب الحكمة .

# النفس

## سورة النور

١٩

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ  
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ  
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ  
فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ  
أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ، وَأَنْ يَسْتَغْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )  
يكون مع المرء عادة في داره فئة ممن تربطهم به رابطة المعيشة ، كأعضاء أسرته  
وخدمه ومماليكه ، ومثل هؤلاء تقضى شئون الحياة أن يختلط بعضهم ببعض اختلاطا  
متكررا ، فلا يتعاشى بعضهم أن يدخل على بعض في خلوته ، ولا يلتفت الى استئذان  
في كل مرة يربد أن يتصل برفيقه في المعيشة .

ولقد بينت لنا الآيات السابقة حكم دخول المرء على بيت غير بيته ، وشرع الاستئناس  
والاستئذان ، والسلام على أهل البيت ، وانتظار ما يكون منهم من الأمر بالدخول

أو الأمر بالرجوع ، وأن كلا منهما مقبول وحق مطلوب الامتثال ، وأزالت ما في ذلك من غضاضة على النفس بأنه حق كما يطلب من المرء مع غيره يطلب من غيره معه ، وهذه الآية جاءت مقررّة لحكم الجماعة تجمعهم دار واحدة ، لاتصالهم في شئون الحياة على ما سبق ، وما من امرئ إلا وله شئون خاصة يكره أن يطاع عاينها غيره ، فهو في خلوته يطرح الاحتشام ، ويتبسط في شئونه الشخصية ، فلا يبالي أكشف شيء من جسمه ، ولا يبالي أن يضطجع أو يستلقي حسبما يجد راحته ، فهو في حل مادام في خلوته ، ولكن الحياء والاحتشام ولومع الخادم والمملوك ، بل مع الابن المميز والبنت ، كذلك لها حكم وأثر في النفس لا يجزئها من أعطى قسطا من الحياء والاحتشام ، فاحتاج الأمر الى دستور واضح ، ومنهاج يبين ، يحدد لنا ما يكفل للمرء راحته ، ويضمن له احترام خلوته ، ويزيل الحرج والمضايقة بين أفراد الأسرة المربوطة بمعيشة واحدة : ذاك هو ما تضمنته هذه الآية الكريمة .

وقد روى في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل غلاما من الأنصار الى عمر رضي الله عنه في وقت قبولته ، فدق الباب ، ودخل بلا استئذان ، وكان عمر نائما ، فكان شيئا كشف من جسده ، فكره ذلك ، وقال : لوددت أن الله نهى آباءنا ، وأبناءنا ، وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الأوقات بلا إذن ! ثم توجه معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد هذه الآية قد نزلت ، فخر ساجدا . وهذه إحدى موافقات عمر رضي الله عنه للوحي ، ويتبين بها وبأمثالها سر نزول القرآن منجبا حسب الحوادث ، فإنه بذلك تتجلى الحكمة في التشريع ، فيقوى العون على الامتثال .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم » :

تأمل في أسلوب الآية الكريمة فتجد الخطاب وجه فيها للذين آمنوا ،

ثم وجه الأمر بعد ذلك للمملوكين والذين لم يبلغوا الحلم في قوله : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، فإن اللام فيه لام الأمر ، والأمر إذا وجه الى غير المخاطب يؤتى مع الفعل باللام . وسرُّ ذلك أن هذا الحكم مما يشترك فيه كلا الطرفين ، وثمرته عائدة على السادة والكمل البالغين ، ومن أجلهم شرع ، وهم المهيمنون على المماليك والصغار ، فعهد إليهم أن يقوموا بتعليمهم وإرشادهم ، وأن يتتبعوا امتثالهم ، ويتعهدوهم في القيام بما كلفوه ، إذ كان ذلك حقاً لهم ، ومعهوداً به إليهم . ويجوز أن يكون المقصود أمر الأولياء والسادة أن يأمرهم ، وإن كان في الظاهر قد وجه الى المماليك والغلمان ، وذلك لأن الذين لم يبلغوا الحلم لا يتوجه إليهم التكليف ، فيكون ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم : مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر .

وعلى الجملة فالمطلوب منه الاستئذان هو المملوك والصبي ، وكون الصبي غير مكلف لا يمنع أن وليه يعودّه على ما يطلب منه من الآداب والحقوق .

وقوله تعالى : « ثلاث مرات » أى فى ثلاثة أوقات فى اليوم ، هى ما فصلت بعد فى قوله تعالى : « من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء » . هى تلك الأوقات التى يحتاج المرء أن يستريح فيها ، ويخلص من الكلف ومراعاة الواجبات نحو الغير . هى الأوقات التى يحل المرء فيها أن يطرح الاحتشام ، ويملك فى نفسه حرية التصرف ، فيختار الوضع الذى يروقه ، والهئية التى توافقه ، وهو آمن من اطلاع غيره عليه مهما كان ذلك الغير . وما منّا إلا من يشعر بأن لا بدّ للمرء من وقت يتمتع فيه بالحرية الكاملة . وأئى وقت هو أحوج فيه من هذه الأوقات الثلاثة ؟ وقت ما قبل صلاة الفجر حين يستيقظ من نومه ويهب من فراشه فيخلع ثوباً ويلبس ثوباً ، ولعله بحاجة الى تدليك بدنه أو إلانة أعضائه ، ولكل امرئ عادة الخاصة به ؛ ومن بعد صلاة العشاء ، حيث يكون قد فرغ من عمله ، وانتهى من عبادته ، وركنت نفسه الى أن يأوى لفراشه ، فهو يخلع ثياب اليقظة ويلبس ثياب النوم ، وربما

كان يميل الى الانس بأهله ، فلا منغص له في هذه الحالة أكثر من أن يفاجأ بدخيل داخل عليه مهما صغرت سنه ، أو قوى اتصاله به ، متى كان عنده عقل وتميز . ولم يتعرض لحكم ما بين الوقتين ، لندرة الدخول حينئذ . وتلمح من هذين الوقتين أدباً في تعجيل النوم بعد صلاة العشاء ، وتبكير اليقظة قبل صلاة الفجر ، فذلك أعون على انتظام الصحة ، وأبعد عما يحجره السمر من المنكرات ، أو تنبيه النفس الى فساد الشهوات ، ولا يعين على التبكير باليقظة إلا التعجيل بالنوم أول الليل ، ولقد قال قائل : شباب النوم في شباب الليل . وإن شئت فانظر الى أولئك الذين جعلوا السهر والسمر ديدنا لهم وعادة ، تجد صحتهم غالباً في اعتلال واختلال .

وقوله تعالى : « وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة » هو الوقت الثالث ، وهو ليس محدوداً في ذاته تحديداً تاماً ، فرب امرئ دعاه عمله الى تعجل القيلولة ، وآخر يرى صالحه في تأخيرها ، وقد يستغنى عنها بالمرّة . فلذا نيط الحكم فيها بقوله : وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ولم ينط بنفس الوقت كما في الموضعين الأولين . والظهيرة : هي وقت الظهر ، أو وقت اشتداد الحر فيه . وقوله تعالى : ثلاث عورات لكم ، بيان لحكمة التشريع ، حتى يدعوهم ذلك الى العناية بالامتنال ، وتترى في نفوسهم ملكة الاقتناع بالأحكام ، بل الاغتياب بها ، واعتقاد أنها شرعت لمصلحتهم ، ورحمة بهم . والعورات : جمع عورة ، وهي في الأصل من العار وهو العيب ، سمي به كل ما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره ويسوءه كشفه ، ومنه عورة المكان لما اختل منه . وقد قرئ : ثلاث عورات بالرفع خبر لمحذوف ، أي هي ثلاث عورات لكم ؛ وبالنصب على أنها بدل من ثلاث مرات .

قل تعالى : « ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن » : بين نفى الحرج في التقيا فيما عدا هذه الأوقات ، فإن المرء اذا كان في داره حيث لم يلتزم مكان خلوته الخاصة ، لا يسوءه أن يلقاه أحد من أهل بيته بلا استئذان . وفي تكليف أعضاء الأسرة

الواحدة ومن في حكمهم الاستئذان في كل مقابلة حرج ومشقة لا تحتمل . وهذا غير ما سبق من النهى عن دخول البيوت على أى حال إلا بعد الاستئذان ، فذاك في حق الأجنب . والجناح : الحرج والإيثم . وقوله تعالى : ولا عليهم ، ظاهر في المماليك ، أما الصغار الذين لم يبلغوا الحلم فليسوا عرضة للجناح شرعا حتى ينفي ، فإنهم غير مكلفين ، إلا أن الآية سبقت مساق إظهار الجميع في صورة المخاطبين كلهم بحكم واحد متكاتفين فيه ، بعضهم على بعض رقيب ، فمن أخل بشيء منه فعلى الآخر إرشاده وتعليمه وتأديبه وتهذيبه . وفي نفي الجناح عن الصغير في غير هذه الأوقات عون على تربيته على التزام الأحكام ، بإفهامه أنه على شرف أن يكون واقعا في الحرج . على أن باب التغليب في مثل هذا باب واسع .

وقوله : « طوافون عليكم » أى هم طوافون عليكم : بيان لوجه الترخيص باللقيا بلا استئذان فيما عدا تلك الأوقات ، كما بين سر النهى بقوله : « ثلاث عورات لكم » ومعنى « طوافون عليكم » أنهم بصدد مخالطتكم ، والمداخلة معكم في شئون الحياة . وأصل الطواف : الدوران حول الشيء . وقوله : بعضهم على بعض ، زيادة في بيان ما تدعو اليه الحالة ، مؤكداً لحكمة نفي الحرج عنهم ، أى أن كلا منكم لا يستغنى عن مخالطة صاحبه ، فهم طوافون عليكم وأنتم طوافون عليهم على المعنى المتقدم ، فكان في قوله : « بعضهم على بعض » تسلية للمماليك والخدم بأن المعاونة في الحياة أمر مشترك بينهم جميعا .

« كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » : يأتى لفظ كذلك في القرآن على هذا الوجه كثيرا ، ومعناه أنه بعد أن يبين الحكم أو الآية أو القصة أو نحو ذلك بيانا شافيا بلا لبس القلب روعة وجلالا ، ينبه السامع والقارئ الى أن هذه هي العادة الإلهية معكم ، وأن مثل هذا البيان الذى ملك قلوبكم تبين آيات الله التى تتلى عليكم . « والله عليم حكيم » أى شامل العلم بكل ما يصلح ، وبما كان ويكون ، يضع لكم من الأحكام ما يناسبكم ، ويكفل لكم سعادتكم .



قال تعالى : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » :  
 هذا لبيان أن حكم الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم منكم : من السماح لهم بمخالطةكم ، والدخول عليكم بدون استئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة المبينة ، إنما هو ماداموا صغارا لم يبلغوا الحلم ، فإذا ما بلغوا الحلم انسحب عليهم الحكم الذى بين فى غيرهم فى قوله تعالى : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا » . وهذا لاقتلاع ما قد يراه بعضهم من أن هذا وإن بلغ فهو معتاد الدخول والمخالطة فلا حرج فى ترداده على سابق عادته ، وذلك كما تراه كثيرا فى أسر محتشمة ، إذ يتساحون مع رجال بلغوا حد الرجولة أن يترددوا عليهم ، بحجة أن هذا معتاد من صغره أن يتردد ويرى كل من فى البيت ، فجاءت الآية لاقتلاع هذا الوهم ، وتبيين الحكم صراحة فى شأنهم . وكان التعبير فى هذا الموضع بقوله : آياته ليحملهم على الخضوع لأمره تعالى وإن خالف ما كانوا يزعمون ، فهو أعلم بما فيه مصلحتهم . وأما فى الموضع الأول فإن نفوسهم منساقة الى ما بين لهم ، فكانت آية بينة على الإطلاق .

قال الله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » :

القواعد : العجائز . سمى قواعدا لأنهن لكبرهن أغلب أحوالهن القعود ، أو لأنهن يلزمن البيوت غالبا ، كل قيل به فى وجه تسميتهن قواعد . وقوله : اللاتى لا يرجون نكاحا ، أى لا يطمعن فيه لكبرهن ويأسهن من أن يتطالع لهن ، وهو وصف كاشف لعنى القواعد ، ومهد للحكم بعده ، وهو نفي الجناح عليهن فى وضع ثيابهن ، والمراد بها الثياب التى لا يفضى خلعها الى كشف العورة ، مثل القناع ، والجلباب السابغ الضافى ، كما يفيدته قوله : غير متبرجات بزينة . والتبرج : الظهور والتكشف ،

خص بتكشف النساء عمدا ليراهن الرجال . وأصله من البرج ، وهو سعة العين مع ظهور بياضها كله محمدا بالسواد .

وهذا المعنى هو الحد الفارق بين من يخشى منها الفتنة ، فالمطلوب لها أن تتحجب وترخي عليها قناعها ، وتضرب بخمارها على جبينها ، وبين من لا يخشى منها الفتنة ، فلاجناح عليها أن تضع ثيابها التي لا يفضى وضعها الى كشف العورة مع عدم التبرج بالزينة . ومع هذا فالاستعفاف والاحتياط بالتستر خير لهن . وعلى ذلك يكون قوله : غير متبرجات بزينة ، حالا يقصد بها تقييد نفي الجناح بأن محله إذا لم يقصدن بالوضع التبرج . وحكمته أن التبرج منها قد يذبه عوامل النفس الخبيثة من غيرها ، وإن كانت لا ترجو شيئا من ذلك . ومنهم من يراه لبيان حكمة الحكم ، فيكون المعنى : لاجناح عليهن في وضع ثيابهن ، فإنهن لا زينة لهن يتبرجن بها . والله سميع عليم ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فهو المطاع على مقاصد النفوس وحركات الضمائر ، فيجازى كلا بما عمل .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخير العمل ، وأن ينجبنا الزينغ والزلل ، إنه سميع عليم  
رءوف رحيم

ابراهيم الجبالي

## الحكمة غرض المؤمن

قال عليه الصلاة والسلام : خذوا الحكمة ولو من أسنة المشركين .

نقول : ويجرى مجرى الحكمة كل ما هو حسن ونافع ، فالمسلم مأثور أن يأخذ كل ما يجده من علم وصناعة وفن ، وقد عمل المسلمون الأولون بذلك ، فجمعوا كل ما تفرق في الأمم التي احتكوا بها ، فكانت مدينتهم أرقى المدينيات ، وأجمعها لكل الخيول الموزعة بين الخلق .

## رجال لله

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في لباس الفقر إجلالا

# العقيدة بالله في نظر العلم الصحيح

مذهب العلامة ( نيوتن ) في إثبات الصانع

أتينا في العدد السابق على مذهب الفيلسوف ديكارت الفرنسى في إثبات الخالق جل وعلا ، ونأتى اليوم على مذهب الفيلسوف الانجائزى الكبير نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية العامة ، وهو معدود من أهل العقول الممتازة ، والقرايح الجبارة . ناهيك أنه مكتشف الناموس الذى بنى عليه الطبيعيون بحوثهم العلمية ، وأجمعوا على القول به إجماعا لم ينله ناموس غيره ، ولم يجرؤ على نقده إلا العلامة الرياضى ( انيشتين ) المعاصر لنا ، ولكن مذهبه قد صادف أخيرا نقدة أقوىاء كادوا يلحقونه بالخيالات الباطلة .

ولدهذا البجائة سنة ١٦٤٢ ، وتوفى سنة ١٧٢٧ ، فعاش هذا المدى الطويل حاصلًا على إعجاب مواطنيه والعالم أجمع ، ولا يزال اسمه ماثلا بين أسماء الشخصيات الفذة .

الذى يقارن بين مذهب ديكارت ومذهب نيوتن في إثبات الخالق جل شأنه يجدهما قد سلكا طريقين مختلفين ، فإن الفيلسوف الفرنسى قد أغفل جميع البراهين الحسية المنترعة من الوجود المادى ، واعتمد على البراهين النفسانية . فجاء نيوتن فعكس الأمر ، فأغفل جميع الأدلة النفسانية ، واعتمد على الحجج الحسية المنترعة من الوجود المشهود نفسه . فكان بين الرجلين بون بعيد في التفكير والتعليل والبرهنة .

فقد جعل ديكارت التحقق من وجود نفسه المفكرة وسيلة الى إثبات وجود الله ، وبنى على هذين الأصلين إثبات الوجود المحسوس ، وطريق البحث عن نواميسه وقواه وخواص مادته قائلا : « إن غرضى من ذلك تفسير العلولات بعلمها لا العلل بعملولاتها » .

ولكن البجائة الانجائزى جعل قاعدة فلسفته النظر في خواص المادة ونواميس الطبيعة ، مستنتجا من ذلك عقيدة وجود الخالق ، والإمام بصفاته .

ولما اشتهر نيوتن بسلامة النظر وقوة الإقناع، سأله الناس من كل مكان أن يؤاتهم دليل على وجود الخالق يكون في درجة المحسوسات، فاجاب نيوتن دعوتهم وكتب لهم قائلاً:

« لا تشكوا في وجود الخالق، فإنه مما لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها قائدة للوجود ومهيمنة عليه، لأن الضرورة العمياء هي في كل مكان وكل زمان، فلا يتصور أن يصدر منها كل هذا التنوع في الكائنات، ولا هذا الوجود نفسه على ما هو عليه من ترتب الأنواع وتناسبها، رغما عن التغيرات التي تنصب عليها بتأثير الأزمنة والأمكنة. فكل هذا لا يعقل أن يصدر إلا من كائن أولي له حكمة وإرادة ».

ثم أخذ في تفصيل ما أجمله في عبارته المتقدمة فقال:

« من المحقق أن الحركات الحالية للسكواكب لا يمكن أن تنشأ من مجرد تأثير الجاذبية العامة، لأن خاصة هذه القوة أن تدفع بالسكواكب نحو الشمس، ولكن لأجل تعميل دوران هذه السكواكب حول الشمس، يجب أن توجد إلهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها ».

ثم قال:

« من الجلي الواضح أنه لا يوجد أي سبب طبيعي يمكن أن يعزى إليه توجيه جميع السكواكب وتوابعها للدوران في وجهة واحدة، وعلى مستوى واحد، دون أن يحدث فيها أي تغير يذكر. فجرد النظر لهذا التدبير يشعر بوجوب وجود قدرة إلهية تحده ».

« ثم إنه لا يوجد سبب طبيعي يستطيع أن يعطي هذه السكواكب وتوابعها هذه الدرجات من السرعة المناسبة مناسبة دقيقة للمسافات التي بينها وبين الشمس، ولما كنز الحركة، بحيث تتحرك هذه الأجرام في مدارات ذات مركز واحد مشترك بينها جميعاً. فلاجل تكوين هذا النظام بجميع حركاته يجب وجود مدبر عرف كل هذه

المواد ، وقابل بين كمياتها الموجودة في هذه الأجرام العلوية المختلفة ، وأدرك ما يجب أن يصدر منها من القوة الجاذبة ، وقدر المسافات المتباينة بين الكواكب والشمس ، وبين توابعها ، وساتورن ، وجوبيتر ، والأرض ، وقرر السرعة التي يجب أن تدور بها هذه الكواكب وتوابعها حول أجسام تصالح أن تكون مراكز لها .

« فمقارنة كل هذه الأمور بعضها ببعض ، والتوفيق بينها ، وجعلها نظاما يشمل كل هذه الاختلافات بين أجزائه ، كل هذا يشهد بوجود وجود سبب لا أعنى ولا حادث بالاتفاق ، ولكن على علم راسخ بأصول الميكانيكا والهندسة . »

ثم قال :

« ليس هذا كل ما في المسألة ، فإن وجود الله تعالى ضروري أيضا ، سواء أكان ذلك لإدارة هذه الأجرام بعضها على بعض — وهو الأمر الذي لا يمكن أن ينتج من مجرد القوة الجاذبة — أول لتحديد وجهة هذه الدورات لتتنقذ ودورات الكواكب ، كما يرى ذلك في الشمس والكواكب وتوابعها ، بينما ذوات الأذئاب تدور في كل وجهة على السواء . »

ثم قال :

« وغير هذا فإن في تكوين الأجرام السماوية : كيف حدث أن الذرات للمبعثرة استطاعت من نفسها أن تنقسم الى قسمين ، فالقسم المضيء منها انحاز الى ناحية لتكوين الأجرام المضيئة ، والقسم المعتم اجتمع في ناحية أخرى لتكوين الأجرام المعتمة كالسواكب وتوابعها ؟ كل هذا لا يعقل حصوله إلا بفعل إله لاحد لحكمته »

ثم قال :

« كيف تألفت أجسام الحيوانات على هذه الصنعة البديعة ، ولأى المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة ؟ هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الإبصار ونواميسه ، والأذن بدون الإلمام بقوانين الصوت ؟ وكيف يحدث أن حركات الحيوانات تحصل بإرادتها ؟ ومن أين جاء هذا الإلهام الفطري لنفوس الحيوانات ؟ »

الى أن قال :

« هذه الكائنات العالمية في قيامها كلها على أبداع الصور وأكملها، ألا تدل على وجود إله منزّه عن الجسمانية، حي حكيم، له سلطان في كل مكان، يرى حقيقة كل شيء في ذاته، ويدركه أكمل إدراك؟ » انتهى .

هذه أدلة العلامة ( نيوتن ) في إثبات الخالق، وهو يعتبر من الأعلام المعترف لهم بالعقائيات الممتازة، وهو باكتشافه لناموس الجاذبية العامة قد جعل اسمه عالميا، وخلده في تاريخ العلم مقترنا بكل تبجيل واحترام .

وكل ما ذكرناه من مذهبي ديكارت ونيوتن في إثبات الخالق، قد سبق اليه القرآن الكريم، وقد جمع بينهما في آية واحدة، فقال تعالى : ( وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ) (إدلالا على أن الانسان يصل الى الاعتقاد به من النظر في نفسه، ومن النظر في الطبيعة . وقد أكثر القرآن من لفت العقول الى هذين النبيوعين من العلم، فقال تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ) بكسر اللام . وقوله تعالى : ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ) . وقوله تعالى : ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) .

محمد فريد ومجدي

## فضل الحلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الحلیم الحي ، ويبغض الفاحش البذی . وقال بعض الشعراء :

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا  
وأصفح عن سباب الناس حلما وشر الناس من يهوى السبابا  
ومن هاب الرجال تهيّبوه ومن حقّر الرجال فلن يهابا

## نقض شبه القاديانية

- ١ -

كنا كتبنا في مجلة نور الاسلام مقالا نهنا فيه المسلمين لنزعة غلام أحمد ومزاعمه الباطلة ، فكان له بحمد الله تعالى أثر عظيم في إيقاظ من كانوا في غفلة عن هذه النحلة وما يثيره دعايتها في العالم الاسلامي من فتون وشرور ، فتميز أولئك الدعاة غيظا ، وما كان من داعيتهم في فلسطين إلا أن كتب مقالا يوهم فيه الطائفة الواقعة في حباتهم أنه يرد على مقالنا . ووقع نظرا على ذلك المقال المملوء بالتمويه والالتواء عن آداب المناظرة ، فبدا لنا أن نعود للكتابة في تلك النحلة ، فنزيد حالها إيضا . وكتبنا في مجلة نور الاسلام مقالين آخرين نهنا فيهما لبعض ما في مقال ذلك الداعية من مراوغة وانحراف عن السبيل ، وسقنا فيهما بعض ما نطق به كبيرهم غلام أحمد من زور وهذيان ، وحدث بعد هذا أن نشر ذلك الداعية في أوراق يصدرونها في شكل مجلة مقالا حاول فيه الرد على مقالنا الثاني المنشور في مجلة نور الاسلام . والواقع أنه لم يأت في مقاله هذا إلا بما يطعن في دعوتهم ، ويزيد الناس خبرة بفساد مذهبهم ، وقد كان في عرض بعض أقوال غلام أحمد وشيء من مسلكه الكفافية للدلالة على أنه يكيد للأمة الاسلامية ، ويقول على الله غير الحق . ولا حاجة بنا في إبطال دعواه النبوة والرسالة الى الخوض في أن النبوة منقطعة أو باقية ، فإن تلك الأقوال التي صدرت من غلام أحمد ، تنادي بملء حروفها أن النبوة في ناحية اليمين وهو في ناحية الشمال ، ولكننا آثرنا النزول الى نقض بعض مزاعمهم ، حذرا من أن تجد أذهانا غافلة فتعلق بها . وهانحن أولاء نعرض على حضرات القراء قطعا من مقال داعية القاديانية ، ليزدادوا علما بحال تلك النحلة ، ومبلغ دعايتها من لبس الحق بالباطل :

رأى غلام أحمد ومن اتبع خطواته أن قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم: (وخاتم النبيين) يسد الطريق على من يريد فتنة الناس بدعوى النبوة، فحاولوا تأويل الآية على معنى أنه أفضل النبيين، أو سيد النبيين، وابتغوا هذا التأويل ليتهم أن يقولوا على الله ما شاءت أهواؤهم، ويفسدوا على المسلمين أمر دينهم، فقلنا لهم: إن علماء التفسير قد اتفقوا على أن (خاتم) في الآية بمعنى آخر، وهو المعنى الذى يذكره علماء اللغة، ويسوقون من شواهد هذه الآية، ومن أراد صرف (خاتم النبيين) عن معنى آخر النبيين الى معنى أفضل النبيين، فعليه بإقامة شاهد أو نقل كلمة عن بعض علماء اللغة يدل على أن وصف الرجل بكونه خاتما لقوم، يقصد منه أنه أفضلهم أو سيدهم، ولكن داعية القاديانية لم يستطع أن يقيم من كلام العرب أو علماء اللغة ولو شاهدا واحدا على أن مثل تركيب (وخاتم النبيين) قد يستعمل بمعنى أفضلهم أو سيدهم. يقول الداعية فى مقاله الجديد: «وكناسقنا شواهد واستعمالات العرب فى كون لفظ الخاتم مضافا والقوم أولى المناصب مضافا إليهم، وكون استعمال هذا المركب الإضافى، فى مقام المدح، ولا يتأتى المعنى فى تلك الاستعمالات إلا أن المدح أفضل القوم وسيدهم».

والداعية لم يورد فى مقاله السابق شيئا من كلام العرب يشهد بأن الخاتم إذا أضيف الى القوم أولى المناصب كان بمعنى أفضلهم وسيدهم، وإنما أورد عبارات لمن لا يحتج عالم فى تفسير كتاب الله تعالى بكلامهم، ولا تتجاوز تلك العبارات وصف أحد الرجال بأنه خاتم العلماء أو الأولياء أو الشعراء، وما هى إلا أقوال صدرت من بعض رجال القرون المتأخرة أو القريبة منها، وإنما يحتج فى تفسير القرآن الكريم بكلام العربى الصميم.

وهل رأيت مجادلا أسخف قولاً ممن يحتج فى بيان معنى آية من كتاب الله تعالى بما كتبه المطبعة الأزهرية على أول الصحيفة الأولى من كتاب الإتيقان، أعنى قوله: «الجزء الأول من كتاب الإتيقان فى علوم القرآن خلاصة المحققين».



ثم إن أمثال هذه العبارات من نحو خاتم المحققين أو خاتم الأئمة أو خاتم المجتهدين ، قد ينساق إليها قائلها من شدة إكباره لتمام الممدوح ، لحد أن يظن بلوغه مرتبة يبعد أن ينالها أحد من بعده ، كما قالوا :

هبات أن يأتي الزمان بمثله      إن الزمان بمثله لبخيل  
وكما قالوا :

حلف الزمان ليأتين بمثله      حينئذ يمينك يا زمان فكفر  
وكما قال السيوطي في تقي الدين الحراني : « آخر المجتهدين » .

وفسر الداعية في مقاله الأول الخاتم بمعنى الزينة ، ولم يجد شاهدا على هذا من كلام العرب أو أقوال اللغويين أو المفسرين ، فتعاقى بكلمة للشيخ محمد طريح النجفي ( أحد علماء الشيعة ) اقتطعها اقتطاعا ، فقال : « يقول صاحب مجمع البحرين ما نصه : « ومحمد خاتم النبيين ، يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، فالفتح بمعنى الزينة ، مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه » .

والواقع أن الشيخ النجفي قد صرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، فقد قال قبل تلك الكلمة التي اقتطعها الداعية : « قوله تعالى : ( وخاتم النبيين ) أي آخرهم ليس بعده نبي » ثم قال : « ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، فالفتح بمعنى الزينة ، مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه ، وبالكسر اسم فاعل بمعنى آخر » . ولما كان صاحب مجمع البحرين يعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء ليس بعده نبي ، فقصارى أمره أن يكون أخطأ في تأويل ( خاتم ) على قراءة الفتح بمعنى الزينة ، فإنه مخالف لأقوال من هم أدري منه بتفسير كتاب الله تعالى ، وبوجوه استعمال الألفاظ العربية حقيقة أو مجازا .

وها نحن أولاء نسوق اليكم طائفة من أقوال علماء اللغة الشاهدة بأن الخاتم ( بفتح التاء أو كسرها ) بمعنى الآخر ، قال صاحب اللسان : « وخاتمهم وخاتمهم : آخرهم ،

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين » وقال ابن سيده في كتاب المحكم : « وختم القوم وخاتمهم وخاتمهم : آخرهم » وقال : « وفي التنزيل ( ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) أى آخرهم » وقال الأزهري في كتاب التهذيب : « وخاتم كل شئ آخره ، وقوله تعالى : ( رسول الله وخاتم النبيين ) معناه آخر النبيين » ولم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة أو غيرهم كصاحب الصحاح وصاحب المصباح وصاحب القاموس وصاحب أساس البلاغة أن الخاتم يكون بمعنى الزينة .

ولعل الداعية يعلم أن القرآن الكريم إنما يستشهد في تفسيره بكلام العرب ، ويتيقن أن استشهاده بالعبارات التي ينقلها عن بعض الكتاب أو أصحاب المطابع ، لا يتقبله أهل العلم ، ولكنه يسوقها استهواء لقوم يجهلون آداب البحث ، ولا يفرقون بين ما يصح أن يستشهد به في تفسير كتاب الله تعالى ، وما لا يصح الاستشهاد به <sup>(١)</sup> .

وخلاصة البحث أن علماء اللغة يقولون : الخاتم بمعنى الآخر ، والمفسرون يقولون : ( وخاتم النبيين ) أى آخرهم ، وداعية القاديانية يزعم أن ( خاتم النبيين ) بمعنى زينتهم أو سيدهم أو أفضلهم . وانتظرنا منه أن يأتي بشاهد على هذا من كلام العرب ، أو من كتب اللغة ، أو من أقوال أئمة التفسير ، فلم يفعل ، وذهب يعارض أئمة اللغة والتفسير ، بلغوا من القول ، كأنه لا يشعر أن القرآن الكريم قول فصل ، وما هو بالهزل ؟

محمد الحضر حسين

## من الشديد بحق ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الشديد من غلب نفسه .

وقال عون بن عبد الله : إذا عصبتك نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحبت ، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك .

(١) اورد في بعض رسائله أحاديث وآثارا عن بعض السلف ، ووعد ببحثها المقال التالي ، إن شاء الله .

## رجب

رجب: أحد الأشهر الحرم الأربعة التي نص الله عليها بقوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم. وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» وإنما نسب لمضر، لأنهم أشد تعظيما له من غيرهم، وكانت العرب تسمى شهر رجب بالفرد، لعزله عن الأشهر الحرم، وكانوا يسمونه شهر الله الأصم، أى الذى لا يسمع فيه صوت سلاح ولا صوت مستغيث، وربما كانوا يستعملون رجبا لحجهم الأصغر، يعنى العمرة. وكانت العرب تحترم الأشهر الحرم، فتلقى فيها السلاح، وترك الغزو، ولا يستبيحون فيها القتال، ولا الأخذ بالثأر، حتى لقد بلغ من أمرهم أن أحدهم لولق قاتل أبيه أو ابنه فى شهر رجب لم يتعرض له.

وفى اللسان: ورجب سموه بذلك لتعظيمهم إياه فى الجاهلية عن القتال فيه. والترجييب التعظيم. وفى الحديث: هل تدرون ما العتيرة؟ هى التى يسمونها الرجبية، كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه. والترجييب ذبح النسائك فى رجب، وكانت العرب ترجب أى تذبح النسائك فى رجب.

وإنما اعتبرت العرب هذه الشهور واحترمتها، حتى لا يقف العداء بينها وبين بعضها حجر عثرة فى طريق الحاج منهم، وكان من عاداتهم العمرة فى رجب. وأشهر الحج الأ كبر عندهم: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. وكانوا يحزمون الشهر الذى فيه الحج، وهو ذو الحجة، والذى قبله، لأنه وسيلة إليه، والذى بعده لأنه تابع له، لأن الحاج كان يسافر فيه الى بلاده، فوجب أن يكون فيه آمنا على نفسه وماله.

وقد أقرّ الاسلام احترام هذه الأشهر ، وجعل الطاعة فيها مثابا عليها أكثر من الطاعة في غيرها . ولم يكن القتال مباحا في الأشهر الحرم في صدر الاسلام ، فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام ساءه ما نسب لبعض أصحابه من أنهم قتلوا قرشيا في رجب وقال : والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . وضاعت الصحابة بصنيع إخوانهم ، وعيرت قريش المسلمين المقيمين بمكة لأنهم سفكوا الدم في الشهر الحرام ، فلما نزل ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ) طابت نفوس الصحابة ، وسُرى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وإذا كانت الأزمان تتمايز بما يقع فيها من الحوادث ، فلرجب فضل كبير ومزايا عظيمة ، لوقوع كثير من الحوادث العظيمة فيه . فمن ذلك أولاً :

حصول الإبراء والمعراج للنبي صلى الله عليه وسلم فيه . أما الإبراء فثبت بقوله تعالى : ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ) والمسجد الحرام هو الكعبة ، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس ، والمباركة حوله : تخصيصه ، لأنه متعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبلة لهم ، وكثرة الأنهار والأشجار حوله ، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض ، خبر أبي ذر : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . وقد ورد أن الصلاة فيه يضاعف فيها الأجر . وقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن الإبراء كان لإطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على الآيات الكبرى ، والعجائب العظيمة .

وأما المعراج فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام عُرج به إلى السموات ليلة أسرى به ، وأراه الله تعالى من الآيات والكائنات ما لم يطلع عليه غيره ، وأطلعته على أحوال الجنة والنار ، وعلى عجائب الخلق من الملائكة وغيرهم ، وأودعه من أسرار الحكمة والفضل ،

وقربه وأدناه ، وجعل منزلته أعلى المنازل . وقد جاء في حديث المعراج أن الصلاة فرضت ليلتين ، وقد جعلها الله خمسا في الفعل ، وخمسين في الأجر .

ولا شك أن الصلاة من أهم فروض الدين بعد الإيمان ، وقد فرضت في رجب ليلة المعراج ، فهي من أهم الحوادث التي يمتاز شهر رجب بحدوثها فيه . وقد ثبتت فرضية الصلاة بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ( وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) وقال : ( إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ) وقال تعالى : ( فَسَبِّحْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ) وقد بين صلى الله عليه وسلم الأوقات المفروضة ، كما بين عدد الركعات في كل وقت وما يفترض فيها ، بتعليم الله له على لسان جبريل عليه السلام .

ومن الحوادث التي حصلت في رجب تحويل القبلة ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الهجرة متجها نحو بيت المقدس بأمر من الله له ، واستمر على ذلك نحو ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان يجب أن يتجه في صلاته نحو الكعبة لأنها قبلة إبراهيم ، فأنزل الله تعالى : ( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ) والأكثر من العلماء على أن ذلك كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . هذه أهم حوادث هذا الشهر الذي كان معظما كما قلنا في الجاهلية ، وإنه يكفي لعظمته في الإسلام أن الطاعة فيه تضعف ، والسيئة تقع أكثر نكرا منها في غيره ، وأنه ظرف لهذه الحوادث الهامة .

#### الصوم فيه :

قد علمت أن هذا الشهر من الأشهر الحرم ، وأن هذه الأشهر معظمة عند الله ، وأن الحسنة فيها تضعف ، فمن تطوع فيها بصوم أو صلاة كان له أجره ، وصوم التطوع مشروع

مأجور عليه ، وقد دلت الآثار والأحاديث على استحباب الصوم في الأشهر الحرم ، ورجب منها . وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب إلى الصوم في الأشهر الحرم ، ورجب أحدها . وأخرج مسلم عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم . فقلت لها : من أى أيام الشهر كان يصوم ؟ قالت : لم يكن يبالى من أى أيام الشهر يصوم .

وأخرج مسلم أيضا عن أبي قتادة في حديث طويل قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله — الحديث . وأخرج أيضا من حديث آخر فيه أن رسول الله سئل عن صوم يوم وإفطار يومين ، قال : ليت أن الله قوّا لذلك . قال : وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم ، قال : ذلك صوم أخى داود عليه السلام . قال : وسئل عن صوم يوم الاثنين ، قال : ذلك يومٌ ولدت فيه ويومٌ بعثت ، أو أنزل على فيه . قال : فقال : صوم ثلاثة من كل شهر ورمضان إلى رمضان صوم الدهر .

وأخرج مسلم أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن سأله : صم ، أفضّل الصيام عند الله صوم داود عليه السلام : كان يصوم يوما ويفطر يوما . وما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب فضعيف . فظهر من هذا جميعه استحباب الصوم في رجب ، خصوصا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع شهرا حتى يصوم منه ، فلا وجه لمن أنكر الصوم في رجب . نعم لم يرد في استحباب صوم يوم معين من رجب سنة ثابتة .

أما صوم رجب جميعه ، وشعبان جميعه ، ليتصل صومهما بصوم رمضان ، فلم يثبت أن رسول الله فعل ذلك أو طلبه إلى أحد من أصحابه فيما أعلم ، ولكنه مشروع مثاب عليه .

بقي بعد الذي بيناه من أن الطاعة في هذا الشهر تضاعف فيها الحسنات ،  
 ألا تغفل عن أن السيئات في هذا الشهر أشد عقاباً عند الله منها في غيره .  
 ومما يجب التنبيه إليه أن الإقدام على الفعل المكروه على أنه مندوب أو سنة  
 أو مستحب ، من أشد الأمور ضرراً ، لأن الشيطان يزينه في نفس من يعمله ، ليواطئ  
 عليه ويدعو إليه ولا يتوب عنه ، لأنه لا يعلم أنه معصية ، فيلقى الله وهو مذنب لم يتطهر  
 بالتوبة ، وفي هذا بلاء عظيم . فليحذر المسلمون من المعاصي تزيين لهم في صورة الطاعات .  
 ولا يفوتنا أن نقول : إن الاجتماع في شهر رجب في القبور ، والبيات بها ، وإيقاد  
 الأنوار ، وعمل الولائم ، واجتماع النساء بالرجال اجتماعاً مخلاً بالآداب ، من الأمور  
 المنكرة شرعاً ، ولا يجوز لمسلم أن يفعلها ، ولم يرد في الدين استحباب زيارة القبور في يوم  
 معين من رجب ، أو في رجب بخصوصه . وليس معنى هذا عدم جواز زيارة القبور  
 في رجب ، بل معناه أن خصوص يوم للزيارة فيه لم يرد في الدين . أما من زار القبور للعتة  
 والاعتبار ، فلا حرج عليه أن يزور في أي يوم من أيام السنة ، ما دامت زيارته لا يترتب  
 عليها معصية : من انتهاك حرمة الأموات ، واجتماع النساء بالرجال ، وما إلى ذلك من  
 أمثال ما تفعله العامة . وفقنا الله جميعاً لما فيه خيره .

طه هبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية

سابقاً

## فضيلة القصد في الكلام

قال عليه الصلاة والسلام : رحم الله من قال خيراً فغنى ، أو سكت فسلم .  
 وقال لمعاذ : أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أو لك .  
 وقال على كرم الله وجهه : اللسان معيار أطاشه الجهل ، وأرجحه العقل .  
 وقال بعض الحكماء : الزم الصمت فإنه يكسبك صفوة المحبة ، ويؤمنك سوء المغبة ، ويلبسك  
 ثوب الوقار ، ويكفيك مئونة الاعتذار .

## الكتاب - والسنة

الصفات التي يشتركان فيها ، والصفات التي تخص كلا منهما

أساس التشريع في الدين هو الكتاب العزيز . وهو كلام الله المنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، وعنه تفرعت الأصول الأخرى ، فهو أساس السنة ، ودليل الأخذ بها في قوله تعالى : ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) وفي قوله جل شأنه : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) وقوله عز وجل : ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) وغير ذلك من الآي الدالة على أن طاعة الرسول فيما أمر وفيما نهى ، واتباعه فيما فعل ، وفيما قرر من الأعمال ، كل ذلك أمر به الله . فمن هنا كانت السنة من الأصول التي تؤخذ منها أحكام الله .

والسنة : هي أقواله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله وتقريراته . ويتفرع عنهما أصول أخرى تؤخذ منها الأحكام ، ويستدل بها عليها ، كالأجماع المستدل عليه من الكتاب بقوله تعالى : ( وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ) وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجمع أمتي على ضلالة » وكالقياس المستدل عليه من الكتاب ، بقوله تعالى : ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ) ومن السنة ، بتقريره صلى الله عليه وسلم لمعاذ في قوله وقد سأله حين بعثه لأهل اليمن ليقضى بينهم : « بم تقضى بينهم ؟ » فقال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسوله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أقيس الشيء بالشيء » فأقره على ذلك . وقد يكون هناك أصول أخرى قال بها بعض الفقهاء ، ووردها بعضهم الى ما ذكره .

وليس غرضنا في هذه الكلمة بيان كل واحد من تلك الأصول ، وإنما نريد أن نبجل معنى كل من الكتاب والسنة ، وما يشتركان فيه من الصفات ، وما يخص كلا منهما ،



فهما مشتركان في أن كلا منهما موحى به من قبل الحق عز وجل ، ولولا ذلك ما وجبت الطاعة ، فإن الطاعة والعبودية والعبادة إنما تكون للسيد الأعلى ، والمالك القادر ، والرب الخالق المنعم ، والمهيمن المسيطر ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير . وطاعة من عداه إنما جاءت من أجل أمره هو جل شأنه بطاعته ، وذلك كطاعة الأنبياء ، وكطاعة أولى الأمر ، وطاعة السيد ، وأمثال ذلك .

أما الوحي في الكتاب العزيز فما لا يشك فيه مؤمن . وأما الوحي في السنة فبقوله تعالى : ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) ولا يغيب عنا أن هذا في شأن التشريع وبيان الأحكام الدينية ، وأما في العاديات فليس كل ما ينطق به عن وحي أوحى إليه به ، بل غاية أمره أنه لا ينطق عن الهوى والميل عن القصد ، وإن كان بعض ما ينطق به صادرا عن حكم العقل ، ووجدانات النفس ، ومألوف المخاطبات ، وذلك كمشئونه في طعامه وشرابه ولباسه وجالوسه ونومه وما ماثل ذلك ، فليست كل هذه يوحى بها ، وإنما غاية أمرها أنها منطبقة على ما ينبغي أن يكون ، وما تقضى به الفطر السليمة . ولقد كان عليه الصلاة والسلام يسكت وهو معهم ، فيعرفون أنه قد جاءه الوحي ، فيلزمون الأدب والصمت حتى ينتهي من الوحي ، فيبلغهم ما نزل به عليه الملك . وكانت عصمته صلى الله عليه وسلم كعصمة إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أمانا له من أن يقع منه محذور ومعصية توجب غضب الله . نعم كان يجتهد صلى الله عليه وسلم في بعض الأحكام فيصيب الحكم الذي رضى الله لعباده ، وقد يكون منه جل شأنه أن يوحى إليه بما يخالف ما أداه إليه اجتهاده ، وذلك كما ذكره في تفسير قوله تعالى : ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتُ لَهُمْ ) . وفي تفسير قوله عز وجل : ( مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ إِلَّا حَتَّىٰ يَتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ ) . فمن أنه ينطق عن الوحي لا عن الهوى ، ومن أنه معصوم عن مخالفة الله فيما يأتي وفيما يذر ، ومن أن الله ضمن له ألا يقره على اجتهد على خلاف ما سيشرع له ولا أمته من الأحكام - كان كل ما يقوله واجب الاتباع ، وما يفعله

لا يكون فيه حذر، ما لم يدل الدليل على اختصاصه به، وما يقره يكون مما يقر مثله في نظر الشرع.

ويبقى في أفعاله صلى الله عليه وسلم نظر آخر بعد أن تقرردلاتها على الجواز، وهو: هل تدل على أن ما فعله مطلوب وعبادة، أو هو لمجرد الجواز، أو أن ما فيه معنى التعبد يدل على الطلب، وما هو من قبيل العادات لا يدل على نفي الحرج؟ هذا مقام يعنى علماء الأصول، فلهم فيه أقوال واستدلالات، وردود لا تتسع هذه الكلمة لاستيفائها. فأقواله صلى الله عليه وسلم في باب التشريع موحى بها قطعاً، والكتاب العزيز موحى به قطعاً. فالوحي من عند الله مما يشترك فيه الكتاب والسنة. وسيأتى ما يفترقان فيه من أمر الوحي. والكتاب والسنة يشتركان كذلك - بناء على هذا - في وجوب امتثال ما فيهما، والطاعة والخضوع لأحكامهما. لا يخالف في ذلك مسلم، وإنما الخلاف الواقع بين الفقهاء في أمرين (الأول) في الاقتناع بأن هذا الحديث صح إسناده للنبي صلى الله عليه وسلم أو لم يصح. و (الثاني) في هل هذا النص يدل على هذا الحكم أو لا يدل؟ وقد دُوِّنَ للأول علم رواية الحديث، وبينت مراتب الأسانيد، وحللت عبارات الرواة، وفحصت سير الرجال باعتناء واستقصاء بالعين بالمطلع مبلغ الطمانينة واثلاج الصدر. ولقد استباحوا في هذا الباب ذكر عيوب الرجال وزلاتهم مع كون الغيبة محرمة شرعاً، ولكن هذا كفحص حال الشهود في القضايا، بل هو أهم وأعظم. ودُوِّنَ للثاني فن أصول الفقه، حيث فحصت الصيغ والأساليب، وحقق ما تدل عليه، واستدل على كل بحث مما يتعلق بذلك بما لا مزيد عليه لمستزيد.

نقول: هذا ما نشأ عنه اختلاف الفقهاء في استنباط الأحكام. فأما الوجه الأول وهو ما يرجع إلى السند وتصحيحه، فهو خاص بالسنة، إذ الكتاب العزيز قد روى بطريق التواتر في كل طباقه عن جمع يستحيل أن يتواطأ على الكذب، أو أن يقع في الخطأ. وتخصص في كل عصر وفي كل مصر فئات جمة عنوا بضبط حركاته وشداته

ومده وغنه وأحكام تجويده عناية لم يفهم فيها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها. والقراءات للتواترة كل منها نزل به القرآن، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وقد نعرض لهذا الحديث في فرصة أخرى، إن شاء الله.

قلنا: إن كلام الكتاب والسنة موحى به من عند الله، إلا أن الوحي في السنة وحي بالمعنى، ويعهد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعبر عما ألقى في قلبه باللفظ الذي يؤلفه. وأما في الكتاب العزيز فالوحي متناول للأمرين جميعاً: اللفظ، والمعنى. فمثلاً قوله تعالى: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) في سورة القصص، وقوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) في سورة يس: كل منهما ما تزم في مكانه ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لغيره من باب أولى أن يقدم لفظ رجل في سورة يس على « من أقصى المدينة » ولا أن يؤخره في سورة القصص.

والوحي: هو إلقاء المعنى في قلب نبي من الأنبياء، مصحوباً بلفظ يلتزم، أو متروكاً أمر اللفظ فيه لاختيار النبي الموحى إليه. وقد بينت طرقه في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) ومعنى وحياً في الآية: أى إلقاء في القلب بلا سماع لفظ. ومعنى من وراء حجاب: أن يسمع اللفظ ولا يرى، كما كان لموسى صلوات الله عليه وسلامه. ومعنى أو يرسل رسولاً: أن يرسل ملكاً يبلغه عن ربه، ويصحب ذلك جزم النبي واستيقانه أن الرسول من عند ربه، فيتخلص هذا في أن معنى الحديث موحى به دون لفظه. وأما الكتاب فوحي بمعناه ولفظه جميعاً.

قد يكون من الحديث حديث ينطق به على لسان الحق جل وعلا، أى كأنه صادر من الخالق مباشرة، وهو ما يسمى بالحديث القدسي، كما في حديث « ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مستزق فأرزقه؟ » وكما في حديث « عبيد لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يده » فهذا أيضاً ما أوحى بمعناه للنبي صلى الله عليه وسلم وترك له التعبير عنه بالعبارة التي يؤلفها على أنها صادرة عن الحق جل جلاله لعباده.

بقي وصفان يمتاز بهما القرآن الكريم عن السنة ، وهما : التعبد بالتلاوة ، والتحدى بأقصر سورة منه . أما التعبد بتلاوته فمعناه أن تلاوته في ذاتها عبادة وطاعة ، سواء أ كانت في الصلاة أم كانت خارجها ، وسواء أفهم معناه — وهو ظاهر ، وذلك هو الأكل في التلاوة — أم لم يفهم . ووجهه أنه إذا فاته الفهم فلم يفتته أنه يسأم بقسط في حفظ كتاب الله الذي تعهد بحفظه ، والأمن من تغييره وتحريفه ، في قوله تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) وطريق حفظه بتوفيق الله طوائف في كل عصر يحفظونه ويدارسونه ويكثرون من تلاوته ، حتى يكون بعضهم على بعض شهيدا . وسبيل ذلك أن يجعل الله مجرد تلاوته عبادة ، حتى يشترك فيها من يتقوى على فهمه ومن لم يقو عليه . وأما التحدى بأقصر سورة منه فمعناه أن يدعو السامعين الى معارضته إذا استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وذلك ليتبين عجزهم عن معارضته والإتيان بسورة من مثله ، والسورة تصدق بأقصر سورة . ومتى عجزوا جميعا وفردا — ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا — كان هذا صادرا عن القوة الإلهية ، ليس للقدرة البشرية دخل فيه ، فهو من عند الله ، فلا تأتي به إنما يبلغ عن الله ، فهو رسول الله ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . وبذلك ترى أن التحدى راجع الى ثبوت الإعجاز له .

أما حديثه صلى الله عليه وسلم فليست تلاوته عبادة ، وإنما العبادة في تبايغه للغير من باب إعلام الغير أنه صلى الله عليه وسلم قال كذا ، فهو تعاليم ، أو في تفهمه وتدبره ليهتدى بهديه ويستضاء بنوره ، فالعبادة فيه في التعلم أو التعاليم . وكذلك ليست عبارة الحديث معجزة للبشر من أن يأتوا بمثلهما ، وإن كان قد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، وأوتي قسطا من النصيحة والبلاغة قبل من يدانيه فيه ، إلا أن التفوق شيء ، والإعجاز وانقطاع الأعناق دونه شيء آخر .

هذا : وأما وجوه إعجاز القرآن فكثيرة مستفيضة ، قد نعرض لها في فرصة أخرى إن شاء الله . والآن نجتزئ بهذا المقدار ، ونرجو أن نبسط منه في مقال آخر ما يمن الله تعالى به . والله ولى التوفيق

ابراهيم الجبالي

## الفتاوى والأحكام

ورد الى إدارة المجلة خطاب من الشيخ عبد العظيم محمد الصيفي يتضمن ما يأتي :

هل ينتفع الميت بالقراءة بعد الموت ؟ وهل يحل أخذ الأجرة على القراءة للميت ؟ وهل ينتفع الميت بالقراءة إذا كانت بأجرة ؟ وهل للعتاقة والسبحة — وهو ما يعملها الناس في الأرياف من قراءة مائة ألف صمدية وسبعين ألف لا إله إلا الله — أصل في الدين ؟ وهل فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وما الحكم فيما يفعله فقهاء الأرياف من تفهيم الناس — خصوصاً أهل الميت — بأن الميت لا يغفر له ولا يدخل الجنة إلا إذا عمل له عتاقة وسبحة ؟ وما الحكم في احتسكائهم في أخذ أجر معين ؟ وهل يأخذ الإنسان النقود بالربا لأجل ذلك ؟ وهل يجوز أن يتصرف في التركة التي للقصر حق فيها لهذا العمل ؟ وما الذي يجب عمله ليصل ثواب القراءة للميت ؟

الجواب : جرت الشريعة الإسلامية على أن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صدقة أو غيرها ، فيما يراه الخفية ، واستدلوا بما في الصحيحين من أنه صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن أقر بوحدانية الله وشهد له بالبلاغ ، وبما رواه الدارقطني أن رجلاً سأل صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما ، فكيف لي بهما بعد موتهما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك ، وتصوم لهما مع صيامك . وقد روى الدارقطني أيضاً عن عليّ عنه صلى الله عليه وسلم ما معناه أن من قرأ « قل هو الله أحد » إحدى عشرة مرة ووهب أجرها للأموات ، كان له من الله أجر كبير . وروى عن أنس أنه سأل صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا ونمجد عنهم ونندعو لهم ، فهل يصل ذلك اليهم ؟ قال : نعم إنه ليصل اليهم ، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم

بالطبق إذا أهدى إليه . وعنه صلى الله عليه وسلم : اقرءوا على أمواتكم يس . وبقوله تعالى : ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) ؛ وبقوله تعالى : ( وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ) ؛ وبقوله تعالى : ( الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ) وبغير ذلك من الآثار .

ومن المقرر شرعاً أن زيارة القبور مندوب إليها ، وقد زار النبي صلى الله عليه وسلم قبور أصحابه ، ودعاهم وترحم عليهم واستغفر لهم ، وأمر الصحابة إذا زاروا أن يقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإننا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية .

من هذا يتبين أولاً جواز القراءة للميت والاستغفار له ، وأنه ينتفع بذلك . وعليه فاجتماع جماعة من الناس فقهاء كانوا أو غير فقهاء لقراءة سورة من القرآن سواء أكانت سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرها أو ذكرهم لله ، وإهداؤهم ثواب ذلك للميت ، أمر جائز مشروع ، ما دامت القراءة خالية عن التشويش ، مستوفية شروطها الشرعية ، وما دام ذكر الله بعيداً عن التلاعب . والشأن في هذه القراءة بنية النفع للميت أنه ينتفع بها . فمن أراد القراءة لأبيه أو الاستغفار له ، فليفعل بنية الدعاء والاستغفار . والمرجو إن شاء الله أن ينفع ذلك المقروء له . أما الاجتماع على الوجه الذي يعمله الآن فقهاء الأرياف أو فقهاء المدن ، فلم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله ، كما لم يثبت عن أحد من الخلفاء الأربعة فعله على الوجه الذي يعمل الآن فيما أعلم .

بقي القول في جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن ، وهل ينتفع الميت بالقراءة التي يأخذ عليها القارئ أجراً ؟ فمذهب الحنفية أن القراءة بأجر لا ثواب فيها للقارئ

ولا للميت . قال العيني في شرح الهداية ويمنع القارئ الدنيا ، والأخذ والمعطى آثمان . وأطال في ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار . وله رسالة خاصة أطال فيها ، ونقل فيها نصوص أئمتنا . فمن شاء المزيد فايرجع اليها .

ويرى السادة الشافعية أن الإجارة للقراءة على القبر مدة معلومة أو قدرا معلوما ، جائزة ، للانتفاع بنزول الرحمة حيث يقرأ القرآن ، ويكون الميت كالحي الحاضر ، سواء أعقب القراءة بالدعاء له ، أو جعل ثواب قراءته له أم لا ، فتعود منفعة القراءة الى الميت في ذلك ، ولأن الدعاء ياحقه . الى آخر ما قرره السادة الشافعية . وعلى ذلك فتكون القراءة بالأجرة غير مفيدة عند السادة الحنفية ، ولا ثواب فيها للقارئ ، ولا للميت ، والإجارة فيها غير صحيحة . أما مذهب السادة الشافعية فلا إجارة عندهم صحيحة ، وجائزة ، وينتفع الميت بالقراءة . فما يعمل الآن من تأجير الفقهاء لقراءة الختمات ، أو عمل العتاقة للميت ، جائز في مذهب السادة الشافعية . وما دامت القراءة بأجرة ، فسواء في هذه الإجارة الغنى والفقير ، لأن للأجير أجر عمله ولو كان غنيا ، مادام قد أجر نفسه ورضى أن يعمل بالأجر . أما من لم يعمل ، فلا يجوز له أخذ الأجرة ، ولا المطالبة بها ، فقيرا كان أو غنيا ، إلا إذا أعطاه أهل الميت صدقة ، وكان فقيرا ، فيحل له الأخذ . أما احتكام الفقهاء في أخذ مقدار معين من المال ، فإنه يحل لهم أخذه إن تم عقد الإجارة عليه ، لأنه يكون أجرا متفقا عليه . وأما ما يفعله الفقهاء الذين وصفتهم في خطابك من تفهيمهم أن من لا يقرأ له لا يدخل الجنة ، فهو تقرير بالناس لا يجوز ، ولا ينبغي لمسلم إقرارهم عليه ، كما لا ينبغي لأحد أن يصدقهم فيه ، لأن من مات من المسلمين أمره مفوض لربه .

وأما أخذ المال بالربا للقيام بالمآتم أو الأفراح أو أى عمل آخر ، فلا يجوز . كما أنه لا يحل لأحد صرف مال القاصر في مثل هذه السبل ، والله أعلم .

وورد الى إدارة المجلة من الشيخ عبد الغنى قريطم خطاب يتضمن عدة أسئلة تتلخص فيما يأتى :

- ١ - هل يجوز لمن يبغض زوجته بغضا لا مزيد عليه أن يعذبها فى بيته بدلا من أن يطلقها ؟
- ٢ - هل يقع طلاق السكران سكرًا جعله غير مدرك لما يقول ؟
- ٣ - هل يصح تمنى الرجل الموت لنفسه ؟
- ٤ - هل يموت مسالما من ينتحر بسكين أو بغيرها من أدوات القتل ؟
- ٥ - هل ورد صيام رجب وشعبان ورمضان وصيام الخميس والاثنين ؟
- ٦ - هل يصح تأخير أداء الصلوات عن وقتها لعامل يعمل بحل تجارة ولا يستطيع الأداء فى الوقت ؟
- ٧ - ما حكم المريض والأعمى إذا قتل أو سرق أو زنى ؟
- ٨ - من هو المالحد ؟

الجواب : ١ - مضارة الزوج لزوجته لا تجوز شرعا ، والواجب هو المعاشرة بالمعروف ، أو التفريق بإحسان ، فمن ضار زوجته وأساء إليها ، كان آثما .

٢ - طلاق السكران على الوصف الوارد بالسؤال ، يقع عند السادة الحنفية زجرا له عن المعصية ، ولا يقع على قول راجح للإمام أحمد ، وقول فى المذاهب الثلاثة . وقد صدر مرسوم ملكى باتباع المحاكم الشرعية رأى القائل بعدم الوقوع ، فالحاكم لا تحكم بوقوع طلاق السكران الآن . راجع المادة الأولى من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، وعدم الوقوع لا يخلّيه من إثم السكر والعقاب عليه .

٣ - لا يجوز الرجل تمنى الموت لضر نزل به أو ضيق فى دنياه ، للحديث الشريف : لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحيى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى . ولا يكون تمنى الموت خوفاً فتنه فى الدين . أى أن من خشى على دينه جاز له تمنى الموت .



٤ - الانتحار رذيلة من أكبر الرذائل ، ومعصية من أشد المعاصي عند الله بعد الشرك ، ومرتكب هذه المعصية فاجر فاسق وجبان سخييف يستحق عند الله عقاباً أشد من عقاب من يقتل غيره عمداً . وإذا علمت أن الله قال في كتابه العزيز : ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ) وعلمت أن أئمتنا يرون أن قاتل نفسه أشد عقاباً عند الله من قاتل غيره عمداً ، علمت مقدار ما أعد الله لأمثال هؤلاء من العذاب الأليم ، حتى لقد ذهب بعض العلماء الى القول بكفره ، ولكن الحنفية يرون أنه وإن أتى بكبيرة من أكبر الكبائر لا يخرج عن دينه بذلك الفعل ، وإنما هو عاص باغ عاد على نفسه . ولذلك كان المفتى به في مذهب الحنفية أنه يُغسل ويصلى عليه كبقية الفساق من المسلمين . ومن أدل الأدلة على عظم جرم المنتحر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع من الصلاة على قاتل نفسه زجراً لغيره عن مثل هذا الفعل القبيح ، وناهيك بدلالة امتناعه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على من انتحر . وهذا كله إذا كان قد قتل نفسه عمداً ، أما إذا كان القتل خطأ ، فإنه يُغسل ويصلى عليه بلا خلاف بين الأئمة .

٥ - أجيب عن هذا السؤال في الكلام عن الصوم في رجب وهو منشور بهذا العدد ، فليراجع .

٦ - أداء الصلوات في وقتها فرض لا يصح التواني فيه ، ولا الكسل في أدائه ، ويفسق من لا يؤدي الصلاة في وقتها كسلاً ولغير عذر . أما من لم يستطع لعذر ضرورى قهرى ، فعليه القضاء والإسراع به . ومتى كان معذوراً عذراً صحيحاً فبالقضاء يخرج عن العهدة . ولا قائل من الأئمة بعدم صحة الصلاة قضاء . وليس من الأعذار الاشتغال بالتجارة ، ولا عدم قبول الأجير لمن يعمل عنده ، ولا الاشتغال بالدرس ولا غيره مما يفهم الناس أنه عذر .

٧ - حكم المريض في هذه الأشياء حكم الصحيح ، وحكم الأعمى في القتل والزنا حكم الصحيح . فإما قدر من العقاب لهذه الموبقات ، فهو مقدر عليه كالصحيح والبصير .

أما السرقة فيرى الحنفية أنه لا يحد حد السرقة ، لاشتباه ماله بمال غيره ، نظرا لفقد بصره ، ولكنه يعاقب عقابا شديدا حسبما يراه الحاكم . أما قوله تعالى : ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) فظاهر أنه في غير الحدود والعقوبات . وسيأتى تفسير هذه الآية في تفسير سورة النور بعدد المجلة المقبل .

٨ - سبق للمجلة إيضاح معنى الملحد واللاحد . فليراجع ما كتبت به .

\*  
\*  
\*

وورد من حضرة الشيخ أحمد إبراهيم الضبيع أسئلة يتاخص أولها - على طوله في الاستعلام عن الصلاة وراء إمام متكبر ، يتشبث بالإمامة ، ولا يريد التنحي عنها :  
أصححة هي أم باطلة ؟

الجواب : الجماعة سنة مؤكدة ، والأعلم بالسنة أحق بالإمامة من غيره عند الإمام الأعظم ، لحديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يؤم القوم أعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقرؤهم لكتاب الله تعالى ، واقوله عليه الصلاة والسلام : مروا أبا بكر فليصل بالناس . وكان فيهم من هو أقرأ للقرآن منه مثل أبي وغيره . ثم الأقرأ ، ثم الأورع ، لقوله عليه الصلاة والسلام : اجعلوا أئمتكم خياركم ، الحديث . ثم الأسن . وتكره الإمامة الفاسق ، لأنه لا يهتم لأمر دينه ، ولأن في تقديمه للإمامة تعظيمه . ولكن إن صلى الفاسق ، جاز ، لحديث : صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ . والأصل عدم اشتراط العدالة في الإمام . ومن صحت صلاته لنفسه صحت لغيره . وقد ثبت إجماع أهل العصر الأول من بقية الصحابة ومن معهم من التابعين إجماعا فعليا على الصلاة خلف الجائر . وقد أخرج البخاري عن ابن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج ابن يوسف ، وأمره مشهور .

من هذا يتبين أن الصلاة خلف إمام متكبر مثلاً ، أو متشدد في أن يكون إماما صلاة صحيحة ، وإن كانت الصلاة خلف غيره ممن لا يتصف بهذا الوصف أولى وأجدر .

وورد الى إدارة المجلة من الشيخ شمس الدين الحرأوى ما خلاصته السؤال عن ثبوت النسب، ووجوب النفقة لزوجة وأولاد من تزوجت بعقد، ثم ثبت بعد العقد والرزق بالأولاد أن الزوجة أخت الزوج رضاعا.

الجواب : نسب الأولاد ثابت من أيهم في هذه الحالة ، ونفقتهم واجبة عليه إن كانوا فقراء ، ويرث كل منهما الآخر بعد موته . أما الزوجة فليس لها نفقة عدة ، لظهور فساد العقد ، لأن المتزوجة زواجا فاسدا لا نفقة لها .

\*  
\*\*

وورد من الشيخ أحمد برقي تمام ما خلاصته :

- ١ — هل الرجل تلزمه عدة ؟ وما هي المواضع التي يعتد فيها ؟ وما سبب ذلك ؟
- ٢ — ما سبب إسراع نكاح الميت ، وتأخره ، وخفته ، وثقله ، وطوافه حول بعض المزارات ، وتعذر دفن جثته في مقبرة معينة ، وسهولة دفنه في مقبرة أخرى ؟

الجواب : ١ — من المعلوم شرعا أن الله سبحانه وتعالى أباح للرجل أن يتزوج أربعا من النساء ، وحظر عليه الزيادة على ذلك ، كما حظر عليه أن يجمع بين الأختين ، أو بين المرأة وعمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها ، كما حظر على الرجل أن يعود الى زواج من طلقها ثلاثا ، إلا إن تزوجت غيره وانقضت عدتها من الزوج الثاني ، بعد أن يكون الزوج الثاني تزوجها بعقد نكاح صحيح . وقد نص الفقهاء على أن المعتدة لها حكم الزوجة في هذه المواضع . وعليه فن أراد بعد طلاق سيدة أن يتزوج أختها مثلاً ، لزمه الانتظار حتى تنقضى عدة زوجته ، حتى لا يكون جامعا بين الأختين نكاحا .

ومن طلق إحدى نسائه الأربع لا يصح له أن يتزوج غير المطلقة ، إلا إذا انقضت عدة الرابعة المطلقة ، حتى لا يكون متزوجا بأكثر من أربع . ومن أراد الرجوع الى زوجته بعد طلاقها ثلاثا ، وجب عليه الانتظار حتى تنقضى عدتها منه ثم يتزوج غيره زواجا صحيحا وتنقضى عدتها من الزوج الثاني . هذا هو المراد من قول الفقهاء : يعتد الرجل في بعض المواضع . وقد حصر الفقهاء هذه المواضع ، وبينوها في باب العدة .

٢ - لله الخالق والأمر، يصطفى من عباده من يشاء، ويكرم من يشاء. وقد ورد في الحديث الصحيح أن الله سبحانه وتعالى أكرم سعد بن معاذ الأنصارى بعد موته شهيدا من جرحه الذي أصيب به في غزوة الخندق، فقد روى أنه كان رجلا بادنا، فلما حملة الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المسلمين: والله إن كان لبادنا، وما حملانا من جنازة أخف منه. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن له حملة غيركم، والذي نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش» ويؤخذ من هذا أن بعض من يكرمهم الله ويصطفاهم يكون من إكرامه إياهم تخفيف ثقل جنازتهم على حاملها، وقد يكون من إكرامه الإِسْرَاع به إلى ما أعد له من النعيم. وغير خاف أن هذا - إن وقع - يكون إكراما من الله لبعض عباده المتقين. وهذا المقدار هو المعروف في الشرع، وما عداه فلا أعلم أن له أصلا في الدين.



وورد إلى إدارة المجلة ما خلاصته: هل لما يجري في المساجد من ختم الصلاة بالتسبيح والاستغفار أصل في الدين، وهل يجوز الجهر به؟  
الجواب: ذكر الله واستغفار الله أصل أصيل في الدين، سواء في المساجد أو البيوت أو غيرهما، وقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثا وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. وكان يقول عقب كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وكان يقول غير ذلك من دعوات مبينة بإيضاح في كتب السنة. ونذب أمته صلى الله عليه وسلم إلى أن يقولوا عقب كل صلاة: سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك، وتام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد. وقد روى: من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة مكتوبة كان

في ذمة الله الى الصلاة الأخرى . وفي فتح القدير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير . وعنه : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعت . وقد روى مسلم عن أبي الزبير أن ابن الزبير كان يقول عقب الصلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الى آخر الحديث . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتل بهن .

من هذا الذى ذكرناه لك تبين هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء بعد الصلاة ، وتعلم ما ندب اليه أمته ، وتبين أن الجهر بالاستغفار بعد الصلاة جائز غير ممنوع ، بشرط أن يكون فى خشوع وخضوع ، وأن يكون فى وقار وسكينة لا تشويش فيه على مصل ولا قارى . وهذا العمل سنة ليس فرضاً ، كما تدل عليه الآثار . والله أعلم

طه هبيب

## صفات على كرم الله وجهه

قال ضرار بن ضمرة : دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فقال لى : صفه . فقلت : أعفى . فقال : لا بد من ذلك . فقلت : أما إذ لا بد ، فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوانه ، ونحن والله مع تربيته لنا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هيبة له . يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا يياس الضعيف من عدله . فأشهد لقد رأيت فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغابت نجومه ، قابضاً على لحيته يتململ تتململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غبرى ، أبى تعرضت ، أم الى تشوقت ، هيهات هيهات ! قد أبليت ثلاثاً لارجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك يسير ، وعيشك حقير . آه آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق !

فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ! فكيف حزنك يا ضرار عليه ؟ فقلت : حزن من ذبح ولدها فى حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها .

## هل أفلست المدنية الغربية ؟

ليس لنا أن نجيب على هذا السؤال لثلاثتهم بالتعامل على هذه المدنية ، ولكننا ندع الجواب عليه لفيلاسوف من صميم فلاسفتها ، هو الأستاذ ما كس نوردو الألماني ، فقد أعلن ذلك وفصله أكل تفصيل ، في كتابه المشهور ( الأكاذيب المتفق عليها في مدينتنا الراهنة ) فإليك مؤدى الباب الأول منه ، قال :

« الإنسانية دائبة وراء البحث عن العلم والسعادة ، ولكنهما لم تكن في عهد من عهودها أبعد عن الارتياح إليها ، والغبطة بها ، مما هي عليه في هذا العصر .

« نعم : إن العلم والمدنية ينتشران في كل مكان ، ويرفعان أعلامهما في أكثر البقاع جهالة وجاهلية . وكل يوم يظهر اكتشاف عجيب يجعل الأرض أكثر ملاءمة للسكنى ، وشدائد الحياة أخف وطأة على النفس . ولكننا نرى الإنسانية رغما عن توافر شروط السعادة والهناء تزداد كدرا واضطراب بال ، ونرى العالم المتمدن قد استحال إلى باحة مكتظة بالمرضى ، يملأون الجو بعويلهم المؤلم ، ويتلوون متأثرين بجميع صنوف الأوجاع . فطف الأرض بلداً بلداً ، واطرق كل باب ، ملقيا على أهل كل بيت هذا السؤال : هل يسكن الارتياح هذه الدار ؟ وهل أنتم مطمئنون وسعداء ؟ يجبك جميع من تسألهم بهذا الجواب : ابحث عما تطلب بعيدا عنا ، فليس لدينا ما تسأل عنه ! ثم تسمع الأصوات على حدود بلادك ، تحمل اليك الرياح صيحات المعارك ، والحروب ، والثورات » .

ثم أخذ الفيلسوف يفصل أحوال الأمم الأوربية أمة أمة ، مثبتا أنها جميعا في قلق وهم واضطراب . ثم قال :

« هذا هو الوصف المميز لعصرنا الحاضر ، كما كان الوصف المميز لأسلافنا الأقدمين الغبطة بالحياة ، ولأهل القرون الوسطى التقوى والصلاح .

« فكل إنسان اليوم يشعر بضجر وعدم احتمال يعزوها الى ألف عارض من الأسباب ، وكلها ليست على شئ من الصواب . وتراه مجحولا على أن ينتقد جميع مظاهر الحياة الاجتماعية ، بل ويحكم عليها بالفساد . وقد اعتاد بعض الناس أن يعتبر هذا الضرب من عدم الاحتمال الذي تحيله المؤثرات الخارجية الى غضب وقنوط ، من قبيل الأمراض العصبية ، وقد يدعوه بعضهم الآخر تشاؤماً ، ويسميه غيرهم إلحاداً ، فمختلف الأسماء والمرض واحد لدى الكافة على السواء .

« هذا المرض الأدبي يصادف في جميع مظاهر العقل البشري اليوم ، فتجده في الآداب والفنون ، وفي الفلسفة والعلم ، وفي السياسة والاقتصاد . وقد ظهرت بوادر هذا القلق الأدبي في الآداب في أخريات القرن الثامن عشر ، فهي التي فتحت باب هذه الحالة النفسية ، ونشرتها بين الناس . فبينما كانت الطبقة المتعلمة منعومة في الملاذ معتبرة الحياة مجالا للشهوات ، وكانت الطبقة الثرية في حياتها البهيمية مريحة الى سير الأحوال ، هبّ الفيلسوف ( جان جاك روسو ) فصاح صيحاته المعهودة بوجوب الخلاص ، فأعلن الحرب على هذه الأحوال رغما عما فيها من السحر لبعض الناس ، وأشار في حماسة وبيان الى وجوب الرجوع الى الحالة الطبيعية في الحياة ، فتددت أصدااء صيحاته في رؤوس جميع معاصريه بالإجماع ، فكان المترفون والأثرياء على السواء يتحدثون عن جمال الحياة في الغابات على انفراد ، فكان في هذا تناقض غريب بين ما كانوا عليه من استخدام جميع الوسائل والقشور المدنية للتبسط في شهواتهم ، وبين ما يستحسنونه من مذهب التقشف والاعتزال .

« لقد وقفت طويلا حيال الأدب ، لأنه للمظهر الأكثر تنوعا ، والأكمل تصويرا لعقائيات الأمم في كل عهد من العهود . وليس معنى هذا أن جميع مظاهر الفكر الإنساني في هذا العصر لم تتأثر بأعراض هذا المرض العضال ، فإننا نشهد دائما وفي كل مكان آثار القلق والمرارة وعدم الارتياح ظاهرة عند بعض الناس بمظهر الألم

أو الغضب، وعند البعض الآخر بادية بشكل رغبة حادة في تغيير كلياً أسلوب الحياة. « أما في الفلسفة فقد ساد مذهب التشاؤم كما يسود شكل من الأزياء، فبلغ مذهب شيخ المتشائمين (شوبنهاور) وتلميذه (هارتمان) أوج الرواج.

« وقد ظهر هذا المرض في مجال الاقتصاد الاجتماعى بمظهر آخر، ولكنمه ليس بأقل تميزاً عن سواه. فن العيب أن نبحث عند المثرى عن عاطفة الارتياح والاطمئنان، وعند الفقير عن خصائص الصبر والاحتمال، فالأول معذب بما تجول به خواطره من الذعر من ضياع ما بيده، ويرى في معاشريه وفي الحوادث تهديداً محققاً له، فتظهر ثروته لعينيه كأنها عارية ستسلب منه في يوم من الأيام. وأما الفقير فهو واقع تحت براثن الحسد، لا شغل له إلا في الحصول على ما بأيدي الناس.

« هذا الاضطراب العام، وهذا التمزق النفساني يؤثران أسوأ تأثير في حياة الأفراد، فترى الخوف يساورهم من كل مكان في ألف مظهر، وبأقدار مزعجة، متى اضطروا لتصوير العالم في شكله الصحيح. لذلك تراهم يندفعون لتضليل مشاعرهم وحواسهم، وإفساد أعصابهم، بتناول المخدرات، مظهرين بذلك ذعرهم من حقائق الأحوال.

« إن الإنسانية المتمدنة لتركب في جملتها ما يرتكبه الفرد حين يحاول نسيان مؤلماته بالخر، فهي تريد أن تهرب من الواقع إلى الأوهام، والخيالات الكاذبة.

« فهذا الإفساد للفطرة الإنسانية، وهذا الهرب الوقفي من وجه الواقع، نتيجتهما الطبيعية الخروج منهما بترك الحياة نهائياً، فإن عدد المنتحرين يزداد يوماً بعد يوم، على نسبة ما يستهلك من الخمر، ومن المواد المخدرة الأخرى في كل مكان، وخاصة في البلاد المتمدنة. وترى كل رجل في هذا العصر ينطوى على حالة من الحمى تكسب محاولاته للحياة مظهراً وحشياً جهنمياً، لم يكن يُعهد عليه إلا إنسان في الأزمنة الغابرة.

« يشكو الناس اليوم من ضياع الأخلاق، فهل يسمح الإلحاد بها وقد أزال الإيمان من القلوب، وأزال معه المبادئ الصالحة؟ فإذا خمدت النجمة القطبية، وزال



القطب الكهربائي، أصبحت البوصلة عادمة الجدوى . والآن لحاد نفسه — وقد أصبح مرضا شائعا — ليس في حقيقته إلا وجها من وجوه عدم الارتياح من كل ما هو موجود . فالقول بأن كل شيء باطل ، وبأن ليس في الوجود شيء جدير بالطلب ولا بالمحاولة ، ولا بأن يعتكف فيه الواجب والهوى ، هذا القول لا يكون له سلطان على النفس ، إلا إذا كان صاحبها يحتقر كل شيء ، ويعتبره ناقصا ، وليس فيه مقنع لحجاء .

« لقد كانت الإنسانية في قديم الأزمان تشكو مما نشكو منه من القلق وعدم الارتياح . ولكن الذي منعهما أن تتورثورتنا أنها كانت تستمد من إيمانها تعزية وسلاما يجعلانها تحتمل جميع المصائب وهي مطمئنة مستبشرة ، فإن الذي ينتظر سعادة أخروية ، يسهل عليه أن يصبر على شرٍ وقتي ، بل ويخفّ وقعه عليه .

« فن أيّ العوامل نشأت للإنسانية هذه الحالة النفسية التي لا تحتمل ؟ إنها نشأت من السبب الذي كان يوحى إلى الرومانيين المتعلمين كراهة الاستمرار على حياة ليس لها معنى ، وكانت هذه الحياة تقنعهم بأنهم لا يستطيعون التخلص منها إلا بقتل أنفسهم .

« إننا اليوم ندرك الوجود على صورة مادة متمتعة بحركة ذاتية ، هي القوة الوحيدة التي ندركها على صور مختلفة . ونرى أن هذه الحركة مقودة بنواميس ثابتة ، حققنا بعضها وحددناها ، ولا نزال نتوقع تحقيق ما بقي منها ، وقد حملنا على أن نعتقد بأن هذه النواميس ثابتة لا تتغير ، وحملنا أيضا على أن لا نبحت عن السبب الأول ، وعن أصل الكائنات .

« فإذا تنزّلنا من مجموع الكون إلى الإنسانية ، أدّانا عقلنا العلمى إلى اعتبار الإنسان جزءاً لا ينفصل عن الكائنات ، وإلى أنه محكوم بنواميس نفسها التي تحكمها ، وقد حيل بيننا وبين أن نعتقد أن للإنسان مزايا خاصة ليست لغيره من حلقات السلسلة الحيوانية ، بل والنباتية أيضا .

« هذه هي مدركاتنا عن الوجود ، وقد استنتجنا منها جميع أصول الحياة ، وكل مبادئ الحقوق والآداب . وقد أصبحت قواعد مدنيتنا بحيث يستحيل علينا أن نتخلص من سلطانها .

« فهذا التناقض بين أعمالنا الاجتماعية وبين عقائدنا العلمية ، يحدث في نفوسنا أسوأ الآثار وأشأمها ، فثقلنا منها كمثل المثل الهزلى يضحك الناس بما يعمل وهو منه في كمد ومرارة » . انتهى ملخصا .

(نقول) : لقد أجاد الفيلسوف ما كس نوردو في تصوير ما عليه العالم المتمدن من الهم والاضطراب ، ولكنه أخطأ في تحديد الأسباب . وهي في رأينا ليست في عمل الأمم بنقيض ما تعلم ، ولكنه فيما تعلم نفسه ، فإن الأمم التي تدرك الوجود على صورة مادية بحتة ، وتتخيل أنها محكومة بنواميس فولاذية ، وتصعد العقل عن البحث في السبب الأول وأصل الكائنات ، وتتصور الإنسان جزءاً مادياً من الكون لا يمتاز بأية مزية عن أحاد السلسلة الحيوانية بل والنباتية ، كل هذا لا ينتج إلا ما يشكو منه من الغم والاضطراب ، وضيق الأخلاق والآداب ، لأن الإنسان في سمو ما غرز فيه من القوى الروحية ، لا يطيق أن يعيش معيشة حيوانية ، محروماً من كل ما يناسب هذه القوى من العقائد الحقة ، والمثل العليا . فكان الأولى بما كس نوردو أن يبحث عن أسباب القلق الذي أجاد تصويره في هذه المعيشة الحيوانية نفسها التي دفعته فيها فلسفة مادية توظف فيه الغرائز الوحشية ، دون أن تنبه فيه ما يقابلها من القوى الروحية . وإذا كان هو يعلم أن المدنية المادية قد أفلس ، فلا يستطيع أن يعلم أن العلم نفسه قد أفلس ، فإنه في تماديه على النظر والاستقراء والاستدلال ، قد كشف للناس في هذا العصر عن حقائق تعتبر في الدرجة العليا من الخطورة ، فقد اكتشف وجود الروح الإنسانية واستقلالها عن الجسد ، وأتى على ذلك بأدلة لا تقبل النقص .

وهذه خطوة حاسمة في سبيل التجديد الأدبي ، الذي أصبحت أوروبا في أشد

الحاجة اليه ، وقد كتب في ذلك علماء لا يحصى لهم عدد . أما في مجال الاعتقاد بالله عز وجل ، فقد أقيمت في سبيل وجوده أدلة لا تقبل النقد ، وقد حُلت الإِْنسانية على أن تتذوق هذه الحقائق ، وتجعلها عنصرا من عناصر كيانها . ومتى تم لها هذا الانتقال من المادية الى الروحانية ، تعدلت جميع الإفراطات الإِْنسانية وتفريطاتها ، واطمأنت النفوس على وجودها ، واستقامت الفطر على صراطها ، وحصلت المدنية على مقوماتها ، من حاجات الروح والجسد ، فدفعت الإِْنسانية دفعا منتظما الى كمالها الصحيح ، وغاياتها البعيدة هذا هو العلاج الصحيح لهذه الحالة النفسية التي يضعها ما كس نوردو . وقد تداركها الله بما فتح على العلماء من طريق البحث من إثبات الخالق والروح ، وسوف نرى أثر هذه الفتوح العلمية على المدنية في عهد غير بعيد ، والله غالب على أمره .

محمد فريبر ومهدى

## آداب الكلام

قال حكيم : اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .

وقال بعض الشعراء :

رأيت العز في أدب وعقل وفي الجهل المذلة والهوان  
وما حسن الرجال لهم بحسن إذا لم يسعد الحسن البيان  
كفى بالمرء عيبا أن تراه له وجهه وليس له بيان

وقال بعض الحكماء : إذا جالست الجهال فأنصت لهم ، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم ، فان في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم ، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه ، فان كان له تسكلم ، وإن كان عليه أمسك . وقلب الجاهل من وراء لسانه يتسكلم بكل ما عرض له .

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطايا .

## البخارى

أحبُّ قبل أن أحدثك عن الإمام البخارى أن أوجّه نظرك الى أن عدم تدوين الحديث الشريف فى العصور الأولى كان سببا فى استباحة قوم لم يجاوز الإيمان حناجرهم ، ولما يدخل فى قلوبهم ، وُضع بعض الأحاديث ، ونسبها سذبا الى رسول الله ، مع أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من كذب على متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار » ولست الآن بصدد أن أبين لك ما أحدثه الوضعاء ، وأسباب وضعهم الحديث ، ولكننى أقول لك : إن أئمة الدين فى العصر الثانى للهجرة تنبهوا لهذا ، وعملوا على تلافيه ، فصنّف إمام دار الهجرة الإمام مالك الموطأ ، وألف الإمام أحمد مسنده ، وكتب غيرها من الأئمة الأعلام كتباً . ومن أجلّ من كتب فى القرن الثالث : الإمام محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله ، فقد صنّف كتابه الجامع الصحيح ، ثم صنّف قبله كتاب قضايا الصحابة والتابعين ، وكتاب التاريخ . وقد أحببت أن يحيط القراء علما بشيء من سيرته رضى الله عنه :

فهو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى البخارى حافظ الإسلام ، وإمام أئمة الأعلام . ولد رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وتوفى ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما ، ولم يعقب ولدا ذكرا .

نشأ رحمه الله فى بيئة أهل الحديث ، لأن والده إسماعيل بن إبراهيم كان من رجال الحديث .

روى عن حماد بن زيد ، ومالك بن أنس ، وصحب ابن المبارك ، فشب محمد بن إسماعيل البخارى على حب الحديث ، فقد نقل عنه أنه قال : ألهمت حفظ الحديث ، وأنا فى الكتاب — وكان عمره إذ ذاك عشر سنين أو أقل — فخرجت من الكتاب

فجعلت أختلف الى الداخل وغيره ، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم . فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ، فأنتم رنى ، فقلت له : ارجع الى الأصل إن كان عندك ، فدخل فنظر فيه ، ثم رجع فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير ، وهو ابن عدى عن ابراهيم . فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لى : صدقت .

ولما بلغ سنه ست عشرة سنة ، حفظ كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرف كلام أصحاب الرأى ، ثم خرج مع أمه وأخيه الى الحج . ولما بلغ سنه ثمانى عشرة سنة ، صنف كتاب قضايا الصحابة والتابعين ، ثم صنف بعد ذلك التاريخ فى المدينة . وقد رحل البخارى فى طلب العلم الى جميع محدثى الأمصار ، وكتب بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر ، وأخذ الحديث عن جماعة من كبار الحفاظ ، منهم مكى بن ابراهيم البالى ، وعبد الله ابن عثمان المروزى ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، واسماعيل بن أبى أويس المدنى ، وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام .

وكان سبب تأليفه للجامع الصحيح ما تقدم من كثرة الوضع . وقد اطالع رحمه الله على ما صنف فى الحديث من المسانيد وغيرها ، فوجد فيها ما يدخل تحت التصحيح والتحسين ، والكثير منها يشمله التضعيف ، فحرك ذلك جميعه هتمته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه أمين ، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه : اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه ، فقد حدث البخارى رحمه الله قال : كنا عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فوق ذلك فى قلبى ، فأخذت فى جمع الجامع الصحيح . وحدث رحمه الله قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وكأنى واقف بين يديه ، وبين يديّ مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت تذب عنه الكذب . فهذا الذى حمانى على إخراج الجامع الصحيح .

وقد التزم البخارى فى مؤلفه أنه لا يورد فيه إلا حديثنا صحيحا ، فقد شرط أن يخرج

الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابي المشهور، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع . وإن كان للصحابي راويان فصاعداً ، فحسن ؛ وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق ، كفى . وشرط الصحيح أن يكون إسناده متصلاً ، وأن يكون راويه مساماً ، صادقاً ، غير مدلس ، ولا مختلط ، متصفاً بصفات العدالة ، ضابطاً متحفظاً ، سليم الذهن ، قليل الوهم ، سليم الاعتقاد . واشترط أن يكون الراوى قد ثبت له لقاء من روى عنه ولو مرة . ولقد جهد البخارى في التحرى عن أخذ عنه ، وقد عرض كتابه على الإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى ، وغيرهم ، فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة ، إلا فى أربعة أحاديث . قال العقيلي : والقول فيها قول البخارى ، وهى صحيحة . ولقد شهد المنصفون فى عهد البخارى بأنه كان أحفظ أهل زمانه للحديث ، وأعرفهم بأسانيده ورجاله ، حتى قال بعضهم : محمد بن إسماعيل إمام ، فمن لم يجعله إماماً فاتهمه . وقال بعضهم : مارأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخارى . وقال إسحاق بن راهويه — وهو أمير المؤمنين فى الحديث : يا معشر أصحاب الحديث ! انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه ، فإنه لو كان فى زمن الحسن بن أبى الحسن لاحتاج اليه الناس ، لمعرفة الحديث وفقهه .

وقال محمد بن أبى حاتم : سمعت محمد بن إسماعيل يقول . قال لى محمد بن سلام : انظر فى كتيبى فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كى لا أرويه ، ففعلت ذلك . وكان محمد ابن سلام كتب عند الأحاديث التى أحكمها محمد بن إسماعيل البخارى : رضى الفتى . وفى الأحاديث الضعيفة : لم يرض الفتى . فقال له بعض أصحابه : من هذا الفتى ؟ فقال : هو الذى ليس مثله ، محمد بن إسماعيل .

وقد جاء فى كتاب الحفاظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد ما خلاصته أنه روى عن أبى صالح خلف بن محمد أنه قال : سمعت محمد بن يوسف بن عاصم يقول : رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد ، وكان اجتمع فى مجلسه

زيادة على عشرين ألف رجل . وروى عن أحمد بن الحسن الرازى قال : سمعت أبا أحمد ابن عدى يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن اسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوا الى عشرة أنفس : الى كل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ، ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله ، انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى : لا أعرفه . فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه . فإزال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخارى يقول : لا أعرفه . فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم . ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم . ثم انتدب رجل آخر من العشرة ، وهكذا حتى فرغ العشرة ، والبخارى لا يزيدهم على : لا أعرفه . فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا ، التفت الى الأول منهم فقال : أمّا حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على الولا ، حتى أتى على تمام العشرة ، فردّ كل متن الى إسنادده ، وكل إسناد الى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، وردّ متون الأحاديث كلها الى أسانيدها ، وأسانيدها الى متونها . فأقرله الناس بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن العلم وأهله أحسن الجزاء <sup>طه مبيب</sup>  
عضو المحكمة العليا الشرعية  
سابقا

## نصيحة من معدن النبوة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : خذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فانك لا تدري ما اسمك غدا .

## الدين والعلم

يتوهم بعض الناس أن العلم قد يعادى الدين ويباينه، لأن بعض النظريات العلمية المعروفة لا تتفق هي وبعض القواعد الدينية ظاهراً. غير أن التأمل الذى يحقق ويبحث يعلم أن كثيراً من نظريات العلم يطرأ عليها التغيير، وأن كثيراً من الآراء العلمية التى كان يرى أصحابها أنها هى الثابتة، والتى أفضى إليها البحث، قد أظهرت الاكتشافات الحديثة خطأها وعدم صحتها.

من يتحقق هذا ويعلمه — وهو ما تدل كل الدلائل عليه — يجزم بأن ما يرى من الآراء العلمية فى ظاهره مخالفاً للدين، لا يباينه فى الواقع ونفس الأمر، وأن الصحيح فى الأمر هو ما ذهب إليه الدين، وأن الرأى العلمى هو الذى لم ينضج ولم يستوف الباحثون بحثه. وإنا نأقولون لك كثيراً من الشواهد على ذلك، ولكنى أحب أن أعلمك قبل كل شئ أننا لسنا ممن يعادى الجديد أو ينكر فضل تقدم العلوم الطبيعية والمكتشفات الحديثة فى هذا العصر الى حد لم يكن يحلم به أهل العصور الأولى.

ومن ذا يستطيع أن ينكر ما بهرنا به العلم من فوائد يرتقى بها العمران، وعوائد قد عادت بالخير العميم على نوع الانسان؟ ولكن هناك ظاهرة من الظواهر لا تكاد تفارق بعض الباحثين، وهى فى الحقيقة ظاهرة من ظواهر الضعف الخلقى. تلك الظاهرة التى لا يكاد بعض الناس يخلص منها أو ينفك عنها، هى تلك الكبرياء الممقوتة التى تخيل له أنه قد قتل الأشياء بحثاً وأحاط بها خبراً، فتراه (وما أوتى من العلم إلا قليلاً) يتكلم فى كل شئ، ويحكم على كل شئ، حتى إنه كثيراً ما يعتقد أن الخارج عما وصل اليه من النواميس وحدده من القوانين لا نصيب له من الصحة، ما دام مجاوزاً دائرة فهمه وحدود علمه، حتى إذا جاء من بعده ضحك من غروره، وهزاً بما كان يتبجح به من معلوماته، مبيناً ما كان له من زلات، وما تورط فيه من جهالات.



وقد ترى ذلك الهازي الساهر قد وقع فيما اعترض به على السابقين ، وكان فوزه فيما استدركه عليهم من أكبر الأسباب لأن يطغى عقله فتزل قدمه . ولو وقفوا عند ما وصلوا اليه من المعلومات الحققة التي شهد لها الحس وأقرها الامتحان وقام عليها البرهان ، ولم يتعرضوا لما سوى ذلك ، لكانوا في أمن من الزلل ، وعصمة من الخطل . ولكن طغيان نفوسهم أبى عليهم أن يعرفوا قدرهم ، أو ينسبوا أنفسهم لجهل أو قصور . الخلاصة أن من تأمل فيما يتجدد كل يوم من العلم الحديث ، ويظهر من آن لآخر من أسرار الكون ، لا يشك في أن العلم البشري لا يزال طفلا ، وأن الناس ما أوتوا من العلم إلا قليلا . وهذا هو مقتضى الضعف البشري ، وهو لازم من لوازم وجوده بموجب خلقته وتكوينه . وهذا يتبين أن قول المتبحرين من قصار النظر : إنهم عرفوا ما يمكن وما لا يمكن ظنا منهم أنهم أحاطوا بنواميس الكون ، غرور يبرأ منه التحقيق العلمي ويستهزئ به النظر الواسع المدقق . ولنا على ذلك الشواهد الكثيرة والأمثلة العديدة :

( ١ ) لو قال قائل : إن الهواء أو الماء مؤلف من عدة عناصر لسخر منه أساطين علماء الطبيعة الأولون ، وعده أكبر علماء الفلسفة السابقون قائلا بالجهل منابذا للعلم لا يدري ما يقول ، فإنهم كانوا مجمعين على أن كلا منهما عنصر بسيط ، وقد قامت البراهين من عهد غير بعيد على أن قولهم هو الجهل ، وأن ماسموه علما ولم يكن محلا للشك ليس بعلم ، وجدير أن يقذف به في عالم الخرافات ، وإن شهد أهل زمانهم بأنهم الاختصاصيون في ذلك .

( ٢ ) لو واجه أولئك العلماء باحث بأن بعض الجواهر كالذهب عنصر بسيط تلقى منهم أشد الإنكار ، والعامية تكون في جانب المنكرين لا محالة ، لما يرون فيهم من الزعامة لهذا الشأن . وقد أصبح اليوم إنكار هذا الأمر هو الجدير بأن ينسكّر ، الى غير ذلك من الأمور العديدة التي تجدد بها العلم .

( ٣ ) هذا الجسم الانساني كم فيه من جزء كانوا يظنون أنه لا منفعة فيه ، ثم تبين

بعد ذلك أن فيه عدة منافع . وناهيك ما يقولون الآن في الغدد ، وما اكتشفوه فيها من الأسرار والخصائص . ولا يزال العلم بأسرار ما أودع الله في مخلوقاته في دوره الأول . ولذلك يقول القرآن الكريم : ( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحَقٌ ) ولا يزال قوله تعالى : ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) صادقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى تقوم الساعة . ولا ينبغي أن ينخدع منخدع بكثرة ما ظهر من الآلات الدقيقة كالمجهر ( المنظار المعظم ) فإن المنصفين من أهل العلم لا يزالون يقولون في بعض الحيوانات التي تسبب بعض الأمراض : إنها تحت المجهر ، يريدون أن المجهر لا يزال قاصراً عن كشفها ، وإنما عرفوها بآثارها . ولا يزال كثير من الأمراض مجهول الميكروبات إلى اليوم ، رغم تقدم الأبحاث العلمية والتفنى في صناعة الآلات الكاشفة . وكمن شيء في العقاقير الطبية يعرف تأثيره في بعض الأدوية ولا يدري لماذا يكون هذا التأثير ، ولذلك نرى الطب كل يوم في تطور ، حتى لقد قال لي بعض حذاق الأطباء الذين مارسوا صناعة الطب زماناً طويلاً : إننا اليوم نسخر من أشياء تلقيناها في المدرسة ، وكانت إذ ذاك هي العلم الذي لا يعول على غيره . وما يدرهم أن ما هم عليه الآن ستظهر فيه الاكتشافات المقبلة من الخطأ ما ظهر لهم في خطأ من قبلهم ؟ وقد قرر ذلك غاية التقرير أحد علماء أوروبا في مجمع ترقى العلوم البريطانية بمدرسة أ كبرج الجامعة أثناء أغسطس سنة ١٩٠٤ . ولا بدع فبحر عجائب أسرار القدرة الربانية مشحون بالدرر ، ولا يدرك غوره أحد ، ولا ينتهى منتهى إلى كل ما فيه ( وأنى للمتناهى أن يبلغ ما لا يتناهى ) ؟

وإن من الحقائق الفلاسفية المقررة الثابتة التي تكاد تاحق بالبدهييات أن هناك فرقاً بين عدم العلم بالشيء وبين عدم الشيء في نفسه ، وأن الأول لا يستلزم الثاني ، وأن عدم الدليل على الشيء ليس دليلاً على عدمه .

يوسف الدرموي  
من هيئة كبار العلماء

## معجزات القرآن العلمية

القرآن يضع أصول علم الاجتماع قبل العلم بأكثر من ألف سنة

كان الفلاسفة الأقدمون لا يبحثون في حياة الجماعات البشرية إلا من نواحي التربية والتعليم ، وأخذها بأحكام القوانين . ولما تأسست المدرسة اليونانية ، وأنجبت كبار العقول ، أمثال فيثاغورس ، وسترات ، وسولون ، وأفلاطون ، وأرسطو وغيرهم ، جروا على طريقة أسلافهم في علاج الجماعات ، فاقتصروا على ما اقتصر عليه الأولون من المباحث الخاصة بالاجتماع ، وكان همهم مصروفا الى وضع برامج لتعليم الشعب وإرشاده ، ووضع النظم الحكيمة لرفع مستواه البدني والعقلي ، وتقسيم طبقاته وطوائفه ، ولم يكونوا يتخيلون أن للاجتماع طبيعة خاصة تتسلط عليها نوااميس طبيعية ، وأن تلك النوااميس تتبع في ترقيا وتدليا وتحوها ما يدخل فيه الشعب نفسه من انقلابات ، وما يطرأ عليه من حالات ، وما يجري عليه من تقاليد وعادات ، وما يعتوره من هزائم وانتصارات ، بل وما يصادفه في حياته الشخصية من ثروات وأزمات الخ . فكانت الشعوب في نظرهم كأوراق اللعب يرتبها المشرع على النحو الذي شاء ، ويخيل اليه أنه لو وكل اليه أمرها لأوصلها الى ما يريد لها من نمو وارتقاء .

هذا كان مذهب الفلاسفة اليونانيين ، فلما ورثهم الرومانيون لم يكونوا أبعد منهم نظرا في هذا الشأن ، فنهضت الأمم وانحطت ، ونشطت وجمدت ، وتألفت وتحلت ، مقودة بتلك النوااميس المقررة ، دون أن يتخيل وجودها أثقُب الناس نظرا في أحوال الخلق .

فلما جاء الاسلام وشرع أهله في إحياء موات العلم ، ونقل كتبه القيمة الى لغتهم ، نظروا في كل شيء ، مستهدين بالأصول الأولية للقرآن الكريم ، كقوله تعالى :

(إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) وقوله: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) فأدركوا على وجه عام أن لكل شيء في هذا الوجود نظاما يجري عليه، كما فعل بعض مؤرخيهم، وخاصة ابن خلدون. ولكن المعارف التي كانت قد جمعت عن الأمم لم تكن تكفي لتكوين علم خاص بها. وتلت هذا الدور نهضة أوروبا، فادّخر الله هذا السبق للفيلسوف الفرنسي الكبير (أوجست كومت) سنة ١٧٩٨ - ١٨٥٣ واضع أصول الفلسفة الوضعية، فإنه أول من جعل للاجتماع علما، ووضعه في رأس جميع العلوم البشرية، لشرف موضوعه من ناحية، ولأنه لا يتسنى إلا لمن يأخذ من كل علم بطرف، لتشعب بحوثه، واستنادها على جملة المعارف البشرية.

فعلم الاجتماع البشري أحدث العلوم وضعا، ولكنه أشرفها موضوعا، إذ يعرفنا على أيّ الأصول تقوم الجماعات، وبأيها تحفظ وجودها وترتقي، وما هي عوامل التأليف التي تقوّي وجودها، وعوامل التحليل التي تفصم عرى ألفتها، وهذه كلها معارف عالية، ضرورية للمجتمع ضرورة علمي، قوانين الصحة والطب لا حاده.

إن علماء الاجتماع في تحسّسهم من نوااميسه الطبيعية اضطروا أن يتساءلوا أولا عن حقيقة الجماعة، فقالوا: لا يمكن أن تكون الجماعة مجرد آحاد ساقطهم الضرورة للاجتماع بإرادتهم، ويستطيعوا بتلك الإرادة نفسها أن يجتمعوا أو لا يجتمعوا، لأن المشاهد غير ذلك، فإن الجماعة متى تألفت فقد أفرادها الاختيار الشخصي في أمر وجودها، وأصبحت هي القائدة لهم، لاهم القائدون لها. وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا اكتسبت شخصية خاصة تفنى فيها شخصيات جميع الآحاد المؤلفين لها. من هنا اعتبر العلماء الجماعات أشخاصا ذوي شخصيات مستقلة، وأمكنهم تشبيهها بالأحياء من كل وجه. ولما كان الأحياء يبدأ وجودهم بدور طفولة، يلبه دور مرهقة، فشببية، فرجولة فكهولة، فهرم، فموت، ولكل من هذه الأعمار دور نوااميس تحكمها، وبواعث تحركها، وعلل تعثرها، ومؤثرات خارجية تؤثر فيها تأثيرا مقويا أو مضعفا الخ، رأوا أن يطبقوا

كل ما يصحب هذه الأدوار والمؤثرات من النواميس على الجماعات ، فتأدوا من ذلك الى تأليف بيولوجيا <sup>(١)</sup> اجتماعية تشبه البيولوجيا الفردية من كل وجه .

هذه مباحث في أقصى مراتب السمو ، وهي مع سموها لا تخلو من طرافة تأخذ بالآلأباب ، فإن البحث في تركيب هذا السكان الاجتماعى الضخم الذى يعتبر الفرد فيه خلية من خلاياه ، والتنقيب عن القوى الماسكة له ، والبواعث التى تحركه ، والمؤثرات التى تعمل فيه ، يعتبر من أجمل الفتوحات العلمية التى هدى الله اليها الخلق فى دور الأوج الذى بلغوه من نهضتهم الحديثة ، وهو فى الوقت نفسه يدع لنا باب الأمل مفتوحا لا مكان علاجه من أمراضه ، أو توجيهه الى وجهة صالحة له ولا حاده . وهذا دليل جديد على سمو الفطرة الإنسانية ، وجلالة المواهب العقلية ، التى منحها هذا السكان الضعيف .

نعم : إن الإنسان لا يستطيع أن يؤثر فى المجتمع لمجرد رأى يبدو له فى إصلاحه ، ولكن ذلك لا يكون إلا إذا فهم الكافة سداد هذا الرأى وعملوا به . عند ذاك يجد فى المجتمع ميل جديد للتحول عن الوجهة التى يراد تحويله منها ، الى الوجهة التى يريده على أن يكون عليها ، وهذا كله مصداق لقوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) فعنى الآية : أن الأمة التى تريد أن يحول الله عنها حالا لا ترضاه لمجتمعها ، يجب عليها أن تغير من نفسيتها أولا ، فإن فعالت حول الله عنها ما تكره ، ووجه اليها من نعمه ما تحب . وهذا وحده معجزة علمية للقرآن كان يجب أن يعقد لها فصل خاص ، وأن يشاد بذكرها أعظم إشادة .

كشفت هذا السر العظيم يجعلنا ندرك سر تنبيه القرآن على وجوب الدعوة الى المعروف والنهى عن المنكر ، فقال تعالى : ( وَتَسْكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) . وقال :

(١) البيولوجيا : علم الحياة .

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وقد ذم الله في كتابه الأمم التي تهمل هذا الأصل الكريم، فقال: «كأنوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

وقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إذا خالفت هذا الأصل، فقال: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم فتناً كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيرانا».

لقد استطرنا الى ذكر هذه الأمور، فلنعد الى موضوعنا الأصلي، وهو إثبات معجزة علمية للكتاب الكريم من ناحية النواميس الاجتماعية، فنقول:

القرآن أثبت أن للاجتماع نواميس ثابتة قبل أن يتخيلها أعلم علماء الأرض تخيلاً. وقد رأيت أن تعيين تلك النواميس والتحسس مما خفي منها هو الشغل الشاغل اليوم لفلاسفة الاجتماع، فقال الله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) وقال تعالى: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) وقال: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا).

ولم يكتبف الكتاب بهذا وحده، ولكنه قرر أيضا أن الجماعات كالأحاد لها آجال لا تستطيع أن تتعدها، وهو ما هدى اليه علم الاجتماع بعد أن وجد أن وجوه الشبه بين الفرد والمجتمع واحدة، فقال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) وقد تكرر مثله في سور كثيرة من الكتاب الكريم.

الذي يتأمل في سبق القرآن الكريم العالم كله أكثر من عشرة قرون في وضع أصول العلم الاجتماعي، ويكون من غير أهل هذا الدين، يدهش كل الدهش، ولا يكاد

يصدق عينيه . وسندأب نحن من جهتنا على تجاية الأصول العلمية ، مستخرجين إياها من الكتاب الكريم ، ليتحقق العالم أنه على ما يقوله موحيه سبحانه وتعالى : ( مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) . وبذلك يتضح سر نهضة المسلمين التي حصّات لهم زعامة العلم والحكمة في العالم في سنين معدودة ، فإنهم لو كانوا بدأوا حياتهم العلمية على النحو الذي تبدوها بها كل أمة ، ما استطاعوا أن يبرزوا الأمم التي تقدمتهم في هذا السبيل بقرون كثيرة ، ولكنهم لبدنهم إياها مستنيرين بهذه الأصول القرآنية العالية ، بلغوا منها أوجاً في مدى قصير لم تبلغه أمة في آمد طويّلة . وعلى المسلمين اليوم أن يدركوا هذا الأمر الجلل ، وأن يجعلوا كتبهم نبراساً لهم في اقتباسهم العلم عن الأمم الغربية ، ليلغوا منه ما بلغه أسلافهم في عهدهم الأول ، ويزيدوا عليه ما هدى إليه البشر في العصور الأخيرة .

في العصور الأخيرة

محمد فريد وهدى

## فضل الزراعة

روى هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : التمسوا الرزق في خبايا الأرض . يعنى الزرع .

وحكى عن أمير المؤمنين المعتضد بالله أنه قال : رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه في المنام يناولنى المسحاة ( أى مجرفة ) وقال : خذها فانها مفاتيح خزائن الأرض .

وقد أثبت علم الاقتصاد السياسى صدق هذا القول ، فقرر أن الثروة الحقيقية هى المحاصيل الأرضية ، وكل ما يستغله الناس من الصناعة والتجارة فهو تبع لها ، ولا تغنى واحدة منها عن الانسان شيئاً . وقد عرفت الأمم الراقية للزراعة هذه المنزلة ، فجعلتها من محاولاتها في المكان الأول . فالفلاح أحق الناس بشكرنا وإعجابنا ، وأولاهم بعنايتنا ورعايتنا .

وقد كافأ الله تعالى الفلاح ، بأن جعله يشهد أجمل مظهر من مظاهر الابداع الالهى ، من نشوء الحياة من الأرض الجامدة ، ثم تدرجها في أطوارها حتى تبلغ السكال تحت بصره .

## الحكمة وأثرها في النفوس

أريد بالحكمة الكلام الذي ينم عن الجهل والسفه، كالمواعظ والأمثال النافعة، وهي وليدة الذكاء والتجارب، فاذا أقبل الذكي على ناحية من نواحي الحياة المدنية كالإقتصاد وغيره من شؤون الاجتماع، أو الخلقية كالكرم والشجاعة، ودرسها بذهن حاضر، كانت أقواله فيها أقرب إلى الصواب، وآراؤه فيها أرسخ في الحكمة، ولا سيما ذكيا يقرن النظر بالتجارب العملية، فقلما يقول الجبان كلمة تحمل على الإقدام في مواقع الخطوب، وقلما يقول البخيل كلمة تحث على الإنفاق في وجوه الخير.

ولا غرابة أن تصدر الحكمة ممن لقي العلماء، وضرب في العلوم بسهم. وموضع الغرابة أن تخرج الحكمة من أفواه أناس لم ينشأوا في علم، ولم يعرفوا بجودة رأي. والحكمة في نفسها فضيلة، والتمسك بها غنيمة، وصدورها من غير ذي علم أو رأي، لا يبغض قيمتها، ولا ينقص شيئاً من فضاها، فلا ينبغي للرجل يسمع الكلمة من رجل غير معروف بعلم أو سداد رأي، فيستخف بها، ويذهب في اقتنائها، قال صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن، فخير وجدها، فهو أحق بها» فالحديث الشريف ينبه على أن الحكمة قد توجد في غير مظانها، وتستفاد من غير أهلها، كما يقولون: «رمية من غير رام».

قال ابن الأثير في كتاب المثل السائر: «ومد سمعت هذا الخبر النبوي جعات كدى في تتبع أقوال الناس في مفاوضاتهم ومحاوراتهم، فإنه قد تصدر الأقوال البليغة والحكم والأمثال ممن لا يعلم مقدار ما يقوله» وأورد من كلام بعض العامة شواهد على أن الحكمة قد تستفاد من غير أهلها، ثم قال: «يجب على المتصدي للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس في محاوراتهم، فإنه لا يعدم مما يسمعه منهم حكماً كثيرة، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لا يجزه. ويحكى عن أبي تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التي يقول فيها:



« على مثلها من أربع وملاعب »

انتهى منها الى قوله :

يرى أقبح الأشياء أوبة أمل كسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال : « وأحسن من نور يفتحه الصبا » .

ووقف عند صدر هذا البيت يردده ، وإذا سائل يسأل على الباب وهو يقول :

« من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا » فقال أبو تمام : « بياض العطايا في سواد المطالب »

فأتم صدر البيت الذي كان يردده من كلام السائل .

قد يقصد الرجل لإلقاء الحكمة في لفظ يستقل بها ، وقد تجيء تبعا للحديث

عن أشخاص أو أشياء معينة ، كما فعل ذلك الشاعر الذي قصد في نظمه الاعتذار عن

قوم التزموا اللثام في سائر أحوالهم ، حتى قال :

لما حووا إحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

والحكمة التي انسقت تبعا لهذا الاعتذار ، هي أن كثرة الفضائل تستدعي

غلبة الحياء .

ومن الشعراء من يقصد للهزل ، ويرمى الى غرض المزمع ، فتجود قريحته في أثناء

ذلك بالحكمة ، نظم على بن عبد الواحد الملقب ( صريع الدلاء ) مقصورة في الهزل

يعارض بها مقصورة ابن دريد ، وما زال يخوض بها في هزل الى أن جاء فيها بيت يقال

إنه قد حسد عليه ، وهو :

من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والسكب على حدسوا

وقد يتوهم متوهم أن الشعر يغلب فيه التخيل ، فلا يكون موطنًا للحكمة ، فأزاح

عليه الصلاة والسلام مثل هذا الوهم بقوله : « إن من الشعر حكمة <sup>(١)</sup> » .

يختلف الناس في النطق بالحكمة اختلافهم في ألوان نشأتهم، وأساليب تربيتهم، ويختلفون في الإصغاء الى الحكمة، أو الإعجاب بها اختلافهم في الارتياح للغرض المسوقة اليه، فالكريم مثلاً - يطرب لسماع الحكم الواردة في الكرم أكثر مما يطرب له البخيل، والشجاع يرتاح لسماع الحكم الواردة في الشجاعة أكثر مما يرتاح له الجبان، اتل في حضرة جواد وبخيل قول الشاعر:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله  
لا شك أنك ترى أثر الطرب في وجه الجواد أكثر مما تراه في وجه البخيل .  
واتل على مسامع شجاع وجبان قول الشاعر:

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال : ويحك لن تراعي  
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعى  
ثم انظر كيف وقع البيتان من أنفسهما ، فإنك ترى وجه الشجاع في ابتهاج ،  
ولا تكاد ترى في وجه الجبان طلاقة ، إلا أن يتكلفها تكلفا .

وانظر في كتب التراجم تجد المؤرخين يذهبونك في كثير من الأحيان للحكمة التي أخذت من نفس صاحب الترجمة مأخذ القبول والإعجاب ، يذهبونك لهذا حين يقولون لك : « وكان كثيرا ما ينشد كذا » كما قالوا في سيرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه إنه كان كثيرا ما ينشد :

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع  
وقالوا : كان عضد الدولة كثيرا ما ينشد قول أبي تمام :

من كان مرعى عزمه وهوميه روض الأماني لم يزل مهزولا  
وقالوا : كان الحسن بن علي الملقب « نجر الكتاب » كثيرا ما ينشد :  
يندم المرء على ما فاته من لبانات إذا لم يقضها  
وتراه فرحا مستبشرا بالتي أمضى كأن لم يعضها

إنها عندي وأحلام السكرى لقريب بعضها من بعضها  
وقالوا : كان الخليل بن أحمد كثيراً ما ينشد قول الشاعر :  
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصلاح الأعمال  
ولا أريد من هذا أن الحكمة لا تلقى إلا لمن شأنه الارتياح لسماعها ، بل عليك  
أن تفرغ بها أسماع المنحرفين عن الحق أو الفضيلة أو العمل الصالح ، لعلهم يألفونها ،  
ويعود انقباضهم منها ارتياحاً .  
وكثيراً ما ينهض الرجل للعمل الصالح يكون في غفلة عنه ، وما ينبهه له إلا بيت  
يحتوي حكمة . قال عبد الملك بن جريج : كنت مع معن بن زائدة باليمن ، فحضر وقت  
الحج ، ولم تحضرني نية ، فخطر ببالي قول عمر بن أبي ربيعة :  
بالله قولي له في غير معتبة ما إذا أردت بطول المسك في اليمن  
إن كنت حاولت دنياً أو نعمت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن  
قال : فدخات على معن ، فأخبرته أنني قد عزمت على الحج ، فجهزني وانصرفت  
محمد الحضرمي

## فضيلة السخاء

قال الله تعالى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى ، وأما من بخل  
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى .  
أي أن من بذل من ماله ، واتقى الله في وضعه مواضعه ، وصدق بالكلمة الحسنى ، وهي  
كما قال ابن عباس رضي الله عنه : ما وعد الله من إخلافه ومضاعفته ، فسيهيئه الله للطريقة الأكثر  
يسراً . وأما من شح بماله ، وتخيل الغنى به ، وكذب بالكلمة الحسنى ، أي بما وعد الله من  
إخلافه من فضله فسيهيئه الله للطريقة الأكثر عسراً .  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم غربت فيه شمسهُ إلا وملكاً يناديان :  
اللهم اعط منفقاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً .  
ومن كان يعلم أن لا قوام للأُم إلا بالمال ، عرف مكان هذه الآية من أصول علم الاجتماع ،  
وأدرك سرا من أسرار الدين في بناء الجماعات القوية .

## نظرة علمية في الكائنات الحية

الماديون ينكرون عنصر الحياة ، والعلم يثبتها

أسرف الماديون في تحميل المادة الميتة العمياء ما لا تطيقه ، حتى خرج بهم ذلك الى الهذيان المحض ، فذهب بهم الحق الى الزعم بأن الحياة صفة كامنة في المادة يظهرها فيها أن تتركب تركيبا خاصا على صورة خلية ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فزعموا أن القوة الإدراكية ، التي تتجلى على أكل حال في الإنسان ، ليست في حقيقتها إلا ثمرة من ثمرات تركيبه العالى . وكان قد افتنن بهذا الرأي عدد عديد من أهل العلم ، فنشبت بينهم وبين القائلين بوجود عنصر مستقل للحياة تستمد منه المادة صفة الحياة ، معارك قامية لم تقف عند حد ، حتى كثرت المكتشفات اليوم ، فرجع أكثرهم الى القول بوجود عنصر حيوى عام مستقل عن المادة يتصل بها فيخرجها من حالتها الجامدة الى الحالة التي تكون عليها في النباتات والحيوانات ، فيحدث فيها حركة ونموا وارتقاء وتطورا يصل بها الى كمالها الذى قدره لها الخالق الحكيم ، الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

من أجل المصادر لنقل صورة من صور هذه المناقشات العلمية كتاب (عالم الحياة) للأستاذ (روسل ولاس) الانجليزى ، ننقلها معربة عن ترجمته الفرنسية . ولسنا فى حاجة للتدليل على مكانة هذا الأستاذ ، ونكتفى بأن نقول إنه علم من أعلام التاريخ الطبيعى فى هذا العصر ، ومؤلفاته مرجع عظيم القيمة لجميع المشتغلين بمسائل الممالك الثلاث : النباتية ، والحيوانية ، والإنسانية .

جاء فى كتابه المذكور أنفا تحت عنوان (طبيعة النمو) من صفحة ٣٩٨ وما بعدها

ما مؤداه :

«إن نشوء أى جسم على صورة مركبة مماثلة لفرد من نوعه ، أمر لا يثير فى كثير من الناس أقل دهش ولا استغراب ، ومع هذا فإنه لا يزال باقيا بلا تعاليل معقول .

« نعم : إن أهل العلم قد كشفوا ظواهر كثيرة تتعلق بالنظام الذى تتبعه الأحياء فى نموها ، ولكنهم فيما يتعلق بطبيعة القوى العاملة فى هذا النمو ، وبالعوامل التى تقودها وترشدّها وتنظم أحوالها ، لم يعطونا غير ظنون مبهمّة ، وافتراسات لا تغنى عن الحقيقة شيئاً .

« لقد عُرف من زمان مديد أن كل نموسواء أكان حيوانياً أم نباتياً يكون بنشوء خلية أولية ، وبتكاثرها الى حد ما . ولكن ما هى الخلية فى ذاتها ؟ أهى شىء غير مقدار قليل من المادة البروتوبلاسمية التى اعتبرها أهل العلم المادة الأولية للحياة ؟ على أنها من الناحية الكيميائية أكثر المواد المعروفة تركباً ، لأنها وإن كانت تتألف من العناصر الأربعة : الكربون ، والهيدروجين ، والأزوت ، والأكسجين ، فقد علم الآن أن ثمانى مواد أصلية أخرى تدخل فى تركيبها ، وهى : الكبريت ، والفوسفور والكالسيوم ، والبوتاسيوم ، والصوديوم ، والمغنيسيوم ، والكالسيوم ، والحديد . ويزيد على هذه المواد ست أخرى قد تصادف فيها وإن كانت ليست من المقومات الأصلية للبروتوبلازما ، وهذه المواد هى : السيليس ، والفلور ، والبروم ، واليود ، والالومينيوم ، والمانجانيز .

« فالبروتوبلازما والحالة هذه مادة شديدة التركيب ، لا بكثرة عدد المواد الداخلة فى بنائها فحسب ، ولكن بشكل اتحاد هذه المواد كيميائياً ، وهو الأمر الذى يستعصى على كل تحليل فى .

« الأستاذ ماكس فيروورن Max Ferworn يفكر فى كتابه على الفيزيولوجيا العامة ضرورة وجود قوة حيوية مستقلة عن المادة فى هذا التركيب ، ويؤكد بأن كل قوة من هذا القبيل هى خاصة بالمادة البروتوبلاسمية نفسها . ومن العجيب أنه فى الوقت نفسه يقرر وجود فوارق كبيرة بين الخلية الحية والخلية الميتة ، معترفاً بأن معارفنا عن الأولى لا تزال ناقصة للغاية ، ويعلم أن من تلك الفوارق أن عدداً من المواد الموجودة فى الخلية

الحية لا يكون له في الخلية الميتة وجود، ويصرح أن من تلك الفوارق أيضا وجود حركة باطنية مستمرة في خلايا الحية، وعدم وجودها في خلايا الميتة. فهل يعقل أن الخلية التي تستطيع على كثرة عدد المواد الداخلة في تركيبها أن تحفظ وجودها سليما آمادا طويلة مقاومة لجميع عوامل الهدم، مادامت في حالة حياة، وتفقد كل قوة وكل مقاومة إذا أصابها الموت، أن لا تكون متمتعة بقوة حيوية تحفظها من الدثور، مادامت حالة بها؟ إن قبول هذا الرأي يناقض العلم مناقضة شنيعة جدا. ومع هذا فإن الدكتور فيروورن لا يعطى أى دليل على وجود هذه القوة المستقلة عنها، والمنظمة لظواهرها، والمعقول أن وجود هذه القوة لا بد منه لحفظ وجود الكائنات ذات الخلية الواحدة، وهو يكون ألزم وأوجب كلما صعدنا في سلم الكائنات الى النباتات والحيوانات العليا المركبة الأعضاء، لتعمل على حفظها لأشكالها في كل جيل من أجيالها خلال كل الأديوار التي تنتاب خلاياها من دثور وتجدد. وهذه الأديوار يستمر تعاقبها في هذا المعمل العضوى النفسىح الأرجاء حتى تبلغ أجسامها وأعضاؤها وحواسها وآلات تكاثرها درجة السكالم فى التركب والتناسب الى حد يقضى بالدهش العظيم فى كل كائن حى منها.

« لنضرب على صحة ما نذهب اليه مثلا بريش الطائر، فنقول: إن كل ريشة متى وصلت الى حدها الطبيعى قد تتألف من أكثر من مليون من الأهداب بعضها ممتاز عن البعض الآخر، وهذه الأهداب تجعل كل ريشة صالحة لأداء مهمتها الخاصة، باعتبار أنها أداة للطيران، وكساء للطائر فى آن واحد، يحفظ لجسمانه الحرارة الغريزية. ولكن هذه الأهداب فى ذاتها أعضاء ذات صفة خاصة، لها أشكال وتراكيب محددة، وكل واحدة منها تتصل بمجاورتها الجانبية وبما يليها، بمشابك تكاد تكون رخوة، وهى فى نفسها مؤلفة من عدة ملايين من الخلايا تختلف فيما بينها فى الأشكال، بحيث تنتج لنسيج الجناح كله القوة والمرونة، وصفة الاستمرار.

« ومن المحقق أن كل ريشة تتولد من الجلد مباشرة ، وخلاياها التي تتكون وتتغذى من دم الطائر يجب أن تتجدد كل سنة لتحل محل الخلايا التي دثرت منها . ولكن هذا الدم نفسه يعطى لكل جزء من أجزاء جسم الطائر مواد مختلفة تدخل في بنائها ، سواء أ كانت عضلات أم عظاما أم أوعية أم جلدا أم أعصابا أم نخاً . فإذاً تلك القوة التي تستخرج من الدم لكل عضو من أعضاء الطائر ما به قوامه ووجوده ، فتدشئ له هنا خلايا عظمية ، وهناك خلايا عضلية ، وهناك خلايا ريشية ، لضرورة أن كلا منها يجب أن يكون له خواص متميزة عن سائرهما ؟ ولما كانت هذه الخلايا المنوعة متخالفة فيما بينها ، فما هي القوة التي تصبها في قوالب تناسبها ، فتجعل من بعضها عظاما صلبة ، ومن بعضها الآخر عضلات قابلة للتقبض ، ومن غيرها مادة خفيفة وقوية ومرنة ؟ وهذه الأخيرة من أعجب أعمال هذه القوة التي أمد الله بها الكائنات الحية . وغير هذا فما هي طبيعة هذه القوة التي تقضى بأن تنمو كل ريشة في شكلها الخاص ؟ وما هو ذلك العامل المنظم الذي يحدد توزيع المواد الملونة للريش وهي مستمدة من الدم أيضا ، بحيث تأخذ منها كل ريشة القدر الضروري لها لا تتعداه ، لا تمتاع الطائر بألوانه الأصباية على تنوعها العظيم ، وتناسبها الدقيق ، ليتألف منها مجموع وُضع لأداء مقاصد مختلفة ، من إخفاء الطائر أو إظهاره ، أو لجذب الإناث إليه في زمن التزاوج ؟

« لا مشاحة في أن استحالة تعليل هذه الظاهرة بالأسباب الطبيعية يسرى على سائر أعضاء الحيوان ، ولكننا ضربنا المثل بالريش ، لأنه ظاهر ومرئى لكل إنسان ، ويمكنه درسه وامتحان دقائقه بواسطة المنظار المعظم للمرييات .

« أما أنا فلم أصادف في كل ما كتب عن خواص البروتوبلازما — وهي المادة الأولية للخلية — ما يلقي بصيصا من النور على هذه المسألة الخطيرة ، فلا بد من الاعتقاد بوجود قوة مدبرة أمد الخالق بها الكائنات النباتية والحيوانية ، بل وأمد بها كل خلية منها ، ليمكن تعليل وجودها ، وما يحدث منها في الأدوار المختلفة »

نقول: يشير الأستاذ (روسل ولاس) بقوله هذا الى ضرورة وجود قوة خلقها الله في كل كائن ، تتولى تكوينه وتربيته وإيصاله الى كماله . فالعلم كما ترى يتمشى نحو الايمان بخطوات وإن كانت بطيئة ، إلا أنها ثابتة وموصلة للنهايات القصية . فأين هذا ونحن في القرن العشرين من إلهاد علماء القرن التاسع عشر وما قبله ، وتشددهم في نكران بدايات العقل في سبيل بناء صرح علمي على أساس مادي محض ؟ .

إن كل هذه الأوهام قد تبددت ، وظهرت الطبيعة اليوم ، بفضل ما فتحه الله على الناس من علومها ، تشهد بأفصح لسان بوجوده تعالى ، وبسريان قدرته في كل شيء ، حقر أوجل ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ )  
محمد فريبر وهجرى

## فضيلة التودد الى الناس

روى ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس .

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام قال لابنه : لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق ، ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد ، فالواحد كثير . فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال :  
فكثر من الاخوان ما اسطعت إنهم بطون إذا استنجدتهم وظهور  
وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير  
وقيل لعبد الملك بن مروان وهو أمير المؤمنين : ماذا أفدت من ملكك هذا ؟ قال : مودة الرجال . وقال بعض الحكماء : من علامة الاقبال اصطناع الرجال .

وقال غيره : من استصلح عدوه زاد في عدده ، ومن استفسد صديقه نقص من عدده . وقال بعض الأدباء : العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضره من عداوته ، ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته وهو قادر على استصلاح من يعاديه ، بحسب صنائعه وأياديه .



## الاسلام في الصين

عنيت مجلة العالم الاسلامي الألمانية بنشر تقارير أعضاء الجمعية الألمانية للمعارف الإسلامية ، الذين درسوا أحوال بلاد الشرق الاسلامي ، وخبروا تطوراته ، وتتبعوا اتجاهات الثقافة العربية على العموم ، والإسلامية على وجه أخص . ولقد جاء في أحد أعدادها مقال لأحد أعلام المستشرقين الألمان « مارتن هارتمان » عن الاسلام في الصين ، نلخص للقراء أهم ما جاء به فيما يلي :

لم يذكر في كتب التاريخ الصينية القديمة الشيء الكثير عن تفاصيل دخول الاسلام في بلاد الصين ، بل إنه في كثير من الأحوال كانت أخبار المؤرخين مبهمة متضاربة يداخلها كثير من الشك والالتباس ، لا يمكن أن يعتمد عليها المؤرخ الحديث كل الاعتماد ، وكل ما يمكن استنتاجه على كل حال هو أن الاسلام تسرب الى هذه الأقاليم الواسعة تدريجيا . ولقد أجمع مؤرخو الصين على أنه دخل على يدى سعد بن أبي وقاص ، وله في « كانتون » قبر تذكاري يخصصه حتى الآن بالإكبار والإجلال .

دخل الاسلام الى بلاد الصين براً عن طريق « خاي كومول » ( وهي إحدى واحات المقاطعة الصينية « سينكيانج » وهي ملتقى هام للقوافل ومحطة للبرق ) بواسطة البرد المسلمين في عصر القيصر « تاي تسونج » ( ٦٢٧ — ٦٥٠ ميلادية ) . وأقدم الآثار التي قد ترجع اليها الأخبار عن فجر الاسلام في الصين هو الجامع الأكبر في « سنجانفو » الذي يستدل من بعض أجزائه على أنه شيد في أول سنة حكم فيها القيصر « تين باو » فيكون ذلك على تقدير « برو مهول » في عام ٧٤٢ ميلادية . ولقد أدخلت تعديلات كثيرة في بناء ذلك الجامع ، وأهمها تلك التصليحات التي تمت على يدى « ساي تين شى » ويلقبونه في الصين « سيدى الأجل » في عام ١٣١٥ ميلادية .

وكان المسلمون يلقبون فى جميع المراجع الصينية القديمة باسم « تاشيه » وهى كلمة مأخوذة من لفظة « تاجق » الفارسية التى يرجع أصلها الى اللغة الآرامية، وكان يقصد بها فى الأصل العرب من نسل طى ، وذلك لأن الأعراب الطائيين الذين دخلوا الاسلام من الفريق الفارسى كانوا يعتبرون ممثلى العرب والعربية ، وأطلق اسمهم على العرب على وجه العموم ، ثم إن هذا الاسم اتسع مدلوله حتى شمل المسلمين عموما ، وأصبح لافرق فى المعنى بين عربى ومسلم . وفى العصور المتأخرة أطلق على المسلمين اسم « هوى هوى » نسبة الى « الوبجور » الذين يعتبرهم الصينيون ممثلين للاسلام ، وبذلك أصبح اسمهم الشعبى دالا على الديانة الاسلامية .

وأما الأخبار التى وصايتها من المؤلفين العرب عن تاريخ وطريق دخول الاسلام فى الصين ، فإنها على جانب عظيم من الأهمية ، لتوحيها الحقائق ، وبعدها عن المغالاة . ومن أمثال تلك المراجع كتاب التاريخ للطبرى الذى ذكر فيه جميع الحوادث التى عرفت فى عصره بشكل منسق جميل ، دون أن يغفل شيئا من التقارير الهامة .

ولا يقلُّ الجغرافيون من العرب عن مؤرخيهم شأنًا فى هذه الأبحاث ، فإنهم كتبوا كثيرا عن طرق السفر الى الصين برا وبحرا ، ويؤخذ من أبحاثهم الجغرافية أن دخول الاسلام فى الصين كان عن أحد طريقين مختلفين ، فالأول هو طريق البر ، ويؤدى الى شمال الصين ، ومنه وصل الاسلام الى النواحي الغربية من مقاطعات الصين الشمالية ، ولم يساعد على تأسيس جاليات إسلامية فى الجهات الساحلية . والطريق الثانى هو طريق البحر من الناحية الجنوبية ، ويمس سواحل الصين لغاية « كانصو » أو « هانج شوفو » ، وبواسطة هذا الطريق تمهدت السبل لتأسيس الجاليات الاسلامية ، ولكنها لم تمتد نحو الداخل . ولم ينتشر الاسلام فى داخل الصين انتشارا واسعا إلا أثناء حكم المغول ، بل لنا أن نقول إنه ما كان يتيسر بدون مجهودات أسرة « ييان » نشر الاسلام فى داخل المقاطعات الصينية الواسعة ، ولا يمكننا التكهن بعدد المسلمين

الذين بعث بهم حكام المغول الى بلاد الصين ، ولسكنهم كانوا على كل حال نواة صالحة للاسلام في الصين .

وقد اصطحب « جنغيزخان » فريقا من الموظفين ومعهم رجل من « بخارا » اسمه شمس الدين عمر يقال إنه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي لقب فيما بعد باسم « سيدى الأجل » ، وقد جاء ذكره في كتب كثيرة ، كما ذكر الرحالة العالمى الشهير « ماركو بولو » فى تقاريره أحد أولاد شمس الدين هذا المدعو ناصر الدين . وأهم ما كتب فى تاريخ حياة شمس الدين عمر ما جاء فى مجموعة « تاشنج بى تونج شيه » وقد عنى بترجمة هذا الجزء الى اللغة الفرنسية « فيسيير » فى مجلة العالم الاسلامى الفرنسية فى شهر فبراير سنة ١٩٠٨ ، وكذلك ما جاء فى مجموعة « فاهسيانج » وقد علق عليها « لا باج » فى تقارير بعثة « أولون » ، وأخيرا ما كتبه رشيد الدين ونقله الى الفرنسية « بلوشيت » فى تقارير بعثة أولون أيضا . ومما جاء فى مجموعة « فاهسيانج » المذكورة أنفا أنه الحفيد السادس والعشرون للنبي (صلى الله عليه وسلم) .

ولقد تقلد شمس الدين عمر مناصب رفيعة عدة فى زمن « كويلاى » ( ١٢٦٠ — ١٢٩٤ ) وسماه القيصر « ساي تين شى » وهى ترجمة « سيدى الأجل » وعينه حاكما على مقاطعة « يونان » الصينية ، وفى أيامه الأخيرة حاز لقب « أمير هسين يانج » وترك خمسة أولاد وتسعة عشر حفيدا . وتكاد تجمع كل التقارير على أن سيدى الأجل نشأ فى مدينة بخارا ، وقدم الى مقاطعة « يونان » الصينية ، وتولى إدارتها من عام ١٢٧٣ حتى وفاته سنة ١٢٧٩ ودفن بجوار عاصمة بلاده .

ولقد كان لسيدى الأجل شأن كبير فى نشر الاسلام بين الصينيين فى مقاطعة « يونان » ولم يزه فى الدعاية للدين الاسلامى إلا ولده الأكبر ناصر الدين الذى كانت له اليد الطولى فى اتساع حلقة المسلمين وزيادة نفوذهم ، واليه يرجع الفضل فى الوصول بمسلمى الصين الى درجة من الانتشار كانت تناوى فى عصور مختلفة الجماهير الغفيرة

من الديانات الأخرى فى هذه المقاطعة . وكان ناصر الدين فى أول أمره فى مقاطعة « شينزى » ثم ولى حكومة « يونان » حيث توفى بها فى سنة ١٢٩٢ وخلفه أخوه حسين فى إدارة شئونها . وكذلك تقلد أولاد شمس الدين عمر وأحفاده من بعده مرا كز رفيعة فى الحكومة .

ومن أحفاده البارزين فى تاريخ الاسلام فى الصين المدعو « ماخو » وهو من ذريته الرابعة عشر ، واهتم بالأبحاث الدينية ، وظهر له كتاب سماه « الابرة المغناطيسية فى الاسلام » فى عام ١٦٦٥ ، وعاش من سنة ١٦٣٠ الى سنة ١٧١٠ ، ومن أعماله أنه قام بتعمير مقبرة جده الأكبر « سيدى الأجل » واليه ترجع النقوش المحفورة فى القبر المذكور ، وترجمها « فيسيير » فى تقارير بعثة « أولون » .

وأكبر أفراد هذه العائلة الآن هو « ماواشنج » إمام مسجد « ماشوشياى » بمدينة « يونانفو » .

وقد يرجع السبب فى أهمية شأن الاسلام فى مقاطعة « يونان » الى الطريقة التى دخل بها ، وانتشاره تحت حكم أسرة « ساي » ، ولم تحصل هجرة ذات بال من الخارج منذ ذلك العهد . وأما الغالبية الساحقة التى هاجرت الى هذه المقاطعة ، فإنها جاءت راحلة من داخل الأقاليم الشمالية ، دون أن يكون لهذه التنقلات أى أثر محسوس فى الجاليات الاسلامية فى السواحل الخارجية .

## استدراك

جاء فى السطر الأول من صفحة ٤٤٦ : أبو حنيفة . والصواب : أبا حنيفة .

“Do the unbelievers seek a religion other than Allah’s and to Him had everyone is heavens and earth submitted in obedience or by force, and unto Him shall they return.”

(Baidawy’s Commentary).

If humanity is destined by Allah to come to a universal religion at one period of its history, this religion will be no other than Islam for The Lord saith:

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ،  
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البضاوي

“We will shew the unbelievers Our signs in distant climes through the signal victories achieved by Islam, and through the wonders wrought in the creation of man till it becomes manifest unto them that the Koran is the truth. Doth it not suffice that thy Lord is witness over all things.”

(Baidawy’s Commentary).

This was made the basis of belief so that Islam may be given a universal character from all stand-points and in this connection The Lord, saith:

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ  
مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البيضاوي

“Say ye believers: We believe in Allah and that which hath been sent down to us (1), and that which hath been sent down to Abraham and Ismael and Isaac and Jacob and his offspring, and that which was given to Moses and Jesus and that which was given to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them and to Allah we are resigned.”  
(Baidawy's Commentary).

No one could deny in face of this explanation that the religious code proclaimed by Islam is the highest imaginable, calling to one Faith and the universal brotherhood of man.

It is inconceivable that a man who lived in a corner of the earth far away from civilisation and such universal ideals, and in a time in which the idea of the unification of religions never passed in a mortal's mind, should think alone in this matter when he had yet to achieve the unification of the tribes among which he was born. And if it were possible at all that such an idea could have passed in his mind, he would certainly have failed to devise such a perfect system which reaches this high standard of perfection.

There could be no doubt that this is a great and miraculous phenomenon which will gain for Islam the position at which it aims ie. to become the religion of humanity.

« أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا  
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البيضاوي

diposed. No one could change the creation of Allah. This is the right Fa but the greater part of men know it not.”

*(Baidawy's Commentary).*

The Creator, be praised, explains that religion is just a streak of divine nature inborn in human souls provided that this nature remains unimpaired by teachings which force it to change its natural course. This pure and untainted nature which is free from passion, illusion or imitation, is nothing but Islam itself.

Yet this situation requires a certain element to direct it in the right way. Men differ in natural instincts and hereditary traits. They may include the staid and the hasty, the foresighted and the imprudent, the resolute and irresolute, etc. It was therefore imperative to set up an arbitrator whose judgment will be binding on all, and no one but a vain and bigoted caviller would take exception thereto. This arbitrator is reason; and since it is the basis of accountability and the umpire of right and wrong, it should be in such a position as to discharge satisfactorily this all-important function.

For this reason The Lord, be praised, has urged to the perfection of the human mind through the meditation of the signposts which He has set up in the universe to shed perfection thereon, and the beacons which He raised to light the way unto guidance and truth, so that it may gain strength and confidence in the judgment it pronounces and is not confused by falsehood in its variegated forms.

This combination of human nature mitigated by the influence of pure reason is the religious basis with which The Lord has sent the last of the Prophets to proclaim unto nations so that they may be unified in religions and beliefs inasmuch as they are united in humanity, nature and intellect.

Bacon who had established the scientific system over three centuries ago, had succeeded in the unification of science all over the world by founding it on observation and experiment as well as on analysis and composition, and by excluding conjecture and hypothesis from its subject matter. And if Bacon has merited the admiration of the world for this great achievement, Islam rightly deserves the greatest honour imaginable for the revelation of that religious system which contributed to the unity of distant people on whose lands the sun never sets. The whole of humanity will some day come to it when Moslems will be able to proclaim it unto the world and when Allah wills this great reform to be accomplished on earth.

Since Islam aims at the unification of nations in a new era of humanity, we find its doctrines are based on this universal principle. It enjoined its followers to believe in all the messangers of God, to make no distinction between them and believe in the dispensations they were sent with.

Should this explanation be given to anyone, it will find ready acceptance in his mind inasmuch as it lends peace and security to his heart and soul. For how could it be that God would reveal various religions differing in their doctrinal principles to nations who are potentially and intellectually similar whereas truth is one and the laws of nature are unchangeable !

Where then does the responsibility of this criminal difference rest if not with the heads of religions?

Is it conceivable that universal knowledge should be one and the same everywhere and that its fundamental principles in any part of the world should be the same as in all other parts while religion should have different phases which contradict and impair one another?

Two things have ensured indefinite continuation and immortality to Islam: one is human nature and the other is the influence of pure reason. Men are the same in so far as the essential requisites of human nature are concerned. Whatever man's nature deems good or bad, all men deem the same, unless parents or teachers deliberately introduce corruption into this nature. It is a fundamental condition of Islam that this nature should remain pure and free of all taints which are apt to change its course.

As to the influence of pure reason, there could be no power on earth to rob man of it. It is a ray of God's Light, a breath of His Divine Wisdom.

For centuries, the heads of anterior religions have endeavoured to destroy it and have chastised by fire and steel, whomsoever sought its aid. But the Lord has lent it His support and rendered it victorious over all the evil forces which were marshalled against it. From this conflict, it has emerged pure and unsullied and to-day it is the final arbiter of right and wrong throughout the whole world.

Islam has fully depended on these two natural things even as an edifice rests on its main pillars, and in this connection the following Koranic verse is significant:

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البيضاوي

“Wherefore set thou thy face towards the true Faith deviating not therefrom: the law of Allah to which men are created and are naturally



the Judgment Day, verily the matter would have been decided by the destruction of the gainsayers.

They who have inherited the Scriptures after them are in perplexing doubt concerning it. Wherefore summon thou them unto the true Faith and go thou straight on as thou hast been bidden and follow not their vain desires and say: I believe in all the Scriptures which The Lord hath sent down, and I am commanded to establish justice among you: Allah is our Lord and your Lord, the Creator and Sustainer of all: Unto us will our deeds be imputed and we will be recompensed thereon, and unto you will your deeds be imputed and you will be recompensed thereon.

Let there be no strife between us and you; for Allah will bring us together on Resurrection Day and unto Him is the final judgment."

(Baidawy's Commentary).

And:

«إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَنِيًّا يُدْنِيهِمْ . وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجَّكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ . وَنُزِّلَ الْمَزِينُ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ »

ترجمة تفسير الآية تقلا عن البيضاوى

"Verily the true Religion with Allah is Islam and none other is acceptable unto Him; and those who were given the Scriptures (1) differed not concerning it until after the knowledge of its truth and authenticity had come unto them, out of mutual jealousy and the desire for supremacy; and whomsoever believeth not in the signs of Allah, verily Allah is prompt in reckoning with him!

If they dispute with thee in religion, say: I have faithfully given myself unto Allah, as have they who followed me: And say unto them who received the Scriptures, and unto the ignorant who have no knowledge thereof: Do ye give yourselves unto Allah even as I have done now that its truth has been established? If they embrace Islam, then they are rightly guided and are benefited thereby; but if they turn away, verily thy task is only preaching that which hath been revealed unto you; and Allah is regardful of His servants."

(Baidawy's Commentary).

(1) Jesus and Christians.

Noah and continued to reveal to all Prophets after him. If men however, find religions to differ in those principles, it is because of the corruption and distortion effected by the heads of those religions and the arbitrary and misguided interpretations which they gave thereto out of spite and mutual jealousy.

It was with this pure and unadulterated Faith that the Lord had eventually sent His Prophet Mohammad unto the world so that men may unite on a universal basis to enjoy the blessings of unity and turn in their entirety in an endeavour to attain the perfection promised to humanity.

The Lord's saying fully bears this out:

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ ، وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ . فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَلَوْلَا آمَنَتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَأْأَعْمَلَنَّا وَلَكُمْ أَعْمَالَكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ »

ترجمة تفسير الآية نقلا عن البضاوى

“Allah hath ordained to you the religion which He commanded unto Noah, and which We revealed to thee and which We commanded unto Abraham, Moses and Jesus: Observe this religion by true belief and obedience, and divide not into sects concerning it. The worship of one God to which thou callest them is intolerable unto the unbelievers. Allah will choose to that Faith whomsoever He pleaseth, and will guide thereunto whomsoever shall turn unto Him.

Nor were the past generations divided among themselves, out of spite and mutual jealousy, till after the knowledge of the true Faith had come to them; and had not a decree from thy Lord gone forth respiting them unto

used as incentives to carry the strife to its furthest limit. This went on till means of communication and intercourse between races were facilitated and the need was felt to exchange products and utilities.

A new consciousness, hitherto unknown to the world, was born among nations necessitating the establishment of some relation between them which provides for co-operation in life in order to satisfy their mutual needs in their commonest and most simple forms. World trade was thus established and proved to be a means of understanding which contributed in its turns to tranquility and peace. A new era in the history of nations was inaugurated bringing nations more and more together and paving the way for the greatest epoch of humanity, the epoch of uniting mankind on a universal basis and rendering them mutual friends who strive together throughout the stages of life making every effort for the perfection of human knowledge and attainments.

This consciousness was born a mere idea in the world. It passed through some minds hardly taking root therein, yet growing stronger day by day until the advent of Mohammad the last of the Prophets (Peace be on him).

It was in that period that the Creator had seen fit to render the mere idea into an accomplished fact. He ordained Islam for mankind and bade it spread into the furthest corner of the earth, inaugurating thereby a final era which humanity never before contemplated. Individual nations have been taught that all religions were false save the particular religion they followed. Whence then could the desired unity come to bind them all in one religion?

This was an intellectual impossibility. Some philosophers imagined this unity to be attainable only through the abandonment of all religions! But could that be conceivable among nations in whose blood ran the love of religion and to whom it was dearer than life itself!

How then did Islam solve this all-important problem within the bounds of reason and nature of things?

How did it justify itself in the minds of men to such an extent that all that was needed to convince and win an adversary of Islam was just to give him a clear and lucid exposition thereof?

Indeed this is a miracle of Islam, the Faith that proclaims to be the last of divine dispensations, the universal religion of humanity in all its entirety which will eventually become the common Faith of mankind once its signs are revealed in far-off climes and manifested in human souls.

Islam has proclaimed that, in its doctrinal principles, it is not a new religion; but it is the first Faith which the Lord had revealed unto

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD <sup>(1)</sup>

---

#### I.

Humanity is steadily progressing towards perfection and despite the existent strife between human communities and their seeming desire to overturn and destroy one another, they are in reality subordinated to certain forces which vigorously stir them up in order to bring out the best of those noble traits inherent in human nature.

Nations may rise and others may fall, communities may flourish and others may go, the earth may quake under the very feet of society so much so that the onlooker would feign the world to be heading towards sure and inevitable destruction. The truth however, is that its components parts are undergoing a reaction, even as that which chemicals undergo, to produce a new compound embodying all the distinctive qualities of those parts, and to discharge a new function which none prior to it could have discharged, thus forming a prelude to further material and moral developments which follow one another and act conjointly for the fulfilment of the Lord's promise on earth.

For ages men lived in divided and contending communities differing widely in principles and doctrines. The human mind was shrouded in the vestiges of early primitiveness and those contentions and differences were wielded as strong factors to widen the human schism, while religions were

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ٤ —

دعوته الى وحدة العقيدة الدينية من جهة أن أصل الأديان واحد

من المسائل الانسانية الكبرى التي تجعل للاسلام أثرا خالدا مستمرا ، وحقاً تاريخياً ثابتاً في الانصال بالشعوب المختلفة ، ما أتى به من الدعوة الى الوحدة الدينية من ناحية أن أصل الأديان واحد ، وإنما تعددت الأديان وتخالفت بسبب ما أدخل على الدين الأول من الزيادة والنقص والتحريف .

هذه الدعوة كانت تعتبر — لو خطرت في ذهن رجل من الأقدمين — من المحالات العقلية ، بسبب الاختلافات الكلية التي كان يراها بين الأديان ، ولا تزال تعتبر في نظر المشتغلين بالشئون الاجتماعية ممن لا يعرفون الاسلام ، من الأمانى البعيدة التحقق ، بسبب ما اختلطت به الأديان من الشئون القومية ، والتقاليد الجنسية ، فجعلوا جهدهم موجهاً الى عزلها جميعاً عن مجال المعاملات المادية ، والى إبطال تأثيرها في تكوين المجتمعات ، حتى يتم الانسانية ما تعمل للوصول اليه من السلام العام ، والتعارف المتبادل ، دون أن يتف في طريقها مانع من أى نوع كان .

ولكن لو تأمل هؤلاء المشتغلون بالشئون الانسانية في القواعد التي بنى عليها الاسلام هذه الدعوة ، وفي الحقائق التاريخية التي استند اليها ، لرأوا أنها أسرع فعلاً في جمع الأمم من كل الوسائل التي يستخدمونها لذلك . وقد ظهر تأثير أسلوبه هذا في جمع الأمم لأول عهده ، رغمًا عما كان للفوارق القومية بين الأمم من السلطان المطلق على عقولها ، فما ظنك اليوم وقد رقت حواشي هذه الفوارق في نظر الشعوب الى حد أنها تعتبرها وهمية محضة ، وذلك بسبب ما انتشر بينها من التعاليم الفاسفية ، وما ذاع

فيها من الآراء العالمية . فالرجوع اليوم الى أسلوب الاسلام في جمعها من الناحية الدينية يكون له أضعاف ما كان له من قوة التأثير في الشعوب الطفلة البعيدة عن كل ثقافة عقلية .

هنا يمكن أن يتصدى لنا معترض فيقول : إن الأمم المتقدمة اليوم لا ترفع بالأمور الدينية رأساً، حتى إذا فرضنا أنها استجابت لدعوة الاسلام واتبعت ديناً واحداً، فأمامها المسائل الاقتصادية قد تطحن عليها فتحملها على مقاومة بعضها بعضاً، فأى أثر يكون لدعوتنا إياها الى توحيد الدين وهي على ما هي عليه من التأثير بالعوامل الاجتماعية ؟ .

نقول : نعم ، ولكن ألا يرى المعترض علينا أن هذه الأمم قد أدركت أن الحروب أصبحت وسيلة ممقوتة ، وأنها تضعف المقهورين والقاهرين على السواء ، وخاصة بعد أن توشجت مصالحها في النواحي الاقتصادية توشجاً أصبح ما يضر بعضها من الاضطراب يضر بعضها الآخر ، فجعلت تتحسس من وسائل فعالة لحذف هذه الأداة ؟ فإذا أضفت الى هذه الجهود التي تبذل في كل مكان بث فكرة وحدة الدين بينها ، ألا يعود هذا بالخير عليها وعلى العالم أجمع ، ويقوّى عوامل توحيد الأمم ، ويجعلها تتغلب على عوامل التفريق التي لم تبق ولم تذر ؟

ثم ألا يعود من هذه الدعوة فائدة لا يمكن تقديرها على الشرق الاسلامي حين يعرف بوجه عام أنه صاحب أكبر وأرفع دعوة وجهت الى البشر ؟

فلننظر الآن في القواعد التي قلنا إن الاسلام بنى عليها دعوته في توحيد العقيدة الدينية ، وفي الحقائق التاريخية التي استند اليها لجعل تلك الدعوة سائغة في العقول ، تصل منها الى مواطن الاقتناع ، وتصبح في نظرها من البدهيات التي لا يجوز التردد فيها ، فنقول : (١) قرر الاسلام أن دين الله واحد في جميع العصور ، وأنه أوحاه الى أول رسول أرسله للبشر ، ثم وإلى أنزله على المرسلين في فترات من تاريخ الأمم ، تجديداً لما طمس من معالمه ، وبياناً لما غمض من أصوله ، وتصحيحاً لما حُرف من آدابه . قال تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ).

(٢) وأن الدين وَضَعَ إلهي غرزه الله في صميم الفطرة البشرية، لا تشذ عنه نفس إنسانية، وأنه بهذا الاعتبار أصبح في حكم جميع الغرائز الجبيلية التي لا يختلف فيها اثنان من الناس، فقال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ). المراد بتفريق الدين الخلاف في أصوله لا في فروعه.

(٣) وأنه نصب العقل الكامل علماً للاستهداء به في كل خلاف تحت نور الوحي الإلهي.

(٤) وأن منشأ كل خلاف يشق عصا الناس في أمر الدين، ويوجب عليهم التفرق، هو: إرادة البغي، وإهمال العقل، والتقليد الأعمى، فقال تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) وقال: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ).

(٥) وأن الإسلام الذي أوحاه الله الى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم هو ذلك الدين الأول، أرسله الله به على فترة من الرسل الى الناس كافة، ليبانهم هذه الحقائق، ويرفع من بينهم الخلافات التي قضت عليهم بها أهواؤهم، وليست من مقتضيات العقل، ولا من حقائق العلم في شيء، فقال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). وقال تعالى: (أَفَغَيْرَ





الخاصة الخ، قد مهد الطريق لهذه القواعد الاسلامية، وإنما المدار على تقديمها للناس فى أسلوب جدير بجلالاتها، وبيان خليق بقيمتها .

فلا جرم قد أصبح الإسلام—وقد تآزر هو والعقل السليم، والعلم المحقق البعيد عن الظنون والأوهام — ليس بينه وبين الدولة المنتظرة له إلا تنظيم الدعوة اليه، وبيان أصوله العالمية للناس بكل لغة، فلا تقوى على صدّ تياره بعد ذلك أكبر قوة فى الأرض . نعم : إن العقائد الدينية المنتشرة بين الأمم قد اختلطت بكيانها القومى، فأصبحت عنصرا من عناصرها، حتى إنك لترى كثيرا من الأمم مع اعتقادها بطلان أديانها متمسك بها إبقاء على قومياتها، ولكن مبدأ القومية أخذ ينحلّ بما تنفثه الحوادث فى روع الأمم من روح التقرب بينها، واعتقاد أن سلامتها جميعا تتوقف على التعارف الذى قد يفضى بها الى العيش كأمة عالمية واحدة . أضف الى هذا أن الأزمات الاقتصادية التى تولدها المنافسات التجارية شرعت توحى للأمم ضرورة إقامة نظام عالمى عام للإنتاج الزراعى والصناعى، حتى لا يكون أثرُ المنافسات إيقاعَ العالم كله فى فاقة قد تدفع بشعوبه الى التناحر على طريقة أسلافهم الأولين، وهذه الطريقة لم تصبح ممقوتة فحسب، ولكنها أصبحت أيضا مهلكة، لأن العلاقات الاقتصادية بين الشعوب على النحو الذى اقتضاه نظام المعاملات الحديث، تتأثر تأثرا يضيع على الغالب ثمرات انتصاره الذى يكون قد حصله، بخسائر فى الأرواح قد تفوق خسائر الشعب المغلوب نفسه . ألا ترى أن الأمم أجمع قد أصبحت سواسية فى الضيق الاقتصادى، لا فرق بين قاهرها ومقهورها ؟ .

كل هذه الاعتبارات تدفع الأمم اليوم للبحث عن وسائل للحياة العامة تناسب هذه الأطوار الحديثة، وتوافق التهذيب النفسى الذى أوجده العلم من كل وجه، ولا تدفع بالجماعات البشرية الى ما زق جديدة قد تقذف بها الى عهد البربرية الأولى . فكل حامل مبدأ من مبادئ توحيد الكرامة اليوم إنما يحمل الى الإنسانية المعذبة علاجا جديدا لرأب صدوعها، ولألم جراحها، وتُتلقى دعوته بارتياح عام، وإن كانت

العقائد المختلفة قد أصبحت عنصرا من عناصر القوميات ، لأن تلك القوميات نفسها قد زلزلت زلزالا شديدا ، وأصبحت الجماعات كلها بحاجة الى تجديد بنائها على نظام يلائم حياتها الراهنة والمستقبلية . ألا ترى اليوم أن شعوبا من ديانات ونحل مختلفة قد عقدت بينها محالفات دفاعية هجومية ، وهو أمر كان لا يتأتى حدوثه الى القرن الماضي ، وقد هاج الفرنسيون على ملكهم فرانسوا الأول لاستنصاره بالأتراك على حرب خصمهم (شركان) أمبراطور المانيا والنمسا في القرن السادس عشر ، مع أنه كاد يحتل دولتهم ؟ فلا غضاء عن هذه الاعتبارات اليوم يعتبر تطورا جديدا في العلاقات الدولية بين الأمم ذوات الأديان المختلفة ، ويدل على تداعى الحوائل التي كانت تفرق بينها ، وهذا كله تمهيد للعهد الذهبي الذي يدعو الاسلام اليه مجموع الأمم .

على أن في قيام المسلمين بدعوة الأمم الى اتباع دين واحد على الأسلوب القرآني الذي يستهوى العقول من ناحيتيه المنطقية والعلمية ، يافت الناس بشدة الى دراسة الاسلام دراسة جدية لا تؤدي اليها أية دعوة من نوع آخر .

فإن كل من يباغى من الأمم أن الاسلام يدعو الى وحدة العقيدة الدينية مبينا أن أصل الأديان واحد ، وأن الأديان ما وصلت الى هذا المدى البعيد من الخلاف إلا بتحريف قادتها لها بغيا بينهم ، وأن الاسلام نفسه هو ذلك الأصل الأقدم يُقدّم اليها غير مُحَرَّف ، قلنا كل من يبلغه ذلك من الأمم يتولد في نفسها باعث قوى لدراسته ، ليعرف أين هو من الدعوى الضخمة . فإذا فعلت ذلك تجلّى لها من أصوله ما يأخذ بقلوبها وألبابها معا ، وتبين لها أنه هو الوضع الإلهي الذي يصلح للأمم كافة في عهد بلغ فيه العلم والفلسفة رشدما ، وفي كل عهد بعده حتى تقوم الساعة (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ) ؟

# النفس

## سورة النور

- ٢٠ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ قَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) .

هذه أحوال تتصل بالمعاشرة التي يُبَيِّنُ من أحكامها ما بين في الآي السابقة ، وهي مما تختلف فيها الأنظار ، وتباين فيها الآراء ، يتخرج عنها بعض الناس ويستسيغها آخرون ، و يرى كل فريق فيها رأيا بحسب ما يوافق مشربه ، وما يتمكن في نفسه من خلق ، فيحسبه حكم الله الذي لا يحيد عنه .

جاءت الآيات الشريفة توضح أن هذه الأحوال ليس لها في نظر الشارع الحكيم ما يجعل أحد جانبيها محتوما لازما ، بل هي تدور مع ما تستريح اليه أنفسكم ، وما يوافق المألوف ومحاسن العادات .

ففيها حالات الضعفاء وذوى العاهات ممن أصيب بعمى أو عرج أو مرض . كانوا هم يتخرجون عن مؤاكلة الأصحاء ، لأن الأعمى قد يبدو منه ما يتقزز منه البصير ، فقد تطيش يده على غير هدى فينفر منه من يجالس في الطعام ، أو قد يتوهم هو ذلك فلا تستقر نفسه للمخالطة في الطعام . والأعرج قد تضطرد حالته الى جاسة ربما تضايق منها غيره ، أو حسب هو ذلك . والمريض عادة دقيق الشعور ، شديد الإحساس والمراقبة إن معه : هل تأذى منه أحد ؟ فكانت الطوائف الثلاث تتحاشى أن تؤاكل كل من من الله عليه بالسلامة . وكان كذلك الأصحاء : منهم من يتخرج عن مخالطة أولئك الطوائف في الطعام ، مراعين في الأعمى أنه لا يرى الطعام الجيد الذى قد تشتهيه نفسه ويستحي أن يطلبه ، فقد تمتد اليه يد غيره دون أن يشعر برغبته . والأعرج لا يتسكن من الجلوس المستريح بسهولة ، فلا يملك راحته مع غيره . والمريض لا يتأنى له أن يذال بغيته كما يتأنى للسليم ، فكانوا تجنباً لهذه المظان يفردونهم بطعام ، ليأخذوا راحتهم ، ويمسكوا غرضهم .

وأيضاً : كان من عادة الغزاة والمجاهدين في سبيل الله إذا خرجوا للغزو وتختلف الضعفاء من عمى أو عرج أو مرضى ، أباحوا لهم أن يأكلوا من بيوتهم في حال غيبتهم ، فكان هؤلاء الضعفاء يتخرجون عن ذلك .

كل ذلك قد روى في سبب نزول الآية ، ولا مانع من حصول الجميع ، إذ لا تعارض بينها ، وهى عادات يصح أن تحصل عند طوائف من الناس ، فجاءت الآية لحل هذا الحرج ، وتوسيع الأمر في مخالطة الناس بعضهم بعضاً ، متى حسنت النية ، وطهرت الطوية . وعلى ذلك يكون المعنى : ليس على الأعمى ومن فى حكمه حرج فى أن يؤاكل السليم المعافى ، فليس من شأن النفوس المهذبة أن تعنى بتتبع مثل هذه الشئون الصغيرة ، وليس أمر الطعام من العظم بحيث يحتاط فيه كل هذا الاحتياط . كيف والمؤمنون إخوة ينبغى أن يكون ديدنهم الإيثار لا الأثرة ، ويميل بهم

أن ينظروا الى الطعام نظرهم الى وسيلة غير مقصودة لإلحفظ الحياة، فمن حقهم أن يكونوا ممن يأكل ليعيش، لا ممن يعيش ليأكل، فقد قال جل شأنه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) وينتظر منهم أن يطمئن بعضهم الى بعض. ويشق بعضهم ببعض، ويعلموا أن ما يعنى أحدهم يعنى الآخر، وما يسره يسره، وعلى هذا البيان تجد المعنى: ليس على أولئك الطوائف حرج في أن يأكلوا مع الأصحاء، وليس عليهم حرج في أن يأكلوا من بيوت غيرهم حيث أباحوا لهم ذلك في غيبتهم، ولا على من يؤاكلهم حرج في أن يجتمع معهم في مأدئة واحدة. والمعنى الجامع: ليس في شأن هؤلاء حرج يتقى، لا عليهم ولا على من يخاطبهم، فالأمر أوسع مما تتوهمون، والحرج إنما هو فيما يمس مهمات الشئون. ومعنى الحرج في اللغة: الضيق، وهو في لسان الشرع بمعنى الإثم.

أما قوله تعالى: (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) الخ، فإنه كذلك توسعة على الناس فيما تمس اليه الحاجة عادة، بل تستدعيه الصلات الحسنة ولو بدون حاجة. وقد عدد مواضع رفع الحرج عن الأكل في الآية، وهى أحد عشر، تشترك كلها في استكمال أواصر القرابة أو المودة أو المعاونة. والمواضع ظاهرة المعنى، إلا أن في الموضع الأول سؤالاً، وهو: ما فائدة التنصيص على إباحة أكل المرء من بيته وهو ظاهر غنى عن الإيضاح والتشريع؟ وقد قالوا في توجيهه: إن المعنى من بيوت أولادكم. وجعل بيوت أولادكم بيوتاهم، لأنهم أقرب الطوائف اتصالاً بهم، وقد ورد: أطيب ما يأكل الرجل من كسبه. وولده من كسبه. وقال صلى الله عليه وسلم: «أنت وما لك لأبيك» ويشهد لهذا المعنى أن الآية لم يذكر فيها بيوت الأولاد مع أنهم أقرب الى الوالدين من الطوائف المذكورة. ويصح أن يكون ذكر بيوتهم لإظهار أن ما سيذكر بعده من البيوت هو بمثابة بيت المرء نفسه في هذا الحكم، فكانه يقال: ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوت آبائكم ومن ذكر معهم، كما ليس عليكم

جناح في أن تأكلوا من بيوتكم، وهو قريب مما قيل في قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) إن المعنى: لا يستأخرون أصلاً، كما أنهم لا يستقدمون إذا جاء أجلهم، فإن الاستقدام وقد جاء الأجل محال، فجعل مثله الاستئجار. هذا وليعلم أن نفي الحرج في الأكل من هذه البيوت إنما هو فيما إذا علم أو ظن أن ذلك موضع رضا منهم، كما هو الشأن الغالب، وكما هو المنتظر منهم أن يكونوا عليه. فإذا غلب على الظن أن بعض هؤلاء تمكن منه الشح أو الاحتياج إلى حيث يتأذى من أكل طعامه، لم يحل ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه» فالآية محمولة على ما هو الغالب من طيب نفس الأقارب والأصدقاء، بل سرورهم لتناول أقاربهم طعامهم ولو بغير استئذان منهم، بل قد يسوءهم ذلك الاستئذان. وإنك ترى من الناس من يقصد إلى تناول طعام غيره في حال غيبته ليدخل السرور عليه، وليعلم أنه من الثقة به والطمانينة إليه وخالص المودة معه بحيث يتبسط في ملكه، ويطلب الطعام من خادمه بدون حضوره. وكما ترى من حالات تفتتح بها المحبة بين الناس، وتتناكد مودتهم بحالة من هذا؟ فكم يسرك أن تدخل بيتك فيقال: حضر فلان هنا وطلب الطعام أو القهوة بنفسه، فيتضاعف له الشكر منك، وتهتز لذلك ارتياحاً، وقد يقتلع بذلك كثيراً من وساوس تكاد تطفئ مصباح المودة بينكما. بل تجدد الصديق يقابل صديقه فيقول: لقد زرتك وطلبت التحية بنفسى، يمتن عليه بهذا، فيجد من الارتياح ما يكون نعم الجواب. روى أن الحسن البصري دخل بيته فوجد حلقة من أصدقائه فيه قد أخرجوا طعاماً طيباً وانكبوا عليه يأكلون، فتهلل سروراً وبشراً وقال: هكذا وجدناهم. أى أكابر الصحابة الذين أدركهم. ويحكى أن أحد الصالحين قدم إلى بيته فأخبرته جاريته أن فلاناً — وكان صديقه — قدم هنا فقدّمت له طعاماً وأكل، فسرّ لذلك وقال: إن صدقت فأنت حرة.

ليس الأمر واقفا عند حد الأكل والشرب، ولكنه يبسط ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في أخلاقهم ومعاملاتهم، وتوابعهم وتعاطفهم. وإنما ضرب الأكل مثلا لأنه أكثر ما تظهر فيه هذه الأخلاق، بل أكثر ما يجعل عنوانا لصفاء النفوس وكمال الصلة، ثم هو من الحاجيات التي تتكرر كل يوم لكل إنسان.

وأما قوله تعالى: (أو ماملستم مفاتيح) فذلك في شأن وكيل الرجل في ضيافته القيم على إدارتها، أو رعى حاشيته أو نحو ذلك: لا حرج عليه أن يتناول من ثمرها، أو يشرب من لبنها ما اعتيد مثله، لا أن ينقل أو يدخر. وذلك أن النفوس عادة تطيب بثله. فإذا علم أن صاحبها لا تطيب نفسه بذلك وجب أن يتمتع، على ما مر من قوله عليه السلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه».

والمفاتيح: جمع مفتاح. وجمع المفتاح مفاتيح. ولما كان محل هذا الحكم هو الأكل بغير إذن، لأن الأكل باذن لا يخص هذه الطوائف، كان ذلك دليلا على جواز الدخول في هذه البيوت بغير إذن، مع مراعاة أحكام الآية السابقة في الدخول وأوقاته. ولذلك كانت تلك البيوت لا تعتبر حرزا في السرقة، فاستنبط منها بعض الفقهاء عدم الحد في السرقة منها، وسقوط الحد يكفي فيه الشبهة، وإلا فالحرمة متحققة، ووجوب الرد كذلك.

أما قوله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) فإنه كذلك إباحة للكميافيات المتعددة التي تختلف الأ نظار في تفضيل بعضها على بعض، فقد كان أناس يتعرجون عن أكل طعامهم وحدهم، وينتظرون أن يحضرهم من يشاركهم فيه من ضيف أو ابن سبيل يؤاكله، وقد يمكث أحدهم يومه ينتظر ورود من يشاركه في طعامه، وكان هذا من العادات الموروثة عند العرب يتمدح بها، ويوصى على التزامها، قال شاعرهم:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له      أ كيانا فاني لست آكله وحدي

وقد جاء في الحديث الشريف « شر الناس من أكل وحده، ومنع رفقته، وضرب عبده » ومعنى الرقد : العطاء . والحديث ذم لمن اعتاد ذلك والتزمه ، بخلاً أن يشاركه أحد في طعامه . ونفى الجناح في الآية محمول على الحصول اتفاقاً بلا تعمد اختفاء عن المشاركين .

وكان أناس يعتمدون الى أكل كل منهم بانفراده ، حتى لا يحصل من أحدهم ما يتقزز به غيره ، أو لا تمتد يده الى ما اتجه اليه بصر غيره . وكان أناس إذا نزل بهم ضيف رأوا ألا يأكلوا إلا معه ، وقد يكون لأحدهم مصالح تدعوه لتجيل أو تأخير ، فربما أوقعه ذلك في الحرج ، فنزلت الآية السكرية لنفي الجناح في ذلك ، وأباح كل كيفية ليس فيها إضرار بأحد أو منع رقد . وهذا لنفي الجناح في الكيفية التي بها يتناول الطعام ، كما أن أول الآية لا يباحة أصل التناول من طعام الغير . ولعلك تجد في التعبير بنفي الحرج في الأول حيث كان المتوهم التضيق على المسكف في تناول طعام غيره ، وفي نفي الجناح في الثاني حيث كان المقام مقام تردد بين كيفيات كل يميل الى كيفية ، لعلك تجد في هذا التعبير من الجمال والدقة ما هو جدير بالاعتبار .

أما قوله تعالى : « فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » فهو بيان للأدب الذي ينبغى أن يراعى في حال دخول تلك البيوت التي أذن الله بدخولها ، فكان الآية تشير الى أن هذا الإذن ليس معناه الافتحام مع إغفال الآداب وحقوق المؤانسة ، بل ينبغى أن تبدءوا دخولكم بالسلام على أهل تلك البيوت ، فهم منكم وأنتم منهم ، فما أحقكم بتبادل التحايا بعضكم مع بعض ، فسلموا عليهم ، فهم في المودة ولجة القرابة بمنزلة أنفسكم ، فكان نكم تسلمون على أنفسكم .

وكان في هذا إشارة الى السر في إباحة تناول الطعام من هذه البيوت ، أي فإن من فيها بمثابة أنفسكم ، فكان الواحد منكم قد أكل في بيته . وقد قيل في توجيه قوله :



«فساموا على أنفسكم» : إنه لما كان المسلم عليه يردّ التحية بمثلها أو أحسن منها؛ فكان المسلم سلم على نفسه باستجابة السلام عليها .

وقوله : «تحية من عند الله» أصل التحية مأخوذة من قولهم : حياك الله ، فكأنها طلب الحياة ، أو طلب صفوها وسعادتها وكلها . وتعرف في كل تحية بأى لفظ وأى دعاء ولو كانت بغير لفظ الحياة . ومعنى أنها من عند الله : أنها تحية عظيمة بعظم من طلبت منه ، أو تحية مشروعة من عند الله ثابتة بأمره وإرشاده . والمباركة أى المحتوية على زيادة الخير للمحيي والثواب للمحيي ، وطيبة أى تطيب بها نفس من تحيونه بها ويستريح اليها .

(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أى على هذا النحو جرت عادة الحق جل جلاله فيما يبين لكم من آيات تملأ حكمتها قلوبكم ، وتشمل رحمتها حياتكم ، وإذا تأملتم فيها وعقلتم ما احتوت من منافع وهدى ، رأيتموها من أجل نعم الله عليكم ، ومما يستوجب عظيم شكركم ، فهو يجلوها على هذا الوجه البين لعلكم تعقلونها ، فيزداد تمسككم بها ، وشكركم لله من أجلها

ابراهيم الجبالي

## ذم البخل والبخيل

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : الشحيح أعذر من الظالم فقال : لعن الله الشحيح ولعن الظالم .

وقال بعض الحكماء : البخل جلباب المسكنة . وقال : البخيل ليس له خليل .

وقال بعض البلغاء : البخيل حارس نعمته ، وخازن ورثته .

وقال بعض الشعراء :

إذا كنت جماعاً لما لك ممسكا      فانت عليه خازن وأمين  
تؤديه مذموماً الى غير حامد      فياً كله عفوا وأنت دفين

## حديث الغرانيق

ورد من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد عبد الحميد قاضي  
مدبرية دارفور سؤال يتاخص فيما يأتي :

إن مما ندين الله عليه تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ،  
وأنه من عند الله ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) .

وقد جاء في بعض الكتب أن سبب نزول قوله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) أن النبي صلى الله عليه  
وسلم لما بلغ في قراءة سورة النجم قوله تعالى : ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ  
الْأُخْرَىٰ ) ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى .

فكيف يتفق جريان مثل هذا على لسانه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى :  
( وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ) ومع اعتقادنا بالعصمة ، وأنه النبي المعصوم ،  
وهو المقتدى به في أقواله وأفعاله ؟

وقد بعثنا الى فضيلته جوابا مفصلا تلخيصه فيما يأتي :

## الجواب

الذى نعتقه ويجب أن يعتقه كل مسلم أن هذه القصة باطلة موضوعة ، فإن  
المسألة من أصول العقائد التي لا تكفى فيها أخبار الآحاد ، بل هي من القطعيات لا من  
الظنيات ، وإن البرهان العقلي لقائم على كذبها . ولنسق لك شيئا مما قاله أئمة النقل  
والعقل في المسألة :

قال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . وقال القاضي عياض في الشفاء :  
يكفيك في توهين هذا الحديث أنه لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة  
بسنده صحيح سليم متصل .

وفي البحر لأبي حيان أن هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابا. وقال الشيخ أبو منصور المتري: الصواب أن قوله « تلك الغرائيق العلى » من جملة إيهام الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة، حتى يلتقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين الشبه ليرتابوا في صحة الدين، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية، ويلزم على هذه الرواية أمور كثيرة كل منها باطل وغير معقول :

١ — منها تسلط الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم بالإجماع معصوم من الشيطان، ولا سيما في مثل هذا من أمور الوحي والتبليغ والاعتقاد، وقد قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) وقال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فإذا كان ذلك في عباد الله المخلصين، فكيف بسيد الخلق أجمعين؟

٢ — ومنها زيادته صلى الله عليه وسلم في القرآن ما ليس منه، وذلك مما يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم لمكان العصمة.

٣ — ومنها اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس بقرآن أنه قرآن مع كونه متناقضا مع ما ذكر معه من الآيات غاية التناقض، فإنه ذم الأصنام بما لا مزيد عليه في هذه السورة، فقال: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْ مُوْهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) وقال في حق عابديها: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْخَلْقِ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّيْ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرْدِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) إلى غير ذلك. فكيف يقال إنهم فرحوا بمدح أصنامهم، وسجدوا معه في آخر السورة؟ وكيف ينسب ذلك التناقض الشنيع والخطأ الفظيع له صلى الله عليه وسلم!

- ٤ - ومنها أنه إما أن يكون معتقدا ما فهموه من مدح آلهتهم ، وهو محال عليه صلى الله عليه وسلم ، أو غير معتقد ، فيكون مقراً لهم على الباطل ، بل على الكفر .
- ٥ - ومنها كونه صلى الله عليه وسلم اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه الملك ، وهو يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم على غير بصيرة فيما يوحى إليه .
- ٦ - ومنها أن هذا يوجب جواز تصور الشيطان بصورة الملك ملبسا على النبي ، ولا يصح ذلك كما أوضحه القاضى عياض فى الشفاء . وقال أبو بكر بن العربى : تصور الشيطان فى صورة الملك ملبسا على النبي ، كتصوره فى صورة النبي ملبسا على الخلق ، وتسليط الله له على ذلك كتسليطه فى هذا ، فكيف يسوغ فى لب سايم استجازة ذلك !

والحاصل أن حديث الغرائق مخالف للقواطع ، وأنت تعلم أن تفسير الآية أعنى قوله تعالى : ( وما أرسلناك ) لا يتوقف على ثبوت أصل لهذه الفصصة . وسنسمعك شيئاً فى ذلك . وكون الشيطان ألقى ذلك على لسان بعض الرواة أقرب فى العقل من كونه ألقاه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعد ذلك كله يلزم على ما ذكرناه أن يكون للشيطان تسلط على روى كل رسول وكل نبي زيادة على تسليطه على القرآن العزيز ، لقوله تعالى : « من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته » فإن الآية تقتضى على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه جميعاً ، إذ الضمير فى « تمنى » يعود الى ما قبله من الرسول العام ، إذ هو نكرة واقعة فى سياق النفي ، وقد اقترنت بمن الاستغراقية ، وهى حينئذ تكون نصاً فى العموم .

ولا نزال نكرر أن العصمة من العقائد التى يطلب فيها اليقين ، فالحديث الذى يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أى وجه جاء . وقد قدمنا لك أن الأصوليين عدوا الخبر الذى يكون على تلك الصفة من الخبر الذى يجب أن يقطع بكذبه .

وقد علم ما للناس في ابن أبي صالح كاتب الليث وأن المحققين على تضعيفه، ولا نطيل في ذلك، ويكفيينا قول البيهقي وأمثاله من أئمة الحديث فضلا عن تلك الحجج العقلية. وأما قول من قال إنه تكلم بذلك ساهيا أو ناعسا، فيرده ما قرروه في علم النفس من أن الإنسان لا يتكلم حال عدم الشعور إلا بما يكون مستقرا في نفسه، منتقشا في قلبه مستوليا على لبه، فيظهر حينئذ على لسانه من غير قصد ولا روية. وهل يمكن أحدا أن يقول إن مدح الأصنام كان في نفسه صلى الله عليه وسلم حتى يظهر على لسانه ساهيا أو ناعسا؟ اللهم إن ذلك غير معقول ولا مقبول!

### تفسير الآية على سبيل الإجمال:

المراد من الآية على سبيل الاختصار أن الله تعالى ما أرسل رسولا من الرسل ولا بعث نبيا من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الإيمان لأئمة، ويحبهم لهم، ويرغب فيه، ويحرص عليه كل الحرص، ويعالجهما عليه أشد المعالجة، وفي جملةهم نبينا صلى الله عليه وسلم الذي قال له الرب سبحانه وتعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا أَحَدِيثِ أَسَفًا) وقال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) وقال تعالى: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وقال: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى. ثم الأمة تختلف كما قال تعالى: (وَلَكِنْ اُخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) فأما من كفر فقد ألقى الشيطان في نفسه الوسوس القاذحة في الرسالة الموجبة لكفره. وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وسوس، لأنها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب، وإن كانت تختلف في الناس بالشدة والضعف، والقلة والكثرة، فعنى تمنى: أنه يتمنى الإيمان لأئمة، ويجب لهم الخير والرشد، والصالح والنجاح، فهذه أمنية كل رسول ونبى، وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوسوس الموجبة لكفر بعضهم، ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك

من قلوبهم ، ويُحْكَمُ فِيهِمُ الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالرَّسَالَةِ ، وَيُبْقَى ذَلِكَ عَزَّ وَجَلَّ  
 فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ لِيَفْتَنُوا بِهِ . فَتَحْصُلُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْوَسَاوِسَ تَلْقَى  
 أَوَّلًا فِي قُلُوبِ الْفَرِيقَيْنِ مَعًا ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَدُومُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَتَدُومُ عَلَى الْكَافِرِينَ .  
 وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ : أَنَّ التَّفْسِيرَ الصَّحِيحَ لِهَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ :  
 الْعُمُومِ الَّذِي فِي أَوَّلِهَا ، وَالتَّعْلِيلِ الَّذِي فِي آخِرِهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( لِيَجْعَلَ مَا يُنْقَلَى  
 الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ أُخْلِقَ  
 مِنْ رَبِّكَ ) ، مَعَ كَوْنِهِ يُعْطَى لِلرَّسَالَةِ حَقَّهَا . وَقَدْ سَمِعْتُ الْقَوْلَ الْفَصْلَ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ  
 يَخْفَى عَلَيْكَ مَا سِوَاهُ ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى هَدَانَا جَمِيعًا بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ .  
 بَرْسُفُ الدَّرَجِيِّ

## فضيلة الحلم والتجاوز

رَوَى أَنَّ رَجُلًا أَكْثَرَ يَوْمًا مِنْ سَبِّ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، فَلَمْ يَجِبْهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ :  
 وَاللَّهِ مَا مَنَعَهُ مِنْ جَوَابِي إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ !  
 وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :  
 نَجَا بِكَ لَوْ مَكَ مِنْجَى الذَّبَابِ حِمَّتْهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا  
 وَأَسْمَعَ رَجُلُ ابْنِ هُبَيْرَةَ كَلَامًا مَقْدَعًا ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِيَّاكَ أَعْنَى . فَأَجَابَهُ  
 ابْنُ هُبَيْرَةَ : وَعَنْكَ أَعْرَضَ !  
 وَفِي مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :  
 فَادْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقَ عَرْضِكَ إِنَّهُ عَرْضُ عَزْزَتِ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ  
 وَقَالَ صَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ :  
 إِذَا نَطَقَ السَّفِيهَ فَلَا تَجِبْهُ خَيْرٌ مِنْ إِيَابَتِهِ السَّكُوتُ  
 سَكَتٌ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنُّ أُنَى عِيَتْ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عِيَتْ  
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اِحْتِمَالُ السَّفِيهِ خَيْرٌ مِنَ التَّحَلِّيِ بِصُورَتِهِ ، وَالْإِغْضَاءِ عَنِ الْجَاهِلِ  
 خَيْرٌ مِنْ مَشَاكَلَتِهِ .

# شهادة كبار الفلاسفة والمؤرخين

للنبي الأعظم صلى الله عليه وسلم

المؤرخ الانجليزى المشهور المستر ( بوسوورث سميث ) بتاريخ خاتم النبیین محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه ( محمد والدين المحمدى ) فأظهر إنصافا يستحق أن يسجل له ، قال فى عرض كلامه عنه :

« وكما كان محمد رئيسا للدولة كان رئيسا للدين أيضا ، أى أنه كان قيصرًا وبابا فى شخص واحد ، ولكنه كان بابا فى غير مزاعم البابا ، وقيصرًا دون أن يكون له جيوش قيصر . فإذا حق لاإنسان أن يقول عن نفسه إنه يحكم بحق إلهى فقد كان ذلك الإنسان محمداً ، إذ كان حاصلًا على كل سلطان الحكم لا من طريق وسائله العادية ، ولا بمقوماته المعروفة .

« كان محمد فى وقت واحد مؤسسًا لأمة ، ومقيمًا لامبراطورية ، وبانيًا لدين . وهو وإن كان أميًا فقد أتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا ، وأخلاقا عامة ، وكتبا مقدسة فى كتاب واحد ، وهو كتاب يقده الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لأنه معجزة فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلالة الحق ، كان يقول عنه محمد إنه معجزة الخالدة . حقا إنه لمعجزة .

« ثم إذا نظرنا الى ظروف الأحوال ، والى ما كان لمحمد من الاحترام الفائق الوصف عند أتباعه ، وقارناه بأباء الكنيسة وبقديسى القرون الوسطى ، فإن ادعى شئ للدهش فى محمد أنه لم يدع قط القدرة الذاتية على إحداث المعجزات . نعم كان يفعل ما يقول ، وكان أتباعه يرونه يقوم بتحقيق كل ما يقول ، أفتريد بعد هذا برهانا قاطعا على صحة صدقه وإخلاصه ؟

« لم يحرص محمد الى آخر حياته على شئ إلا على ذلك اللقب الذى تلقب به من أول

أمره ، وهو لقب اعتقد بأنه سيأتى يوم ترضى فيه أرقى فلسفة ، وأخلص مسيحية أن تسلم له به ، وهذا اللقب هو أنه رسول ، رسول لله حقا » انتهى .

نقول : لقد وفق المستر (بوسوورث سميث) الى الصواب كله فيما ذكره عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكثر ما أعجبنا به من عبارته قوله : إنه يعتقد بأنه سيأتى يوم تسلم فيه أرقى فلسفة وأخلص مسيحية بأن محمدا كان رسول الله حقا .

نعم : وكيف يعقل غير ذلك وكل ما فى حال النبي صلى الله عليه وسلم يوجب التسليم له بالنبوة ؟ قال المؤرخ والفيلسوف الانجليزى المشهور (كارلايل) عند ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فى كتابه (الأبطال وديانة الأبطال) ما مؤداه : أرايت إن ادعى لك رجل بأنه بناء ، أكنت تطلب اليه دليلا على صدقه أكثر من أن يبنى لك شيئا يوجب عليك التسليم له بهذا الوصف ؟ فما ظنك لو شيد لك بناء يسع مائتى مليون من النسمات ، ويبقى ما بناه سليما من العطب قرونا كثيرة ؟ فهذا محمد قد أعلن الناس أنه نبي ، وأتى لهم بدين دخل فيه نحو مائتى مليون منهم ، وبقي الى عهدنا هذا قوى الدعائم ركين الأركان ، وأهله أشد تمسكا وحباله من أهل أى دين كان لديهم ، أترض عليه بوصف النبوة وقد أقام على صدق قوله هذا البرهان ؟

نقول نحن : هذا دليل محسوس يرضى به الفيلسوف المؤرخ الكبير وكبار العقول من العلماء ، ولكن قد لا يرضى به صغار العقول من الذين يتخيلون أن الصفات الذميمة من التدليس والتزوير قد توصل الى النجاح الكبير ، وتقوم مقام الصفات النفسية العليا من الصدق وتقديس الحق ، بل منهم من يتوهم أن تلك أفضل فى تحصيل الصيت البعيد والفوز العظيم من هذه . فمع هؤلاء يعجز التعليل ، ولا يجدى الدليل ، لا لضعف فيهما ، ولا لقصور منهما ، ولكن لجهل أولئك الخاطبين ، وعمايتهما عن حقائق الشئون .

لا تنكر أنه قد يبلغ المجد الكاذب رجل يعتمد على خسيس المحاولات استغلالا لجهل الناس أو ضعف أخلاقهم ، ولكن ذلك لا يخفى على أغبيى رجل من معاصريه ،



فيعلم أنه ما وصل الى ما وصل اليه إلا من طريق الخداع والملك والتلبيس ، فإذا مات تولاه التاريخ فكشف من حاله ما كان مستترا ، ونقده نقد الصيرف للدينار الزائف ، وبطل عمله كما يبطل كل ما لم يبن على أساس صحيح . فإن كان يخلط عملا سيئا بآخر صالحا فارق التاريخ بين سيئته وصالحه ، كما يفرق المحك بين الذهب الخالص وما شابه من الخبث الدخيل ، وعين النسب المضبوطة لكل منهما . ولولا ذلك لكان أمر الناس فوضى ، وشأنهم مرتبكا مشوشا ، ولما كان للأعمال قسطاس مستقيم ، ولما ألهم الناس مدح الفضائل وذم الرذائل منذ أن برأ الله الخلق الى اليوم .

إن الخبط بين الحق والباطل ، والصالح والطالح ، مستحيل في الأمور الطبيعية البحتة ، فلا يمكن أن تصادف فيها شيئا لا يجرى منها على قانون ثابت ، ونظام حكيم ، أفيعقل أن يكون ذلك جائزا في الأمور المعنوية كالآداب الفاضلة والأخلاق الذميمة وهي أوضح عند الناس وأولى بأن تنال إجماعهم عليها .

وإذا كان هذا مصير الباطل في حياة الأفراد ، وذلك حاله من علم المعاصرين ونقطة التاريخ ، فما ظنك به فيما يختص بحياة الجماعات التي عرف بوجه خاص أن شؤونها مرتبطة بنواميس مقررة ، ونظم ثابتة ، ابنتى عليها علم هو أرفع جميع العلوم ، وهو علم الاجتماع البشرى . فهل مما يعقل والحالة هذه أن يقوم في جماعة منها مداس فيجمع شتيتها ، ويوحد كلمتها ، ويقوم وجهتها ، ويعين غايتها ، ويأتي لها بقانون حكيم يضمن حياتها ، ويقم أودها ، ويكفل سلامتها ، ويقود تطوراتها ، ويحي عواطف الصلاح والاستقامة في نفوسها ، ويملوها روحا وقوة وثابة تدفعها للنهوض المادى والأدبى على حال يحصل لها زعامة العالم وخلافة الله في الأرض ؟

هذا أمر يوجب الدهش ، فكيف يعقل من لديه مسكة من عقل أن نفسا مريضة منحلة كنفس مدلس كذاب تكون مصدرا لحياة أمة برمتها ، فتنتقلها من الظلمات الى النور ، وتدفعها في طريق الحياة الصحيحة حتى تبلغ بها الى زعامة العالم ، وهي درجة لا تنال

اعتباطاً، ولكنها تتوقف على علم وعمل، وفضائل خلقية ونفسية، وعلى دخر معنوى تستمد منه الأمة في كل طور من أطوارها قوة على مكافحة المضلات، ومقاومة المحللات من كل ضرب؟

إن نشوء الأمة الإسلامية وقيامها وانتشارها في الأرض، واضطلاعها بالخلافة الإلهية في العالم كله، وتأسيسها لدولة باغت من سعة الملك وقوة السلطان الى ما لم تبلغ إليه أمة قبلها ولا بعدها، قد دوى في العالم دويًا لا يزال صدها يرن في الآذان الى اليوم، وقد تغيرت له خريطة العالم كله، وقامت به أمم وسقطت أمم، وماتت به لغات وحييت لغات، أفيعقل أن تكون عوامل هذا الحادث الجلل الذي لم تر الأرض ما يشبهه مرتكزة على أساس من الكذب والزور والتدليس، ودعامة من الختل والخديعة والتلبيس!

اللهم إن هذا محال! ويدل التأمل المجرد عن الهوى في هذا الأمر أن نحمدا كان نبيا حقا وخاتم المرسلين، وأن أرقى فلسفة وأخلص مسيحية كما يقول المستر (بوسوورث سميث) ستسلم له بذلك كل التسليم، صلى الله عليه وسلم صلاة وتسليما يكونان إزاء مقامه المحمود، وفضله المشهود

محمد فريد وجرى

## آداب الكلام

روى أن أعرابيا تسكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال، فقال له النبي: كم دون لسانك من حجاب؟ فقال الأعرابي: شفتاي وأسنانى. فقال له: فإن الله عز وجل يكره الانبعاث في الكلام، فنضر الله وجه امرئ أوجز في كلامه فاقصر على حاجته.

وقال بعض الحكماء: كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجليل، واقصر منه على القليل.

وقال غيره: الحصر خير من الهذر، لأن الحصر يضعف الحجة، والهذر ي تلف المحجة.

## فضل الاخوة والالفة وشروط الصلابة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). وعن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه مسلم.

المسك: طيب معروف، وهو من أطيب الطيب. والكير: المنفاخ الذى تضرم به النار. ومعنى يحذيك: يعطيك. وتبتاع: أى تشتري.

المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. والألفة: عقد روى بين الناس، يؤلف بين قلوبهم، ويوفق بين مصالحهم، ويكمل تواضعهم. معين على مرافق الحياة، مساعد على الصدق فى تبادل المنافع، يشعر كلاً من المتآلفين بأن مصلحته مرتبطة بمصلحة أخيه، فيسعى فيها ويساعد عليها كما يسعى فى مصلحة نفسه. وأبلغ ما يشرح فائدتها تشبيهها بالتساند فى البنيان يشد بعضه بعضاً، كما جاء فى الحديث الذى يشرح حال المؤمن مع المؤمن، أو بأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، كما جاء فى الحديث الآخر، وكلاهما يشرح الأخوة التى دلت عليها الآية الكريمة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ).

فهذا كانت الأخوة والألفة نعمة من الله أنعم بها على عباده، كما جاء فى قوله تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَافَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) ولقد أشار الى عظيم  
 المنة فيها في آية أخرى، بإسنادها الى ذاته، وتجربدها عن مدخلة غيره، في قوله عز من  
 قائل: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَافَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنفَقْتَ  
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفَّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَافَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ). وكل شئون الحياة تعطى حكما بينا لا خفاء فيه: أن المرء بحاجة الى إخوانه  
 ومعاونيه، لا يكاد يستغنى في أمر عن الاستعانة بهم. وقد قالوا: المرء قليل بنفسه  
 كثير بإخوانه.

وأكبر مظاهر الاخوة والألفة ارتياح النفس للنفس، وميل الطبع الى الطبع  
 حتى تمتزج الغرائز، وما أرقها وأسرعها الى الامتزاج! فترى الإلفين يسرى الى كل منهما  
 من طبع صاحبه حتى يصيرا كالطبع الواحد، فينشأ منهما مزاج وسط جامع لخواصهما  
 جميعا، وقد تتمكن صفة وخاصة في أحدهما فتسرى بكل خصائصها الى الآخر بدون  
 أن تأخذ منه شيئا، والتجارب شاهد عدل.

وإنه لما يقوى تأثير أحد الطبعين في الآخر وتغلبه عليه، أن يساعده ميل النفوس  
 الى الهوى، والهوى يقظان لا يغفل، بينما داعى العقل والهدى تدركه السنة والنوم  
 والغفلة، فكان الخوف من فساد الطبع السليم أشد بالاختلاط بالطبع السقيم من  
 الأمل في صلاح المريض بمخالطة السليم، وقد قالوا: يمرض السليم بعدوى المرض ولا يبرأ  
 المريض بعدوى السلامة. اللهم إلا إذا أسعده الحظ، وخالط طبيبا معالجا، وناصحا أميناً  
 وهاديا حكيماً، فقد يرجى له السلامة على يديه، والانتفاع بنصحه وتذكيره، والذكرى تتمتع  
 المؤمنين. وإن تأثير المريض في السليم من باب الانحدار والهدم والعدوى، وتأثير السليم  
 في المريض من باب الارتقاء والبناء والعلاج، والفرق بينهما مما لا يكاد يحمله أحد.

هذا الذى نذكره هو أكثر ما يجرى بين الناس، لأن الغالب فى الطباع المرونة  
 والاستعداد للانتقال تبعا للتزيين والاستحسان. وقد يكون من النفوس ما استقر

على حالة من خير أو شر، فيتماعى عن التغير والتبدل، ولذلك قال بعضهم: «الناس أربعة: اثنان قد تبين أمرهما وكفيت تجربتهما، واثنان أنت منهما على تجربة، فأما اللذان تبين أمرهما وكفيت تجربتهما، فصالح بين فاسق وفاسق بين صالحة، فلو كان للصالح الى نفس هذا أو للفساد الى نفس ذاك من سبيل، لكان في بيئته ومخالطته ما يكفي لتبديل حاله؛ وأما اللذان أنت منهما على تجربة، فصالح بين صالحة وفاسق بين فسقة، فلعل أحدهما لو كان في غير بيئته لكان حاله غير ما تراه».

يَبْدُ أن الأمن على الطباع أن تسوء وتتغير لا يقطع دابر المفسد التي يحرقها الاختلاط بالسيئين والأشرار، فقد تكون مضارهم في توجيه ضرورهم اليه إذ لم يكن شريكاً لهم في الشر. وكما ترى من حرص الأشرار على حمل خطائهم أن يشاركهم في مفسداتهم وضرورهم، فإذا يئسوا منهم دبّروا لهم من الكيد وألحقوا بهم من الأذى ما لا قبل لهم باحتماله. ولعل حرص الأشرار على تعميم ضرورهم ودعوتهم الغير الى التأسى بهم أكثر من حرص بعض الأخيار على تعميم العناية لهدايتهم. بل لو أمنا هذه الناحية وكان المخالط لهم من القوة والمكانة بحيث يعتصم منهم، لكفاه الضرر برؤية الشرور، والتأذى بمشاهدة المفسد، وهذا هو ما يشير الحديث اليه بقوله: «أو تجد منه ريحا خبيثة» فإن لم يتأذى بمشاهدة تلك الشرور والمفسد فقد مرنت نفسه عليها، فليبك على نفسه، وليعلم أنه اطمأن اليها، إذ ضعف أو زال تأذيه بها، وهذا باب الخسارة، ويوشك أن يألفها ويستحسنها، ثم يقارفها وينغمس فيها. وللشيطان مسالك لا يتنبه لها المرء إلا إذا أخذ حيطته من بعيد. ولذلك قالوا: إن المكروه حجي، من قارفه وانغمس فيه انحدر منه الى الحرام، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

لا إخالك بعد هذا إلا مقتنعا بأن الوحدة خير من جليس السوء، وممثلنا بعقيدة أن جليس السوء كنافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة، فأحراق الثياب، بالمشاركة وسريان الطباع، أو بنزول آثار الشرّبه. والريح الخبيث ما تجده من الاشمئزاز لمشاهدة السيئات.

أين هذا من الجليس الصالح؟ فأنت بين أن تقتدى به وتهتدى بسيرته، وبين أن تغتبط بمشاهدة الآثار الصالحة والآداب الكريمة تتجلى بها النفوس الطيبة الطاهرة، وإن لمشاهدة ذلك لذة يشعر بها من لديه شعور، ولم تتحجر نفسه الى درجة الفجور والعراق في الإجرام، حتى إن من يلم بالمعاصي، ويأتي في بعض حالاته شيئاً من المنكرات، تجده يهش لرؤية آثار الخير تبدو على نفوس الأصفياء الظاهرين، فإما أن يهتدى بهم، وهو أبلغ منفعة تصل من الأخ لأخيه، وإما أن يناله قسط من حسن المعاشرة، وهو المرتبة الثانية. وقد أشير إليهما بالتشبيه بأن تبتاع منه، أو يحذيك أى يمنحك. والثالثة وهي مرتبة أن تسر لرؤية آثار الخير ولو من الغير نحو الغير — بالتشبيه بأن تجد منه ريحاً طيبة.

أفلا ترى مع هذا البيان صدق قولهم: الجليس الصالح خير من الوحدة؟ نعم: تكون الوحدة خيراً من جليس السوء إذا لم يكن المرء ممن ينتظر منهم النفع والتأثير، وإلا فن كان بهذه المثابة ينبغي أن ينزل نفسه منزلة الطبيب يباشر المرضى لعلاجهم، ويتعهدهم لإصلاح شأنهم، فإذا أفلح فقد دخل في مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» وإن فشل فلم يخسر شيئاً من جزائه عند ربه على ما أبلى وجاهد في صلاح قومه وعشيرته، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

نسأله جل شأنه أن يجعل الهداية رائدنا، وحسن النية قائدنا، والفوز بالسعادة غايتنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل م  
ابراهيم الجبالي

## الصواب والهدر من الكلام

قال الهيثم بن صالح لابنه: يا بني إذا أقلت من الكلام أكثرت من الصواب. وقال أبو عثمان الجاحظ: للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا الى الاستئصال والملا، فذلك الفاضل هو الهذر.

# مذهب النشوء والارتقاء في الميزان

اتضح وهن أصوله وضعف أسانيده

لقد شغلت عقول الفلاسفة منذ القدم مسألة ظهور المخلوقات وتنوعها من الناحية العلمية البحتة، فخطوا في حلها خبط عشواء، وتأدوا الى آراء أشبه بأحاديث العجائز، واستمرت الحال على ذلك، وظهر الفيلسوف ( لا مارك ) الفرنسي في القرن الثامن، فأثنى بمذهب افتتن به كثير من العلماء، وما كاد ينتصف القرن التاسع عشر حتى اشتهر الأستاذ الانجليزى (شارل دارون) بمذهب جديد في تعليل نشوء الأنواع، كان له دوى كبير، ولم يمض عليه أكثر من عشر سنين حتى عم الفارثين، وأصبح معول الذين يشتغلون بمثل هذه المسائل، وسرى هذا المذهب الى الشرق فروّجه فيه كتاب تطوعوا للدفاع عنه، موهمين قراءه أنه الكلمة الأخيرة للعلم في هذا الموضوع.

ولكن رجال العلم في أوروبا ما برحوا يوسعونه بحثا وتمحيصا، ويقلبونه على كل وجه، حتى اتضح لهم بفضل مكتشفات جديدة في عالم الأحياء أنه ككل المذاهب التي سبقتها: لا يمثل الحقيقة في شيء، وأن أصوله التي كان أشياعه يتهبون بها إعجابا ظهر أنها لا تركز على حقائق ثابتة.

ولما كانت هذه المباحث من الخطورة بكان، رأينا أن نأتي فيها على ما كتبه عنها الأستاذ الدكتور (جوستاف جولييه) المدرس في جامعة السوربون بفرنسا ماخصنا من كتابه (من لا شاعر الى شاعر) قال :

إن العقبات التي يرتطم بها مذهب النشوء والارتقاء يمكن حصرها في خمس، وهي :  
(أولاً) العوامل التي يقوم عليها هذا المذهب قد ظهر عجزها في تعليل أصل الأنواع  
(ثانياً) قد تبين عدم كفايتها لتعليل وجود الحشرات .

(ثالثاً) قد انكشف عدم غنائها في تفسير التحولات الفجائية المولدة لأنواع جديدة

(رابعاً) قد اتضح قصورها عن تعليل تولد طبائع الأنواع الجديدة وثبوتها نهائياً . وقد ثبت أنها متى تولدت فيها بسرعة تبقى ثابتة لا تتغير .

(خامساً) ثبت عجزها عن تفسير عوامل التطور الذي تدخل فيه الكائنات ، فتحولها من حالة ساذجة الى حالة مركبة ، وتدفعها من النقص الى الكمال .

فلنشرح كلاً من هذه الأمور الخمسة ، فنقول : ليس من الصعب أن نبين أن كلا المذهبين : مذهب دارون ومذهب لامارك ، لا يستطيعان أن يفسرا لنا كيف تتولد الطبائع الخاصة بنوع جديد .

يقول دارون : إن أى تغير يطرؤ في الصفات المميزة لنوع من الأنواع أو لأحد أفراده يعطى هذا النوع أو ذاك الفرد ميزة قيمة تميزه عن غيره في تنازع البقاء ، يجب أن تكون هذه الميزة ذات أثر ظاهر ليتمكن أن يتفوق بها على سواه . وبناء على هذا لا يعقل أن عضوا قريب عهد بالنشوء ، أو تغيراً في أول أدواره ، يحدث اتفاقاً<sup>(١)</sup> لسكائن واحد أو لجماعة من الكائنات يمكن التفوق به وهو على تلك الحالة الساذجة .

هذا مما يمكن الاعتراض به في هذا الموطن ، وهو أنه ليس من العلم ولا من الفلسفة في شيء أن نجعل الاتفاق عاملاً رئيسياً في إيجاد التطور .

يقول دارون : إن العصفور نشأ من الزواحف . ولكننا لا نعقل أن صورة أولية من جناح تولدت بالاتفاق ، تكفي أن تعطى لأحد الزواحف أقل ميزة ( أى يستطيع بها الطيران ) كما لا يعقل أن ما تولد بالاتفاق يكون له صفة الثبوت بحيث يستطيع الاستفادة منه والانتقال بواسطته الى تكوين نوع جديد لم يكن موجوداً من قبل . وليس مما يفهم أن يحدث عضو كالجناح بحض تأثير الاتفاق .

(١) يشير المؤلف بكلمة اتفاقاً الى ما يزعمه من أن التغيرات التي تطرؤ على الأنواع وتبعها إلى التطور

تأتى من طريق الاتفاق لا من طريق تأثير البيئة كما ذهب إليه لامارك .



والانتخاب الطبيعي الذي هو أساس مذهب دارون لا يمكن أن يحدث بوساطته أعضاء تتولد على هذا الأساس الواهي من العماية والخطب .

فلننظر الآن في مذهب لا مارك : إنه يدعى أن حدوث الأعضاء الجديدة التي تولد الأنواع الجديدة بين الكائنات يحصل بتأثير البيئة . أى أن الكائن الحى قد يشعر من تغير الأحوال عليه بضرورة حدوث عضو جديد له ، فينفع للتحصول على ذلك ، فيحدث في أحاده يسيرا يسيرا ، كالظرافة ، فقد كانت في زعمه كسائر الحيوانات ذات عنق قصيرة ، ولكنها لما احتاجت الى أكل أوراق الأشجار العالية ، صارت تنفع لذلك وتشرّب لتناول الورق العالى ، فطالت عنقها يسيرا يسيرا حتى وصلت الى ما هي عليه الآن . فالحاجة هي التي تنشئ الأعضاء الجديدة عند لا مارك لا الاتفاق ، كما هو عند دارون .

هذا المذهب إن أمكن به تعليل بعض الخلافات العضوية الثانوية ، فإنه يعجز كسابقه كل العجز عن تعليل التحولات الكبيرة في عالمي النبات والحيوان ، لأن هذه التحولات تقتضى حدوث تغيرات ذرية وسريعة ، لا بضع تغيرات تافهة وبطيئة . فهذه التغيرات التافهة البطيئة تزول بتوالى العوامل عليها أولاً فاولاً ، أو ترتكس الى زوائد ضارة .

إن التحول من الحياة المائية الى الحياة الأرضية ، ومن هذه الى الحياة الهوائية لا يمكن أبداً أن يعتبر من نتائج تأثير البيئة . فإن أسلاف هذه الأنواع التي اعتادت الحياة في بيئاتها الخاصة لا يعقل أنها شعرت بالحاجة الى تغييرها ، ولو كانت شعرت بتلك الحاجة لما استطاعت أن تغير من شكل تركيبها الطبيعي .

فكيف يعقل أن الحيوان الزاحف الذي كان سلفاً لطائر يتولد منه ، أمكنه أن يتناسب هو وبيئة لم تكن له ، ولم تصبح له إلا بعد أن تم تحوله طائراً ؟ ومثل هذا يقال في تحول الأسماك من الحياة المائية الى الحياة الأرضية . والموطن

الذى تظهر فيه استحالة التحول بواسطة ناموس التلاؤم<sup>(١)</sup> استحالة صارخة هو موطن تطور الحشرات ، فإنه لا يوجد أية علاقة بيولوجية ( أى حيوية ) بين الحالة الدودية التى تكون عليها كل حشرة فى أول عهدها بالوجود ، وبين الحالة التى تكون عليها وهى حشرة نامة التركيب ( أى طائرة أو زاحفة ) فلم يتوصل أحد الى معرفة أسرار التطورات التى تدخل فيها الحشرة التى تعودت الحياة الدودية تحت الأرض أو فى لجج المياه ، فينشأ لها بالتدريج أجنحة تسبح بها فى الهواء ، وهى حياة كانت مجبوبة عنها ، وليس لها أقل علم بها .

ومتى أدرك الإنسان أن هذه السلسلة الخفية من التطورات قد تحققت لا مرة واحدة من طريق المعجزة الطبيعية ، ولكن عددا من المرات ، بقدر ما يوجد من عدد الحشرات ذوات الأجنحة ، نقول : إذا أدرك الإنسان ذلك ، تيقن أن لا أمل له فى إدراك تعليق ظهور هذه الأنواع على العوامل اللاماركية ، ويرى عرض الحائط كذلك بالعوامل الدارونية .

وبناء على هذا فإن اللاماركية والدارونية تستويان فى العجز عن إعطائنا تفسيراً عاماً لظهور الحشرات ينطبق عليها فى جميع الأحوال .

يزعم بعض اللاماركيين الجدد مثل الأستاذ ( باولى ) أن لعناصر الأجسام وللأجسام أنفسها بل وللنباتات والمعادن نوعان الإدراك لذواتها ، وهذا الإدراك يقود جميع تطوراتها وملاءماتها ، فإنه ليساهد فى سلسلة جميع درجات التطور جهد مستمر مقصود لتحقيق ملاءمة الكائنات عند انتقالها الى حالات جديدة .

( نبادرنح هنا قبل إتمام كلام الأستاذ (جوستاف جوليه ) الى إظهار ما فى قول الفيلسوف ( باولى ) من البعد عن التحقيق العلمى ، فإننا لسنا حيال تصيد افتراضات

(١) يريدون بناموس التلاؤم : القوى التى تدفع الكائن الحى إلى ملاءمة بيئة جديدة غير بيئته الأصلية .

وبعضهم يسميها ناموس المطابقة .

أيا كانت لسد فراغ تعليلات مسألة ثانوية، ولكننا بصدد مسألة علمية لا يصح ابتناؤها على الفرض والتخمين، هي تفسير تنوع الأنواع بالعلل الطبيعية البحتة، فإن لم يُسدّ الفراغ الذي فيها بمقررات يقينية أصبح بناؤها كله متداعيا للسقوط، كما هي الحالة التي انتهت إليها اليوم. وإنا لنعجب من عالم كالأستاذ (باولي) يزعم — لأجل أن يرتقى هذه الفتوق في مذهب النشوء والارتقاء — أن لعناصر الأجسام والأجسام أنفسها، بل وللنباتات والمعادن نوعان الإدراك لذواتها، وهذا الإدراك هو الذي يقود تطوراتها. فإذا كان هذا الفرض يسوغ لرأب صدوع مذهب دارون رأبا سطحيا، فهو لا يسوغ لإظهار هذا المذهب بمظهر مذهب واجب الاحترام، ما دام يستمد أصوله من عالم الخيالات والتصورات الشعرية).

نعود الآن لنقل بقية ما قاله الأستاذ (جوستاف جوليه) قال :

أما الأستاذ (نايجلي) فإنه أبعد مدى في هذا الوطن، فقد زعم أن الأجسام تحتوى على نوعين من البلاسما أى من المادة الحية، إحداها مغذية والأخرى منوعة. وهذه تمتاز بميل باطنى الى التطور مستوف جميع القابليات للتحول والتكامل. وهذه القابليات هي من الخصائص الأصلية للحياة، وقد انساق للعمل من أول عهد وجود الكائنات الحية، أما العوامل الخارجية فلم تفدها إلا في تيسير الملاءمات الجديدة عليها، ولكن هذه العوامل وحدها تعجز عن إحداث أى تطور في تلك الكائنات. انتهى ونحن نقول: حقا لقد أبعد الأستاذ (نايجلي) في المدى، فقد قسم البلاسما الى نوعين بدون دليل ولا أنارة من علم، ومنح أحدهما خاصة مستوفية لجميع القابليات التحولية والتكلمية دون أن يجرى على الأسلوب المقرر للبحث في خصائص الأشياء من إقامة التجربة أو البرهان دليلا على ما يدعى، فأصبحت مذاهب النشوء والارتقاء مجموعة افتراضات لا تقف أمام النقد. فإذا كان هذا كله هربا من القول بوجود قدرة إلهية مدبرة للكائنات صغيرها وكبيرها، ومهيمنة عليها، يمكن الاستدلال عليها عقليا

وعلميا ، فقد لجأ الماديون الى افتراضات خيالية لا تقوى على أضعف نقد يوجه اليها .  
وما دامت المسألة مسألة افتراضات ، فقد تركوا الباب مفتوحا لما لا يحصى من أمثالها ،  
وبذلك تخرج مسألة النشوء والتطور من حظيرة الأمور العلمية ، الى باحة المسائل  
الخيالية ، وكفى بهذا مسقطا لسلطانها على العقول .

نعم : إن لجأ هؤلاء النقاد الى مثل هذه الافتراضات — يعنى هدم مذهبي لامارك  
ودارون من أساسيهما ، ولكننا نطمع منهم في أكثر مما فعلوا — فإن وقوفهم عند  
حدود الافتراضات الخيالية لا يخرجهم من اللاماركية والدارونية فحسب ، ولكن من  
المجال العلمي نفسه ، فإن العلم يجب أن يبتنى على المشاهدة والتجربة كما يقول (باكون)  
واضع الدستور العلمي ، لا على أمثال هذه الخيالات .

ننظر في المقالات الآتية في بقية الوجوه التي سردها الأستاذ (جوستاف جوليه)  
في دحض مذهب لامارك ودارون .

محمد فريز وبهرى

## كلمات مأثورة في العلم

قيل للمهلب : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم . قيل له : فإن غيرك قد علم أكثر مما  
علمت ، ولم يدرك ما أدركت ، قال : ذلك علم حمل ، وهذا علم استعمل .

وقال سهل بن هرون وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن ينظروا  
فيه . وقد يرغب عن بعض العلم ، كما يرغب عن بعض الحلال .

فقال له المأمون : قد يسمى بعض الناس الشيء علما وليس بعلم ، فإن كان هذا أردت  
فوجه الذي ذكرت . ولو قلت أيضا إن العلم لا يدرك غوره ، ولا يسبر قعره ، ولا تبلغ  
غاياته ، ولا تستقصى أصوله ، ولا تنضب أجزاؤه ، صدقت . فإن كان الأمر كذلك فابدأ  
بالأهم فالأهم ، والأوكد فالأوكد ، وبالقرض قبل النقل ، يكن ذلك عدلا قصدا ، ومذهبا جميلا  
وقد قال بعض الحكماء : لست أطلب العلم طمعا في غايته ، والوقوف على نهايته ، ولكن  
التماس ما لا يسع جهله . فهذا وجه لما ذكرت .

## نقض شبه القاديانية

- ٢ -

ينكر داعية القاديانية أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ويذهب الى أن ( خاتم النبيين ) في الآية بمعنى أفضل النبيين أو زينتهم ، وأورد في الاستدلال على أن لفظ خاتم يستعمل بمعنى أفضل أو زينة ، حديثا هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس رضى الله عنه : « أنت خاتم المهاجرين في الهجرة ، وأنا خاتم النبيين في النبوة » . وهذا الاستدلال مدفوع بأن الذى ورد في كتاب أسد الغابة : أن العباس استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له : « يا عم أقم مكانك الذى أنت به ، فإن الله تعالى يحتم بك الهجرة كما ختم بنى النبوة » وقرأنا فى كتاب الإصابة أن العباس « هاجر قبل الفتح بقليل » وقرأنا فى غزوة الفتح من سيرة ابن هشام أن العباس رضى الله عنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق : فقيه بالجحفة مهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقبلا بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .

فصاحب كتاب الإصابة يقول عن العباس رضى الله عنه : إنه هاجر قبل الفتح بقليل ، وابن هشام يقول : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة مهاجرا بعياله . فتمت ثبت حديث « أنت خاتم المهاجرين » صح أن يكون العباس خاتم المهاجرين بمعنى آخرهم ، أى آخر المهاجرين من مكة الى المدينة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » وداعية القاديانية لم يأت بشاهد على أن بعض المسلمين قد هاجر بعد العباس ، حتى يمتنع أن يكون خاتم المهاجرين بمعنى آخرهم .

وأورد داعية القاديانية على تفسير خاتم بأفضل أو زينة حديثا عزاه الى « كتاب الصافي » الذى هو تفسير لأحد علماء الشيعة ، وهو « أنا خاتم النبيين وأنت يا على خاتم الأولياء » ولكن صاحب كتاب الصافي لم يروه بسند ، ولم يسنده الى كتاب ، حتى

نبحث في سنده ونتبين حقيقته ، بل قال في تفسير قوله تعالى ( وخاتم النبيين ) : « آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على اختلاف القراءتين ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا خاتم النبيين وعلى خاتم الأولياء » .

فصاحب كتاب الصافي معترف بأن النبي صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، ولا يتم الاستشهاد بقوله « خاتم الأولياء » إلا أن يذكر سند الحديث ، ويكون رجاله ممن يوثق بهم في الرواية ، أو يسنده الى كتاب من الكتب المعروفة بالتحري في رواية الحديث . ومن الأحاديث الموافقة لهذا الحديث في المعنى وقد حكم عليها الحفاظ بالوضع حديث « كما أني خاتم النبيين كذلك على وذريته يختمون الأوصياء الى يوم الدين <sup>(١)</sup> » وقال ابن الجوزي : ولفظ « خاتم الأولياء » باطل لا أصل له ، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن بقي من الناس ، وليس هو أحسن الأولياء ولا أفضلهم ، بل خيرهم أبو بكر وعمر <sup>(٢)</sup> (رضى الله عنهما) .

سقنا أحاديث صحيحة كثيرة في معنى انقطاع النبوة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب ذلك الداعية يحرفها عن مواضعها ، ويقول فيها قول من لا يقدر الحديث النبوى قدره ، ولا يبالي أن يخرج بالكلام العربي عن وجوه دلالاته ، وقد أريناكم فيما سلف نموذجاً من تأويلهم الباطل لبعض تلك الأحاديث ، واليوم نسوق الى حضراتكم مثالا تشهدون فيه كيف يعتسفون في غير طريق ، ويحاولون إرضاء شهواتهم ولو بأقبح التأويل :

أوردنا في جملة ما أوردنا من الأحاديث ما جاء في سنن الترمذي ، من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي » فشق ذلك على الناس ، فقال : « ولكن المبشرات » قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة » .

(١) انظر اللآلئ المصنوعة (٢) تذكرة الموضوعات .

وهذا الحديث صريح في اقطاع النبوة بعد البعثة المحمدية ، ولكن الداعية القادياني حاول صرف هذا النص عن معناه ، وذهب في تأويله والخروج على حجته مذهب التعتن ، حتى زعم أنه معارض لبعض آيات القرآن الكريم ، فقال : « إن القرآن المجيد يقرر نزول الملائكة على المؤمنين وتبشيرهم بإيام نصرتهم في الدنيا والآخرة ، وذلك قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ) ويقول في مقام آخر : إن الملائكة وجبريل أيضا تنزل كل ليلة قدر ( لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ) وكلام الملائكة مع البشر وحى في اصطلاح القرآن المجيد ( وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ) فإذا ثبت وجود الوحي من حيث القرآن المجيد ، فلا بد من تأويل في معنى الحديث . »

وليس في هاتين الآيتين ما يعارض الحديث ، أما الآية الأولى فتفسيرها عند بعض الساف على أن تنزل الملائكة وقولهم للذين استقاموا : « أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا » يكون عند الموت ، وهذا ما يقوله مجاهد والسدي ، ومنهم من يقول : إن الآية إخبار عما يكون عند البعث ، وهو قول مقاتل ، ومنهم من يقول : إنها إخبار عما يكون عند الموت وفي القبر ، وهذا قول زيد بن أسلم . وذهب آخرون في تفسيرها الى أن الملائكة تمدّ صدور المؤمنين بما يشرحها ويدفع عنها الخوف ، على طريقة الإلهام ، كما أن الشياطين تغوى الكافرين بتزيين القبائح ، وتوسوس لهم بما يثير في قلوبهم الخوف والحزن ، قال تعالى : ( وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ) وقال تعالى : ( الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ) وقال تعالى : ( وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ) فليس بين حديث الترمذي وآية

(إن الذين قالوا ربنا الله) تعارضٌ أو ما يشبه التعارض ، إلا في نفوس باضت فيها الأهواء وفرخت ، ولم يكن للحكمة ولا للموعظة الحسنة عليها من سلطان .

ولو صح هذا الذى يقوله داعية القاديانية فى تفسير الآية ، لوجب أن يكون كل مؤمن مستقيم ، نبياً يوحى إليه ، ولا أقوى إيماناً من خلفاء الراشدين ، ولا أقوم منهم سيرة ، وما ادعى أحد منهم أنه نبي أو رسول ، أو أنه تأتبه للملائكة بالوحى ، وما كان أحد من المساميين يصفهم بالنبوة أو الرسالة ، أفيزعم داعية القاديانية أنهم لم يقولوا : ربنا الله ولم يستقيموا ! أو أنهم لم يبلغوا فى الاستقامة مبلغ غلام أحمد الذى أوغل فى الضلالة ، وأثار فتنة صادفت بعض الناس غفلة أو جهالة ، فكانوا لنارها خطباً !

وأما آية ( تنزل للملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ) فليس فيها ما يدل على أن الملائكة يخاطبون المؤمنين على طريق الوحي الذى هو من خصائص الأنبياء عليهم السلام . وأئمة التفسير من السلف والخلف يقطعون بكذب دعوى النبوة بعد البعثة المحمدية ، ولا يجدون فى هذه الآية ما يعارض الأحاديث الواردة فى انقطاع النبوة . ومن الوجوه التى تساعدها البلاغة ، وتطابق بها الآية سائر النصوص ، أن يكون تنزل الملائكة من أجل الأمور التى عهد إليهم بتدبيرها ( فالمدبرات أمراً ) فإن حمل الأمر فى الآية على معنى الحكم الشرعى ، كانت إخباراً عن تنزيل ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن الحكيم . والتعبير بالمضارع لاستحضار ذلك التنزل بصورة البديعة ، وهو من أحسن الطرق للمهودة فى البيان .

وزعم الداعية القاديانى أن حديث الترمذى « إن النبوة والرسالة قد انقطعت » يعارض الحديث الذى يقول : إن المسيح الموعود « يوحى إليه أن حوز عبادى الى الطور ، فإنى قد أنزلت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم »

وردت أحاديث صحيحة فى نزول المسيح عليه السلام ، ولم يجد أهل العلم بينها وبين



الأحاديث الصريحة في انقطاع النبوة معارضة، والراسخون في فهم الأحاديث النبوية العارفون بوجوه استعمال الألفاظ العربية في حدود وضعها، وعرف البلاء من الناطقين بها يقولون: إن الأحاديث الواردة في انقطاع النبوة تنفي وقوع نبوة بعد البعثة المحمدية، ولا تتناول عيسى عليه السلام، لأن النبوة ثابتة له من قبل. ومن هؤلاء من يحمل الأحاديث على امتناع بعثة نبي بعد البعثة المحمدية على وجه عام، ويستثنى من هذا العموم عيسى عليه السلام للأحاديث الواردة في نزوله آخر الزمان. ومن حمل النصوص الواردة في انقطاع النبوة على نفي النبوة التشريعية كالملا على قارى، لا يقصد فتح باب النبوة غير التشريعية بإطلاق، حتى توضع دعوى غلام أحمد النبوة موضع النظر واحتمال أن تكون صحيحة، وإنما يقصد لوجه في تفسير الآية أو الحديث يتفق به مع الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام.

فعلماء الإسلام على اختلافهم في تفسير الآية والأحاديث يتفقون على أن لانبى ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم، إلا ما ورد من نزول عيسى عليه السلام. وقد يأتي داعية القاديانية الى عبارات بعض من ذهبوا في تفسير الآية والأحاديث الى معنى نفي النبوة التشريعية ابتغاء الجمع بينها وبين الأحاديث الأخرى، يأخذ منها ما يقولونه من أن الآية أو الحديث في نفي النبوة التشريعية، ويدع بقية كلامهم الصريح في أنهم ارتكبوا هذا التأويل لقصد خاص: هو أن لا تكون آية (وخاتم النبیین) وما يوافقها من الأحاديث نافية بمقتضى عمومها محبىء عيسى عليه السلام، وقد نبهنا في مقال سابق على هذا النوع من التزوير في كلام نقله عن الشيخ عبد القادر الكردستانى.

واليك مثالا آخر من هذا القبيل: قال الداعية: يقول المحقق الملا على قارى: « فلا يناقض قوله (وخاتم النبیین) إذ المعنى لا يأتي نبي ينسخ ملته ولم يكن من أمته ». والواقع أن الملا على قارى أورد حديث « لو عاش إبراهيم لكان نبيا » وحديث

« لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> » ثم قال : لو عاش إبراهيم وصار نبيا ، وكذا لو صار عمر بن الخطاب رضى الله عنه نبيا لكان من أتباعه عليه السلام كعيسى والخضر والياس عليهم السلام ، فلا يناقض قوله تعالى : ( وخاتم النبيين ) إذ المعنى أنه لا يأتى نبي بعده ينسخ ملته ولم يكن من أمته .

فهذا التأويل مع عدم الحاجة اليه فى تحقيق معنى الآية إنما ارتكبه الملاح على قارى ليدفع به ما يقال من أن حديث « لو عاش إبراهيم » يقتضى أنه لو عاش وصار نبيا ، لزم أن لا يكون نبينا عليه السلام خاتم النبيين . ولا حاجة الى هذا التأويل ، فإن حديث عمر بن الخطاب حجة على انقطاع النبوة بعده عليه الصلاة والسلام .

وأما حديث « لو عاش إبراهيم لكان نبيا » فقد أورده الداعية فى شبهه وقال : « فلو بقى إبراهيم عائشا ما كان ثمة مانع من صيرورته نبيا لا آية « خاتم النبيين » ولا أى حديث .

وهذه الشبهة مدفوعة بأن هذا الحديث قد أنكر وروده طائفة من أهل الحديث ، كما أنكره ابن عبد البر فى كتاب التمهيد ، وقال الإمام النووى فى تهذيبه : « هذا الحديث باطل وجسارة على الكلام بالمغيبات ، ومجازفة وهجوم على عظيم » والأحاديث الموضوعة أو الضعيفة لا تقف فى وجه الأدلة القطعية ، ومن أراد أن يعقد بينها وبين الأدلة القطعية وفاقا ، فليبقى الأدلة القطعية بحالها ، ويذهب فى تأويل الضعيف أو الموضوع على فرض ثبوته ما شاء .

محمد الخضر مسين

## حد الاعتدال فى الكلام

قال جعفر بن يحيى : إذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا ، وإن كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا .

وقال بعض الحكماء : اذا تم العقل نقص الكلام .

# بيانه الى العالم الاسلامي من شباب التحقوا بالقاديانية مخلصين ويعلمون الآن براءتهم منها مخلصين

نشر بمجلة نور الاسلام الجزء الاول من السنة الرابعة أن بعض النفر الذين تاثروا بدعاية القاديانية قد انكشف لهم باطل ذلك المذهب ونبذوه نبد النواة ، فأ نكر الداعية القادياني هذه الحقيقة ، فجاء الواقع مؤيدا لما نشرته المجلة ، وذلك أن جماعة ممن كانوا قد اتصلوا بمذهب القاديانية يحسبونه دعوة إسلامية صحيحة قد أعلنوا براءتهم من هذا المذهب المضل . وإليك نص براءتهم المختومة بكتابة أيديهم ، وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين .  
وبعد: فنحن طائفة من شباب المسلمين ، نشأنا مخلصين لدين الله الحق ، حريصين على انتشار دعوته ، واعتزاز رايته . وفي وقت كنا فيه خالية أذهاننا من حقيقة النحلة القاديانية اتصل بنا بعض دعايتها ، وذكروا لنا أنها إنما أسست لخدمة الاسلام ، وأنها الطائفة الوحيدة التي تدعو الى الاسلام بنظام ، فبايعناهم على الدخول في زميرتهم ، وخدمة الاسلام معهم . وكنا مخلصين يوم أقدمنا على ذلك ، وبلغ هذا الإخلاص بأحدنا ( أحمد حمدي ) أن تولى رئاسة هذه الجماعة في القطر المصري أربع مرّات بالانتخاب ، ولا يزال رئيسها الى ساعة إعلان هذه البراءة .

التحقنا بهذه الطائفة ، ولم نكن واقفين على دخالها ، ولا على سيرة مؤسسها غلام أحمد القادياني ، لأن القوم يكتمون كثيرا من أحواله ، بل يحرصون على ألا يطلع الناس على كثير من مؤلفاته ، لأنها كافية لحمل كل مسلم على البراءة منه ومنهم .  
والآن وقد اطلعنا على ما كانوا يكتُمونه من أحوال الرجل ومؤلفاته ، ويكفي

أن نشير هنا الى قوله في الخطبة الإلهامية : إن البعثة الثانية ( أى بعثته هو ) أفضل من البعثة الأولى ( أى البعثة المحمدية ) ! ويكفى من سيرته معرفة محاولاته وألأعيبه فيما كان يبتغيه من الزواج بمحمدى بيكم .

فلما اطلعنا على هذا وغيره من دخائل هذه النحلة ، رأينا أن ما هم عليه غير الذى يابعننا عليه ، وأيقنا بأن إخلاصنا للهداية المحمدية يحتم عاينا المبادرة الى البراءة من غلام أحمد القاديانى ، وكل من انتسب اليه . وزادنا إقداما على هذه البراءة وقوفنا على دعوته المسلمين الى الرضوخ لنير الاستعمار الأجنبى ، ورأينا أحد دعائهم يقول عن كلام سخييف لغلام أحمد القاديانى : إن ذلك الكلام فى نظره الشخصى أعظم إعجازا من القرآن ، وإن جلال شمس القاديانى أفضل من الأنبياء !

فلما وصل الأمر الى هذا الحد ، وانفضحت دخائل القوم ، وتبين لنا أن ما هم عليه بعيد عن الذى يابعنناهم عليه بُعد الجحيم عن الجنة ، بادرنا الى إعلان إخواننا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بأننا نبرأ الى الله ورسوله من هذه النحلة ، ومن كل خادع بها ومخدوع . نشهد الله على هذا ، والله خير الشاهدين .

سكرتير الدعوة والتبشير للجماعة الاحمدية بمصر

عبد الحميد السيد

بمصاحبة التجارة والصناعة

عبد السلام أحمد

رئيس مطبعة جريدة المطرقة

حسن أحمد عبد السلام

طالب ثانوى

عبد العزيز ممدوح

بمصاحبة المباني الاميرية

كمال سليم

رئيس الجماعة الاحمدية بالقطر المصرى

أحمد حمدى

كاتب محكمة استئناف مصر العليا الأهلية

على فاضل

كاتب محكمة الاستئناف الاهلية

سيد عبد السلام

بجريدة المطرقة

محمد فرحات

مدرس بالمدارس الابتدائية

حافظ محمد

ناظر مدرسة ابتدائية بمصر

## نداء

الى كل أحمدي يبلغه هذا البيان

إن الرجوع الى الحق من أفضل الفضائل ، والحق قريب من طالبه ، وهو  
في متناول يد كل من يبحث بإخلاص وروية . وإن أمل في كل ذي قلب طاهر ،  
ونفس بعيدة عن الهوى ، من إخواني الذين خُدعوا بالانتساب الى هذه النحلة : أن  
يتقربوا الى الله بسرعة البراءة منها ، حتى تستريح ضمائرهم ، ومن كان مع الله وفقه الله  
الى ما فيه رضاه م  
أحمد حمدي

## شرف العقل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى  
أو يردده عن ردى » .

وفسر الضحاک قوله تعالى : « لينذر من كان حيا » فقال أى لينذر من كان عاقلا .  
وقال عمر رضى الله عنه : أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه .  
وقال الحسن البصرى رحمه الله : ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما .  
وقال بعض الحكماء : العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو .  
وقال : صديق كل امرئ عقله ، وعدوه جهله ، وقال : خير المواهب العقل ، وشر  
المصائب الجهل .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أمانيه وتم بناءؤه  
وقال ابراهيم بن حسان :  
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه وما ربه

## تحليل الروح العصرية

كثرت الدعوة الآن في البلاد الشرقية للأخذ بالروح العصرية الغربية ، اتصل شعوبها الى مثل ما وصلت اليه الشعوب الأوربية من رفعة الشأن والعلم والمدنية ، فتوهم كثير من الناس أن هذه الروح تتألف من كل ما يشاهدونه مطبوعا بطابع أوربي ، حتى ما كان منه من الإباحيات والإلحاديات ، وضروب التهلك ، والمذاهب المتطرفة ، والخروج على القوانين والنظم المقررة ، وذهاب كل إنسان محلول الرّسن الى حيث يدفعه الهوى ، ويجره اليه الغنى ، ويدسه في حماة الباطل .

والواقع أن هذا الخليط من الصفات الذميمة ليس هو الذى أقام صرح المدنية الغربية ، ورفع من أعلام علومها وفنونها وصناعاتها ، وبعث من مخترعاتها ومكتشفاتها ، ولكنه مجموع من فتنها وأدوائها وأباطيلها وعوامل تحطيمها . فن أوجب الواجبات على المشتغلين بالدعوة والإرشاد في الشرق أن يفرقوا بين الخلال القويمة التي كانت العوامل الحقيقية لنهضة أوروبا هذه النهضة الرائعة ، وبين تلك الصفات الذميمة التي أجمع قادة هذه المدنية أن الإبقاء عليها يوشك أن يكون سببا في حلها ، كما حل أمثالها جميع المدنيات القديمة ، وجعلتها أثرا بعد عين .

من المقررات التاريخية أن أوروبا بقيت طوال القرون الوسطى أى أكثر من ألف سنة في ظلام حالك من الجهل ، والغفلة عن ينابيع الحياة الصحيحة ، مقودة برجال لا هم لهم إلا إشباع مطامعهم ، تمكنوا من القبض على نواصى أممها بالحديد والنار ، وشغلوها بخوض غمرات الحروب والغارات ، فلم تجد متسعا من الوقت للتفكير في حاضرها ومستقبلها ، وفي الوسائل التي تعتمد عليها لتخرج من حالة الجمود التي وقعت فيها الى حالة تستفيد فيها من وجودها ، وتعود بها ولو الى مثل ما كانت عليه على عهد اليونانيين الأقدمين ، والرومانيين الذين خلفوهم في زعامة الأرض .

ومما تذرعه به هؤلاء القابضون على مُحَنَّقِهَا لِيَأْمَنُوا شر انتقاضها عليهم أن عُنُوا أكبر عناية بالترصد لحركاتها العقلية ، فكانوا كلما نجمت ناجمة من فكرة حرة ، أسرعوا الى طمس معالمها ، وخنقها وهي وليدة ، حتى لا تكون أصلاً لغيرها ، وأنزلوا بمنتهجها عقوبة رادعة تمنعه العود الى نشرها ، أو الاي تيان بمثلها ، فإن عاد نكلوا به شر تنكيل ، وجازوه بالإحراق بالنار ، أو بقذفه من شاهق من الجبال ، أو مزقوه إرباً إرباً ، لينال وبال أمره ، ويرعوى سواه عن مثل فعله .

وفي الوقت نفسه تركوا الباب مفتوحاً لصنوف الفساد الخلقى ، وضروب الانحلال الأدبي ، لتتأهب الشعوب بهذه الفاذورات عن الاشتغال بالأُمور الجدية التي يتوقعون أنها قد تفتكهم من قبضة أيديهم .

فكان من أثر ذلك أن ماتت العزائم في أوروبا ، وعميت البصائر فيها ، وعمتها الفوضى ، وذاعت فيها الفحشاء ، وطمست فيها معالم العلوم والفنون والصنائع التي كان لها على عهد اليونانيين والرومانيين دولة قائمة ، وبات الناس من أُمورهم على شر ما تكون عليه جماعات أخذت عليها طرق الحياة من كل مكان . (راجع ما لتبناه هنا نقلاً عن البعثة المستشرق جول لا بوم مؤلف فهرست القرآن) .

فلما أراد الله أن يخرج العالم من هذه المحنة التي طال عليها الأمد أجيالاً متعاقبة أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الله ، يهيب بالشعوب الى موارد الحياة ، ويدعوهم الى النظر والاعتبار ، ناعياً عليها استسلامها للمتحكمين فيها ، وحافزاً إياها على التخلص من نيرهم ، والتفصى من إسارهم ، وماهى إلا مدة قصيرة حتى اجتازت هذه التعامل جزيرة العرب من مسارب شتى ، فأصغت اليها أسماع ، وتأثرت بها نفوس ، وحنّت اليها قلوب ، ولكن أنى لها أن تتحرك وقد أحيط بها من كل جانب ، وسدت في وجوها جميع طرائق النجاة .

فأراد الله أن يسوِّغ لها سبيل الحياة ، فدفع بالمسلمين الأولين لفتح الأندلس ،

وجزاء من البلاد الفرنسية والإيطالية، فجروا فيها على سنتهم : من فتح المدارس، والنظر في العلوم، والاجتهاد في المذاهب، ودعت طبيعة الجوار الى تسرب تعاليمهم الى من جاورهم من الأمم، ثم تعدّتهم الى من وليهم، واقتضت حاجة التبادل نزوح الأفراد من تلك الأمم الى الأراضى التي استولى عليها الاسلام، فتولدت في جميع أرجاء أوربا روح جديدة لم تكن فيه من قبل، واتفق أن التحق بمدارس المسلمين آحاد آخرون نهلوا من علومهم، وتضلّعوا في معارفهم، ثم عادوا الى بلادهم ينشرون ما تعلموه سرا في أول أمرهم، ثم أعلنوه ملطفا بعد ذلك، كيلا يوقظوا حذر ساداتهم، فكان ذلك سببا في نشوء ميل قوى في أممهم الى اخلاص ممالكهم فيه، مهما كلفهم من الاستبسال والاستماتة في سبيله.

فنجم من ذلك الحين بين تلك الأمم وبين القابضين على أزمتهام نضال ابتداء في مجال التفكير والعلم، ثم انتهى الى الحديد والنار، فكان النصر حليف طلاب الحرية، ففازوا على خصومهم، ولكن بعد أن أحرق بالنار، أو أغرق في البحار، أو رمى به من شواهد الجبال، أكثر من ثلاثمائة ألف وستين ألفا من العلماء والمفكرين وكبار المجددين، وبعد أن هلك في الحروب من أبناء تلك الشعوب عدد لا يحصى.

بسبب هذه المنازعات القاسية، والمكافآت المسلحة، ولدت الروح المدنية في أوربا مشوبة بتطرفات من ضروب شتى. ولدت متأثرة بعداء للدين لا يقف عند حد، للقيانها من أهله عنتا لم تلقه الأمم في تاريخ العالم. وولدت مطلقة للحرية إطلاقا يلحقها بالإباحة، بسبب ما ذاقته من شرور الإفراط في تقييدها قرونا طويلة، فكان هذا التطرف في إطلاقها سببا في التياها بصنوف شتى من النقائص الأدبية، والإغراق في الشهوات، لأن السادة الأولين تركوا كما قلنا الباب مفتوحا لجميع الميول البهيمية، إلهاء للناس عن التفكير في اخلاص، فجاءت مدينتهم ملتثة بكثير منها، ولم يقو العلم ولا الفلسفة على إزالتها، رغمهما يكتبه قادمتهما من التشنيع عليها، والإشارات المروعة إذا استمر الناس فيها.



هذه هي حقيقة حال الروح العصرية ، ومنها يتضح بأجلى بيان أنها تقوم على عنصرين : أحدهما مؤلف من جهود جبارة بذلت في سبيل العلم والحكمة ، والفنون والصنائع ، وكل ما هو نافع وصالح للحياة ، وهو ما يجب علينا الأخذ به ، واحتذاء مثاله ، لنصل الى مثل ما وصل النرييون إليه من الرقى الباهر في جميع مجالات النشاط العقلي والعمل . وثانيهما مؤلف من إفراطات وتفريطات خلقية وأدبية لها أصول قديمة في كيان تلك الأمم ، لا يجوز الأخذ بها ولا إعارتها التفاتا ، بل يجب علينا التدليل على أنها علل وأدواء ينبغي تجنبها والعزوف عنها ، لأنها تقطع علينا سبيل النهوض ، وتبعدنا عن العوامل الحقيقية للمدنية الفاضلة .

وإني لأعترف هنا أن الخلط بين هذين العنصرين للروح العصرية قد أوقع كثيرا من المجددين السطحيين في الشرق في ضلال بعيد من هذه الناحية ، بل منهم من خيل إليه أن هذه الانحرافات الخلقية من لوازم النهوض المدني ، وهذا خطأ فاحش ، فإن النقائص الأدبية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون مفيدة للأمم ، وخاصة إذا كانت في بدء حياتها الانتقالية . وقد ضرب المغفور له محمد علي الكبير مؤسس الأسرة الملكية في مصر أحسن الأمثال في الأخذ بالعنصر النافع من الروح العصرية ، وترك العنصر الضار منها ، فقد فتح في مصر المدارس ، وأمر بترجمة المؤلفات النافعة الى العربية ، وأقام المصانع والمعامل لجميع ضروب الحاجات ، ولم يشب هذا الاقتباس المفيد بشيء من بدع هذه المدنية ، فهضمت الأمة المصرية نهضة صادقة ، خرجت بها من مصاف الأمم الإفريقية حتى ساغ لحفيده العظيم الخديوي إسماعيل ، وقد نبى على أساس ما بناه جده ، وعمل مثل عمله ، أن يقول : إن بلادى قطعة من أوربا .

فلم لم يأتس المجددون بهذه الأمثلة الصالحة ، فيقتصروا على منافع هذه المدنية القائمة ، وينزهوها من شوائبها ، ويقدموها للأمة خلاصة سائغة تؤديهم الى مثل ما عليه أوربا ، دون أن يلتاثوا بعلاها ، ويتأثروا بعوامل فسادها ؟ ( إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ )

محمد فريد وجدي

# بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

## حكم المحلل

ورد على المجلة سؤال من حضرة ابراهيم افندى حلمى بمرجوش خلاصته ما يأتى :  
يحصل أن بعض الأشخاص يطلق زوجته طلاقاً مكملًا للثلاث ، ثم يندم ويطلب طريقاً لرجعتها ، فيشير عليه بعض الناس بعمل محلل يكتفى فيه بمجرد العقد والطلاق قبل دخول الزوج الثانى ، فهل هذا يكفى لحل الزوجة كما يقول بعض الناس ، أو لا بد من الدخول ؟ وهل عمل المحلل جائز شرعاً أو غير جائز ؟ لأن بعض العلماء يقول بعدم جوازه . نرجو شرح ذلك على صفحات المجلة على المذاهب الأربعة .

## الجواب

أطبقت كلمة جمهور المسلمين على أن الزوجة لا تحل لزوجها الأول بعد طلاقه لها الطلاق المكمل للثلاث إلا إذا تزوجت زوجاً غيره زواجا صحيحاً خالياً من الموانع الشرعية ودخل بها الزوج الثانى ، وكان بينهما ما يكون بين الزوجين ، ثم طلقها ، وانقضت عدتها منه ، لقوله تعالى : ( فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ) ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفهم من ترافعت إليه فى هذا الشأن أنه لا بد من الدخول والمس . وهذا هو رأى كبار الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، والأئمة الأربعة ومن على مذاهبهم ، ولم يشذ عن ذلك سوى نفر قليل جداً . ولا عبرة لرأيه لمخالفته ظاهر الآية ، ومخالفته الحديث المشهور .

وقد علمت من هذا أنه لا خلاف بين المسلمين قاطبة فى أن الزوجة تحل لزوجها الأول بعد زواجها بغيره ودخوله بها وطلاقه إياها وانقضاء عدتها منه . ولا خلاف بينهم فى أن ذلك أى الزواج بآخر جائز وسائغ ومباح ، متى كان الزوج الثانى تزوج بالمرأة

المطلقة زواج رغبة، حتى إذا ما طلقها بعد ذلك وانقضت عدتها حلت للأزواج، ومنهم الزوج الأول.

أما زواج الرجل بالمرأة المطلقة طلاقاً باتاً مكملًا للثلاث على أن يحلها للأول، وعلى أنه يطلقها بعد دخوله، وهو ما يعرف بالحلل، فهذا فيه خلاف بين الأئمة رضوان الله عليهم:

فيرى الإمام أحمد أن من تزوج زوجة بشرط أن يحلها لزوج كان قبله، فإن نكاحه حرام باطل. ويرى الحنابلة أن هذا رأى كثير من أهل العلم، كالحسن والنخعي وقتادة والليث والثوري وسواء في ذلك قال: زوجتكها إلى أن تحلها للأول فتطلقها، أو شرط أنه إذا أحلها للأول فلا زواج بينهما. واستدلوا بما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المحلل والمحلل له» وهو حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أهل العلم من أصحابه صلى الله عليه وسلم. أما من تزوج ولم يشترط حين العقد ولكن نوى التحليل من غير شرط، فإن زواجه باطل أيضاً. قال اسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحلها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك، قال: هو محلل إذا أراد بذلك إلا حلال فهو ملعون. وروى نافع عن ابن عمر أن رجلاً قال له: امرأة تزوجتها أحلها لزوجها، ولم يعلم. قال: لا، إلا زواج رغبة: إن أعجبتك أمسكها وإن كرهتها فارقها. وعلى الجملة فإنه لا يصح العقد إلا إذا خلا عن نية التحليل وشرطه.

ويرى السادة المالكية ما هو قريب من هذا، فقد نصوا على أن المبتوتة لا تحل لزوجها إذا تزوجت زواجا فاسداً، وعدّوا من الفاسد الذي لا يثبت بالدخول زواج المحلل وهو من تزوج امرأة بآنت من زوجها بينونة كبرى بنية إحلالها له أو بنية الإحلال مع نية الإمساك إن أعجبتته، لانتفاء نية الإمساك المطلقة المشترطة شرعاً في الإحلال. والمعتبر نية المحلل، لأن الطلاق بيده. وأمانية الزوج الأول (المطلق)

ونية الزوجة (المطلقة) فلفغو . ويعاقب المحلل ومن علم ذلك من الزوجة والشهود والولى ، وكل هذا ما لم يحكم بصحة العقد قاض يرى صحته .  
ويرى السادة الشافعية أنه إذا تزوج الرجل امرأة على أن الزواج ينتهى بالدخول والمس ، فهذا العقد باطل ، لأنه نوع من نكاح المتعة . ومثل ذلك لو شرط طلاقها حين العقد بعد الدخول ، لأنه شرط يمنع دوام العقد ، فأشبهه التأقيت . أما لو تزوجها على أن يحلها للأول دون اشتراط شىء فى العقد ، فالمعتبر فى هذا الصحة ، لأنه لم يشترط الفرقة . وعلى الجملة فإن من عقد بغير شرط صحح عقده وكان مكروها للخلاف ، وحلوا الحديث وهو « لعن الله المحلل والمحلل له » على من يشترط .

ويرى الحنفية أن الرجل إذا تزوج بشرط التحليل بأن يقول : تزوجتك على أن أحلك له ، أو تقول هى ذلك ويقبل هو ، فإن هذا الزواج صحيح تترتب عليه أحكامه ، ولكنه مكروه كراهة التحريم المقتضية للعقاب ، لحديث « لعن الله المحلل والمحلل له » فإن طلقها بعد الدخول والمس حلت للأول لوجود الدخول فى عقد صحيح ، لأن الحديث سمي الزوج محلا والمحلل هو المنيب للحل ، فلو كان الزواج فاسدا لما سماه الرسول عليه السلام محلا . والله أعلم

## المسجد الموقوف وأحكامه

ورد على إدارة المجلة من حضرة عبد المطاب محمد عثمان افندى المدرس بمدرسة بنى عياض الازامية ما يأتى :

أولا — ما هو المسجد الموقوف ، وما هى الأحكام التى تجرى شرعا بالنسبة اليه ؟  
ثانيا — هل المساجد التى بناها واحد أو جماعة فى القرى أو فى الأمصار واشتهرت مسجديتها بإقامة الصلوات فيها ولم يقفها البانون لها تأخذ حكم المساجد التى وقفها أصحابها وحبسوا عليها شيئا ؟ نرجو الإجابة على هذا .

## الجواب

من بنى مسجدا لا يزول ملكه عنه حتى يفرزه عن ملكه ويأذن للناس بالصلاة فيه، فإذا أفرزه عن ملكه وصلى فيه صلاة بجماعة زال ملك البانى عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله. وفي رواية عنهما أن الملك يزول بصلاة واحد، وهى ظاهر الرواية. أما عند الإمام أبي يوسف فيزول ملك الواقف بمجرد قوله: جعلته مسجدا، لأن من قال جعلته مسجدا قضى العرف بزواله عن ملكه. وإنما اشترط الإمام الأعظم ومحمد رحمهما الله الصلاة فيه، لأنه لا بد من التسليم (أى تسليم الموقوف) لواليه عندهما، خلافا لأبي يوسف، والتسليم فى كل شئ بحسبه، فى المقبرة مثلاً بدفن واحد، وفى السقاية بشربه، وفى الخان بنزوله، وفى المسجد بالصلاة فيه. واشترط الجماعة على الرواية الأولى لأنها المقصودة من المسجد، ولذا اشترط أن تكون جهرًا بأذان وإقامة، وإلا لم يصح مسجدا. ولو اتحد الإمام والمؤذن وصلى فيه وحده صار مسجدا، لأن الأداء على هذا الوجه كالجماعة.

وإذا كانت الصلاة فيه أقيمت مقام التسليم، فبالتسليم إلى المتولى (الناظر) يكون مسجدا دون الصلاة فيه، لأنه بالتسليم إليه يحصل تمام التسليم، غير أنه ينبغي أن يلاحظ أن صلاة الواقف فيه وحده لا تكفى، لأن الصلاة إنما اشترط لأجل القبض للعامة، وقبضه لنفسه لا يكفى، فكذا صلاته وحده لا تكفى.

وقد فرغ مشايخنا على مذهب الإمام ومحمد أنه لا يحتاج مع الإفراد والصلاة إلى قول البانى وقفت ونحوه، فمن بنى مسجدا وأفرزه عن ملكه وأذن للناس بالصلاة فيه، خرج عن ملكه وصار مسجدا تجرى عليه أحكام المسجد، ولا يملك البانى التصرف فيه بعد ذلك ببيع أو شراء، ولا يورث عنه ولو لم يقل وقفته مسجدا. وبهذا قال كل من الإمام مالك والإمام أحمد. وقال الإمام الشافعى: لا بد من قوله: وقفته أو حبسته، لأنه وقف على قرية، فكان كالوقف على الفقراء.

ونحن نقول : إن العرف جار بأن الإذن فى الصلاة على وجه العموم والتخلىة يفيد الوقف على هذه الجهة ، فكان هذا العمل كالتعبير بقوله : وقفت ، ولذلك نظائر : فن قدم طعاما الى ضيفه كان ذلك منه إذنا فى أكله منه . وقد علمت مما تقدم أن الإمام أبابوسف رحمه الله يكسفى فى زوال الملك بمجرد قول المالك : جعلته مسجدا ، أذن فى الصلاة فيه أو لم يأذن . وبذلك قالت الأئمة الثلاثة . ومما ينبغى ألا يعزب عن الذهن أن أبابوسف يوافق الإمامين أبى حنيفة ومحمد فى زوال ملكية البانى بالإفراز والإذن بالصلاة .

ومن هذا جميعه تعلم أن المسجد الموقوف هو أرض أفرزها مالكها عن بقية ملكه وأذن للناس بالصلاة فيها أبدا ، أو أذنهم بالصلاة فيها ناويا أن يكون ذلك أبدا ، ولو لم يصرح به . ومثل ذلك الأرض التى يقول صاحبها جعلتها مسجدا عند أبى يوسف والأئمة الثلاثة . كما أنك تعلم مما تقدم أيضا أن الأرضى التى اتخذها واحد أو جماعة فى القرى أو فى الأمصار تكون مساجد إذا كان البانى أو البانون ملاكا وجعلوها مسجدا ، إما بالإفراز والإذن بالصلاة عند الامام ومحمد ، أو بقولهم جعلناها مسجدا عند أبى يوسف والأئمة الثلاثة . أما إذا لم يكونوا ملاكا فلا عبرة بعمالهم إلا إذا كانت الأرض محتكرة وبنى مستأجرها مسجدا وأذن للناس بالصلاة فيه ، أو قال جعلته مسجدا . ومتى كانوا ملاكا وبنوا على الوجه السابق شرحه كان ما بنوه مسجدا لا يباع ولا يورث عنهم ، لأنه تجرد عن حق العباد وصار خالصا لله وانقطع تصرف العبد فيه ، فلا يملك التصرف فيه بحال . ولا يضر فى المسجدية عدم التصريح بقولهم : وقفنا ، ماداموا مالكيين وأفرزوا ما جعلوه مسجدا ، وأذنوا للناس بالصلاة فيه على الوجه المتقدم ، كما لا يضر فى المسجدية عدم حبس شىء منهم على مصالح المسجد .

أما الأحكام التى تجرى شرعا على المسجد فى كثيرة — منها أنه يكره الدخول فيه بغير طهارة ، ويكره تلويثه واتخاذة طريقا ، وجعله محلا لحديث الدنيا ، ويكره أن

يشهر فيه السلاح . ومنها ألا يمنع من دخوله أحد بسبب أمر دينوى ، لقوله تعالى :  
 (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) فلا يجوز لأحد مطلقاً أن يمنع مؤمناً من عبادة يأتى بها فى المسجد ،  
 لأن المسجد مابنى إلا للعبادة ، كالصلاة ، والاعتكاف ، والذكر الشرعى ، وتعليم العلم  
 وتعلمه ، وقراءة القرآن . ولا يتعين مكان مخصوص فى المسجد لأحد ، حتى لو كان  
 للمدرس موضع من المسجد يدرس فيه فسبقه غيره إليه ليس له إزعاجه وإقامته منه .  
 ولا يحل للجنب والحائض المرور منه ولا الوقوف على سطحه ، ولا ينبغي إدخال  
 الصبيان والمجانين فيه ، ولا البيع والشراء ، ولا رفع الصوت وسل السيوف . ولا يجوز  
 إدخال النجاسة للمسجد . وينبغي لمن أراد أن يدخل المسجد أن يتعاهد نفسه وخففه  
 عن النجاسة ثم يدخل ، احتراساً عن تلويث المسجد . ويكره الوضوء والمضمضة فيه  
 إلا أن يكون موضع فيه اتخذ للوضوء . ويكره مسح الرجل من الطين باستوانة  
 المسجد أو بحائط من حيطانه . ويكره غرس الأشجار فى المسجد إلا أن يكون به  
 نفع للمسجد .

وعلى الجملة لا يجوز اتخاذ ما يحل بجرمة المسجد فيه . ومن جاس لكتابة القرآن  
 أو العلم فى المسجد فلا بأس إن كان بغير أجر ، لأنه عبادة . وبقية أحكام المسجد تعلم  
 من مراجعة كتب الفقه . والله أعلم

طه مبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقاً

## فراسة المؤمن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله عبادة يعرفون الناس بالتوسم .  
 وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا أنا لم أعلم ما لم أر ، فلا علمت ما رأيت .  
 وقال عبد الله بن الزبير : لا عاش بخير من لم ير برأيه ، ما لم ير بعينه .  
 وقال ابن الرومى :

ألمنى يرى بأول رأى آخر الأمر من وراء المغيب

# تجلى التدبير الالهى فى أعمال الحيوانات

الحشرات التى تنسج لنفسها ملابس

كلف الله الإنسان أن ينظر فى ملكوت السموات والأرض ، وأن يتخذ من الأعلام التى نصبها الله فى الوجود هاديا الى الطريق القويم : طريق العلم بالله ، والإذعان لقدرته الشاملة . وخلق فيه قدرة على التأمل ، وصبرا على التفكير ، وميلا لا كتنه الحقائق ، تصل به الى أبعد الغايات العقلية ، وأقصى النهايات الروحية . وقد حث الكتاب الكريم الناس على النظر فى الكون والكائنات فى آيات كثيرة ، كقوله تعالى فى وصف أولى الألباب : ( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وقوله : ( وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ) وذم الذين يعرضون عن النظر فى الكون والكائنات فقال : ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) . وقد جرى الانسان منذ وجوده على سجيته من النظر فى الكون ، وحصل من وراء ذلك علما جما ، وجنى منافع فى كل ضرب من حاجاته سهلت له سبيل العيش ، ووطأت له أكناف الأرض ، وسخرت له القوى المودعة فيها . وقد أغرى الانسان ذلك كله الى مواصلة الدأب على دراسة الكون والكائنات ، وانقسم الناس على حسب ميولهم الفطرية فى تعرف عوالمه ، ففهم من قصر شغله على النظر فى الأجرام العلوية ، ومنهم من وقفها على أصغر الكائنات كالحشرات والميكروبات ، وتوزع غيرهم ما بين هذين الطرفين ، فلم يحرم الله الجميع ثمرات جهودهم ، فكانت جملتها علما لا يستطيع فرد واحد أن يحيط به تفصيلا .

ونحن فى هذه المجلة نقطف من هذه الثمرات ما تمس اليه حاجة العقل والقلب اثمارة بما حض عليه الكتاب الكريم ، فنتخير مما وقف عليه الباحثون فى ناحية من النواحي الخفية ، فنعرض لحياة الحشرات التى اعتدنا أن نحتقرها انصغر أجسادها ،



فإنها لا تخلو من آيات باهرة تصعد بعقولنا الى مشهد من مشاهد الإبداع الإلهى لا تقف غرابته عند حد . فهل سمعت قبل اليوم أن بعض الحشرات الدنيا تلبس الملابس ، وأنها تصنعها بنفسها لنفسها بحكمة على أجهل الأشكال وأرقها ، فمن الذى نفث فى روعها صناعة الحياة والتطريز ، وجهازها بكل ما تستدعيه من وسائل وذرائع غير المبدع الحكيم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؟

من تلك الحيوانات ( العثة ) التى تقع فى ملابسنا الصوفية فتأكل منها وتحرقها ، وقد عني بدراستها الطبيعى المشهور ( ريو مور ) صاحب الترمومتر المنسوب اليه .

هذه العثة دودة غرز الله فيها ميلا لتغطية جسدها العارى ، فتعتمد لنسج حلة له من المنسوج نفسه الذى تقع فيه ، وتتخذ منه غذاء لها ، يكون لون حلتها كلون المنسوج الذى تستعير منه خيوطها . فإن كان لونها واحدا كانت حلتها ذات لون واحد ، وإن كان ذا ألوان جاءت حلتها ذات ألوان شتى . وهى تعنى بأن يكون باطن حلتها مغشى بالحرب وظاهرها من الصوف ، فتلتصق النسيجين أحدهما بالآخر بصناعة تحير العقل . ومتى بدا لها أن توسع حلتها تخرج رأسها من أحد طرفيها وتجرى أصلح الخيوط لها ، فإن لم تجدها على مقربة منها مدت عنقها للأمام ، ومتى عثرت على مطلوبها أمسكته بسنن لها وجذبته بمهارة ، ثم شرعت فى نسجه . وقد شوهد أنها متى زادت قليلا فى أحد طرفي حلتها عملت بالطرف الثانى ما عملته بالأول حتى يتم الانسجام بين الطرفين . ولقد تعجب كثيرا اذا رأيتهما تتقلب فى حلتها بسرعة لتخرج رأسها من طرف الى طرف .

ومتى طال جسم العثة ازدادت غلظا كما لا يخفى ، فيضيق ثوبها عليها ، ثم لا يلبث مراقبها أن يرى أنه قد اتسع ، فيخيّل إليه أن ذلك الاتساع نشأ من ضغطها بجسمها على باطنه ، فيظهر له بإدمان المراقبة أن ذلك كان خطأ منه ، فإنها تزيد ثوبها اتساعا بنسج جديد تقوم بعمله ، وهذا محل العجب والدهش فوق ما مر كله . وقد أثبت الطبيعى

(ريومور) ذلك بالحس ، وذلك بأنه أخذ عنا ذوات حلل مختلفة الألوان قد ضاقت على أجسادها ، ووضعها على ملابس ذات ألوان مباينة لألوان حللها ، فوضع مثلاً ذات الحلة الحمراء على ثوب أزرق ، وذات الحلة البيضاء على ثوب أسود ، فرأى بعد مضى زمن ما أن العث أدخلت من ألوان تلك الأثواب الى حللها ، فدل ذلك بالحس على أنها استمدت من خيوطها في توسيع ألبستها .

أما كيفية توسيعها حللها فهى الكيفية نفسها التى يجرى الإنسان عاينها إزاء ثوب ضيق يريد توسعته . وأول ما يخطر بذكر الإنسان من ذلك أن يشق الثوب الضيق ويضع مكان الشق قطعة على طوله . ولو كان شكل الثوب يقتضى أن يضع فى كل جانب قطعة فعل . وهذا ما تفعله العثة أيضاً لتوسعة ثوبها ، ولكنها تفعله باحتراس أكثر ، وباقتصاد أوفى ، وذلك أنها تشق حللتها الضيقة الى النصف خشية أن تبقى عارية مدة توسيعها . ثم تنهك فى توسيع ذلك النصف ، حتى إذا أتمته شقت النصف الثانى وعملت به ما عملته بالأول .

بقى علينا أن نعرف كيف تبطن العثة حللتها ببطانة من الحرير النين الأعلى من المنسوج الذى تستمد منه خيوطها ، وبأى صناعة عجيبه تربط خيوط الصوف بعضها ببعض ؟ لقد راقب العلماء ذلك ، فوجدوا أن العثة مثل سائر الديدان التى من نوعها ، أودع رأسها غدة تفرز سائلا لزجا تخرجه بإرادتها على حالة خيوط لا ترى إلا بالميكروسكوب ، فيتصلب بمجرد ملامسته للهواء ، وهذا الحرير هو الذى تستفيد العثة منه فى تبطين حللتها وفى ربط خيوط الصوف بعضها ببعض . وقد شوهد أنها تجعل سدية حللتها من الحرير ولحمتها من الصوف . ولكن يظهر أن العثة لا تكتفى فى ربط خيوط الصوف بحريرها الذى تخرجه من رأسها ، ولكنها تربطه أيضاً بخيوط من الصوف . وقد رأت أن الثقب الذى فى أسفل فها يفرز خيوطا صالحة لأن ترتبط بما فوقها بمساعدة حركة رأسها أثناء النسيج ، فهى تحرك رأسها حركات

سريعة ومتعاكسة لتؤدى وظيفة المكوك والابرة فى آلة الخياطة من ربط الخيوط بعضها ببعض .

ومن أعجب العجب أن أحد الناس لو أخرج عثة من حلتها فلا تعمل للعودة إليه ، لأنه يصير فى نظرها مظنة الإقلاق والإزعاج ، فتعتمد الى نسج غيره أسرع ما يمكن حتى لا تبقى عارية أمام مثيلاتها .

ومن الحشرات ذوات الملابس ديدان يقال لها ( فريجان ) تعيش فى المستنقعات . هذه الديدان تصنع لنفسها عباءات من مواد مختلفة ، فتخرج منها أحيانا لبعض شأنها ثم تعود اليها متى لاحت لها بادرة خطر . وهى تحمل عباءاتها معها حيث تسير ، وتحتجب بها بين الخضرة فلا يراها أحد .

أما المواد التى تكون منها عباءتها فتارة تتخذها من الأحجار الصغيرة والرمل ، وطورا تختارها من الحشائش ، فتقطعها على طول واحد ، ثم تضعها متوازية متحدة فى الاتجاه أو متخالفة ، وتارة تنسج عباءاتها من القواقع تجمعها الى بعضها وتلبسها وفيها حيواناتها الأصلية .

قال الطبيعى ( ريومور ) الذى راقب هذه الحشرات : « إن هذا النوع من الملابس جميل جدا وعجيب للغاية . وإنك لو رأيت رجلا متوحشا يحمل النسج يتخذ لنفسه عباءة من الفيران ، أو من الحيوانات الحية الأخرى ، لدهشت من لبوسه جدا ، فهذه هى حال هذه الديدان ، فإنها تكتسى بالقواقع التى فيها أحيائها الأصلية » .

هذه الحشرات تستطيع تغيير شكل عباءاتها على حسب المواد التى تنتخبها لها . وقد وصف الأستاذ الطبيعى ( جيرار ) كيفية عمل هذه الحيوانات لملابسها فقال : إن هذه الديدان تبتدىء بعرض المواد فتختار منها المناسب ، فتجعل سطوحها المصقولة الى الداخل ، وتربطها بواسطة خيط حريرى تخرجه من فمها ، ثم تمسك الأحجار حجرا حجرا كما يفعل البناء وتضعه بجانب أمثاله بحيث يكون مافيه من بروزات وفجوات

ملائمة لما فى مجاوراتها منها حتى لا يوجد فراغ بينها ، ومتى تم لها وضع الحجر على هذه الصورة تلتصقه بخيوط تخرجها من فيها ، وهى تم هذا العمل فى خمس أو ست ساعات ، فلما يحىء الدور الثانى من حياتها ، وهو الدور الذى تتخدر فيه ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ، تدخل فى عبااتها الحجرية وتسدها عليها من طرفيها خوفا من اعتداء الغير عليها .

ومن صنوف هذه الديدان ما تسد فوهتى عبااتها بشباك من حرير تصنعها بحيث تترك الماء يدخل اليها ويخرج لا يعيقه شئ .

ومنها ما تضع فوق هذه الشبكة أحجارا وحشائش وغير ذلك .

ومنها ما تسد طرفى العباءات بحجرين مفلطحين ، فاذا كانت الديدان مما تعيش فى الماء الراكد ، فهى إما أن تطفو بعبااتها فى دور الخدر على وجه الماء ، وإما أن ترسب الى أسفله . والتى تعيش فى ماء جار فتتخذلا نفسها حيلة أخرى خشية أن يقذف بها التيار الى حيث تهلك تعمد الى مقدم عبااتها فتلتصقها بنبات بحرى أو بحجر بواسطة خيوطها الحريرية التى تخرجها من فيها ، وتعنى بوضع جسمها مائلا لى تسمع للماء بالتجدد دون أن يصادف حائلا .

ومن هذه الحشرات ذوات الملابس العنكبوت البحرية ، فتراه دائما وراء جمع أجزاء من النباتات البحرية وبعض الحيوانات الدنيئة والاسفنج وغيرها يلتقطها ويضعها على ظهره ، فيصير بها كأنه مجموعة آثار حيوانية ونباتية ، ثم يذهب بحمله العجيب هذا الى حيث تكثر النباتات البحرية فلا يهتدى اليه أحد .

وقد عنى أحد الطبيعيين بمراقبة هذا الحيوان مراقبة دقيقة بعد أن حصره بين أوراق الورد ، فأخذها الحيوان وألصقها على ظهره ، فصار لا يسأ ثوبا ورديا يحسده عليه الإنسان نفسه ، وأضحى بين أقرانه عجيبة من العجائب .

ومن هذه الحشرات ذوات الحلل دودة تسكن الأماكن الرطبة من الدور ؛

والأركان المظلمة منها ، ومادة حلتها التراب ، فتتمرغ عليه حتى يتغطى جسمها كله به ، فتقلب بهذه الحلة الترابية كأنها من بعض القاذورات . وهى تتجشم هذه الحيلة لتخفى نفسها عن أعين الذباب والبعوض ، وهى الحيوانات التى تغتذى هى منها . فتلبث على هذه الصورة ساكنة حتى تقرب منها ذبابة أو بعوضة فترى الدودة بنفسها عليها ، وترشقها بإبرتها ، ثم تستولى عليها وتأكلها .

ألا يرى القارئ من خلال كل هذه العجائب القدرة الإلهية تفيض على هذه الحيوانات من إبداعها ما يقضى على أعتى العقول بالعجب ، ويهوى بأعصى الجباه الى السجود لقيوم الوجود ، ومصور كائناته على أعجب الصور وأدعاهها للدهش ؟ فأين تقع تلك الأصول اللاماركية والدارونية من هذه الإبداعات المحيرة للعقل ، وهى لا تكفى فى تحليل وجود أبسط خلية حية ، فما ظنك بهذا المجموع الذى لا يحيط به العلم من عجائب التكوين ، وهو لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية ؟ وأين تقع شبهات الماديين الذين يزعمون أن السكون تقوده العاية المطلقة ، ويحكمه الاتفاق والخطب ، من هذه الآيات الباهرة التى تتجلى فى كل ناحية من نواحي الخليقة ؟ !

محمد فريد وهبى

## وقوف الانسان عند حد ما يعلمه

قال بعض الحكماء : من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم ، فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم .

ولقد أحسن زرارة بن زيد حيث يقول :

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده أطال فأملئ أو تناهى فأقصرا

ويخبرنى عن غائب المرء فعـله كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

وأبلغ من هذا كله وأحكم قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

## الامثال فى اللغة العربىة

المثل فى أصل وضعه : المثل والشبىه ، وىطلق على الكلام البلىغ الشائع المشهور لىسنه ، أو لاشتماله على حكمة ، وذلك ما نبغى الحديث عنه فى هذا المقال :

توجد الأمثال حتى فى غير اللغات الراقىة ، ولا تكاد لغة تخلو من الأمثال . وهانحن نجد بين الجماعات البعىة من العلم والمدنىة أقوالا من نوع كلامهم ىضربونها فى مواضع تشبه مواردها ، ولا فرق بينها وبين ما جاء فى الفصىح من الأمثال إلا الفرق الذى نحسه بين اللغة الدارجة واللغة العربىة الخالصة .

من خواص المثل الإيجاز ، وأن ىكون جىسد العبارة . ولا ىجازه وجودة عبارته تداولته الألسنة ، وقبلته خاصة الناس وعامتهم . قال الزمخشرى : ولم ىضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للسىر ، ولا جدىرا بالتداول والقبول ، إلا قولافىه غرابة من بعض الوجوه . وقال الفارابى : « المثل ما ترضاه العامة والخاصة فى لفظه ومعناه ، حتى ابتذلوه فىما بينهم ، وفاهوا به فى السراء والضراء » . وقال : « وهو أبلغ الحكمة ، لأن الناس لا ىجتمعون على ناقص أو مقصر فى الجودة ، أو غير مبالغ فى بلوغ المدى فى النفاسة » وقال أبو عبىد : اجتمع فى الأمثال ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبىه .

ىصور المثل الحقائق فى أجلى صورة ، وىرىك المعانى الكثرىة فى الكلمات القلىلة ، فإذا أردت أن تصف رجلا بالدهاء وجودة الرأى ، والأخذ فى تدبىر الأمور بأنجح الطرق ، ورمت أن تعبر عن هذا المعنى بلفظ موجز ىنقشه فى نفس المخاطب حتى كأنه ىراه رأى العىن ، ضربت فىه المثل : « ىعرف من أين تؤكل الكتف » . وإذا سمعت كلاما كثرىرا لا تبغى منه فائدة ، وأردت أن تصفه بكلمة ىخف وقعها

في الأذن وتضع ذلك المعنى موضع المشاهد، ضربت فيه المثل: « أسمع جمعة ولا أرى طحنا ».

يحسن ضرب المثل حيث يكون سبب وروده معروفا للمخاطبين . وكثير من الأمثال لا يفهم منها معنى وإن كانت ألفاظها واضحة الدلالة على معانيها المفردة، فالمثل « إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر » مفرداته واضحة المعاني، وليس في تركيبه حذف، ولا لفظ يتوقف فهمه على كلام يسبقه أو يأتي من بعده، ولو سقته في الحديث مع من لا يعرف مورده لم تصل به إلى الغرض الذي تستعمل من أجله الأمثال، وهو إبراز المعنى في صورة مألوقة تتلقاها النفوس بارتياح، وإنما يفي هذا المثل بالغرض، ويقع المعنى المقصود في نفس المخاطب موضع الجلي الواضح، متى عرف « أن بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة: يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس، فتراضوا برجل جعلوه حكما، فقال واحد منهم: إن قومي يبيعون على، فقال الحكم: « إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ».

قد يستعمل المثل على وجه الاستعارة، كضربك المثل « الصيف ضيعت اللبن » في حق من كان متمكنا من أمر فأضاعه من يده، ثم جاء يطلبه بعد فواته، فإنك شبهت حال هذا الرجل بمورد المثل، وهو حال المرأة التي كانت تحت شيخ موسر فسألتها الطلاق فطلقها زمن الصيف، فتزوجت شابا فقيرا، فلما دخل الشتاء أرسلت إلى الشيخ تستسقيه لبنا، فقال لها: « الصيف ضيعت اللبن » واستعرت هذا المثل إلى حال الرجل الذي أضاع أمرا كان طوع يده، ثم رغب في مناله . واستعمال الأمثال على هذا الوجه هو الذي تحدث عنه البيانون فقالوا: متى فشا استعمال المجاز المركب، سمي « مثالا » وقد يستعمل المثل على وجه التشبيه الصريح، كأن تذكر شخصا تريد أن تصفه بأنه يشتهي قربه، ويخاف شره، فتقول: هو « كالخمر يشتهي شربها، ويخاف صداها ».

وقد يستعمل على وجه الحقيقة المحضة، كأن ترى شخصا اعتبر في بعض الأمور بما وقع فيه غيره من عاقبة مكروهة، فأخذ حذره من ذلك الأمر، فتقول: «السميد من أعظ بغيره» فليس في ضرب هذا المثل استعارة ولا تشبيه.

والكتب التي صنف في أمثال العرب كأمثال أبي عبيدة والميداني وابن قتيبة وابن حبيب وابن الأنباري وابن هلال والشيخ طاهر الجزائري، تجمع الأنواع الثلاثة ولا تختص بما تحدث عنه البيانيون، وهو المجاز المركب الذي يفسو استعماله.

يلزم في المثل أن يكون قولاً موجزاً شائعاً، وقد يكون حكمة أي كلاماً ينهى عن سفه، أو يدعو إلى خير، نحو «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وهو مثل يضرب لمن يجهد نفسه في طلب الشيء، ويبالغ في الطلب حتى إنه ربما يدركه التعب أو الملل، فينقطع دون البلوغ إلى الغاية.

وقد يكون خالياً من الحكمة بالمعنى المشار إليه، ولكنه يدل على معنى مقبول، كالأمثال الصالحة للاعتذار، نحو «مكره أخاك لا بطل».

والحكمة التي تؤدي ما يؤديه المثل إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم تجر إلا بين الخواص، يسميها بعض الأدباء بالنادرة.

ومن الأمثال ما يكون كلاماً مستقلاً بنفسه، نحو «حبك الشيء يعنى ويصم» ونحو «رب أخ لك لم تلده أمك». وقد يكون مقتطعاً من كلام، نحو «إن المقدرة تذهب الحفيظة» قال أبو عبيد: باغنا هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلاً بشار فلما ظفر به قال: لولا أن المقدرة تذهب الحفيظة لانتقم منك. ثم تركه. وإلى هذين الضربين من الأمثال أشار المرزوقي في كتاب الفصيح، فقال: المثل جملة من القول مقتضبة من أصابها، أو مرسلّة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول.



يقول علماء الأدب : إن الأمثال لا تغير ، بل تجري كما جاءت ، حتى إنهم يحافظون عابها وإن جاءت على بعض الوجوه الشاذة ، قال الزجاج في شرح أدب الكاتب : الأمثال قد تخرج عن القياس ، فتحكى كما سمعت ، ولا يطردها القياس فتخرج عن طريقة الأمثال . وقال المرزوقي : من شرط المثل أن لا يغير عما يقع في الأصل ، ألا ترى أن قولهم : « أعط القوس باريها » تسكن ياؤه وإن كان التحريك الأصل ، لوقوع المثل في الأصل على ذلك .

ويتصل بهذا أن لا يغير المثل ليوافق حال من ضرب في شأنهم من نحو التذكير والتأنيث ، أو الأفراد والتثنية والجمع ، بل يستعمل باللفظ والحال التي نطق به العربي في أول ما نطق به (١)

والعلة العامة في امتناع تغيير ما يسمى مثلاً ، أن تغييره يخرج عن أن يكون اللفظ المتداول المشهور ، وفي امتناع تغيير المثل الذي يستعمل على وجه الاستعارة علة خاصة ، هي أن الاستعارة مبنية على استعمال لفظ المشبه به ، ولو غير المثل كأن قلت : « الصيف ضيعت اللبن » بفتح تاء الخطاب لما كان لفظ المشبه به مستعملاً في المشبه بعينه ، ومن تصرف في المثل بالتغيير كان مشيراً إلى المثل لا ضارباً للمثل نفسه .

وقد عدّ علماء الأدب فيما يجب أن يعرفه الكاتب والشاعر الأمثال العربية ، قال ابن الأثير في المثل السائر : وكنت جردت من كتاب الأمثال الميداني أوراقاً خفيفة تشتمل على الحسن من الأمثال التي يدخل في باب الاستعمال .

وإذا كان في الأمثال حكمة وبلاغة ، كان في العناية بجمعها ودرسها وسيلة من

محمد الخضر حسين

وسائل ترقية التحرير والخطابة

(١) قال الزمخشري : لم يفرقوا مثلاً إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه

وحى عن التغيير .

## الزواج عند الأمم المختلفة

لا يعرف الإنسان ما للإسلام من الفضل على الجماعات البشرية، ولا يدرك مكان شريعته من السمو بين جميع الشرائع، إلا إذا ألم بمحصة صالحة من الشؤون الإنسانية القديمة والحديثة لدى الشعوب على اختلاف منازلها من الثقافة والتمدن. لذلك رأينا أن نعرض على قرائنا أحوال الأمم في جميع الشؤون الاجتماعية، ليتألف لهم من مجموع ذلك علم عظيم القيمة يعرفون به حقيقة معنى قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ).

وقد اخترنا اليوم موضوع الزواج عند الأمم المختلفة، اقتبسناه من كتاب الفيلسوف الاجتماعي الكبير (هربرت سبنسر) الانجليزي، فنقول:

الحيوانات التي تعيش مجتمعة كالقردة والفيلة وغيرها يتقاتل ذكورها على حيازة إناثها، وكذلك يفعل المتوحشون من الناس، فإن الرجل منهم إذا أعجبهته امرأة وأراد أن يستأثر بها قاتل زوجها، فإن تغلب عليه أخذ منه امرأته، وهي تنقاد له ولا تجد من يحميها منه. وكل من زار بلاد قبائل (الشيبيويان) بأمريكا أو (البوشمان) في أفريقيا يجد ذلك شائعا فيهما، وهو كل ما يعرفون من أمر الزواج.

هذا القتال الشهواني لا يحصل بين الرجال فحسب، ولكنه يحدث بين النساء أيضا. وذلك أن الرجل في بعض قبائل (كينسلان) بأفريقيا يتزوج عددا من النساء، فترى كلا منهن تتطلع الى بلوغ المسكنة الأولى عند زوجها، فالذى يحسم هذا التنازع بينهما هو أنهن يجتمعن في مجال واحد وفي يد كل منهن عصا غليظة، فيتضاربن حتى تسيل دماؤهن، فن تثبت منهن في القتال يعترف لها بالتفوق، وتصبح محظية عند زوجها. ومن عادات قبائل استراليا أنه إن حدث قتال بين قبيلتين وانصرت إحداها على الأخرى، ذهب نساء المغلوبين الى الغالبين عن طيب نفس وبلا أدنى مقاومة.

إن ما نعرفه نحن من نظام الزواج وصيغ التعاقد فيه ليس بوجود عند المتوحشين،

شأنهم في ذلك كشأنهم في كل أمورهم الحيوية ، فإن في أمريكا متوحشين ليس لديهم احتفال بالزواج ، مما يدل على سقوطه في نظرهم ، وعلى أنه أمر عرضي ، وكيف يحتفل بزوجة تكون اليوم لرجل فتصبح غدا بحق الغلبة لرجل آخر .

وقد روى أن قبائل كاليفورنيا من أمريكا الشمالية ليس لديهم احتفال بزواج ، بل ليس في لغتهم ما يدل على معنى الزواج ، فهم يتخالطون كما تتخالط الطيور والبهائم . وفي كثير من بلاد المتوحشين يتم الزواج بالاختطاف ، فتى تمسك رجل من اختطاف امرأة أصبحت زوجته ، سواء أرضيت أم لم ترض ، فإن اتفق أن اختطفها من زوجها رجل آخر صارت زوجته وأنف مختطفها الأول راغم .

ويوجد في بعض القبائل المتوحشة آثار من الاحتفال بالزواج ، فترى هذا الاحتفال ينحصر في أن يضرم مريدا الزواج نارا ويجلسا بجانبها .

وعند البعض الآخر يتم الزواج بين الراغبين فيه متى قامت الزوجة ببعض الخدم البيتية للزوج .

وعند قبائل ( غينا ) الجديدة من استراليا يتم الزواج متى أعطت المرأة لزوجها قليلا من التبغ .

وعند قبائل ( التفاجوس ) يحصل الزواج بين الرجل والمرأة لمجرد جلوسهما في شبه قصعة كبيرة ، وأكلهما معا من الأغذية التي يكونون قد وضعوها فيها .

ومن عادة قبائل ( النوبيين ) من استراليا أنه إذا عرض لأحد الرجال أن يطلق امرأته وهبها لرجل آخر .

ومن المنظمات المتبعة عند ( التاسمانيين ) من استراليا إجبار الرجال على التطليق باعتبار أنه من الأمور الضرورية .

وأما عند قبائل ( الكازياس ) فإن الطلاق يكثر الى حد أن لم يبق معه معنى للزواج . ومما يدل على انحطاط أقدار النساء في نظر المتوحشين وسقوط منزلة الزواج عندهم تجرد الرجال من الغيرة على الزوجات ، فتجد من عادات كثير من قبائلهم تقديم زوجاتهم

لضيوفهم ماداموا عندهم ، بل تقديم بناتهم لهم أيضا . من هؤلاء الأقوام قبائل (الاسكيمو) القريبون من القطب الشمالى ، ومتوحشو أمريكا وبعض قبائل (بولينيزيا) والسودان والحبشة والكفرة الخ .

ونقل رواد الأقاليم أن المرأة من قبائل (البوشيان) تستطيع بإذن زوجها أن تعاشر رجلا آخر ثم تعود إليه . وهذه العادة تشبه ما كان عليه بعض عرب الجاهلية من إذن الرجل لزوجته فى الذهاب للإقامة مع رجل معين ثم عودها إليه ثانية . وهذه العادة تعتبر من مكارم الأخلاق وكرم السجاياء عند الاسكيمو ( سكان جزيرة جرونيلادا ) .

هذا الانحلال فى الروابط الزوجية عند هؤلاء الأقوام يشعر بأنهم لا يعلقون كبير قيمة على عفة المرأة ، فقد روى أن فى جهات الكونغو من أفريقيا يعرض كثير من الرجال بناتهم للفسق ليكسبوا من وراء عملهم هذا دراهم معدودة . وعند أهل المكسيك الأصليين من أمريكا الشمالية أن البنت متى بلغت سن الزواج أمرها أهلها أن تخرج الى الرجال لتكسب مهرها ، فتضطر لتطواف البلاد فى حالة عهارة مطلقة ، حتى تجمع القدر الذى يرضيها من المال ثم تعود الى بيتها لتزوج . ونقل عن السكان الأصليين لأقاليم (داريان) من أمريكا أنهم ما كانوا ينظرون للفسق بعين المقت ، فكان أمرا شائعا فيهم ، بل كان معدودا من الظرف حتى شاع عن نساء أعلامهم أنهم كن يقلن لمن يسألهن عن ذلك من رواد الأقطار : إن من أخلاق سفلة النساء أن ترد إحداهن طلب طالب .

ولم تزل نساء (اندمان) من آسيا يعتقدن أن من قحة المرأة أن تمتنع على راغب . وروى عن قبائل (الشيبشاس) من أمريكا الوسطى أن الرجل يعتبر مغاللة الرجال لامراته بل وفسقهم بها من موجبات الفخر والمباهاة ، ولو تزوج أحدهم بامرأة ووجدها بكرا احتقرها واعتبرها من سقط المتاع .

وقد اعتاد قبائل (الشوشوايس) من كولومبيا بأمريكا الجنوبية أن يعدوا من

العار الذى لا يحتمل أن تزوج المرأة قبل أن تهدى أسرتها مالا مما كسبته من الرجال . هذه عوائد القبائل التى راد بلادها مكتشفوا الأقطار . ونستطيع أن نزيد عليها أن النساء العربيات على عهد الجاهلية لم تكن حاتهن تمتاز عن حالة أخواتهن المتوحشات ، فكن محرومات من الحقوق ، وكان الرجل يرث امرأة أبيه ، فيقتنبا لنفسه أو يعطيها لرجل سواه ، وكن لا يرثن آباهن ولا أقرباهن . وكان زواج السفاح منتشر فيهم ، وكان بعض الرجال يشترى الإماء ويعرضونهن للفسق والفجور طلبا للكسب من وراء ذلك . فلما جاء الاسلام رفع من قيمة المرأة الى مستوى لم تبلغه الى اليوم المرأة الغربية ، فسن الزواج بإيجاب وقبول ، وشرط أن يؤخذ رأى المرأة فيه ، وأن يعمل به ، وقرر للمرأة حقوقا على زوجها تطالب بها أمام المحاكم ، ولم يكلفها أن تدفع لأهلها ولا لزوجها مالا ، بل كلف الزوج أن يدفع لها صداقا ، وجعل لها حق التصرف فى أموالها استغلا لا ورهنا وبيعا دون أن يتوقف ذلك على إذن الزوج ، كما هو الشأن فى أوروبا حتى الآن ، فإن المرأة هنالك متى تزوجت وقعت تحت وصاية الزوج ، فلا تملك التصرف فى مالها إلا بإذن . وزاد الاسلام فى حقوقها فلم يكلفها الإنفاق على نفسها وإن كانت غنية ، وجعل على الزوج القيام بجميع حاجاتها من مأكل وملبس ومسكن على قدر ما تسمح له به وسائله ، وقد منحها الاسلام حق وراثة أبويها وأقربائها بعد أن حرمت منه آماداً طويلة طوال العهد الجاهلى .

ومن الميزات التى تعتبر غاية الغايات فى الاعتراف بمكانة المرأة من الهيئة الاجتماعية أن الاسلام أباح لها أن تكون عصمتها بيدها إذا رضى زوجها ، فتحل عقدة الزواج متى شئت .

هذه كلها حقوق لم تحصل على مثلها المرأة للمتمدنة ، أفلا تعجب بعد هذا إن رأيت كتابا من الغرب يدعون أن المرأة المسلمة أسيرة لزوجها ، وأنها لا تملك لنفسها صرفا ولا عدلا ، وأنها فى حاجة لمن يخلصها من ربقة ، ويهب لها مثل حقوق المرأة الغربية ؟ !

محمد فريز وهبى

## كيف انتشر الاسلام في العالم

أراد الله تعالى أن تكون بلاد العرب مهبطاً لأنوار الدين العالمى الأخير، فأرسل به خاتم أنبيائه محمداً صلى الله عليه وسلم، فلما تم نزوله، واختار الله رسوله لجواره، انتشر نوره في الخافقين، فعنى الباحثون بعرفة المنافذ التي سرى منها الى الجهات الأخرى، فكان من بينهم المستشرق الألماني الأستاذ (مارتن هارتمان) فألم بهذا الموضوع في كتابه (الاسلام)، فرأينا أن نأتى على ثمرة بحثه في هذا الصدد، فإن فيه تحقيقاً تاريخياً جديراً بالنشر، قال ما مؤداه:

لببلاد العرب منفذان الى الشرق، وهما: العقبة وهى على طريق الشام، والطف بجوار نهر الفرات، فانتشر الاسلام منهما الى الشام وأرمينية وبلاد القوقاز وأذربيجان، ووصل الى بخارى وكابل عاصمة بلاد الأفغان في القرن السابع، ووصل الى خوارزم في أوائل القرن الثامن، وما زال يمتد حتى تعدى حدود الصين من تيانشان، واحتل مدينة كاشغار من بلاد المغول، وبلغ بلاد السند، وجعلت مدينة مولتان مركزاً للدعوة الإسلامية. ومن هنالك ومن بخارى انتشر في شمال الهند، حيث ظهر في سنة ١٠٠٥ م رجل من مدينة لاهور يقال له الشيخ اسماعيل، فأبلى في الدعوة الى الاسلام بلاء حسناً، وتلاه في الدعوة اليه في تلك الأصقاع من بلاد الفرس رجل يقال له محي الدين تشيشتى توفى سنة (١٢٣٤) م.

وقد اشتدت حركة الإسلام في ذلك العهد بشمال الهند حتى آل الى أهله الملك في البنغال سنة (١٢٠٠) م، كما توج أول ملك مسلم في كشمير من بلاد المغول سنة (١٣٠٠) م، ومنها انتقل الإسلام الى تيبب الصغرى، وقد وصل اليها أيضاً من ولاية يونان في جنوب الصين.

ودخل الإسلام الى بلاد الصين من منفذين : الساحل الجنوبي ، ومن الولايات المتاخمة لبلاد التركستان .

وقد روى أن علاقات حسنة تبودلت بين بغداد والصين على عهد الخلفاء العباسيين ، وكان الدعاة المسلمون يؤمّون تلك البلاد من طريق ما وراء النهر .

وقد بكر الإسلام في الظهور بالصين على بعد الشقة بينها وبين البلاد العربية ، حتى إنه قد بنى مسجد في عاصمة ولاية شينزى سنة ( ٧٤٢ ) م ، أى بعد البعثة المحمدية بنحو مائة سنة ، وكان من أثر هذه الحركة أن انتشر الإسلام في شمال الصين بدخول قبائل الويجور فيه ، وقد وصل بعضهم الى المناصب الحكومية الرفيعة ، ونزع بهذا السبب كثير من الفرس الى الصين ، ونشروا فيها لغتهم ، حتى إن كثيرا من مسلمي الصين يعدّون اللغة الفارسية لغة المثقفين منهم ، وفيها كتب إسلامية بهذه اللغة .

وقد أخذ بالدين الاسلامي كثير من اليهود هنالك ، فزاد بهم زيادة كثيرة يصعب تقديرها .

ولما دخلت بلاد التركستان المسلمة في حوزة الصين ، واحتك المسلمون بالأهالي هناك ، تعرفوا منهم سماحة الاسلام وفضائله ، فكان ذلك سببا في زيادة انتشاره في تلك الأصقاع . وفي هذا العهد بدأ ظهور رؤساء وقادة من الأصل التركي في الصين ، حتى إن القيصر الصيني كين لونج تزوج بأميرة تركية وأمر ببناء مسجد إكرامها ولحاشيتها . وقد اشتهرت أسماء رجال من الترك تولوا الإدارة والقيادة العسكرية هنالك ، وعد نحو عشرين ألف أسرة تركية في مدينة بيكنج عاصمة الصين . وقد كان لهم ثلاثة عشر مسجدا يقيمون فيها الصلاة . وعلا شأن المسلمين في الصين الى حد أنهم أحدثوا ثورة في كانصو وشينزى سنة ١٨٦٤ فلم تنجح الحكومة في إخمادها إلا بعد مكافحتها عشرين سنين . وفي هذه السنة نفسها تمكن يعقوب بك الطشقندى من اقتطاع التركستان من جسم المملكة الصينية ، فلم تستطع الحكومة استردادها إلا بعد موت الزعيم المذكور .

أما المنفذ الآخر الذي سلكه الاسلام الى الصين وهو الساحل الجنوبي ، فقد هدى اليه العرب والفرس منذ زمن بعيد ، وقد ثبت أنه تأسست جالية إسلامية في كاتون منذ العصور الأولى للإسلام . وروى أن الخليفة العباسي المنصور أرسل أربعة آلاف جندي لمساعدة قيصر الصين في بعض حروبه . وكان المسلمون يقدون من تلك الناحية جماهير نازحين من بلادهم للعيش في الصين ، لذلك اشتدت شكيتهم هنالك . وقد حدث في العهد الأخير أي سنة ١٨٥٥ أن قامت ثورة كبيرة في ولاية يونان ، فلم تتمكن الحكومة من إخمادها إلا بعد عشرين سنة بذاتها في الكفاح الشديد . ( نقول ) : إن الذي يتأمل في طول المسافة بين بلاد العرب والصين لا يسهه

إلا أن يكبر تلك الروح التي كانت تدفع المسلمين الى تبشيم هذه المتاعب لنشر دينهم وتبشيت أعلامه في الخافقين ، ويدرك أنه يمثل هذه القلوب الكبيرة تعز الأُم وترقى ، وتبنى لنفسها ولأخلافها مجدا يخلد خلود الدهر . وقد عجز دعاة الأديان أن يصلوا الى الصين إلا في القرون المتأخرة ، وعجزت المدينة الأوروبية على ما فيها من الفواتن والجواذب أن تتعدى السواحل الشرقية للصين الى آخر القرن التاسع عشر ، لا يصاد تلك الامبراطورية الضخمة أبوابها في وجهها ، ولكن المسلمين لم يحتازوا حدود السواحل فحسب ، ولكنهم استطاعوا نشر ديانتهم وثقافتهم فيها أيضا ، وهذا أعجب ما يسجله التاريخ من نشاط أمة وجواذب ديانة . فراجع الآن لما نقله عن الأستاذ مارتن هارتمان ، قال :

أما في كورية وفي اليابان فإن الدعوة للإسلام لم تنجح نجاحها في الصين ، ويرجع ذلك الى انصراف اليابانيين عن الفاسفة الروحانية ، وإكبابهم على النظر في مصالح بلادهم المادية .

أما في مجموعة جزر الملايو فإن عدد المسلمين لا يستهان به ، وقد بلغ نشاط المسلمين بها في الدعوة الى دينهم حدا يستحق الإعجاب ، وذلك دون أية مساعدة من حكام البلاد ، بل كثيرا ما كانوا يجدون معاكسة منهم .



وصل العرب والفرس الى هذه الجزر وهم في طريقهم الى الصين، وإن لم يبحى ذكر عنها في كتبهم إلا ابتداء من سنة (٨٥٠) م. فكان العرب الذين يفدون الى هذه الأسواق والمراكز التجارية الهامة ويتخذونها وطناً لهم، دأبوا الاتصال بالمدن الواقعة على ساحل الهند، فكان ذلك سبباً في تعرف سماحة الإسلام وشيء من الأخلاق التي يدعو إليها. ولم يغفل العرب كماداتهم الاختلاط بالوطنيين ومعاملتهم بالحسنى، بل صاهروهم واختلطوا بهم، وكانوا يستكثرون من الأتباع والخدم، مما زاد في قيمتهم في نظر الأهالي. وقد ساعدتهم توحدهم كلمتهم، وتضام صفوفهم، وطاعتهم لكبرائهم وزعمائهم، على التفوق على الأمراء الوطنيين المتخاذلين.

نهض المسلمون بدعوة قوية لدينهم في سومترا سنة (١١٧٠) ميلادية، وبدأ ذلك من مدينة (أتجه) Atjeh بالاستيلاء على الساحل الغربي. وثبت لابن بطوطة في سنة (١٣٤٥) م وجود ممالك إسلامية في السواحل الشمالية، وسرعان ما أصبحت دولة (مينانجا) حصناً منيعاً للإسلام حوالى سنة (١٥٠٠) م.

أما في جاوة فأخذ الإسلام ينتشر فيها بقدم ثابتة، وخطى متزناً، حيث نزل بها العرب واجتذبوا اليهم بعض الأهالي، حتى إذا آنسوا من أنفسهم القوة أظهروا وصولهم، وبسطوا سلطانهم، فخضع لهم أهالي غرب الجزيرة، حيث كانت الديانة الهندوكية لم تثبت قدماً فيها الى ذلك الحين، وما لبث الإسلام بعد ذلك أن عم جميع أنحاء الجزيرة. ولم يعوز الإسلام أن يجد أنصاراً كثيرين في جزائر الملوك والفلبين وصولاً. وفي الجملة انتشر الإسلام في مجموعة جزر الملايو بحيث يصعب أن تخلو منه إحدى بقاعها خلاو تاماً، وقد كان لأتباعه من السلطان والوجهة ما لا يشاركون فيها غيرهم، وهم هنالك على قسط وافر من الحضارة والثقافة العالمية.

وأما في سيام فلم يبلغ انتشار الإسلام ما بلغه في الأقطار المتاخمة لها، إذ لا يزيد عدد أتباعه عن خمس عدد الأهالي. ويعتبر الإسلام حديث عهد في تلك الجهة، وليس

فيها من الشأن ما في غيرها مما ذكرناه . وقد تسرب الإسلام إليها من الصين ومن جزر الملايو أيضا .

وقد وصل الإسلام حتى إلى الأفيانوسية وأستراليا ، ولكن عددهم هناك ليس بكثير ، وليسوا فيهما بعنصر ذى بال .

(نقول) : يرى القراء في هذا الفصل من نشاط المسلمين في الدعوة إلى دينهم ما يوجب الدهش والحيرة ، فقد حدثهم إلى ذلك همه لا تعرف الوكنى ، ولا يعترها الفتور . وإذا قابلت ما أتوا به من العظام في هذه السبيل بإدخالهم في دينهم ملايين من أمم شديدة الاعتزاز بقوميتها ، كثيرة التمسك بديانتها ، بما قام به في القرون الأخيرة دعاة الملل الأخرى على حذقهم فنون الدعوة ، واعتمادهم على الفواتن من الجاه والمال ، وتمرسمهم بأساليب الأخذ والتأثير ، تعجب غاية العجب ، ولا تجد له تعليلا يقبله العقل إلا في أن للإسلام سلطانا على العقول خارقا للعادة بحيث تدن له منقاداة إليه متى عرض عليها فلا تجد بدا من الإذعان له .

وقد أبان الإسلام عن هذا السلطان نفسه في كل مكان اتصل به المسلمون قديما وحديثا ، فلقد اعترف دعاة المسيحية أنفسهم بأنهم قد يلبثون في الأقطار النائية عشرات السنين فلا ينجحون إلا في كسب أفراد يأوون إليهم طلبا لرفه العيش ، حتى إذا قدم إلى هذه النواحي بعض تجار المسلمين وشرح للناس ما عليه الإسلام من السباحة دخلوا في الإسلام أفواجا ، وسرعان ما يكتسح بدعوته الجماعات التي تتصل به ، مع أن هؤلاء التجار لم يتخرجوا في أساليب الدعوة ، ولم يملكوا من الفواتن بعض ما لا ولئك الدعاة الفنين ، حتى كتب الكردينال لا فيجى الفرنسى منذ أمد قريب أن الدعوة المسيحية قد فشلت في إفريقيا بمزاخرة الإسلام لها ، وأن الإسلام قد ربح في القرن الماضى نحو ستين مليونا من الأتباع الصادقين .

هذا كله يرجع إلى طبيعة الإسلام نفسه ، من سلامة العقائد ، وارتكازها على العقل

وأصالة أصوله ، وارتباطها بمصلحة الفرد والمجتمع ، وبخلوص مبادئه من العناصر التي لا يسيغها الطبع ، وبمسيرته للتطورات التي تدخل فيها الأمم محفوزة بناموس الارتقاء ، فهذه المزاي كلها متى أدركها الانسان اضطرت فطرته الى الميل اليها ، وتغابت على تأثير الوراثة فيه ، فخلع ربقتها وانقاد اليه طوعا .

وفي رأينا أن الأمم المتقدمة متى أدركت الاسلام على وجهه الصحيح كان تأثيره عليها أشد من تأثيره على غيرها من الأمم التي لم تتطور في العلم ، ومن هنا نعتقد أن الاسلام ستصبح له الدولة في العالم كله كما وعد به كتابه الكريم في قوله تعالى :  
(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْخَقَ أَوَّلَهُمْ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

## الترفع في غير كبر وحفظ كرامة العلم

رويت أبيات في هذا المعنى لعلى بن عبد العزيز القاضي تعتبر من عيون الشعر ، نرويه عنه في هذا المعنى :

يقولون لي فيك انقباض وإنما	رأوا رجلا عن موقف الذل أحجبا
أرى الناس من دانا هم هان عندهم	ومن أكرمه عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما	بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني	ولا كل من لا قيت أرضاه منعا
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى	ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنه عنها عن بعض ما لا يشينها	مخافة أقوال العدا فيم أولما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لا قيت لكن لأخدما
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة	إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما

## انا لله وانا اليه راجعون

ننعي الى قراء هذه المجلة زميلا كريما ، وأخا وفيا ، طالما غذى هذه المجلة ببحوثه القيمة ومقالاته الشائقة ، وفتاواه المدققة ، هو الاستاذ النابغة خريج الازهر المعمور الشيخ طه حبيب فشق نعيه على أسرة هذه المجلة ، كما شق على زملائه في القضاء والتدريس ، ورصفائه أخيرا في المحاماة .

كان رحمه الله غزير المادة ، بليغ القلم ، شديد العارضة ، شديد الراي ، قويم السيرة ، تقيا ورعا ، فان كنا قد فقدناه فقد فقدنا فيه كائنا مبدعا ، وعالما ثقة ، ومحاميا نزيها ، فكان مصابنا فيه عظيما فادحا ، وخسارتنا به كبيرة باهظة .

خدم الفقيد رحمه الله التدريس بالازهر فكان عالما يهتدى بهديه ، وعالما يعشى الى ضوئه ومنهلا عذبا يغترف من فيضه . واشتغل في تحرير هذه المجلة ، فكان قراؤها يستهدون بعلمه ويستنيرون برأيه ، وعمل في القضاء ، فكان فيصلا يفرق بين الحق والباطل ، وفي المحاماة ، فكان يكشف المعاضل ، ويفض المشاكل ، وخالط الناس ، فكان مثالا في كرم الخلال ، وشرف الخصال ، محبوبا من السكافة ، وهذه غايات لا يبلغ إليها إلا الآحاد الموفقون .

فاذا استدرنا عليه اليوم رحمة الله فأنما ننساق الى ذلك بقلوب يعمرها الاخلاص له ، والضن به ، أسكنه الله فراديس جنانه ، وعزى فيه خاصة أهله وجميع إخوانه ، وأغدق عليه من نعمائه ما يكون كفاء فضله ، وإزاء عمله ، وجزاء عمله ، إنه ولي الصالحين .

---

## كتاب الشريعة الإسلامية

---

انتدب أحد قضائنا الأماثل حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الزين قاضي محكمة كفر الدوار وأبى حمص لوضع كتاب جامع في الشريعة الإسلامية ينحويه نحوها جديدا يكشف به عن أسرار الشريعة ويجعلها سهلة المأخذ على المعاصرين . وسيدأ عمله بالقاء محاضرات في مبادئ العامة . فنحن نترقب سلسلة تلك المحاضرات لنوفيهما حقها من التتويه والثناء . جزاه الله عن الدين خير ما يجزى به أوليائه الصالحين .

« وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“And if they incline unto peace or surrender, incline thou also unto it and treat with them and put thou thy trust in Allah and have no fear of treachery, for Allah and is cognisant of their intentions.”

(Baidawiy's Commentary)

The mighty cry which resounded in Arabia calling to universal brotherhood of nations for the first time in the history of the world, still reverberates into the ears until to-day. Evolution has forcibly urged nations to try the adoption of this principle. The conferences which are held for the limitation of armaments and the conventions that are made by nations to stop war being used as a means to secure their objects, are nothing short than the fulfilment of that great principle which Islam had proclaimed nearly fourteen centuries ago.

The principles of Islam are one and all great ideals which we will discuss in detail in the articles to follow for the enlightenment of mankind and the completion of the edifice of goodness in the world.

---

amount of a force, otherwise the mission of Islam would have been a failure and no trace would have been left of it.

On account of the open prohibition of war ordained by Christianity, it continued in a weak condition for over three hundred years. The Roman Emperors were wont to put to death all its adherents, dismember them while they still lived and hunt them down like animals wherever they went.

When Constantine, whose mother had embraced Christianity, and secretly brought him up as a Christian, came to the throne, he used force to propagate this religion and gave orders to pull down the pagan temples and forced people, under penalty of torture, to embrace it. The ascendancy of Christianity goes back to that date and for this very same reason, it is firmly established up to this day in many parts of the world.

Should Islam have contented itself with preaching without having recourse to force, it would have been restricted within the Peninsula and the unbelievers would have forced its adherents to forsake it.

Even if it were spared annihilation, Islam would have found itself in a similar position as that of the Religion of Abraham which was preached by a few men scattered throughout Arabia of whom no trace could be found among human communities.

But although Islam had prepared for war, yet it had certainly mitigated a great deal of its severity and rendered more humane the laws pertaining to it. A just code was established by Islam which definitely prohibited aggression. Indeed, the greatest merit in favour of Islam is that it did not ordain war for despoiling nations or levying tributes thereon, but it was wielded as a means for the propagation of the word of Allah among nations. Never before had any nation waged war for this reason. Wars were waged to subjugate people, appropriate their wealth and products and finally take full possession of everything in the land.

Yet withal, The Lord had commanded His Prophet to make the universal welfare of men the object of all his wars, and if nations wished for peace one day for any consideration, it is incumbent on him to acquiesce to their demand and to sheathe the sword depending for the propagation of the Faith on other means for thus saith The Lord :

By “the most pious among you,” is meant the one who fears Allah most and fully carries out His commandments taking Him for a pattern so that he may be His viceregent on earth.

It was with this high principle that racial partisanship was laid low, and nationalism was extirpated from its very roots.

Social differences fell to pieces and nothing remained which could obstruct the desire of men to live together in brotherly co-operation, except the tendency to contention which has become well-nigh instinctive in some souls on account of the misguided teachings and pernicious traditions in which they were steeped.

It is the mission of Islam to exterminate such taints and purge the hearts of men of their pernicious effects by the inculcation and the propagation of its teaching with every fair means:

« وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية تفلا عن البياضوى

“Let there be from among you a people who call unto Islam, enjoin the good and forbid the evil and those will be afforded complete success.”

(Baidawy's Commentary)

And now that we have come to this point, some one might raise an objection: If Islam call to universal brotherhood of nations as well as to universal unity and peace among men so that they may devote themselves to attain personal and social perfection, then why did it have recourse to war? Why did it seek expansion in neighbouring countries? and why did it flood near and distant people the way it did? Why did it not content itself with evidence and proof in calling those people to its cause? and why did it not seek to win their approval by mere conviction and good example?

Our answer to this objection is that Islam is primarily a religion which conforms to the laws of nature as well as to the social factors governing life. Up to the advent of Islam, those laws and factors required a certain

smoothing down the hardships of life and strive to attain the welfare and prosperity of the human community at large.

This will put an end to contention which leads to war and can only result in destruction. War is a ceaseless strife and victory oscillates from one nation to another and should war be waged for purely material ends, it will only serve to fill the hearts with hatred and increase the desire for vengeance.

All this will lead to the repudiation of law and order and eventually to the disruption of the whole social structure throughout the world. The vital forces of nations will be spent in conspiracies and intrigues and the anticipation of defeat for one another. Should such a spirit prevail, the world will be thrown into a vast battlefield in which the sword is for ever unsheathed and man is maddened beyond recall.

But what if that terrible state were changed into universal brotherhood and peace?

Would not the moral forces of nations be directed to the end for which they were created: the establishment of universal good throughout the world?

It is here that the mind conceives the greatness of this principle and is urged by the force of this conception to accept it unhesitatingly were it not for the vestiges of traditional partisanship which influence every people to claim that it is the most worthy of honour and leadership and that its race is the greatest among human races while others should remain in bondage as vassals thereto.

Here the second great principle of this Koranic verse comes forward:

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“Verily, the most worthy of honour among you, in the sight of Allah, is the most pious; Allah is all-knowing and cognisant of your innermost thoughts.”

(*Baidawwy's Commentary*)



ciple to call them thereunto even though he evoked derision and was not heeded by the ignorant ones :

« فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“Wherefore proclaim what thou hast been bidden and heed thou not what the polytheists say.”

(Baidaway's Commentary)

The mere declaration of this noble principle in a world in which everything urged to discord and disunion is in itself a mighty evidence of its divine origin, for indeed the philosopher's mind, no matter how high it soars, could never have overstepped its bounds as to conceive such a universal principle at a time in which circumstances urged to its very reverse!

This universal brotherhood proclaimed by Islam may well be considered a herald of a new era in the history of nations, and a prelude to further universal Koranic principles calculated to achieve the unification of human views and objects.

We could not however leave off this subject without alluding to the beauty of the convincing style in which this great principle, like every other principle preached by the Holy Koran, is couched.

The Lord has first called the attention of mankind. Then He reminded them of the origin from which they have come advancing thereby the proof before the facts, a procedure which is acknowledged as the highest of rhetorical and convincing styles. For indeed who could deny that all men, despite their difference in environment, colour and mode of life, are the sons of Adams and Eve ?

This reminder which overrode all the barriers raised by men and trampled over the prevailing customs and traditions which have long caused it to fall into abeyance, urges the souls to listen attentively to what is to follow, and thus prepared, the souls are apprised with the object of this reminder, namely that The Lord has made men into peoples and tribes so that they might know one another, live amicably together, cooperate in

atmosphere, that Mohammed Ibn Abdallah, was born on the 29th of August 570.”

Indeed! the Arab nation itself was no less divided and contending than the rest of the world. Through tribal division, it formed a collection of antagonistic communities which knew no peace and were for ever on the war-path. The Arabian Peninsula was a vast battlefield on which all the dictates of love and mercy were completely ignored so much so that a man was to clout his sandal from the very skin of his enemy after having him slain and mutilated.

It was in that chaotic era, in that atmosphere of stygian darkness and ruthlessness, that The Lord bade Mohammad to raise high the standard of universal brotherhood and to establish for mankind the foundation of that unity. The Lord's saying was thus revealed to him:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ،  
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

ترجمة تفسير هذه الآية فقلا عن البيضاوى

“O, men! Verily We have created you all of Adam and Eve, and We have made you into peoples and tribes that ye might know one another and boast not of your lineage. Verily the most worthy of honour among you, in the sight of Allah, is the most pious; Allah is all-knowing and cognisant of your innermost thoughts.”

(Baidawy's Commentary)

The Arabs among whom this high and noble principle was preached, were most proud of lineage and boastful of forefathers. Each tribe claimed the greatest honour for itself in that respect and so much indeed had this tendency been exaggerated among them that they were wont to establish the pedigree of their camels and horses to raise them thereby above all others of their kind. The reader may well imagine their disdain for other distant peoples and tribes differing from them in colour, language and traditions.

Yet the Lord had sent the last of His Prophets with this high prin-

nations was so difficult that it was well-nigh impossible to bring them all together to one universal religion. This privilege was destined by The Lord to be granted to Islam in whose time intercourse between nations was rendered feasible. The Divine Wisdom has seen fit to afford it all the qualifications and advantages which make it a universal religion fitted for all times and climes.

Was the world then at the advent of Mohammed in need of a violent blow from heaven to urge it to unity, or a wrathful cry from on high to stop the misguided in their career of sin and aberration?

We may well leave the answer of this question to a foreigner, the great French orientalist Monsieur Jules Le Baum. In the introduction to his index of the Holy Koran, he described the world's conditions prior to the advent of Mohammed in the following terms :

“At about the time when Mohammed was born, the world was seething with trouble and unrest.”

He then began to detail the generalities of this statement pointing to the animosity and contention which raged fiercely between nations:

“The world's atmosphere was charged with fierce vibrations. Evil was more counted upon than good and the minds of men were not at rest. The chiefs who won most of the confidence of the people, were those who raised the strongest war-cry. Only one argument touched the hearts and made strong though passing convictions : the booty, despoiling of nations, cities, lords, men of arms, poor labourers and even simple mendicants.

Had it not been for the small light which flickered in the depths of some cells of cenobites, and for some philosophic principles sheltered from the raging storms and transmitted from soul to soul by the bold apostles of progress, barbarism, accelerated in its march by the arrogance of the masters of brutal force, would have become pure savagery.”

After long dwelling on the condition that then prevailed, the writer said:

“It was during those sad circumstances, and in that heavily charged

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD <sup>(1)</sup>

---

#### II.

#### DECLARATION OF UNIVERSAL BROTHERHOOD OF NATIONS.

Following the proclamation that it is the true Faith, and the inculcation of the twofold basis of human nature and pure reason on which it was founded, Islam sought to introduce a momentous social reform requisite for a great civilisation which The Lord has willed Islam to establish on earth. This momentous reform was the calling of mankind to universal brotherhood. For though Islam did not differ, in its doctrinal principles, from the first faith revealed to previous Prophets, yet it was favoured by certain circumstances which anterior religions lacked. Intercourse between

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامى فى العالم

— ٥ —

نعيه على مبدأ التقليد الأعمى

لم يُمن المصلحون فى جميع العصور ، وفى كل أدوار التاريخ البشرى ، بعقبة أقوى مراسما من عقبة التقليد الأعمى للآباء السابقين ، وللقادة المحتكرين الدين ، فكان هذا الجود سببا فى بقاء أديان محرقة الى هذا العهد ، يعتبر بقاؤها خزيا للعقاية الانسانية ، كما كان سببا فى استمرار وجود طوائف تستغل جهالات شعوب كانت تصلح لأن تأخذ مكاناتها من مجموعة الأمم الناهضة ، فبقيت لهذه العلة فى الظلام البهيم الى العهد الحاضر . لا يدرك مبلغ تأثير التقليد الأعمى فى حياة الشعوب ، ومقدار ما يجنيه على أهله من مجافاة المنطق والعلم ، ولا يفهم معنى قولنا إن بقاء ذلك يعتبر خزيا للعقاية البشرية إلا من يعنى بدراسة الأديان التى يدين بها السواد الأعظم من الأمم المعاصرة لنا ، والفروع التى اشتقت منها ، ويبلغ عددها بضع مئتين .

فأول ما تصدى الاسلام له بعد تقريره العقائد الأولية ، عادة التقليد الأعمى للأسلاف والقادة ، دون عرضها على محك النظر ، وزنتها بقسطاس العقل المستقيم .

نعم : إن هذا المنطق الاعتقادى ما كان يمكن إشرابه للعقول فى الأجيال السحيقة المظلمة التى لم تبلغ رشدها بعد ، ولسكنها بعد أن بلغت هذا الرشد فى الأجيال التى تلتها ، كان وجوده فى الدين العالمى العام من ألزم لوازمه ، فلذلك شرع الله هذا الأصل فى دينه الأخير ، لامواتاة لهذا التطور العقلى الخطير خصب ، ولكن لا يقاظ العاطفة الدينية أيضا فى نفوس الجماهير .

إن من يُعنى بالبحث في الشؤون الإنسانية في عهدها الأخير يجد أن النفوس قد خلعت شكائهما، وأن الشهوات قد أفتكت من عقابها، وأن الفتنة قد ركبت رأسها، واشتطت في جراحها، وأن العاطفة الدينية، وهي القوة المعنوية العليا المعدلة لهذه التطرفات، قد ضعفت عن أداء وظيفتها عند كثير من الأمم حتى ظنت بها الظنون عندهم، ولذلك التمس بعضهم طريقاً آخر للتخلص من هذه التطرفات، وبعضهم ذهب إلى تماس معدل غيرها من العلم، أو من سلطان الرأي العام، أو من غريزة بشرية أخرى. ولكن الذي يتعمق في دراسة العلل الأولية يدرك أن العاطفة الدينية هي أصلح الغرائز الإنسانية لمعالجة هذه التطرفات، وأنه لا يوجد أقوى منها تأثيراً في النفوس. فإذا كانت قد ضعفت عن أداء وظيفتها عند بعض الأمم، فإننا اعتراها هذا العرض بسبب ما أصاب سلطان أديانهم نفسها من الضعف، وهي لم يصبها هذا الضعف إلا لأنه قد وقر في نفوس الدهماء أن بعضها مع ما حُمّلت من أوهام الأقدمين، وما طُبعت عليه من مجافاة العقل والنظر، أمور تقليدية يجب أن تؤخذ جملة أو تترك جملة، ولكنهم لو علموا أن هنالك ديناً ينعي على التقليد والمقلدين، ويدعو إلى النظر والعقل في الدين، ويبني عقائده على الحق اليقين، والدلائل المتين، ويقوم من هذا كله على أسلوب يفوق الأسلوب العالمي الحديث في سمو أصوله، ودقة تمحيصه، لقوى أملهم في عود سلطان الدين، ومتى عاد سلطانه تيقظت العاطفة الدينية في قلوب الآخذين به، واستردت قوتها في تعديل عوجهم، وتقويم أودعهم، وإقامتهم على جادة المدنية الفاضلة، والسكال الصحيح. من أجل هذا اشتد الإسلام في تذليل عقبة التقليد الأعمى للأولين، فعالج ذلك في ألوان شتى من البيان والتدليل، بحيث لا تدع لأهل الجلود مجالا للتعطيل، ولا لأنصار الاحتكار مطعماً في التضليل. وكان ذلك منه لإصابة أغراض ثلاثة: (أولها) ليتمكن هو من نشر الأصول الحميمة التي قصد بها إحياء البشرية في عهدها الأخير، ولا يحول دونها غير التقليد للأولين. و (ثانيها) ليحفظ للعاطفة الدينية قوتها الذاتية

لنستطيع بها تأدية وظيفتها في ضبط النفوس، وكبح جماح الشهوات، وصد تيار الفتنة عن اجتراف الجماهير، وذلك يجعل الدين مسيرا للتطورات العقلية، والثقافة العالمية. و (ثالثها) ليجعل أسلوب النظر الديني أرقى وأدق من أسلوب النظر العلمي، حتى لا يطنخي الأخير على الأول، فيكسف من جماله، ويغض من جلاله، ويجري الناس خلفه مفتونين به.

هذا مرام خطير رعى اليه الإسلام، لكيلا ينفرد العقل وحده بالسلطان على النفوس، مستقلا عن العاطفة الدينية التي جعلها الله معدلة للميول البهيمية التي تلازم الحالة البشرية، ولا تقوى أية ثقافة عقلية على كبحها، كما هو مشاهد ماموس. وهذا لا يتأتى إلا بإرغام العقل من طريق الحجة والبرهان على احترامها، وعلى الاعتراف بسلطانها، وهو لا يمتدح لها بذلك إلا إذا قامت على مثل ما يقوم عليه من وسائل التحصيل والتحقيق، وتجردت عن مثل ما تجرد عنه من آثار الوراثة والتقليد، التي لا يعززها دليل، ولا ينهض على إثباتها برهان عقلي أو محسوس.

استطاع الإسلام بهذا التدبير الخطير أن يؤاخي بين العقل والعاطفة الدينية لأول مرة في تاريخ الأديان، فتمكن من تأليف أمة تقوم على هذين الأصلين الكريمين، فتأدت الى أرقى ما يبلغه البشر في الحالين، فكما انتهت اليها زعامة الثقافة العقلية والعلمية في الأرض، انتهت اليها الزعامة الدينية فيها أيضا، وأصبح الإسلام أهلا لأن يؤسس أرقى مدينة فاضلة، دون أن يصطدم فيها العقل والدين، ودون أن يتدهور الناس في ميولهم وآدابهم الى الخضيض، كما هو الشأن في مدينة هذا العصر اليوم.

فلننظر الآن الى أي مدى بلغ الإسلام من إحكام هذا التدبير الجليل؟ شرع الاسلام والناس مستعبدون لما ورثوه عن أسلافهم من أديان باطلة، وتقاليد معطلة، لا يرغبون عنها حولا، ويعتبرون كل من يريد زحزحتهم عما هم عليه منها عدوا لدودا، لا شيء غير أنه يأتهم بإصلاح جديد.

فبدأ حملته عليهم بالإنذار والوعيد ، موقظا فيهم غريزة التعقل ، منبها إياهم الى النظر والتأمل ، وداعيا لهم الى الاعتبار بمصاير الأمم التي سبقتهم ، فلما تم له هذا التمهيد أخذ يهاجم العلة الرئيسية التي تصرفهم عن الأخذ بالجديد ، وهي تقليدكم الأعمى لما ورثوه عن أسلافهم الأولين ، وإن كانوا منه على ضلال مبين ، فقال تعالى في لون بديع من البيان : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمْى فهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) .

لقد مثل الله في الآية الثانية حال من أعماه التقليد ، فجعل من يدعوهم الى الخير كمن يصيح بالبهائم التي لا تفهم لدعاء الداعي معنى ، فهم صم بكم عمى لا يعقلون ، وذلك لشدة تمسكهم بما ورثوه عن آبائهم ، وتجنبهم التفكير والتعقل .

يقول الله : إذا قيل لهؤلاء الكافرين اتبعوا ما أنزل الله ، أجابوا داعيهم قائلين : لا ، بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا ، فرد الله عليهم منبها فيهم غريزة العقل بقوله : أفتتعبدونهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الى حق ؟ ثم صور حالتهم ذلك التصوير الذي لا يرضى به من لديه مسكة من كرامة ، استفزازا لهم لطلب المخرج مما هم فيه .

ثم عمد الى لون آخر من البيان لتحويلهم عن هذا الجود فقال : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ كَعَالُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ، قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) .

أي وإذا دعاهم داع الى ما أنزله الله من الهدى في القرآن ، أجابوه قائلين : يكفيننا ما ورثناه من العلم عن آبائنا الأولين . فرد الله عليهم قائلا : أفتقولون هذا وقد كان آبائكم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون سبيلا ؟



وفي هذا المقام طالبهم بما يدعون لأبائهم من العلم المزعوم فقال: (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا)؟ وقال في موطن آخر: (أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا، أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

ثم أخذ يفيض لهم في بيان مصير الذين يقلدون آبائهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فقال: (إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) (أى رجعة الى الدنيا) فَتَبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا، كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ).

وقال تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ، كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا، حَتَّى إِذَا آدَرَاكُوهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونا فَأَسْلُمُوهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ. وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ).

ينبه الله الناس بهذه الآية الى أن التابعين إذا احتجوا بأنهم مجنى عليهم، فلا يقبل ذلك منهم، لأن الله وهب الكافة عقولا وطالبهم بالتفرقة بها بين ما هو حق وما هو باطل، فكلهم يستوون في التبعة، لا تمتاز طائفة على أخرى فيها، ولما طلب المقلدون الى الله أن يضاعف العذاب لكبرائهم الذين قلدوهم، رد الله عليهم بأنهم وإياهم سواء في التبعة، وبأنه قد زاد كلا منهم ضعفا من العذاب، وهذا أبلغ ما يعرف من الزجر عن التقليد الأعمى والتسكع فيه.

وقال تعالى: (هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ، لَا مَرْحَبًا بِهِمْ، إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ. قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ، أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبُئْسَ الْقَرَارُ). ومعناه أن الملائكة في أثناء دخول الكافرين الى جهنم يقولون للزعماء: هذا فريق

مقتحم معكم النار، يريدون الذين كانوا يقلدونهم، فيقول هؤلاء الزعماء، لا مرحبا بهم، لقد كان لهم عقول يفرقون بها بين الحق والباطل، فزأؤهم مثلنا النار، فيرد عليهم أولئك المقلدون قائلين: بل أنتم لا مرحبا بكم، فإنكم الذين زينتم لنا هذا الضلال فاتبعناكم فيه، فبئس ما انتهينا اليه من المآل.

يريد الحق سبحانه وتعالى أن يبين لنا في مثل هذه الألوان الباهرة من البيان، أن القادة ومن تابع القادة سواء في سوء المنقلب، فلا ينفع الأخيرين أنهم كانوا تابعين لسوام، مادام قد منحهم الله عقولا يميزون بها بين الهدى والضلال. وليس بعد هذا مذهب في تصوير سوء مغبة التقليد الأعمى، وفي حض الناس على استعمال عقولهم فيما يليق اليهم من التعاليم.

بهذه الزواجر الأخاذة بالألباب، هدم الاسلام مبدأ التقليد الأعمى للآباء والأجداد، وأيقظ الشعور بالمسئولية الشخصية، فخلص الضعفاء من العبودية للأقوياء، وحطم حصن الاحتكار المنيع الذي كان يلجأ اليه المتصدرون لقيادة الدهماء.

إن الاسلام أراد بما هدم من أركان التقليد الأعمى أن يلاشئ حالة جاهلية كان الناس فيها مستعبدين لطوائف احتكرت فيهم العلم والدين، وتحكمت فيهم ما تحبكم السادة الأعلى، لا يطيقون فيه على ما يقولونه نقدا، ولا يقبلون في هيئتهم من ليس منهم وإن بلغ السها فهما، وملا طباق الأرض علما، وهي حالة متى رسخت أصولها في أمة أصبح العلم والدين فيها وقفا على طائفة تتلاعب بهما أهواؤها، وتحولها الى ما يوافق مصالحها وشهواتها، فاستحالا على طول الزمن الى مجموعة من أوضاع جامدة تحول بين الأمم وارتقائها، وتقف بها دون غاياتها.

هذا ما رعى اليه الاسلام، فتأدى أهله الى أكمل ما تتأدى اليه أمة من تعاون العلم والدين، وتأخى حاجات القلوب وحاجات العقول، فبلغوا مدى من الارتقاء أوجب لهم زعامة العالم قرونا طويلة، والأمل معقود أن تعود اليهم هذه الزعامة متى قاموا بحق هذا الدين المبين، والله ولي الصالحين

# النفس

## سورة النور

- ٢١ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ، فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) .

ما أحسن ما يحتم به تلك الأحكام البالغة ، والإرشادات النافعة ، والبيانات المفصلة فيما يتعلق بخالطة الناس بعضهم بعضاً ، فيختتمها ببيان حال المؤمنين بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يجب أن يكونوا عليه من الاستسلام وتام الانقياد ، وأن يتماسكوا في الارتباط به ، وألا يرغبوا بشئونهم عن مجالسته ، وأن يروا السعادة لهم كل السعادة في أن يستوفوا أكثر ما يمكنهم أن يستوفوه من رحمة الله تساق إليهم

عن طريقه ، فلا ينصرفوا عنها ، ولا يزهدوا فيها ، ولا يقدموا عليها غيرها . ولقد نوه بشأن هذه المحافظة على الاستفادة من مجالسه وعدم التفريط فيها حتى جعلها من مقتضيات الإيمان ، بل جعلها في المرتبة الثالثة بعد الإيمان بالله ورسوله ، فقال جل من قائل : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » .

وقد قيل في سبب نزولها : إن قوما من المنافقين كانوا ينصرفون عن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الخطبة ، لما كانوا يحسونه من الأذى والألم إذ يشرح حال المنافقين ، وهم يعلمون من قرارة أنفسهم النفاق ، فلا يطيقون سماع ما يعلمون أنه منطبق عليهم ، فيتسللون . وقيل : بل نزلت في تسليهم يوم الخندق إذ كان صلى الله عليه وسلم هو والمؤمنون مهتمين كل الاهتمام في حفره والاستعداد لمقابلة الأحزاب ومقاتلتهم ، وناهيك بقلبي العرب وقد تجمعوا من كل صوب يقصدون غزو المدينة ، حتى إنه عليه الصلاة والسلام كان يعمل بنفسه في ذلك ، تشجيعا للمسلمين ، وتقوية لعزائمهم ، وحفزا لهممهم ، فالانصراف في مثل هذه الحال من أشد الجرائم . والأمر الجامع عام في كل أمر مهم ، ديني أو دنيوي ، فيشمل الاجتماع للجمعة والعيد ، والتشاور في الحروب والاجتماع لها ، والاستعداد لدفع الطوارئ ، وما يماثل ذلك من مهمات الأمور . ومعنى كون الأمر جامعا أنه مدعاة للاجتماع للتعاون أو التشاور . فالانصراف في هذه الحالة جناية من المرء على نفسه ، حرمانها من المشاركة في عظام الأمور ؛ وجناية على المجتمعين ، لأنه يفوت في عضدهم إذا كان الأمر مما يدعو إلى التساند فيما بينهم ؛ وإيذاء لهم في شعورهم بوجوب تعظيم الشعائر الدينية واحترامها إذا كان الأمر دينيا محضا كالجمعة وخطبتها ؛ وإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان شديد الحرص على هدايم وسعادتهم ، وإعلاء كلمة الله ، وتوحيد صفوف الأمة ، وجمع الكلمة ، وتعظيم شعائر الدين . وكل ما فيه إخلال بشيء من هذا كان فيه إيذاء له وإيلام . فلا جرم جعل

الإيمان منوطا بالاستمسك بجبل جماعة المسلمين ، ومنع الانصراف إلا بإذن منه عليه الصلاة والسلام ، وذلك قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » فقد حصر المؤمنين حقا فيمن جمع هذه الصفات الثلاث : أن يؤمن بالله ، وأن يؤمن برسوله ، وأن يلتزم مجتمعه إذا كان في أمر مهم ، فلا يذهب حتى يستأذنه . ويكون من أخل بواحدة منها لا يستحق أن يكون في زمرة المؤمنين . وكفى بهذا في بيان آداب المؤمنين وما يجب أن يكونوا عليه معه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : « حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » أى ويأذن لهم إذا شاء ، على ما سيأتى في الآية التالية في قوله : « فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ » فإذا استأذنه ولم يأذن ، لم يكن لهم أن يذهبوا ، فليس الخروج عن العهدة بمجرد طلب الإذن ولو لم يصدر لهم الإذن ، وإلا لم يكن للاستئذان معنى . ولوضوح ذلك لم ينص عليه ، ألا ترى أنه يعد من السخف في الفهم أن ينصرف مرءوس عن عمله لمجرد أنه طلب الإذن من رئيسه ولو كتابة قبل أن يصدر له رئيسه الإذن المطلوب ؟ وإذا احتج بقوله قد استأذنت قيل له : فهل أذن لك ؟

ولقد أعاد جل وعلا هذا الحكم بأسلوب آخر ، فجعل المستأذنين هم الذين يستحقون الوصف بأنهم مؤمنون دون سواهم ، فقال عز من قائل : « إِن الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ لَيْسُوا مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَيْءٍ ، وَلَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَحْشُرُوا فِي زَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ . وَكَأَن فِي إِعَادَةِ ذِكْرِهِمْ بِقَوْلِهِ « أُولَئِكَ » إشارة إلى أنهم استحقوا وصف الإيمان بهذه الصفة التي ذكروا بها وهي الاستئذان ، فقد قال علماء البلاغة : إن التعبير عن الخبر عنه باسم الإشارة بعد وصفه بصفات ، يدل على أنه استحق الخبر المذكور من أجل تلك الصفات . ونظيره قوله تعالى : « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » بعد وصفهم بالإيمان

بالغيث ، وإقامة الصلاة ، والإيفاء بما رزقهم الله ، الى آخر تلك الصفات المذكورة في أول سورة البقرة .

ولا يذهب عنك أن مثل هذا الحكم وربط الايمان ببعض الأعمال لا يراد به أن كل من خالف هذا العمل كان كافراً ، بل ذلك من المبالغة في التنويه بالحكم ، والحث على رعايته ، وشدة الاستمساك به ، وله نظائر كثيرة في الكتاب والسنة . ويصح في هذه الآية الكريمة أن يحمل ذلك على نفي الايمان عن أولئك المنافقين الذين كانوا يتسللون من حضرته صلى الله عليه وسلم ، فتكون الآية لبيان علامة بها يعلم المنافقون الذين يندسون في وسط المؤمنين ، ويتظاهرون بأنهم آمنوا وهم في الحقيقة كاذبون . وقوله تعالى : « فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم » يفيد جملة أمور : ( أولاً ) أن الاستئذان لا ينبغي أن يكون لكل شأن طراً ، بل ينبغي قصره على بعض الشؤون ، وذلك بالضرورة هو المهم منها . و ( ثانياً ) أن الإذن وعدم الإذن موكول الى مشيئته صلى الله عليه وسلم . ومعلوم أن مشيئته عليه الصلاة والسلام مشيئة عن رأى وروية ، وتقدير مصالحة ، وتمييز ما يستحق الإذن وما لا يستحقه ، وليست مشيئة الهوى والتشهى . ومن هذا يؤخذ أن بعض الأحكام يصح أن يسند لما يراه عليه السلام من المصلحة ، فلا يقيد بحكم بعينه . ولعل مثله عليه السلام في ذلك من يوكل اليه أمر جماعة المسلمين ، فينيط الحكم بما يراه من المصلحة التي تتغير وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والملابسات . و ( ثالثاً ) أن الأولى والأحق بالمؤمنين أن يتحاشى عن الانصراف ولو بإذن ولو في شؤون الشخص المهمة ، فالمصلحة العامة للمؤمنين والأمر الجامع أحق بأن يتفرغ له ، وأن يقدم على الشؤون الخاصة .

تفهم هذا من قوله تعالى : « واستغفر لهم الله » فإنها تفيد أن هذا الاستئذان من حقه أن يستغفر منه مهما كان داعيه . وفي ذلك حث عظيم على الاستمساك بما يدعو اليه

صلى الله عليه وسلم من الاجتماع ، وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة . وما أحق المسلمين بأن يتفهموا هذا ويفقهوه على وجهه ، ويروضوا أنفسهم على العناية بأمور الجماعة بدل أن يقصر كل امرئء همهم على مصلحة نفسه !

وقوله تعالى : « إن الله غفور رحيم » فيه تلميح للمسلمين والمسلمات وتحفيز الحرج عن نفوسهم ، لكيلا يقعوا في العنت ويضيقوا على أنفسهم ، فيهملوا مصالحهم الخاصة إهمالا كبيرا . فهى كتخفيف للشدة التى قد تفهم من قوله عز وجل : واستغفر لهم الله . ومعناها أن الله كثير المغفرة واسع الرحمة ، فلا يكافكم من أمركم رهقا . وكون الاستغفار صادرا من النبي صلى الله عليه وسلم مما يقوى هذه الطمأنينة ، فترى فى قوله واستغفر لهم الله أمرين : ( الأول ) تصوير هذا الموضع بأنه مما يستغفر منه ، فحقهم ألا يغرقوا فيه كثيرا . و ( الثانى ) أنهم إذا راعوا ذلك فإن المغفرة مضمونة لهم ، فالمستغفر هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار منه بأمر الله ، وفى ذلك أعظم طمأنينة .

واعلم أن مثل النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الحكم كل من له ولاية عامة على جماعة من المسلمين فى أمر دينى أو دنيوى بحيث يجب عليهم طاعته فى ذلك ، فإنهم إذا كانوا على أمر جامع فلايس لأحد منهم أن ينصرف عنه حتى يستأذنه ويأذن له ، وإن كان ذلك المستأذن يشعر بأنه ليس له عمل فى الحال ، فقد يكون ذلك المنوط به تدير الأمر الجامع قدرتب فى نفسه عملا لهذا المريد للانصراف ، أو يطرأ عليه من الشؤون ما يحتاج معه اليه ، فللأعمال العامة طوارىء ليست فى الحسبان عادة ومثل الأعمال العامة لجماعة المسلمين الأعمال التى يشترك فيها فئة من الناس بطريق التعاون والتساند ، فإنها تأخذ هذا الحكم بحسب مالها من المقام الذى يوجبها أو يؤكدها . فقاعدة ( وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ) قاعدة يجب أن تراعى عند كل القائمين بالأعمال المشتركة التى يناط أمر تديرها بواحد يرأس أولئك القائمين بها .

(لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) :

زيادة في الحث على التزام الطاعة وملازمة الجماعة التي اجتمعت لأمر جامع، وتنبيه إلى خطر الموقف، وأنه ليس كبقية المواقف، فليس دعاء الرسول إياهم أن يجتمعوا ليتشاوروا أو ليتعاونوا أو ليقوموا بأى غرض مهم من أغراض الدنيا أو الدين - وغرض الدنيا المراد به المصالح العامة، فهي راجعة أيضاً إلى الدين، والمراد بغرض الدين المقابل للعبادة الصرفة - نقول: ليس دعاء الرسول إياهم لذلك كدعاء بعضهم بعضاً في الشئون التافهة المبنية على التسامح من الجانبين، فلا يبالي الداعي أجيب أم لم يجب، ولا على المدعو في أن يجب أو لم يجب، بل هذا أمر خطر يتعلق بمصلحة لها الأثر العظيم. وذلك هو الشأن فيما يدعو إليه صلى الله عليه وسلم، وكذلك ما أشبهه وأخذ حكمه من دعاء إمام المسلمين أو من ينوب عنه في تدبير أمر من أمور الأمة، فقد أوجب الله طاعته كذلك، فالمراد بدعاء بعضكم بعضاً فيما لا ولاية فيه لأحد على أحد من قبل الحق جل وعلا، فتمت الولاية الموجبة للطاعة جاء معها هذا الحكم. والله أعلم.

(قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) :

هذا وعيد لمن تحدّثه نفسه بالانصراف خفية وخلسة، فسدّ في وجوههم طريق التفكير في هذا، وبين لهم أن من تحدّثه نفسه بأنه يستطيع الانصراف خفية هل يظن أن يستخفى على الله وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟ وأنه هو الذى أمر وأوجب، فمن حاد عن أمره فإنما عصاه هو، وليس العصيان واقفاً عند حد الخلق الذى حسب أن يختلس نفسه منه.

والتسلل: الخروج من البين على التدرّج والخفية. واللواذ: مصدر لاوذ، مأخوذ من لاذ به يلوذ أى التجأ إليه، كأنهم كانوا فى تسللهم يلوذ أحدهم بالآخر يتستر هذا بذلك وذلك بهذا، أو يخرج واحد كالمعتذر والثانى كالتابع له. وهذه الطرق تشاهدها فى الكثير من الناس إذا انصرفوا عن مجتمعين، فإن كل منصرف يشعر بأنه مقترب نحو المجتمعين ذنباً بخروجه، فيترقب أن يوجد من يلوذ به حتى ينسل معه، وربما اتفق



اثنان أو أكثر على أن يبدأ واحد منهم ويتبعه غيره ، فيشد كل منهم أزر صاحبه في مقارفة ذلك الذى ينكره عليهم المجتمعون . فكلمة لو اذا تحدد بالضبط هذا الشعور ، وهو أن كلا منهم يلوذ بصاحبه ، حتى إن المتقدم كأنه يتستر بمن يليه ويشاركه فيما اقترف ، وقد يكون أحدهما لا ذ بالآخر دون أن يلوذ الآخر به ، فقد روى أنه كان بعض المسلمين يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم لعذر لحقه كرعاف أو غيره ، فيشير الى النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه التي تلى الإيهام فيأذن له النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج ، فيخرج معه الرجل من المنافقين لأندأ به ، إما بتستره به ، أو بالتظاهر بأنه من أتباعه .

( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) : زيادة في تعظيم الأمر وتهويل الخطب ، وأنه ليس من الهنات الهينات ، بل يحشى منه ما ليس لكم على بال ، فرب أمر استصغرت به وإذا به يحجر الوبال والمصاب الكبير . وما أحق هذا الموضوع بأن يكون من هذا القبيل ! ولنضرب لذلك مثلاً : هب أن الأمر الجامع كان غزوا وربط له جيش كبير ، فتحدث بعض الجند بنفسه بأنه في هذا الجمع كقطرة في بحر ، فينصرف بلا إذن ، فيتسلل معه آخر يلذ به ، وقد يكون الخاطر بعينه خطر إغيرهما فيشجعه عملهما على أن يقتدى بهما ، فتوجد ثغرة في الصفوف يكون منها النكبة على الجميع . وليس الأمر قاصراً على الحروب ، بل تجد المصالح المشتركة يرتبط بعضها ببعض ، ويتوقف كبيرها على صغيرها ، ويعطل تافها خطيرها . فالحالفة مهمما استسهلها صاحبتها في الأمور العامة قد تجر الى الضرر العظيم ، فكان المقام حقيقاً بأن يؤمر الذين يعتادون المخالفة أن يرقبوا ما يصيبهم من الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة . والفتنة تتنوع بحسب الأمر المجتمع عليه ، فقد تكون القتل ، وقد تكون التعذيب ، وقد تكون المذلة والمهانة ، وقد تكون تضيق الرزق وأمثال ذلك ، مما يتعرض له المرء بالمخالفة . والعذاب الأليم فسر بعذاب الآخرة ، وكلمة (أو)

لا تمتنع اجتماعهما . هذا وفي الإتيان بلفظ (عن) في قوله « يخالفون عن أمره » تضمنين يخالفون معنى يصدون ويعرضون ، وهى فى تقطيع المخالفة أبلغ من قولك : يخالف أمره ، لما تشعر به كلمة (عن) من الابتعاد والإعراض .

قال الله تعالى : ( ألا إن الله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ) :

هذا أحسن ما يختص به هذه الأوامر والتكاليف ، فيبين فى ختامها أنها صادرة من مالك الأمر كله ، المتصرف فى ملكوت السموات والأرض ، الشاملة قدرته لجميع الموجودات إيجادا وإعداما ، بدءا وإعادة ، إحياء وإماتة ، فهى بأسرها فى قبضة يمينه خلقا وتصرفا وملكاً ، فله الأمر وله الملك ، وهو على كل شئ قدير . فمن ذا الذى يستطيع أن يتعرض لعقوبته بمخالفة أمره ، ومن ذا الذى يخرج عن قبضته وهو مالك بناصيته ؟ هذا قوله : « ألا إن الله ما فى السموات والأرض » أى فأنتم مندمجون فى ملكه ، مشمولون بسلطانه . وأما قوله : « قد يعلم ما أنتم عليه » الخ ، فهو تهديد من ناحية أخرى وهى ناحية العلم ، فهو يقول : إنكم مع شمول القدرة لكم من جميع نواحيكم فإنه لا تنفى عليه منكم خافية ، فهو يعلم ما أنتم عليه ، يعلم سركم ونجواكم ، يعلم ما تبدون وما تكتمون ، يعلم ما تعملون وما تفكرون ، فيجازى كل عامل بما عمل ، يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، حتى تقوم عليهم الحجة ، ويعترفوا بذنبهم ، ويعلموا أنه قد أحصى عليهم كل صغيرة وكبيرة ، والله بكل شئ عليم . وفى الإتيان بلفظ الجلالة مظهرا معنى تربية الروعة والمهابة ، ليحمل السامع على تمام الامتثال والخضوع لأحكامه ، استعدادا لثوابه ، وحذرا من عقابه ، وحياء من جنابه .

نسأله تعالى أن يجعل طاعته شعارنا ، والزلفى إليه طريقنا ، وأن يهدينا بهديه ، وأن يرزقنا رضاه ورحمته ، إنه سميع الدعاء ، مجيب النداء ! وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

## دحض مفتریات المستشرقین

نشر بعض المستشرقین کتابا فی أوروبا أُلِّموا فیہ بذکر إبراہیم علیہ السلام ، واستطردوا من ذلك الى التعرض لما ورد عنه فی القرآن الکریم ، مما خیل الیہم أنه یصح أن یعتبر شہات علی کتاب اللہ فیما ذکرہ عن والد إبراہیم ، وصلة إبراہیم بولده إسماعیل علیہما السلام ، وعن بناءہما الکعبة ، وعن نسبة العرب الإسماعیلیة الى هذا النبی الکریم الخ . ونحن نلخص تلك الشہات ، ثم نکر علیہا بالرد ، إحقاقا للحق ، وإزہاقا للباطل ، فنقول :

قال هذا المستشرق ما ملخصه :

(١) إن ما ورد من اسم والد إبراہیم فی القرآن ینافی ما ورد عنه فی التوراة ، فإن القرآن أسماه ( آزر ) والتوراة دعتہ ( تارخ ) .

(٢) إن شخصية إبراہیم مرتّ فی القرآن بدورین ، فقد ذکر عنه فی أولہما بالسور المسکية أنه رسول کسائر الرسل ، أرسل لقومه المعاصرين له ، ولم یذكر له صلة بإسماعیل ، وصرح فیہا بأن العرب لم یرسل الیہم قبل محمد صلی اللہ علیہ وسلم من نذیر ، ولم یذكر عنه فی هذا الدور أنه أول بانٍ للکعبة ، ولا أنه أول المسلمین .

فلما انتقل رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم الى المدينة تغيرت الحال ، فجاء ذکر إبراہیم فی السور المدنية مشفوعا بأنه مؤسس لملة لا یرغب عنہا إلا من سفہ نفسه ، وأنه حنیف مسلم ، وأنه هو الذی بنی الکعبة ومعه ابنه إسماعیل .

قال : وسر هذا التطور أن محمدا کان قد اعتمد علی اليهود فی أول أدوار دعوتہ للإسلام بمكة ، فلما لم ینصروه التمس نصیرا غیرہم بتلك الدعوى .

فہداه ذکاؤہ الوقاد الى إعلان أن إبراہیم أب للعرب ، نخلص بذلك من یہودیة

عصره ، الى يهودية إبراهيم نفسه ، تلك اليهودية التي يزعمون أنها أساس للإسلام الذي انتدب لنشره .

فأما أصبحت مكة تشغل جُلّ تفكير الرسول ، نسب الى إبراهيم إقامة بيته لبيت الله الحرام بمكة .

هذه شبهات أولئك المستشرقين ، ونحن نكر عليها بالدحض بحسب ترتيبها فنقول :  
أما عن الخلاف الموجود بين القرآن والتوراة في اسم والد إبراهيم ، فلم يجعله خلافاً غير هذا المستشرق ، إذ لم يعلنه أحد قبله ، وكان أحق بهذا الاعلان وبالطعن به اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أحرص الناس على إبطال دعوته ، وصرف الناس عن رسالته . وكانوا من أجل ذلك يترصدون لجميع ما يبدر منه من أقوال وأفعال ، ليتخذوا من بعضها وسائل للإرجاف ، وذرائع للخلاف . فلو كانوا رأوا في مسألة والد إبراهيم وجهاً لا إثارة شبهة للملأوا الجوبها اعتراضاً ، ولا تحذوها تكأة قوية لهم للتشكيك في القرآن . فأما وقد مررت عليهم هذه التسمية ولم يتشبث بها أى معترض ممن كانوا يناوئون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعنى ذلك حتماً أنها لا تستدعى أقل التفات ، ولا تثير أوهى شبهة .

فلقد مررت على وجود هذه التسمية أحقاب متطاولة ، واحتدم الخلاف كثيراً في أدوار شتى بين المسلمين واليهود ، في الدين ، وفي الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وتهيأت ظروف كثيرة للإرجاف والتشنيع من المنافقين واليهود ، كل هذا حصل ولم يستطع أحد من هؤلاء الخصوم العتاة أن يتمسك بما يسميه المستشرق اليوم خلافاً بين القرآن والتوراة .

أفلا يدل هذا قطعاً على أن كلمة (آزر) كانت تطلق في ذلك العهد وقبله على (تارخ) إطلاقاً صحيحاً شائعاً بين العرب واليهود ، فهو إما أن يكون لقباً عرف به والد إبراهيم ، أو صفة غلبت عليه فخرت مجرى العلم ؟

إن هذا المستشرق يفترض أن محمداً كان يعتمد في نشر الاسلام على يهودية إبراهيم المزعومة ، فهل يعقل أن يخطئ في اسم أبيه وهو بين ظهرائي ألوف مؤلفة من اليهود ، وفي أيديهم التوراة مترجمة الى العربية ، وذكر إبراهيم ذائع بينهم كل الذبوع ، ويسهل عليه أن يعرف اسم أبيه من أى طريق شاء ؟

هذا ما يتعذر فهمه كل التعذر ، ويسوغ لنا أن نقول : إنه ليس لهذه الشبهة قيمة على الاطلاق .

فلننظر الآن في بقية ما نشره ذلك المستشرق من الشبهات ، وهو أن شخصية إبراهيم قد مرت بدورين : فاعتُبر أولاً واحداً من المرسلين ، ولم تذكر له صلة بإسماعيل ، وصرح القرآن بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم من نذير ، ولم يذكر عنه أنه أول بان للكعبة ، ولا أنه أول المسامين . فلما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة تغير ذلك كله ، فاعتُبر إبراهيم حنيفاً مسلماً ، وعدّ مؤسساً لملة لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه ، وأنه بنى الكعبة مع ابنه اسماعيل ، الخ .

رتب هذا المستشرق هذه الخيالات يقصد من وراءها أن يقول في صراحة : إن القرآن الكريم ليس من كلام الله وإنما هو من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه قد اتخذ فيه مارآه من ضروب السياسة ومصالحته الشخصية أمام العرب «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» :

ونحن نقول : إن هذا الكلام قد أملاه على قائله جهل بحقيقة الاسلام ، وخبط في تاريخ أدواره ، وغفلة عن الأصول التي بنى عليها من أول يوم إيجانه .

وقبل أن نعرض لبيان هذه الشئون نتصدى لبناء هذه الشبهة ، فنبين تفكك أجزائها ، وتداعي أركانها ، ونثبت أنها أسست على جهالات تاريخية لا تغفر لكتاب . فأمّا أن القرآن جعل إبراهيم واحداً من المرسلين ، مثله كمثل سائر النبيين ، فهذا لا علاقة له بأحد دورين دخلت فيهما شخصيته ، ولكنه وصفه الملزم له في جميع

الأدوار ، فكل مسلم من أول وجود الإسلام الى اليوم يقول بذلك ولا يعدوه الى غيره ، فإن كان لإبراهيم شأن في تاريخ الإسلام غير ما لإخوانه من الرسل ، فذلك لأنه الجد الأول لفريق كبير من العرب ، ومؤسس البنية التي كانوا جميعا سواء الإسماعيليون منهم والقحطانيون يحجون إليها في كل عام مرة ، وكان يدين بدينه منهم رجال كانوا موزعين في جميع قبائلهم .

والعرب أجمعون بفريقهم قبل الإسلام كانوا يعتقدون أن بيت الله الحرام بناه إبراهيم وابنه إسماعيل ليقيا فيه الصلاة .

هذه كانت عقيدة العرب في الجاهلية ، ولذلك اتخذوا هذه البنية بيتا مقدسا يحجون اليه في كل عام مرة ، ولم يختلف أحد منهم في شخصية بانها ، وقد اختلفوا في كل شيء حتى في أسماء معبوداتهم إلا في نسبة هذه البنية الى إبراهيم وإسماعيل . وليس في الأمر نفسه ما يوجب العجب من أية ناحية حتى يتخذ منه النافدون المعاصرون شبهة على القرآن الكريم ، فالمسألة أصبحت بعد هذا البيان تنحصر في هل نزل إبراهيم عليه السلام بلاد العرب ؟ فالعرب يقولون : نعم ، وبني فيها هذا البيت الذي ن الحج اليه ، واليهود الذين يعتمد المستشرقون على كتابهم يوافقون العرب على ذلك ، ويعينون المكان الذي نزل فيه وأودعه امرأته هاجر وابنه منها إسماعيل ( راجع التوراة ، الفقرة الثامنة عشرة من الإصحاح الخامس والعشرين ، والفقرة العشرين من الإصحاح الحادى والعشرين ) .

هذا كله كان يعرفه العرب الجاهليون واليهود النازلون بين ظهرا نهم ، أقيقل أن ينسب الى الاسلام أنه مخترع هذه القصة ؟ وإذا عقل بعضهم هذه الشبهة ، فهل يعقل معها أنه هو الذى وضعها فى التوراة نفسه ؟ :

وما معنى قول هذا المستشرق : إن القرآن فى أول أمره لم يصرح بصله إبراهيم بإسماعيل ؟ أفكان منه هذا الصمت لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفلها وهو بمكة مع وجودها فى التوراة وشيوعها على السنة اليهود هنالك ؟

غريب أمر هذا المستشرق ! يزعم أن القرآن في أول عهده وفي سورة المسكية لم يصرح بصلاة إبراهيم بإسماعيل ، مع أنه قد ذكر تعصمهما في إحدى تلك السور المسكية وهي سورة إبراهيم ، فقد قال الله تعالى فيها على لسان إبراهيم : ( اُحْمَدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَهَبَ لِيْ عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّيْ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ) . فعلى أى أساس شديد هذا المستشرق زعمه الذى زعمه غير جهله بالسور المسكية وما ورد فيها ؟ أيعقل أنه كان يظن ببدعواه هذه ويقم عليها تلك المفتريات التى رتبها عليها إذا كان قد وقع نظره مرة على سورة إبراهيم المسكية ووجد فيها صراحة صلة إبراهيم بإسماعيل ؟ نحن نعلم أن من المستشرقين من يفترى الكذب على الإسلام ، ولكننا كنا نظن أنهم يستحيون من نفي شئ ذكر صراحة فى كتابه الكريم .

أما قوله : وقد صرح القرآن بأن الله لم يرسل الى العرب رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم مستندا الى مثل قوله تعالى : ( لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ) فليس بصحيح ، لأن المراد من مثل هذه الآية أن الله لم يرسل الى تلك الطبقة من العرب المستعربة رسولا قبل محمد ، ولم يقصد بما قاله فى أمثال هذه الآيات نفي إرسال أى رسول الى العرب فى كل الأجيال على الإطلاق ، فقد ذكر القرآن الكريم نفسه فى نصوص صريحة بأنه أرسل هودا عليه السلام الى بنى عاد ، وصالحا الى بنى ثمود ، وجميع هؤلاء العرب من طبقة العرب البائدة .

وقد صرح القرآن الكريم أيضا بأن إسماعيل كان رسولا نبيا . وليس بخاف أنه نشأ فى بنى جرهم الذين أصهر إليهم ، فنشأت من هذا الاختلاط طبقة العرب الإسماعيلية الذين منهم قريش وريعة ومضر وغيرهم ، فكان إسماعيل عليه السلام موجودا فى أول أدوار تكوين تلك الطبقة . وأشار الكتاب الكريم الى أن رسالته خصت عشيرته الأقربين ، فكان يأمرهم بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق ، ولم يكلف أن تعدو رسالته تلك العشيرة ، فلم يكن مبشرا ونذيرا عاما ، وعلى رأس انقلابات كبيرة

كما كان شأن محمد صلى الله عليه وسلم . وقد دل التاريخ على أنه منذ أن نشأت القبائل العدنانية الى عهد خاتم النبيين لم يرسل الى العرب نذير قبله صلى الله عليه وسلم . فما ذكره القرآن صحيح وموافق للتاريخ العام كل الموافقة ، ولا تناقض فيه من أية ناحية من نواحيه .

أما قول ذلك المستشرق : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتمد في قيام أمره على يهود مكة ، فليس بصحيح ، ولا يوجد في الكتاب ولا التاريخ ما يثبت ، فلم يوجه إليهم الدعوة مرة واحدة ، ولم يُنقل أنه كان يجتمع بهم أو يشاورهم في أمر الدعوة الإسلامية . والذي ورد في الكتاب أنه في أول أمره أمر أن يدعو الى دينه سرا ، ثم بأن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أمر بإعلان دعوته ، فعاداه قومه لهذا السبب ، وعملوا على إبطال أمره ، ولم تذكر اليهود في تلك الأدوار ولا مرة واحدة . ولم يبين لنا ذلك المستشرق نوع تلك المساعدة التي كان يرجوها منهم ، أهى مساعدته في نشر الدعوة ولم يوجه إليهم الخطاب مرة واحدة ، أم إعانته بالقوة ولم يكونوا ذوى عدد يخشى لهم بأس في وسط تلك القبائل القوية ، بل ما كانوا يغنون عن أنفسهم فيها ؟ ! إن الله لم يصارح أحدا بالعداء في القرآن الكريم كما صارح اليهود ، فكيف يتملقهم محمد ويستعين بهم ! اللهم إن هذه أقوال ملقاة على عواهنها ، وليس فيها ظل من التحقيق العلمى .

إذا كان هذا الأمر صحيحا ، أما كان الواجب أن يرد في القرآن الكريم ما يستوجب عطفهم ، ويستنزل جنوحهم ، من التنويه بسلامة عقائدهم ، أو الإشادة بذكر قرابتهم ؟ فكيف ذلك وهو يقول بأن الكتاب لم يعلن أبوة ابراهيم للعرب إلا في المدينة ، أليس كان أولى أن يكون هذا وهو بمكة يستهيج فيها عون اليهود ، من أن يكون بالمدينة وهو يصارحهم فيها بالعداء ، ويكشف عن سيئاتهم ؟ أليست هذه شبهة مفككة الأوصال ، منحلة العرى ، داحضة من نفسها دحوضا لا قيام لها بعده ؟ !



ثم قال ذلك المستشرق : إنه لما يئس من اليهود وجهه شطر قوم آخرين . فمن هم أولئك القوم الآخرون ؟ النصارى ، ولم يكونوا بذوى عدد فى بلاد العرب ، ولا يابهون لقراية العرب الى ابراهيم وابنه ، ولا بأنهما هما اللذان بنيا الكعبة ؟ أم كان أولئك القوم الآخرون هم أهل المدينة ، وقد كانوا من القبائل اليمنية الذين نزحوا بعد سيل العرم الى بلاد العرب ، وكان لا يعنيه من أمر ابراهيم شيئا ؟ أم كانوا أولئك الأفراد الذين كانوا يدينون من العرب بدين ابراهيم ، وكانوا نفرا يعدون عداموزعين فى القبائل ، ولا تجمعهم جامعة فى طول بلاد العرب وعرضها ؟ أم كانوا قوما آخرين لا نعرفهم ولا يعرفهم التاريخ نفسه ؟

لقد تبين القارئ من كل ما مر أن هذه الشبهات التى أوردها ذلك المستشرق لا تقوم على أساس مطلقا ، وما أملاها عليه إلا الخيال المحض ، وإرادة الغض من كرامة الإسلام بمثل هذه الأقوال الفارغة .

وقد غفل هذا المستشرق عن أمر جليل ، وهو ما بنى عليه الإسلام من أصول عالية ، وما أقيم عليه صرحه من وطائد عالمية راسخة .

إن الإسلام لم يعتمد فى قيامه على تأليف شعب مختار تستند أبوته الى شخصية ممتازة ، ولكن رعى الى تأليف أمة عالمية تذوب فيها الجنسيات والفوارق الاجتماعية ، بإسنادها الى الأبوة العامة المتفق عليها ، وهى أبوة آدم ، فقال تعالى مخاطبا الناس كافة : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (١) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٢) .

أما عن الاعتراف الى الشخصيات الممتازة ، والأبوات الماجدة ، فقد قال الله تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ،

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

فالإسلام يسوى فى الحق بين من كان أبوه إبراهيم الخليل أو محمدا خاتم النبيين وبين من كان أبوه عبدا أسود ، أو من لا يُعرف له أب أصلا ، فليس هو بالدين الذى بنى أمره على هذه الشئون التى لوراجت فى زمان محدود ، أو لدى طائفة معينة فى دور من أدوار عقليتها الساذجة ، فلا تروج فى كل زمان ومكان ، ولا لدى الأقوام الذين ارتقت عقولهم ، ويعدون أمثال هذه الأمور حاطة بكرامة الاجتماع .

الإسلام دين شرع للناس كافة : أبيضهم وأسودهم ، عربهم وأعجمهم ، فسوى بينهم مساواة لا محل فيها لأبوة ممتازة ، ولا لأصل ما جد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد أزال الله عنكم دعوة الجاهلية واعتزازها بالأنساب ، كلكم من آدم وآدم من تراب » . وقد رى الى تأليف أمة عالمية ذات دين موحد ، لا هو دين إبراهيم ولا دين نوح ، ولكن دين الله نفسه ، القائم على الفطرة التى فطر الناس عليها ، وعلى العقل والعلم ، فقال تعالى : ( أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ؟ ) وقد قرر الله فى غير آية أن الإسلام هو الدين الأول الذى أوحاه الله الى أول رسول ، فقال تعالى : ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ) .

فاذا كان الكتاب يقول عن الإسلام بأنه دين أبيكم إبراهيم فلذلك ، لا باعتبار أنه أول من جاء به ، فإن عبارة الآية السابقة تمنع ذلك ، ولكن باعتبار أنه كان أكبر ممثليه فى العالم . وإذا كان الكتاب قد صرح بأن إبراهيم أول المسلمين ، فذلك بمعنى أنه فى مقدمة من دان بالإسلام ، لا بمعنى أنه واضعه ، أو أول من تلقاه عن الله تعالى . وذلك على حد قول الله تعالى : ( قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ) فعناه أن محمدا يبادر الى عبادته ، لا أنه أول من قام بعبادته من الناس أجمعين .

فالإسلام كما نرى لا يقوم على أمثال هذه الأصول التى أتعب ذلك المستشرق

نفسه في تخيلها، ولكنه يقوم على أصول عالمية عامة، لم تقم على مثلها أمة الى اليوم، وتعرف أرقى فلسفة بأنها أكمل الأصول وأولاهها بالاجلال. وهو في كل أوامره ونواهيه ينحو هذا النحو العالمي العام، ويحطم في سبيل ذلك جميع الفوارق الاجتماعية التي أقامتها جاهلية الشعوب، وروجتها عصبية القوميات في أدوار التاريخ. وليس بين هذا الاسلام وبين أن يكون دين العالم كله، إلا أن تعرفه الأمم حق معرفته، وإذ ذلك يصبح الاسلام الدين البشري العام، فيتحقق معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) «ولتعلن نبأه بعد حين»

محمد فريد وجدي

## تأثير الغنى والفقر في الاخلاق

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عامله على العراق أبي موسى الاشعري يقول له: لا تستقضين إلا ذا حسب ومال، فان ذا الحسب يخاف العواقب، وذا المال لا يرغب في مال غيره.

نقول: هذا كلام حق، فان صاحب الحسب والحسب كل ما يحصله الانسان لنفسه من الشرف - يغار على كرامته، ويحرص على سمعته، فلا يرتكب ما يحط من شأنه في نظر الناس، ويقدر في مروءته عندهم. وصاحب المال جدير أن يعف عما في أيدي الناس، فلا يشيب حكمه بالرشا، ولا يضطهد الناس ليعظروهم الى مرضاته بأموالهم. وهذه من الحكم العمرية التي امتاز بها الفاروق رضي الله عنه.

وروى عن بعض سلفنا الصالح قوله: إني وجدت خير الدنيا والآخرة في التقى والغنى، وشَر الدنيا والآخرة في الفجور والفقر.

وقال بعض الشعراء:

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر  
وهذا كلام عليه عبقة من الحكمة، فان الغنى أجدر أن يؤدي الى مكارم الاخلاق، ولكن الفقر قد يؤدي الى ارتكاب المعاصي.

# فضل الصلاة وبيان أسرارها

وشرح حديث شريف

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات أف يبقى ذلك من درنه شيئاً ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس : يعجو الله بها الخطايا » . أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . وفى لفظ آخر : « إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات » . أخرجه مالك فى الموطأ من حديث طويل . وعن حذيفة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة » أخرجه أبو داود . وفى رواية : « حزنه » بالنون ، والمراد نزل به وأهمه . الى غير ذلك وهو كثير .

فاعلم أن الصلاة أعظم العبادات شأنًا ، وأوضحها برهانًا ، وأكبرها أثرًا فى تطهير القلوب والنفوس ، ولذلك اعتنى الشارع بها أعظم عناية ، حتى قال : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقال : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة . وقد جرى على ظاهر تلك الأحاديث الإمام أحمد ، فكفر تارك الصلاة ، ووافقه على ذلك ابن حبيب من كبار علماء المالكية . وكأنهم رأوا أن الصلاة من أعظم شعائر الإسلام وعلاماته التى إذا فقدت حكم بفقده ، لقوة الملابسة بينها وبينه ، فإن الصلاة هى المحققة لمعنى إسلام الوجه لله ، فكأن من لم يكن له حظ منها لم يبو من الإسلام إلا بما لا يعبأ به . وبالجمله فهى فى نظر الشارع أعظم شعائر الدين ، ولذلك أوصى بها الصغار والكبار ، وحذرهم غاية التحذير من التهاون بها والتفريط فيها ، لتكون ملكة راسخة فى النفوس ، بحيث تكون صبغة لها ، متمكنة منها ، مسيطرة عليها ، حتى تمنعها من اقتراف الذنوب بسطوانتها القاهر وما تورثه فى النفس من الخشية والمراقبة ، ولذلك يقول الله تعالى : ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ويقول : (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) وسنشرح ذلك تمام الشرح ، ومن المعلوم أن كل إنسان إنما تحكم فيه خلائقه وملكانه التي انصبغت بها نفسه ، وانتعش بها قلبه . ولتلك الحكمة البالغة أمرنا أن نعلم الصبي الصلاة لسبع ، ونضربه عليها لعشر ، حتى نصادف منه قلبا خاليا قبل أن تفرقه الأهواء التي تجعل النفس شعاعا ، والقلب أوزاعا .

وسر ذلك أن الصلاة أعظم وسيلة تقرب العبد من مولاه ، وتمنعه من التردى في أسفل سافلين ، فإنها مقدسة للنفس كل التقديس ، حتى ترتفع بها الى عالم الملكوت . والمصلي إذا قصد من الصلوات أرواحها لا أشباحها ومعانيها لا صورها ، فلا بد أن يخوض في لجة عظيمة من الرحمة . وكأنه بدخوله في الصلاة قد اندرج في سلك الملائكة ، وخرج من هذا العالم بالكلية ، ولهذا يحس المؤمنون الكاملون بأنها تطرح عنهم أثقالهم . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرحنا بها يا بلال . ويقول : وجعلت قرّة عيني في الصلاة ، لما كان يحس فيها من الرحمت والفيوضات ، والانسلاخ من عالم الآفات والظلمات ، والاستغراق في عظمة رب الأرض والسموات .

وقد جعل الله الصلاة المفروضة مثنى وثلاث ورباع لتكون كأجنحة الملائكة ، فكانه أراد أن يجعلك كالملائكة ويجعل الصلاة لك أجنحة تطير بها الى الله تعالى مثنى وثلاث ورباع . كما أنه جمع لك فيها بين أنواع العبادات التي تفرقت في صنوف الملائكة الذين منهم الراكع والساجد والقائم والمسبح ، فجمع لك فيها بين القراءة والتسبيح ، والركوع والسجود ، والثناء والدعاء ، لتحظى بالفضائل كلها ، وتذوق من تلك الحضرات ما قدر لك . ولذلك كانت الصلاة معراج المؤمنين ، وقرّة عين الواصلين ، حتى إنهم إذا أتموها وأرادوا الخروج منها قالوا : السلام عليكم ، يريدون بذلك التسليم على الملائكة والمؤمنين . وكأنهم يقولون لهم : إننا كنا مع الله تعالى لا معكم ، ومن كان مع رب العالمين لم يكن مع أحد حتى الملائكة المقربين .

والخلاصة أن المصلي قد خضع لله بقلبه، وذكر الله بلسانه، وعظمه غاية التعظيم بجسده، فقام بين يديه يناجيه ويضرع له، ثم تدرج في التعظيم وترقى في الإجلال، فأتى بالركوع، ثم بالسجود الذي هو أكبر مظهر للعبودية. ولما كان الحق متعالياً عن الجهة أقام التوجه الى بيته مقام التوجه اليه.

كلمة تفصيلية عن بعض ما في الصلاة من الأسرار :

إذا قام المسلم الى الصلاة قال قبل الدخول فيها تلك الكلمات المعروفة في الأذان والإقامة. وكأنه يريد بذلك أن يشعر نفسه بأن الله أكبر من كل شيء. وقد أراد أن يدخل حضرته ويشغل بمناجاته، فعليه ألا يشغل قلبه بشيء سواه؛ ثم يشعرها بعقد الإيمان الذي ربط قلبه عليه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ ثم يخاطب نفسه أمراً إياها بالإقبال على الصلاة والقيام بواجباتها قائلاً لها: يا نفس أقبل على الصلاة، يا نفس أقبل على الفلاح؛ فإن حى في لغة العرب تستعمل لطلب الإقبال؛ فكأنه يقول لنفسه: إن هذا هو فلاحك فأقبل عليه ولا تعدلى عنه، فالعاقل لا يعدل عما فيه فوزه وفلاحه؛ ثم يؤكد ذلك ببقية كلمات الإقامة، مما يملأ النفس خشوعاً وهيبه، وتنبهاً وبقظة، لما هي مقبلة عليه، ومتوجهة اليه؛ ثم يرفع يديه عند الدخول في الصلاة، وكأنه يشير بذلك الى طرح الدنيا وراء ظهره، قائلاً لنفسه: الله أكبر من كل شيء، فلا تعولى إلا عليه، ولا تلتفتى إلا إليه؛ ثم يقول: إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين؛ أو يقول: إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له؛ أو يقول: تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، الى آخر ما هو معروف.

يقول ذلك لأجل أن يحرك من نفسه الإحساس بعظمة الله تعالى، ويوقظها للإخلاص في عملها، والحضور في صلاتها. وإذا كان الإنسان بحضرة الملك لا يفكر في غير مناجاته وما يليق بعظمته، فكيف بحضرة الله عز وجل وهو يخاطبه بقوله: إياك

نعبد وإياك نستعين . ثم إنه يقرأ الفاتحة بعد ذلك ، فيثنى على الله تعالى الثناء الواجب تقديمه بين يدي الدعاء ، فيقرع به باب السكرم ، ويحرك به سلسلة الإجابة ، ويقضى به واجب التعظيم وآداب المواجهة ، قائلا : الحمد لله ، أى أن كل حمد فى الحقيقة إنما هو لله عز وجل ، لأنه هو المنعم لا غيره ، فكل نعمة صادرة منه وراجعة إليه ( مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ) ( فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ) ثم يشعر نفسه بموجب ذلك الحمد من التربية العامة لجميع العوالم بقوله : رب العالمين .

وانظر ما ذا يخالج قلبه من عظمته تعالى عند ما يتصور سعة العوالم وعظمتها ، وما اشتملت عليه من العلويات والسفليات التى أصبحوا يقولون إنها لانهاية لها ، وإنما خلق الله من النجوم والشموس والكواكب المختلفة الأحوال والأشكال ما لا يعلمه إلا الله الذى قدرها أحسن تقدير ، ودبرها أحكم تدبير ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وفى كل أرض ما يحفظها ، لأنه الرحمن الرحيم ؛ ثم ينتقل من ذلك الى أنه مع تلك الرحمة البالغة يجب أن نرهب منه غاية الرهبة ، وأن نستقيم على السنن السوى ، فإنه لا بد من الجزاء على ما عملنا من خير وشر ، فى يوم يدان فيه كل عامل بعمله ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) فيعرف نفسه أن ذلك الإله العظيم الذى لا حد لعظمته هو مالك يوم الدين .

وعند ما يمتلئ قلب المصلى بنعوته الجلالية والجلالية يقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، لأنه لا يستحق العبادة غيرك ، ولا يملك المعونة على الحقيقة أحد سواك ؛ ثم يطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم ، الذى يعلمه هو ، ولا نعلمه إلا بتعليمه تعالى وهدايته سبحانه ، وهو صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وكانه وهو العليم الحكيم يقول لنا : إن الناس منقسمون الى هذه الفرق

الثالث ، فإن شئت فكن من المنعم عليهم ، أو من الضالين الذين جهلوا طريق السعادة وما رسمه الله لعباده من سبل الهداية ، أو المغضوب عليهم الذين عرفوا طريق الهدى فتنكبوه ، وسبيل الرشاد فعدلوا عنه ، فهو يحذرننا من الانحراف عن الصراط المستقيم ، فإن من انحرف عنه كان من إحدى الطائفتين لا محالة . ولترك المصلي سبحانه وتعالى ولم يعلمه هذا الدعاء السكلي الجامع ، لدعا بالأدعية الجزئية ، ولم يسأل غير المطالب المحدودة التي تملئها عليه شهواته ، وترشده إليها نزعاته .

والقول المختصر في ذلك أن الله أنزل الفاتحة يعلم الناس فيها كيف يحمدونه ويشنون عليه ، ويقرون له بتخصيص العبادة والاستعانة به تعالى ، على ما يقتضيه التقديم في قوله : إياك نعبد وإياك نستعين ، ويعلمهم سبحانه كيف يسألونه الطريقة الجامعة لأنواع الخير ، ويتعوذون به من طريقة المغضوب عليهم والضالين .

ولا يسع المقام غير هذا التلميح ، فلننتقل الى ما بعد ذلك ، فنقول : إن المصلي بعد أن يقرأ الفاتحة يقرأ في الركعتين الأولىين من القرآن ما يزيد ذلك الذي وقر في قلبه تأكيداً وتشجيذاً ، ويملاً نفسه إيماناً وتوحيداً ، فيقرأ مثلاً قوله تعالى : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » أو سورة الإخلاص ، أو بعض آيات الوعظ ، أو سور الزجر ، فيزداد خشوعاً وخضوعاً ، فلا غرو أن يركع لتلك العظمة قائلاً في ركوعه : سبحان ربّي العظيم ، ثم يرى أن ذلك غير كاف في التعظيم ، فيخر ساجداً لله تعالى إبرازاً للعبودية في أعظم مظاهرها . ولما كان أعظم ما يحبه الله تعالى هو التواضع ، لأنه أخص أوصاف العبودية ، وما خلقنا الله تعالى إلا لنتصف بالعبودية ، ونقوم بحق الربوبية التي أخص أوصافها العظمة والكبرياء ، كرر المصلي السجود إظهاراً لما امتلأ به قلبه من عظمة الربوبية وذل العبودية . وقد ورد : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . وسر ذلك أن بُعد العبد من ربه على قدر ما فيه من الأنانية والكبرياء ، وقربه منه على قدر ما فيه من تواضع وخشوع .



ثم يكرر ذلك كله في كل ركعة من صلاته، فإذا أراد الخروج من الصلاة كان بمنزلة من يريد الانصراف من حضرة الملك، فيثنى عليه أبلغ الثناء، ويحيمه أفضل التحيات، ثم يطلب منه ما شاء من المطالب، فيكذلك المصلي عند ما يريد الانصراف من حضرة تعالى يقول: إن كل تحية وتعظيم لا يستحقها في الحقيقة إلا الله، فكل تحية زائفة مباركة طيبة ليست إلا لله عز وجل، وهذه الصلوات التي تقيمها لا ينبغي أن تكون إلا لرب العالمين لا للمريوين المقهورين؛ ثم أمرنا بالسلام على النبي تنويعاً بذكره، وإظهاراً للإقرار برسالاته، وأداء لبعض حقه؛ ثم يعم المصلي بقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السموات والأرض؛ ثم يأتي بالتشهد بعد ذلك لأنه أعظم الأذكار، وهو بعد تجديد لعقد الإيمان أمام الله قبل الانصراف من حضرة؛ ثم يختار من الدعاء بعد الصلاة على النبي التي هي مقدمة ووسيلة لا جابته أعجب الأدعية إليه.

وسر الدعاء في ذلك المقام أن المصلي عند ما يصل إلى آخر الصلاة يكون قد خاض في بحر من الرحمة، وكاد ينسأخ من عالم الحس ويلتحق بعالم القدس (أو تم له ذلك إن كان من أهله) وحينئذ لا يسقط له مطلب ولا يرد له دعاء؛ ثم ينصرف من الصلاة مسلماً على من معه من الملائكة والمؤمنين، لأنه لم يكن معهم، بل هو راجع من الملائكة الأعلى، أو تقول من معية الله عز وجل كما أشرنا إليه.

فهل ترى أن من صلى هذه الصلاة يبقى عليه شيء من دنس الطباع أو ظلمات النفوس؟ وقد علم الله أنه لا بد لنا من الاشتغال بأمور الدنيا ومقارفة ما تلوث به أثناء اشتغالنا بأمورها، فأمرنا بتكرير الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، فهي بمنزلة الدواء الذي نكرره كلما خفنا من صولة المرض أو خشينا من تحركه، فإذا عشيقتنا بعض الظلمات، ولعبت بنا بعض الشهوات، تداركنا الله بالصلاة الأخرى، فأزالت ما لحقنا

من آفات ، وما وقعنا فيه من زلات ، فجددت لنا تنبيه النفس ويقظة القلب ، فزالت عنا الغفلة ، وعادتنا المراقبة ، فسبحان الحكيم العليم اللطيف الخبير .

وأظن أنك بعد ذلك لا تشك في أن الصلاة بمنزلة ذلك النهر الذي يكون على باب أحدنا ، فكأما أحسننا بشيء يدنسنا تطهرنا به ، فزالت الأذناس ، وذهبت الألوات ، كما سبق في الحديث الشريف الذي صدرنا به المقال ، وكما قال تعالى : ( إِنَّ أَحْسَنَاتِ نَذِيرٍ لِّلْأَسِيَّاتِ ) .

والخلاصة أن المصلين يسرون فيما بين الصلاتين بذلك النور الذي اكتسبوه منها ، حتى إذا كاد ينمحي بسبب المعاملات الدنيوية والدخول في مضايقتها وظلماتها ، تداركهم الله بالوقت الثاني ، فقاموا للصلاة يستدركون ما عسى أن يكون قد فرط منهم فيما بين الصلاتين . ولا شك أن من حافظ على الصلوات لا يزال معه بقية من نورها ، فلو فرضنا أن اقترف بعض الهفوات والخطايا والغفلات الى جذر القلوب ، فتكون تلك الهفوات كغبار مر على ظاهر العين ثم أزيل قبل أن يستقر فيها بفضل الصلاة التي تليها . وبهذا تبين غاية البيان سر قوله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله : « إن الانسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » وهذا هو الدوام المتيسر عند ما امتنع الدوام الحقيقي . ولتقف هنا ، ولعل لنا عودة ؟  
يوسف الرمهي  
من هيئة كبار العلماء بالازهر

## تخير الاخوان

قال بعض أهل الرأي : ليكون غرضك في اتخاذ الاخوان ، واصطناع النصحاء ، تكثير العدة ( بضم العين ) لا تكثير العدة ( بكسر العين ) وتحصيل النفع ، لا تحصيل الجمع ، فواحد يحصل به المراد ، خير من ألف تكثر الأعداد . وقد قيل في هذا المعنى :  
وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وعش بذاك الواحد

## هل الحرية الشخصية معناها الإباحة؟

إذا أُلقيت هذا السؤال على قادة أية فلسفة في العالم حتى الفلاسفة المادية الإلحادية لم يكن جوابهم إلا بالنفي مجمعين . فإذا عاودت سؤالهم قائلاً : فهل الحرية الشخصية تتنافى والآداب النفسية ، والفضائل الاجتماعية ، وتسمح لكل إنسان أن يخوض غمرة كل شهوة تسنح له دون أن يفكر في نتائجها على نفسه وماله ومواطنيه وبنى نوعه ؟ صاحوا بك : لا لا ، منكرين مستهجنين .

فإذا حصلت منهم على هذه الاعترافات ، وعرضت على نفسك الجماعات البشرية ، وخاصة المتقدمة منها ، رأيت العجب العجيب . رأيت الناس قد خلعوا عذرهم ، وركبوا رءوسهم ، يجرون في أعقاب كل غي ، يتدافعون بالمنالك ، محفوزين إليه شبابا وشيبا ، كأن وراءهم سائقا يلهب ظهورهم بسوط من نار ، باذلين صحتهم ومالهم ، مستهينين بكل تبعه أديبة ، ليصيبوا مما يتزاحمون عليه نصيبا ويبا ، حتى إذا أدركهم الإعياء ، انتظروا ريثما يستجمعون قواهم ، ثم عاودوا الكرة على نحو ما تقدم ، دائبين على ذلك ما واثم الاحتمال والإمكان ، غير معطين أنفسهم مهلة ليوازنوا فيها بين ما يعطونه وما يحصلون عليه ، كأنهم قد فقدوا نعمة الإرادة والاختيار ، دون أن يحاولوا استرجاعهما ، أو أن يأسفوا على ضياعهما ، يسمعون من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمنهم وشمالهم صيحات التشجيع والتسويل ، بعد أن تكون قد طالعتهم جراند ثم كل صباح من أنباء المليشيات ، وصور المائتين والمائلات ، ما يملؤهم غرورا بما هم فيه .

فإن سمعوا نبأاً من نصيح ، وضعوا أصابعهم في آذانهم ، استنقلا لما يقول ، وأشاحوا بوجوههم عنه ، إعراضا وسوء تقدير . وكثيرا ما اعتبروه جاهلا بمقتضيات المدنية والروح الجديد .

هذه أحوال في أطوائها كل ما يستنكره العلم ، وتأباه أصول الاجتماع ، وتنافيه مصلحة العمران ، وفيها ويلة الأخلاق والآداب ، ومجزرة الأعراض والكرامات ، ومضیعة الثروة ، ومفسدة البلاد .

فهل مبدأ الحرية الشخصية التي جاهد الناس للحصول عليها يسمح لهم أن يرتكبوا باسمه كل هذه المخازي ، ويتسكعوا تحت عنوانه في جميع هذه المنكرات ، الماحقة لكل خير نالته البشرية بعد جهود مضنية ، وتطورات كثيرة شاقة في خلال العصور ؟

الحرية أصل كريم رفعت به عن كواهل الآحاد ما كانت تضعه عليها الطبقات المستعبدة لهم من نيور ، فانطلقوا أحراراً يعملون ما ينفعهم وينفع أسرهم وأممهم في حدود القوانين العادلة ، لا هملاً خالى الشكائم الأدبية ، يأتون كل ما تدفعهم اليه أهوائهم وشهواتهم .

هذا هو الأصل في تقرير مبدأ الحرية الشخصية ، وهذا ما يقره كل عرف ، وتؤيده كل فلسفة ، ويندب اليه الدين الحق ، فكيف تسبغ هذه المدنية أن تشوه النفوس الجاحدة جمالها ، وتسقط جلالها ، وتظهرها في مظهر من الإباحة يمجج الطبع ، ولا يوافقها عليه وضع ولا شرع ؟ .

فهل لهذه الحرية الشخصية مدى أبعد مما يترأى لنا فغيبنا عنه ، فهي تسمح أن تأتى كل نفس ما يعين لها ، غير حاسبة أقل حساب لمصلحتها ومصلح الارتبطين بها من أهل وعشيرة ومواطنين ، بل غير حاسبة حساباً للإنسانية بأسرها ؟ .

لم يشر قانون في الدنيا الى هذا ، بل نصت جميع القوانين على أن الإنسان حر في أن يعمل بنفسه ما لا يضربها ولا يغيرها ، فإن هو تعدى هذا الحد أخذ على يده وأخذ على فعله . أما ترى جميع القوانين العالمية تضرب على أيدي المبذرين وتنصب عليهم القامة ، فتحرمهم بذلك المتاع بثرواتهم ، وتقطع من أسنة المتفحشين قدر دعمهم عن الخوض في أعراض الناس ، وتردع المستخفين بالآداب العامة ، فتجبرهم على احترامها

ومراعاتها؟ بل هي تتجاوز هذا الحد إلى ما يعتبر خصوصياً محضاً، فهي تعاقب على البصق والتنخم في الطرق العامة، وعلى لبس ما لم يصطلح عليه الناس من الأزياء، فإذا نجم ما يخشى منه على الصحة العامة امتد تدخل القوانين إلى ما هو أخص من هذا، فإنها تسمح لمثلها بأن يغشوا الدور فيلاحظوا على ما يجدونه فيها من القذارة، وأن يأمرؤا أهلها بتجسيصها ومعاقبتهم على إهمال ذلك بالجلوس والتغريم. فهذا كله لا يعتبر في تلك القوانين تقييداً للحرية الشخصية، فيفهم أن هذا المبدأ لا يصح أن يؤخذ على إطلاقه بوجه من الوجوه.

فإذا كان هذا كله حاصلًا، فهل تسمح الحرية الشخصية أن يكتب كاتب كل ما يمليه عليه خياله من حوادث الغرام والتهتك، في ألوان من سحر البيان تغرى الشبان والشابات على ورود هذه الموارد المنكرة، وتأذن لدور التمثيل والسينما أن تمثل ما لا يصح أن يراه الجمهور، ولا يجوز أن يعرض تحت نظر الأحداث من المناظر التي تثير ما كمن في الطبيعة البشرية من ميول بهيمية، وتغرى ذوى الأمزجة الحادة بالخروج عن المألوف لتقليد أبطال الأقاصيص التي تمثل أمامهم، وقد ثبت أنها تفعل في النفوس الساذجة فعل السحر وأكثر؟

وهل يحتمل معنى الحرية الشخصية أن يفتتح من شاء داراً للرقص والفسوق يختلط فيها الجنسان، ويؤمها من أراد، غير متخرج من إثم، ولا متستر من رقابة؟ وهل تبيح أن تباع الراح في أكبر شوارع المدن، فيقصد حوانيتها القاصدون، يحتسون أم الخبائث عانًا، ويخرجون منها ثملين يترنحون يميناً وشمالاً؟

هذه هي الفوارق بين القوانين الوضعية والشرع الإلهي، وهي فوارق كانت لا توجد إذا نظر المشترعون للصالح العام عند سنهم القوانين نظراً بريئاً مقروناً بالإخلاص لمصلحة الجماهير، وبالروية الحازمة، أما ولم يفعلوا فقد ناقضوا أنفسهم، وناقضوا العلم الذي يفتخرون به، فتركوا بذلك الباب مفتوحاً لكل الأعداء الاجتماعية التي تولدها تلك التسامحات القانونية.

وما دامت الحرية الشخصية مقيدة بشرط عدم الإضرار بالنفس وبالغير ، فإن الشرع الإلهي ينفذ هذا التقييد ، فلا يسمح لأى فرد بأن يأتى عملاً يكون من ورائه ضرر بنفسه أو أهله أو بنى وطنه ، أو أى أحد من أفراد نوعه على أية حال من الأحوال .

فهو يحرم الخمر لأنها تضر شاربها ، ويتعدى ضررها الى كل من يرتبط به . ويمنع المقامرة لأنها تضعيع الثروات ، وتحل البيوتات . ويردع عن تمثيل الخنا وما يناقض الآداب ، لأنها أمثلة سوء تفسد نفوس من تمثل أمامهم . ويصد عن كتابة الفسوق والعصيان وتصويرها ، لأنها تبعث فى نفوس قارئها وناظرها الميل الى إتيانها ، وهى أمور لا تقف أضرارها عند حد .

فالشرع الإلهي يجرى من أوامره ونواهيه على منطق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقوانين الوضعيه لا تحترم هذا المنطق ، فتجرى على اعتبارات ليست من المصلحة الحقة فى شىء ، فهى تبيح الخمر لأنها تجنى من ورائها مكوساً ، وتقر تمثيل الدعارة والفجور عادةً إياها من الملامى الضرورية ، لأن وضعة قوانينها يرون ذلك ويعتقدونه ، لا لأنه يعود بشىء من الفائدة على المجموع . وتطبق أن تنتشر السكتابات المخلة بالآداب ، والتي تثير فى نفوس مطالعيها الميل البهيمية ، لأن وضعها يتخيلون أن ذلك يعتبر أدباً ، والآدب يجب له التشجيع والتأييد .

وقد دلت الدلائل المحسوسة على أن هذا الأدب قد طوح بالنفوس الى متاهات الإباحة ، وجنى على الناس جنایات شنيعة . وقد ابتنى على كل هذه الإباحات أن أصبحت كلمة (مدنية) مرادفة لكلمة (إباحة) . فكيف لا تنشأ فى هذا الجو المشحون بضروب المسولات والمغريات جميع صنوف الإفراطات والتفريطات الخلقية ؟

إن العالم المتمدن ليغلى اليوم غليان الرجل على نار شديدة ، ويتخض عن أغرب ما يتصور من شكول المذاهب والآراء والفلسفات المتطرفة ، وتعصف به أزمات

اقتصادية واجتماعية لو دُرست من قرب لكانت أسبابها المباشرة ما أثمره بهرج الحرية الشخصية الزائفة ، من جومشجون بالمرأى الباطلة ، والمزاعم العاطلة ، التي تولدها نفوس تطلب المتاع المادى اغتصاباً لا اكتساباً ، وإفراطاً لا اعتدالاً .

أنا لا يخالجنى أقل شك فى أن كل هذه الإفراطات والتفريطات ستعمل على رد الناس الى طريق الحق المستقيم ، فهو وحده ملاذ اللاندين ، ومرد الغالين والمقصرين ، وإذا ذاك يجد الناس أنفسهم فى منطق الدين ، فتخلص الا انسانية من كل هذه الشرور ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

محمد فريبر ومهرى

## مجاهدة النفس

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشديد من غلب نفسه » . وقال عون بن عبد الله : إذا عصتك نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحببت ، ولا يغرنك نساء من جهل أمرك .

وقال الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين : يجب أن يكون ( يريد الانسان ) فى التهمة لنفسه معتدلاً ، وفى حسن الظن بها مقتصدًا ، فانه إن تجاوز مقدار الحق فى التهمة ظلمها فأودعها ذلة المظلومين ، وإن تجاوز بها الحق فى مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل . وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لجده أهدم . وقال بعض الحكماء : من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس . وقال كشاجم :

لم أرض عن نفسى مخافة سخطها      ورضا الفتى عن نفسه إغضاها  
ولو اننى عنها رضيت اقصرت      عما تزيد بمثله آدابها  
وتبينت آثار ذاك فأكثر      عذلى عليه فطال فيه عتابها

وقال حكيم : من قوى على نفسه تنهى فى القوة ، ومن صبر عن شهوته بالغ فى المروءة .

# السُّنَنُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال صلى الله عليه وسلم : ( اتَّقِ المحارمَ تَكُنْ أعبدَ الناسِ ، وأرضَ بما قَسَمَ اللهُ لك تَكُنْ أغنى الناسِ ، وأحسنِ الى جارك تَكُنْ مسلماً ، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسك تَكُنْ مؤمناً ، ولا تكثرِ الضحك فَإِنَّ كثرةَ الضحك تُميتُ القلبَ ) رواه أحمد والترمذى والبيهقى .

هذا من جوامع الكلم وروائع الحكم ، تضمّن شعبا كثيرة من الطرق الموصلة الى السعادة الدنيوية والسعادة الآخروية ، سعادة الفرد ، وسعادة المجموع . ولقد اشتمل على خمسة أوامر وثمارها ، وما من ثمرة منها إلا وهى مطمح الأنظار ومتجه الأفكار .

الجملة الأولى « اتق المحارم تكن أعبد الناس » :

ما من امرئ مؤمن إلا وهوى يمتنى أن يتاح له أعظم قسط من العباداة ، ويجب أن يكون من أولى الزلفى عند الله ، الحائزين لرضوانه ، المشمولين برحمته وإحسانه ، إلا أن النفس مائلة سئومة ، إذا حملت قسطا كبيرا من النوافل انتهضت به حيناً وفترت عنه أحيانا ، وربما شاب فتورها شيء من الضجر والكراهية ، فيكون ما لحقها من الضرر لتكورهاها من العباداة أضعاف ما نالت من الثوبة بما أدت من النوافل . ومهما احتاط المرء لنفسه واستيقظ فى معالجتها وراقبها فى أطوارها ، فهو عرضة فى بعض غفلاتها للاستراحة البتة ، وقد يستمرها فيركن اليها ويستطيعها ، فإذا أراد قطع ذلك عليها أحسن بعراك



شديد بين عامل الطبع الحاضر وعامل الثواب العاجل . ومن ذا الذى يضمن أن يكون مالكا نفسه وضابطا زمامها يسيرها فى كل آن وفى كل حالة طبق ما يراد منها ؟ اللهم إلا من اصطفاكم الله من خيرة عباده ، وتولاكم بتوقيفه ورعايته ، وقليل ما هم . ألا ترى الى قوله جل شأنه : ( وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ) . وما يدريك فلعل بعض المكثرين من النوافل المستغرقين فيها أوقاتا كثيرة قد يتطرق الى أحدهم من المنهيات النفسية الخفية ما تكون السلامة منه أكبر غنيمة .

أما إنه ليوجد فيهم من هو عرضة للعجب والعزة والاستكبار بما قام به من عبادة ، ومنهم من ينقم على الناس أنهم لم يعرفوا له منزلته من الطاعة فيعطوه من الإجلال والتعظيم ما ينبغي لمثلته ، ومنهم من تميل نفسه الى أن يعرف عنه ما يقوم به فيدخل من الرياء فى شغل شاغل . لا نريد بذلك التنفير من إكثار النوافل والقربات على اختلاف أنواعها ، فذلك ما لا يقدم عليه مؤمن معترف بما يطلب منه لربه من عظيم الشكر ، وإنما نقول : إن الطريق المضمون السلامة والتوصيل الى الفلاح واكتساب رضا الله هو توطئ النفس توطئنا صادقا على اجتناب ما نهى الله عنه ، خوفا من الله ، وامتثالاً له ، فقد قال تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ أَجَلَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ) وقال جل شأنه : ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ) .

وليس بخاف على أحد أن من اتقاء المحارم أداء الواجبات والفرائض ، فإن الإخلال بشئ مما أوجبه الله على عباده محرم يقينا ، فمن ترك فرضا فرضه الله فليس بمتق المحارم . فكلمة « اتق المحارم » تشتمل على الأمر بأداء الواجبات واجتناب المنهيات . ومن قام بكليهما امتثالاً لأمر ربه فقد أفلح ولو لم يأت معها بالتطوع ، فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال : هل على غيرهن ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان ، فقال : هل على غيره ؟ فقال : لا إلا أن تطوع ، وذكر له

الزكاة ، فقال : هل عُلِّيَ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، فأدبر الرجل وهو يقول : لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق . وفي رواية : دخل الجنة إن صدق . وروى في حديث مثله : لئن صدق ليدخلن الجنة . فهذا الوعد منه صلى الله عليه وسلم مؤكداً بالقسم كما ترى في الرواية الأخيرة ، ومعبراً عنه بالفلاح في الرواية الأولى ، هو منتهى ما تسمو إليه نفس المؤمن . وإذا أضيف إليه الايتان المتقدم ذكرهما وهما قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » ازداد الأمر وضوحاً ، وازدادت النفس به يقيناً واطمئناناً .

وبعد : فلا يذهب عليك أن كون تارك المنهيات أعبد الناس لا ينفي أن بين أفراده تفاوتاً ، فالتارك لها الذي يضم إلى تركه إكثار النوافل والقرب ، يزيد على المقتصر على الترك بدون أن يضيف إلى تركه إكثار النوافل ، وإن كان كلا منهما في العبادة أرقى ممن يقع في بعض المنهيات أحياناً مهما أكثر من التطوع .

ثم إنك إذا نظرت إلى روح العبادة وثمرتها التدين تجدها متجالية في كف النفس عن المناهي ( ومن ضمن ذلك الكف القيام بأداء الفرائض على ما سبق ) وتجليها فيها أكثر من تجليها في الأوراد والآذكار والإكثار من القرب . ذلك أن روح العبادة وأثرها يظهران أتم ظهور في ضبط النفس وإيقافها عند حدود الشرع . وتجدها المعنى في الصبر عن المنهيات أشق وأصعب على النفس منه في الإتيان بالقرب النافلة ، فقد قالوا : الصبر صبران ، صبر عن الشيء ، وصبر على الشيء ، وأشقهما أولهما ، ذلك أن الصبر على الشيء في الغالب محدود المدة قصيرها ، وذلك ريثما ينتهي وقت ذلك الشيء ، وأما الصبر عنه فهو دائم متجدد كلما سنحت فرصة . وإذا رجعت إلى مراقبة نفسك وجدت فيها مصداق ذلك ، فقد يسهل أن تمضي معظم الليل في صلاة وتسبيح وقراءة وذكر وأمثال ذلك وتطبيقه حيث صممت عليه ، ثم تبلى النفس برغبة تملك عليها نواحيها ، فيكون

علاجها بكبحها عنها من أشق ما تقاسيه ، وقد تصرفها عنها الآن فتعاودها الظروف مرة أخرى فإما غلبتها وإما غلبتك ، ولئن ظننت أن الأمر سهل في بعض المنهيات الظاهرة ، فكم فيه من صعوبة في أمراض النفوس الخفية ونزغاتها الشيطانية ، وكم يجد المجاهد لنفسه من الصعوبات في تنزيه نفسه من الأثرة وتحبيها في الإيثار ، ومن الغضاضة عليها في فوات أمر كانت تبغيه فيظفر به غيرها ، والرجع في كل ذلك الى التوفيق الإلهي والمعونة الربانية . نسأله عز شأنه أن ينحها من ذلك حظا كبيرا .

الجملة الثانية قوله صلى الله عليه وسلم : « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » : ليس أشق على النفس وأشد إذلالاً لها من الفقر والحاجة . وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم في دعائه من الفقر والعيلة . وجاء في دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عن سواك » ومن ذا الذي يتصور الفقر ولا يفزع الى الله في أن ينجيه منه ومن شره ؟ إلا أن الفقر فقران : أحدهما فقر بفقد ما تدعو ضرورة الحياة اليه ولا تستطيع الحياة بدونه ، وهذا لا لوم على المرء في التخلص منه ، بل يجب الجهد في السعي اسد الخلة وإصابة الرزق ، فالتخلص منه بالسعي في طلب الرزق من وجوه الحل مأمور به شرعا ، قال تعالى : ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ) والثاني فقر بفوت رغائب النفس ومحابها التي تتطلع اليها ، وهذا لانهاية له ، فتي أولعت النفس بتحصيل محابها فهي مولعة دائما أبدا . والله در الغائل :

روح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لاتنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وقد ورد « لو كان لابن آدم واد من ذهب لمتى ثانيا ، ولو كان له واديان لمتى ثالثا ، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . هذا النوع هو المتعبة الكبرى ، وهو باب البلاء ، وموجب الشقاء في الآخرة والأولى . هذا هو الموقع

في التهلكة على حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة . هذا هو المنغص للحياة ، المشقى للنفوس ، المفوت للسعادة ، الصارف للمرء عن شكر ربه . هذا مدعاة لا حتقار المرء نعمة ربه عليه ، وذهاب نفسه حسرات على ما حرم منه ، فإذا ما أحرزه هان أمره في نظره ، وانصرفت نفسه عنه إلى إحراز ما فقدته ، وهكذا دواليك ، فمن كان هذا شأنه فإن نفسه لا تستقر على حال من القلق ، ولا ينعم له بالنعمة .

ومن الأساطير الخيالية ما يحكى — على طريقة ضرب المثل — أن رجلاً فقيراً كان يقتات بقطع الحجارة من الجبل ، فر عليه ملك بأبهته ، فجاء الجند يدفعونه من طريق الملك بإزعاج واحتقار ، فشق عليه ذلك ، فدعا أن يكون ملكاً ينحى الناس من طريقه ولا ينحى هو من طريق غيره ، فلما استجيب له خرج يوماً للصيد فغاظه حر الشمس حتى اضطر أن يتقيها بمظلة ، فغاظه أن يغلبه شيء وهو في عزة ملكه ، فتمنى أن يكون تلك الشمس التي تتقّى وهي لا تتقّى شيئاً ، فكأنه تم له ذلك وإذا بالسحاب يمنع شعاعها أن ينفذ إلى ما أرسلت إليه ، فلم يرقه ذلك وتمنى أن يكون هو السحاب الحاجب لا الشعاع المحجوب ، فلما كان سحاً باوجد الجبل يعترضه في سيره فيمزقه إرباً ويفرقه شعباً ، فتمنى أن يكون الجبل وإذا بالحجار يتسلط عليه ويقطعه بفأسه ، فطلب أن يعود هو ذلك الحجار .

فهل ترى أمانى الحياة على هذه الوتيرة ، ما من أمنية إلا وهي مشوبة بنقص يكون قد استكمل في أخرى ، ألا ترى كم يتمنى الأغنياء صحة الفقراء وابتهاجهم بمعيشتهم وغبطتهم بمرحهم ! ألا ترى أن التاجر ينظر إلى ما فيه الموظف من ضمان المرتزق والخلوص من الفرع لمراقبة صعود الأسعار وهبوطها ، مع ما هو فيه من عزة ونفوذ ، وهذا يتمنى ما هو فيه من رزق مستور مبارك فيه ليس بمحدود ولا محدود ، مع كفالة حريته وتصرفه حسبما يريد لا حسبما يراود منه ، وكلاهما يرى ما ينعم به الزارع من طلاقة جو وتقلب بين الخضرة والماء تحت أشعة الشمس الصافية ، وهو يتمنى ماها فيه من رفاهية ونعومة عيش ! وهكذا ما من حالة إلا وفيها ما يرغب فيه وما يشتهي

منه ، وإذا قالوا : « إن الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى » فإن هذا القول منطبق على كل نعمة لا يكاد يراها إلا من حرم منها ، وقد يكون متمتعاً بخير منها فيذهل عنه ويتطلع إليها ، اللهم إلا من وفقه الله لشكر نعمته « وقليل من عبادى الشكور » . ولقد جاءت هذه الجملة في الحديث الشريف تنير الطريق لمن يبتغى أن يكون سعيداً في حياته هنيئاً في معيشته ، فردت نفسه عن أطباعها ، وأبانت أن إحراز كل الرغائب غاية لا تنال ، وأن الغنى إنما هو في القناعة والرضا ، فارض بما قسم الله تكن أغنى الناس . الجملة الثالثة « وأحسن الى جارك تكن مسلماً » :

الجوار مظنة المنافسة ، وطريق لتزاحم المصالح ، ومؤد الى تعارض المنافع ، ولا يخلو غالباً من احتكاك يولد الشر بين المتجاورين ، ومن منّا لم يشهد ذلك ولو في بعض الأحيان ، أو في غيره من الناس المتجاورين إذا كان قد من الله عليه وعلى جيرانه بالسلامة مما ذكرنا ؟ ولكن مع ذلك أمر لا بد منه ولا مفر عنه ، فقلّ من الناس من يستطيع المعيشة منفرداً منعزلاً ؛ ثم لا بد أن ينتظر فيه الجيران بعضهم من بعض معونة ومساعدة على مهام الحياة . فالجوار إما متعبة منغص ، وإما نعمة مرفه ، وبهذا وذاك تحل الحياة ، ويتفرغ كل من الجارين لعمله ، مؤتسجين بحار مستندا اليه ، أو تتر وتشتى ، وينشغل كل منهما بمراقبة الآخر والحذر من ضرره ، وأعمال المسكيد للإيقاع به . وكما بين الحالين من تفاوت . فالجوار نعمة عظيمة ، أو نقمة كبرى .

ولقد جاءت هذه الجملة تبين للناس طريق الخلوص من الشقاء والشرور ، وتنير طريق الانتفاع المتبادل بينهم . وليس أبلغ في ذلك من فتح باب الإحسان والتراحم بينهم بعضهم مع بعض ، وجعل ذلك من موجبات الاسلام ومقتضيات الدين ، ومتى فتح باب الإحسان من جانب تبعته المحبة من الجانب الآخر ، فقد جابت النفوس على حب من أحسن إليها ، ومتى سادت المحبة بينهم فقد تم التعاون والتساند ، وأصبحوا كما جاء في الحديث في صفة المؤمنين أن مثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحصان  
 وإن الإحصان الى الجار لا يبلغ من الإحصان الى غيره ، لأنه يطفىء جرة المنافسة ،  
 ويعطف المتقاربين في الأماكن ، حتى يكون بينهما اقتراب في القلوب .  
 وحق الجار في الإحصان زائد على ما تقتضيه الأخوة العامة بين المسلمين من  
 الحقوق ، فقد روى أن الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وهو الجار المسلم ذو الرحم ،  
 وجار له حقان ، وهو الجار المسلم ، وجار له حق واحد ، وهو الجار المشرك ، وقد كان  
 بعض الصالحين يبدأ في الإحصان بجاره الكافر كأنه يخشى أن ينزلق إليه الشيطان  
 بوسوسته ، فيزين له الإعراض عنه لكفره ، فيبدأ به سدا لطريق وسوسته ، فإن  
 إبليس يسلك للنفوس خيرة من طريق التلبيس .

ولا يقتصر حق الجار على كف الأذى ، بل منه احتمال أذا ما أمكن ، وإسداء  
 الخير والمعروف اليه ، وغض البصر عن عواراته ، وألا يتجسس على أحواله ، وألا يضايقه  
 في المرافق المشتركة ، وأن يعود مرضاه ، ويشاركه في مسرته ، وينعشه من صرخته ،  
 ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته . ويتلطف بولده في الإرشاد والإيثار ، ويرشده  
 الى ما يجمله في أمر دينه ودنياه ، وحسبك في تحديد هذا ما رواه الامام أحمد والطبراني  
 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : سألت رجل النبي صلى الله عليه وسلم : كيف لي  
 أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ؟ قال : « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد  
 أحسنت ، وإذا سمعهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » فانظر كيف جعل مقياس  
 الإحصان والإساءة ما يتسمع عن المرء من جيرانه .

الجملة الرابعة « وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » :

ومعنى محبته للناس ما يحب لنفسه : أن يحب لهم إحراز الخير في الدنيا والدين كما يحب  
 لنفسه ذلك ، وهذه المحبة تشمل كل الناس حتى الكافر ، فيحب له أن يهتدى كما اهتدى ،  
 وأن يسعد كما سعد ، فإن من أحب الكافر للكافر فقد كفر أو كان على خطر .

ولما كانت المحبة معنى في القلب، وذلك يناسب الإيمان القلبي وكان الإحسان معنى عمليا، رتب الاسلام على الإحسان للجار في الجملة السابقة، ورتب الإيمان على المحبة في هذه الجملة، وإن كان كل من الاسلام والإيمان لا ينفرد عن الآخر في نظر الشارع. الجملة الخامسة قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»:

وهي حكمة عالية، وثمره غالية، وزنت بميزان معتدل لا إفراط فيه ولا تفريط، فلم يثنه عن أصل الضحك بحيث يكون المرء دائم العبوس والانقباض، ولم يعلق سراحه بحيث يكون المرء ضحكة مهزارا، فذلك مما يؤدي الى الابتذال والإعراض عن المهام، واللهو عن الواجبات، وهو معنى موت القلب، كما أن دوام العبوس منفر مذهب لثمره الألفة بين الناس. ولقد كان صلى الله عليه وسلم يضحك قليلا، وكان ضحكه التبسم، وكان يضحك حتى تبدو نواجذه. والمراد بعدم إكثار الضحك عدم كثرة مراته بحيث يصبح عادة وديدناله، وعدم الإغراق فيه بحيث يخرج عن حد الوقار.

وترى التناسب بين هذه الجمل تاما من جهة أنها تشترك في تحصيل السعادة للنفس، والراحة للقلب، والمهنة في الحياة، والرضا في المعيشة للفرد والمجموع، فإن شعور النفس بإحرازها من العبادة قسطا وإفرا مرضاة لها، وراحة لضميرها؛ وكذلك شعورها بالغنى وعدم الحاجة يوجب من ذلك حفظا عظيما. ولا يخفى مافي الإحسان للإنسان وحب الخير للغير من دواعي الغبطة وشمول المسرة وكمال الابتهاج. وهنا تشعر بجبال ارتباط الجملة الخامسة بتلك الجمل، إذ كانت كالحارس للنبيه، لتحول بين النفوس وبين الإفراط في المرح والمسررات، والاسترسال في الضحك والمزاح، مما لا يليق بهذه الحياة الدنيا والدين، التي ينبغي أن تكون حياة الجد والعمل، والتسابق الى إحراز الخير والفضل من شئون الدنيا والدين، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسعادة في الدنيا والآخرة،

## عمر الفاروق رضى الله عنه

هو الخليفة الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أبوه الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، وأمه حنتمة بنت هشام .

كان عمر فى الجاهلية من الذين انتهى اليهم الشرف من قريش ، إذ كانت له السفارة فيهم .

وكان من التجار المعروفين بالأمانة وصدق المعاملة ، وبقي كذلك تاجرا حتى تولى أمر الخلافة .

اشتهر عمر الفاروق فى الجاهلية بالمنعة ، وعزة الجانب ، وشدة البأس ، فأعز الله المسلمين بإسلامه ، فقد كانوا قبل أن ينضم اليهم يجتمعون فى دار الأرقم مستخفين هربا من اضطهاد قريش ، فلما أسلم عمر قال : يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قليل وقد رأيت ما لقينا . فقال له عمر : والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جاست فيه بالكفر إلا جاست فيه بالإيمان ! ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين ، حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة . ومن هذا اليوم أسمى رسول الله عمر بالفاروق ، لأنه فرق بفعلته هذه بين الحق والباطل ، وقال المشركون : قد انتصف القوم منا .

صحب عمر الفاروق النبي صلى الله عليه وسلم أخلص صحبة ، وبذل فى نصرته نفسه وأعز عزيز عنده ، وكان يؤثر عنه من الغيرة فى الدين ما لا يصدر إلا ممن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه .

كيف انتخب للخلافة :

ذكر ابن الجوزى فى السيرة العمريّة عن عاصم قال : جمع أبو بكر الناس وهو



مريض فأمر من يحمله الى المنبر فكانت آخر خطبة خطب بها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« أيها الناس ! احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فإنها غرارة ، وآثروا الآخرة عليها وأحبوها ، فبحب كل واحدة منهما تبغض الأخرى . وإن هذا الأمر الذى هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صالح به أوله ، ولا يتحملة إلا أفضلكم مقدرة ، وأملككم لنفسه ، أشدكم فى حال الشدة ، وأسلمكم فى حال اللين ، وأعلمكم برأى ذوى الرأى ، لا يتشاغل بما لا يعنيه ، ولا يحزن لما نزل به ، ولا يستحي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة ، قوى على الأمور ، لا يجوز بشئ منها حده بعدوان ولا تقصير ، يرصد لما هو آتية أعتاده ( أى أدواته ) من الحذر والطاعة ، هو عمر بن الخطاب . »

ثم نزل ، فتولى من رضى بما قاله أبو بكر إقناع الساخط عليه ، فتم لعمر الأمر .  
تولى عمر الفاروق بإجماع من المسلمين ، فكان مثال العدل والزهد والرحمة ، ضربت به الأمثال فى حب الرعية والسهر على راحتها ، والدأب على ما فيه صلاحها .  
لما استتب له الأمر رقى المنبر فخطب الناس ، فقال بعد أن حمد الله وصلى وسلم على نبيه :

« إنما مثل العرب مثل جل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فو رب الكعبة لأحملهم على الطريق ! »

أول عمل عمله الفاروق رضى الله عنه بعد توليه الخلافة إرسال سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، وعزل خالد بن الوليد عن إمارة الجيش بالشام وإسنادها لأبى عبيدة ابن الجراح ، وبعث يعلب بن أمية لاجلاء نصارى نجران من بلادهم باليمن . وهو رأى خاص له فقد رأى إذ ذاك من المصلحة أن لا يكون فى جزيرة العرب دينان ، ولكنه عهد لمن أرسله فى أن يتألف فى إجلأئهم ما استطاع فقال له :

« أئتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلبهم : من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ،

وامسح أرض كل من تجلى منهم، ثم خیرهم البلدان، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك بجزيرة العرب دينان، فليخرجوا من أقام على دينه منهم، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم، إقراراً لهم بالحق على أنفسنا، ووفاء بدمتهم فيما أمر الله من ذلك، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف .

وكتب لهم كتاباً بهذا صورته :

«أما بعد : فن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض، وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم باليمن .»

فاختار بعضهم النزول بالشام، وبعضهم النجراتية قرب الكوفة، وبهم سميت . ليس فيما فعله عمر إجحاف بهؤلاء القوم، فإنه لم يفعل ذلك كراهة أن يجاور المسلمون مخالفينهم في الدين، ولكنه فعله لأمر كان يقتضيه الحال في ذلك الوقت، ولم يقذف بهم خارج المملكة الإسلامية، ولكنه خيرهم فلم يختاروا إلا جوار المسلمين، لما عهدوه فيهم من التسامح وحسن المعاملة، فاختار بعضهم النزول بالشام، وبعضهم النزول بقرب الكوفة .

### فتح بلاد الشام :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجهاً أبا عبيدة وخالد بن الوليد لفتح الشام وكانت في يد الرومانيين، فحدثت بين الفريقين وقائع أولية توفى في خلالها أبو بكر وتولى الخلافة عمر فعزل خالدًا عن القيادة العامة وولاه أبا عبيدة وحده، فحدثت واقعة اليرموك التي انهزم فيها الرومانيون شر انهزام ؛ فتمت هزيمة أمبراطورهم إلى حمص، وولى أخاه القيادة العامة .

أما قائد المسلمين أبو عبيدة فإنه بعد انتصاره في معركة اليرموك خرج حتى نزل بمرج الصفر، وهنا لك سمع بأن المنهزمين اجتمعوا بمدينة فحل، وأن مدداً أتى أهل دمشق، فلم يدر أيبداً بدمشق أم بفحل، فكتب يستشير عمر، فأمره أن يبدأ بدمشق

لأنها عاصمة الشام، فتقدم إليها وحاصرها نحوًا من سبعين يومًا. وكان أبو عبيدة أرسل جيشًا تحت إمرة ذى الكلاع ليرد عن دمشق كل مدد يأتي من حمص، فضعف أهل دمشق عن تحمل الحصار. وفي أثناء ذلك ولد لقائد دمشق مولود، فاحتفل به أهلها فأكلوا وشربوا وغفلوا عن مواقعهم، فاتخذ خالد بن الوليد سلايم من الحبال وندب معه جماعة، فتسوروا السور ونزلوا إلى الباب ففتحوه وأمر الجيش بأن يقتحمه، فهاج أهل دمشق وطلبوا الصلح وفتحوا جميع أبواب المدينة وأمر الجيش بأن يقتحمه، فذعر أهل دمشق وطلبوا الصلح، وفتحوا بقية الأبواب. وكان ذلك سنة ١٣

#### وقعة فتح بين المسلمين والرومانيين :

بعد فتح دمشق اتجه جيش المسلمين لمناجزة هرقل أمبراطور الرومانيين، فسار إليه أبو عبيدة فجعل خالد بن الوليد في المقدمة، وجعل نفسه وعمرو بن العاص على اليمين واليسرة، وجعل ضرار بن الأزور على الخيل، وعياضًا على المشاة، وسلم القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة. فلما انتهوا إلى أبي الأعور، وكان بين الأردن وبين دمشق يمنع المدد عن أهل دمشق، قدموه إلى طبرية فحاصرها ونزلوا هم بفحل. وكان الرومانيون قد رأوا صدوعهم وجمعوا فلولهم، واعتزموا أن ينزلوا بالمسلمين كارثة، فباغتوهم ليلاً فدارت رحى معركة حامية انهزم فيها الرومانيون، وحالت دون إفلاتهم عوائق، فوقعوا أسرى في أيدي المسلمين.

ثم انصرف أبو عبيدة ومعه خالد إلى حمص، وسار شرحبيل بن حسنة إلى ييسان وطبرية، ويزيد بن أبي سفيان إلى سواحل الشام.

أما أهل ييسان فتحصنوا في مدينتهم ثم انتهى أمرهم بالصلح. وصالح أهل طبرية أبا الأعور على أن يبلغ الأمر إلى شرحبيل، ونزل قواد المسلمين في مدن نهر الأردن وقرأها.

فلما سمع أمبراطور الرومان ما حل بجنوده رأى أن يرسل جيشا الى دمشق ليشغل أبا عبيدة عن حمص ، فنزل ذلك الجيش في مرج الروم غرب دمشق ، فأسرع أبو عبيدة ومعه خالد فنازلا ذلك الجيش الذى سار قسم منه الى دمشق ، فتبعه خالد واستقبله يزيد ابن أبى سفيان فاقتتلوا ، فلم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتل خالد بيده قائدهم .  
أما أبو عبيدة فقاتل من كان تخلف من ذلك الجيش بمرج الروم ، فأصاب الرومان فزع عظيم ، وقتل قائدهم .

### فتح سواحل الشام :

ذكرنا أن أبا عبيدة وجه يزيد بن أبى سفيان لفتح سواحل الشام ، فجعل يزيد على مقدمته أخاه معاوية بن أبى سفيان ، ففتح صيدا ثم عرقة وجبيل وبيروت ، فاسترد الرومانيون بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان ، فقاتلهم معاوية حتى أجلاهم عنها .

### فتح حمص :

قصد أبو عبيدة حمص عن طريق بعلبك ، وقدم السمط بن الأسود إليها ، وأرسل خالد بن الوليد الى البقاع فافتتحها ، ونزل أهل بعلبك فصالحوا أبا عبيدة .  
ثم توجه الى حمص فوجد السمط بن الأسود قائده هنالك قد صالح أهلها ، فأجاز صاحبه .

### فتح فلسطين وأمنابين :

لما سار أبو عبيدة من فحل الى حمص وافتتح عمرو بن العاص وشرحبيل بيسان ، وصالحهم أهل الأردن ، وقصد عمرو فلسطين ، كتب أمير المؤمنين عمر الى يزيد بن أبى سفيان وهو أخو معاوية ليشد أزرهم من خلفهم ، وأن يسرح أخاه معاوية الى قيسارية ، وأمر عمرو بن العاص بمقاتلة القائد الرومانى المشهور المسمى

الأرطوبون في أجنادين ، ووجه علقمة بن محرز لصد القائد الرومانى المسمى الفيقار فى غزة .

فصدع معاوية بالأمر ، فوجد فى قيسارية جنداً للرومان ، فقاتلهم وانتصر عليهم وافتتح المدينة .

وأما علقمة بن محرز فحصر قرنه الفيقار ، وضيق عليه الخناق .

وأما عمرو بن العاص فسار نحو الأرطوبون ، الذى تابعت عليه الأمداد من هرقل ، فسفرت بينه وبين عمرو السفراء ، وتظاهر عمرو نفسه مرة أنه سفير ودخل على الأرطوبون ، وأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمل حضوره . فحدثت الأرطوبون نفسه بأن هذا السفير هو قائد المسلمين نفسه ، فأرصد له فى الطريق من يقتله ، ففطن عمرو لذلك ، فاحتمل بحيلة ، وذلك أنه قال للأرطوبون قبل أن يبرح معسكره : إن معى قوماً هم شركائى فى الرأى ، فأمرنى أن أذهب فأتيك بهم . فأجابه الأرطوبون الى ذلك ، وأرسل لمن أرسده لقتله أن لا يتعرض له ، فذهب عمرو ولم يعد . وأمر عسكره بالزحف على عدوه ، فحدث اقتتال عنيف انتهى بهزيمة الرومانيين ، فانتقلوا الى إيليا ، فأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها ودخلها ، ثم اضطر للتقهقر الى أجنادين .

### فتح بيت المقدس :

لما فتح عمرو أجنادين ، ترك أهل بيت المقدس محصورين ، وشرع يتم فتح مدن فلسطين ، فافتتح غزة ، واللد ، ونابلس ، وبيت جبرين ، ومرج عيون ، ويافا . ثم قصد بيت المقدس ، وأخذ يخبر بها الأرطوبون ، فامتنع عليه ، ثم بدا لأهل المدينة أن يصالحوا المغيرين عليهم خوفاً على كنيساتهم الكبرى أن تهدم بسبب الحركات الحربية ، ولكنهم اشترطوا على محاريبهم أن يحضر أميرهم نفسه ليتفاوضوا فى شروط الصالح وأن يوقع عليه بنفسه . فكتب عمرو الى أمير المؤمنين عمر يخبره بهذا الأمر ، فأسرع بالشخص بنفسه الى ميدان القتال ، وتولى بنفسه أمر المفاوضة فى شروط الصالح

وأراهم من سماحة الاسلام ما لم يكونوا يتوقعونه ، ثم وقع بنفسه على تلك الشروط ، ورجع الى المدينة .

سار عمر وأمر قواده أن يوافوه بالجابية ، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ثم أبو عبيدة ، ثم خالد على الخيول ، وكانوا في رواء وأبهة ، فكبر على عمر أن يرى آثار الترف بادية على رجاله بعد تلك الخشونة والشظف ، فنزل عن دابته ، وأخذ أحجارا من الأرض فرماهم بها ، وقال :

«سُرْعَ مَا لُفْتُمْ عَنْ رَأْيِكُمْ ، إِيَّاي تَسْتَقْبَلُونَ بِهَذَا الزِّى ، وَإِنَّمَا شَبِعْتُمْ مِنْذُ سَنَتَيْنِ ! سُرْعَ مَا نَدَتْ بِكُمْ الْبِطْنَةُ ، وَتَالَّهِ لَوْ فَعَلْتُمُوهَا عَلَى رَأْسِ الْمَائَتَيْنِ لَأَسْتَبَدَلْتُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ ! فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَلَامُكُمْ ، وَإِنْ عَلَيْنَا السِّلَاحُ (الِيلَامَةُ مَالِعٌ مِنَ السِّلَاحِ) قَالَ عُمَرُ : فَنَعَمْ إِذَا ، وَرَكِبَ حَتَّى دَخَلَ الْجَابِيَةَ ، وَبَيْنَمَا هُوَ بِهَا إِذْ جَاءَ أَهْلُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ - وَكَانَتْ تَسْمَى إِيلِيَاءَ - طَالِبِينَ الصَّلَاحِ ، طَائِفِينَ عَلَى كُنَيْسَتِهِمُ الْعَظْمَى وَقِبَاتِهِمُ الْمَقْدَسَةَ ، فَأَمْنَهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَدِينِهِمْ ، وَكُتِبَ لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدًا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةٍ .

ثم قصد أمير المؤمنين بيت المقدس حتى انتهى الى المسجد الأقصى فصلى فيه ، ثم قام الى كنيسة كان الرومان جعلوها على محل هيكل لليهود هدموه وألقوا عليه تلك الكنيسة نكاية في بني إسرائيل ، فقال : أيها الناس اصنعوا كما أصنع ، وجثا في أصلها ، وحشا التراب في ذيل ثوبه ، فسمع تكبيرا من خلفه ، وكان يكره سوء النظام في كل شيء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : كبر كعب الأخبار وكبر الناس بتكبيره ، وكان كعب هذا حبرا من أخبار اليهود بالمدينة صحب النبي وصاحبيه ولم يشأ أن يسلم حتى تتحقق جميع العلامات التي قرأها في كتب بني إسرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم أسلم في خلافة عثمان . فقال عمر : على به . فأثنى به ، فسأله عن سبب تكبيره ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ بما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة .

### فتح حماة واللاذقية وقنسرين :

فتح هذه البلاد الثلاثة أبو عبيدة بن الجراح قبل مسيره من مدينة حمص .  
صاحبه أهل حماة ، ثم بعث خالد بن الوليد الى قنسرين ، وسار هو الى اللاذقية فامتنع عليه أهلها ، فأمر الجند أن يحفروا أسرابا في الأرض كل سرب يسترا الرجل وفرسه ، فأظهر القفول الى حمص ، فلما جن عليهم الليل عادوا الى معسكرهم وحفائرهم ، وأهل اللاذقية يظنون أنهم انصرفوا ، ففتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم ، فلم يرعهم إلا أن صبحهم المسلمون ، فطلبوا الأمان ، فصوخوا على خراج يؤدونه ، وبني المسلمون بها مسجدا لهم .  
وأما خالد فلما وصل الى قنسرين زحف اليه قائدها ميناس بجيش الرومانيين ، فاقتتلوا قتالا عنيفا ، فقتل ميناس ، وأسلم بعض أهلها ، وأقام بعضهم على النصرانية ثم أسلموا بعد ذلك .

فلما فرغ من حاضر قنسرين وهى قرية قريبة من قنسرين ، تحصن منه أهل تلك المدينة ، فقال لهم خالد : إنكم لو كنتم فى السحاب لحمانا الله اليكم أو لا نزلكم الله الينا . فنظروا فى أمرهم فرأوا أن يصالحوه ، فأبى إلا إخراج قلعتهما فأخربها .

أما هرقل فقصد بعد حمص أنطاكية ، ثم انتقل عنها الى الرها فى الجزيرة ، ليجمع جيشا يمد به أهل حمص قبل سقوطها ، ففطن له المسلمون فأرسلوا اليه عمرو بن مالك من قبل قرقيسيا ، وعبد الله بن المعثم من الموصل ، والوليد بن عقبة من الجزيرة يجيوش من المسلمين ، وكذا لحقهم من قنسرين خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، فاضطر هرقل أن يرحل الى القسطنطينية .

فلما بلغ عمر ما فعله خالد قال : لقد أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم منى بالرجال .

قال عمر ذلك لما رآه من جليل أعماله ، وقد كان عمر عزله عن القيادة العامة ، وعزل المثني بن حارثة الشيباني ، وقال : إنى لم أعزلها عن ريبة ، ولكن الناس عظموها ،

نخشيت أن يوكلوا اليهما ( أى خشيت أن يكلفهم الله اليهما ، مع أن النصر من عند الله لا من عندهما ) .

### فتح حلب وانطاكية وغيرها:

لما أتم أبو عبيدة فتح حماة وقنسرين واللاذقية وغيرها ، سار الى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى ، فوجد أهلها متحصنين بخاربهم حتى طلبوا الصالح . ثم قصد حاصر حلب ، فصالح أهلها على الجزية ، ثم إنهم أساموا بعد . ثم وجه هجمته الى حلب نفسها فحاصرها ، ثم انتهى أمرها بالصالح . فلما سار عنها نقض أهلها العهد ، فأرسل إليهم عياض بن غنم ، وحبيب بن مسامة الفهرى ، ففتحاها على الصالح الأول . بإتمام فتح هذه المدينة تم للمسلمين فتح سورية كلها . وأعظم ما يلفت النظر فيه غلبة الجيوش الإسلامية على الجيوش الرومانية ، وهو حادث جال فتح المسلمين مجال الفتوح واسعا لا يجرؤ أن يقف في وجوههم فيه أحد .

هذا هو القسم الأول من سيرة الفاروق رضى الله عنه ، فإن سيرته لا يمكن إيرادها في عدد واحد ، لاستيعابها صحفا كثيرة ، فترجى ما بقى منها الى العدد المقبل ، إن شاء الله ؟

محمد فريز وجرى

## علو الهممة وشرف النفس

قال شاعر حكيم :

أمطري لؤلؤا سماء سرندي      ب وفيضى أنهار تبريز تبرا  
أنا ما عشت لست أعدم قوتا      واذا مت لست أعدم قبرا  
هتتى هممة الملوكة ونفسى      نفس حر ترى المسئلة كفرا

هذا أحسن ما يمكن تصويره شعرا من علو الهممة ، وعدم الاستخذاء للذلة ، فإدام الانسان مهما طالت به حياة ، لا يعدم ما يقيمه من القوت من طريق الكسب ، ومادام لومات فلن يعدم قبرا يؤوى جثمانه ، فما الذى يضطره الى حمل نير الذل ، والرضا بالهوان فى سبيل العيش ؟



# بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْإِجَابَةِ

## مسائل تتعلق بصلاة الجمعة

جاءتنا أسئلة كثيرة في هذا الموضوع نقتصر منها على سؤالين ، وفي الجواب عنهما جواب عن كل ماوردنا في هذا الموضوع :

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير مولانا الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فنرجو الجواب عن مسألة شرحتها أن هناك بلدة قاضيها الشرعي واحد ، وسوقها واحد ، وحالكها واحد ، تشتمل على قرى متعددة لا تبعد الواحدة عن الأخرى بميل ، وبين بعضها بساكنين ليست مسكونة ، وكل قرية مستقلة بمنافعها الخاصة كجامع الجمعة وغيره . فهل والحالة هذه إذا حضرت صلاة الجمعة في قرية ولم يوجد من أهلها إلا اثنا عشر رجلا وكان فيها من القرية الأخرى ما يفي بالعدد المذكور تنعم بهم العدد ، نظرا إلى أنهم من بلد واحد ، أم لا ، نظرا إلى أنهم من قرية مستقلة ونصليها ظهرا ؟

جاءنا هذا السؤال وطالب منا مرسلوه أن نعرضه على فضيلتكم ، ولكم الشكر  
ومن الله الأجر .  
سليمان الزوي برواق المغاربة  
بالأزهر الشريف

نحن أهالي ناحية الجرفية مركز قنا ومديرية قنا ، نظرا لما يلحق بعضنا من المشقة للذهاب إلى بلدة الشيخ عيسى لصلاة الجمعة فقد أقمنا جماعة في بلدتنا التي يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة نفس تقريبا وتبعد عن قرية الشيخ عيسى بألفي متر تقريبا ، ففيل لنا

إن صلاة الجمعة لا تصح في بلدكم لأنها تابعة لبلدة الشيخ عيسى . فافتونا هل تصح الجمعة في بلدنا أم لا تصح ؟ ولكم من الله الأجر والثواب .

محمد الراوى أحمد ومحمود جوده الجرفى

## الجواب

يجب لتوضيح الموضوع أن نجعل الكلام في مقامين :

المقام الأول : صحة الجمعة في كل قرية من هذه القرى وعدم صحتها إلا في قرية واحدة منها .

المقام الثانى : انعقادها بمن ليسوا متوطنين بقريتها وعدم انعقادها بهم .

### المقام الاول :

القرى المتقاربة يجب على أهلها جميعا أن يؤدوا الجمعة واحدة في المسجد العتيق ، وهو الذى أقيمت الجمعة فيه أولاً أى قبل إقامتها في غيره ، وإن تأخر أداؤها فيه عن غيره فيما عدا الجمعة الأولى . فكل من كانت قرينته خارجة عن قرية المسجد العتيق بما لا يزيد عن ثلاثة أميال وثلاث يجب عليهم السعى لأدائها في العتيق ، فإن جمعوا في غيره فجمعتهم باطلة ، إلا إن كان إحداث الجمعة عندهم لضيق العتيق مع عدم إمكان توسعته ، أو لعداوة بينهم وبين أهل القرية التى فيها العتيق بحيث يخشى من حضورهم معهم في مسجد واحد حدوث فتنة ، فإذا تكون جمعتهم في مسجدهم صحيحة . وكذا إن حكم حاكم بصحتها في غير العتيق صحت الجمعة . ومن كانت قرينته تبعد عن قرية العتيق بثلاثة أميال وثلاث ، فجمعتهم في مسجدهم صحيحة ، ولا يجب عليهم السعى لأدائها في العتيق .

### المقام الثانى :

من شرط صحة الجمعة أن يحضرها اثنا عشر رجلا سوى الامام أحرار متوطنون

بقريتها أى مقيمون بها بنية التأيد . أما المقيم بقرية خارجة عنها وهو ممن يجب عليه السعى لها كما قدمناه ، فإن الجمعة تجب عليه تبعاً لأهل القرية ولا تنعقد به ، فلا يعد من الاثنى عشر ، وحيث إن القرى المسئول عنها كل منها مستقل بمرافقه عن الأخرى ، فلا تعد كقرية واحدة ، ولا يعتبر المتوطن بقرية خارجة عن قرية الجمعة متوطناً بقريتها . فإذا لم يحضر من المتوطنين بقرية الجمعة الاثنى عشر فلا تصح الجمعة . وإذا حضر العدد صحت إقامتها الى ما قبل غروب الشمس بزمان يسع ركعة من العصر ، وإن حرم تأخيرها عن آخر وقت الظهر المختار ، وهو ما قبل دخول وقت العصر بزمان يسع ركعة من الجمعة . والله يتولى هدى الجميع .

## ثبوت شهر رمضان بواسطة التلغراف ونحوه

حضرة الأجل الفاضل العالم العلامة الشيخ يوسف الدجوى المحترم ، حفظه الله تعالى علاه ، ولطف به وتولاه ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فإننا لكم من المحبين ، ولقد اطلعنا على بعض مقالاتكم مدرجة في مجلة نور الإسلام ، فسررنا بها غاية السرور ، سائلين المولى أن يمتع الإسلام بحياتكم .

هذا وإننا نحب أخذ رأيكم فى مسألة العمل بالبرقيات التى ترد لنا عن ثبوت الأهلة بما تقتضيه القواعد الشرعية ، لا سيما على مذهب الإمامين الجليلين : مالك والشافعى رضى الله عنهما ، بما هو مشروح فى السؤال ، وهو هذا :

ما قولكم دام فضلكم فيما إذا وردت برقية من الحجاز أو الشام مثلاً الى البحرين برؤية هلال شهر رمضان أو شوال ، مع ما هو معلوم من مباشر عمل البرقية غالباً ، وتناير حكومة المحليين المذكورين ، فهل يعمل بالبرقية المذكورة فى مسألة الإمساك والإفطار أم لا ؟ وإذا قلتم بالعمل بها فما وجهه ؟ وإن قلتم بعدمه فما السبب فى ذلك ؟

يدينوا لنا ما يلزم في ذلك بالتحقيق، ولكم من الله الأجر ومنا الشكر، والسلام عليكم ورحمة الله من محبيكم قضاة محكمة الشرع بالبحرين .

محمود عبد اللطيف . عبد اللطيف سيد محمد

## الجواب

قد نُص في مذهب مالك رضى الله عنه على أنه إذا ثبت شهر الصوم لدى حاكم وإن لم يحكم به ، ونُقل ذلك الثبوت الى جهة أخرى بواسطة رجلين عدلين أو جماعة كثيرة يفيد خبرهم العلم بمضمونه أو الظن القريب منه ، أو بواسطة رجل واحد عدل ، فإن الشهر يثبت في حق أهل الجهة المنقول إليها ، ويجب عليهم الصوم بناءً على ذلك الخبر ، فإن المسألة من باب الرواية التي يكفي فيها خبر العدل الواحد ، وإن كان ثبوت الشهر عند مالك لا بد فيه من عدلين رأيا الهلال أو جماعة مستفيضة . ولا عبرة باختلاف المطالع عنده ، فيجب الصوم سواء اختلف مطلع الهلال في الجهتين المنقول منها وإليها أم اتحد ، وسواء اتقاربت الجهتان أم بعدتا ، إلا إذا كان البعد بينهما شاسعا جدا فلا يثبت الحكم بالنسبة لأهل إحدى الجهتين بثبوت الشهر في الجهة الأخرى . ومثل ذلك البعد الشاسع بما بين خراسان ( بالشرق ) والأندلس ( بالمغرب ) .

ونص المالكية أيضا على أنه يعتمد في الصوم والفطر على القرائن الدالة عادة على ثبوت شهر رمضان أو شوال ، كصوت المدافع ، وإضاءة المآذن ، كما يعتمد على صوت المؤذن في معرفة وقت الصلاة ، لجرى العادة بتوجيهه إلا نكار الشديد اليه من جماعة المسلمين لو كذب .

ونص مولانا الشيخ عليش في فتاويه على أنه يعمل بالإشارات التلغرافية في الصوم ، لأن التلغراف أداة معتبرة للتخاطب من المسافات البعيدة والقريبة بين ملوك العالم وحكامهم والناس أجمعين ، وعلى أن من أفطر في رمضان بعد وصول خبر الصوم له بواسطة السلك متأولا بأن هذا الخبر مبناه أقوال المنجمين التي لا تعتبر في ثبوت الشهر

شرعا ، فإنه يجب عليه الكفارة ( فضلا عن القضاء ) لأنه متأول تأويلا بعيدا لجهله وسوء ظنه ، فلا عبرة بتأويله ( وألفت نظرك لجملة ذلك جهلا وسوء ظن ) .

## الخلاصة

والخلاصة أن مدار وجوب الصوم في رمضان ، والفطر أول شوال ، على الظن الذائب بثبوت شهر الصوم أو الفطر . وحيث إن الغالب في الأخبار التي ترسل بواسطة التليفونات أو التلغرافات السلوكية أو اللاسلوكية إنما هو الصدق في المسائل الدينية كصوم رمضان ، فنرى أنه يجب صوم رمضان والفطر أول شوال بناء على الأخبار بهما من هذا الطريق ، إلا إذا تباعدت الجهتان جدا كما تقدم ، وإن كان عامل التليفون والتلغراف قد يكون غير عدل شرعا ، أو اختلفت حكومة الجهتين المنقول منها وإليها فذلك لا يمنع غلبة الظن التي هي مناط العمل بالأحكام الشرعية العملية ، كأحكام الصوم والصلاة وما بهما من المعاملات ، فإن الشارع جلت حكمته لم يكلفنا في العمل بالقطع واليقين دفعا للخرج ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) .

ومعلوم أن الأحكام العملية يكفي فيها الظن ، وأنه لا يجب فيها اليقين . وقد قالوا : إن غلبة الظن في دخول وقت الصلاة كافية ، وقالوا : وإن المجتهد يجب عليه العمل بما أداه إليه ظنه ، وإن المسائل القطعية ليست من مباحث الفقه . ولا يعقل في الملة الخنيفية السمحة التي تقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وتقول : « إن هذا الدين يسر » إلا هذا . ولو قلنا : إن أخبار البرقيات السلوكية واللاسلوكية لا يعول عليها بناء على هذه الاحتمالات لو صمنا الدين الاسلامي البعيد النظر الواسع الحكمة بالجمود الذي يبرأ منه وينعاه على أهله ، ولصيرناه مضغعة في أفواه أعداء الدين ، وسخرية بين الزنادقة والملاحدين . ولو فرضنا أن عامل التليفون غير عدل أو غير مسلم لم يضر ذلك شيئا ، لأن الخبر ليس منه ، وإنما هو مأمور بتوصيله الى الجهة المعنية ، فهو كالبريد الذي يحمل الرسائل . وعلى كل حال فليس هناك معنى لأن يغلب على ظن الإنسان ثبوت

رمضان بأى وسيلة من الوسائل التى تحتف بها القرائن الموجبة لغلبة الظن ثم يصبح مفطرا بعد ذلك . ولا شك أنه قد وجدت وسائل كثيرة فى هذا العصر لم تكن معروفة فى العصور الأولى . والمدار فى كل ذلك على حصول المقصود الذى هو الظن الغالب ، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما ( وإلا لم تكن الوسيلة وسيلة بل كانت مقصدا ، وقد فرضناها وسيلة ) والشارع لم ينط الأحكام إلا بحصول الظن الغالب ، فهذا هو اللائق بنظر الإسلام الواسع ، حتى يكون دين العصور كلها والأأم كلها ، وتكون حجته قائمة على المخالفين فى كل زمان ومكان . نعم : بعض الأحكام العملية لا يثبت عند الاحتمال وقيام الشبهة ، كوجوب القصاص فى الجناية على النفس ، ولكن ذلك لدليل خاص كقوله صلى الله عليه وسلم : « ادروا الحدود بالشبهات » وذلك لخطر القصاص . هذا ما نقول به ولا نفى بشىء سواه .

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل ، ويمنعنا من الخطل ، وأن يلهمنا الرشد فى العلم والعمل ، ولا يكلنا لأنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه .

## مسألة تتعلق بالبيع والدين والى با

قال السائل بعد الديباجة :

نرجو الإفادة عن مسألة صورتها : رجل تدين من آخر بضاعة معلومة بثمن قدره ألف فرنك مثلا الى أجل معين ، وعند انتهاء الأجل طلب صاحب الدين من المدين دينه ، فقال المدين : لا أملك شيئا أدفعه لك إلا أن تبغى بضاعة أخرى تساوى ألف فرنك تقدا بألف ومائة مؤجلة لتبغىها الآن بألف وتدفع لك الألف السابق ، فوافقه صاحب الدين على ذلك ، وأخذ البضاعة وباعها ودفع السابق . فهل العقدة الثانية ممنوعة شرعا ، وما جعلت إلا للتخلص من المطالبة بالدين السابق مع زيادة مائة فيه ، أم هي عقدة جديدة منفصلة عن الأولى ، وحينئذ تكون جائزة شرعا وليس فيها فسخ دين فى دين

ولا شىء من الموانع ؟

سليمان الزوي

برواق المغاربة بالازهر الشريف

## الجواب

قرر العلماء أنه يحرم فسخ الدين في الدين . ومن صورته تأخير الدين الذي حل أجله الى أجل آخر مع زيادة فيه ، كأن يكون لشخص على آخر عشرة جنيهات مؤجلة الى أجل معين فيعجز المدين عن قضائها عند الأجل ، فيتفق مع دائئه على تأخيرها الى أجل آخر نظير زيادة اثنين ، فتكون العشرة اثني عشر ، وهذا هو ربا الجاهلية بعينه ، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

وقالوا أيضا : إن كل عقد حلال في ظاهره ولكن قصد به التحايل على أمر ممنوع شرعا — يكون محرما متى كان ذلك الممنوع يكتر قصده المتعاقدين بحسب العادة . ولذلك أمثلة مبسطة في كتب الفقه .

وحيث إن أغلب المعاملات الواقعة بين الناس في هذا الزمان لا تخلو من ربا ، إما صراحة أو ضمنا ، نظرا لاستحكام حب المال في النفوس ، والميل الى مجاراة غير المتدينين في استثمار الأموال ، والحصول على ربح فيها من أى طريق كان ؛ وحيث إن العقد الواقع بين المتدينين لا يقصد منه إلا الاحتيال على تأخير الألف الذي في ذمة المدين الى أجل آخر في نظير زيادة المائة وجعل الدين ألفا ومائة ، وذلك مما يكتر قصده المتبايعين وأمثالهما نظرا لحالة المعاملات الآن كما قدمناه ، فنرى أن ذلك العقد محرم ، ويجب فسخه ورد المبيع الى بائعه ، ولكن حيث إن المبيع قد فات بخروجه عن ملك المشتري فلا سبيل الى رده للبائع الآن ، إنما الواجب الآن إلغاء المائة الزائدة وإبقاء الدين ألفا فقط كما كان .

ولا يحمل للدائن أخذها ، ولا للمدين إعطاؤها ( وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْمُونُ وَلَا تُظْمَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ )  
ونسأل الله التوفيق والتأييد .

يوسف الربوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## مذهب النشوء والارتقاء فى الميزان

- ٢ -

نقلنا فى العدد الماضى بحثا عن الدكتور (جوستاف جوليه) فى دحض مذهب دارون ، فُنْتُبِعُه اليوم بما يليه من البحث فى الإلهام الحيوانى ، وعدم كفاية العوامل اللاماركية والدارونية وغيرها مما تخيله أصحاب مذاهب التحول . فنحن الآن ننقل مؤدى رأيه فى هذا الباب ، قال :

إن الإلهامات المشاهدة فى حياة الحيوانات هى كما يعلمه الناس ، لا تنتهى كثرةً ، ولا تقف من إدهاشها للعقل عند حد . وهى جميعها تشترك فى وصف عام لها ، هو أنها تسمح للحيوان أن يعيش مقودا بإلهام فطرى فيه دون أن يفكر فيها تفكيراً منطقياً ، ودون توقف أو تلمس ، فيصل الى الغاية التى يرى إليها بثقة وطأً نينة لا يسمح بثلمها ، لنا العقل ولا التربية ، ولا الترويض الطويل .

فبفضل هذا الإلهام استطاع الحيوان من أى نوع كان أن يعيش معيشة تتفق ومصلحة النوع الذى ينتمى إليه ، وقد يكون ذلك أحيانا على حالة تعتبر شديدة التركب والدقة ، وخاصة فيما يتعلق بهجومه ودفاعه واغتذائه وتزاوجه الخ .

وقد رأينا أن الإلهام الحيوانى هذا يكون واحداً عند جميع أفراد كل نوع من الأنواع ، ويصعب تغييره بقدر ما يصعب تغيير النوع نفسه . وهو يكون وصفاً نفسياً مميزاً لكل نوع ، ومخالفاً لجميع الإلهامات الأخرى ، كما تتخالف الأنواع فى تركيبها الجسدية .

وقد تكلمنا عن تكون الأنواع فى الفصل السابق ، فرأينا أن العوامل التى ذكرناها لاتى فى إحداثها ، وفى هذا الفصل نريد أن نثبت أن الإلهامات الحيوانية لا يمكن تعليلها لا بنظرية الانتخاب الطبيعى كما يزعمه دارون ، ولا بنظرية تأثير البيئة كما يدعيه لامارك .



والموطن الذى يمكن فيه مشاهدة الإلهام الفطرى للحيوانات فى كل حالاتها هو حياة الحشرات . وقد رفع الأستاذ (فابر) أثرا خالدا لمباحثته فى حياة الحيوان ، فسنابجا إليها لندرك مبلغ تخالف الحشرات فى هذه الإلهامات ، ومقدار تركبها ، ومدى ثباتها ، ونبرهن فى الوقت نفسه على عدم إمكان تفسيرها بالعوامل التى قررها لامارك ودارون . وإنى أكتفى هنا لضيق المجال بوضع أمثلة ، فأليك واحدا منها وهو حياة الحيوان المسعى (بالسيتاريس) الذى نوه به الفيلسوف المعاصر لنا (برجسون) باعتباره أن دلالاته على ما نحن بصدد من أكبر الدلالات وأعجبها .

فإن هذا الحيوان يضع بويضاته فى مدخل سرداب أرضى يحفره نوع من النحل يدعى (أنتوقور) فلما تفقس هذه البويضات تمكث الديدان التى تخرج منها ساكنة تترقب ، حتى إذا مرت بها وحدات النحل المذكور تعلقت كل دودة بواحد من ذكرائها دون إنائها ، فتبقى ناشبة فيها الى وقت تزواج النحل ، وفى هذا الحين تترقب كل دودة من السيتاريس أن تنتقل من جسم ذكر النحل الى أنثاه ، منتظرة بطمأنينة موعد بيضها . ومتى حدث انقضت على بيضة من بيض النحل فأكلت ما فيها فى أيام ، وبعدها تبقى أياما أخرى على ظهر قشرة البيضة تؤدى فيه دور استحالتها الأولى ، ثم تنقلب بعد استحالة ثانية الى حشرة طائرة .

كل هذه الأدوار والشئون تمر كأن دودة السيتاريس المذكورة من أول ميلادها تعلم أن ذكران النحل ستخرج من سردابها أولا ، وتعلم أيضا أن دور التزواج يمكنها من الانتقال عن جثمان ذكر الى جثمان أنثى ، وتعلم أن هذه النحلة ستوصلها الى خلية من العسل تغتذى منها ، وهى المكان الذى تبيض فيه ، وتدرى أن مادة البيضة التى سقطت عليها تكفيها غذاء حتى تم استحالتها الأولى ، وتستعد بعد ذلك للتغذى بالعسل . يحدث كل هذا كأن حشرة السيتاريس نفسها تدرى أن ابنتها تعلم كل هذه الأدوار المرتبة ، ولذلك تتركها الى مثل هذه الأدوار .

اليك مثالا آخر هو مثال الهيمينوبتير جبو ايور ( Hyménoptères Geboyeurs )  
هذه الديدان عند ما تخرج من البيض تستدعى طبيعتها أن تغتذى من فريسة  
حية ، ولكن ثابتة لا تتحرك ، فاذا تحركت أضرت بالبيضة قبل أن تنفقس ، ثم بالدودة  
الصغيرة بعد أن تخرج منها . فلاجل أن تحقق الأم هذين الشرطين في الفريسة تشل  
حركتها ولا تقتاتها .

فاذا كانت الحشرة تصدر عن فكر وتدير للوصول الى هذه الغاية ، وجب أن  
يكون لها علم ومهارة عجيبان . فيجب عليها أولا أن تستخدم من السم الذي تفرزه  
لتخدير فريستها مقدارا يكفي لتخديرها دون أن يقتاتها ، ثم يجب أن يكون لها اطلاع  
واسع بتشريح وفيزيولوجية تلك الفريسة ، ودقة ونظر صائب لا يخيب ، لتستطيع أن  
تفاجىء تلك الفريسة بضربة في المحل الذي يصلح لإحداث ما تريد إحداثه فيها ، لأن  
الفريسة مساحة غالبا أكمل تسليح ، وأقوى من الهيمينوبتير الذي نحن بصدد  
السلام فيه .

والحمة السامة ( أى الابرة ) يجب أن توجه الى المراكز العصبية المحركة للفريسة  
لا الى جهة أخرى ، ويجب أن تضرب بها مرة واحدة أو مرتين أو مرات عديدة  
على حسب عدد أو مراكز العقد العصبية .

وهذه المهمة الشاقة الخفيفة لم تتعلمها الحشرة من سواها ، فانها متى فقسست البيضة  
التي هي فيها تخرج من تحت الأرض ، فلا ترى لها أقارب ولا أسلافا ، إذ تكون قد  
ماتت منذ وقت طويل . وهي أيضا ستموت قبل أن ترى لها أعقابا ولا أخلافا .  
فالإلهام الذي شوهد عندها لا يمكن أن يكون قد انتقل إليها بالتربية أو بالتقليد ،  
ولكنه فطرى فيها .

نقول : هنا يجب أن يذعن العقل بأن هذه الحركات إنما هي بإلهام إلهي أو حاء  
الله الى هذه الحشرة ، لأنه قدر لها أن تعيش ، فهداها الى ما به تعيش .

ثم قال : ما هو السبيل الى تعليل وجود هذا الإلهام بمحض العوامل الرسمية للتطور ؟

يقولون لنا : إن الإلهام الحيوانى عادة أخذ بها الحيوان نفسه يسيرا يسيرا ، فرسخت فيه ، ثم أورثها ذريته من بعده . ولكن الأستاذ (فاير) اشتد فى بيان استحالة هذا التعليل فقال : « لنفترض أن واحدة من إناث هذا النوع من الحيوانات وصل اتفاقا ومن عهد بعيد الى إصابة المراكز العصبية للدودة التى تصاح فريسة لصغارها ، ووجدت نفسها فى حالة حسنة من ناحية أنها استراحت من كفاح لم يكن يستخف بخطره عليها ، ومن ناحية أن صغارها قد وجدت من هذه الفريسة غذاء غضا مملوا بالحياة والعناصر الجيدة ، قلنا : لنفترض هذا ، ونفترض أيضا أن هذه الأنثى أورثت هذه الخاصة ذريتها ، ونفترض أن ذريتها لم تتساو فى إتقانها ، وأن تنازع البقاء أباد الضعفاء منها وأبقى الأقوياء حتى تم الانتخاب الطبيعى كما يقولون .

لنفرض كل هذا صحيحا ، ولكن هذه الافتراضات تعجز كل العجز عن تعليل أصل هذا الإلهام ومصدره ، فلا الاتفاق ولا الحاجة يستطيعان كلاهما أن يفسرا لنا كيف أن أنثى الحيوان الأول من هذا النوع استطاعت أن تجدد المركز العصبى للفريسة ، وأن تشلها دون أن تقتلها . والواقع أنه لم يوجد سبب للاختيار فى هذا الموطن ، لأن الحمة والحيوانات فى حالة التعارك ، قد تتجه الى القسم الأعلى أو الى القسم الأسفل ، أو الى الجنب ، أو الامام ، أو الخلف ، وفى كل هذه الجهات نقط لا تحصى . ومع هذا كله يتحتم على حشرة الهيمينوبتير أن تضرب مرة واحدة وأن تصيب الهدف وإلا تعرضت للخطر . فتكون مهمة الحصول على فريسة لتكون غذاء للصغار تقتضى من الهيمينوبتير أن يكون منزها عن الخطأ . فالأنثى من هذا النوع يجب أن لا تخطئ فى الطعن ، أو أن لا تتعرض لهذا العمل ، فلا وسط بين هذين الطرفين ، فإنها لو كانت تحاوله وهى على شك من الإصابة أهلكها عدوها وأباد صغارها أيضا .

قال الدكتور (جوستاف جوليه) عقب مامر :

لا يغيبن عنا هذا أن إلهام استعمال الخمة السامة لا يمكن تفسيره بوجه من الوجوه ، كما لا يمكن تعليل حدوثها هي .

( نقول ) : قد تبين القارئ من هذه الأقوال أن العوامل الطبيعية التي تخيلها دارون أو لامارك لا تنفي فتيلاً في تعليل وجود الأنواع ، ولا في تفسير حدوث الإلهام للحيوانات ، فلم يبق أمام العقل إلا اللجوء إلى عزو ذلك كله إلى مصور الكائنات وممدها بأسباب البقاء ، فهو وحده الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . محمد فريز ومبرى

## في ذم الغيبة

قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضهم بعضاً ، يجب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » .  
يعنى أنه كما لا يحل لحم ميتاً لا تحل غيبته حياً . روى أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس . فأخبر النبي بذلك ، فقال : صامتا عما أحل لهما ، وأفطرتا على ما حرم عليهما .

وقال عدى بن حاتم : الغيبة رعى اللثام .  
وقال رجل لابن سيرين رحمه الله تعالى : « إني اغتبتك فأجعلني في حل . فقال : ما أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك .  
وقال ابن السكك : لاتعن الناس على عيبك ، بسوء غيبك .  
وقال شاعر حكيم :

لا تاتمس من مساوى الناس ما ستروا      فيهلك الله سترا من مساويك  
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا      ولا تعب أحدا منهم بما فيك  
عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال : « هي أن تقول لأخيك ما فيه ، فإن كنت صادقا فقد اغتبتته ، وإن كنت كاذبا فقد بهتته » أى أصبته بهتانك .  
ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم مستفتية ، فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله ما أقصرها ! فقال : مهلا إياك والغيبة ! فقالت : يا رسول الله إنما قلت ما فيها . قال : أجل ، ولولا ذلك لكان بهتاناً .

## انتهاء عهد الفلسفة المادية

كان الماديون يزعمون الى عهد قريب أن المادة هي أصل الكون ، وأنها الموجود الأزلى الأول الذى لا فناء له ولا زوال . وقد كان هذا الرأى سببا فى ضلال الكثيرين عن الصراط السوى فى مباحثهم عن الروح والعالم الروحانى . ولكن المباحث العلمية الحديثة ذلت هذه العقبة من طريق المباحث الروحية ، فأصبح طريقها اليوم معبداً بفضل ما هدى العلماء إليه من إثبات حدوث المادة وفنائها . وقد تولت للمعامل الكيميائية تحييص هذا المذهب العلمى فأثبتت صحته إثباتاً علمياً . ونحن لأجل أن نعطى هذا الأمر الجلل كل ما يستحقه من العناية نرى أن نعرب المحاضرة التى ألقاها مكتشف هذا الأمر الخطير ، وهو الأستاذ (جوستاف لوبون) الفرنسى ونشرها فى كتاب أسماه ( تولد المادة وفنائها ) وكان ذلك فى سنة ( ١٩٠٧ ) .

قال لسامعيه :

« أقص عليكم حديثاً عجيباً لم يكن يحلم به العلم منذ عشر سنين ، حديثاً عن جزء من أية مادة كانت ، ولتكن من حجر تصطمدمون به فى طريقكم ، أو من ورقة موضوعة أمامكم ، أو فلة من أى معدن كان من المعادن التى تتداولها أيديكم كل يوم . »

« كان العلم يعتقد فى الزمان الخالى — ولا يزال قوم يعتقدون مثل عقيدته تلك الى اليوم — أن المادة تتألف من عناصر جامدة لا يعترىها العدم ، وُجدت فى أول الأشياء وتبقى فى خلال جميع تطوراتها بقاء سرمدياً . فكانت الكيمياء تقول لا يفنى شئ ، وكانت على ظاهر أساس مما تزعم ، لأن المادة كانت رغماً عن الاستحالات التى تطرأ عليها تظهر حافظة لوزنها الأول . »

« ولكن العلم أصبح يعلمنا شيئاً آخر اليوم ، يعلمنا أن المادة مركبة من مجاميع

صغيرة تشبه المجاميع الشمسية ، مؤلفة من ذرات يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جدا ، وهى إن كانت ترى ثابتة فى حَسَنّا فما ذلك إلا بسبب تلك السرعة المفرطة . « ويقرر لنا العلم أيضا أن الجوهر الفرد مستودع لقوى ضخمة لا تعد القوى التى تستخدمها صنائعنا بجانبها شيئا يذكر ، وينتظر أن تنتفع بها تلك الصنائع فى يوم من الأيام . ويعرفنا أيضا أن المادة وهى مستودع حياة لها إحساس يجعلها تتأثر بأخف المؤثرات وألطفها . ويفضى إلينا أخيرا بأن المادة ليست بأبدية ، ولكنها خاضعة للناموس الحتم الذى يقضى على جميع الكائنات بالفناء والتلاشى .

« أنا لا أستطيع أن أصل الى غور بعيد من هذا الموضوع فى ساعة واحدة ، فلا أكتف فى هذه المحاضرة بأن أبين لكم بعض نتائج المباحث التى تتبعها منذ عشر سنين فى موضوع تحايل المادة ، وقد فصلتها فى كتابين نشرتهما منذ عهد قريب .

« هذه المباحث التى كانت نتيجتها الأساسية غير متعظرة منذ سنين أثبتت اليوم أن المادة ليست أبدية غير قابلة للزوال ، وقد انتشرت هذه النتيجة بسرعة فى جميع المعامل العلمية ، وآراءنا التى كانت تعتبر فيما قبل متطرفة عندما أبديناها لأول مرة ، بدأت تعتبر اليوم من الأمور المألوفة ، وإن كانت لا تزال بعيدة عن إنتاج كل النتائج المرجوة منها . ومتى شاعت هذه النتائج فستؤدى الى بناء صرح علمى يخلد الى الأبد . ثم أتى على سماعيه نتائج التجارب التى هدى إليها ، والتى أثبت بها عدم أبدية المادة وأنها قابلة للزوال ، وقد أفاض فى ذلك كثيرا ، ثم قال :

« يرى من هنا أن علم الأمس كان مؤسسا على أبدية المادة ، ولكن علم الغد سيتأسس على قبولها للفناء ، وسيكون غرض العلم الأول إيجاد وسائل سهلة لزيادة انحلالها ، ويضع بذلك تحت تصرف الإنسان قوى يكاد لا يكون لها حد .

«بقى علينا حل شبهة ، وهى : إذا كانت المادة فى ذاتها لا شىء غير قوة ، فكيف

نحس بها جامدة ؟

«قد عملت تجارب في المعامل الكهربائية المائية ، فأثبتت أن عمودا سائلا قطره سنتيمتران إذا أسقط من أنبوبة من علو ٥٠٠ متر فلا يتأني خدشه من شدة ما يكتسبه السائل من المقاومة . ولو ضرب بسيف قاطع فإن السيف يرتد عن سطح العمود السائل كما يرتد إذا صادف حائطا . وإذا كانت سرعة عمود السائل أكثر فلا تستطيع قذيفة مدفع أن تحترقه ، وإذا قذف الماء على هيئة شريط عريض سمكه بضعة سنتيمترات بسرعة كبيرة يصبح أمام قذيفة المدفع في مثل مناعة الطبقة الفولاذية لسفينة مدرعة فلا تستطيع أن تحرقه .

«فإذا أعطينا الماء المنصب شكل زوبعة كان لدينا صورة من جزيئات الجوهر الفرد والمادة ، وتعليلها شافيا لصلابتها . وبذلك نفهم كيف يصير الأثير اللامادى ماديا وصلبا جدا إذا استحال الى زوابع مزودة بسرعة كافية . ونفهم من هنا كذلك أن هذه الحركات الزووعية لو بطلت لفنيت المادة لوقتها وعادت لأصلها في الأثير . هذا ملخص ما قاله الأستاذ جوستاف لوبون .

ونحن نقول : هذا عهد جديد دخل فيه العلم الطبيعي ، رفع به من طريق الفلسفة حائلا قويا كان يردها على عتبيها كلما همت لتفتق الحجب والوصول الى لباب الحقيقة .

نعم كانت الفلسفة تجدد من مذهب الجواهر الفردة المادية أكبر صاها عن التغلغل في بواطن الأشياء ، فإنه ما دام أصلها الأصيل الأقدم للمادة كما يقولون ، فلا وجه للفلسفة أن تجتاز هذه الحدود التي كان يزعم العلم أنها حدود المعرفة . فإذا عصت العلم واجتازت تلك المنطقة ، عدت خيالية ، وسقطت الى حيث لا تقوم لها قائمة . أما اليوم وقد تهتك هذا الحجاب الكشيف فقد انفتح الطريق أمام العقل ممهدا مهيبا يصل منه الى ما قدر له من نصيب في لباب الحقائق . وقد ظهر هذا التحول في الفاسفة منذ ظهر هذا الاكتشاف العظيم وثبت ثبوتا علميا ، فإن الفلسفة الحسية التي أساسها التجربة والحس ، أصبحت اليوم أوسع مجالا وأبعد نظرا مما كانت عليه أعرق فلسفة خيالية في الأرض .

ولا مشاحة أيضا في أن هذا التجدد الفلسفي يعتبر تمشيا نحو الدين بأوسع معاني هذه الكلمة، فإن العقبة الكأداء الوحيدة التي كانت تفصل بين الدين والفلسفة، كانت النظرية المادية في أصل الوجود، أما وقد زالت هذه العقبة فإن زوالها يعد انتصارا للدين، لأنه هو الذي يشتد في نقضها، والنعمى على معتقديها. وما داما قد التقيا في مجال واحد بعد افتراق طال عليه الأمد، فإن الأمر سينتهى بينهما الى الإخاء والمصافاة، والله غالب على أمره

محمد فريز وهبى

## فضيلة الحياء

روى أن علقمة بن علاثة قال : يا رسول الله عظمى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استحي من الله تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك .

وقال صلى الله عليه وسلم : قلة الحياء كفر ( يعنى قلة الحياء من الله تعالى ) . وقال صلى الله عليه وسلم : الحياء نظام الايمان . فاذا انحل نظام الشئ تبدد ما فيه وتفرق .

وروى أن حذيفة بن اليمان أنى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا ، فتنكب الطريق عنهم وقال : لا خير فيمن لا يستحي من الناس .

وقال بشار بن برد :

ولقد أصرف الفؤاد عن الشـيـء حياء وجهه فى السواد  
وأمسك النفس بالعفاف وأمسى ذاكرا فى غد حديثا الأعادى

وقال شاعر رقيق :

ورب قبيحة ما حال بينى وبين ركوبها إلا الحياء  
إذا رزق الفتى وجها وقاحا تقلب فى الأمور كما يشاء

وقال آخر :

إذا لم تصن عرضا ولم تحش خالقا وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع



## تربية النفس بالنفس (١)

- ٢ -

### الفكر

هنا نقول : لابد لنا حيال الفكر من إرادة تقوده الى ما ينبغي أن يعمل فيه ، ومن نشاط يتجلى به في أداء مهمته . وعلينا أن نستخدم هاتين القوتين بالحرية التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان الأعجم .  
فيحسن بنا الآن أن نبحث في مسألة التفكير وما يؤثر فيه من العوامل المنصبة عليه ، فنقول :

من الوهم الكبير أن يظن الإنسان وهو على حالته العادية أنه يستطيع التفكير فيما يريد وما لا يريد . لا ، فإن الإنسان مهما كان عبقرياً ، لا يملك تفكيراً حراً ما لم يُعنَ عناية خاصة بحمايته من المؤثرات الداخلية والخارجية . فالفكرة على أية حال كانت إنما تنشأ من ترابط الأفكار المختزلة ، وتداعى الخواطر السانحة ، وهذه لا تخضع بأية حالة من الحالات لسيطرة الإرادة الحاكمة . فأفكارنا والحالة هذه تعرض لنا ، وتتواتر في أذهاننا ، دون أن يكون في استطاعتنا أن نتدخل في ترتيبها ، أو أن نطرد ما لا يوافقنا منها ، أو نقف باختيارنا عندما يعجبنا منها . فنحن إذاً لا نسير فكرينا حسبما نريد ، ولكننا نكون وليد السبب المؤثر ، والهواجس التي تخاطر على بالنا .

فنحن لا نستطيع أن نقف الفكر عند حد ، ولا الشعور الذي يعقبه ، فالإرادة والحالة هذه تعجز عن مقاومة هذه الحركة الدائبة ، ومقاواة هذا التعاقب المستمر للصورة الذهنية .

---

(١) ملخص عن الفرنسية من كتاب « تربية النفس بالنفس » للاستاذ الدكتور ( پول دوهوا ) أستاذ

علم الامراض العصبية بجامعة برن ( سويسرا ) .

فى كل يوم عندما يرجع بنا الفكر الى عمل من أعمالنا السابقة نضطر الى القول :  
إنه ما كان يجب علينا أن نفعل هذا . وعندما نلام على عدم انقيادنا لاعتبار من  
الاعتبارات نجيب بقولنا : إننا لم نفكر فى ذلك ، ولم يخطر لنا على بال ، فيرد علينا أحيانا  
بعنف : نعم ، ولكن كان يجب أن تفكروا فيه من قبل .

هذا يسهل قوله بعد وقوع الأمر ، ولكنه كان مستحيلا على الإطلاق قبله ،  
لأن الفكرة المطلوبة لم تنبعث قبل حدوث الفعل ، الشيء الواجب عمله الآن هو  
أن نتأمل جيدا فيما يجب أن نفعله للحصول على حرية التفكير ، لأن نقرع أنفسنا  
تقريبا لا طائل تحته .

فهل معنى هذا أن سلوكنا لا يتوقف إلا على الظروف الاضطرارية ؟ لا ، إنه يتوقف  
أيضا على الإرادة ، ولكن الصور الذهنية التى سبق أن وجدت فى مدركتنا تنبئه  
فى ذاكرتنا بفعل غير اختيارى ، فتقود الفكر وتسيطر عليه ، وهذه الصور قد رسخت  
فى أذهاننا بواسطة غيرنا ، وهنا تظهر مؤثرات الحياة ومؤثرات التربية كعوامل قاهرة  
تحول تفكرنا الى الوجهة التى تريدها هى لا التى نريدها نحن .

فالفكر على هذا النحو لا يكون عملا اختياريا يحدث بمجهود داخلى يقوم به  
الإنسان الذى يفكر ، ولكنه عمل آلى محض ، والسبب فى ذلك أن آراء الغير تقع  
على رؤوسنا كقوالب الآجر من فوق الأسطح التى نسير تحتها ، فلا بد هنا من تجارب  
شخصية نتعلم منها كيف نتقى هذا الخطر .

فالإنسان الذى لم يتشقف فكره إلا ثقفا ساذجا ، أى الذى لم تحمكه التجارب —  
يشبه مجال تفكيره مائدة البليارد ذات الأربعة الحواجز ، فنجد عنده شيئا من المنطق  
فى توارد خواطره ، بل نجد عنده كذلك حواجز لمنع تواردها من الخارج ، ولكنه  
حواجز موضوعة وضعا فاسدا قضت به عليه المزاعم الباطلة ، والآراء التى حشى بها  
دماغه بتأثير البيئة المحيطة به ، والتربية الفاسدة التى تلقاها .

ونجد على خلافه الرجل الذى بسبب ذكائه الفطرى والنصائح القويمة التى تلقاها من ذويه وأصدقائه ، وبسبب ظروف الحياة التى صادفته ، قد وضع حواجزه وضعا محكما أى مبادئه المعنوية ، وانتظمت قوى ذهنه ، فتجد أطوار تتوارد على ذهنه بنظام منطقي ، وتحدد الأعمال والأفعال الأساسية التى تناسب الغرض الأ وحده الذى يسعى اليه ، ألا وهو السعادة بأوسع معانيها فى هذه الحياة ، أو فى الحياة الأخرى . يتضح من هذا أنه لابد لنا من حواجز فى مجال تفكيرنا تقيه المؤثرات الخارجية ، وأصول مرشدة تقاوم الآراء التى تأتى اليه مصادفة ، وتلقى جزافا فى مدرسته . فيجب أن تحول هذه الآراء عن طريقها إذا كانت فاسدة ، وأن توجه فى اتجاه صالح ونافع لأنفسنا ولأهلينا وللإنسانية أجمع إن كانت صالحة .

إننا لا ننشئ هذه الحواجز بأنفسنا ، وإنما نتعلمها من التجارب العامة . قد يقول لنا قائل : إن تأكيذك هذا مبالغ فى إطلاقه ، وإن فى استطاعتنا أن نحتم على فكرنا نظاما . فثلا عندما نخصص ساعة لنحل فيها مسألة من مسائل علم الجبر ، فإننا نوجه فكرنا فى اتجاه معين ، ونطرد الأفكار التى تأتى لتعرقل تسلسل استنتاجاتنا . وهذا صحيح — على ما يظهر — فيما يختص بالعمل المستمر ، وكذلك فيما يختص بالأفكار الشاردة ، صحيح إذا لم نفطن لاستعبادنا الداخلى ، نحن لا نحدد باختيارنا وجهة انتباهنا ، ولكنها تتحدد بتأثير العمل نفسه الذى نقول عنه إننا نرضه على أنفسنا ، والذى هو على العكس مفروض علينا . ومن المهم — لا إدارك هذه « الحتمية » إدراكا صحيحا — أن نفهم الصفة القهرية للدافع الذى يحدد عملنا ، فلنضرب لذلك مثلا :

بدأت ليلة فى مطالعة كتاب فى الآداب كانت تلذلى مطالعته ، وعند ما استيقظت من النوم فى الغد أعاد على ذاكرتى توارد الآراء القهرية موضوع الكتاب ، وتولد فى نفسى الميل اليه من جديد ، وشعرت برغبة شديدة لتخصيص بعض الأوقات لهذه ، إلا أنه قد خطر لى أن مطالعة شئ نافع أولى منه ، وفى الحال لحمت فوق مكتبي ظرفا

كبيراً بداخله تقرير خاص بالطب الشرعى كان لابد من تقديمه على الكتاب لتعلقه بعملى ، فأثار هذا المنظر فى نفسى شيئاً من تأنيب الضمير ، وصار هذا الشعور قويا بحيث قضى على رغباتى المستردة فى مطالعة الكتاب ، فأكبت على مطالعة ما فى الظرف ، فكان مملاً للغاية ، وكانت أحياناً تحوم حولى صورة ما كنت أجده من السرور من مطالعة الرواية فتزعجنى ، ولكن ما لبثت أن غابت سريعاً هذه الصورة وحلت محلها صورة أخرى ، وهى صورة الضرورة ، وصورة الواجب ، حتى رأيت أنى لا أستطيع أن ألد بمطالعة شيقة إلا إذا أنجزت تماماً هذا العمل المستجمل ، فالجاذب الحقيقى هو فى إطاعة تلك الأسباب المعنوية المختلفة . وأما تركيز فكري فإنه — بقدر ما يكون بعيداً عما يعرقله من التعب الذهنى — يكون معادلاً لا لرغبة حرة ، وإنما للصفة القهرية التى أعرف بها تلك الدوافع . ففى يوم أرى فيه كيف أقدرها حق قدرها ، وأكب على أداء عملى ، وفى يوم آخر أجده عذر لتأجيله الى الغد .

فنحن فى الحالة العادية أحرار بالمعنى الساذج الذى يطلقه العامة على هذا اللفظ ، ولكننا من الوجهة الفلسفية أرقاء للدوافع التى تفرض علينا بمقتضى طباعتنا وخلقنا . إن المبادئ الخلقية التى أثبتناها فى أذهاننا ليست موضوعة بشكل حواجز ثابتة تقينا للمؤثرات الخارجية ، إذ أنها تليق فى كثير من الأحيان أمام المؤثرات الكبيرة التى تقذف علينا بقوة شديدة ، والتى هى فى الواقع ناشئة عن ثوراتنا الشهوانية ، فلم يبق علينا إلا أن نثبت وجود هذا الخلل ، ونصلح حواجزنا ، وأن نوطد دعائمها من طريق الاستعانة بإرادتنا . وقد علمت أن الإرادة وحدها لا تغنى فى هذا الوطن ، وإنما يستعان على ذلك بواسطة النظر الصائب فى حقائق الأشياء ، وهو ما نحصل عليه بتجاربنا الشخصية مشفوعة بتجارب غيرنا . فبذلك نستطيع أن توجد فى مجال تفكيرنا حواجز تمنع تسرب المؤثرات الخارجية اليه ، فنقتضى بذلك شر تحوله عن صراطه السوى ، وجولانه فى شئون ليس من مصالحنا أن يحول فيها على غير هدى .

## كتاب الام وما يحيط به

أقصد الى بيان من ألف كتاب الأم . وهذا يدعو الى أن أذكر ما يحيط بالكتاب من بعد وقرب . وفي ذلك طرف من حياة الشافعي العلمية . وقد عوات على أقوال العلماء مع البحث ، لتظهر الحقيقة وليس دونها ما يشبه الستر من ناحية .

( مكث الشافعي في بغداد ومصر )

قال الخطيب البغدادي : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : نبأنا أحمد بن بندار بن إسحاق قال : نبأنا أبو الطيب أحمد بن روح البغدادي ، قال : نبأنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : قدم علينا الشافعي بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فأقام عندنا سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين فأقام عندنا أشهراً ، ثم خرج .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن البيهقي أخرج من طريق أحمد بن روح ، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال : قدم علينا الشافعي ( أي العراق ) سنة خمس وتسعين ومائة فأقام عندنا سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين فأقام عندنا أشهراً ، ثم خرج الى مصر ( انتهى ) وذكر ابن حجر العسقلاني نحو هذه الرواية عن الخطيب البغدادي .

وقال ابن خلكان : وقدم ( أي الشافعي ) بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم عاد الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ثم خرج الى مصر .

وقال السيوطي في حسن المحاضرة مثل هذا : فأقام بها شهراً ثم خرج الى مصر . وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات وشرح المذهب : قال أبو عبد الله حرمله ابن يحيى : قدم الشافعي مصر سنة تسع وتسعين ومائة . وقال الربيع : سنة مائتين . وله قدم في آخر سنة تسع ، جمعاً بين الروایتين ( انتهى ) .

وقال ابن خلكان : وكان وصوله اليها ( أى مصر ) فى سنة تسع وتسعين ومائة .  
وقيل إحدى ومائتين ، ولم يزل بها الى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع  
ومائتين ( انتهى ) قال ابن حجر العسقلانى : ولم يختلف الرواة أن الشافعى ولد سنة  
خمسین ومائة .

وفى ذكر اتفاق على أن الشافعى قدم بغداد أو العراق سنة خمس وتسعين ومائة  
فأقام سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم عاد سنة ثمان وتسعين ومائة .  
وفى ذكر الخطيب البغدادى وابن حجر العسقلانى أن الشافعى أقام ببغداد أو العراق  
فى المرة الثانية شهرا .

وفى قال ابن خلكان والسيوطى أنه أقام فى المرة الثانية شهرا .  
والأولان سلكا سبيل الرواية دون انتقاد .

واتفق النووى وابن خلكان على أن الشافعى قدم مصر سنة تسع وتسعين ومائة .  
ورجع النووى قول الربيع : سنة مائتين الى قول حرملة : سنة تسع وتسعين ومائة ،  
مع أن الربيع قال : أقام الشافعى ها هنا ( أى بمصر ) أربع سنين . وقد حكى ذلك ابن حجر  
العسقلانى من رواية الأبرى . ولا يتم كلام الربيع إلا إذا كان الشافعى قدم مصر فى  
أواخر رجب على ما أفاده ابن خلكان فى تاريخ وفاة الشافعى ، أو ترك من الحساب ما زاد  
على السنين الأربع من كسر السنة ، وهو ما يؤخذ من قول النووى . والنووى يرجع  
رواية حرملة .

أما أن الشافعى وصل الى مصر فى سنة إحدى ومائتين فحكاية ضعيفة كما أشار  
الى ذلك ابن خلكان . ويبنى على اعتبارها نقص خمسة أشهر من السنة الرابعة أو أكثر .

( الشافعى فى تأليفه والأخذ عنه )

قال ابن حجر العسقلانى : أخرج الحاكم من طريق الربيع قال : لزمت الشافعى قبل

أن يدخل مصر، وكانت له جارية سوداء، فكان يعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية قومي فأسرجي، فتسرج له فيكتب ما يحتاج إليه، ثم يطفىء السراج، فدام على ذلك سنة. فقلت: يا أبا عبد الله إن هذه الجارية منك في جهد، فقال لي: إن السراج يشغل قلبي.

وقال الخطيب البغدادي: أخبرنا محمد بن عبد الملك القرشي، أخبرنا عياش بن الحسن البندار، حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني، أخبرني زكريا بن يحيى الساجي قال: سمعت الحسن بن محمد الزعفراني قال: قدم علينا الشافعي (أى بغداد) واجتمعنا إليه فقال: التمسوا من يقرأ لكم، فلم يجترئ أحد يقرأ عليه غيري، وكنت أحدث القوم سنا، ما كان في وجهي شعرة، وإني لا تعجب اليوم من انطلاق لساني بين يدي الشافعي، وأتعجب من جسارتى يومئذ، فقرأت عليه الكتب كلها إلا كتابين فإنه قرأهما علينا: كتاب المناسك، وكتاب الصلاة. ولقد كتبنا كتب الشافعي يوم كتبناها وقرأناها عليه وإنا لنحسب أنا في اللعب وما يحصل في أيدينا شيء، وأنه ضرب من اللعب ولا نصدق أنه يكون آخر أمره إلى هذا، وذلك أنه كان قد غلب علينا قول الكوفيين. حدثني الحسن بن أبي طالب، حدثنا علي بن الحسن الجراحي، حدثنا أحمد بن محمد ابن الجراح قال: سمعت الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال:

لما قرأت كتاب الرسالة على الشافعي قال لي: من أي العرب أنت؟ فقلت: ما أنا بعربي، وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية، قال لي: فأنت سيد هذه القرية (انتهى). قال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: ثم سكن المشار إليه بغداد في بعض دروبها، فنسب الدرب إليه وصار يقال له درب الزعفراني ببغداد. وفي الدرب المذكور مسجد الشافعي رضي الله عنه (انتهى).

وقال ابن السبكي كذلك عن حسين الكرايسى: لما قدم الشافعي (يعنى إلى بغداد) قدمته قلت له: أأأذن لي أن أقرأ عليك الكتب؟ فأبى وقال: خذ كتب الزعفراني فقد أجزتها لك. قال الخطيب: حديث الكرايسى يعز جدا (انتهى).

وقال ابن حجر العسقلاني: أخرج الأبري من طريق الربيع قال: لما قدم الشافعي مصر وقعد في مجلسه، كان يجالسه رؤساء أصحاب الحلق: عبد الله بن عبد الحليم ونظراؤه، وكان الشافعي حسن الوجه والخلق، فحبب إلى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والأعيان.

قال: وكان يجلس في حلقة إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل العراق فيسألونه، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره، فإذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة، فإذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار، ثم ينصرف إلى منزله. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: قال الربيع: رأيت من الشافعي ما لا أحصى، وكان إذا انصرف اتشح بردائه ووضعت له منارة قصيرة، واتكأ على وسادة وتحتة مضر بتان، ويأخذ القلم فلا يزال يكتب (انتهى).

وقال ابن حجر العسقلاني: أخرج الحاكم من طريق حرملة قال: وكان الشافعي يجلس إلى هذه الاسطوانة في المسجد (يعني جامع عمرو) فيلقى له طنفسة فيجلس عليها وينحني لوجهه لأنه كان مستقاما فيصنف، فصنف هذه الكتب في أربع سنين.

وذكر ابن حجر العسقلاني أيضا أن بحر بن نصر الخولاني قال: قدم الشافعي من الحجاز فبقي بمصر أربع سنين ووضع هذه الكتب، وكان أقدم معه من الحجاز كتب ابن عيينة، وخرج إلى يحيى بن حسان (أى التنيسي) فكتب عنه، وأخذ كتباً من أشهب فيها مسائل، وكان يضع الكتب بين يديه ويصنف، فإذا ارتفع له كتاب جاءه ابن هرم فكتب، ويقراً عليه البويطي وجميع من يحضر يسمع في كتاب ابن هرم، ثم ينسخونه بعد.

وكان الربيع على حوائج الشافعي، فربما غاب في حاجة فيعلم له، فإذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاته (انتهى).



وكان الشافعي لقصر مدته الثانية في بغداد قال فيه بحر بن نصر الخولاني : « قدم الشافعي من الحجاز » ويجوز أن يكون الشافعي جاء مصر من طريق الحجاز وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : قال حرملة : كان أبي قد رتب لي كتابا وقال للكاتب : اكتب كل ما تكلم به الشافعي ( انتهى )  
 وكان الشافعي يملئ على أصحابه أحيانا كما نرى ذلك في مواضع من كتاب الأم المطبوع .

من ذلك في ( الصلح ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أُملي علينا الشافعي وفي ( الحوالة ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعي إملاء وفي ( الوكالة ) أخبرنا الربيع قال : أخبرنا الشافعي إملاء وفي ( وثيقة في الحبس ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعي إملاء وفي ( تغيير وصية العتق ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : حدثنا الشافعي إملاء وفي ( الولية ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : حدثنا الشافعي إملاء وفي ( إقرار بنكاح مفسوخ ) قال الربيع : من ها هنا أُملي علينا الشافعي رحمه الله تعالى هذا الكتاب

وفي ( إقرار الوارث ودعوى الأعاجم ) أخبرنا الربيع قال : حدثنا الشافعي إملاء .  
 ( قديم الشافعي وجديده )

قال السيوطي في حسن المحاضرة : وقدم ( أي الشافعي ) بغداد سنة خمس وتسعين ( أي ومائة ) فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وصنف بها كتابه القديم ، ثم عاد الى مكة ، ثم خرج الى بغداد ( انتهى )

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : وصنف ( أي الشافعي ) في العراق كتابه القديم المسمى بالحجة ، ويرويه عنه أربعة من كبار أصحابه العراقيين ، وهم أحمد ابن حنبل ، وأبو ثور ، والزعفراني ، والسكرابيسي ، وأتقنهم له رواية الزعفراني ( انتهى ) .

وقال ملا كاتب جلبي : (الحجة) للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وهو مجلد ضخيم ألفه بالعراق ، وإذا أطلق القديم في مذهبه يراد به هذا التصنيف . ( قال الاسنوى في المهمات ) : ويطلق على ما أفتى به هناك أيضا ، وذكر ابن حجر في مناقب الشافعي رضي الله عنه أنه قال : اجتمع على أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب أبي حنيفة ، فقلت : لا أعرف قولهم حتى أنظر في كتبهم ، فكتب لي كتب محمد بن الحسن ، فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي ، يعني الحجة ( انتهى ) . وقال ابن حجر العسقلاني : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن سريج سمعت الشافعي يقول : أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين دينارا ثم تدبرتها فوضعت الى جنب كل مسألة حديثا ، يعني ردا عليه .

وقال زكريا الساجي : حدثنا ابراهيم بن زياد ، سمعت البويطي يقول : قال الشافعي اجتمع على أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب أبي حنيفة ، فقلت : لا أعرف قولهم حتى أنظر في كتبهم ، فأمرت فكتب لي كتب محمد بن الحسن ، فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي ، يعني الحجة .

وفي كلام ابن حجر الهيتمي على منهاج النووي أن الجسديد ما قاله الشافعي رضي الله عنه بمصر ، ومنه المختصر ( أي مختصر المزني ) والبويطي ، والأئم ، خلافا لمن شذ ، ( وقيل ) : ما قاله بعد خروجه من بغداد الى مصر ، والقديم ما قاله قبل دخولها ، ومنه كتاب الحجة ( انتهى ) .

وفي كلام الرملي على منهاج النووي أن الجديد ما قاله بمصر ، وأشهر رواة البويطي والمزني والربيع المرادي والربيع الجيزي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى وعبد الله بن الزبير المسكي ومحمد بن عبد الله بن الحكم وأبو ه . والقديم ما قاله بالعراق أو قبل انتقاله الى مصر ( انتهى ) .

وفي كلام غيرهما أن الجديد ما قاله بعد دخوله مصر ، أو ما استقر رأيه عليه فيها

وإن كان قد قاله بالعراق ، والقديم ما قاله زمن وجوده بالعراق وبعده قبل دخوله مصر ولم يستقر رأيه عليه فيها ( انتهى ) .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : وصنف الشافعي كتبه الجديدة كلها بمصر ( انتهى ) .

وقال ابن حجر العسقلاني : قال الأبري : أخبرنا أبو نعيم الاستراباذي سمعت الربيع ابن سليمان يقول مرارا : لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته لعجبت منه ، ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة ، لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه ، غير أنه كان في تأليفه يجهل في أن يوضح للعوام . وقال : قال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان ، سمعت الشافعي يقول وهو مريض وذكر ما جمع من الكتب فقال : وددت لو أن الخلق تعلموه ولا ينسب إلى منه شيء . وقال في رواية عن البويطي إنه قال : سمعت الشافعي يقول : لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) فما وجدت في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه .

( القائلون إن كتاب الأم تصنيف الشافعي )

إن القائلين ذلك كثير جدا ، وهذه طائفة منهم :

قال الأنصاري البهنسي في الكافي : وللشافعي في الأصول والفروع كتب مشهورة ، منها الأم في نحو خمسة عشر مجلدا ، صنفه الشافعي بمصر ، كما نقل عن رواية للزني والبويطي ، والأم من الكتب الجديدة .

وذكر إمام الحرمين في الخلع أن الأم من الكتب القديمة ( انتهى ) .

فالزني والبويطي نفسه - وهما صاحبا الشافعي الكبيران - أخبرا بأن كتاب الأم صنفه الشافعي بمصر . وعلى ذلك يكون كتاب الأم من كتبه الجديدة .

وإمام الحرمين (وهو شيخ الغزالي) أخبر بأن كتاب الأم من كتب الشافعي القديمة . والكتب القديمة صنفها الشافعي قبل دخوله مصر على ما تقدم .

وشد الإمام الحرمين في عد كتاب الأم من الكتب القديمة ، وقد أشار الى الشذوذ ابن حجر الهيتمي في شرح منهاج النووي كما مر . وسند كرفيا يأتي تنمة لهذه المسألة . فكتاب الأم على أنه من الكتب الجديدة أو القديمة تصنيف الشافعي .

وقال ابن حجر العسقلاني : قال أبو الحسين الآبري : حدثنا الزبير بن عبد الواحد حدثني محمد بن سعيد ، أخبرنا الفريابي هو أبو سعيد قال الربيع : أقام الشافعي ها هنا (أى بمصر) أربع سنين فأملى ألفا وخمسة ورقة . وخرّج كتاب الأم ألفي ورقة ، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في مدة أربع سنين (انتهى) . وأقر ذلك ابن حجر العسقلاني وهو الناقد العظيم .

فالربيع صاحب الشافعي الكبير أخبر أيضا بأن الشافعي بمصر خرّج كتاب الأم ألفي ورقة . فالشافعي صاحب كتاب الأم ومصنّفه ، والربيع يعلم ذلك ، ويعلم أن الكتاب مسمى بكتاب الأم في ذلك العهد .

وقال ابن حجر العسقلاني : وقد سرد البيهقي كتب الشافعي فلاخصتها من كتابه : الرسالة القديمة ، ثم الجديدة ، اختلاف الحديث ، جماع العلم ، إبطال الاستحسان ، أحكام القرآن ، بيان الغرض ، صفة الأمر والنهي ، اختلاف مالك والشافعي . اختلاف العراقيين ، اختلافه مع محمد بن الحسن ، كتاب علي وعبد الله ، فضائل قریش ، كتاب الأم ، أولها الطهارات ثم الصلوات الخ .

وأقر ذلك ابن حجر العسقلاني وهو الناقد العظيم . فالبيهقي أخبر أيضا بأن من كتب الشافعي كتاب الأم . والبيهقي من أئمة المسلمين ، ومن كتبه كتاب مناقب الشافعي ، والمبسوط في نصوص الشافعي ، وكتاب السنن الكبير ، وكتاب السنن الصغير ، جعلهما على ترتيب مختصر المزي صاحب الشافعي .

وقال إمام الحرمين : ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منة ، إلا البيهقي ، فإن له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرته مذهبه وأقواله . وتوفي البيهقي سنة ٤٥٨  
وإذا كان البيهقي هكذا فهو من أعلم الناس بكتب الشافعي وأصحابه .

\*\*\*

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (وهو يذكر أحوال الشافعي ومناقبه) :  
ومن ذلك مصنفات الشافعي رحمه الله في الأصول والفروع التي لم يسبق إليها كثرة  
وحسنا ، وهي كثيرة مشهورة ، كالأم في نحو خمسة عشر مجلدا ، وهو مشهور الخ .

وقال في شرح المذهب كذلك : ومن ذلك مصنفات الشافعي في الأصول والفروع  
التي لم يسبق إليها كثرة وحسنا ، فإن مصنفاته كثيرة مشهورة ، كالأم في نحو عشرين  
مجلدا ، وهو مشهور الخ .

وقال في مناظرات الشافعي : وهذه المناظرات معروفة موجودة في كتبه رضي  
الله عنه ، وفي كتب الأئمة المتقدمين والمتأخرين . وفي كتاب الأم للشافعي رحمه الله  
من هذه المناظرات جل من العجائب والآيات ، والنفائس الجليلات ، والقواعد  
المستفادات .

وقال في شرح المذهب أيضا : وقول المصنف (أي أبي إسحاق الشيرازي) قال  
في الأم : وقال في حرمة ، يعني قال الشافعي في كتابه الأم وهو الكتاب المعروف .  
رواه عنه الربيع بن سليمان المرادي . وقوله : وقال في حرمة ، يعني الشافعي في الكتاب  
الذي يرويه حرمة عنه ، فسمى الكتاب باسم راويه وناقله وهو حرمة مجازا واتساعا  
كما سبق عند ذكر البويطي .

والذي سبق أن أبا إسحاق الشيرازي قال في المذهب : قال في البويطي ، فقال  
النووي في شرحه : وقوله : قال في البويطي معناه قال الشافعي في الكتاب الذي رواه  
البويطي عن الشافعي ، فسمى الكتاب باسم مصنفه مجازا ، كما يقال قرأت البخاري  
ومسما والترمذي والنسائي وسيبويه ونظائرهما (انتهى) .

وكتاب البويطى هذا هو مختصر البويطى المعروف عند الشافعية . وسيأتى له ذكر .  
فالنووى أخبر أيضا غير مرة بأن كتاب الأم للشافعى .  
والنووى إمام الشافعية من عهده الى الآن ، وهو خير بكتب الشافعى وأصحابه ،  
وباحث كبير ، ومرجع متبع ، أتى بعد الغزالى فكانت له الكلمة . توفى الغزالى سنة  
٥٠٥ ، وتوفى النووى سنة ٦٧٦

وذكر السيوطى الامام الشافعى فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال :  
وصنف الشافعى بها كتبه الجديدة كالأم والأمالى الكبرى والإملاء الصغير الخ .  
فالسوئطى أخبر أيضا بأن كتاب الأم صنفه الشافعى .  
والسيوطى أخذ من بعض الكتب التى يصح الاعتماد عليها ، كما يعلم من خطبة  
كتابه حسن المحاضرة .

فلمزنى والبويطى نفسه والربيع ، وهم أصحاب الشافعى الكبار ، وإمام الحرمين  
والبيهقى والنووى والسيوطى يقولون : إن كتاب الأم صنفه الشافعى .

( القائل إن كتاب الأم صنفه البويطى )

قال أبو طالب المسكى فى قوت القلوب ( فى الأخوة والصحبة ) : وحدثننا محمد  
ابن القاسم القرشى عن الربيع بن سليمان عن الامام الشافعى رحمه الله أنه آخى رجلا  
بيغداد الخ ، وقد كان الشافعى عليه السلام آخى محمد بن عبد الحكيم المصرى ، وكان يحبه  
ويقربه ويقول : ما يقيمى بمصر غيره . واعتل محمد فعاده الشافعى ، فحدثنى القرشى عن  
الربيع قال : سمعت الشافعى ينشد وقد عاد محمدا الخ ، وما شك أهل مصر أن الشافعى  
يفوض أمر حلقة اليه وأنه يستخلفه بعد موته الخ .

وأخمل البويطى رحمه الله نفسه ( أى بعد أن قبض الشافعى ) واعتزل عن الناس  
بالبوطة من سواد مصر .

وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به ،

وإنما هو جمع البويطى لم يذكّر نفسه فيه ، وأخرجه الى الربيع فزاد فيه وأظهره وسمعه منه ( انتهى ) .

ولو كان الربيع بن سليمان قائل هذا كله لكان الظاهر أن يقول : « وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى » ويجرى بقية الكلام كذلك ، فجعل هذا من كلام الربيع خلاف الظاهر . فهو كلام أبى طالب أو محمد بن القاسم القرشى ، وهو كلام لا يعرف سنده .

وقال الغزالى فى الإحياء ( فى الحق السابع من حقوق الأخوة والصحبة ) : وحكى الربيع أن الشافعى رحمه الله أخى رجلا ببغداد الخ . ثم قال الغزالى : واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلّق بالدين ، بل من الوفاء له المخالفة ، فقد كان الشافعى رضى الله عنه أخى محمد بن عبد الحكم ، وكان يقربه ويقبل عليه ويقول : ما يقيمنى بمصر غيره ، فاعتل محمد فعاده الشافعى رحمه الله الخ ، وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقة اليه بعد وفاته الخ .

وأثر البويطى الزهد والخول ، ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة ، واشتغل بالعبادة . وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنّفه البويطى ، ولكن لم يذكّر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره ( انتهى ) ولم يقل الغزالى : « وسمعه منه » كما قال أبو طالب .

وحكاية الغزالى حكاية أبى طالب بشىء من التصرف ، وبلاذكر سند فى أول الكلام .

\*\*\*

والكلام فى الأخوة والصحبة يذكّر فى علم التصوف كالكلام فى إخال النفس . والغزالى إذ كتب فى التصوف عول على كتاب قوت القلوب لأبى طالب المسكى ، وكتاب الرسالة للأستاذ أبى القاسم القشبرى .

ذكر ابن خلكان أن أبا طالب المكي توفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ ببغداد، وأن الأستاذ أبا القاسم القشيري توفي في سادس عشر ربيع الآخر سنة ٤٦٥ بدميسابور، وأن الغزالي توفي في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ بالطابران ودفن بظاهر الطابران وهي قصبة طوس .

ولقد تكلم بعض الناس في أبي طالب والغزالي ، ولكن ابن السبكي دافع عن الغزالي سالكا سبيل الإيصال كما ذكر ، وشهد شهادة حسنة لأبي طالب وكتابه ، وعظم من شأن الغزالي وعلمه .

وقد قال ابن خلكان : أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي صاحب قوت القلوب ، كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة ، ويتكلم في الجامع ، وله مصنفات في التوحيد ، ولم يكن من أهل مكة ، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها ، وكان يستعمل الرياضة كثيرا ... ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فانتفى إلى مقالاته .. وقال محمد بن طاهر المقدسي في كتاب الأنساب : إن أبا طالب المكي المذكور لما دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجالس الوعظ خلط في كلامه ، وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام بعد ذلك ( انتهى ) .

وابن سالم يقول : الله جسد على صورة إنسان ، له يد ورجل وحواس خمس ، وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، ونصفه الأعلى مجوف والأسفلى مصمت ، إلا أنه ليس لحما ودما ( انتهى ) .

والوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الأذن .

وقال الخطيب البغدادي : صنف ( أي أبو طالب ) كتابا سماه قوت القلوب على



لسان الصوفية ذكر فيه أشياء منكورة مستشعة في الصفات ... وامتنع من الوعظ في جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ ( انتهى ) .

فهل يجوز أن يكون ابن السبكي غفل عن هذا ؟

وحكى ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أن الإمام أبا عبد الله المازري المالكي سئل عن حال كتاب إحياء علوم الدين ومصنفه الغزالي ، فجاء في بعض إجابته :  
أما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عول فيها . ثم أشار إلى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر مافي الإحياء من الأحاديث .

وحكى ابن السبكي كذلك أن أبا الوليد الطرشوشى المالكي قال في رسالته إلى ابن مظفر : فأما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته ، ورأيت رجلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم ، وممارسة العلوم طول زمانه ، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ... فلما عمل كتاب الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها ... وشحن كتابه بالموضوعات .

وذاد ابن السبكي عن الغزالي وفصل في طعن المازري فقال فيما قال : ومن الجهل بحاله ( أى الغزالي ) دعوى أنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدي . والأمر بخلاف ذلك . ولم يكن عمدته في الإحياء بعد معارفه وعلومه وتحقيقاته التي جمع بها شمل الكتاب ونظم بها محاسنه إلا على كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتاب الرسالة للأستاذ أبي القاسم القشيري ( المجمع على جلالتهما وجلالة مصنفهما ) .

ثم قال : وأما ما عاب به الإحياء من توهية بعض الأحاديث ، فالغزالي معروف بأنه لم تكن له يد في الحديث بأسطة . وعامة مافي الإحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد .

وقد اعتنى بتخريج أحاديث الأحياء بعض أصحابنا فلم يشذ عنه إلا اليسير .  
وسأذكر جملة من أحاديثه الشاذة ( انتهى ) وهذا فصل في طعن الطرشوشى أيضا .  
لقد شهد ابن السبكي شهادة حسنة لأبي طالب وكتابه ، فذكر أنهما جمعا على جلاتهما ،  
وكيف يكون الإجماع مع ما ذكره ابن خلكان والخطيب البغدادي في أبي طالب  
وكتابه ؟

يجوز أن يكون ابن السبكي حكى إجماعا من غير بحث . ويجوز أن يكون رأى  
ما ذكره ابن خلكان والخطيب البغدادي وبحث فلم يمدفع عن أبي طالب وكتابه فجعل  
ما ذكره ابن خلكان والخطيب البغدادي في حكم العدم .  
الحق أن المسألة من جهة النظر لا تخلو من شيء .

وقد عظم ابن السبكي من شأن الغزالي وعلمه في موطن آخر فقال في وصفه :  
حجة الإسلام ، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشقات  
العلوم ، والبرز في المنقول منها والمفهوم . جرت الأئمة قبله شأوا ولم تقع منه بالغاية ،  
ولا وقف عند مطالب وراءه مطالب لأصحاب النهاية والبداية .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب  
حتى أخمل من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخذ من نيران البدع كل  
مالا تستطيع أيدي المجالدين مسها .

وذكر أن شيخه إمام الحرمين كان يصفه فيقول : الغزالي بحر مغدق .  
وذكر أن له في مذهب الشافعي الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة ، وفي أصول  
الفقه المستصفي والمنخول ، ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين الخ .

وقال : وهذان الإمامان ( أعني إمام الحرمين وتلميذه الغزالي ) وصلا من التحقيق  
وسعة الدائرة في العلم إلى المبلغ الذي يعرف كل منصف أنه ما انتهى إليه أحد  
بعدهما ( انتهى ) .

والشافعية يعلمون أن الغزالي إمام جليل من أئمة الشافعية الذين شغلت كتبهم العلماء ، فانتفعوا بها أزمانا ، ويعلمون أن وجيز الغزالي أصل لمحرر الرافعي ، ومحرر الرافعي أصل لمنهاج النووي ، ومنهاج النووي أصل لمنهج شيخ الاسلام زكريا الأنصاري ، والمنهاج والمنهج يدرسان الآن ويرجع اليهما في فقه الشافعي .

وابن خلكان توفي سنة ٦٨١ ، والخطيب البغدادي توفي سنة ٤٦٣ ، وابن السبكي توفي سنة ٧٧١ ، ومن كتبه جمع الجوامع في الأصول .

\*\*\*

مسألة أبي طالب باقية على ما هنالك من نظر ، والغزالي على احتمال أنه غير آخذ من أبي طالب لم يأت بسند لحكايته ، ولم نجد لحكايته موافقة في كتاب يعتمد عليه . وما حكاه أبو طالب أوحكاه الغزالي من أن البويطي صنف كتاب الآم لم يذكره الأنصاري البهنسي في الكافي ، مع أنه يذكر أمورا دقيقة .

ولم يذكره ابن حجر العسقلاني فيما نقل عن البيهقي وغيره ، مع كثرة ما نقل ، ومن دأبه أن يبحث وينقد .

ولم يذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات ، ولا في شرح المذهب على سعة ما كتب ، ومن دأبه أن يتعقب كلام من قبله .

ولم يذكره السيوطي ، ومن عادته أن يجمع من هنا ومن هنا .

ولم يذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى عند الحديث عن البويطي والربيع ، ومن عادته في مثل ذلك أن يطنب ويأتي بالأقوال المختلفة ، وإنما قال في الحديث عن البويطي : وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي رضي الله عنه . قال أبو عاصم : هو في غاية الحسن على نظم أبواب البسوط ( قلت ) : وقد وقفت عليه وهو مشهور . قال أبو عاصم : كان الشافعي يعتمد البويطي في الفتيا ويحيل عليه

إذا جاءت مسألة . قال : واستخلفه على أصحابه بعد موته ، فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ، ونشروا علم الشافعي في الآفاق .

فلم يقل ابن السبكي : وللبويطي كتاب الأم أيضا مع أن كتاب الأم أعظم شأننا من مختصر البويطي .

### الفصل بين الطائفتين

من تقول : إن كتاب الأم تصنيف الشافعي

ومن تقول : إن كتاب الأم تصنيف البويطي

لقد جرى جمهور الشافعية من أول عهدهم إلى الآن على أن كتاب الأم تصنيف الشافعي ، وفيهم أصحاب الشافعي المقدمون : المزني ، والربيع ، والبويطي نفسه . وفيهم الأئمة الأعلام ، كإمام الحرمين ، والبيهقي ، والنووي .

ولمثل البيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني اجتهاد كبير في جمع ما يحيط بالشافعي وأصحابه ، ولهم معرفه تامة بأحوال الروايات عن الشافعي وأصحابه . ولم نر في الكتب المشهورة التي بين أيدينا على كثرة ما فيها من الروايات والأقوال أن أحدهم ذكر حكاية أبي طالب أن البويطي صنف كتاب الأم .

أخفيت حكاية أبي طالب عليهم ، أم لم تخف عليهم ؟

فإن كانت لم تخف عليهم فقد يقول قائل : لم يذكروها قبولاً أوردنا ؟

ولمثل ابن السبكي والسيوطي نظر في كتاب الإحياء من أوله إلى آخره ، كما يعرف ذلك من تأليفهما . فحكاية كتاب الإحياء أن البويطي صنف كتاب الأم لم تخف عليهما ، ولم يذكراها في كتابيهما المشهورين قبولاً أوردنا .

فقد بقيت حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي بلا رد .

فهل رأى هؤلاء وأمثالهم أن أدلتهم تجعل حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي

مردودتين هاهنا ؟

نعم رأوا ذلك ، لأن ما رووه ونقلوه صحيح يعضد بعضه بعضا ، وفيه شهادة البويطى نفسه .

أما ثناء ابن السبكي على أبي طالب وكتابه والغزالي وعلمه ، فإنه لا يمنع من نقد حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي . والعلماء يعرفون مثل ذلك كثيرا .

وانظر مثلاً قول النووى : ومن ذلك مصنفات الشافعى رحمه الله فى الأصول والفروع التى لم يسبق إليها كثرة وحسنا ، وهى كثيرة مشهورة كالأم فى نحو خمسة عشر مجلدا ، وهو مشهور ، وجامعى المزنى الكبير والصغير ، ومختصره ، ومختصر الربيع والبويطى ، تجد فيه إضافة كتاب الأم الى الشافعى وحده ، وإضافة جامعى المزنى الكبير والصغير ومختصره ومختصر الربيع والبويطى الى الشافعى والى المزنى والربيع والبويطى .

وانظر قول السيوطى فى الشافعى بمصر : وصنف بها كتبه الجديدة كالأم والأمالى الكبرى ، والإملاء الصغير ومختصر البويطى ومختصر المزنى ، تجد فيه إضافة كتاب الأم الى الشافعى وحده ، وإضافة مختصر البويطى ومختصر المزنى الى الشافعى والى البويطى والمزنى .

والنووى والسيوطى جاءا بعد أبي طالب والغزالي . وقد علم مما سبق شأن النووى والسيوطى . وتوفى السيوطى سنة ٩١١ .

وقد ذكرنا ما نقل عن رواية المزنى والبويطى أن الشافعى صنف كتاب الأم بمصر . وذكرنا رواية الأبرى عن الربيع أن الشافعى بمصر خرّج كتاب الأم ألفى ورقة . وانظر كتاب الأم المطبوع ترفيه فقه الشافعى وعباراته التى هى حجة فى اللغة العربية ، وتعرف أن ما زاد على أصل كتاب الأم من بعض عبارات الربيع بن سليمان أو الراوى عنه ، خفيف متميز ، كالذى يسمى اليوم بالتعاليق . وهذا لا يخرج كتاب الأم عن كونه كتاب الأم ، وتعلم أن ما زاد عند الطبع متميز أيضا لا يسلب الكتاب اسمه .

وتعلم أن راوى كتاب الأم هو الربيع بن سليمان ، وإذا أطلق الربيع بن سليمان فهو المرادى ، ذلك الامام الصادق الذى لا يحكى غير الواقع .

وقد ذكرنا عن النووى أن كتاب الأم رواه عن الشافعى الربيع بن سليمان المرادى . وقال النووى : واعلم أن الربيع حيث أطلق فى كتب المذهب المراد به المرادى . وإذا أرادوا الجيزى قيدوه بالجيزى . ويقال للمرادى راوية الشافعى .

وقال الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي فى آخر كتابه ( مناقب الشافعى ) : الربيع بن سليمان المرادى هو راوية كتب الشافعى الجديدة على الصدق والائتقان ، فربما فاتته صفحات من كتاب فيقول فيها : قال الشافعى ، أو يرويه عن البويطى عن الشافعى ، وصارت الروايل تشد اليه من أقطار الأرض لسماع كتب الشافعى . وقال البويطى : الربيع أثبت فى الشافعى منى .

وقال الامام أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازى فى كتابه ( مناقب الشافعى ) : سمعت أبا عمرو أحمد بن على بن الحسين البصرى ، قال : سمعت محمد بن أحمد ابن سفيان الطرائفى البغدادى يقول : سمعت الربيع بن سليمان يوما وقد حط على باب داره تسعمائة راحلة فى سماع كتب الشافعى رحمه الله ورضى عنه ( انتهى ) .

وقد وقع فى رواية بدل ( محمد بن أحمد بن سفيان ) محمد بن حمدان بن سفيان . وقال السبكى فى الحديث عن الربيع بن سليمان المرادى : وكانت الرحلة فى كتب الشافعى اليه من الآفاق نحو مائتى رجل . وقد كاشفه الشافعى بذلك حيث يقول فيما روى عنه : أنت راوية كتبى .

وقال النووى : قال يحيى بن معين وقد سئل عن يكتب كتب الشافعى فقال : عن الربيع . وقال الربيع : جاءنى أبو عبيد فأخذ كتب الشافعى ، يعنى ليكتبها .

وذكر ابن حجر العسقلانى فى بعض أحوال الشافعى والربيع أن الربيع كان على حوائج الشافعى ، فربما غاب فى حاجة فيعلم له ، فاذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاته .

وقال أبو الحسين الرازي : أخبرني علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي بجمص قال : سمعت أبا يزيد القراطيسي يقول : سماع الربيع بن سليمان من الشافعي ليس بالثابت ، وإنما أخذنا أكثر (الكتاب) من آل البويطي بعد موت البويطي . قال أبو الحسين الرازي : وهذا لا يقبل من أبي يزيد ، بل البويطي كان يقول : الربيع أثبت في الشافعي مني . وقد سمع أبو زرعة الرازي كتب الشافعي كلها من الربيع قبل موت البويطي بأربع سنين . (ومات البويطي ببغداد سنة ٢٣١) أي سمعها من الربيع سنة ٢٢٧

وسنذكر فيما يأتي أن (الكتاب) فسر بالمبسوط ، وأن المبسوط هو الأم . وقال الراوي عن الربيع كما في كتاب الأم المطبوع ج ٢ ص ٩٣ : « أخبرنا الربيع ابن سليمان المرادي بمصر سنة سبع ومائتين ، قال : أخبرنا محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله » وهذا بعد موت الشافعي بثلاث سنين ، وقبل موت البويطي بأربع وعشرين سنة . وقال ابن السبكي في الحديث عن الربيع المرادي : صاحب الشافعي وراوية كتبه ، والثقة الثابت فيما يرويه ، حتى لو تعارض هو وأبو إبراهيم المزني في رواية لقدم الأصحاب روايته ، مع علوقدر أبي إبراهيم علما ودينا وجلالة ، وموافقة ما رواه للقواعد . (وقيل) : كان فيه سلامة صدر وغفلة (قلت) : إلا أنها باتفاقهم لم تنته به الى التوقف في قبول روايته ، بل هو ثقة ثبت خرج إمام الأئمة ابن خزيمة حديثه في صحيحه . وكذلك ابن حبان والحاكم . قال ابن أبي حاتم : سمعنا منه وهو صدوق . وسئل أبي عنه فقال : صدوق (انتهى) وقال الخليل في الإرشاد : ثقة متفق عليه (انتهى) . وقال ابن حجر العسقلاني : روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وروى الترمذي عنه بالإجازة ، وحدث عن واحد عنه ، وروى عنه أيضا أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وابن أبي حاتم وزكريا الساجي والطحاوي وأبو محمد بن صاعد وآخرون . وثقه النسائي وأبو سعيد بن يونس وآخرون (انتهى) .

وقال النووي : قال الخطيب : هو ثقة . توفي في شوال سنة ٢٧٠ (انتهى) .

لقد قال أبو طالب في حكايته : وأخرجه (أى أخرج البويطى كتاب الأم) الى الربيع فزاد فيه وأظهره وسمعه منه (انتهى) .

فيحتمل أن يكون معنى ( وسمعه منه ) أن البويطى سمع كتاب الأم أو الزائد من الربيع . ويحتمل أن يكون معنى هذا أن الربيع سمع كتاب الأم من البويطى . ولكن الغزالي في حكايته لم يقل : ( وسمعه منه ) وفي هذا إشارة الى رد الاحتمال الثانى على الأقل ، والى أن الربيع معروف سماعه من الشافعى دون توسط أحد بينهما وبين الشافعى . فاذا روى عن الشافعى فإنما يروى على الصدق والائتقان .

وإذا علمت جميع ما تقدم علمت أن حكاية أبى طالب وحكاية الغزالي مردودتان . وقد جاء فى كتاب الأم المطبوع ج ١ ص ٢٤٨ ( غسل الميت ) أخبرنا الربيع ابن سليمان قال : لم أسمع هذا الكتاب من الشافعى وإنما أقرؤه على المعرفة .

وجاء فيه ج ٢ ص ٩ وهكذا هذا فى البقر لا يختلف إلا فى خصلة ، فإنه إذا وجب عليه مسنة والبقر ثيران فأعطى ثورا أجزأ عنه إذا كان خيرا من تبيع الخ . ( قال الربيع ) : أظن مكان مسنة ( تبيع ) وهذا من خطأ الكاتب لأن آخر الكلام يدل على أنه ( تبيع ) .

وجاء فيه ج ٣ ص ٢٦٤ ( إحياء الموات ) أخبرنا الربيع قال : قال محمد بن إدريس الشافعى : ولم أسمع هذا الكتاب منه وإنما أقرؤه على معرفة أنه من كلامه ( انتهى ) . فانظر الى صدق الربيع واحتياطه .

وانظر الى هذا الذى ذكر ( ومثله قليل ) تعلم أن ما عده قد سمعه الربيع من الشافعى . وقال ياقوت فى معجم الأدياء : والذى لم يسمعه الربيع من الشافعى رضى الله عنه وأرضاه : كتاب الوصايا الكبير ، كتاب اختلاف أهل العراق على على وعبد الله ، كتاب ديات الخطأ ، كتاب قتال المشركين ، كتاب الإقرار بالحكم الظاهر ، كتاب الأقباس ، كتاب اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتاب مسألة الجنين ،



كتاب وصية الشافعي ، كتاب ذبائح بني إسرائيل ، كتاب غسل الميت ، كتاب ما ينجس الماء مما خالطه ، كتاب الأمل في الطلاق ( انتهى ) .

وإذا كان كتاب الأمل يحتوي على مائة ونيف وأربعين كتابا كما ذكر ابن حجر العسقلاني ، فهذا الذي لم يسمعه الربيع من الشافعي قليل ، لأنه ثلاثة عشر كتابا . ولا تنس قول البيهقي المتقدم : الربيع بن سليمان المرادى هو راوية كتب الشافعي الجديدة على الصدق والإتقان فربما فاتته صفحات من كتاب فيقول فيها : قال الشافعي أو برويه عن البويطي عن الشافعي ( انتهى ) . وقد عرفت أن الذي لم يسمعه من الشافعي يقول فيه : « لم أسمعه من الشافعي » فهذا هو الفاصل في الأمر . وانظر الكتب التي ذكرها ياقوت في كتاب الأمل المطبوع ، فامسألة لا تخلو من نظر .

\*\*\*

قد يقول قائل : إن حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي لم يردهما أحد بصريح العبارة ، فبقاؤهما كذلك قد يؤدي الى شك بعض الناس في نسبة كتاب الأمل .

فيقال له : إن العلماء كثيرا ما يعرضون عن الشيء إعراضا ويهملونه إهمالا ، لأنهم لا يقيمون له وزنا ، ويكون ذلك أبلغ من رده بصريح العبارة ، ومرجع الأمر الى أهل الفهم والعرفان .

وقد يقول قائل : إن الزبيدي شارح كتاب الإحياء نقل بعض عبارات أبي طالب في شرح حكاية الغزالي ولم ينقد كلام أبي طالب ولا الغزالي

فالجواب : أن ما قدمناه كاف في نقد ذلك . وكون الزبيدي لم ينقد لا يدفع كلام جمهور العلماء أهل البحث والنقد ومعرفة أحوال الروايات والأقوال كما هو ظاهر

\*\*\*

فإن غلاما معترض وأرخينا العنان ونزلنا كثيرا فقد رنا الحكاية والحكاية صحيحتين فغاية ما هنالك أن يحصل ما يسمى ( بالتعارض ) فيقال : إن ما روى ونقل من أن كتاب الأمل تصنيف الشافعي كثر وبلغ حد الشهرة ، وليست حكاية أبي طالب

وحكاية الغزالي كذلك ، والأصح عند الأصوليين في مثل هذا ترجيح الأول على الثاني ، غير أنهم يقولون : الأصح أن العمل بالمتعارضين ولو من وجه أولى من إلغاء أحدهما بترجيح الآخر عليه . وقيل : لا ، فيصير إلى الترجيح .

والعمل بهما هاهنا ممكن من وجه ، إذ تكون نسبة كتاب الأم إلى الشافعي من ناحية التصنيف الأول الذي هو الإيحاء العرفي الحاصل عن إعمال الفكر والاجتهاد ، وتكون نسبته إلى البويطي من ناحية التصنيف الثاني الذي هو لم ذلك المنشأ ونسخه . فيكون كتاب الأم مضافا إلى الشافعي وإلى البويطي كما ذكر ، وقد وقعت الإضافتان مرات من الذين يتكلمون في تصنيف الشافعي وأصحابه ، وإن كان لكل إضافة قدر . وقد ذكرنا فيما سبق كلام النووي والسيوطي في الإضافتين .

وقال ابن السبكي مثلاً : صنف ( أي المزني ) كتباً كثيرة : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، والمختصر الخ

وقال : وله ( أي البويطي ) المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي رضي الله عنه ، فأضاف ابن السبكي الكتب إلى المزني والبويطي ، ولم يضيفها إلى الشافعي أيضاً ، ولكن النووي وغيره أضافها إلى الشافعي واليهما . وقد عرف أن عمل المزني والبويطي في هذه الكتب أكثر من عمل البويطي في كتاب الأم إن قلنا إن له عملاً فيه .

والزبيدي شارح كتاب الإحياء الذي لم ينقد حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي قال عن الربيع : وأقام الشافعي بمصر أربع سنين فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة ، وأخرج كتاب الأم في ألفي ورقة ، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في أربع سنين .

وقدمنا أن ابن حجر العسقلاني ذكر عن الأبري نحو هذه الرواية . فالزبيدي أضاف كتاب الأم إلى الشافعي وإلى البويطي . فتكون الإضافة على ما قدمنا من النسبة . ويشبه ما قلنا في الخروج من المعارضة قول ملا كاتب جلبي : كتاب الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ جمعه البويطي ولم يذكر اسمه . وقد نسب إلى ربيع بن سليمان . بوبه الإمام الربيع بن سليمان المرادي المؤذن بمصر ، فنسب إليه دون من

صنفه وهو البويطى . فإنه لم يذكر نفسه فيه ولا نسبه الى نفسه كما قال الغزالى فى الإحياء .  
قال ( أى السنوى ) فى المهبآت : وهو نحو خمسة عشر مجلدا متوسطا .

قال ابن حجر ( أى العسقلانى ) فى مناقبه : وعدة كتب الإمام مائة ونيف وأربعون كتابا ، فسرده وبوبه ورتبه على المسائل والأبواب أيضا الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد اللبان الأُسعردى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ ( انتهى )

فإذا كان ملا كاتب جلبى نسب كتاب الأم الى الشافعى ، فذكره بعد ذلك أن البويطى جمعه وصنفه إنما يفيد أن البويطى لم ينسخ ما أنشأه الشافعى ووضعه ، ويدفع ما أوهمته حكاية أبى طالب وحكاية الغزالى .

وقول ملا كاتب جلبى : « وقد نسب الى ربيع بن سليمان . بوبه الإمام الربيع بن سليمان المرادى » يفيد أن ربيع بن سليمان الأول هو الجيزى كما يفهم الشافعية عند الغايرة ، وليس الأمر كذلك ، لأن الأول هو المرادى أيضا كما تقدم ، والنسبة الى الربيع من أجل الرواية والتبويب ، والذي دعا ملا كاتب جلبى أن يقول : « وقد نسب الى ربيع ابن سليمان » دون أن يقول : ( المرادى ) أنه وجد فى أول كتاب الأم مثلا : ( أخبرنا الربيع ابن سليمان قال : أخبرنا الشافعى رحمه الله تعالى ) ووجد فى كتاب آخر أن الربيع ابن سليمان المرادى بوب كتاب الأم ، فنقل العبارة الأولى كما وجدها ، والعبارة الثانية كما وجدها .  
وقال ملا كاتب جلبى : قال ابن حجر فى مناقبه : « وعدة كتب الإمام » ولكن الذى فى نسخة ابن حجر : « وعدة كتب الأم » .

الربيع كان تلميذ الشافعى ، وقد سمع منه كتبه إلا يسيرا فانه للضرورة . ومن كتبه كتاب الأم كما مر . وكانت عنده كتب الشافعى يكتبها أو تكتب له . وعادة ذلك العهد تقضى أن يكون عند الربيع كتاب الأم . وكيف لا يكون عنده وفيه أكثر كتب الشافعى فى الفقه ، وكيف لا يكون عنده وهو رواية الشافعى ، وكان يعطى كتب الشافعى لمن يريد أن ينسخها .

فهل يقال بعد هذا على سبيل الحقيقة : « صنف البويطى كتاب الأم » ؟

وهل يقال : ينسب كتاب الأم الذي صنفه البويطى الى الربيع ؟

إن صحت حكاية أبى طالب وحكاية الغزالى فى الواقع ، فكل ما هنالك أن البويطى لم ينسخ كتاب الأم الذى أنشأه الشافعى ووضعه عن فكر واجتهاد ، وأن البويطى أعطى هذه النسخة الربيع فصار عند الربيع نسختان . وأين نسخة البويطى الآن ؟ إن النسخة المطبوعة أصلها نسخة الراوى عن الربيع ، ليس هناك غيرها فيما علمنا .

( عبارات كتاب الأم هى عبارات الشافعى )

إذا كان الشافعى قد خرج كتاب الأم أثنى ورقة كما فى الرواية الصحيحة عن الربيع ، وكان الربيع تلميذ الشافعى وقد سمع منه كتبه كما مر ، وكان راوية كتب الشافعى وراوى كتاب الأم على الصدق والإتقان ، فعبارات كتاب الأم هى عبارات الشافعى التى محتج بها فى اللغة العربية .

وإذا نظرنا فى كتاب الأم للمطبوع عرفنا أن تصرف الربيع ليس تصرفا فى العبارة ، وإنما هو تصرف بالزيادة المتميزة كزيادة الراوى عن الربيع ، وعلمنا أن الزياتين كالتعليق ، وهو لا يخرج كتاب الأم عن أصله ، كما لا يخرج به عن أصله ما جد من الزيادة عند الطبع .

وإليك أمثلة لا من الزيادة التى جدت عند الطبع :

فى ج ١ ص ٢٦ قال الربيع : ثم رجع الشافعى عن هذا بعد .

» ٤٢ قال الربيع : وله قول آخر .

» ٥٨ قال الربيع : وهو آخر قوليه .

» ١٩٢ أخبرنا الربيع قال : أخبرنا الشافعى ( فى الإملاء ) والإملاء

غير كتاب الأم كما أشار الى ذلك النووى فى تهذيب الأسماء واللغات .

وفى ج ٢ ص ٤١ قال أبو يعقوب والربيع : وغير ما فيها الركاز لتجارة زكاها زكاة التجارة .

وفي ج ٢ ص ٥٢ (باب اختلاف زكاة ما لا يملك) قال الربيع (في أثناؤه):  
سمعت الكتاب كله إلا أني لم أعارض به من هاهنا إلى آخره.  
فانظر كيف كان احتياط الربيع في الرواية، وانظر ماذا تأخذ من عبارته هذه.  
إنك لتأخذ منها أن ما لم يقل فيه مثل ذلك من كتاب الأم يكون قد سمعه من  
الشافعي وعارض به أي قابله.

وفي ج ٣ ص ٣٣ قال الربيع: قد رجع الشافعي عن بيع خيار الرؤية.

» ٥٦ قال الشافعي في موضع آخر.

وفي ج ٤ » ٤٨ قال الربيع: أنا أجيب فيها أقول

» ٥ » ٢٧ وفي قول آخر

» ٢٦٣ وكذلك امرأة أبيه

» ٢٧٠ وقد قال مرة الخ

وفي ج ٦ » ٥١ قلت أنا وأبو يعقوب

» ١٢٦ للشافعي رحمه الله تعالى هاهنا جواب

» ١٣١ آخر قول الشافعي

» ١٨٢ معنى قول الشافعي في هذا

ذكرنا أن في كتاب الأم المطبوع زيادة حدثت عند طبعه ولكنها متميزة،  
وقد قال مصححه: (تنبيه) اعلم أنه قد حصلت لنا عدة نسخ من الأم، ومنها بعض  
أجزاء عتيقة بخط ابن النقيب، منقولة من نسخة بخط سراج الدين البلعيني، تفردت  
بزيادات مترجمة معزوة لبعض مؤلفات الشافعي رحمه الله تعالى، مثل كتاب اختلاف  
الحديث، وكتاب اختلاف مالك والشافعي ونحوهما، وربما كان في هذه الزيادات تكرار  
لبعض ما اتفقت عليه النسخ، ولكنها مع ذلك لا تخلو عن فوائد من فروع وتوجيهات  
للإمام رحمه الله. ولهذا أثبتنا تلك الزيادات بهامش هذا المطبوع إن اتسع لذلك،  
وإلا جعلناه في الصلب بعد عبارة الأم مفصلاً بينهما بجدول (انتهى).

ومن هذه الزيادات ما تراه في ج ١ ص ١١٤ وقد كتب في الصلب غير مفصول بينه وبين عبارة الأم بجدول، وإنما هو متميز بإشارة أخرى خفيفة، وبالعبارة، مثل (وفي مختصر المزني نصوص في سجود السهو لم نرها في الأم قال المزني قال الشافعي الخ) ومثل (في جمع الجوامع قال الشافعي الخ) وجمع الجوامع كتاب مختصر من كتب الشافعي، اختصره ابن العفريس (كقنديل) وهو أبوسهل أحمد بن محمد الزوزني الشافعي. وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: إن أباسهل لا يغير من العبارة شيئاً وإنما يحكى النصوص بألفاظها، وكذلك سائر من يجمع نصوص الشافعي ليس لهم في ألفاظ الشافعي رضى الله عنه تصرف (انتهى).

وقال ملا كاتب جلي: وهو (أى جمع الجوامع) على ترتيب مختصر المزني (انتهى) ومثل (وقال الماوردي إنه مذهب الشافعي وجماعة أصحابه الفقهاء الخ). وكان الأولى ألا يكتب مثل هذا في الصلب.

\*\*\*

إنك لا تجد باباً مثلاً من أبواب كتاب الأم إلا منسوباً إلى الشافعي على إنشاء الأول وبسطه، غير مأخوذ من أبواب شتى مثلاً، وغير منقول من كتاب آخر. وليس ما صنف أصحاب الشافعي كذلك. انظر إلى مختصر المزني المشهور مثلاً وإن أضيف إلى الشافعي أيضاً، تجد المزني قال في خطبته: اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، ومن معنى قوله، لأقربه على من أراده.

وقال المزني في أبواب الكتاب:

(مختصر الشفعة) من ثلاثة كتب متفرقة من بين وضع وإملاء على موطأ مالك ومن اختلاف الأحاديث، ومما أجبته فيه على قياس قوله، والله الموفق للصواب. (إحياء الموات) من كتاب وضعه بخطه لأعلمه، سمع منه. (باب التقاط المنبوذ يوجد معه الشيء) مما وضع بخطه لأعلمه، سمع منه، ومن مسائل شتى سمعتها منه لفظاً.

(كتاب الوصايا) مما وضع الشافعي بخطه لأعلمه، سمع منه .  
 (الأمة تعتق وزوجها عبد) من كتاب قديم، ومن إملاء، وكتاب نكاح وطلاق  
 إملاء على مسائل مالك .  
 (باب ما يقع وما لا يقع على امرأته) من الطلاق ومن إباحة الطلاق، ومما سمعته  
 منه لفظاً .

(باب الطلاق قبل النكاح) من الإملاء على مسائل ابن القاسم، ومن مسائل شتى  
 سمعتها لفظاً .

(مختصر من الجامع) من كتابي لعان جديد وقديم وما دخل فيهما من الطلاق من  
 أحكام القرآن ومن اختلاف الحديث .  
 (عدة المدخول بها) من الجامع من كتاب العدد، ومن كتاب الرجعة والرسالة .

\*\*\*

أليس فيما ذكرناه حجة قوية على أن كتاب الأم للشافعي، وأن عباراته  
 عبارات الشافعي؟

(الأم والمبسوط)

ذكر ابن حجر العسقلاني عن البيهقي أن المزني حمل عن الشافعي كتابه المبسوط (وهو  
 المختصر الكبير) والمنشورات، وكذا المختصر المشهور .  
 وذكر في الحديث عن المزني أن المزني لزم الشافعي لما قدم مصر، وصنف المبسوط  
 والمختصر من علم الشافعي .

وذكر النووي أن مصنفات الشافعي كثيرة مشهورة، كالأم في نحو عشرين مجلداً  
 وهو مشهور، وجامع المزني الكبير، وجامعه الصغير، ومختصره الكبير والصغير .  
 فقد أضيف المبسوط إلى الشافعي وإلى المزني، والمبسوط هو المختصر الكبير .  
 وكتاب الأم لم يقل أحد فيه (المختصر الكبير) الذي يضاف إلى المزني .  
 إذاً يكون هذا المبسوط غير كتاب الأم .

وقال ابن النديم في الحديث عن المزني : وله من الكتب كتاب المختصر الصغير الذي بيد الناس وعليه يعول أصحاب الشافعي ، وله يقرءون ، وإياه يشرحون ... كتاب المختصر الكبير ، وهو متروك ( انتهى ) والمعروف أن كتاب الأم غير متروك . فكتاب الأم غير المختصر الكبير ، أي غير المبسوط الذي يضاف الى المزني .

وذكر ابن النديم في الحديث عن البويطي أن البويطي من الكتب كتاب المختصر الكبير ، كتاب المختصر الصغير ، كتاب الفرائض .

وكتاب الأم لم يقل أحد فيه ( المختصر الكبير ) الذي يضاف الى البويطي .

فكتاب المختصر الكبير الذي يضاف الى البويطي غير كتاب الأم .

وقال ابن النديم : وتوفي ( أي الشافعي ) سنة ٢٠٤ بمصر ، وله من الكتب كتاب المبسوط في الفقه ، رواه عنه الربيع بن سليمان والزعفراني .

ويحتوي هذا الكتاب على كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام ، كتاب الحج ، كتاب الاعتكاف ، كتاب .

( وسقط باقي الكلام من فهرست ابن النديم ) ثم جاء ما يأتي :

قال محمد بن إسحاق : قرأت بخط ابن أبي يوسف ما هذه نسخته :

كتاب الرسالة ، كتاب الطهارة ، كتاب الإمامة ، كتاب استقبال القبلة ، كتاب الجمعة ( الى آخره ) .

ولسقوط الكلام بين ما تقدم وما تأخر يحتمل أن يقول قائل : إن ما تأخر رواية أخرى في المبسوط .

فيقال له : ذكر ابن النديم أولاً أن المبسوط في الفقه ، وذكر فيما تأخر كتاب الرسالة ، وقد اشتهر أنه في الأصول ، وأنه كتاب مستقل ، فليس ما تأخر رواية أخرى في المبسوط . ويحتمل أن يقول قائل : إن ما تأخر هو ما احتوى عليه كتاب الأم ، فيكون كتاب الأم غير المبسوط .

فيقال له : اشتهر أن كتاب الرسالة كتاب مستقل غير داخل في كتاب الأم ، وكتاب



الرسالة في الأصول، وكتاب الأم في الفقه، فليس ما تأخر ما احتوى عليه كتاب الأم . وقد ذكر ابن حجر العسقلاني عن البيهقي كتباً ليست من كتب كتاب الأم ، منها الرسالة القديمة ، ثم الجديدة ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وأحكام القرآن ، وبيان الغرض ، واختلاف مالك والشافعي ، واختلاف العراقيين ، واختلافه مع محمد بن الحسن ، وكتاب علي وعبد الله ، وفضائل قریش .

وهذه الكتب ذكرها ابن النديم فيما تأخر ، فما ذكره ابن النديم فيما تأخر ليس بياناً لما احتوى عليه كتاب الأم ، وإنما هو بيان لكتب الشافعي مطلقاً . ويؤيده ما قاله ياقوت في معجم الأدباء : والبيهقي من أدري الناس بكتب الشافعي ، ومن أدري الناس بالكتب التي احتوى عليها كتاب الأم .

وقال ابن النديم في الحديث عن الربيع : روى عن الشافعي كتب الأصول (ويسمى مارواه المبسوط) .

ولم يقل الناس : كتاب الرسالة هو ( كتب الأصول ) وإنما قالوا : ( كتاب الرسالة ) وقالوا : ( كتاب الرسالة أول كتاب وضع في الأصول ) .

إذاً تكون كتب الأصول التي رواها الربيع عن الشافعي هي التي تذكر في الفقه مثل : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام ، كتاب الحج ، كتاب الاعتكاف الخ .

وهي التي وجدنا منها طائفة في فهرست ابن النديم ذكرت مما يحتوى عليه كتاب المبسوط الذي هو للشافعي في الفقه ، وقد رواه عنه الربيع والزعفراني .

وإذا كان المبسوط في الفقه ، فعبارة ( كتب الأصول ) وفق الأصل لا تشمل كتاب الرسالة .

ومما يعضد ذلك أن أبا عاصم ذكر أن مختصر البويطي على نظم أبواب المبسوط ، ومختصر البويطي كل أبوابه في الفقه .

وأن ابن النديم في الحديث عن الزعفراني قال : وروى المبسوط عن الشافعي

(على ترتيب ما رواه الربيع) وفيه خلف يسير، وليس يرغب الناس فيه ولا يعملون عليه، وإنما يعمل الفقهاء على ما رواه الربيع.

والمشهور عن الزعفراني أنه روى عن الشافعي الكتاب القديم المسمى بالحجة وهو في الفقه. أما الرسالة القديمة في الأصول فهي مستقلة.

والمشهور عن الربيع أنه روى عن الشافعي كتاب الأم، وهو في الفقه. أما الرسالة الجديدة في الأصول فهي مستقلة.

فاذا أريد بكتب الأصول ما يشمل الرسالة، وقف في طريق الإرادة قول ابن النديم: «وروى (أي الزعفراني) المبسوط عن الشافعي على ترتيب ما رواه الربيع» لأن ترتيب ما رواه الربيع لا يشمل الرسالة، لأنها خارجة عنه، وأول الترتيب (الطهارة).

\*\*\*

يؤخذ من كلام ابن النديم أن المبسوط هو كتاب الحجة، وهو كتاب الأم. فكتاب الحجة يقال له المبسوط، وكتاب الأم يقال له المبسوط، ولكن هناك خلفا يسيرا بينهما، والخلف اليسير الذي في كتاب الحجة لا يعمل الشافعية به، وإنما يعملون بما في كتاب الأم (أي مضافا إليه ما استقر عليه رأى الشافعي).

وقد عد إمام الحرمين كتاب الأم قديما، ولكنه شذ في ذلك، فقد قال الماوردي في أثناء كتاب الصداق: غير الشافعي جميع كتبه القديمة في الجديد إلا الصداق، فإنه ضرب على مواضع منه وزاد مواضع (انتهى).

وقال البيهقي: وبعض كتبه الجديدة لم يعد تصنيفها، وهي: الصيام، والصداق، والحدود، والرهن الصغير، والإجارة والجنائر، فإنه أمر بقراءة هذه الكتب عليه في الجديد، وأمر بتجريق ما يغير اجتهاده. قال: وربما تركه اكتفاء بما نبه عليه من رجوعه عنه في مواضع آخر.

قال ابن حجر العسقلاني: قلت: وهذه الحكاية مفيدة ترفع كثيرا من الإشكال

الواقع بسبب مسائل اشتهر عن الشافعي الرجوع عنها وهي موجودة في بعض هذه الكتب ( انتهى ) .

من هذا تعلم الذي جعله ابن النديم خلفا لسيرايين مارواه الزعفراني وما رواه الربيع .  
ومن هذا تعلم الذي من أجله عد إمام الحرمين كتاب الأم قديما فقليل إنه شذ .

\*\*\*

وقال ابن حجر العسقلاني : وأخرج الحاكم من طريق عمرو بن خالد قال : جاءني الشافعي فأخذ مني كتاب موسى بن أعين ، وهو كتاب اختلاف الأوزاعي وأبي حنيفة . ( قال البيهقي ) : وهو كتاب في السير أصله لأبي حنيفة ، فرد عليه فيه الأوزاعي ، فرد أبو يوسف على الأوزاعي رده على أبي حنيفة ، فأخذه الشافعي ورد على أبي يوسف رده على الأوزاعي ، وهو الكتاب المعروف بسير الأوزاعي . ( قلت ) : وهو من جملة كتب الأم .

وقال الحاكم : أخبرنا أبو الوليد الفقيه ، حدثنا إبراهيم بن محمود ، سمعت الربيع يقول : ألف الشافعي هذا الكتاب ( يعني المبسوط ) حفظا لم يكن معه كتب ( انتهى )  
وقدمنا أن أبا يزيد القراطيسي يقول في الحديث عن الربيع : « وإنما أخذ أكثر الكتاب » ولم يبين الكتاب . وقد فسر هنا بالمبسوط ، وقد عرف أن المبسوط هو كتاب الأم . فالكتاب وكتاب الأم والمبسوط لمسمى واحد

وفي صنع ابن حجر العسقلاني إشارة الى ذلك ، فإنه أتى بالجملة التي فيها ذكر الأم ، ثم أتى برواية الحاكم التي فيها ( ألف الشافعي هذا الكتاب ( يعني المبسوط ) الخ ، ليشعر أن ما فيها كالبيان للأم ، وفيه رد لما قد توهمه عبارة البيهقي من أن الشافعي كان حين تصنيفه كتاب الأم ينظر في كتب غيره . فكأنه قيل : إن جميع الكتب التي اشتمل عليها كتاب الأم ومنها سير الأوزاعي ألفها الشافعي حفظا لم يكن معه كتب . فلو كان معه كتب ، فهو يحفظها ثم يصنف كما مر

فلا يتوهم أن الإشارة في قول الربيع : ( هذا الكتاب ) الى سير الأوزاعي ، لما علمت ، ولأن ما ذكره أبو عاصم من أن مختصر البويطي على نظم أبواب المبسوط مع

ما تراه في سير الأوزاعي المذكور في الجزء السابع من كتاب الأم المطبوع — يمنع أن يراد بالمبسوط كتاب سير الأوزاعي ، وينع أن يراد بالمبسوط كتب الشافعي كلها . إن مختصر البويطي في أبواب الفقه وهي كثيرة ، وكتاب سير الأوزاعي في أحوال الجند والغنائم وما له اتصال قريب بذلك ، وهو لم يبلغ سبع عشرة ورقة ، فيها أربع وثلاثون ( ترجمة ) كما يقولون ، ومختصر البويطي ليس فيه مثلاً كتاب الرسالة أو مختصره ، وأبوابه كأبواب كتاب الأم .

وليس فيما علم الناس أن كتب الشافعي كلها جعلت كتاباً واحداً إذا أبواب منظومة . إذا عطف المبسوط على الأم مثلاً في عبارة فليس العطف للمغايرة . وقد قال الزبيدي في شرح الإحياء نقلاً عن ابن حجر العسقلاني :

والمسند المنسوب إلى الشافعي هو عبارة عن الأحاديث التي وقعت في مسامع الأصم على الربيع من كتاب الأم والمبسوط ، التقطها بعض النيسابوريين وهو أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر من الأبواب فسحق ذلك مسند الشافعي ( انتهى ) .

وقال ملا كاتب جلبي في مسند الشافعي : وجع مسنده أبو عبد الله بن يعقوب بن يوسف الأصم الشافعي المتوفى سنة ٢٤٦ ( انتهى ) والصواب سنة ٣٤٦

وانظر فيما ذكره النووي مثلاً من كتب الشافعي ، تجد كتاب الأم ولا تجد كتاب المبسوط . وانظر فيما ذكره ابن النديم مثلاً من كتب الشافعي ، تجد كتاب المبسوط ولا تجد كتاب الأم .

معنى هذا ( بعد البينات التي أقيمت ) أن كتاب الأم هو كتاب المبسوط ، وكتاب المبسوط هو كتاب الأم .

فن ذكر كتاب الأم وحده لم يهمل كتاب المبسوط ، ومن ذكر كتاب المبسوط وحده لم يهمل كتاب الأم ، ذلك لأن المسمى واحد .

وعلى هذا يكون كلام ابن النديم زاد حجة تضاف إلى ما مر على أن كتاب الأم ألفه الإمام الشافعي رضي الله عنه . والله أعلم .  
مسبن والى

Islam is not therefore founded on such principles as those orient-  
alists have tried to imagine but it is founded on universal principles which  
no nation has so far established and which is conceded by the highest  
philosophy of the day to be the most perfect and most worthy of consi-  
deration. In all its precepts, Islam has shown and faithfully followed this  
universalistic tendency and trampled on all the social distinctions that  
were raised by the ignorance of nations and fostered by racial prejudices  
in different periods of the world's history.

There is really nothing that stands between Islam and its becoming  
the world's religion except the ignorance of people concerning it, but once  
the truths of Islam are made known to them, it will become the universal  
human religion in fulfilment of the Lord's saying:

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُشْرِكُونَ»

“It is He who hath sent His Apostle with guidance and the religion  
of Islam that He may exalt it above every religion although the polytheists  
like it not.”

(Baidawy's Commentary)

«وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»

“Ye shall surely know it: truth in time.”

(Baidawy's Commentary)

Allah? And who is more unjust than he who concealeth the testimony which he hath received from Allah (in regard to Abraham? But Allah is not regardless of what ye do. That were a people who have passed away, they have their recompense, and ye shall have yours, and ye shall not be questioned of that which they have done ».

*(Baidawy's Commentary)*

Islam makes no distinction between one whose father is Abraham or Mohammad the last of the prophets and between one whose father was a black slave or even one who knows no father at all. It was not founded on such distinctions which may find acceptance at certain times or with certain people in a primitive stage of intelligence but not at all times or everywhere nor with people of a high standard of intelligence who would consider such distinctions degrading to the honour of human society.

Islam is a religion ordained for mankind in their entirety: white or black, Arab or otherwise which made them equal in such a manner as to leave no room for a distinguished paternity or an illustrious ancestry. In this connection, the Prophet (on who be peace) says: “ Allah hath delivered you from the curse of the days of ignorance (pre-Islamic days) and its pride of ancestry: ye are all from Adam and Adam is of dust.”

Islam aimed at the establishment of a universal nation of one unified faith which is neither the religion of Abraham nor the religion of Noah but the religion of Allah Himself which is founded on human nature and pure reason for thus saith the Lord:

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

“Do the unbelievers seek a religion other than Allah's and to Him had everyone in heavens and on earth submitted in obedience or by force, and unto Him shall they return”.

*(Baidawy's Commentary)*

The Lord has declared in more than one verse of the Holy Koran that Islam was the first faith which was revealed by Him to the first prophet:

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا »

“Allah hath ordained for you the religion which He commanded unto Noah.”

*(Baidawy's Commentary)*

and his son or even that they founded the Kaba? Or could they have been the natives of Medina who were of the Yemenite tribes that migrated to Arabia after the Aram flood and cared for nothing pertaining to Abraham or the Kaaba? Or could they have been those few numbered individuals among the Arabs who followed the religion of Abraham and were sparsely scattered in the tribes having no connection with one another throughout the Peninsula? Or could they have been some other people whom neither we nor history itself could claim to know?

The reader may well conclude from the foregoing that this orientalist's imputations are totally unfounded and that they were only inspired by pure imagination and the desire to disparage and impair the prestige of Islam by such empty gabble.

It may be well here to remind that orientalist of an all-important point about Islam and that is the basic principles and universal doctrines on which it was founded.

Islam has not relied for its ascendancy on the establishment of a chosen people whose ancestry goes back to a distinguished historical figure; but it aimed at the establishment of a universal nation in which racial and social distinctions melt away by relating it to a common paternity, the paternity of Adam. In this connection, the Lord addresses mankind thus:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

“O, men! Verily We have created you all of Adam and Eve, and We have made you into peoples and tribes that ye might know one another and boast not of your ancestry. Verily the most worthy of honour among you, in the sight of Allah, is the most pious; Allah is all-knowing and cognisant of your innermost thoughts”.

(Baidawy's Commentary)

As to upholding of distinguished figures or illustrious ancestry, the Lord saith:

« أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . بَلْ لَّكَ أُمَةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

“Will ye say truly that Abraham, and Ismail, and Isaac, and Jacob and their offspring were Jews or Christians? Say who knoweth best, ye or

The Holy Koran has also declared that Ismail was an apostle and a prophet. It is known that he was brought up among the Beni Jerhem and married from them. The outcome of this marriage was the branch of the Ismailites which included Koreish, Rabiea, Moddar, etc. Ismail (on whom be peace) lived to witness the growth of that branch in its earlier stages. The Holy Koran has pointed out that his mission was restricted to his tribe and kinsmen. He enjoined prayers, alms-giving and righteousness. His mission was not meant to go beyond his tribe. He was not a universal prophet or admonisher on whose hands great changes were effected as in the case of the Prophet Mohammad (on who be peace).

History has shown that since the appearance of the Adnan tribes up to the time of the Prophet, no other apostle was sent to the Arabs. The statement of the Koran is therefore true and completely conforms with universal history showing no contradiction in any part thereof.

As to the assertion of this orientalist that the Prophet (on whom be peace) had depended for the success of his mission on the support of the Jews of Mecca, it is equally untrue, and we fail to find in the Koran or in history anything to bear it out. The Prophet never once appealed to them, nor is it recorded that he ever met or consulted them on matters of religion. It is given in the Koran that in his early days, he was commanded to call secretly to his faith, then he was to admonish his nearest kinsmen and lastly to proclaim his mission to the world. It was for this reason that his people became embittered against him and endeavoured to refute his claims, yet never once have the Jews been mentioned in any of those stages. The learned orientalist has given us no idea of the kind of assistance for which the Prophet appealed to the Jews. Was it to further his mission though he never approached them on that score, or to support him with their men though they were of limited and small number to be held in fear amidst those strong and numerous tribes of the Arabs? No one had more openly been condemned by the Holy Koran than the Jews. How could it be then that Mohammad would flatter them and seek their support?

Such statements are maliciously inspired and have no vestige of truth or scientific investigation in them.

Had that imputation been true, would not the Koran have sought to win the sympathy of the Jews by pointing out the soundness of their doctrines or by making mention of their relationship?

But how is it that this orientalist says that the Koran did not declare Abraham as the patriarch of the Arabs except at Medina? Would not this had better been done at Mecca where the Prophet appealed to the Jews for support rather than at Medina where he openly attacked and censured them? Is not this a weak and loosely-connected imputation? and does it not carry with it the elements of self-refutation?

This orientalist went on to say that when the Jews failed the Prophet he turned to some other people for support. Now who could those other people have been? Could they have been the Christians who were a minority in Arabia and cared very little for the relationship of the Arabs to Abraham?



All this was widely known among the Arabs of pre-Islamic days and the Jews who lived in their midst. Is it conceivable therefore to attribute to Islam the concoction of this story? And if this be entertained by certain people, is it conceivable that it was Islam that introduced it in the Old Testament as well?

What is the meaning of that orientalist's assertion that the Koran established no connection between Abraham and Ismail in its early stages? Was that omission due to the Prophet's ignorance of it when he was at Mecca despite the fact of its being in the Old Testament and its prevalence among the Jews there?

Strange indeed is this orientalist's attitude. He asserts that the Koran, in its early and in its Meccan Suras, established no connection between Abraham and Ismail yet this was explicitly established in one of the Meccan Suras, that of Abraham's where he says:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ»

“Praise be to Allah, who hath given me, in my old age, Ismail and Isaac; verily my Lord hath answered my prayers.”

(*Baidawy's Commentary*)

On what basis had this orientalist founded his assertion other than his ignorance of the Meccan Suras and their contents? Would he have persisted in his claim and brought those charges which he framed if he had once seen the Meccan Sura of Abraham and found out for himself the connection between Abraham and Ismail plainly established therein?

We are aware that some orientalists bring false charges against Islam, but we would have thought that they were above barefaced denial of a plain statement which is explicitly mentioned in the Holy Book.

As to the further imputation that the Koran has declared that no apostle was sent by Allah to the Arabs before Mohammad, relying for authority in the Koranic verse:

«لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»

“To admonish a people to whom no admonisher was sent before, that haply they may be guided unto the right way.”

This imputation is equally untrue for the meaning of this verse is that no apostle was sent by Allah to this particular branch of the Arabs before Mohammad.

By such verses as these, is not meant the categorical denial of sending any apostle to the Arabs in all times. The Koran has itself declared in plain words that Houd (on whom be peace) had been sent to the Adites and Saleh (on whom be peace) had been sent to the Themoudites, both of whom are of the older branches of the Arabs.

And now let us consider the rest of those imputations viz. that the figure of Abraham appears in the Koran in two distinct stages. In the first, he is an apostle of God, sent to admonish his people. No connection is established between him and Ismail. At the same time, it is declared that the Arabs have had no admonisher before Mohammad. Abraham never appears as the first founder of the Kaaba nor as the first Muslim.

When the Prophet went to Medina, all this was changed and Abraham was called Hanif and a Muslim and was considered as the founder of a religion, also that he founded the Kaaba along with his son Ismail etc.

By arraying these conjectures in the manner he did, this orientalist could only be understood to convey plainly that the Holy Koran is not the word of God but is the work of Mohammad and that he had introduced therein all what he deemed fit to further his policy and personal interest with the Arabs!

Such words as these, we may say, could only be inspired by complete ignorance of the truths of Islam and utter confusion in regard to its historical stages as well as by total inadvertence of the principles on which it was founded since the very day of its revelation.

Before we discuss these points however, we may examine the structure of this imputation in order to show how loosely-connected and weak it is and to prove that it was founded on unpardonable historical fallacies.

Now as regards the idea that the Koran has made Abraham an apostle like all the prophets of God, this has no apparent connection with either stage in which the figure of Abraham appeared, but it is his inseparable attribute in all stages. Every Moslem since the advent of Islam up to the present day believes this to be so and if Ibrahim had had a position in the history of Islam different to that of other apostles, it is because he had been the first apostle to a great mass of the Arab people and the founder of the edifice to which all of them, Ismailites and Kahtanites alike, made pilgrimage once a year, also that there were many among them who followed his religion and were scattered throughout their tribes.

All Arabs anterior to Islam and including both their branches, believed that the Kaaba was built by Abraham and his son Ismail to perform their prayers within its precincts.

This was the popular belief of the Arabs in pre-Islamic days and it was for this reason that they held it as a sacred place to which they made pilgrimage once a year. No one ever disagreed as to the identity of its founder, while they differed in all other things even the very names of their idols but never in the ascription of this building to Abraham and Ismail.

There is really nothing odd in the matter in any of its phases that might give contemporary critics reason to doubt the Holy Koran. The question is now confined to whether Abraham (on whom be peace) came to Arabia. The Arabs are agreed on this and say that he is the founder of the temple to which we make pilgrimage, and the Jews on whose Book the orientalist rely, concur with the Arabs on this point and name the place at which he stopped and made an abode for his wife Hagar and his son Ismail. (Vide Old Testament verse 18, Chap. xxv. and verse 20, Chap. xxi.).

Abraham" and is called Hanif and a Muslim, also that he founded the Kaaba along with his son Ismail.

This change, they assert, is explained thus: In the early stages of his mission, Mohammad had appealed to the Jews in Mecca but when they failed him, he sought support elsewhere. He ingeniously declared Abraham to be the father of the Arabs, thus rendering himself independent of contemporary Judaism by appealing to the Judaism of Abraham which was, they assert, the precursor of Islam.

When Mecca occupied the thoughts of the Prophet, the foundation of the Kaaba was also ascribed by him to Abraham.

These are the doubts cast by those orientalists and we give below our argument in refutation thereof in the same order:

As to the discrepancy between the Koran and the Old Testament regarding the name of Abraham's father, no one except this orientalist had considered it a point of difference. For indeed had this been the case, contemporary Jews at the time of the Prophet (on whom be peace) would not have hesitated to make public this difference as they were most anxious to refute the Prophet's claims and turn people away from his faith. They laid in wait for every word or deed of his so that they might make use of them as a means to sow the seeds of sedition and discord. Had there been the least ground for doubt in the question of Abraham's father, they would have raised a mighty cry of protestation against it and would have used it as a strong argument to cast doubt on the Koran. But since this appellation was not commented upon and no one of those who opposed the Prophet (on whom be peace) ever clung to it as an argument against him, it could only mean that it did not attract the least attention or evoke the flimsiest doubt.

Considerable periods have passed on this appellation, controversy raged fiercely in different periods between Moslems and Jews as regards religion and the Book revealed to Mohammad (on whom be peace), and many opportunities offered themselves to the Jews and unbelievers for revilement and slander yet none of these bitter and inexorable enemies could cling to what the orientalists of to-day call a discrepancy between the Koran and the Old Testament.

Would not that prove beyond all doubt that the word "Azar" was popularly applied in that time or even before by both Arabs and Jews to "Tarikh," and it could have been either a name given to Abraham's father or an epithet by which he was popularly known and which, in time, became a proper name?

This orientalist presumes that Mohammad had relied, for the propagation of Islam, on the alleged Judaism of Abraham. Is it conceivable then that he should make a mistake in the name of Abraham's father among those countless thousands of Jews who had the Arabic translation of the Old Testament and to whom the story of Abraham was so well known that it was easy enough to know the father's name?

This indeed is very hard to believe and we may be justified to say that this doubt is absolutely of no weight.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## Orientalists' Imputations Against The Koran Refuted <sup>(1)</sup>

---

In course of a book which was published in Europe by certain orientalists, the story of Abraham (on whom be peace) was dealt with and allusion was made to the statements of the Holy Koran on the subject which the orientalists imagined to cast some doubts on the Book of God in regard to Abraham's father, his connection with his son Ismail, their building of the Kaaba, the relation of the Ismailites to the Holy Prophet etc.

In vindication of the truth, we give below, a summary of those doubts followed by our answer thereto.

Their imputations are as follows:—

(1) The name given by the Koran to Abraham's father differs from that of the Old Testament. The Koran calls him "Azar" whereas the Old Testament called him "Tarikh."

(2) The figure of Abraham, appears in the Koran in two distinct stages. In the Meccan Suras, he is an apostle of God, sent to admonish his people like all other apostles. No connection is established between him and Ismail. At the same time, it is declared that the Arabs have had no admonisher before Mohammad. In this stage Abraham never appears as the first founder of the Kaaba nor as the first Muslim.

When the Prophet went to Medina, a change took place. Abraham was referred to in the Medina Suras as the founder of the "religion of

---

(1) Translated from Mr. Mohammad Farid Wagdy's article in Nour-El-Islam Review.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ٦ —

الدعوة الى العلم

أبنا في مقالاتنا السابقة ما قام عليه الإسلام من الأصول العليا التي توجب له السلطان المطلق على العقول والقلوب معا، وتصوغ من متبعيه أمة تكون لها زعامة الأرض قاطبة. ونبين اليوم هنا أنه لم يحرم هذه الأمة من روح قوية تتولى دفعها الى التقدم، وبعثها الى التطور، وتحميها شرّ الجود الذي يلحق بالأمة فيفضي بها الى التحلل أو الفناء في أمة أخرى. تلك الروح هي العلم بأوسع معانيه، وعلى ما تقضى به ضرورات الاجتماع، وحاجات العقول، وما تستدعيه حياة أمة جعلت لتكون في طليعة الأمم. لا يوجد دين من الأديان، ولا نظام اجتماعي من النظم المعروفة قديما وحديثا يبلغ شأوا الإسلام في رفع شأن العلم، والتنويه بقيمته، وفي الدعوة اليه، والتعويل عليه، فقال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)، اعتدّ الله في هذا الأمر الجليل بشهادة أهل العلم، ورفع من قدر العلم الى حيث لا يرتقى بعده. وقال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، وفي هذا من تشريف العلم ما فيه، إذ حكم بأن أهله يمتازون عن سواهم، لأنهم حملة النور الإلهي، والفائزون برفع كسف الجهل عن العقول. وقال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: للعلماء درجات فوق المؤمنين عدتها سبعمائة. وقال تعالى

في وصف القرآن : ( وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ) ، جعل العلم أخص صفات كلامه الإلهي . وقال تعالى : ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) ولا نظن أن فوق هذا تنويعها بفضل العلم ، وإشادة بذكره .

أما ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلم فلا يكاد يحصى ، كقوله : « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض » ، قال حجة الاسلام الغزالي : وأى منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » ، وليس بعد هذا التقدير الصحيح مذهب في تشريف العلم ، والإشعار بأثره في حياة المجتمع .

وقد زاد الله تعالى هذه الوصايا الكريمة قوة ، فجعل كمال التقوى متوقفا على العلم فقال تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) وربط به فهم الأمثال التي يضر بها للناس ليهديهم الى طريق السعادة ، أو ليستنهض همهم للخير ، فقال تعالى : ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) .

وماذا تريد من دين يجب أن يقيم أمر جماعته على العلم أكثر من أن يفرضه عليهم فرضا ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » أو لم يقل « اطلب العلم ولو بالصين » ؟

فأى علم يقصد الدين من كل هذه الوصايا التي يدلى بها والتحضيضات التي يبذلها ؟ لا شك أنه يريد به كل ما يحتمله لفظه من المعارف التي أتيح للبشر الإلمام بها . فآل قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَايِبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ) .

ألا ترى أن في تذييله الآية بمحصر خشية الله في العلماء دلالة على أن المراد بالعلماء

هنا العارفون بأسرار هذه الشئون الطبيعية، والواقفون على حقائق المسابير الكونية فوق علمهم بالأمور الإلهية؟

وانل قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوِانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) بكسر اللام.

ألا ترى أن في تذييل هذه الأمور الكونية بقوله تعالى: «إن في ذلك لآيات للعالمين» إشعاراً بأن المقصود بالعالمين الذين يلمون بما هدى اليه الباحثون من هذه المعارف الطبيعية والإنسانية؟

فالعالم الذي يدعو اليه الكتاب، وتبحث عليه السنة النبوية، هو كل ما يُدفع به الجبل والخطب، سواء أكان في العقائد الدينية، أم في الشئون المادية. فقد علم الله سبحانه وتعالى أن الإنسانية كما تحتاج لعلم صحيح فيما يتعلق بعقائدها، تحتاج كذلك الى علم بما تستصاح به معيشتها، وتبنى به اجتماعها، وتستكمل به وسائلها، وتحكم به جميع محاولاتها. وقد فهم آباؤنا الأولون هذا الفهم نفسه، فهموا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العلم بأوسع ما يحتمله هذا اللفظ من معان، فتخصص بعضهم لعلوم الدين، من ضبط قراءة كتابه، وتفسير معانيه، وطرق استنباط الأحكام منه، الى غير ذلك. ومنهم من وقفوا أنفسهم لدراسة السنة وتدوينها، ونقد روايتها، وتمييز أصيلها من دخليها. وجاءة جعلوا غرضهم اللغة، فعمدوا الى تحرير مفرداتها، وضبط مدلولاتها، وحصر لغاتها، ووضع معاجمها، وتدوين علومها. وفرق أخرى استهدفت العلوم الكونية على اختلاف موضوعاتها، من فلك ورياضة، وطب وصيدلة، وكيمياء وطبيعة وغيرها، فاستوعبوا كل ما وجدوه شائعا من كتبها، فلما لم يرو لهم غلة شرعوا يترجون ما ادخره اليونان والرومان والفرس في مكشباتهم، فاستخرجوا منها ما كان في حكم المعلوم، فألقوا من ذلك كله مجموعة من العلم لم تتفق لأمة قبلهم، فقد حشروا اليها كل ما ثبت نفعه من المعارف، غير متأثرين بعصبية، ولا بنزعة جاهلية، كما وصاهم رسولهم صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: «خذ الحكمة ولا يضررك من أى وعاء خرجت»، فكانوا



لا يبالون فى العلم أن يأخذوه من أى مصدر كان ما دام ينتفع به ، ولا يأنفون أن ينتفعوا بالعلماء وإن كانوا من غير ملتهم ، فأسندوا رئاسة كثير من جامعاتهم العامية لرجال من ذوى الملل الأخرى ، لما ثبت لهم أن ليس فى المسلمين الى ذلك العهد من يسدون مسكنهم .

وقد ثبت أن أسلافنا لم يتأثموا من تعلم شىء مما ترجوه ، بل تناولوه جملة وأوسعوه تفلية وبحشا ، فنفوا ما ثبت بطلانه ، واحتفظوا بما عرفوا صحته ، فزادوا مادته ، واكتشفوا علوم ما لم تكن معروفة قباهم كعلمى الكيمياء والجبر . ولم يتخرجوا من البحث فى أى مذهب من مذاهب العلم بحجة أن ذلك يضر بالدين ، أو أن الدين يجرمه ، حتى بحثوا فى السحر والطلاسم والأوقاف والازيرجا والتنجيم والسيما ، وكل ذلك تحت شعار هذه الحكمة العالية : « تعلم السحر ولا تعمل به » .

الخلاصة أن المسلمين قاموا بدافع من دينهم الى تلمس العلم من جميع مظانه ، وشغفوا به شغفا لم يرو التاريخ مثله عن أمة . فهل سمعت فيما قرأت من تاريخ الحروب أن أمة منتصرة تفرض فيما تفرضه على الأمة المغلوبة أن تعطىها مكتبة علمية ؟ هذا ما فعله المسلمون على عهد المأمون بن الرشيد ، فقد شرطوا فى صلحهم مع الرومان تسليمهم مكتبة عينوها لهم ، فقبل أمباطورهم هذا الشرط وساهم المكتبة ، فأكبوا على ترجمة أحسن ما فيها ، وأضافوه الى ما سبق لهم ترجمته ، حتى أصبحت لهم زعامة العلم فى الأرض ، وصارت مدارسهم وجامعاتهم معاهد للثقافة العالية يقصدها الناس من كل بقعة فى العالم . فإذا كان لا بد من الاستئناس بقول مؤرخ أجنبى فى هذا الشأن ، فإليك ما قاله الأستاذ الفيلسوف (دراير) المدرس بجامعة نيويورك فى كتابه المنازعة بين العلم والدين : « إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨م) أى بعد وفاة محمد بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العامية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » .



الى أن قال :

« ولما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة نخمة ، فلم يأل جهدا في بذل الوسع في نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشرعية .

« ولما تولى حفيده هرون الرشيد سنة (٧٨٦ م) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية ، وأمر بإضافة مدرسة الى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الأسيوية لم يشرق إلا في خلافة المأمون الذي تولى الخلافة من سنة (٨١٣ — ٨٣٢) فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجع إليها كتبها لا تحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالع في الحفاوة بهم .

« هذا المركز الذي اكتسبه العرب ، وهذا الذوق السليم في العلم ، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام ، فإن العباسيين في آسيا ، والفاطميون في مصر ، والأمويين في اسبانيا ، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فحسب ، بل كانوا كذلك في العلوم والآداب أيضا .

« ذاق العرب في الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم مجتمعة . أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذي توخوه في المباحث ، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين ، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي الى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي ، والدستور العملي الحسي . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة في الميكانيكا والايديوساتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ، ونظريات الضوء والابصار ، أنهم قد اهتموا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذي قاد العرب

الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة والتصفية الخ . وهذا بعينه أيضا هو الذي جعلهم يستعملون في بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة ، والسطوح المعامة ، والاسطرلابات (هي آلات لقياس أبعاد الكواكب) ، وهو أيضا الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته . وهو الذي هداهم لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (الأزياج جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التي كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضا الذي أوجد لهم هذا الترقى الباهر في الهندسة وحساب المثلثات . وهو أيضا الذي همّ بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية »

ثم قال في عرض كلامه على مكتباتهم :

« وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد ، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة في أربعة وأربعين مجلدا . وغير هذا فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

« أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة الجامعة أن يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم ، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . » وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التي تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جدا في الجغرافيا والإحصاء والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله .

« كان الملوك الإسلاميين يحرصون بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة ، التي فاقت المملكة الرومانية كثيرا ، مرصد في سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيراك في الأندلس .

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى ، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ( تأمل ) ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم . »  
ثم قال :

« إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جلليا في التقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم ، وأفاض في تفصيل ذلك ، ثم قال :

« ليست أوروبا العصرية بأعلى ذوقا ، ولا أرقى مدنية ، ولا ألطف رونقا من عواصم الأندلس على عهد العرب ، فقد كانت شوارعهم مضاعة بالأنوار ، ومباعدة أجمل تبليط ، والبيوت مفروشة بالطنافس ، وكانت تدفأ شتاء بالمواد ، وتهوى صيفا بالنسيمات المعطرة بوساطة إمرار الهواء تحت الأرض من خلال أوعية مملوءة زهرا ، وكانت لهم حمامات ومكتبات ومحلات للغذاء ويتابع مياه عذبة الخ » انتهى كلام الأستاذ درابر .

نقول بعد هذا : بهذه الروح العلمية كفل الاسلام للأخذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور ، وبواعث للنهوض والارتقاء ، ودوافع للتبسط في الأرض ، والاختلاط بالأأم والافتباس منها ، واستهداف أغراض قصية ، والدأب على بلوغها . فكان للإسلام ما رمى اليه ، فتألفت من أهله أمة لم تبلغ شأوها أمة قبلها ولا بعدها : صحة في العقيدة ينحني العقل والعلم لإجلالها ، وتسليما بها ؛ وعلو في الحياة كانوا معها مطمح أنظار الأأم ، تعشوا الى نورهم ، وتستهدى بهديهم ؛ ومدنية فاضلة تنعم فيها الروح والجسم معا ، مصداقا لقوله تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَنَحْنِيْنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَنجِيْهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

# النفس

## سورة الاخلاص

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

لقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث عدة، منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ « قل هو الله أحد » يرددّها، فلما أصبح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن. وروى عنه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينما يطيق ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يقرأ قل هو الله أحد، فهي ثلث القرآن. وكذلك روى أن رجلاً كان على سرية، وكان يقرأ في صلاته قل هو الله أحد، فلما رجعوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبروه أن الله يحبه. وروى غير ذلك مما هو في معناه.

وقد وجه شراح الحديث كونها تعدل ثلث القرآن بجملة توجيهات، منها أن القرآن على كثرة ما فيه من فنون الهداية يرجع في الإجمال الى التحديث عن ذات الله وتنزيهه ووصفه بصفات الكمال، والى الأحكام، والى الأخبار. وهذه السورة قد اشتملت على القسم الأول، فتنزيهه في « الله أحد » وفي « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » ووصفه بصفات الكمال في « الله الصمد ».

ومنهم من حمّله على المعادلة في الثواب . وقد عهد في الأحكام أن الله تعالى يختص بعض الأعمال بمزيد ثواب بالقياس الى أعمال تشاركها وتشبهها في نوعها ، ويكون ذلك تارة لخصوصية في الزمان كليلة القدر وليلة الجمعة ، وفي المكان كالصلاة في المسجد الحرام ومسجده صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، وفي نفس العمل كصلاة الفرض بالقياس لصلاة النفل ، ولو كانت صلاة النفل أكثر عدداً وأشق فعلاً .

ولعل من حكمة ذلك أن أعظم ما يقصد من العبادة أن يكون قاب العبد مستنيراً بنور جلال الله وكبريائه ، وهذا قريب الحصول جداً من تلاوة هذه السورة ، فإنها لجلاء معناها للعقول ، واختصارها في الصورة ، تبقى حاضرة في القلوب ، متجالية للعقول ، تتأثر بها النفس أعظم تأثر ، فلا جرم كان لها هذه الخاصية . ولعل في تسميتها سورة الإخلاص ما يقرب هذا المعنى للعقل ، فإنها قد اشتملت على صفات التنزيه وهي صفات الجلال ، وعلى صفات التمجيد وهي صفات الجمال ، في قوله : « الله الصمد » ومتى امتلأ قلب المؤمن بتنزيه الله عن الشريك والمكافئ ، والولد والوالد ، وعن النظير والشبيه ، وعن الجزء وعن الجسمية وما يلتحق بها ، فقد أخلص لله العبادة وخلص من شوائب الشرك . وإذا أضيف إليه استيقان النفس بأنه هو الفعال لما يريد ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، الذي شملت قدرته كل ممكن ، فهو الذي يصمد إليه أى يقصد في الحوائج ، انقطع اتجاهه الى أى كائن سوى ربه ، وكفى بالإخلاص باباً للنجاة ، ولذلك سميت سورة النجاة ، وسورة المعرفة ، ولها أسماء عدة غير ما ذكر ، كسورة التوحيد وسورة التجريد ، وسورة الأساس ، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد . والحديث يشير الى البرهان المذكور في الآية الشريفة « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » فقد قررت أن أساس الإيجاد هو الوحدة ، ولولاها لم يكن هذا العالم الذي نراه على أتم نظام .

هذا وليعلم أن تفضيل سورة على سورة أو آية على آية لا ينفي أن الكل كلام الله متحد النسبة إليه ، وأنه جميعه حائز من الشرف والكمال والبعد عن النقص الدرجة العظمى .

سبب نزولها — قيل إن قوما من المشركين أرسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من يقول له : لقد شقت عصانا ، وسببت آلهتنا ، وخالفت دين آبائك ، فإن كنت فقيرا جمعنا لك من مالنا حتى تكون أغنانا ، وإن كنت تبغى الملك ملكناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كان يعتريك شيء من الجن التمسنا لك من يداويك . فقال : لست بشيء مما تقولون ، وإنما أنا رسول الله أدعوكم الى عبادته . فقال : انسب لنا ربك أوصف لنا ربك : أمن ذهب أم من فضة ؟ فنزلت هذه السورة .

وقيل في سبب نزولها إن قوما من اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم : هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله ؟ فغضب صلى الله عليه وسلم ، فنزل جبريل فقال له : اخفض جناحك ، ونزلت هذه السورة . وعلى الأول تكون السورة مكية ، وعلى الثانى تكون مدنية . وقال بعضهم : لا مانع من تكرار نزولها .

قوله تعالى : « قل » أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يقول ، والأمر وما بعده كل من كلام الله عز وجل الممتلئ ، ويكون الامتثال بعد ذلك فيما يدعونه إليه ، وهو مقول القول بعده ، فهو كقوله تعالى : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) وكقوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ) وأمثال ذلك ، ينزل عليه الأمر قرآنا يتلى ، وبمقتضاه يكون مكلفا بالإتيان بما أمر به . والسر في إثباتها مع أن الشأن في امتثال الأمر بقل أن يتلفظ بالمأمور بالمقول لا بلفظ قل ، هو الإشارة الى أن هذا أمر موجه الى كل من تعرض لمثل هذا المقام ، وابتلى بمثل ما ابتلى به عليه السلام ، أو كأن كل واحد يعرض له مثل ذلك يخاطب نفسه بقوله : قل .

وقوله : « هو الله أحد » لفظ هو ضمير الشأن ، ويؤتى به عادة في موضع مزيد العناية

بالجملة التي تليه ، ويقرب منه في الاستعمال المتعارف بيننا ما يجري في كلام الناس إذ يكون أحد المتخاطبين قد أراد جمع ذهن السامع فيقول له : « الأمر وما فيه إنني قابلت فلانا وكلمته في كيت وكيت » فكلمة « الأمر وما فيه » وما يشبهها كقولك : « المسألة كلها » أو « الموضوع » ونحو ذلك ، هي بمثابة ضمير الشأن في اللغة الفصحى ، وهي مبنية على الاختصار والدقة في الإفادة ، ذلك أن المتكلم حين يأتي بالضمير ولم يكن قد سبق له مرجع يفسره ، تبحث النفس عن تفسيره ، فلما لم يجد بعد البحث ينتجه أكل اتجاه لما سيليقي بعده عساه يفهم منه معناه ، فيتمكن ما بعده في النفس أكل تمكن .

ولفظ الجلالة ( الله ) اسم للذات الأقدس ، الجامع لكل صفات الجلال والجمال ، فلا يخص صفة بعينها بالتمييز ، فليس كباقي الأسماء من الرحمن أو العالم أو القدير أو الغفار أو القهار مثلاً ، فلكل اسم من أسمائه تعالى معنى خاص يشير إليه من صفاته تعالى ، وأما لفظ الجلالة فهو يشير إلى الذات التي جمعت كل تلك الصفات .

ولفظ ( أحد ) بمعنى واحد ، والمراد بها وحدة الذات بمعنى عدم تركيبها أو تجزئها ، ووحدة الصفات أي عدم وجود مشارك له تعالى في صفة الإلهية ، ولفظ ( أحد ) تفيد المعنيين ، أي عدم التركيب وعدم التعدد ، بخلاف لفظ واحد فإنها ظاهرة في نفي التعدد ولا تنفي التركيب ، فيقال جيش واحد مثلاً ، ولا يقال جيش أحد .

ولا نرى بأسماء ذكر كلمة لغوية تختص بكلمة ( أحد ) : ذلك أنها تارة تكون ملازمة للنفي وشبهه ، فيراد بها نفي الجنس مطابقاً في انفراد أو اجتماع ، وهي في هذا تخالف لفظ واحد . فلك أن تقول : ليس في الدار واحد بل اثنان ، ولا تقول : لا أحد في الدار بل اثنان . ولذلك يصح وصفها حينئذ بصيغة الجمع ، كقوله تعالى : ( فَأَمِّنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ) ، وتارة تستعمل في الإثبات ، وهي على ثلاثة أوجه : إما بمعنى أول ، كقوله تعالى : ( أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَسْقِ رَبَّهُ خَيْرًا ) وكقولك في التعدد مثلاً : هم فريقان : أحدهما كذا ، والثاني كذا ، وإمام مضمومة إلى العشرات ، كقولهم : أحد عشر واحد وعشرون ؛

وإما وصفا فتختص بالله تعالى ، لأنها حينئذ بمعنى التنزيه عن النظير الموجب للتعدد ، وعن الجزئية الموجبة للتركيب . فكان في لفظ الأحد كمال الوحدة بحيث يكون منزلها عن التركيب والتعدد خارجا وذهنا ، وما يستلزمهما كالجسمية والمشاركة في حقيقة الألوهية أو خواصها ، كوجوب الوجود وكمال القدرة والعلم وشمولهما . فالتنزيه عن هذا كله مستفاد من لفظ « الله أحد » . ولعظم خطره أتى قبل الجملة بضمير الشأن على ما سبق ، لينبه الذهن الى تلقيه والاستشراف له ، فيتمكن في نفسه معناه أقوى تمكن . وناهيك بجملة هي تجمع التنزيه والتقديس ، تغرس في نفس المؤمن أن لا رب غيره ولا معبود سواه .

(الله الصمد) : الصمد هو الذي ينتهى اليه السؤدد وليس فوقه ولا يلامته أحد . وهو الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم وشئونهم أى يقصدونه . فصمد بمعنى مصمود اليه أى مقصود ومتوجه اليه . وقصد الخلاق اليه تعالى بحوائجهم إما بالاختيار المنبعث عن الايمان ، وإما بالالتجاء الاضطرارى الذى تدعو اليه الضرورة حتما ، وهو المشار اليه بقوله عز من قائل : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لَنَجْئَنَّهٗ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاصِمًا) وهو ما تراه يفزع اليه كل من يصاب بما لا قبل له به ، إذ يلجأ الى قوة يشعر بها بين جنبيه وإن انبهم عليه طريق فهمها على الوجه الأكمل . وإما بالاستعداد الأصلي الذى تشترك فيه جميع الماهيات ، وهو مقتضى إمكانها ، واستعداد الوجود والكمال المنشود لكل نوع منها منه تعالى ، فهو جل شأنه مفزع المؤمنين فى آمالهم ، وملجأ المضطرين فى كشف آلامهم ، وهو متجه الخلاق أجمعين فى نيل الحظ المقدر لكل منها ، من الوجود والكمال ، والتطور من حال الى حال . فهو وحده الصمد على الإطلاق ، فهو الفعل لكل شئ ، والمدير لكل أمر ، والمحيط علمه بكل سر وجهر ، والمتناولته حكمته لكل صغير وكبير ، ولكل جليل وحقير ، وهو على كل شئ قدير . فترى فى كلمة « الله الصمد » على جازتها الوصف بصفات الجمال والتأثير كلها ، كما كانت كلمة « الله أحد » وافية بصفات التنزيه عن الشريك والنظير ، وعن الجزئية والتركيب وما يستلزمهما .



قالوا : وإنما عرف لفظ الصمد دون لفظ أحد، لأن المخاطبين يعهدون في نفوسهم ويعرفون من فطرتهم أن هناك من يقصد في الملمات ، ويصمد اليه في إدراك الرغائب وإحراز الكمال ، ويتطلعون الى معرفته ، نجىء باللفظ معرفاً لهذا ، وليدل على الحصر وأنه ليس هناك من يصمد اليه غيرد. وليس معنى الوحدة ثابتاً في أذهانهم حتى يشار اليه هذه الإشارة ، بل كانت نفوسهم من جهة الوحدة ملوثة بالشرك ، متعلقة بالجسمية ، لا يفهمون الوجود إلا بمقارناتها ، بدليل سؤالهم : أمن ذهب ربك أم من فضة ، وقولهم في بعض الروايات : إن ثلثمائة وستين إلهاً لا يقومون بحاجتنا أفيقوم بها إله واحد ؟ .

هذا وفي تكرير لفظ الجلالة في الجملة الثانية دون الاكتفاء بالضمير أو باللفظ الأول مزيد العناية بإيقاع هذا الوصف الخطير العظيم على صريح اللفظ لا على ضميره ، ليغرس معناه في النفس غرساً مسكيناً . وترى في ترك العطف بين الجملتين الإشارة الى أن كلا منهما مستقلة بالقصد إليها ، والتوجه لتقريرها في ذاتها ، بقطع النظر عن تبعيتها لغيرها ، فهي كما تقول في امتنانك على شخص مثلاً : أنا أكرمه كل الأكرام ، أنا ساعده وقت الحاجة ، أنا نوهت بشأنه بعد الجول ، تعطى كل جملة على أنها قائمة بنفسها مستقلة بالقصد إليها .

( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ) : كانت الآية الأولى من السورة الكريمة للتنزيه عن الشريك والتركب ، وما بعدها للوصف بصفات الكمال الثبوتية . وهاتان الآيتان للتنزيه عما زعمه بعض جهلة المتدينين من أهل الكتاب من أنه جل شأنه قد اتخذ ولداً ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فقد نسبوا لله الولد ، وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . أخذوا يلفقون أقوالاً يتوصلون بها الى زعمهم ألوهية المسيح ، وحاولوا أن يجمعوا بينها وبين دعوائهم أنهم من أهل التوحيد ، فاما لم يفلحوا في الآيتان بما تقبله العقول قالوا : هذا مما يعلو على العقل تصوره ، وليس للعقل أن يبحث في قضايا الإيمان ، بل يجب عليه أن يسلم ما يلقى اليه بدون بحث .

وإن العجب ليحيط بالعقل من كل ناحية إذ يهمل العقل الذي ما ثبت الدين إلا به بحكم هذا الدين . فلو لا تمييز العقل القضايا الصحيحة المبرهنة من الدعاوى السكاذبة الباطلة ما استطاع أن يميز بين الرسول الهادى فيتبعه ، والدجال الضال المضل فيحاربه ويردعه ، فكيف يكون العقل هو أساس الدين ثم يكر عليه الدين فيعطله ويهمل أحكامه ؟ وأى شئ يكون الدين في نظر العقل حينئذ ، إذ يننيه ليهدمه ، ويوجده ليعدمه !

نعم قد يكون فى الدين ما يعاوى على تصور العقل ، لكن لا على معنى أن العقل يجزم ببطلانه ولا يستطيع أن يسلم به ، بل على معنى أن العقل لو خلى ونفسه لا يستطيع الوصول إليه وإدراكه بنفسه ، بل يحتاج الى مرشده يهديه اليه ، ومتى فهمه سلمه ولم يجد محالاً يتجرعه ولا يكاد يسيغه كما هو فى زعمهم ، فقد زعموا أن الأب هو الأبنوم الأول ؛ والابن هو الأبنوم الثانى الصادر منه صدوراً أزلياً ، فهو مساو له فى الأزلية ؛ وروح القدس هو الأبنوم الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الإلهية واحدة ، وهى لكل واحد من الثلاثة ، وكل من الثلاثة متحد معها ، وكل من الثلاثة مستقل فى ذاته عن الآخرين ، فالأب ليس هو الابن ولا روح القدس ، والابن ليس هو روح القدس ، ومع هذا هم إله واحد ، وطبيعة واحدة ، وكل منهم يتحد مع اللاهوت ، وإن كان بينهم تمايز . فأنه عندهم ثلاثة أقانيم متمايزة بعضها عن بعض تمايزاً حقيقياً ، ومع ذلك هو جوهر واحد ، وطبيعة واحدة ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه عين ذاته . فالثلاثة متساوية فى أن كلا منهم ذات الإله ويستحق العبادة . ولما لم يكن هذا مما يستطيع أن يهضمه العقل ، تستروا بكلمة : إن ذلك مما يجب الإيمان به وإن كان فوق طور العقل البشرى !

ثم زعموا أن الأبنوم الثانى تجسد — وهو الكلمة — واتحد بأشرف أجزاء البتول بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام المركب من الناسوت ، والكلمة . فهو عندهم إنسان تام وإله تام ذو طبيعتين ، ولذلك تحمل عليه صفات الإلهية والبشرية .

فترى أنه يصح بمقتضى كلامهم أن يقولوا : المسيح ابن الله ، وأن يقولوا : إن الله هو المسيح ، وأن يقولوا : الله ثالث ثلاثة . وهى مزاعم أعجب ما فيها أن تجسد من عقول أناس يفهمون — عسّاً تأوى اليه ومرتعاً ترتع فيه . سبحانه الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

ولما كانت الأحدية على ما سبق متضمنة نفى النظير والشريك ، ونفى الجزئية والتركيب ، وكانت الصمدية مستلزمة الغنى المطابق عن كل شىء واحتياج كل شىء إليه ، كان نفى الولادة والمولودية عنه ونفى النظير المكافئ كالنتيجة لهما ، فإن من يلد يكون قد انفصل عنه جزء حقق الولد ، والولد بالضرورة من جنس والده ، فلو كان له ولد لكان له جزء وكان له نظير مكافئ . وكذلك لو ولد من غيره لكان محتاجاً الى ذلك الغير ، فلم يكن هو الصمد الذى يحتاج اليه وحده ، بل يكون الأحق منه بالصمدية من نشأ هو عنه واحتياج اليه فى صدوره وكيونته ، ثم يكون نظيراً لمن نشأ هو عنه ، فيكون له كفء . فتجد هذا الأحكام الثلاثة بالنسبة لما سبق كالنتيجة المقدمات .

وقد أتى بهذه الجمل الثلاث متعاطفة بالواو ، لأنها تشترك فى نفى النظير والمماثل والمناسب بأى وجه من الوجوه . وتجد الثلاثة المذكورة كالأقسام لهذه المماثلة ، فإن النظير إما والد أو مولود أو غيرهما ، فلما تغايرت الثلاثة فى أنفسها واشتركت فى مقسم واحد وهو المناظرة والمشاركة ، كانت الثلاثة بذلك متممة لمعنى واحد هو المقسم ، فلذلك جاءت متعاطفة ، بخلاف مجموع هذه الثلاثة مع الحكمين السابقين ، فقد عرفت أنه كالنتيجة لهما ، وبخلاف الحكمين الأولين أحدهما مع الآخر ، فإن الأول للتنزيه بنفى ما لا ينبغى ، والثانى للتمجيد بإفادة ثبوت الصفات الكمالية له تعالى .

وقد أتى فى التعبير بلفظ لم التى هى للنفى فى الماضى ، أما فى ( لم يولد ) فظاهر ، لأنه لو كان جل شأنه بصدد أن يولد لكان ذلك قد حصل فيما مضى ، وأما فى ( لم يلد ) فلا أن

الذين برؤ عليهم يزعمون أن ذلك قد حصل وانتهى لا أنه أمر يتجدد كل حين ، وأما في (لم يكن له كفوا أحد) فلأن الذي يتوهم أن يكون مكافئاً له هو من يكون قد وجد من الأزل ، فاذ لم يكن له كفء في الماضي فلا يتصور أن يكون له كفء بعد ذلك . ثم تقديم لم يلد على لم يولد ، لأنه الأهم ، إذ هو الذي كثر مدعوه ، وإن كان يلزمهم أنه ولد أيضاً ، إذ يقولون إن المسيح إله على ما سبق . وتأخير لم يكن له كفوا أحد عنهما ، لأنه استغراق لنفي كل ما يتصور من وجود المماثلة ، فهو كالعام بعد الخاص . هذا ، وأنت ترى هذه السورة الكريمة قد اشتملت على معظم العقائد الإلهية مع كمال الإيجاز في اللفظ ، ومنتهى الوضوح في المعنى ، فالأحذية أتت على معظم صفات التنزيه ، والصمدية أفادت كل صفات التأثير : من القدرة ، والإرادة ، والعلم ، ويلزمها الحياة ، بل مما يصمد اليه فيه الهداية التي تجيء على السنة الرسل يوحى إليهم بكلامه القديم . ثم نفي الولدية والوالدية والمسكافي فيه نفي النظير بأي وجه من وجود المناظرة ، سواء أكان من جنسه أم نوعه أم غير ذلك . والمعارف الإلهية هي أشرف ما يقصد اليه من الأحكام الدينية ، وهي الأساس لكل أنواع الهداية الربانية والسعادة الأبدية ، فلا عجب أن ورد في فضلها ماورد ، وأن يقول صلى الله عليه وسلم لمن أبلغه أن فلانا كان يكرر قل هو الله أحد في الصلاة : « أخبروه أن الله يحبه » .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبته ، وأن يوفقنا للاهتداء بهدائمه ، وأن يشرب قلوبنا معناها حتى تمتزج بنفوسنا وأنفاسنا ، وأن يسكننا مع المقربين من عباده ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أبراهيم الجبالى

## عمر الفاروق رضى الله عنه

- ٢ -

ألمنا في العدد السابق بحصة من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونأتى اليوم على حصة أخرى ، متابعين تاريخه الحافل بعظائم الأمور وجلائل الأعمال ، فنقول :

### كرة أمبراطور الرومان على سوريا :

لما أتم المسلمون فتح سورية وانتزعوها من أيدي الرومان في ثلاث سنين أمضوها في حروب طاحنة ، لم يلبث الأمبراطور هرقل أن كر عليهم بجند كثيف من ناحية حمص عن طريق البحر ، وكان أبو عبيدة بها .

فجمع أبو عبيدة قواده ليستشيرهم ، فأشار عليه خالد بن الوليد بأن يبادر الى مناجزة عدوه دون تربث ، وأشار عليه غيره بأن يكتب لأمر المؤمنين بالمدينة ، فعمل بهذا الرأي الأخير . وكانت جيوش هرقل قد وصلت ، وتواردت عليه الأمداد من كل وجه .

فكتب أمير المؤمنين عمر الى سعد بن أبي وقاص في العراق أن أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه ، فبث المسلمين بالجزيرة وأشغل الرومان بهم عن حمص . فأرسل سعد جيوشا الى سورية تحت قيادة القعقاع بن عمرو وغيره ، وأمر أن يسلك كل قائد طريقا الى الجزيرة ، فيقصد جيش قرقيسيا ، وآخر الرقة ، وثالث نصيبين ، ورابع حران والرها ، وخرج عمر نفسه ممدا لأبي عبيدة . فلما بلغ الرومان كل هذا التأهب للملاقاتهم ، انفضوا الى مدائنهم وتحصنوا بها ، فحاصرهم المسلمون فيها لينعوم من إمداد هرقل ، فدبّ الفشل الى جنوده .

فاستشار أبو عبيدة قواده ومنهم خالد بن الوليد، فأشاروا عليه بالخروج لمقاتلة هرقل. فخرج في قلب جيشه وعلى ميمنته خالد وعلى ميسرته عباس، فحدث قتال انهزم فيه الرومان شر انهزام، وتركوا الشام يائسين منها، حتى روى عن أمبراطورهم نفسه أنه قال وهو خارج منها: أودعك يا سوريّة الى الأبد !

### فتح العراق وفارس :

لما ولي عمر رضى الله عنه الخلافة ندب الناس لفتح بلاد الفرس، فلم ينتدب له أحد، لتوهم الناس أن أمر فارس يلتوى عليهم، لماعرفت به من شدة البأس وقوة الصولة. فأعاد عمر ندب الناس الى فتح بلاد الفرس قائلاً :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين القراء المهاجرون عن موعود الله. سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال : ( ليظهره على الدين كله ) ، والله مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومولى أهله موارث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟ »

فكان أول من لباه أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، وتلاه سعد بن عبيد، وسليط بن قيس . فاختار عمر منهم أبا عبيد فولاه قيادة الجيش، وقال له :

« اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشركم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف ، ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا سرعتته الى الحرب ، وفي التسرع الى الحرب ضياع إلا عن بيان الله »

فخرج أبو عبيد على رأس جيش في آخر جمادى الأولى من سنة (١٣) الى الحيرة من بلاد العرب ، وكانت تحت حماية الفرس ، وكان عليها امرأة يقال لها بوران ، فاستدعت القائد رستم الفارسي وسأته القيادة العامة ، فالتقى أحد قواده واسمه جابان بجيش أبي عبيد فانهزم أهل الحيرة وأسر قائدهم .

وتقدم أبو عبيد الى كسكر ، فالتقى هناك بقائد فارس اسمه نرسى ، فهزمه .  
ثم تقدم أبو عبيد فى زحفه ، فلقى قائد فارسى اسمه بهمن جاذويه ، وكان جيشه مؤلفا  
من جنود مدرين ، فأسرع أبو عبيد بعبور نهر المروحة مطّرحا نصيحة سليط بن  
قيس فى عدم عبوره ، فقباهم الفرس بشدة ، فقتل أبو عبيد فى المعركة ، واشتد كلب  
الفرس عليهم ، فانهزم المسلمون وهما باجتياز النهر الذى عبّروا ، فمكبر ذلك على رجل من  
المتحمسين ، فهدم الجسر ليجبر المنهزمين على الثبات ، فكان فى ذلك شر كبير على إخوانه  
المسلمين ، إذ أعمل الفرس فيهم السيوف ، فبادر المثنى بن حارثة على رأس جماعة من الجنود  
فشاغلوا الفرس حتى أصلح الجسر وأمكن المرور عليه .

لما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة أرسل إليهم مددا تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي ،  
فلما أدرك الفرس أن المسلمين جادون فى حربهم ، أرسلوا إليهم قائدا مدربا اسمه مهران  
فعبّر لهم النهر ، فعبا المثنى بن حارثة جنوده ولقى الفرس فهزمهم شر هزيمة .

كان الفرس الى هذا العهد فى دور من تفرق السكامة خطير ، فقد كان كل حاكم  
على إقليم متغلبا عليه ومستقلا به ، ليس لهم ملك يجمع كلهم ، فلما رأوا أن العرب قد  
قصّدا ففتح بلادهم ، اتخذوا لهم ملكا يوحد صفوفهم ، ويقودهم للدفاع عن وطنهم ،  
فأقاموا يزدجرد بن شهریان من آل كسرى ملكا عليهم .

فلما بلغ عمر ذلك ضاعف من نشاطه ، واستنفر الناس لقتال الفرس ، وخرج بنفسه  
فعاسكر على ماء بقرب المدينة ، وجنوده لا يعمون مقصده من ذلك ، ثم فاتحهم بعزمه  
على الخروج بنفسه لقتال الفرس ، وطلب إليهم رأيهم فى ذلك ، فأجمعوا على أن يقيم هو  
بعاصمة الخلافة ، وأن يعين قائدا يتحمل أعباء القيادة .

فقبل منهم هذا الرأى ، ولكنه حار فى انتخاب ذلك القائد الذى يلقى عليه تبعه  
هذه المهمة الخطيرة ، وفيما هو كذلك ورد عليه كتاب من عامله على صدقات هوازن  
سعد بن أبي وقاص ، فقال بعض رجاله : يا أمير المؤمنين قد وجدته . قال عمر : فمن ؟ قال

ذلك البعض : الأسد عاديا . قال عمر : من هو ؟ قالوا سعد بن أبي وقاص . فلم يتردد في تقليده القيادة . وكان مما أوصاه به قوله :

« ياسعد : سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السىء بالسىء ، ولكن يمحو السىء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفيهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى أن فارقنا فآثره ، فإنه الأمر . هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . »

ثم لما أراد أن يسرحه قال له :

« إني قد وليتكم حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه ، لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فتتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه يبغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه يحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء . وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قابله على إسنانه ، وبهجة الناس . فلا ترهد في التجب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبدا حبيه ، وإذا أبغض عبدا بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك . »

سار سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف مقاتل ، ولحق به من لحق من الأمداد ، فواصل القادسية إلا ومعه ثلاثون ألفا ، فلم يجد بها جندا من الفرس ، فأخذ يبت



السرايا هنا وهناك ، ثم تقدم اليه القائد المشهور رستم حتى عسكر بساباط في مائة ألف مقاتل .

فبادر سعد بن أبى وقاص بإرسال وفد الى يزد جرد ليعرض عليه الدخول فى الاسلام أو الجزية ، منهم الأشعث بن قيس ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، والمغيرة بن شعبه . فجمع يزد جرد وجووه دولته وقابلهم . فلما مثلوا لديه قال يزد جرد للترجمان : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى حربنا ؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : إن شئتم تكلمت عنكم ، ومن شاء الكلام آثرته . فقالوا له : بل تكلم أنت . فقال :

« إن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم أمر أن نبتدى بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجبين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد . فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدى بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الإنصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله . فإن أبيت ، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية . فإن أبيت فللما جزة . فإن أجبتهم الى ديننا ، خلفنا فيكم كتاب الله وأقنائه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم . وإن بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم ( أى وحميناكم ) ، وإلا قاتلناكم .

لما سمع يزد جرد هذا الكلام استشاط غضبا ، ورد ردا غليظا ، فأظهر احتقاره للعرب ، وتعجبه من تظاهرهم بهذا المظهر العظيم وهم من أفقر الشعوب وأبعدهم عن النظام .

فأجابه المغيرة بأن ما وصف به العرب من الخلل وسوء الحال هو حق إلا أنه قد

كان قبل الاسلام ، وأما بعده فالحال صار غير الحلال ، ثم دعاه الى مادعاه اليه الخطيب السابق .

فغضب يزدجرد أشد الغضب ، واستدعى بوقر من تراب فقال احموه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

ثم قال ارجعوا الى صاحبكم وأعلموه أنى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى خندق القادسية ، ثم أوردته بلادكم حتى أشغالكم بأنفسكم بأشد مما نالكم . فتقدم أحد رجال هذا الوفد وهو عاصم بن عمرو وقال : أنا سيد هؤلاء ، وحمل التراب على عاتقه ، وخرج الى سعد فقال : أبشر والله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم . فأخذ سعد فى بث السرايا للإغارة على الأطراف . وسار رستم من ساباط لمقاتلته وقدم أمامه قلدا اسمه الجالينوس فى أربعين ألفا ، وخرج هو فى ستين ألفا ، وجعل على ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران ، وجعل يطاول سعدا أربعة أشهر ليضجره ويحملة على الإقلاع . وكان سعد قد أعد للطاردة عدتها ، ثم بدأ رستم فى الهجوم بأمر من يزدجرد نفسه ، فتقابل الجيشان ، فلقى خيالة المسلمين من فيلة الفرس أمرا عصبيا ، لأنها كانت تنفر أمام تلك الفيلة ، فبادرها مشاة المسلمين بالسيوف على خراطيمها وبحل أحزمتها لتند عن أصحابها ، واشتد القتال طول النهار الى الليل دون أن يبدو على أحد الجيشين تضعع ، ثم عاد القتال من الغد وانتهى فى المساء على ما انتهى عليه بالأمس ، ثم عاد فى اليوم الثالث وانتهى على ما كان عليه فى اليومين السابقين .

فلما كان اليوم الرابع ، وكان المسلمون ليلتهم يشاغلون الفرس ، فلم تذق أجفاتهم النوم . قال القعقاع بن عمرو للناس ، (وهو الذى قال فيه أبو بكر لا يهزم الناس وفيهم هذا) قال للناس : إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة فإن النصر مع الصبر . فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه ، فحمل الجيشان أحدهما على الآخر الى أن زالت الشمس ( أى كان وقت الزوال ) ، فتأخر الفيرزان

والهرمزان ثم ثبتا ، وانفرج القلب ، وانتهى القعقاع ومن معه الى سرير رستم ، وجاء هلال بن عقبة فضرب رستم فقتله . فانهزم الفرس شر هزيمة ، ومات منهم عدد كبير بالغ في تقديره المؤرخون . أما المسلمون فقتل منهم سبعة آلاف وخمسمائة ، وهى من أكبر الوقائع التاريخية ، وكان هذا الفتح من أكبر فتوح المسلمين الأولين .

فأقام سعد بعد انتصاره هذا شهرين وكان عمر فيما يفعله ، فكتب اليه يأمره بالمسير الى المدائن وهى عاصمة الفرس ، فعصدع بالأمر ، وكان ذلك فى شوال سنة (١٩) ، وقدم طليعته ، فالتقت بطليعة الفرس فهزمتها ، ثم نزلوا ببابل ، وكان قد اجتمع بها بعض فلول الفرس فهزموهم ، ثم سار سعد فالتقى بجيش فارسى فى كوفى فهزمه ، ثم سار الى يهرشير وهى بالناحية الغربية من المدائن ، فلاح لهم إيوان كسرى ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله ، وكبر كبر الناس معه . فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ، ثم نزلوا على المدينة .

فأقام سعد أياما من صفر وهو يفكر فى كيفية العبور الى المدينة الثانية التى فيها إيوان كسرى ، فرأى أن يعبر إليهم نهر دجلة سباحة ، فاقتحموا النهر ، فقابل الفرس خيلهم بخيل مثلها فى النهر ، فالتقوا وتطاعنوا فولى الفرس الأدبار ، وتلاحق المسلمون فى النهر سباحة حتى بلغوا الضفة الثانية ، وكان كسرى يزجر دقدهم عياله الى حلوان قبل ذلك ، فخلا عن المدينة بما قدر عليه من الأموال ، وتركوا من المتاع والآنية والذخائر ما لا يحصى . ولم يجد المسلمون بالمدينة إلا حرس القصر الأبيض ، فساموا بلا قتال ، ودخل سعد إيوان كسرى ، وصلى فيه والجيش خلفه ، ولم يفسروا ما به من التماثيل ، فصلى والتماثيل تحيط به . ولما دخل القصر كان يتلو قوله تعالى : ( كَمْ تَرَ كُوفًا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ) .

ثم شرع سعد بن أبى وقاص فى تقسيم الغنائم التى غنمها ، فأصاب الفارس اثنى عشر

ألف درهم، وكانوا كلهم فرسانا، وأرسلوا الخيول لبيت المال، وفيها سيف كسرى ومنطقته وزبرجدة، فلما رآها عمر قال: إن قوما أدوا هذا لذو أمانة.

لما أتم سعد فتح المدائن أرسل قواده لتتبع المنهزمين، فأرسل زهرة بن الحوية إلى النهروان، فسلم له أهل النواحي وعاهدوه على دفع الجزية، وأرسل سعد بن عبد الله ابن التميمي إلى الجزيرة ففتح تكريت والموصل، وأرسل هاشم بن عتبة إلى حلاوان حيث يقيم كسرى، وكان قد فر منها فاحتلها، ثم هاجم الحمراء فافتتحها. وفر يزدجرد إلى البلاد الصينية. وبذلك تم فتح الفرس كلها.

حقا إن هذا أكبر الفتوح الإسلامية، بل أكبر الفتوح على الإطلاق، فإن حربا تنتهى بنهايتها دولة عظيمة كدولة الفرس كان لها نصف السلطان في الأرض لا يوجد لها مثال في تاريخ البشر، إذ أن الأباطورية الرومانية كانت في نزاع مستمر مع دولة الفرس، وناهيك بالرومانين وعلمهم بالحرب، فلم يحموا في أكبر انتصاراتهم عليهم أن يحتلوا عاصمتهم، وأن يزيلوا دولتهم. أفيشك شك بعد هذا في أن ذلك مصداق لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ؟

### فتح مصر:

كان عمرو بن العاص قد وفد على مصر في الجاهلية وعرف سهولة قيادها، فكان يتطلع أن يعطيه أمير المؤمنين أمرا بفتحها. ففي سنة (١٩) اختلى عمرو بعمر، وكله في شأن مصر، وهون عليه أمرها، فتردد عمر أولا، لأن جيوشه كانت متفرقة في الشام والجزيرة وبلاد العجم تحارب الرومان والفرس، وهما دولتا العالم كله إذ ذاك، ثم قبل أن يذهب لفتحها، فجهز معه أربعة آلاف رجل ودعاه بالتوفيق.

فسار عمرو حتى بلغ الفرما، فقاتله بها الرومان نحو من شهر ثم انهزموا، فتقدم إلى القواصر فافتتحها، ثم إلى بليس فأمن دين فصر فافتتحها جميعا، وكتب إلى عمر يستمده

فأمدده بأربعة آلاف ، وكتب اليه أنى أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم أربعة كل رجل منهم يعد بألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد .

وحدث أن المقوقس كبير القبط بمصر اتفق مع عمرو على أن يعينه على فتح مصر تخلصاً من عسف الرومانيين بالمصريين ، فقصده عمرو الإسكندرية حيث تقيم الجيوش الرومانية ومهرة قوادهم ، فحاصرها مدة ، ثم هاجمها هجومًا عامًا وأخذها عنوة ، وبذلك تم له فتح مصر . ثم سار إلى برقة وهي واقعة بين مصر وطرابلس الغرب ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم سار إلى طرابلس ففتحها عنوة ، وكتب إلى أمير المؤمنين : « أما بعد فقد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية ( أى تونس ) تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل » .

فأجابهم عمر بأن يكتب في بما وفق اليه . فولى عمرو على برقة عقبة بن نافع ، وعاد هو إلى مصر .

إلى هنا انتهى تاريخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبقي أن ننظر في مقالة ثالثة في آثاره العمرانية ، وأعماله المدنية .

محمد فريد وهدى

## النهى عن اتباع الشهوات

قال الله تعالى عن الهالكين : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء » . وقال عمر رضى الله عنه : أقدموا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلالة تنزع إلى شر غاية . إن هذا الحق ثقیل مرى ( بفتح فكسر أى حميد العاقبة ) ، وإن الباطل خفيف وبى ( بفتح فكسر أى مهلك ) ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

# بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْاوَى

## سنة الجمعة القبلية

ورد إدارة المجلة السؤال الاتي :

اطلعنا على مقال مسهب في بعض المجالات تحت عنوان ( الصلاة قبل الجمعة وبعدها ) تعرض فيه كاتبه للركعتين اللتين قبل الجمعة ، وقال : إنهما بدعة لا ينبغي فعلهما ، وأطال في ذلك .

وقد تعرض للحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع قبل الجمعة ، وطعن فيه ، مع أن مذهب الشافعي رضى الله عنه يرى طلبهما وسننهما .

والآن وقد وقفنا بين بين ، نرجو من قادة الدين أن يقولوا القول الفصل في ذلك لنعرف ما هو الحق ، ونقف على دليل الشافعي إن كان له دليل . نرجو الإفادة قطعاً للشك ، وتحقيقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

ولفضيلتكم جزيل الشكر ، ودمتم للدين  
عبد الله العرابي  
أحد قراء المجلة

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

قبل أن نخوض بك في غمرات البحث والاستدلال ، يجب أن نعرف أن هنا شيئاً ينبغي التنبيه له ، وهو أن المسائل الاجتهادية الفرعية يسكن في الظن ولا ينبغي فيها التنازع ، وكل من طلب فيها الدليل القطعي فهو إما جاهل لا ينبغي أن يكون في عداد العلماء ، وإما سيء القصد لا يريد إلا الظهور بأية وسيلة ، وإن لبس على المسامحين ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وهذا هو الغالب على تلك الطائفة . ولذلك تراهم متناقضين ،

فترى الواحد منهم تارة من الظاهرية، وطورا من الباطنية؛ وحينئذ يدعى الاجتهاد المطلق فيخرج على الأئمة الأربعة، زاعما لنفسه درجة هو أبعد الناس منها؛ وتارة تراه غريقا في تقليد ابن تيمية من فرقه الى قدمه، والمبطل لا بد أن يتناقض شاء أم أبى، ولسان حاله يقول :

طورا يمان إذا لقيت ذا يمن وإن لقيت معديا فعدنا  
ولو عقلوا لعرفوا أن الناس لا يتركون أئمتهم المشهود لهم بالخير والدين والعلم  
والتبريز في كل فضيلة، ويتبعوا هؤلاء المشهود لهم بما لا تطيل القول فيه، وهو غنى  
عن البيان .

هؤلاء يجازفون في كل ما يعن لهم، ولا يبالون بخرق الإجماع، ولهذا أنكروا  
شد الرحال لزيارته صلى الله عليه وسلم وهو مجمع عليه، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم سافريون  
أهل كتاب وسنة .

وأى شيء يريدون بعد أن عرفنا صلى الله عليه وسلم أن الخطيئة له أجر والمصيب له  
أجران، فلم يكتف برفع الوزر عن الخطيئة بل جعل له أجرا . وقد عرف ذلك العلماء  
من أئمة الهدى، حتى ذهب كثير منهم الى أن الحق يتعدد تبعا لظن المجتهد، فإن الله  
لم يكلفه إلا بما أداه اليه اجتهاده، فكان الحق بالنسبة اليه هو ما اعتقده، وليس  
المقصود من التكليف إلا تحقيق العبودية، وعدم الخروج على الله ورسوله، ولا يكف  
الله نفسا إلا وسعها . وقد قالوا : إن المجتهد يجب عليه اتباع ظنه، ويحرم عليه التقليد .  
فأى شيء يبقى بعد ذلك ؟ ولكنهم ملبسون يريدون التهويل حبا في الظهور، أو جاهلون  
لا يمكنهم التعمق في البحث، ولا الوقوف على منازع الأئمة، ولا ما أصله العلماء في ذلك .  
وإن من أكبر بلايانا التي نئن منها ولا ندري منهاها وجود طائفة بيننا لا تفهم  
ولا تقلد من يفهم « إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع  
البصير » . ولو كان عندهم أدنى شفقة على المسلمين أو إخلاص لهم لعرفوا أن الدين

النصيحة ، وأنه ليس من الدين ولا من العقل أن نعرض العامة للخوض في الأدلة والموازنة بين المجتهدين ، فذلك ليس من شأنهم ولا هو في متناول قدرتهم ، ولا نتيجة له إلا ضعف الثقة بأئمتهم ، وتشكيكهم في دينهم وعقيدتهم . على أن أولئك المهوشين ليسوا في العير ولا في النفير ، ولا من العلماء في قليل ولا كثير . فليس من المعقول كما قلنا أن يترك الناس ما عرفوه من مذاهب الأئمة المشهود لهم بالخير والصلاح والدين والورع والبحث والتحري ، إلى هؤلاء الذين يسرون وراء الخيال وليس يعينهم إلا أن يقال .

والآن نذكر لك مما استدل به الشافعي رضي الله عنه على سنة الجمعة ما يكفي بعضه للاجتهاد المعقول المقبول .

ولا نزال نكرر أن الظن كاف في هذا الباب ، ولا يطلب غيره ، وأنه متى وصل إليه المجتهد وجب عليه اتباعه والقول به . وهاك قايلا من كثير :

فمن ذلك ما رواه عبد الله بن الزبير عند ابن حبان في صحيحه والدارقطني والطبراني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان » ومن ذلك ما رواه الطبراني في الأوسط « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً » ذكره العيني في عمدة القاري ولم يعلق عليه ، وقد ساقه للاستدلال . وقال في الفتح : روى الطبراني في الأوسط عن عليّ « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً » وعلق عليه بقوله : وفيه محمد بن عبد الرحمن السهمي وهو ضعيف عند البخاري وغيره . ولكن هذا الطعن الذي ذكره الفتح لا يمنع الاستدلال به ، لا لأن الجرح غير مفسر كما قال بعضهم ، بل لأن الطعن غير متفق عليه ، فإن البخاري ضعفه ، ولكن إماما آخر من أئمة الحديث وثقه وهو ابن عدي ، فيصح أن نقول : إن هذا مثل عكرمة الذي وثقه البخاري واحتج به وضعفه غيره ، ومثل سويد بن سعيد الذي احتج به مسلم وقد اشتهر الطعن فيه . وبالجملة فحديثنا هذا غير



متفق على تجريخ رواته ، فيصح الاحتجاج به عند من لا يرى تجريخ محمد بن عبد الرحمن السهمي المذكور .

وعن ابن عمر أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين ، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . رواه أبو داود . وقال العراقي : إسناده صحيح .

وقال المنذرى : أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من وجه آخر بمعناه . وروى الترمذى : « من صلى في يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة : أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر » ونحوه في مسلم من حديث أم حبيبة ، غير أنه لم يذكر هذا التفصيل . وفي رواية عن أم حبيبة بنت أبي سفيان : « ما من عبد مسلم توفياً فأصبح الوضوء ثم صلى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى له بيت في الجنة » .

أفتري أن ذلك مطلوب كل يوم إلا يوم الجمعة الذى تتأكد فيه الطاعة ، ويزداد فيه الحرص على العبادة وعمل الخير ؟ !

وقد صرح الحديث بالتعميم فقال : كل يوم ، كما سمعت . وفصل الترمذى في روايته المتقدمة هذه الركعات غاية التفصيل . ورواية الترمذى وإن لم يذكر فيها لفظ كل يوم ففيها ذكر النكرة في سياق الشرط وهو يفيد العموم ، ولا معنى لإخراج يوم الجمعة الذى هو أفضل الأيام وأولها بالصلاة والعبادة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلى معه ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » الحديث . رواه مسلم . وجاء في بعض الروايات عند الإمام أحمد بلفظ : « فإن لم يجد الإمام خرج ، صلى ما بدا له ؛ وإن وجد الإمام قد خرج ، جلس فاستمع وأنصت حتى يقضى الإمام جمعة » الحديث .

فجعل الغاية خروج الإمام وهو لا يخرج إلا بعد الزوال . وقال أبو عيسى الترمذى :  
 إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان يصلى قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً . وإليه  
 ذهب سفيان الثوري وابن المبارك . وروى الشافعى عن ثعلبة بن أبي مالك عن عامة  
 الصحابة أنهم كانوا يصلون نصف النهار يوم الجمعة . الى غير ذلك وهو كثير . وبعض  
 هذا كاف للاستدلال على ما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه .

وهنا روايات ضعيفة لا بأس أن نسمعك شيئاً منها وليس التعويل عليها ، فإن  
 عندنا غيرها على ما سمعت . ولا شك أن كثرة الروايات تفيد قوة الظن ، ويؤكد بعضها  
 بعضها . ولا داعى لأن نقول إن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال ،  
 فالأمر هنا أعظم من ذلك . ولو لم يكن للشافعى إلا قياس الجمعة على الظهر ، وقوله  
 صلى الله عليه وسلم : « بين يدي كل فريضة صلاة » وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه  
 وغيره لكفى وشفى ، وقضى على تلك الجمعية الخفاء . وهاك بعض الروايات الضعيفة  
 التى وردت فى الموضوع :

روى الشافعى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى  
 عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة . ولكن فى إسناد إبراهيم  
 ابن أبي يحيى وإسحاق بن عبيد الله بن أبي فروة ، وهما ضعيفان . ورواه البيهقى من  
 طريق أبي خالد الأحمر عن عبد الله شيخ من أهل المدينة عن سعيد عن أبي هريرة  
 رضى الله عنه . ورواه الأثرم بسند فيه الواقدى وهو متروك . ورواه البيهقى أيضاً  
 بسند فيه عطاء بن عجلان وهو متروك أيضاً . وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه  
 وسلم كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال : إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة . وفيها  
 ليث بن أبي سليم وهو ضعيف . ومن ذلك حديث ابن ماجة الذى فيه بقية بن الوليد  
 وغيره من الضعاف . فهذه الروايات الكثيرة يقوى بعضها بعضها وإن كان فيها مقال .  
 وقد تقدم لك ما يصح الاعتماد عليه من غير هذه الروايات .

والخلاصة أن الصلاة قبل الجمعة مرغّب فيها عموماً وخصوصاً . وقد قال بعض العلماء : لم يتمسك المانع من الصلاة قبل الجمعة إلا بحديث النهى عن الصلاة وقت الزوال ، وهو مع كون عمومه مخصصاً بيوم الجمعة ليس فيه ما يدل على المنع من الصلاة قبل الجمعة على الإطلاق ، فإن غاية ما فيه المنع في وقت الزوال وهو غير محل النزاع . وعلى كل حال فما تقدم كاف للمنصف ، ولا حاجة للإطالة فيه .

وبعد : فهؤلاء الناس إنما يقصدون التلبيس على المسلمين ، وإيقاع الشقاق فيما بينهم ، بتفريق كلمتهم ، وفصم عرى وحدتهم ، حبا في الظهور . فعلى ولاية الأمر أن يردعوهم عن ذلك بالزجر البليغ ، والتأديب الشديد ، كما كان يفعله الحُكام في العصور الأولى ، وكما تفعله الحُفانية الآن مع من يحكم برأيه ، ويقضى بمذهبه الخاص . فعلى الوعاظ وأئمة المساجد ألا يتعرضوا لمن يقلد إماماً من الأئمة الأربعة ، ويدعوه وما اختار لنفسه من تلك المذاهب التي تلقاها المسلمون بالقبول ، وقامت البراهين على أنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله .

وإني مالكي والمالكية لا يرون سنة الجمعة . ولكني لأحب الخروج على أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسائل الاجتهادية يكفى فيها هذا وأقل من هذا على ما شرحت ذلك . وما من أمة لا تعظم أئمتها ولا تحترم علماءها وعظماؤها إلا ذهب ريجها وحق القول عليها . نسأل الله أن يقينا شر مضلات الفتن ، ومزالق الأهواء بمنه وكرمه .

يوسف الرموى

## ذم التنافس فيما يفنى

قال الفارابي : ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز  
محيط السموات أولى بنا فذا التراحم في المركز

# شهادة كبار الفلاسفة للإسلام

برنارد شو يعتقد بأن أوروبا ستدخل فيه

برنارد شو الكاتب الفيلسوف الانجليزي لا يحتاج لتعريف ، فهو ليس برجل عظيم خصب ، ولكنه في طبيعة الأفاض ، والعالم كله يرقب حركاته وسكناته ، ويهتم بقراءة أخباره . ومن أخص مميزاته آراء جريئة يبديها بصراحة لا يستطيعها غيره . وهو ممن يعتقد عقيدة راسخة بأن الأمة الانجليزية ستدخل في الديانة الإسلامية قبل أن ينتهي هذا القرن .

ولقد وقفنا على حديث له في رسالة انجليزية تحت عنوان « نداء للعمل » كشف فيها القناع عن عقيدته في صلاحية الإسلام لجميع الأمم ، وفي كل الأوطار التي تدخل فيها في أي مكان وزمان .

فقال في ذلك الحديث أثناء سياحته في بمباي :

« لقد وضعت دأئما دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس .

« لا مشاحة في أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال . ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . وقد صور أكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان ، إما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم .

« ولقد كانوا في الواقع يرون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيت به بعيدا عن شخصية المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية . وإني لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث

لننجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة الذين هو في أشد الحاجة إليهما . ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال كارلايل وجوت وجيبون القيمة الذاتية لدين محمد ، وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام . ولكن أوروبا في القرن الراهن تقدمت في هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفي القرن التالي ربما ذهبت الى أبعد من ذلك ، فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل مشاكلها . فهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي . وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي ومن أهل أوروبا قد دخلوا في دين محمد ، حتى ليكن أن يقال إن تحول أوروبا الى الإسلام قد بدأ « انتهى .

يرى القارئ مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برناردشو يعتقد عقيدة راسخة في أن أوروبا قد بدأت تتعشق الإسلام ، وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينها ، وعهدت اليه في حل مشاكلها .

وأحسن ما قاله في حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها .

فهذه الأقوال لا تصدر إلا من رجل يكون قد عرف حقيقة الإسلام ، وشعر كيف يؤثر بجماله على القلب ، ويتسلط بجلاله على النفس . وليس برناردشو أول من شعر بهذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم جوت الفيلسوف الألمانى المشهور المتوفى سنة ( ١٨٣٢ م ) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبُعد نظر . يؤثر عنه أنه نظر في الإسلام فأعجبه فقال : « إذا كان هذا هو الإسلام فنحن إذًا فيه » . وليس يخفى أن الألمانيين في ذلك العهد كانوا مظاهر الثقافة العالمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

مما يلفت نظر الباحث الاجتماعى في حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : إن أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الإسلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : إنه لو تولى

رجل على مثل صفات محمد صلى الله عليه وسلم دكتاتورية العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما ، فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها ، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير ، فإن القرآن الكريم أرصد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معقولا لا يدع للإفراط والتفريط سبيلا إلى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك النظام الإلهي على الآحاد الذين اتبعوه ، فألف منهم أمة ما فتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العلى في كل مجال من مجالات النشاط العقلي والمادى ، حتى انتهت إليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح في معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ، فيطبق عليها ما أرصده القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

هذا كلام لا غبار عليه ، وقد رددناه في افتتاحياتنا هنا وقرناه بالأدلة العامة المحسوسة . فإذا صح هذا على الأمة الإسلامية الأولى ، وصح على الأمم الأوروبية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الإسلامية الراهنة ، فتسترد به مجدها الضائع ، وتستعيد فتيانها الزائل ، وتصبح جديرة بالانتساب لأسلافها الأولين ؟ وهذا ما رددناه كثيرا ونردده في كل فرصة ، وبالله التوفيق .

إن أكبر المسائل الاجتماعية التي تهدد مدينة أوروبا في العصر الراهن المسألة الاقتصادية ، فإن النظام الرأسمالي المتطرف الذي يقوم عليه الغرب قد استدعى في الأزمنة الأخيرة أن يتولد في السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لا تقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التي تبني نظرياتها على الأصول الاقتصادية إلا لترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب في جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات ، مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات . ولما كان من شأن الأمراض

الاجتماعية أن تستشرى وتعضل إذا لم تستأصل جراثيمها، فإن هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت في مزاعمها، وتبسطت في مدعياتها، قد استعالت الى برامج انقلابات خطيرة تهدد وطائد المجتمعات، بالدك عند سnoch أقرب الفرص، وقد أفضى التناهي ببعضها الى الشيوعية البحتة .

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة، وتؤدي الى تداعى بناء المدينة الغربية وسقوطها عند أول صدمة، فإذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر . وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الإسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرناً قبل أن توجد المجتمعات الأوربية الحالية، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة ؟

نعم : لقد شرع الإسلام للعالم نظاماً تعاونياً حكيماً فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب، فجاء نظاماً حاصلاً على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشئ من مساوئهما .

فإذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الإنتاج، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام، وإذا كان المذهب الاشتراكى يتغلب عن مكان رءوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للأمم، ويرى أن من الواجب هدمه، وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام، مغضياً كلاهما عما يبتنى على تطرفهما من النتائج الخطيرة، فإن الإسلام لم يغفل ذلك أصلاً، فأتى بنظام حكيم يقر رءوس الأموال الفردية من ناحية، ولا يغضى عن المحرومين منها، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى . فكان هذا الحل كما ترى وسطاً جامعاً لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين، وخالصاً من عيوبهما، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة، ويبطل تناحرهما عليها، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة، ويسود بين فريقها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية، ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الإسلام ركناً من أركانها .

فإذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض في مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها؟ وماذا ينبغي صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله في مقابل حصة من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها، مما نص عليه الكتاب في آية الزكاة المعروفة « إنما الصدقات (أى الزكاة المفروضة) للفقراء والمساكين والعاملين عليها » الخ الآية الكريمة؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنازعين سلاحا يشهره في وجه مناضره، ولا يترك له طريقا الى ملاحاته.

فهذه علة من العلل التي يعينها الفيلسوف (برنارد شو) ويقول إنها تشفيها متى أخذت أوروبا بالإسلام وعملت به. وفيها علل أخرى لكل منها دواء خاص في الإسلام لا يتسع المقام للكلام عنها في عمالة واحدة، فندخرها لفرص أخرى إن شاء الله.

وبعد: أفلا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى: (سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)؟

محمد فريبر ومجربى

## النهى عن اتباع الهوى

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى، وطول الأمل.

فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسى الآخرة.

وقال الشعبي: إنما سعى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه.

وقال بعض الحكماء: من أطاع هواه، أعطى عدوه مناه.

وقال غيره: العقل صديق مقطوع (أى مهجور)، والهوى عدو متبوع.

وقال هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى ولم يقل غيره من الشعر:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى الى كل ما فيه عليك مقال



# مذهب النشوء والارتقاء فى الميزان

اتضح وهن أصوله وضعف أسانيدہ

نتابع اليوم الكلام فى دحض مذهب دارون معتمدين على ما كتبه عنه الأستاذ الدكتور (جوستاف جوليہ) فى كتابه (من لا شاعر الى شاعر) .

ألم الدكتور المذكور فى فصله الثالث باكتشاف جديد للأستاذ (دوفريس) الألمانى فى الاستحالات الفجائية لأنواع نباتية وحيوانية، وهو اكتشاف يهدم مذهب دارون ولا مارك من أساسيهما، فإنهما يفترضان أن هذه الاستحالات لا تكون إلا يسيرا يسيرا وفى آماذ طويلة . حتى اضطر الأستاذ لودانتك مدرس البيولوجيا فى جامعة السوربون أن يقول فى كتابه (أزمة مذهب التحول): إن هذه الاكتشافات لا تدحض مذهب دارون ولا مارك فحسب، بل ومذهب التحول الطبيعى نفسه .

والعجيب أن مسألة الاستحالات الفجائية لأنواع الحية قد رآها وأعلنها رجال من كبار الطبيعيين مثل (جوفروا سانتيلير)، ولكنها لم تتغلب على الجمود العلمى، فبقيت نظرية الاستحالات التدريجية البطيئة سائدة على العقول .

ولكن بفضل هذا الاكتشاف الأخير قد تنبه الناس الى هذا الأمر وراجعوا مادون من المعارف الخفية، وفيها أن جميع الأنواع النباتية والحيوانية قد وجدت من طريق الفجاءة لا التطورات التدريجية البطيئة . وقد شوهد أن الحيوانات من أول ظهورها تكون حاصلة على الإلهامات الضرورية لحياتها كاملة غير منقوصة، وأنها تحفظها بعيدة عن التغيرات ما دامت أنواعها موجودة .

وقد ثبت أن الصفات الطبيعية والإلهامات تثبت فى الأنواع الحية ولا تتغير . وهذه من أكبر الدلائل على دحض مذهب النشوء والارتقاء، لأنه يقتضى استمرار تحولها تحت تأثير الفواعل المحيطة بها، فإذا قد ثبت أن الأنواع نشأت فجأة ولم تدخل

في أدوار تدريجية طويلة . وعليه فقد أصبحت نظرية دارون في الانتخاب الطبيعي ونظرية لامارك في تأثير البيئة لا أساس لهما على الإطلاق .

ولقد يسر الله هذه المشاهدات العلمية ، فجعل في مقدور كل إنسان أن يراها ، فلا يبقى لديه ذرة من شك في أن كل ما قيل قديما وحديثا في تفسير حدوث الأنواع وتولد بعضها من بعض خيال في خيال . فإن الحشرة بظهورها في أول أدوار الخليقة ، وثبات أنواعها على ما هي عليه طوال تلك الآماد الى اليوم ، تشهد بأن كل ما يقال عن التحولات الدائمة ، والتغيرات البطيئة المستمرة ، في أدوار حياة الأحياء ، ليس من الحق في شيء . وهذه الحشرة ذاتها بمخالفتها هي نفسها في حالتها النهائية للدودة التي كانت أصلها تشهد بأن العوامل التطورية التي استند عليها لامارك ودارون كلها أباطيل ليس لها نصيب من الواقع .

ولأجل فهم قيمة هذه الشهادة من العلم ، ومكانها من دحض جميع مذاهب النشوء التدريجي البطيء ، نلفت نظر القارئ الى حياة أبة حشرة ، ولتكن دودة القطن التي قد لا يوجد في مصر من لم يرها ولو مصورة ، فإن هذه الحشرة تبتدى وجودها بحالة جنينية مشمولة في بيضة صغيرة جدا ، فلما تخرج منها بعد استيفاء أيامها تكون على صورة دودة ، فتحْتَاج وهي في تلك الحالة للتغذى من الأوراق الخضراء التي تولد على سطحها فتسبب للقطن خسارة تقدر في بلادنا بملايين الجنيهات . فلما تم هذا الدور من حياتها تنسج على نفسها تابوتا حريرا يسمى شرقة ، مستمدة خيوطه من سائل أوجده الخالق فيها يتجمد بمجرد ملامسته للهواء . هذا السائل مشمول فيها في كيس يقبل التقبض بالإرادة ، ومتصل بالخارج بثقب صغير جدا . فإذا أرادت الحشرة أن تنسج تلك الشرقة على نفسها ضغطت ذلك الكيس فيخرج منه ذلك السائل على صورة خيوط دقيقة جدا تجف وقت خروجها ، فتنسج منه على نفسها تابوتا حريرا وتسده من جميع جهاته ، ثم تقيم فيه مدة ، وفي نهايتها تثقب ذلك التابوت من أحد طرفيه وتخرج منه على صورة

فراشة تطير من شجرة الى أخرى ، مخالفة في كل جزء من أجزائها للدودة التي كانت أصلا لها ، ولا تمت اليها بصلة في ناحية من نواحيها . فكيف يتم لها هذا التطور في مدى الأيام التي تقيمها داخل ذلك التابوت ؟

عنى العلماء بهذا الأمر جد العناية ، فشقوا شرقة لإحدى الديدان في أيام متوالية ، فرأوا أنها عند ما تدخل الى شرقتها يبتدىء جسمها في الانحلال ، ولا يزال ينحل حتى يستحيل كله الى سائل لزج أكثر كثافة من الماء ، ثم يأخذ ذلك السائل في التكاثف والتشكل يسيرا يسيرا حتى ينقلب الى فراشة تامة الخلقة ، ذات عينين براقيتين وجناحين بديعين وجسد مخالف في كل أجزائه لجسد الدودة ، وأرجل دقيقة لم تكن لها ، فلا تلبث هذه الفراشة بعد تمام تطورها هذا أن تنقب شرقتها من أحد طرفيها وتخرج منها طائفة مرحة تتطلب التلذذ ، ثم تبيض على أوراق شجر القطن ، فتصادف بويضاتها على هيئة بصاق مخاطي على تلك الأوراق يسميها الفلاحون ( بالاطع ) ، فإذا بقيت على حالتها ولم تُبد خرجت من كل بويضة منها دودة صغيرة تغتذى من تلك الورقة فلا تبقى منها ولا تذر .

لما وقف الباحثون في حياة الحيوانات على هذه الأطوار المتوالية ، والاستحالات العجيبة ، أدركوا أن كل ما يقال عن الانتخاب الطبيعي وفعل البيئة ، والعوامل المختلفة ، لاحقيقة له ، وأن الخليقة توجد وتتطور وتبلغ كما لها على نظام اختصاص الخالق الحكيم بعامه وليس في قدرة العقل أن يصل اليه .

فانظر كيف أراد الله أن تكون الحشرة الحفيرة هي التي تسقط صروحا شاحخة من البحوث والمذاهب أقيمت لتفسير وجود الأنواع الحية وتسلسلها بعضها من بعض ، تلك المذاهب التي كانت سببا في تضليل من لا يحصى لهم عدد من خفاف العقول . فإن تعليل قيام الخليقة على هذا النحو من الترقى التدريجي قد جر ضعاف العقول الى عقيدة أن العالم مستغن عن مدبر ، فتمردوا على الأديان وعلى كل ما يثبت الروح من

المباحث العامة، منتبذين ناحية خاصة بهم، توها منهم أنهم بما حصلوه من إدراك هذه الأسرار صاروا أمة وحدهم، فأصبحوا بعد هذا الاكتشاف العلمى وما سبقه من الاكتشافات الداحضة لمذاهب التطور، حيرى لا يعرفون لهم مذهبا يقومون عليه. ولعل قارئاً يسألنى: ما وجه تأثير حياة الحشرات فى دحض مذاهب النشوء والارتقاء؟ فنجيبه بأن وجهه أن هذه المذاهب تفترض أن الكائنات الحية قد تولد بعضها من بعض بتأثير البيئة كما يقول لامارك، أو بتأثير الانتخاب الطبيعى كما يقول دارون، فى آماط طويلة لا يحصىها العد، فجاءت الحشرة فنقضت هذه الأقاويل المنمقة كلها بحالها الذى يمكن أن يراه كل أحد. ألا يراها تستحيل من دودة الى فراشة بعد أن ينحل جسدتها الى سائل، فيفقد بذلك كل تركيب عضوى، ثم يعود فيستحيل الى فراشة ليس بينها وبين الدودة الأولى أى شبه؟ كل ذلك فى أيام معدودة، فاقيمة كل ما ذكره أصحاب مذاهب النشوء والارتقاء من التعليلات التى فتنت عقول كثير من الناس نحو قرن ونصف قرن من الزمان؟.

فاذا أردنا أن نطبق على الاستحالة التى دخلت فيها الحشرة مذهب لامارك أو دارون، لا نضطررنا أن نفترض لها عشرات الألوف من السنين على اعتبار أنها ممكنة فى مذهبهم، فما ظنك وهى غير ممكنة فى نظرهم، لأن الترقى لديهم إنما يكون بحدوث تحسينات فى ذات الأعضاء الموجودة، وظهور أعضاء أخرى لم تكن موجودة من قبل، ولكن مع حفظ التناسب بين أصول تلك الأعضاء وما آلت إليه، أو ما زاد عليها من الأعضاء الجديدة. أما الاستحالات المنقطعة الصلات، والتطورات غير المتناسبة، كما هو بين الدودة والفراشة، فلا تنطبق على أصول مذاهب النشوء والارتقاء، وتعدنى نظرها مستحيلة الحصول.

وبعد: فإن كل هذا الجهد من رجال العلم موجه لمعرفة سر قيام الخليقة وتفسير تولد

الأنواع النباتية والحيوانية، وهو مطلب مستحيل التحقق فيما نرى . ألم تر أن هؤلاء الرجال كلما تخيلوا مذهبا من تلك المذاهب ، وتوجهوا أنهم قد بالغوا في بيانه ودعمه على أصول من المحسوسات ، أتاهم من تلك المحسوسات نفسها ما ينقضه ، ويجعل القول به مهزلة لا يصح ارتكابها ؟ فمسألة تأثير البيئة في تحويل الكائنات وهي التي ابتدعها الأستاذ لا مارك الفرنسي في القرن الثامن عشر صادفت من الرواج حدا بعيدا جدا ، وصارت حديثا طريفا للناس يلوكة منهم كل عالم ومتعلم ، ويكتبه كل باحث وخابط ، حتى نبغ دارون فأذاع مذهبا نقض به نظرية تأثير البيئة نقضا ، وجعله من العوامل الثانوية في إكساب الأحياء صفات جديدة ، ورأينا نظرية الانتخاب الطبيعي قد أوتيت سلطانا على العقول لم يكن لنظرية قبلها ، فافتتنت بها افتتاناً لم يعهد مثله لمذهب من المذاهب الفلسفية ، وطبقت هي والأسس التي صحتها على كل المحاولات العقلية للناس ، فكنت ترى المشرع والمؤرخ والمتطبب والأديب وغيرهم يستمدون من أصول مذهب دارون ما يظنون أنه يجعل لمباحثهم أصولا راسخة من صميم المباحث الفيزيولوجية والبيولوجية . ثم ما هي إلا جولة من جولات العلم حتى تكشف لهم أن هذا المذهب كسابقه لا يستند إلا على خيال محض ، وقد ظهرت دلائل محسوسة تجعل استمرار القول به ضربا من العبث ، ومتى تقدم الناس في فقه الكون تبين لهم أن هذه المذاهب التي كان لها السلطان المطلق على العقول في أزمانها تدل على عقليات ساذجة كانت لا بآتهم على نحو ما نحكم به نحن حين نقرأ مذاهب قدماء الماديين في خلق الكون وإيجاد كائناته . فسبحان الذي أعجزت آياته العقول ، وملأت بعظمتها العيون والقلوب :

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) م

محمد فرير ومري

## أزمة الزواج وعلى من تقع تبعاتها

قال الله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا  
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) ، وقال جل شأنه : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ  
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ  
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) .

الزواج مبدأ تكوين الأسرة ، ومدار استمرار العمران ، وعليه التعويل في بقاء  
الكون ونمو الأمم . عون على نظام الحياة ، باعث للهمم الى العمل ، وسيلة لهناء المعيشة  
وجعل الحياة سعيدة . وحسبك منه أنه قاطع لجرثومة الفساد في الأخلاق ، وعون على  
صون الشرف والأعراض ، وقاطع لدابر الشرور والخصومات ، والعداوات بين الأسر  
والجماعات ، بل هو فاتح للتواد والتحاب بين الناس أسراً وأفراداً . فكم من شخص  
كان فذاً في حياته لا نصير له ولا عضد ، فكان بالمصاهرة عزيز الجانب ، مخطوب المودة  
محفوظ الغيبة ، كثيراً بالمصاهرة ، عزيزاً بما استحدث من أسرة ، وبمن انضم اليه من  
جماعة . وكم ترى من خامل النفس ميت العزيمة متراحي الهمة ، قد اشتد بالزواج أزره ،  
وانبعثت من رقدتها همته ، وتحركت نحو العمل عزيمته ، وأصبح في الحياة عضواً عاملاً  
نشطاً يسعى ويجد ، ويعمل ويسكد ، لأن الزواج أشعره بواجبات كان في غفلة عنها ،  
وناط به مصالح كان لاصلة بينه وبينها ، فتكسب أمته من نشاطه وحياته العملية أكثر  
مما تكسبه منه من أبناء وذرية . ولا تسلم عن حفظ المرء صحته بالزواج ، سواء من جهة  
ابتعاده عن الخنا الذي يجر الى شر الأمراض ، ومتعاصي الأدواء ، أم من جهة انتظامه  
في معيشتته على الوجه الذي أعد له ، فيستكمل نظامه الحيوي الذي عليه مدار بقاء الفرد  
وبقاء النوع على وجه لا غبار عليه ، ولا خوف منه ولا خطر فيه . فاذا ما رأى بعد

ذلك منزله وقد عمر بالأبناء والبنات ، ودبت فيه روح الحياة الجديدة ، فيصبح ويمسى يشاهد من نعم الله عليه ما يشرح صدره ، ويقر عينه ، ويدخل السرور الى قلبه ، ويزيل الهموم عن صدره ، ويبعث الحياة الجديدة في دمه ، سمت روحه وعانت نفسه ، وأصبح شعوره قويا بمعنى الحياة وسموها ، وهنا يجد النشاط الى نفسه أقوم سبيل ، ويفتق فكره عن وسائل الترقية في الأعمال الحيوية لأمته ، لا لشخص أمته ، بل لأنه يرى في خدمته لأمته الوسيلة الوحيدة لخدمة أمته له ، وهل الرزق إلا قيم الأعمال التي يقدمها المرء للمجموع ، فيأخذ ثمنها من المجموع على حسب قيمة ما أدى إليه ؟

كل هذا إذا أضفت اليه السلامة من الطغيان ، ووساوس الشيطان ، ومعصية الرحمن ، والوقوع في الخسران ، وجدت الأمر أعلى من أن يتنازع فيه ، وأكبر من أن يستهان به ، فكيف وقد دعت اليه الطبيعة السليمة ، بل يكاد يكون مغروسا في بعض الفصائل الحيوانية بالفطرة .

إذا كان الأمر على هذا الوجه من الوضوح والخطورة ، فإلنا نرى أزمة الزواج قد استحكمت حلقاتها ، وشاع بين شبابنا — وبخاصة في المدن العامرة — الأعراض عن الزواج ، بل التبرم به والتأفف منه لمن تزوج ، والفرار والخوف منه بالنسبة لمن لم يتزوج ؟ إنه لأمر عجب ، ولكن ما من حدث إلا وله سبب . وإلنا نريد أن نعرض لشرح تلك الأسباب بحسب ما نستطيع ، وإن كانت أسباب ذلك من التنوع والتفرق والكثرة بحيث تشذ عن أراد الإحاطة بها . ولعلنا نوفق للإلمام بأهمها وأكثرها شيوعا وأعمها أثرا . ولنحصر الأسباب الآن في أربعة :

( ١ ) انحطاط الآداب .

( ٢ ) التغالى في المهور والإسراف في الجهاز .

( ٣ ) تراخي المودة الزوجية بسبب إعنات النساء للأزواج في السرف والبذخ

وشقى المطالب .

(٤) التطلع لسعة الحياة المادية ومحاولة ضمان ذلك للذرية .

السبب الاول انحطاط الآداب ، ولعل ذلك أهم الأسباب :

من القواعد الاجتماعية المطردة ولوع الأمم المغاوبة بمحاكاة الأمم المتفوقة في عاداتها ومقوماتها مهما كانت قبيحة أو مشوهة أو منكرة . وقد كانت أسباب وعوامل أدت الى أن تكون للأمم الغربية حضارة مادية قوية ذاقوا لذتها ، فعمسكفوا عليها وتوسعوا فيها ، فجنوا منها ثمارا لا يستهان بها ، واستخرجوا من كنوز الأرض والقوى التي بثها الله في الكائنات ما شرح قوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعا » شرحا باهرا ، فكانوا بحق أساتذة أهل العصر الحاضر في اجتناء الثمار المادية ، واستخدام الأسرار الكونية التي رفعت الحياة وسملت كثيرا من مستصعباتها ، فبهرت الأمم لمادان لهم من هذه المستكشفات والمخترعات ، حتى نسوا ماجاء عن طريق الشرق من حضارة روحية ومدنية معنوية كان لها أعظم الأثر في سعادة البشر .

إن الحضارة نوعان ما في ذلك شك : حضارة روحية قوامها تصفية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وبث الفضيلة ، ونشر التعاطف ، والتودد بين الناس ، والسمو بالنفس الإنسانية الى المستوى العظيم اللائق بها ، وهو إخلاص العبودية لله ، والتحرر عن الرق لكل ما سواه ، وتعديل مزاج قوتها الشهوية والغضبية ، حتى تسير على قانون العدل في كل شئونها ؛ ودفعها الى العلم والحكمة لتحيط بما به سعادتها في الدنيا والآخرة . وهذا النوع من الحضارة قد استأثر به الشرق ، مهبط الشرائع ، ومبعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . والنوع الثاني الحضارة المادية وقوامها استنباط الأسرار التي بثها الله في المادة وهياها لنفع الانسان في هذه الحياة : من آثار البخار والكهرباء ، والآلات السريعة الأعمال ، والدقيقة الآثار ، وما يلتحق بها أوتيفرع عنها . وأستاذ هذا النوع في عهدنا الحاضر هو الأمم الغربية من غير منازعة ولا إنكار . وإن السعادة الكاملة في هذه الحياة الدنيا ورغد العيش للنوع الانساني مرتبط



بهذين السببين بدون شك . ولكن أهما ألزم لهذا الحياة وسعادة المعيشة ؟ للجواب عن هذا يصح أن نتصور انفكاك أحد السببين عن الآخر ، فلنتصور الأم فقدت مظاهر تلك المدنية المستحدثة ، فلم تتمتع بالقطار السريع ، ولا بالضوء الكهربائي ولا بالطرب للحاكي ( الفوتوغراف ) وحرمت تسجيل صورها بالمصور الشمسي ( الفوتوغراف ) ولم يكن لديها من آلات الجراحة الدقيقة أو أجهزة الأشعة الكاشفة أو الوسائل المدمرة في الحروب الفاتكة في النفوس : من غازات خانقة ، ونسافات وطيارات ، وما يتصل بذلك . نتصورها حرمت ذلك كله ، ولكنها ساد بينها الوئام والمحبة والفنعة ، والثقة والترامح والمعاونة ، سادها الإخلاص لله في العبادة ، ورضيت بميسور الرزق ، مع ترقية نفسها وأبنائها في الأخلاق والآداب . ثم نتصور الأم مرة أخرى قد أخذت بأكبر قسط من هذه الحضارة المادية والمستحدثات التي تمخض عنها هذا الزمان الحاضر ، ولكنها حرمت صفاء النفوس بين أفرادها ، وحرمت شيوع الأمانة في معاملتها ، واستفاد الكذب في مخاطبتها ، وغلبت شهواتها واسترسلت في أحكام غضبها ، ولم يردعها الخوف من ربها ، وكان الحكم فيها تقويها على ضعفها ، ولم ينتصر لمظلومها من ظالمها ، فأى العهدين أحق بأن يكون عهد سعادة وحياة ناضرة ؟ إنا لا نشك في أن الكفتين غير متوازيتين ، وأن الأثرين غير متكافئين ، وأن الإنسانية قد استفادت من الشرع ما لا غنى لها عنه ، وقد أخذت من الغرب ما فتح عليها باب شر في الحياة لا منتهى لأمدده ولا وصول لحده ، فاندفع بالانغماس في شهواته والمسارة لرضا نفسه بشكل لا يبقى على الهناء .

وإن من عرف حياة المترفين المستغرقين في تتبع مشتبهاتهم ، يحد هم قد وصلوا الى حالة ضاع معها الشعور بلذة ما كانوا ينعمون به ، والتمست أذواقهم طعوماً أخرى أشد لذة مما هم فيه ، فإذا أعوزهم ذلك عادوا الى بعض ما كانوا يأنفون منه كأنهم يحاولون تجديد

أذواق ماتت عندهم ، فإذا فاتهم ما يؤملون عادوا بحسرة وتغنيص . وخذ لذلك مثلاً بنى إسرائيل إذ سئموا المن والسلوى ، والنمسوا البقل والقناء والفوم والعدس والبصل ، تعرف حال أولئك المنعمسين ، فقد أصبحت الأطعمة الفاخرة واللذائذ النادرة عندهم مألوفة تافهة ، بل مسئومة مملولة كالمن والسلوى عند بنى إسرائيل . فما يظن لذة عندهم ويتوهم أنهم به منعمون ، هم في الحقيقة به برمون ، ومنه متماملون .

هذا هو شأن الانغماس في المشتبهات والاستغراق في اللذائذ ، يصل بصاحبه الى درجة أن يضعف الإحساس بها حتى يتلاشى وحتى يسأم ويميل . فإذا أضفت الى ذلك أن هذا المنغمس يستولى عليه الضعف في عزيمته ، وتصبح همته واهنة واهية ، كانت الخسارة فيه أشد والمصائب به أتم . ولقد قال بعضهم : الترف مرض اختياري تجلبه النعم ويأخذه من يشاء . فإذا كان هذا قصارى الثمرة المستفادة من حضارة الغرب تجدها قد آلت بنفسها الى أنها شروقة ، بدل أن تكون خيراً ونعمة ، فكيف إذا ضمنت اليها الحرمان من تلك الفضائل الروحية ، والمزايا النفسية ، والآداب الشرعية ، التي تنهض بالنفس الى المستوى الرفيع ، وتسمو بها الى أعلى عليين ، وتجذب أطراف الإنسانية بعضها الى بعض حتى تنظمها في سلك التواد والتراحم ، والتعاطف والتعاقد ، وتجعلها كأعضاء الجسم الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالجحى والسم .

لقد استطرد بنا الحديث حتى كدنا نبتعد عما سيق الكلام له ، وعذرنا أن المقارنة بين الشرق والغرب وأيهما أعود على الإنسانية بالخير والمنفعة مما خفى على الكثير حتى من المفكرين والمتصدرين للزعامة والزعمين أنهم هداة قادة ، فقد اغتروا بتلك الآثار الخلابية ، وأساموا عقولهم وأفكارهم لأصحابها ، ووقفوا جهودهم على تأييدها والدعاية الى التمسك بأهدابها ، وتقليد أهلها حتى في أخس المنكرات وأحط الآداب ، وغفلوا عما يحره ذلك عليهم وعلى أمتهم من الشر الوبيل . فمن ذلك تلك الدعاية الممقوتة التي استفاضت على السنة الكثير من المفكرين ، وهي الدعاية الى السفور ونبذ الحجاب ، وتجييد اختلاط النساء

بالرجال والرجال بالنساء . لقد استعملوا كل قواهم وتعاقدوا من كل جانب لتلك الدعاية ، وتترسوا فيها بأن السفور باب العلم والحجاب قفل ذلك الباب ، وأن الداعي للتمسك بالحجاب حائل بين الأمة وبين العلم النافع . ومن يستطيع أن يرى نفسه قد وقفت حائلا بين الأمة وبين العلم النافع ؟ ومن يقبل على نفسه لقب أنه عدو للعلم وهو ما نصب نفسه للإرشاد إلا بما أوتي من العلم ؟ كان ذلك التذرع بنشر العلم سلاحا حادا استعمل بدهاء ومكر شديدين ، وساعد قوته ميل النفوس وبخاصة نفوس الناشئين الى فك العقال واطراح القيود ، والإيغال في بيداء الإطلااق ، فاندفعت فئة ممن لا يباليون بمركز أدبي أو عادات متمكنة أو آداب مرعية ، فزجوا بأنفسهم في التجربة الأولى ، فلما لم يجدوا رادعا تتبعهم فئة أخرى ، ثم كان من المترفين جولة جريئة باسم المدنية التي هم رافعو لوائها ، فتبعهم من يحاول اللحاق بهم حتى انفرط العقد وأصبح السفور عادة غير منكورة .

فهل وقف الأمر عند هذا الحد ، وقنع الشر بما اكتسب من فضيلة الأمة الراسخة ؟ ! إذاً كان الخطب هينا ، وكنا نقول : بعض الشر أهون من بعض . ولكن ما العمل وبذرة الشر سريرة الإنبات ، والنفوس الشهوانية تربة صالحة للغراس ! لقد جر هذا الى إحراز الشباب أمنيته ، فقد تفتح أمامه سبيل الشيطان ، وزين للناس باب آخر هو من السفور بأمن صلة ، ذاك هو الاختلاط في الأندية والمجاس والمخافل ثم الانفراد . أو الاجتماع الانفرادي — لا أدري بماذا أسميه — أقول ثم تأبط الشاب ذراع الفتاة والابتعاد به عن الرقباء والعيون ، يرتادون خلوات ، ويتجولون في المتنزهات ، ويعمدون في بعض الأحيان الى دور الملاهي والملاعب ، يتلقيان دروس الغرام ، ومناط الحب والهيام ، ودور القبلات وأصناف المعانقات ، والمغازلات والمغاضبات . كل أولئك دروس تجرى الهيوب منهما على الاقتحام ، ثم ينصرفان لا ندري الى أي مأوى ، ولا يدري أهلهما أين هما ، ولا يجروا أن يسألوهما . إنك ستنفق من سماع هذا الكلام ،

وستنكر على الكاتب أن يسطر هذا على صفحات المجلة، ولكنها حقيقة تجرى بين فئات، ويخشى إذا استمر الحال أن يتسع خرقها ويتفاقم شرها.

وإذا كان مجرد ذكرها قد جر إلى اشمئزاز القارئ إلى هذا الحد، فكيف يكون مجراها وفشوها. وهل التعامى عنها سيقبلع جذورها؟ إذاً لكان الواجب السكوت عليها. ولكن فاض السكيل وعم السيل. هذا شيء موجود في بلدنا، وهو أصل كبير من أصول بليتافيا نشكو منه من أزمة الزواج، وهو الموضوع الذي عرضنا للكلام عنه وإن تطوحت بنا السبل وتشعبت علينا المسالك. فلقد كان من نتائج هذا في المدن أمران: الأول الزهد في النساء اللاتي كن يحتذنن بالبعد فأصبحن معروضات بالقرب. ولقد قال القائل:

عرضنا أنفسنا عزت علينا عليكم فاستخف بها الهوان  
ولو أنا منعناها لعزت ولكن كل معروض مهان

والثاني إساءة الظن بهن وقياس الغائب على الشاهد، فضالمت البريئات ولايزان يؤلفن الكثرة العظمى في الأسر والله الحمد، ولكن رب مستهترة جلبت سوء الظن على ألف مستهترة، فكان هذا السلاح ذا حدين خطرين، أحدهما الإعراض عما سهل تناوله، وثانيهما إساءة الظن بمن خفي أمره، فأعرض الشباب عن الرغبة في الزواج، والتمس لنفسه من المعاذير ما إذا حاولت إرجاعه عنه كمنت تضرب في حديد بارد وإن انرجو القارئ عند وصوله إلى هذه النقطة أن يسكت قليلاً، ويفكر فيما يحيط به من معارف وجيران، ويستعرض ما يقع نظره عليه وما يسمعه من الأقواء، ويستنبط من نفسه مدى هذا الموقف وخطورته، ثم يستنجد بالحمة الإسلامية والخبرة الدينية والمصاحبة القومية لعله يتوفق إلى طريق فيه إيقاف هذا السيل الجارف، ولا أحد أصغر من أن يمين، ولا أحد أكبر من أن يعان، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

### السبب الثاني التعالى في المهرور والتنافس في المهرار :

هذا سبب له دخل في أزمة الزواج ولكن الى حد ما ، فقد يكون الراغب في الزواج صادق النية في تكوين أسرة وتعمير بيت ، ويريد أن يعيش عيشة صالحة ، ويرى ألا سبيل الى العيشة الصالحة إلا الزواج من زوجة صالحة ، فيدور بعينه يمينا وشمالا يرتاد من يليق به مصاهرته من الأسر التي تناسبه ، فيجد نفسه بين أسرة كريمة ذات حسب وشرف وصيانة وأدب ، فيرغب في الاتصال بها ويعمد اليها يخاطب مودتها ، فيجدها قد اعتدت بمركزها ، واعتزت بحسبها وأدبها وحياتها بين الأسر المستهتره ، وعفافها بين الفئات الخليعة وثروتها بين أقوام فقيرة ، وهكذا من المميزات الصحيحة المعتمد بها ، والخاطب يؤمن على ذلك ويغتنب به ، ولكن يروعه المفاجأة بتقدير ثمن ذلك كله ، وإذا به مما ينوء بالعصبة أولى القوة ، فما بالك بالفرد الناشئ وهو على أبواب الحياة العملية ، فإذا ما تبرم واستعظمه قيل له : إنا سنستحضر كيت وكيت : الأثاث والرياش وما يتعلق به ، فإذا قال : كل هذا لا حاجة لي به بل سيرهقني ويكلفني ما لا طاقة لي به ، قيل له : وهل تنقص عن كريمة فلان وزوجة فلان أو عن عمته أو أختها ؟ وهكذا فإما أن يقبل وهو مالا يستطيعه ، وإما أن ينصرف بنية أن يتروى وهو ما يكون غالبا ، وقاما يكون له بعد ذلك عودة . فإذا اتجهت نفسه الى من لا يغالي في المهر وجد من المنفرات في الآداب والعوائد مالا يحتمل ؛ فإذا ما استشار أحد أصدقائه للخروج من هذا المأزق وحل هذه العقدة ، كان أقرب جواب له : مالك وللزواج أما أنت عاقل ! ألم ترألم تسمع ! وبأخذ يقص عليه من أنباء الزيجات السيئة ما يحل عزيمته ويحول دفة اتجاهه ، وما يدريك فلعله يقيض له من قرناء السوء من يزين له أسوء الأعمال ، فيرتكس في شر الأوحال . ثم تبقى الخطوبة منتظرة مترقبة ، وربما طال عليها الأمد ، فلا ندري ألتصبح عانسا ترضى بالقليل ، أم تسمى بأئسة من الحليل والحليل .

هذا سبب من الأسباب يساعد في كثير من الأحوال على تفاهم ذلك الشر ، وإن كان أصله من عدم التبصر لا من نية السوء ، وهو وإن لم يصل الى ما قبله فله دخل لا يستهان به .

### السبب الثالث :

إعذات الزوجات أزواجهن في باهظ المطالب من ملابس غالية الثمن لا يقصد بها إلا التبرج عند الخروج من المنازل ، ومن أدوات التجميل التي قلما يكون للزوج نصيب منها ، ومن طموح الى ارتياد دور الملاهي على مختلف أنواعها أو المتنزهات العامة أو الخاصة . يضاف الى ذلك عند بعض الأقسام مصاريف حفلات استقبال أسبوعية أو شهرية بلا داع ولا مناسبة مما يرهق ويضيق الصدر ، فاذا ما تهاون الرجل في أداء تلك المطالب الفارغة ، ثار بينهما نزاع ينغص الحياة ، ويقبض الصدر ، ويجعل المعيشة تعيش متعبة .

يجرى هذا للرجل فيشكوه لصديقه ، وهذا ينقله عنه متفكها متعجبا ، فيزيد الحديث بمستملحات ترد على الألسنة حتى تعم دائرة الأصدقاء ، فتشوه الحياة الزوجية في نظر الجميع ، حتى يعد المقدم عليها مجازفا بهنائه وسعادته ، فتكون النتيجة تقوية فكرة الامتناع عن الزواج والحذر منه ، والخوف الشديد من الوقوع فيه .

### السبب الرابع :

هو يقتصر على فئة يزعمون أنفسهم من المفكرين تفكيراً عميقاً وبعيدا ، يرون أن الحياة قد كثرت مطالبها واشتد الزحام في نيلها ، فلا يأمن إذا ما تزوج أن يعقب أبناء وبنات يعرضهم ويعرضهن لهذا المعترك القاسي ، وليس لديه من التراث ما يكفي لترفيهم ، فيكون بذلك قد قسا عليهم وزج بهم فيما لا قبل لهم به ، وكأنه يتمثل بقول المعري متبرما بالحياة ومتاعبها :

هــذا جنـاه أبـى عـدـى وما جنـيت على أحـد

بل إنه شبيه بمن وجه إليه النهى في قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » فأمثال هؤلاء قد انعكست بصائرهم وعميت عليهم الطرق ، وظنوا أن دولاب الزمان في أيدي العباد ، وأن تقديرهم وتديرهم هو الذي يحول اتجاه الفلك ويقدر الأرزاق والأعمار . فلبئس ما سولت لهم أنفسهم وما أوقعتهم عمياتهم وجهاتهم ! فمثل هؤلاء لا يعتد بأفكارهم وإن كانوا يزعمون أنهم فوق مستوى الناس في أفكارهم . ومن محاسن الصدف أن هؤلاء قليلون ، وعدواهم مأمونة ، وأفكارهم قاصرة عليهم . والذي يعنيننا هو الأسباب الثلاثة الأولى ، فلعل شرحها وتبيانها يلفت أولى النظر السليم الى تلافيه وإخلاص منه ، والله يتولى هدانا الى سواء السبيل .

ابراهيم الجبالي

## فضيلة العقل ورذيلة الحمق

وصف بعض الأدباء العاقل والأحمق فقال :

العاقل إذا والى بذل في المودة نصره ، وإذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيسعد مواليه بعقله ، ويعتصم معاديه بعدله ، إن أحسن الى أحد ترك المطالبة بالشكر ، وإن أساء اليه مسىء سبب له أسباب العذر ، أو منحه الصفح والعفو .

والأحمق ضال مضل ، إن أونس تكبر ، وإن أوحش تكدر ، وإن استنطق تخلف ، وإن ترك تكلف ، مجالسته مهنة ، ومعاتبته محنة ، ومجاورته تعر ، ومولاته تضر ، ومقاربتة عوى ، ومقارنته شقا . وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ، والأحمق يسيء الى غيره ويظن أنه قد أحسن اليه فيطالبه بالشكر ، ويحسن اليه فيظن أنه قد أساء فيطالبه بالوتر ( أى بالتأثر ) ، فساوىء الأحمق لا تنقضى ، وعيوبه لا تنتهى ، ولا يقف النظر منها الى غاية إلا لوحث ما وراءها مما هو أدنى منها ، وأردى وأمر وأدهى . فما أكثر العبر لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر !

وقال الأحنف : كل شيء يحفظ الأحمق إلا من نفسه .

## العلاقة بين المخ والذكاء

عرف الناس من أقدم الأزمان أن المخ آلة التعقل كما أن العين آلة الإبصار ، فجب اليهم البحث فيه ، ولكن هذا البحث ما كان يتعدى الدائرة الفلسفية النظرية . فلما تقدم علم التشريح في العصور الأخيرة كان أول ما عني به الباحثون في المخ أن يعرفوا علائق أجزائه المختلفة بالقوى العقلية : من الفكر ، والذكر ، والتصور ، والحفظ ، والتخيل الخ ، فحبل اليهم أنهم اهتموا الى تلك المراكز ، فأكثروا من الكتابة فيها لآحكام ربط التعقل بالمخ ، فكان ذلك عند الماديين من الأدلة على أن التعقل ليس بمظهر من مظاهر الروح ، ولكنه خاصة من خصائص التركيب المخي ، حتى قال زعيمهم (بوخنر) : إن المخ يفرز التعقل كما تفرز الكلية البول .

ونحن في هذه العجالة نريد أن نجمل القول في سرد مذاهبهم القديمة والحديثة في علاقة المخ بالتعقل ، ثم نردفها بما ثبت أخيرا من المشاهدات الجديدة في المجال التشريحي نفسه ، مما يهدم نظريات الماديين هداما لا قيام لها بعده ، ويثبت أن التعقل مظهر من مظاهر الروح بأدلة لا تقبل النقض .

فإليك هذه الخلاصة الإجمالية مترجمة عن الألمانية من مجلة (كوسموس) :  
« كان الناس يرون منذ القدم أن لكمية المخ في الكائنات الحية علاقة كبيرة بإدراكها ، وليس هذا بصحيح ، فإن مقدار المخ في بعض الحيتان قد يربو على خمسة كيلو غرامات ، ومقداره في النملة لا يتعدى جزءا من خمسة وعشرين ألف جزء من الغرام ، ولا يقول أحد بأن الحوت أذكى من النملة بما يبلغ مائة وخمسة وعشرين مليون ضعف . فإذا اتخذنا معيارا آخر فجعلنا المقارنة بين الكائنات الحية من ناحية نسبة وزن مخها الى وزن بدنهما كاملا ، فإن هذه المقارنة تكون أقرب الى تعيين علاقة المخ بالتعقل .  
ففي مملكة النمل ما يدل على صحة هذا الرأي . وفي هذا المجال نجد الانسان قد



حل محله في التفوق على جميع الكائنات ، فإذا اعتبرنا الانسان والغوريلا و كلب لبونبرجر وغيرها مما تتساوى أوزان أجسادها ، رأينا أن مخ الانسان وهو أذكى الكائنات كافة يزن نحو ١٤٠٠ غرام ، على حين أن مخ الغوريلا لا يزيد وزنه عن ٤٥٠ غراما ، ومخ كلب لبونبرج لا يبلغ أكثر من ١٢٥ غراما .

« وقد شوهد أنه لا عبرة بمقدار المخ إذا كان تركيبه ساذجا ، كما هو شأنه عند الحيوانات القليلة الذكاء . واتضح أنه كلما كان تركيبه دقيقا كان ذكاء صاحبه أكبر . » وقد رأى المعنيون بأمر هذا البحث بأن القشرة الخارجية من المخ هي مركز القوى العقلية ، وأنها تزداد اتساعا كلما زادت الأحياء ارتقاء . ولما كان حجم الجمجمة محدودا فإن زيادة سطح القشرة المخية يحدث من كثرة التجمعات التي تعترى كتلة المخ . وقد شوهد أن هذه التجمعات تختلف قلة وكثرة باختلاف الحيوانات في قوة الذكاء . قال الأستاذ الدكتور فنسمر كاتب هذه المقالة عقب هذا كله :

« على أن كل هذه الملاحظات لا تصلح أن تكون قانونا يمكن تطبيقه في جميع الأحوال ، فإن أكبر مخ عرف حتى الآن كان لرجل أبله ، وإن بعض المفكرين الذين ارتفعوا الى درجة الزعامة في مختلف العلوم والآداب كانت حجوم مخاخهم دون المتوسط . والعلاقة التي توجد بين مقدار المخ ودرجة الذكاء ما زالت تحت كسف من الظلام ، يحيط بها الجهل من كل مكان . فلا تصاح الوسائل التي نملكها الآن للتمييز بين مخ رجل عبقرى وآخر من العامة البلهاء . فلنقنع اليوم بما وفقنا اليه من العلم بأن مقدار المخ والأحوال الأخرى التي ذكرناها آنفا تساعدنا من وجه عام على معرفة درجة الذكاء ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها أصلا للقياس والمقارنة في جميع الحالات الفردية . والرجاء معقود على أن تكشف لنا في يوم من الأيام أسرار العلاقات الموجودة بين القوى العقلية وتركيب المخ » انتهى .

ونحن نقول : إن هذه الحيرة التي بدأت تلوح في أفق العلم من هذه الناحية التي كان

يظن الفيزيولوغيون أنهم بلغوا فيها المدى ، هذه الحيرة ليست كل ما في هذا الباب ، فقد طرأت حوادث في أثناء الحرب العالمية وبعدها كان لها تأثير لا يقف عند حد في تعديل آراء العلماء في مسألة المخ وعلاقته بالقوى العقلية . ونحن نأتى على بعض تلك المشاهدات من كتاب الأستاذ الدكتور جوستاف جوليه ، فإليك ما قاله فيه :

شوهدت أحوال تشريحية مرضية أثبتت أن حرمان إنسان من جزء عظيم من المخ في المناطق التي كان يعتقد أنها رئيسية فيه ، قد لا يبتنى عليه أقل تكدر نفسانى ولا أقل انحطاط في الشخصية .

فإليك ما يخص أشهر هذه الحالات مستقاة من كتاب التاريخ السنوى للعلوم النفسية الذى صدر فى يناير من سنة ١٩١٧ :

قدم الميسو إدمون بيريه للمجمع العلمى الفرنسى بجلسته المنعقدة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ ملاحظة للدكتور ( ر . روبنسون ) تتعلق برجل بقى حيا سنة ، وبغير ألم يذكر ولا أى اضطراب عقلى ظاهر ، على حين أن مخه كان قد استحال الى مثل العجين ، واختلطت أجزاؤه حتى تحول كله الى دمل ذى قيح .

وقد رفع الدكتور هالوبو الى جمعية الجراحة بفرنسا فى يوليو سنة ١٩١٤ تقريراً عن عملية جراحية أجريت فى مستشفى نيكير على شابة وقعت من المترو . فعند فحصها شوهد أن جزءاً عظيماً من المادة المخية قد استحال الى مثل العجين بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معان . فلما حذفت هذه المواد المتحللة وسحبت قطع القيقح العالقة بما بقى من مادة المخ ، شفيت المريضة وعادت الى ما كانت عليه من الصحة ، ولم يؤثر بتر جزء عظيم من المخ فى سلامة عقلاها ، وكما شخصيتها ، وقد كان ذلك يعتبر محالاً فى نظر العلم قبل اليوم .

وإليك ما نشرته الجرائد البارزنية عند ذكرها خبر انعقاد المجمع العلمى الفرنساوى فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ تحت عنوان : ( بتر جزء من المخ ) قالت :

قدم الدكتور ا. جيبان (guépin) الى المجمع العلمى حوادث يمدبها مسألة بتر بعض المخ بمعلومات جديدة متابعا بذلك تقاريره السابقة من هذا النوع الذى ينقض الآراء التى كانت تدرس عن وظائف المخ . وقد ذكر فيها أن الجندى الذى عملت له العملية فى مخه ووضع تحت العلاج قد خرج من المستشفى معافى ، وهو يزال الآن وظيفة إستانى بقرب باريز رغم أن الجزء الكبير الذى بتر من القسم الأيسر من مخه . وقد استمر بعد أن تمت له العملية يستعيد صحته فى حالة طبيعية محضة كأن لم يبت من ذلك العضو الرئيسى شىء ، مع أنه قد أزيلت منه فيما أزيل الدائرة التى تعتبر مركزا لوظائفه الرئيسية ، فاعتمادا على هذه المشاهدة وعلى تسع مشاهدات من نوعها قدمت للمجمع العلمى ، استطاع الدكتور جيبان أن يستنتج النتائج الآتية :

أولا — أن بتر جزء من المخ قد ينجى حياة بعض المجروحين الذين لا تسلم نظريات العلوم المعروفة للآن بإمكان نجاحهم من الموت أو سلامتهم من عاهة مستديمة غير قابلة للشفاء .

ثانيا — أن الذين تعمل لهم عملية البتر لا يشكون من أى نقص حيوى بسبب فقدهم جزءا من مخاخرهم .

وقد خطب الدكتور (أجوستان أيتوريشا) رئيس الجمعية الانتروبولوجية أى الخاصة بالمباحث الانسانية فى جاسة ٧ أغسطس سنة ١٩١٦ للمعقدة بمدينة (سوكر) عاصمة بوليفيا بأمرىكا الجنوبية ، فقال :

« إليكم مشاهدات أكثر إدهاشا للعقل مما مر اقتطفها من سجل عيادة الدكتور نيقولا أورتيز بواسطة الدكتور دومنجو جوزمان :

« أولها تتعلق بغلام فى السنة الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره رفع مخه كله فبقى طول المدة التى عاشها بعد هذه العملية حاصلا على جميع خصائصه العقلية .  
« وثانيها تختص برجل فى الخامسة والأربعين من عمره أصيب بجرح فى مخه

في مستوى دائرة بروكا مصحوب بكسر في عظم الجمجمة. فبالكشف عليه اتضح أن حرارته مرتفعة، وأنه قد نسي الكلام وأصيب بالشلل في النصف الأيمن من جسمه، فشرع الأطباء في معالجته، وأخذوا يلقنونه الكلمات من جديد، وكان هو يتابعهم فيما يلقنونه، وبينما هم يعتنون به إذ فاجأته حمى مرتفعة أودت بحياته. فلما شرحت جثته وجد أن النصف الأيسر من مخه قد استحال إلى دمل ضخم. فهنا يمكننا أيضا أن نتساءل كيف كان يفكر هذا الرجل؟ وأي عضو كان يستخدمه في التعقل بعد فساد المنطقة المخية التي يقول الفيزيولوجيون إنها محل الإدراك؟.

«ثلاثة الحوادث صاحبها فلاح عمره ثمان عشرة سنة، مرض مدة ثم مات، فدل تشريح جثته على أنه كان بمخه ثلاثة دمايل يبلغ كل منها حجم اليوسفية. ولكن شوهد رغما عن هذه الدمايل أنه كان يفكر كما يفكر جميع الناس، حتى إنه طلب ذات يوم أن يسمح له بوقت يقضيه في بعض مصالحه، فسمح له به ومات وهو عائد إلى المستشفى.

بعد إيراد هذه المشاهدات قال الدكتور أجوستان رئيس جمعية المباحث الانسانية: «إذاً فلا توجد مراكز خاصة في المخ بعضها لا إدراك المعقولات، وبعضها للانفعالات، وغيرها للذكر، وأخرى للتصور، فهذه الميتولوجيا (أي الأساطير الخرافية) قد زالت من الوجود».

ونحن نقول: إذا كانت عقيدة أن المخ وحده مصدر التعقل والتفكير والتصوير الخ قد اعتبرت اليوم من الأساطير الخرافية، فقد سقطت عقيدة من أكبر عقائد الماديين، وهي التي مؤداها أن ليس للإنسان روح هي مصدر كل هذه الخصائص العقلية، وإنما مصدرها المخ وحده، فجاءت هذه المباحث مثبتة أن المخ ليس هو مصدر التعقل والتفكير، وإنما مصدرهما الروح، وهي تستخدم فيهما المخ.

وقد ضرب المذهب المادى في التعقل ضربات قاتلة أخرى من ناحية حياة الحشرات،

فقد أثبت العلماء وفي مقدمتهم الأستاذ هكسلى كبير البولوجيين (علماء الحياة) أن أبسط أنواع الحيوانات وهو (الأُميب) المركب من مادة حيوية لم تدخل بعد فى شكل خلايا، يأتى أعمالا محيرة للعقل، حتى إنه ليبتنى لنفسه قوقعة جميلة الشكل ومزينة بألوان يأوى إليها، فإن جرينا على قول الماديين من أن إلهامات الحيوانات نشأت من عقولها فهذا النوع من الحيوان لا نخ له ولا أعصاب، فمن أين أتاه العقل وقد حير عمله العلماء؟ وإذا كان مايقوله الماديون فى ربط التعقل بالمخ صحيحا، فكيف نشأت هذه الإلهامات المحيرة للعقل لحيوانات دنيئة لا يتصور أنها تدرك مما تعمله شيئا؟ وقد رأيت مما نشرناه عن أعمالها هنا أنها لم تر ماعمله أسلافها ولا تعيش بعد إلقاء بيضها حتى ترى ما يحتاج اليه أخلافها، فإذا كانت هذه الحيوانات - وأنواعها لا تكاد تحصى - تصدر فى أعمالها هذه عن عقل، وجب أن يكون هذا العقل أرقى من العقل الإنسانى، إذ أنه يجعل الحشرة تدرك بدون تعليم ما لم تره بعينها، وتحسب له وللعوارض المحيطة به حسابا دقيقا، وهذا ما لا يمكن أن يقول به عاقل، فلم يبق إلا القول بأن الخالق الحكيم هو الذى يطبعها على هذه الأعمال فتأتيها مضطرة لا خيرة لها فيها، ويكون هذا من أدل الأدلة على وجوده سبحانه وتعالى، وعلى شمول حكمته ورعايته جميع الكائنات، لا يشذ عنها حتى التى لا يدركها الإنسان بغير المجهر.

ولقد فتنت مسألة ارتباط التعقل بالمخ هذه عقول كثير من المتعلمين، وجروا فيها على مذهب الماديين، فاعتبروا المخ مولدا للتعقل لا آلة له، وإذا صح هذا فلا محل فى زعمهم للاعتقاد بوجود روح للإنسان، ويسقط بسقوطها كل ما يختص بها من عالم روحانى وخلود ونعيم وعذاب مقيمين، ويتلاشى بتلاشى هذه الأمور الناموس الأخلاقى نفسه، وتحل محله الإباحة البهيمية. فجاءت هذه المكتشفات التشريحية التى ذكرناها مزيلة لشبهة الماديين، ومعززة لأدلة وجود الروح تأييدا لم يكن منتظرا.

إن وظيفة العلماء أن يبحثوا وينقبوا مستمدين من الله الهداية والنور ، وليس عليهم أن يتغزلوا الخيالات ثم يتخذوها شبهات يضللون بها بسطاء العقول ، ويصرفونهم عن سواء السبيل م  
 محمد فريد وجري

## من معدن النبوة

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس بسط الأمل مقدم على حلول الأجل ، والمعاد مضمار العمل ، فغتنب بما احتقب به غائم ، ومستئس لما فاتته من عمل نادم .  
 » أيها الناس إن الطمع فقر ، واليأس غنى ، والقناعة راحة ، والعزلة عبادة ، والعمل كنز ، والدنيا معدن ، وما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ، وكل الى نفاق وشيك ، وزوال قريب ، فبادروا أنتم فى مهل الأتقاس ، ومدة الاجلاس ، قبل أن يؤخذ بالكظم ، فلا يغنى الندم » انتهى .

نقول : إن هذا الكلام لا تغنى قراءته عن حفظه ، ولا حفظه عن العمل به ، فهو نفحة من روح النبوة يتلقاها من كتبت له السعادة ، ويودعها سويداء قلبه ، وصميم معناه ، ويأخذ نفسه على اتباعها ، رجاء أن يصل الى ما يتطلبه من السعادة الصحيحة . أليس الطمع فى الحقيقة فقرا ، واليأس عما فى أيدي الناس أو فيما لا ينال غنى ، والقناعة بما حصل فى يده بالاجمال فى الطلب غنى ؟ أو ليست العزلة عن أهل الغفلة عبادة ، والعمل لما ينفع كنزا ، والدنيا معدنا يستخرج منه باحسان العمل فيها ما ينفعه غدا ؟ أو ليس كل ما بقي منها بعد حصول المرء على هذه الصفات العليا يشبه ما مضى منها من الفانيات كما يشبه الماء الماء ؟ أليس كل طيباتها الى زوال لا يبقى منها إلا ما يجنيه صاحبها فى تصيدها من إثم أو عدوان يبقى عليه وزره ، وتحقيق به تبعاته ؟ وليس معنى هذا أن يعف الانسان عن الطيبات المشروعة التى بينها الكتاب وأيدها السنة ، وإنما المراد ما سفل منها ولا يناسب كرامة الانسانية .

## خطبة افتتاح العام الدراسي

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ  
كلية أصول الدين فأرسل إلينا الخطبة التي ألقاها بمناسبة افتتاح العام الدراسي  
للكلية ، فتأخرت عن موعدنا لتزاحم المواد ، فنستدرك ذلك بنشرها اليوم  
لما حوته من الحكم الغوالي والنصح الثمين . قال فضيلته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منّ على من أخلص بنعمة التوفيق ، فسلمك به سبيل الرشاد ، وفتح له  
باب الفيض . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير داع الى الله ، أنقذ العالم من وهدة  
الخيرة وظلمة الجهالة ، الى سماء العلم ونور الهداية . وعلى آله وصحبه الذين نهجوا منهجه ،  
وتأدبوا بأدبه .

أبهرنا الاخوة :

بعد تحية الاسلام ، لي الشرف أن أعلن لحضراتكم أنه قد مر العام الدراسي الثاني  
لهذه الكلية على خير مايرجوه محبو الإصلاح ، وأنه ترك عندى من الغبطة والارتياح  
فوق ما تركه سابقه ، فقد رسم لحضراتكم فى نفسى من أثر الفضيلة صورة الإعجاب  
والإكبار . وناهيك بمعنى تتكون صورته من الخلال الآتية : صدق النية فى العمل ،  
وقبول النصيحة فيه ، والوفاء بالعهد ، والمودة الخالصة .

أما صدق النية ، فلا تنى قد رأيت منكم الحب الصادق ، والرغبة فى تشقيف الطالبة على  
قواعد الدين والعلم الصحيح ، الذين هم حليفان لا يتنافران فى نظر الإينصاف والعقل السليم .

وأما قبول النصيح ، فله عندى من الشواهد ما يحمانى على الاعتراف بأنكم من أسلس العاملين الخاصين .

وأما وفاء العهد ، فحسبكم منه القيام بما قطعتم على أنفسكم من جد ونشاط فى إتمام دراسة ما هو مقرر عليكم ، مع الحرص على الزمن ، وصرف الجهود فى تحقيق المواد بوجه ينطبق على مصلحة العلم والطلاب ، الأمر الذى كانت معه النتيجة النهائية بدرجة سارة منطبقة على ما بذلتم من همة .

وأما المودة الخاصة ، فلا أدل عليها من اتصالكم القوى فى مظاهر أعمالكم العامة والخاصة .

ولقد كان من ثمرات هذا أن وجدت منكم قدوة حسنة فى نفوس تلاميذكم ، تأسوا بها فساروا سيرتكم ، وأصبحوا بفضل أدبكم أمثلة كاملة لطلاب العلم المجدين ، وصار من الممكن أن نرفع الصوت عاليا بأنه يجب أن يحى من النفوس ما نقشه فيها أهل الأهواء من أن الأزهر غير قابل للإصلاح ، وأن أهله لا يعرفون إلا الجمود . فإن تولوا فليقولوا لنا ما هو الإصلاح الذى يقصدونه بعد ما وصل طلاب الأزهر الى هذا الحد من الثقافة بسائر العلوم قديمها وحديثها ، وما هى المرونة ، والعلم الصحيح خير مذهب وأعظم هاد ، وقد أخذ منه الأزهريون والحمد لله بقسط لا يمكن لغيرهم أن يدعى مثله ؟ وإن شاءوا فلندع أبناءنا وأبنائهم ثم نتحاجم الى الحجة والبرهان . نحن لا ندعى لأنفسنا الكمال المطابق ، فليس فى إمكان أحد من البشر أن يدعيه ، وما زلنا نطلب من العلم درجة أعلى . كيف والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) ويقول : ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) وإنما نقول للمتقولين : إن من الظلم رمى البريء ، ومن الغبن أن يبغض الناس أشياءهم .

ونقول لحضراتكم : يجب ألا يمر هذا دون أن نتخذ لنا منه عبرة ومسلكا للتفاهم مع المخالفين . فعلينا أن نتقارب . ولا سبيل الى التقارب إلا بحسن النية . واعلموا



أن جل التبعة ملقى على عاتقنا . فنحن الدعاة . ومن واجب الداعي الى الحق أن يستخلص النفوس اليه بالرفق في دعوته الحكيمة على مبادئ التآخي الاسلامي .

لهذا أطلب اليكم أن تسلكوا هذا الطريق ، فتجمعوا قلوب الناس عليكم وتخطبواهم على قدر عقولهم عملاً بالحكمة النبوية الشريفة : ( نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ) .

هناك حملة قوية ضد الإسلام من أعدائه . ولا يمكن رد غائلتها إلا بجمع كلمة المسلمين ، وحمل العامة منهم على حب الدين . فاعملوا لهذا المبدأ ، واجنحوا للسلم متوكلين على الله بآرائكم ، فما غالب المخلصون في زمن ما ، بل كانت عاقبتهم النصر والثبات . ولتكن نصرة الحق قبلتكم ، حتى لا يكون لغيره سلطان على نفوسكم ، ولا يجد الباطل دليلاً على عملكم ، واستقيموا على الهدى حيث أقامكم الله ، وضاعفوا العناية في العام المقبل ، فإنه خاتمة الدور الأول لعملكم ، وفيه تظهر نتيجته النهائية ، فعساها تكون سارة إن شاء الله ، كما يرجو المصاحون الذين يودون الخير لدينهم ، وكما هي رغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الذي ما برح يشمل العلم برعايته ، ويكلاً أهل الدين بمعطفه ، والذي شرف الأزهر لافتتاح كليته بتسليم الزيارة اليمونة التي يعدها التاريخ من أكبر آثاره الجليلة في حوادث العام الماضي . فعسى أن نوفق لرضا الله تعالى ، وتحقيق رغبته السامية .

نسأله تعالى أن يديم جلالته حصناً للإسلام ، ممتعاً بتمام الصحة وعزة الملك ، وأن يحفظ له أنجاله الكرام ، لا سيما حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة المصرية المحبوب « الأمير فاروق » .

عبد المجيد اللبان

## الى الذين لا يؤمنون بالغيب

من الناس من يتخيلون أن مظهر استقلال الرأى وحرية التفكير إنما هو في جحود الانسان كل ما لا يقع تحت حسه ، ولو صح ما يقولونه لوجب أن ينكروا كثيرا من الحقائق العلمية التي لا يمارى فيها إلا الجاهلون . فالى هؤلاء نسوق القول ، فنعرب لهم بعض ما قاله العالم الفلكى المشهور كاميل فلامريون في كتابه (الموت وغامضته) قال : « الا انسانية تعيش في جهالة بعيدة الغور وهي لا تدرى أن تركيبنا الجثمانى الطبيعى لا يعرفنا بحقيقة الواقع من الحوادث الوجودية ، فإن حواسنا تخدعنا عنها ، والتحليل العلمى وحده هو الذى يؤاتى عقولنا عنها ببصيص من النور .

« من أمثلة ذلك أننا لا نشعر بشيء من الحركات الهائلة للكوكب الذى نعيش عليه ، فإنه يظهر لنا ساكنا ذا أوضاع محدودة بالنسبة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ، ومع هذا فإنه يسبح في الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلو متر في الساعة في تطوافه السنوى حول الشمس ، وهي نفسها تنتقل في خلال اللانهاية السماوية بحيث إن خط سير الأرض لهذا السبب لا يكون خطا منحنيا مقفلاقط ، ولكن حلزونيا مفتوحا دائما . وإن كرتنا الهائلة على وجهها في الفضاء لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ وجدت الى اليوم .

« وفي الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة في كل أربع وعشرين ساعة ، بحيث إن ما نسميه (فوق) في ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثنتى عشرة ساعة . وإننا نجرى في هذه الحركة النهارية بمعدل ٣٠٥ أمتار في الثانية في خط عرض باريز ، و ٤٦٥ مترا في خط الاستواء .

« هذا وكوكبنا الأرضى تلعب به أربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بواحدة

منها حتى التي تمسنا من قرب، كالمذ والجزر للقشرة الأرضية، وهى ظاهرة طبيعية ترتفع معها القشرة الأرضية دفعتين فى اليوم تحت أرجلنا الى علو ٣٠ سنتيمترا، ولا توجد أية علامة ثابتة تجعلنا نلاحظ هذا الأمر مباشرة. ولولا وجود الشواطىء لما أدركنا وجود المذ والجزر فى الأقيانوس كذلك.

« وهل نشعر بالهواء الذى نستنشقهُ أو ندرك له ثقلا؟ إن سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثابة من الضغط الداخلى، وما كان أحد يتخيل أن الهواء ثقيل قبل (غاليليه) (وباسكال) (وتورسلى) هذا ما يشهدنا إياه العلم، ولكن الطبيعة لا تشعرنا به.

« وهذا الهواء مخترق بتيارات مختلفة نجعلها كل الجهل. فالكهرباء تلعب فيه دورا لا ينقطع، ولكننا لا نشعر بها إلا وقت الأعاصير، أى وقت اختلال التوازن بشدة. « والشمس تبعث لنا على وجه الدوام بإشعاعات مغناطيسية تؤثر عن بعد ١٥٠ مليون كيلو متر على الابرة الممغنطة مما لا نشعر به مشاعرنا، ولكن توجد أجساد حساسة لطيفة تشعر بوجود هذه التيارات.

« وأعيننا لا تدرك ما نسميه نورا إلا بواسطة ذبذبات الأثير المحصورة بين ٣٨٠ ترليون ذبذبة فى الثانية لونها أحمر متطرف، وبين ٧٦٠ ترليون ذبذبة لونها بنفسجى متطرف، والذبذبات البطيئة للأشعة الحرارية الحمراء المعتمة فيما دون ٣٨٠ ترليون موجودة، وعاملة فى الطبيعة كما تعمل الذبذبات السريعة فيما فوق الـ ٧٦٠ ترليون ذبذبة للأشعة الحرارية البنفسجية المعتمة، ومع ذلك فهى غير مرئية لشبكية أعيننا.

« وأذننا لا تدرك ما نسميه (أصواتا) إلا ابتداء من الذبذبة الثانية والثلاثين من الأثير فى الثانية للأصوات التى نسميها شديدة حتى تصل الى ٣٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية للنفثات الحادة.

« وأنفنا لا يشعر بما نسميه (روائح) إلا عن قرب شديد، وفي عدد محصور منها فقط، ويختلف شم الحيوانات عن شم الانسان .

« وغير هذا فان الواقع أنه لا يوجد في الطبيعة خارج حواسنا لا نور ولا صوت ولا رائحة . فنحن الذين وضعنا هذه الكلمات لنعبر عما نحسه من تأثيراتنا، فالنور شكل من أشكال الحركة كالحرارة ، و يوجد في الفضاء في وسط الليل من النور بقدر ما يوجد منه في وقت الظهيرة . أعني بهذا أنه توجد فيهما أعداد متساوية من الذبذبات الأثرية تحترق هذه اللانهاية السماوية، ولكننا لا تتأثر بها، فلا نراها لعدم انعكاسها علينا . والصوت شكل آخر من أشكال الحركة، وليس هو بذى جلبة إلا بالنسبة لعصبنا السمعى . والروائح تحدث من جزئيات سابحة في الهواء تؤثر على عصبنا الشمعى .

« فهذا مبلغ ما تصل اليه قدرة حواسنا الثلاث التى تصلنا بالعالم الخارجى .

« وأما الحاستان الأخريان : الذوق واللمس ، فلا تتأثران إلا باللامسة . وهذا شئء

قليل ، وهو فى كل الأحوال لا يؤاتينا بشئء من العلم بحقيقة الواقع ، فإنه يوجد حولنا من الذبذبات والحركات الأثرية أو الهوائية ، ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به . هذه حقيقة عامة مطلقة ، وبديهة عقلية لا يمكن النزاع فيها .

« فيمكن أن يوجد حولنا أشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع

حواسنا أن تصلنا بها . . . .

« فإذا تقرر وثبت بالدليل أن أعضاءنا الإدراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود ،

وأنها قد تعطينا إدراكات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا ( لا تنس حركات الأرض وثقل الهواء والأشعاعات والكهرباء والمغناطيس ) قلنا إذا تقرر ما ذكرناه فلسنا نكون على شئء من التثبت إن ظننا أن ما نراه هو كل الحقيقة ، بل نحن مضطرون للتسليم بضد ذلك .

« قلنا إن كائنات حية يجوز أن تكون موجودة حولنا ، فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فيها هى تتكاثر حولنا بالمليارات ، والدور الذى تلعبه فى حياة جميع الأجسام من الخطورة بمكان .

« فالظاهر لا تكشف لنا الواقع ، ولا يوجد إلا حقيقة واحدة نستطيع تقديرها مباشرة هى فكرنا ، والموجود الذى لا يمكن النزاع فيه فى الإنسان هو عقله . »

ونحن نقول : ضع هذا الكلام الصادر من صميم العلم أمامك ، ثم تأمل فى أقوال الحقى الذين يتوهمون أنهم نالوا الدرجات العلى من الثقافة لمجرد قولهم : نحن إنما نتبع ما تقدمه لنا الطبيعة ، فلا نعتقد إلا بما نحس بوجوده بإحدى مشاعرنا . وإذا صح لهم ما يدعون كان عليهم أن ينكروا غالب مقررات العلوم الطبيعية التى يشيدون بذكرها ، ويفخرون بالانتماء إليها . فأين هم من هذه الموجودات التى ثبت وجودها لأهل العلم ولا يمكن الاهتداء إليها بحاسة من الحواس الخمس ؟ .

إن ما ظهر الى الآن من حوادث الكون لا يمكن أن يقارن بما خفى منها « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وفيما ثبت وجوده اليوم بالدلائل القاطعة ما لا يمكن رؤيته مطلقا ، لقصور حواسنا عن التأثير به ، وقد اهتمدى اليه العلماء اتفاقا ، فكتشف أكبر القوى العالمية وهى الكهرباء التى ننعم اليوم بآثارها فى أهم مرافقنا ، لم يوفق الى اكتشافها إلا عرضا وبغير قصد . وذلك أن أحد مساعدى العالم ( جالفانى ) الإيطالى المتوفى سنة ( ١٧٩٨ ) شاهد اضطرابا فى عضلات ضفدعة قتلت حديثا ، فأخبر بذلك أستاذه ، فأتى بضفادع وقتلها ثم علقها على قضبان من النحاس ، فشاهد حدوث اضطرابات فى أعضائها كلها مست بقطع من الحديد ، فكان ذلك سببا فى اكتشافه الكهرباء الكائنة فى الأجساد . فلما نبغ العالم الطبيعى ( فولتا ) مواطنه المتوفى سنة ( ١٨٢٩ ) تابع أبحاث أستاذه فى الكهرباء ، فتوصل الى اكتشاف العمود الكهربائى الذى أمكن به توليد القوة الكهربائية واستخدامها فى المنافع الإنسانية على الوجه المشاهد اليوم .

أعلمت كيف قابل الناس مباحث الأستاذ جالفانى فى العصر الذى كان يعيش فيه ؟  
قابلوها بالاستهزاء والسخر وسموه بسبب تجاربه فى الضفادع بمرقص الضفادع .  
فكان جوابه لهم أن قال : « اسخروا منى ما شئتم فهذا لا يمنع أنى على وشك اكتشاف  
أكبر القوى الطبيعية » .

ولو أصر الإنسان على القول بأنه لا يسلم إلا بما يرى لظل الى اليوم يقول بأن  
الشمس هى التى تدور حول الأرض ، فانه يرى ذلك رأى العين ، والواقع أن الأرض  
هى التى تدور حول الشمس . فانظر الى أى حد يخطئ الحس فى تقدير أكبر الحركات  
المرئية وأشيعها ؟ وإذا صدق هذا فى المرئيات أفلا يكون أولى أن يصدق فيما دونها  
من الحقائق الكونية ؟

قبل أن يكتشف العلم ظاهرة الانكسار فى الأشعة الضوئية عند ما تمر  
فى مناطق مختلفة الكثافة ، كان الناس يعتقدون أنهم متى رأوا قرن الشمس بارزا من  
الأفق ، حكموا حكما قاطعا بأنها قد ظهرت لنا ، والحقيقة أننا نرى الشمس قبل أن  
تبرز من وراء حجابها بسبب انكسار أشعتها فى الهواء وهى تخترق طبقاته المحيطة  
بالأرض ، فان شعاعها لهذه العلة يصل الى أبصارنا قبل أن تبرز الشمس للعيان بدقائق  
معدودة .

وظاهرة الانكسار الشعاعى هذه نستطيع أن نثبتها لكل إنسان بتجربة بسيطة ،  
وذلك بأن يضع ملعقة فى كوب مملوء بالماء ، فيرى أن الملعقة التى عهد بها مستقيمة قد  
ظهرت معوجة . والسبب فى ذلك هو ما ذكرناه من أن الأشعة التى برزت من أجزائها  
المغموسة فى الماء قد كابدت انكسارا بدخولها فى الهواء لاختلاف كثافتهما ، فتظهر  
اللعقة معوجة على خلاف حقيقتها .

ثم إن حواسنا هذه التى نعول على أحكامها كل التعويل تضللنا فى أكثر ما تصلنا  
به من المحسوسات . فقوة الإبصار ، وهى أكبر القوى التى نعتمد عليها ، ترينا الشمس

وهي أكبر من الأرض بنحو مليون وأربعمائة ألف مرة ، قرصا صغيرا سابحا في الفضاء ، وترينا النجوم التي تفوق حجم الشمس ملايين المرات نقطا لامعة ، وتظهرها ثابتة مستقرة ، وهي تقطع الفضاء بسرعة ألوف الكيلومترات في الثانية الواحدة .

هذا في وقت صحة هذه الحواس وسلامتها من الأعراض ، أما متى انتابتها بعض الأمراض فإن تضليلاتها لنا لا تقف عند حد ، فترى العين إذ ذاك الألوان على غير حقيقتها ، وتراى لها أدخنة متكاثفة ، وسماير محومة أشباه الذباب تحجب عنها المرئيات ، وترى بروقا لامعة وسهاما نارية متطايرة ، ولا يوجد في الواقع شيء من ذلك ، وتسمع الأذن دويا لا يطاق هولا كأن آلة بخارية في حالة ثوران قد سلطت عليها ، ولا يوجد في الواقع أثر من ذلك كله . فإذا شك المصاب به لمن حوله فقد لا يصدقها من لم يكن قد أصيب بمثله . وقد يحسب الفهم المريض أن الماء العذب ، بل الشراب المتناهي في الحلاوة قد مزج بالعلقم المر . وقس على ذلك بقية الحواس في ضروب الأعراض المرضية .

فهذه الحواس لا يجوز أن يوثق بها ثقة عمياء ، ولا أن يوقف مع إحساسها بالأشياء دون أن تعدل بحكم العقل وحقائق العلم . ولست أقول كم في الغيب من حقيقة ، ولكني أقول إن الحقائق الكبرى كلها محجوبة عنا ، وإن هذه الحواس الخمس التي تشترك معنا فيها العجاوات لا توصلنا إليها إلا بنور من العقل وعلى بصيرة من العلم . وهذا هو الذي جرى عليه الإنسان وسيجرى عليه إلى أن يبلغ ما قدر له من كمال

محمد فريد وهري

## بعض خصال المؤمن

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الايمان : من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ، واذا غضب لم يخرج غضبه من حق ، واذا قدر عفا .

# كيف انتشر الاسلام

- ٢ -

دخوله في أوروبا وآسيا

تتابع في هذا العدد ما سبق لنا نشره من هذا البحث مترجما عن الألمانية  
من كتاب « الاسلام » للمستشرق الألماني الاستاذ الدكتور مارتن  
هارتمان ، قال :

« بدأ الاسلام بظهوره عند البلغاريين المستوطنين حوض نهر الفولجا من أوروبا  
حوالى سنة ٩٠٠ ميلادية ، حيث اجتاح المغول جميع أنحاء بلادهم الى أن عمّت فتوحاتهم  
( فى عهد « باطو » وهو حفيد جنكيز خان ) الأقليم الواسع فيما بين نهر سير داريا  
وبحيرة آرال وبحر قزوين وبلاد القوقاز ونهر « دنيبير » .

« ودخل من ملوك الطائفة الذهبية كثير فى الاسلام ، فقويت بهم شوكته ، وزاد  
سلطانه ، خصوصا أن أحدهم « بركه خان » كانت تربطه وسلطين الممالك بمصر  
روابط ودية .

« وقد انتشرت تعاليم الاسلام فى أنحاء سيبيريا وساعد على انتشارها تنقل  
التجار القادمين من بلاد ما وراء النهر وغسان فى هذه الأثناء ، وقد نجحت الدعوة  
الى هذا الدين الى حد بعيد فى منطقة « بارابا » .

« وأما فى أوروبا فكان المسلمون نزلاء ذوى مصالح ، إذا استثنينا اسبانيا وصقلية  
فى العصور الوسطى .

« وأما فى إفريقيا فابتدأ الاسلام بالظهور فى مصر حيث امتدت الفتوحات  
الاسلامية حتى عمّت السواحل الغربية ، ثم امتد جنوبا بحاذية نهر النيل حتى وصل قلب  
القارة الإفريقية . وجاء الاسلام الى بلاد السودان من نواح متعددة من الغرب ، ومن



الشمال الغربي من الجزائر وتونس وطرابلس، ومن صعيد مصر، ومن السودان. انتشر الاسلام في جوف القارة الآففة الذكر الى أن وصل الى المحيط الهندي، فدانت له جميع القرى فيما بين كونا كرى ولاجوس في ينجيريا، وإن كان لم يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا في الجنوب الغربي. وأما القبائل العديدة من المسلمين الموجودين في مستعمرة السكاب فيرجع عهد إسلامها الى أيام السيادة الهولندية.

« وأما شرق القارة فكثيرا ما غزاه العرب والفرس من جهة البحر، وأسسوا الجاليات الإسلامية من مدينة « موجد يشو » حتى مدينة « كلوه » ومنها انتشر الإسلام حتى عم جزائر الزنجبار المجاورة، وكان معظم المهاجرين يفدون الى هذه النواحي من اليمن ومن عمان. ولم تقتصر الفتوحات الإسلامية من جهة الشرق على هذه النواحي فحسب، بل إنها كثيرا ما تغلغت داخل القارة. وكان من مزايا دخول الاسلام وانتشاره في هذه الأقاليم المظلمة أن تحسنت الزراعة، وأمنت التجارة، ونظمت طرق النقل، وخرج الأهليون من ظلمات الجهالة الى نور المعرفة، فتعلموا القراءة والكتابة. ومن آثار الاسلام الخالدة محاربة المسكرات، والقضاء على أعمال القسوة ضد الانسان والحيوان، وأكل لحوم البشر، وقتل الأطفال والكهول والمرضى، بعد أن كانت هذه الرذائل متفشية مثل الوباء الخبيث بين الأهالي الوثنيين.

أمر الاسلام بالمعروف والشفقة والمحبة بين عباد الله، وحث على الصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف، فكل هذه الأمور وغيرها من الفرائض الدينية جعلت الأهالي من الوجهة الخلقية والاجتماعية في مصاف غيرهم من البشر، إذ أخرجتهم من عالم الوحشية الى عالم الانسانية المسؤولة. وقد عودهم الاسلام النظافة والنظام.

« ولما كان علماء الدين ورافعوا الاسلام النازحون الى هذه النواحي من العمال المهرة والمزارعين النشيطين والتجار ذوي الكفايات فيهم، تقدمت الحياة الاقتصادية من النواحي المختلفة ».

نقول : إن ما ذكره الأستاذ ( مارتن هارتمان ) من أن الإسلام نقل الذين أخذوا به من حضيض الوحشية الى حالة راقية من الحياة الاجتماعية ، هو ما اعترف به للإسلام جميع الذين شهدوا آثاره على الشعوب الإفريقية والآسيوية المنحطة من القسيسين والمبشرين أنفسهم ، فقد أجمعوا على أنه متى مدروافه على قبيلة وثنية نقلها فجأة من الدركة الساقطة التي كانت عليها ، الى درجة من النظام والرق تبين بها جميع القبائل المحيطة بها ، ومكنها من السيادة عليها .

والسر في هذا التطور السريع في نظرنا ونظر كل من يعرف الإسلام يرجع الى أصوله الكريمة ، وتعاليمه السديدة . فان أول ما يتقاضاه من الذي يريد الدخول فيه أن يظهر قلبه من أدران الشرك ، وأن يسقط من مخيلته تلك الأوهام والضلالات الوثنية التي ورثها عن أسلافه ودان لها بغير روية ، وأن يعترف لله تعالى بالوحدانية ، وأنبياءه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة ، وأن يقوم بجميع أركان الإسلام وتعاليمه ، وهي في الحقيقة ظهور للنفس تجتث منها جميع ماركته الأديان الباطلة عليها مما ينافي العقل ، ويضلل الفكر ، ويكدر صفاء الروح . فتتشط الفطرة الانسانية من عقابها ، وتفتك ملكاتها السامية من ربطها ، فتدفع الانسان بقواها الذاتية الى تغيير موقفه في الحياة ، وتعديل وجهته في سلوك جادتها ، وتعين له مثلاً أعلى ، وتحنه على بلوغه . ويظهر أثر ذلك كله في مجموع القبيلة ، فيرى الخارجون عنها انقلاباً طراً عليها يوشك أن يتأدى بها الى غايات من الرقي بعيدة .

ولاغربة في هذا كله فإن الإسلام يوجب على أهله الإقلاع عن كل ما يفسد كيان الانسانية من الصفات الحيوانية ، كتعاطي المسكرات والمقامرة والفسق ، وقتل الأولاد وإهمال تربيتهم ، واحتقار النساء والشيوخ والضعفاء ، وارتكاب الخسائس والدنایا من جميع الضروب ، ويحث على مكارم الأخلاق ، وعلى طلب الأحسن والأجمل من كل شيء ، وعلى تحرى الحق والصدق في المعاملات ، وعلى تطاب العلم والحكمة وإكبار

أهائهما ، وعلى استصلاح المعيشة بالوسائل المشروعة ، والترفع عن الظنون والأوهام ، ومجانبة أهل البطالة والعصيان ، والإقبال على الله بالقلب ، منزها إياه عن النقائص ومشابهة المخلوقين ، وعدم تناول ما يعلو طور العقل بالتأويلات والتخييلات الخ .

فهذه الصفات كلها التي هي من أوليات الاسلام تحدث في الشخصية الانسانية تطورا بعيد المدى لا تقف آثاره عند حد . وهو الذي شهد به جميع دعاة الأديان في إفريقيا وآسيا ونشروه في مؤلفاتهم ونشراتهم الدورية ، وأثر عن هذا الدين في كل دور من أدواره . وليس هذا رأى الدعاة وحدهم ، فقد أصبح يقول به رجال عظماء من أهل العلم مثل ( برنارد شو ) الفيلسوف الانجليزي ، وقد نشرنا رأيه في مقالة خاصة في هذا العدد ، فإنه يرى أن أوروبا ستضططر أن تأخذ بالاسلام في نحو قرنين من الزمان ، لتستشفى به من أدوائها الاجتماعية التي كادت تودي بمدنيته . فهذه الآراء ليست ملقاة جزافا ، ولكنها ثمرة تفكير طويل ، وروية متزنة . وهي من مثل برنارد شو أوقع في النفس ، وأفعل في الجماعات ، فاب الرجل يشتغل بالبحث في الشئون النفسية والأُمور الاجتماعية ، فهو خبير بأدواء الأخلاق ودوائها ، وبطب النفوس وعلاجها . وإن هذه الحقائق التي بدأت تتجلى في حلة من علم القرن العشرين سيرن صداها في أرجاء العالم ، وستعم شعوبه قاطبة في وقت قريب ، وإذ ذاك تكتسب الدعوة الى الاسلام قوة على قوتها ، فيصبح انتشاره بين الأمم الغربية أمرا لا مرد له ، والله غالب على أمره .

## فضيلة الاستشارة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة . وقال عمر بن عبد العزيز : إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يضل معهما رأى ، ولا يفقد معهما حزم .

# عجائب المخلوقات

عادة الاسترقاق عند النمل

كان الناس يظنون أن الاسترقاق عادة بشرية محضة، ليس في العالم الحيواني ما يشبهها، ولكن علماء الحيوان أثبتوا أن عادة الاسترقاق موجودة في النمل قبل أن يوجد الانسان على الأرض بآماد طويلة .

وذلك أن بعض أجناس النمل ألهمت أن تقوم على نظام اجتماعي مقرر . وقد قسمت جماعتهم الى قسمين : العملة والحاربين ، فالأولون أصغر أجسادا وأقل قوة من الحاربين الذين قد وكل إليهم مكافحة الأعداء والدفاع عن الحوزة .

من الأجناس التي تمارس الاسترقاق، النمل المسمى روفسنا، وآخر يسمى روبا وغيرهما . وهو يعتمد الى الاسترقاق باختطاف أبناء النمل الأسود ، فيشن لذلك عليها من الغارات ما لا يكاد يتصور . فقد نقل الأمانة هور وكروبي وسبنسر ولورد افبري وغيرهم أنهم شاهدوا هذه المعارك ورأوا أن النمل ينقل قتلا وجرحاه من ميدان القتال في أثناء حصوله ، الى أمانة هادئة وراء صفوف الحاربين .

أما ما تستحوذ عليه هذه الأجناس من نابتة العدو فتسكفها بجميع ضروب الخدم ، فتراها تشغل طوال نهارها في جمع الذخيرة وتربية الصغار . ولا شيء أعجب من مشاهدة هذا الرقيق من النمل يؤدي عمله بكل أمانة وصدق .

ولما تولد نملة لا حدى ساداتها ، تراهم يساعدونها في التخلص من قشرتها ، وقد يكون هذا العمل شاقا فيجتمع له عدة أرقاء ليتساعدوا على القيام به .

قد يفترط بعض أجناس هذا النمل في الاعتماد على أرقائهم فيصيح في غاية الكسل إذ يترك جميع الأعمال ليقوم بها أسراه ، ويبالغ في الاعتماد عليها الى حد أنه يكسل عن المشي ، فيكف الأرقاء أن تحمله على ظهورها ، كما هو حال النمل المسمى ( بولير جوس روفيسنس ) .

The system of classes has existed from the very beginning of Islam which presents a perfect social system from all standpoints.

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

ترجمة تفسير هذه الآية فقلا عن البيضاوى

« Verily this Koran guideth unto the most upright way ».

(Baidawy's Commentary).

of justice, equality and fraternity, these satanic conceptions will be effaced from the human mind and men will live in brotherly co-operation bound together with the purest of moral bonds and interests. The field of productive work will be thrown wide open for the benefit of all men alike unhampered by the spirit of the vain pride of old. Discord will give place to concord and the destructive wars and fierce rivalry which have prevailed will for ever cease.

Yes indeed, this may be a far-off hope but it will no doubt come to pass. The trials and ordeals which the world is undergoing to-day are fast paving the way for the materialisation of that hope. It is then that the meaning of the Lord's saying will be fully realised:

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية فقلا عن البيضاوى

« Do the unbelievers seek a religion other than Allah's and to Him had everyone in heavens and on earth submitted in obedience or by force and unto Him shall they return ? »

(Baidawy's Commentary).

We must need add to this that Islam, though it proclaimed the universal brotherhood and equality of mankind, recognises the necessity of classes in the social structure of the nation so that the edifice of society may be founded on a solid and concrete basis and no disorder may find a way to upset it.

The only condition stipulated by Islam in the constitution of those classes is that they should be constituted according to the moral and scientific attainments in pursuance with the law of assignation of work only to those who are better fitted to discharge it in the most satisfactory manner.

nalities, including a number of slaves with the sole exception of Al-Nakhalahy who was an Arab. Al-Hassan Al-Bisry, chief of traditionists, was a Persian. It also so happened that the first Imam, Abu Hanifa Al-Nuaman Ibn Thabet, was a Persian and he was called the "Great Imam." Many of the compilers of authentic tradition are also of different nationalities as Al-Bukhary, Muslim, Ahmed, Al-Baihaqy, Al-Termizy, Al-Darqetny and Ibn Maja. The fact of their being foreigners did not incite the least hatred against them or stop people from quoting them as authorities on the subject.

The same thing applies to the older and great school of commentators on the Koran as Al-Tabary, Al-Zamakhshary, Al-Razy and Al-Niasaboury.

Prominent men of learning who came after the Imams were also of different nationalities. Al-Bakillany, Al-Asfarainy, Abu Hamed Al-Ghazaly who was called "Hujatul-Islam" (Authority of Islam), Al-Ragheb, Al-Asfahany and many others hailed from different parts of the earth.

Nor were the philologists as Abu Obeida, Al-Feyrouzabady and Al-Jowhary or the grammarians who established its principles as Al-Khalil Ibn Ahmed, Sebaweih, Naftaweih, Ibn Khalaweih and Ibn Fares or the great poets and men of letters as Bashar Ibn Burd, Abu Nowas, Marwan Ibn Abu Hafsa, Mihyar Al-Dailamy etc., excepted. They were all, as their names indicate, of different nationalities.

This universal tendency with which the older society of Islam was characterised is a miniature of the future state of Islam when it becomes universally known and is adopted—after the study of its principles in the light of science—as the religion of mankind at large.

Indeed the greatest obstacle which stands in the way of agreement between men and deprive them of the blessing of general co-operation is the spirit of nationalism which induces its adherents to believe themselves the greatest nation on earth and that Providence has endowed them with peculiar advantages which render them masters over the whole world. Nay some of them go even further and deem themselves the chosen people of the Creator Himself and regard all other people as inferior to them. Little wonder therefore that nations strive their utmost for the destruction and downfall of one another and thus deliberately change the face of the earth into huge battle-fields in which the most barbaric atrocities are perpetrated.

But the day will come when, by the inculcation of the Moslem spirit

far, no merit is there to a white woman's son over a black woman's son save by righteousness or a good deed." Abu Zarr, thereupon put his cheek to the dust and asked the blackman to trample on his face as a token of contrition and deep remorse for what he had done.

The Prophet (on whom be peace) had insisted on the practice of this noble principle on various occasions. One of his famous sayings in this connection runs: "Allah hath delivered you from the curse of the days of ignorance (pre-Islamic days) and its pride in ancestry. No merit is there for an Arab over a foreigner nor a white man over a black man save by righteousness or a good deed."

Moslems have practiced this noble tradition after the Holy Prophet (on whom be peace). They made no distinction in the treatment of people according to their birth or colour. The sole criterion of distinction was the intrinsic value and moral attainments of the individual. Some slaves and bondmen, even people of unknown ancestry have attained to the very summit of distinction and were accorded the highest honours despite their so-called lowly origin.

When Omar was on his death bed he nominated six men, bade the people to elect one of them to be Caliph and said: "By Allah had Salem the slave of Abu Huzaifa been alive, I need not have recourse to consultation" meaning thereby that he would have given him the Caliphate, and this Salem was a bondsman of Abu Huzaifa! The words of Omar will live for ever in the annals of history as an ideal of the equality of mankind.

When those six men were nominated by Al-Farooq (Omar) for the election, he ordered them not to leave the house in which they met until they have chosen one from among themselves. Meantime he ordered Soheib to lead the people in prayers, a function which was given only to capable men of unimpeachable character and good repute. This Soheib was a Greek slave! To this extent had Moslem society dropped all racial and social distinctions.

One significant point regarding this people, hitherto unprecedented in the world's history, is that its leaders, men of learning and its prominent men in the field of mental activity were of different nationalities. Some of them were even slaves or the sons of slaves, yet this did not prevent them taking a foremost position where their talents and capabilities put them. All the older law-doctors in the Moslem provinces were of different natio-



between him and his being appointed commander-in-chief of the expedition to Transoxiana. The conquest was accomplished by him in the reign of Beni Ommaia and he imposed tribute on China. One day he encountered an Arab and jokingly asked him "Wouldst thou like to have great wealth and position and belong to the tribe of Bahila?"

"No by Allah" was the prompt reply.

"Wouldst thou like to be a commander such as I am and belong to the tribe of Bahila?" asked Muslim.

"No by Allah" the Arab answered unhesitatingly.

"Wouldst thou like to inherit Paradise and belong to Bahila?" said Muslim.

The Arab thought for a while and said "Maybe I would on condition that nobody knows it."

As to their treatment of bondsmen and black slaves, the Arabs meted no better treatment to them than was meted to dumb animals.

When Islam established the principle of universal equality of men this state of affairs was instantly changed. Men were all rendered the same. No one was to ask his fellow-being of which tribe he was or to which nation he belonged. He was to treat him in the same way as he treated his nearest kinsmen. The Prophet (on whom be peace) had striven to render this equality an accomplished fact. Belal (1) was given the governorship of Medina which boasted of many notables and high personages. Osama Ibn Zeid, a bondsman, was given the leadership of an army in which Abu Bekr and Omar, whose noble birth and ancestry are well known, fought under him. Bazan, the Persian, was given the governorship of Yemen, the most fertile of Arab provinces, which was of great importance from the strategic standpoint. When Bazan died, the Prophet (on whom be peace) gave his son Shahr Feyrouz the governorship.

It came to pass that Abu Zarr Al-Ghafary disputed once with a black man in the presence of the Prophet (on whom be peace). Abu Zarr became enraged and he called the black man "son of black woman." The Prophet (on whom be peace) was greatly annoyed and he said "This has gone too

---

(1) Belal: a black slave and attendant of the Prophet.

towards one another, he will readily admit this principle and recognise it as true. Should he again be asked whether their worth and position should solely depend on their moral attainments and not on their belonging to a certain race, colour or class, he can only answer in the affirmative.

These great facts which the civilised world so far fail to appreciate, are considered axiomatic by those who have freed themselves of passion and superstitions and upheld the law of nature in accordance with Islam. They follow Islam impelled by the moral forces inherent in their nature and here lies the secret of Islam's success in implanting those facts in the hearts of its followers. Yet these very same facts could not be made acceptable to a people who have not achieved that mental freedom stipulated by Islam in its first principle no matter how great their worldly knowledge may be.

We may now ask to what extent have these Koranic principles been applied and practiced in Moslem society? As principles, they have been applied to the fullest extent that could be attained by a nation. We give below a few instances to show the universal character of those principles unfolding an ideal society which the most civilised nations have hitherto failed to realise.

A man comes to the Prophet (on whom be peace) to swear allegiance to Islam, and he straightway becomes one of his company. No distinction is made between a Koreishite from the very branch of Hashem or Abdul-Dar and another from Bahila or Salul who were the lowest of the Arab tribes. Nor was any distinction made between him and a Persian, or a Greek whom the pure Arabs regarded as foreigners, or even between him and a bondman or a black slave sold at the market even as animals are sold. All are bound together with one bond, the bond of brotherhood in its fullest meaning of unity and co-operation with no other consideration of conventional or racial distinctions.

This took place in a society where social distinctions reigned supreme so much so that a man was upbraided for becoming a marriage relation to some one whose mother was an Arab and his father a foreigner or the reverse.

But that was not all, the Arabs used to distinguish between the different tribes and assign them different positions. Beni Bahila and Beni Salul were regarded as the lowest of the Arab tribes.

Muslim Ibn Qutaiba was from Beni Bahila yet this did not stand

whom be peace) and his Companions have applied them to the Moslem society and made them a regular practice so much so that any breach thereof was considered an infringement of established law.

We have already pointed out that the Holy Koran has called to universal brotherhood of mankind making no distinction between high or low nor black or white and inculcating that real honour lies not in belonging to this nation or the other nor to this family or that but in the moral and spiritual attainments of man. Islam has not aimed, as all reformers prior to it have aimed, at the establishment of a nation on the principle of race, but it aimed at the establishment of a universal nation in which racial and social distinctions melt away and which constitutes the ideal of what a nation should be when those nationalistic and racial prejudices that separate mankind and induce them to war are exterminated.

One feature wholly arrests the attention in this matter and that is that the Prophet (on whom be peace) had succeeded to apply those great principles to nations which were most unwieldy and superstitious fulfilling thereby a social miracle after which reformers of all generations strive but are unable to materialise in one single nation of the same race much less in a collection of nations of contradictory principles and traditions!

This is one of the immortal phenomena of Islam and if we devote a special chapter to it, it is because that it is well worthy of a whole volume to be written by some prominent authority in social science who has made a study of the psychology of human communities and come to realise the impossibility of such a task.

Sociologists are baffled by the far-reaching effects of this phenomenon and many and diverse were the interpretations they gave to it but it is easy in order to comprehend it, to consider the two great principles on which this Faith is established viz: human nature and pure reason.

By calling men to uphold the law of nature, Islam demands of its follower to relinquish all inherited traditions and superstitions and to face the bare facts of life absolutely free of all imaginary conceptions or traditional prejudices. When this mental evacuation is accomplished, Islam demands of its follower to accept the judgment of reason not that of passion and fancy. The judgment of reason thus established, it is easy to convince him of all that is right and good. Should he be asked whether all people are the children of one common father and mother and whether their colour or race are mere forms that do not prevent their being brotherly and amiable

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD <sup>(1)</sup>

#### III

#### THE IDEAL OF NATION-BUILDING.

---

It is not of fundamental importance to the intrinsic value of principles that they should attain a high standard of perfection, but a great deal depends on their application and feasibility otherwise they will be, so to speak, mere scribble on paper. Plato in his Republic and Aristotle in his Politics, have established great principles but they have utterly failed to induce their people to adopt them and these principles remained where they were inside those two books. All through their life and that of the Greek people, practice ran counter to these principles and when the Romans inherited them they did nothing towards their development or application. Not so the principles established by the Holy Koran. The Prophet (on

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.